

المجلد
١٣١٥
فبشروا
فبشروا
سنه اولئك الذين هدام الله
واولئك هم اولو الالباب
الذين يستمعون القول
فبشروا
فبشروا
سنه اولئك الذين هدام الله
واولئك هم اولو الالباب
الذين يستمعون القول

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومثارا » كمنار الطريق
٣٠ جمادى الاولى ١٣٤١ - ٢٦ الجدي (ص ١) سنة ١٣٠١
١٩٢٣

فاتحة المجلد الرابع والعشرون
General Organization
Library (AL)
Bibliothèque Centrale

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك
ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيراً * نحمده بما حمد به نفسه ، وأنى
للعبد العاجز أن يحصي الثناء على ربه ، ونسأله الفضيلة والوسيلة ،
والدرجة الرفيعة ، والمقام المحمود الذي وعده ، لصفوة خلقه ، وخاتم
رسله ، الذي بعثه من عرب مضر ، للابيض والاحمر ، والاسود
والاصفر ، ليصلح ما فسد من أمر البشر ، ويزيل من بينهم فوارق
التقاليد والغير ، ويجعلهم أمة واحدة بعقيدة صحيحة مطهرة للعقل ،
وآداب عالية مزكية للنفس ، وعادة خالصة مصفية للروح ، ولغة

فصيحة مرقية للمشعور والعلم ، وإلا فبشرية عادلة تساوي في أحكامها بين الاغنياء والفقراء ، والاقوياء والضعفاء ، والسوقة والملوك ، لا تحابي رئيساً على مرؤوس ، ولا صاحب منصب في دنيا أو دين ، اقامه حجة على جميع البشر ، وجعل أمته شهداء على الامم ، وجعله هو الشهيد على أمته ، اذا انحرفت عن هدايته ، أو قصرت في إقامة شريعته ، (٣٣ : ٤٥ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ٤٦ وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ٤٧ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ٤٨ ولا تطيع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيل)

وقد بلغ — بأبي هو وأمي — الدعوة ، واقام الحجة ، وبين المحجة ، فكان المثل الاعلى في الحق والعدل ، والرحمة والفضل ، عانده الجبارون المتكبرون ، واستجاب له الفقراء المستضعفون . فنصر الله الفقر على الغنى والثروة ، والضعف على الشدة والقوة ، بل نصر غنى النفس على غنى المال ، وقوة الحق على قوة الباطل ، وجعل الفوز لجهاد القرآن ، على جهاد السيف والسنان ، فانتظم عصره في سلك دينه ما كان مبعثراً من قبائل العرب ، ودان خلفائه من بعده أعظم شعوب العجم ، وعم النور جميع الامم ، فأجيا الاسلام العلوم والفنون ، وابتكر حضارة طريفة لم تر مثلها عيون القرون ، جمعت بين العلم والدين ، وألفت بين لذة الجسد والنفس ، ولذة الروح والعقل ، وأقامت ميزان العدل بين المختلفين في الدين والجنس والصفات ، وألفت ما كان من التفاضل والامتياز بين الناس في الانساب والطبقات ، وحصرت الفضل في الايمان

والتوى وعمل الصالحات (٤ : ١٧٣ يا أيها الناس قد جاءكم براهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا آميين ١٧٤ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما) ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

أما بعد فان المنار يذكر قراءه في فاتحة مجلده الرابع والعشرين ،
بمثل سنته في فوائده ما غر من السنين ، من العبرة بشؤون الاجتماع والعمران ،
وتنازع عوامل الصلاح والفساد في الانسان ، وما يناسب ذلك من
هداية القرآن ، حجة الله البالغة بما فيه من آيات العلم والتبيان ، المناسبة لكل
زمان ومكان ، وصفة من هو كل يوم في شان ، ذلك بأن المنار انما انشأه
لا يقاظ الشرق وتجديد الاسلام ، باعادة تكوين الامة ، وحياة الملة
والدولة ، لا لفروع الفقه وأصول الكلام ، ولا لجذليات المذاهب الدينية ،
ولا تأييد العصبية ، الجنسية ، ولا لنشر ما يجدد في قضايا العلوم ونظريات
الفلسفة ، أو مخترعات الفنون وعجائب الصناعة ، ولا لقصص التاريخ ونوادر
الفكاهات ، ولا لجوانب الحوادث وأخاديع السياسات ، بل كل ما يذكر
فيه مما يدخل من هذه الابواب ، فانما يولي وجهه شطر ذلك المحراب
لان الامة اذا حييت احييت من العلوم ما كان ميتا ، وأنشئت من الفنون
ما كان رميا ، واذا ماتت أماتت معها ما كان حيا ، ودرست ما كان
مدروسا مرويا ، وان الغذاء اللطيف قد يزيد الميعود الدوي دوى ،
والغذاء الخشن يزيد المتعدد القوي قوي (٢٥ : ٥٠ لقد هرفناه
بتنهم ليدكر وا فاني اكثر الناس إلا كفورا ٥١ ولوشدنا لبعثنا
في كل قرية نذيرا ٥٢ فلا تطع الكافرين زاجدهم به جهادا كبيرا)

ما كل من أعرض عن آيات الله في القرآن ، يستطيع أن يعرض عما يصدقه من آياته في الآكوان ، ومن آياته الماثلة امام الناظرين ، فضيحة هذه المدنية المادية التي فتنت أوربة بها المسلمين ، فقد ظهر لهم ما كان خفياً من فسادها ، وذهب بهيبتها ما كان من الفضائع في حربها ، ومن آياته أن ثلّ عروش دولها المقهورة ، وزلزل أركان دولها المنصورة ، وضعضع ثروتها ، وأوقع الاضطراب في معيشتها . ومن آياته أن نقض غزل عهودها أنكاثا . واجتث شجرة وحدتها اجتثاثا . فبدت خبايا نبائهم ، وفضحت خبايا خبائثهم . ومن آياته أن أذل جبروت أعظم دولة قاهرة ، بفئة من أضعف دولة مقهورة . فوطي بها شم معاطسهم ، وطأطأ من إقحاح رؤسهم ، وطأ من من افراط تغطرسهم . حتى جنحت تلك الدولة العاتية المتكبرة ، الى مصالحة تلك الفئة التي كانت تسميها المشرّدة المتمرّدة . واضطرت الى الرضى بمساواتها في مؤتمر السلم ، بعد أن كانت تستكبر أن توقفها موقف المجرم لسماع الحكم . ومن آياته ان سخر ما بقي من قوة الامة الروسية ، لحفظ ما بقي من استقلال الدولة التركية . بعد ان كانت هي الخطر على استقلالها ، والمجدة في تقطيع أوصالها . ومن آياته أن أبطر الأمم الغالبة بمظهر غلبتها وان لم تكن بمحض قوتها ، فأصرت على غيها ، واستمرأت مرعى بغيها ، لتحقق عليها كلمة الانتقام من الظالمين ، وتدمير فسدة المسرفين ، (٢٥ : ٢١) لقد استكبروا في أنفسهم وعتّوا عتواً كبيراً * ١٧ : ١٦ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً

عسى أن يكون الباغون قد بلغوا أوج العلو ولم يبق الا الهوي ،

وأن يكون ما بلغناه هو منتهى الحدور وما تم الا الرقي ، فان الوقوف في عالم الحياة محال ، ولانا ولما هم في انتقال ، ولانا كلاً منا لعرصة للغرور فيه والضلال ، وان الغرور لمحطة للعمل ، وان الضلال لمدرجة للزلل ، وانا ليعوزنا من القوة والبصيرة في بطاء الصعود ، فوق ما يعوزهم من الحكمة والروية في سرعة الهبوط ، وانهم لا علم منا بسنن الله في البشر ، وبأيديهم ما ليس بأيدينا من وسائل الحذر ، وأسباب اتقاء الخطر ، ولانا لا ينبغي لنا ان نفتر بما نرى من تفرق قوتهم ، مع ما نعلم ويعلمون من عدم اجتماع قوتنا ، ولا بما انقصم من عروة وحدتهم ، ولما نوثق عروة وحدتنا . فان عطف بعضهم على بعضنا عطفاً سياسياً سلبياً ، فان منا من يواليهم على أمته ولواء إيجابيا . (٢٥ : ٢٠) وجعلنا بعضهم لبعض فتنة اتصبرون ؟ وكان ربك بصيراً (٢٥) أرايت من اتخذ إلهه هواه أفانت تكون عليه وكيلاً (٢٦) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟ ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلاً)

قد كان لنا جامعتان سعد سلفنا بالاعتصام بهما ، وشقي خلقنا بالتفرق والاختلاف فيهما : جامعة علمية روحية وهي كتاب الله وما بينه من سنة خاتم النبيين ، وجامعة سياسية عملية وهي الامامة العظمى وما بينها من سيرة خلفائه الراشدين ، وهدي السلف الصالحين وهذه متممة للاولى ومنفذة لها ، وان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، تفرقنا في القرآن بالتأويل فذهبنا مذاهب جعلت الملة الواحدة مللاً ، وتفرقنا في الامامة بالعصبيات فصارت الامة أمماً والدولة دولة ، ثم أعرضنا عن كل من الجامعتين كليهما ، وبطل الاقتداء بالامامين مع احترام اسميهما أو كلمتيهما ، فجدد بعضنا

على فلولهم بعض الكتب التقليدية، وقتن بعضنا بالقوانين والنظم الاوربية،
وروابط شمولها الجنسية والوطنية، واذا بها وعاداتها الشخصية والاجتماعية،
ومرت القرون وتماقبت الاجيال . ونحن على هذا الضعف والانحلال
والمدعون للامامة المظلي فينا بين معزل في شامق جبل ، قد ضاقت به
الحيل ، لا يدرف من أمر من وراءه من المسلمين رفا ولا نكر او لا يدرفون من
أمره نهيا ولا أمرا . وبين ناعم في تصور جناحه ، بين قنائه وقياه ، مستبد في
سلطانه ، عاص لربه مطيع لشيطانه ، مفقر لرعيته من لا خدانه : مستغن
بمدح كذبة الجرائد ، وخطباء الفتنة في المساجد ، يتلون بين يديه في كل
جمعة (يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)
غشا للامة وتضللا ، ويسكتون عن قوله تعالى بعده (فان تنازعتم في شئ
فردوا الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن
تأويلا) ولسان حال الرعايا يحجبهم بقوله عز وجل (ربنا إنا أطعنا سادتنا
وكبراءنا فأناضلنا السبيلا ، ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا)
كنت كتبت في فاتحة السنة الاولى للنار ، ان من أصول خطاته
بيان حق الامام على الامة وحقوق الامة على الامام : فلما عثرتها على
الناصح الامين . مستشيرا بها ، اقترح ترميع هذه الكلمة منها ، وقال ان
المسلمين لم يبق لهم امام الا القرآن ، وان البحث في الخلافة وما يجب على
السلطان فتنه للناس ، فواتيته على حذف الكلمة ، ولكن لم يسعني ترك
البحث في المسألة . بل نشرت في المجلد الاول بضع مقالات في فساد حال
المسلمين واضعلاهم بانفساد أمرائهم وعلمائهم ومرشديهم ، بينت فيها
مثار فساد الدنيا والدين ، خروج الخلافة عن الاسس الذي أقامه عليه

الاسلام في عهد الراشدين، وكتبت بعد ذلك مقالات في الاصلاح فحة ٣١١ المقترح على مقام الخلافة الاسلامية، على العلم بانها لم تكن الاسمية أو وهمية. فكان جزاء المنار على أمثال هذه المباحث الاصلاحية، تحريمه على البلاد العثمانية وتعذيب آل بيتنا في ديار الشام، وفاقا لما نصح لنا به الاستاذ الامام، بل هي التي صدت الكثيرين عن المنار، الذين كانوا يقدسون السلطان عبد الحميد في هذه الديار، وفي سائر ما استعبد الاجانب من الاقطار، على حين يعده جميع مسلمي العثمانيين، أفضل الجهاد لايحياء الدولة والدين، ولولا الاخلاص لعدونا ذلك النصب الى ذرى المناصب، والمترية الى علو المراتب والرواتب، ولقد دعينا اليها فأينناها، وسئلنا الفتنة فما آتيناهما، ولقد سئلها كثيرون فآتوها وما تلبثوا بها الا يسيراً.

(سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا)

ونحمد الله أن كان من آثار ما أحدثت الحرب العامة من التطور العام أن وضعت هذه المسألة موضع البحث في هذه الايام، بعد ان ذلك أحرار الترك هيكل تلك الاوهام التي كانت تشبه معابد الاصنام، فكان أهم ما يعني به المنار من خدمة الاسلام، أن يوفيهما حقهما من تحقيق أحكامها الشرعية، وبيان وسائلها العملية، وموانعها السياسية والاجتماعية، ليكون الساعون الى إقامتها على بصيرة من أمرهم فيها، مهتدين بكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (١٧: ٩) إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويشرح المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ٣٣: ٢١ لقد كانت لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً

ألا إن اقامة الامامة هي التي تحيي هذه الامة ، ولكن أمرها لا يزال عمة ليس وراءها غمة ، وإنما لترهق محاربا صموداً ، وتفتنهم به كؤداً ، وتجشمه منالا بعيداً ، يركب فيه الشبهة ، ويخبط في ديجوره المشقة ، وإن أسعد الناس بها لأزهدهم فيها ، وإن أطعمهم فيها لا عجزهم عنها ، وإن أقر بهم منها ، لأبعدهم عنها ، فلا الوسيلة مهيبة ، ولا السبيل معبدة ، وإنما كل القرصة السانحة أن مكنتي الألسنة عنها قد أنطقوها ، وحاضري إجمالة الرأي فيها قد أباحوها ، أهل الحرص عليها ، يتخطاؤون فيها ، فوجب على أهل الحقيقة أن يقولوها . وعلى عاوفي الطريقة أن يسلكوها ، وعلى جمايي الامانة أن يؤثروها (٣٣ : ٧٠) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً (٧١) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً أنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظالماً غيراً (١٠٨)

نشيء المنار

محمد رشيد آل رضا الحسيني الحسني

نثر الدعوة الى انتقاء المنار

فدعوا كل من يطلع على المنار أن يكتب اليها بما يرى فيه من خطأ أو غلط ، مبيناً ذلك بالدليل ، من غير استطراد ولا تطويل ، فإنه من الامور بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى ، وقد أمر الله تعالى به في كتابه ، ونحن نعد بأن نشر ذلك بشرطه ونعترف لكل ذي حق بحقه وليس لنا فيما نشرهوى فنسر عليه ، ولا منفعة مادية فنحرص على استبقائها ، ولا جامعة عصبية فنخشى اضعافها ، بل لا نزال مستهدفين لخسارة المال ، واستحاط جميع مصادر الجاه ، ولكن في سبيل الله (وما عند الله من خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)

(الملاحق الفني التابع لفتري مطارة الكحول في ج ٩ م ٢٣)
 (بقلم الطبيب العالم الشهير احمد بك عيسى)
 الكحول alcohol كلمة عربية الاصل اصحابها يحون وهي المادة الدفبته
 العطيفة التي يتكحل بها وقد اقتبسها الافرنج من اللغة العربية في المصدر

الوسطى واطاقوها مجازا على المادة اللطيفة المعروفة ولم يتوصل الباحثون في كيمياء العرب الى الآن الى معرفة الزمن الذي اقتبست فيه ولا الكتاب الذي اقتبست منه واطلقت على هذه المادة ولا أول من اقتبسها وقد كتب في ذلك العالم الكيموي الشهير بريتوا في كتابه المعنون « كيمياء العصور الوسطى *l'achisnie au moieu âge* والسبب في تسميتها (اسبرتو) هو أن الكحول كانت في الابتداء تستخرج من النبيذ ولذلك كانت تسمى روح النبيذ *Esprit de vin* فاخذت الكلمة الاولى وعربت (اسبرتو) بمعنى روح والكحول هذه مائمه شفاف لالون له طعمه حامز قارص عطري الرائحة ساطع يلتهب ويغلي على درجة ٧٨ مئوية ووزنه النوعي ٧٩ ر. وتستخرج الكحول من تقطير الموائم السكرية والخميرة ومن المواد السكرية والنشوية على وجه العموم) واذا التهب الكحول استحال الى ماء وكربون واذا خلط بالاحماض الجاويك والكبريتيك والازوتيك والفسفوريك تولد من خلطها موثم اخرى تسمى الاثيرات (جمع اثير)

وللكحول انواع عديدة بحسب عدد جواهر الكربون والايدروجين الموجودة فيه وتستعمل الكحول مذيبة لكثير من المحضرات الاقرباذينية كالأصبغ مثل صبغة اليود وغيرها كثيرا جدا وتستعمل كذلك في الاطلية والدهون وفي العطور . وهي مطهرة من الظاهر مانعة للجفونة وقابضة تقطع الانزفة ولها استعمالات اخرى كثيرة لا يستغنى عنها

﴿ ملحق آخر للصيدلي الشهير محمد علي بك نصوحي ﴾

الكحول سائل يشبه الماء شفاف خفيف قابل للالتهاب بسرعة سريع التبخر يستحصل عليه بواسطة الانبيق (التقطير) من بعد اختار العنب . والقصب والبلح . والخشب . والبنجر وجميع الاثمار المعروفة في العالم تستعمل هذه المادة أي الكحول في أكثر السوائل بل جميعها تقريبا لان الصفات والخلصات المستعملة في فن الطب لا يمكن استحضارها الا بواسطة الكحول ويستعمل في دهانات اللوسز أي على الاخشاب وفي غالب الروخت الطبية التي تستعمل للتدليك وللدهان وله منافم عديدة في فن الطب والاقرباذين وكذا الاعطار التي من نوع الكلونيا المعروفة عند القريب والبعيد المتداولة في العالم

فتاوى المنار

استعمال الذهب والفضة

(س ١) من صاحب الامضاء بيروت

حضرة صاحب الفضل والفضيلة مولانا الاستاذ المحترم السيد محمد رشيد افندي رضا صاحب مجلة المنار القراء حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته — وبعد فاني أرفع لفضيلةكم السؤال الآتي راجيا التكرم بالاجابة عليه. واسيادتكم من الله تعالى جزيل الاجر، ومني عظيم الشكر: جاء في باب الشرب في آنية الذهب بالجزء الثامن من صحيح الامام البخاري رضي الله تعالى عنه من حديث ابن أبي ليلى قال كان حذيفة بن اليمان بالمداين فاته دهمان بقدر من فضة فرماه به فقال أبي لم أرمه إلا أني نهيته فلم ينته وان النبي صلى الله عليه وسلم نهانا عن الحرير والدياج والشرب في آنية الذهب والفضة. وفي باب آنية الفضة التالي للباب المذكور من حديث ابن أبي ليلى بطريق غير الطريق الاول قال خرجنا مع حذيفة وذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تشربوا في آنية الذهب والفضة » وفي حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم من الباب المذكور ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الذي يشرب في آنية الفضة انما يجر جر في بطنه نار جهنم » وفي حديث البراء بن عازب التالي لهذا الحديث قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع الى ان قال ونهانا عن خواتيم الذهب وعن الشرب في الفضة أو قال آنية الفضة اهـ. والمنصوص في مذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه بتحريم الفضة مطلقاً على الرجال الا ما استثني من نحو الخاتم وعلى النساء مطلقاً الا للتحلي. وفي الجزء الاول من كتاب الترغيب والترهيب للامام الحافظ زكي الدين بن عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (صحيفة ١٤٤ طبعه أولى سنة ١٣٢٤ بالمطبعة الشرفية) مانصه وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أحب ان يحلق حبيبه حلقة من نار فليحلقه حلقة من ذهب ومن أحب أن يطوق حبيبه طوقاً من نار فليطوقه طوقاً

من ذهب ومن أحب أن يسور حبيبه بسوار من نار فليسوره بسوار من ذهب ولكن عليكم بالفضة فالعبوا بها » رواه أبو داود باسناد صحيح وقد نقل صاحب الكتاب المذكور عن المحلى الجواب عن الاحاديث التي ورد فيها الوعيد على تحلي النساء بالذهب قبل هذا الحديث ولم يجب عن هذا الحديث المفيد بظاهرة إباحة الفضة مطلقاً للرجال ولو في غير الخاتم وللنساء ولو في غير الحلي فتفضلوا حفظكم الله ببيان الجمع بين الاحاديث المذكورة وحديث أبي داود المذكور على فرض مساواته لاحاديث البخاري وبيان دليل تحريم غير الشرب من انواع الاستعمال وبيان وجه تحريم غير الآنية كساعة الجيب وساعة اليد وأسورتها والازرار والانواط ويد العصا والختم ونحو ذلك من انواع الاستعمال ولفضيلتكم الاجر عبد الحفيظ ابراهيم اللاذقي الشافعي مذهبا ببيروت

(ج) مذهب الظاهرية نفاة القياس كالامامين داود وابن حزم وكثير من فقهاء الحديث الذين يثبتون القياس ان التحريم الديني لا يثبت بالقياس ولهم في ذلك ادلة بسطناها في التفسير وفي مواضع اخرى من المثار منها حديث « وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » فهؤلاء كلهم يبيحون استعمال الذهب والفضة في غير الاكل والشرب وما ورد من حلية الرجال دون غيرها بقاعدة البراءة الاصلية واصل اباحة الزينة الثابت بنص قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) الآية ، واستعمال الفضة خاصة بالذكر من حديث أبي موسى الاشعري وبحديث « ولكن عليكم بالفضة فالعبوا بها احبا » رواه احمد وكذا أبو داود من حديث أبي هريرة كما تقدم في السؤال . وليس عند الشافعية وغيرهم دليل على تحريم كل استعمال للذهب والفضة في غير حلية النساء وخاتم الفضة للرجل والضبة بشروطها الا القياس ، والقياس حجة مختلف فيها بين علماء السلف والخلف وقد بسطنا أدلة المثبتين والنافين وحققنا المسألة في تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) الآية فليراجعها السائل اذا أحب أن يكون على بصيرة في دينه في أمثال هذه المسألة (١)

(١) تراجع علاوة تفسير الآية ص ١٣٨ - ٢٠١ ج ٧ تفسير

٢٢ كتب ابن تيمية وقيم الجوزية والشوكاني المنار : ج ١ م ٢٤

وليراجع أيضا تفسير (اليوم أكملت لكم دينكم) وكلاهما في سورة المائدة (١)
ولعل قلبه يطمئن حينئذ بأن عقائد الدين وعباداته والمحرمات الدينية إنما تثبت بالنص
أو نحوه بشرطه دون القياس ، وناهيك بقياس معارض بالاصول القطعية ونصوص
الكتاب والسنة كتعزيم الزينة والطيبات بغير نص يصلح مخصصا لمعوم الزينة في آية
الاعراف . وإنما القاسم والاجتهاد في الامور القضائية ونحوها من المعاملات التي
لا تنحصر جزئياتها وتختلف باختلاف العرف والزمان والمكان ولا سيما السياسي منها .
ومن التعليقات التي يذكرها بعضهم للتحريم كسر قلوب الفقراء ومقتضاها
ان النبي يجب ان يكون طامعه ولباسه ومسكنه كالمقير ، وهذا امر مردود
بنصوص الكتاب والسنة ومخالف لكلامهم في النفقات ، ويقضي العمل به الى
فساد العمران فراجع تفسير (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق) في المجلد ٢٣ المنار

﴿ كتب ابن تيمية وابن القيم والشوكاني والسيد حسن صديق ﴾

(س ٢) ومنه ما قولكم رضي الله تعالى عنكم في مؤلفات وفقاري الشيخ
تقي الدين ابي العباس احمد ابن تيمية الحنبلي والشيخ شمس الدين ابي عبد الله
محمد بن ابي بكر الشهير بابن قيم الجوزية الحنبلي والشيخ محمد بن عبيد الشوكاني
الباني والعلامة السيد ابو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني
القنوجي البخاري هل هي من الكتب المعتمدة المتقاة كغيرها بالقبول ام هي من
الكتب المطروحة التي لا يعول عليها ولا يجوز النقل عنها والافتاء بما فيها ؟ تفضلوا
حققوا لنا ذلك فان المطلوب النقل منها وهي موجودة لدينا فقال بعض اهل العصر
هذه الكتب لا يعول عليها ولا يلتفت اليها ، بل هي من الكتب غير المعتمدة .
تفضلوا افيدونا وافضيتكم من الله تعالى جزيل الاجر ومنا عظيم الشكر

(ج) قد سئلنا من عهد قريب عن كتب الشيعيين الاولين واحبنا عنه .
وتقول الان ان كتب هؤلاء العلماء الاعلام من افضل اطلعنا عليه من كتب علماء
الاسلام ، من حيث انهم جمعوا بين العلم بالكتاب والسنة رواية ودرابة وبين

الاطلاع على كتب مذاهب علماء الامصار الذين يقدم الناس وغيرهم ولم يلتزموا التعصب لامام معين ولا لاهل مذهب بل محصوا الأدلة ورجحوا ما كان دليلاً أقوى . فكتبهم أحق بالاستفادة منها من كتب المقلدين لمذهب معين يتمسكون بأقوال أهله وان خالفت النصوص الصريحة ، والاحاديث الصحيحة وأكثرها خلو من الأدلة مطلقاً أو أدلة المخالف . وقد طبعت هذه الكتب وقرظها بعض كبار العلماء ولا يزل اهل العلم الصحيح وطلابه يتناقسون فيها وسوقها أروج من غيرها ومنها ما تكرر طبعه . وقد كان نيل الاوطار يباع بمجنبيين وهو يساوي الآن بضعة جنبيات وقيلما يوجد . وانما ينهى بعض المقلدين للمذاهب المشهورة عنها كما ينهون عن العمل والفتوى بمذاهب الصحابة والتابعين بغير حجة الا ما ندكره قريبا من الاعتذار عن ذلك . ولو خرج أحد الأئمة الاربعة من قبره ورأى هذه الكتب لفضلها على جميع كتب المقلدين له ، لانها قلما تخالف غيرها الا بترجيح حديث صحيح على ضعيف أو على قياس ، وهذا أصل مذاهبهم كلهم رضي الله عنهم ، ولكن المتسكين الى مذاهبهم اتخذوا أقوالهم وأقوال كبار اصحابهم اصولاً في التشريع ودلائل على حكم الله ويوجبون تقليدكم في كل ما روي عنهم وان خالف نصوص الشارع أصولهم التي بنوا عليها مذاهبهم ، وكلهم يتبرأ من ذلك . وهذا كتاب مختصر المزني صاحب الامام الشافعي قد افتتحه بعد البسملة بقوله : « اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس الشافعي لا قبل به علي من اراده مع إعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره ، لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه » لمثل هذا النظر والاحتياط استنبطوا وألفوا وهو ما نقندي بهم فيه عند النظر في الكتب المسؤل عنها فلا تتبع اصحابها في فهمهم تقليدا بل يستعين بها ككتب الأئمة الآخرين على معرفة الراجح في مسائل الخلاف وقد اعتذر بعض علماء التقليد عن هذا التحكم بحصر العمل والفتوى في مذاهب الأئمة الاربعة عند اهل السنة بان مذاهبهم هي التي دونت واستمر العمل عليها ووسعت مباحث الفروع فيها فاستغني بها عن غيرها من المذاهب المندرسة مع الاعتراف بالاجتهاد لاهلها

وأجبنا عن هذا (أولاً) بأن السنة وآثار الصحابة قد نقلت نقلاً أصح من نقل المذاهب بالاسانيد التي وضعت لها كتب الجرح والتعديل وعمل الحديث

٢٤ فقهاء الحديث المستقلين اقرب الى الاثمة من مقلديهم المنار: ج ١ ص ٢٤١

وشروحه وهي أصل هذه المذاهب كلها يعد القرآن فلماذا لا يكون العمل به هو المقدم على كتب الفقه التي تكثر فيها أدلة الاقيسة والرأي التي اختلف علماء السلف في الاحتجاج بها ولا سيما قياس الشبه وما فيه من مسالك العلة التي يتعذر إثبات شرعيتها. ونم مذاهب أخرى، نقولة مدونة ويعمل بها ملايين من المسلمين كمذاهب آل البيت النبوي (وثانياً) بأنهم قالوا ان اختلاف العلماء رحمة للامة فلماذا تضيق باب هذه الرحمة عليها بحصر الاستفادة بواحد من حرمان الاستفادة من غيره بتسميته تلفيقاً ومخالف السلف الصالح الذين كان عوامهم يستفتون كل عالم يوثق بعلمه مثال ذلك ان الشافعي واحمد رحمهما الله تعالى كانا شديدي الورع وكانت حضارة الاسلام قد اتسعت في زمانهما ولا سيما في بغداد ومصر مصدر علمهما فكان لهما تأثير عظيم في اجتهادهما في مسائل الطهارة والنجاسة، على سعة علمهما بالسنة وبما كان عليه الصحابة في عصر التشريع من الضيق وقلة الماء، حتى ان مقلديهما يكثر فيهم الحرج والوسواس في الطهارة - فلماذا نحجر على الامة ان تطلع على فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية - الذي قال بعض العلماء في استحضاره لنصوص الكتاب والسنة عند بحثه في كل مسألة كانت قد كتبت في كفه - وأن تأخذ بما أثبت به بعد بيان أدلة المذاهب الاربعة وغيرها من طهارة كل ماء ومائع لم يتغير بالنجاسة التي تصيبه وهو قول طائفة من كبار علماء الصحابة والتابعين وعلماء الامصار المجتهدين كابن مسعود وابن عباس والزهري وابي ثور والظاهرية وهو يميل الى مذهب الامام مالك في مسائل النجاسات ككثير من محققي المذاهب الاخرى ومنهم الغزالي من الشافعية ، ومالك لم يأخذ علمه في أمثال هذه المسائل العملية من الاستنباطات اللفظية فقط بل كان مرشده فيها عمل أهل المدينة من التابعين الذين تلقوا عن الصحابة (رض) وما من مجتهد الا وقد انفرد بمسائل ردها عليه غيره وما زال العلماء المنصفون يعذر بعضهم بعضها في المسائل الخلافية التي لم يجمع عليها أهل الصدر الاول وأولى الجيوش بأن مرجح كلامه من لا يقول الا بدليل ولا يكلف حداً من يعمل الا بما يظهر له صحة دليله كاصحاب الكتب المنسؤل عنها والله قد أرشدنا الى اتباع الاحسن وهو لا يعلم الا بالنظر في الأدلة

الجامعتان الاسلاميتان والشرقية

دعوة السيد الأفغاني اليهما — تأثير دعوته بعد جيل كامل في
الشعوب الاعجمية — جهود جزيرة العرب واضطراب العراق
وسورية — الانكاز مثيرو الفتنة وعليهم تقع تبعاتها

كانت فكرة الجامعة الاسلامية خيالا لاح في أذهان بعض رجال السياسة
في أوربة فطفقوا يبحثون فيه ، ويصورون لاقوامهم قوادمه وخوافيه ، حتى
صار الكثيرون منهم يحسبون أنه حق لا ريب فيه
أثار هذا الخيال في تلك الادمغة كثرة التفكير في تاريخ الشعوب الاسلامية
التي أسرعت أوربة في ثل عروشها ، واستعباد امرائها وملكها ، والتمتع بخيرات
بلادها ، فان المطلع على ذلك التاريخ الفياض بما كان لها من العزة والبأس في
الحرب ، والعلم والحكمة وإقامة العدل ، جدير بأن يحسب لا تتقاضها على المستذلين
لها الف حساب ، وان استحوذ عليها الجهل ، وحرقت نسيج وحدتها العداوات
الجنسية والمذهبية ، فصار بأسها بينها شديداً ، وقيادها للأجانب لينا سلسا ،
ولئن نبهت مباحث أولئك السياسيين بعض الاذكياء الى هذا الامر العظيم ،
فلم يكن في استطاعتها أن تحفز همه أحد من امرائهم ولا من كبراء الهمم والعقول
فيهم الى السعي له والدعوة اليه ؛ ولئن وجد أفراد منهم السلطان عبد الحميد
أحبوا أن يستفيدوا من حذر الاوربيين منه بايهاهم إياهم يعدون له
عدته ، ويتخذون له أهبته ، فقد كان من تأثير هذا الايهام مبادرة أولئك
الحازمين الى قطع طرقه ، والاسراع بالقضاء الى ما بقي لتلك الشعوب من
ذماء الاستقلال ورمقه

إي وربي ، ان الشعوب الاسلامية لم تنجب من بعد الحروب الصليبية
رجلا عظيما عالي الهمة ، يسعى الى جمع كلمة المسلمين وتوحيد قواهم المتفرقة ، لدفع
عوادي الذل والاستعباد عنهم ، لا بدعوة علمية اجتماعية ، ولا بتأليف قوة
عسكرية عصرية ، الا **السيد جمال الدين الحسيني الأفغاني** **حكيم الشرق** ،
وحافزه لتحرير نفسه من الرق ، فهو الذي اهتدى بذكائه ونظره البعيد وفكره
الوقاد ، الى تدارك الاسلام ، واتقاذ الشرق من الاستعباد ، بالسعي الى هذا
الاتحاد ، فطاف لأجله البلاد ، ونادى به على رؤوس الاشهاد ، فلم تكن دعوته
(المنار: ج ١) (٤) (المجلد الرابع والعشرين)

٢٦ دعوة السيد الافغاني الى الجامعتين الاسلاميه والشرقيه المنار: ج ١ ص ٢٤

في عصره صرخة في واد ، أو تفخة في رماد ، بل كان في خلل الرماد وميض نار ، طار شرارها كل مطار ، حتى عم بعده الاقطار

ألقى بذور دعوة الاولى بمصر وكانت عنايته فيها موجهة الى احياء الشعب المصري لتكون مصر مرآة الدعوة العامة ، وتكون دولة وادي النيل هي الدولة القوية التي تعز بها الامة ، وتكون النواة لتنفيذ مذهب السياسي في اعزاز الاسلام وتقليص ظل الدولة البريطانية عن رؤوس المسلمين .

وبعد ان نفي بتأثير الدسائس الانكليزية من مصر بث الدعوة الفحشية العروية الوثقى وانشأ جريدتها في باريس للدعوة العامة الى الوحدة تحت لواء الخلافة الاسلامية — وكان جل سعيه وعمله فيها وراء الغاية العامة الدفاع عن مسألة مصر عقب الاحتلال ؛ وقد عني عناية خاصة بجمع الكلمة والتأليف بين الشعبين المتجاورين اللذين نشأ هو وكثير من آباءه وأجداده في بلادها — أعني الشعب الافغاني والشعب الايراني وقد بينت جريدة العروة الوثقى — التي كانت تتجلى بها آراؤه بقلم مريده وصديقه شيخنا الاستاذ الامام (رحمهما الله تعالى) — الغاية وأشرعت السبيل ، وبينت الوسائل ، وارشدت الى إزالة الموانع ، وكان من رأيه أن تكون مكة المكرمة هي مركز الدعوة

كان لهذه الدعوة تأثير عظيم في العالم الاسلامي حتى كان العقلاء وأهل الرأي من قرائها في الاقطار المختلفة يعتقدون أنها لا تلبث أن يحدث انقلاباً عظيماً في الشرق — سمعنا هذا من شيخنا الشيخ حسين الجسر الشهير في طرابلس ورواه لنا محمد دلي بك المؤيد عن الوهيم الكبير السيد سلمان الكيلاني تقيت بغداد في ذلك العهد . بيد أن مصادرة الدولة البريطانية للجريدة ومنعها من مصر والهند وغيرها من أقطار المشرق كانت سبباً لترك الاستمرار على اصدارها فكان كل ما صدر منها ١٨ عدداً . ولكنه لم يترك الدعوة والسعي الى الغاية بل بثها في البلاد الفارسية ثم في القسطنطينية ،

ثم فضى السيد وما فضى منها وطرا . ولم يبق بعده أحد بالدعوة ، والسعي لها بمثل تلك القوة ، بل ضعفت الرابطة الاسلامية ، بما تغلب عليها من العصبية الجنسية ، ولا سيما في الشعوب الاعجمية ، بيد أن القوي في الضار قد يكون قويا في النافع ، فهذه الشعوب التي كانت في خاية التعادي الجنسي ، وكانت قبل ذلك فيها هو أشد منه من التعادي المذهبي — هذا سني وهذا شيعي — ثابت الآن الى رشدها ، وعلمت

كل منها أن الوحدة هي التي تحفظ جنسها ودينها ومذهبها ، فد كل منها يده الى الآخر يصافحه مصافحة الاخ لاختيه ، ويماعده معاهدة الولي لوليه ، تعاقد الترك والفرس والافغان ، وشدوا معاهد حلفهم ببخارى وخبوة وآذربيجان ، وبشوا دعاية الولاية والبراءة في سائر الشعوب الاسلامية في الشرق ، يؤيدها بالمال والرجال مسلمو الهند ، بل شدوا أواخي الجامعة الشرقية ، بوثندي الهند ونصاري الروسية البلشفية ، التي سخرها الله لجهاد تأليه الثروة والمظمة الاوربية ، والغرض العام لهذه الامم كلها تحرير الشرق من رق الجزيرة البريطانية ، التي طمحت باستمادها له الى منازعة الربوبية ، وما يتلو ذلك من تحرير سائر الشعوب المستضعفة .

كل هذا — والشعب العربي الذي ضمفت رابطة الجنسية بتعاليم الاسلام ، ووحدته الدينية باختلاف المذاهب وتنازع الحكام ، مصر على تفرقه غافل عما يراد به ، حتى في مهد الاسلام من جزيرته ، وقد رأى سوء عاقبة ذلك في سلب الاجانب لاستقلال اخصب بلاده ، ومحاولة انشاب برائته في باقيها ، والاحاطة بها من اطرافها ، وهو مع ذلك في غمة من أمره لا يدري كيف يخرج منها . وانما الذنب في ذلك على ملوكهم وأمرائهم ، الجاهلين بكنه تأثير دسائس أعدائهم ، وتسخيرهم لمنع الجامعات الاسلامية والشرقية والغربية جميعا من حيث لا يشعرون ، ولكن هذه السياسة الخبيثة ستنتهي بالخيبة . ولن ينقذ الانكاز من سوء عاقبة عداوتها الاسلام ، اصطناع بضعة رهط من زعماء العرب بعضهم لبعض عدو ، وودهم كله سلمي ، وهم عاجزون عن اقناع شعوبهم بصداقة الانكاز لهم ، مع احتلالها لاخصب بلادهم وإلقائها للفتن بينهم ، ولا هم قانعون بذلك فيقتنعوا غيرهم ، بل كل واحد منهم يكابر نفسه ويتأول لها ، ويخفي مودته ويتعذر عما ظهر منها . وانما تنقذ الانكاز سياسة أخرى صموا عنها وصموا وقد نصحوا وأنذروا ، لا أقول سياسة الصدق والوفاء للعرب بل التحول عن محاولة استعبادهم من حدود برقة الى العراق وعمان ، وقتل الاسلام في مشرق توره ومواطن حضارته ، مع القضاء على بلاد الترك لمنع حصونه وأمضى أسلحته . فان كان الترك قد أفلتوا من الشرك الذي وقع فيه وحيد الدين ، فسيفلت العرب مما وقع فيه أمثاله من المجدوعين ، (ولتعلمن نبأه بعد حين)

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» -

من مقالات العروة الوثقى في الحث على الجامعة الإسلامية نشر منذ ٤٠ سنة (*) إن للمسلمين شدة في دينهم، وقوة في إيمانهم، وثباتاً على يقينهم، يباهون بها من عداهم من الملل. وإن في عقيدتهم أوثق الأسباب لارتباط بعضهم ببعض ومما رسخ في نفوسهم أن في الإيمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفاية لسعادة الدارين، ومن حرم الإيمان فقد حرم السعادتين، ويشفقون على أحدكم أن يترق من دينه أشد مما يشفقون عليه من الموت والفناء، وهذه الحالة كما هي في علمائهم، متمكنة في عامتهم، حتى لو سمع أي شخص منهم في أي بقعة من بقاع الأرض عالماً كان أو جاهلاً أن واحداً ممن وسم بسمة الإسلام في أي قطر ومن أي جنس صاع عن دينه رأيت من يصل إليه هذا الخبر في تهرق وتأسف، يلجج بالحقوقة والاسترجاع، ويعد النازلة من أعظم المصائب على من نزلت به، بل وعلى جميع من يشاركه في دينه، ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بعد مئتين من السنين، لا يتمالك قلبه من الاضطراب ودمه من الغليان، ويستفزه الغضب ويدفعه لحكاية ما رأى كأنه يحدث عن غريب، أو يحكي عن عجيب

المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل في ولايتهم من البلدان وكلهم مأمور بذلك لا فرق بين قريبهم وبعيدهم، ولا بين المتحددين في الجنس ولا المختلفين فيه وهو فرض عين على كل واحد منهم، أن لم يقيم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام. ومن فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الأموال والأرواح، وارتكاب كل صعب، واقتحام كل خطب، ولا يباح لهم المسألة مع من يغالبهم في حال من الأحوال حتى ينالوا الولاية خاصة لهم من دون غيرهم، وبالغت الشريعة في طلب السيادة منهم على من يخالفهم إلى حد لو عجز المسلم عن التملص من سلطة غيره، لوجبت عليه الهجرة من دار حربه. وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الإسلامية، يعرفها أهل الحق ولا يغير منها تأويلات أهل الأهواء وأعوان الشهوات في كل زمان

(*) نشرت في العدد الخامس الذي صدر بباريس في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١

المنازة: ج ١ م ٢٤ سبب نخاذل المسلمين وعدم تأثير عقائدهم في أعمالهم ٢٩

المسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الايمان، وهو هاتف الحق الذي بقي له من الهمامات دينه. ومع كل هذا ترى اهل هذا الدين في هذه الايام بعضهم في غفلة عما يعلم البعض الآخر، ولا يألمون لما يألم له بعضهم، فاهل بلوجستان كانوا يرون حركات الانكيز في افغانستان على مواقع النظار ثم ولا يجيش لهم جأش ولم تكن لهم لعمرة على اخوانهم، والافغانيون كانوا يشهدون تداخل الانكيز في بلاد فارس ولا يضجرون ولا يتمللون. وان جنود الانكيز ضرب في الاراضي المصرية ذهابا وايابا تقتل وتقتك ولا ترى نجدة في نفوس اخوانهم المشرفين على مجاري دنائهم، بل السامعين لخبرها من حلاقيمهم، الذين احترت احوالهم من مشاهدتها بين ايديهم ونحت ارجلهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم

تمسك المسلمين بتلك العقائد واحساسهم بداعية الخلق في نفوسهم مع هذه الحالة التي هم عليها مما يقضي بالمعجب، ويدعو الى الحيرة ويسوق الى بيان السبب، نغذ بجملا منه: ان الافكار العقلية والعقائد الدينية، وسائر المعلومات والمدرجات والوجدانيات النفسية — وان كانت هي الباعثة على الاعمال وعن حكمها تصدر تقدير العزيز العليم — لكن الاعمال تثبتها وتقويها وتطبعها في الانفس وتطعم الانفس عليها، حتى يصير ما يعبر عنه بالملكة والخلق وتترتب عليه الآثار التي تلائمها

نعم ان الانسان انسان بفكره وعقائده، الا ان ما ينعكس الى مرآة عقله من مشاهد نظره ومدرجات حواسه يؤثر فيه أشد التأثير فكل شهود يحدث فكرا، وكل فكر يكون له أثر في داعية، وعن كل داعية ينشأ عمل ثم يمود من العمل الى الفكر ولا ينقطع الفعل والاتصال بين الاعمال والافكار، مادامت الارواح في الاجساد، وكل قبيل هو لآخر صمد

ان للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل، ولا أثر لها في الاعتصاب والالتحام لولا ما تبعث عليه الضرورات، وتلجىء اليه الحاجات، من تعاون الانسباء والمصبة على نيل المنافع، وتضافرهم على دفع المضار، وبعد مرور الايام على المضافة والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذاً يصرفه في آثارها بقية الاجل، ويكون انبساط النفس لمعان القريب وغضاضة القلب لما يصيبه من خيم

٣٠ انحلال الاسلام لتقاطع الرؤساء واضاعة الخلافة الصحيحة المنار : ج ١ م ٢٤

أونسكة جارياً مجزى الوجدانيات الطبيعية، كالأحاساس بالجوع والدمش،
والري والشبع، بل اشتبه أمره على بعض الناظرين فعده طبيعياً : فلما علمت
صلة النسب بعد ثبوتها والعلم بها، ولم تدع ضرورات الحياة في وقت من الاوقات
الى ما يمكن تلك الصلة ويؤكد لها أو وحد صاحب النسب من بظاهره في غير
نسبه، أو أنجأته ضرورة الى ذلك، ذهب أثر تلك الرابطة النسبية ولم يبق منها
الا صورة في العقل تجري مجرى المحفوظات من الروايات والمنقولات . وعلى
مثال ما ذكرنا في رابطة النسب وهي أقوى رابطة بين البشر يكون الامر في
سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضه
ببعض . أن لم يصحب العقيد التكري ملجيه الضرورة أو قوة الداعية الى عمل
تنظيم عليه الجارحة وتعمرن عليه ويعود أثر تكريره على التفكير حتى يكون
هيئة للروح وشكلا من أشكالها فلن يكون منشأ لآثاره، وإنما يمد في الصور
الصور المتلية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا

بعد تدبر هذه الاصول البينة، والنظر فيها بعين الحكمة، يظهر لك السبب
في سكون المسلمين الى ما هم فيه مع شدتهم و دينهم . والعلة في تباؤهم من
نصرة اخوانهم، وهم أثبت الناس في عقائدهم، فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين
في الاغلب الا العقيدة الدينية مجردة مما يتبعها من الاعمال، وانقطع التعارف
بينهم، وهجر بعضهم بعضا هجراً غير جميل . فالعلماء وهم القائمون على حفظ
العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا تراسل، فالعالم التركي في غيبة عن
حال العالم الحجازي فضلاً عن يمد عنهم، والعالم الهندي في غفلة عن شئون العالم
الافغاني وهكذا، بل العلماء من أهل قطر واحدا لا ارتباط بينهم، ولا صلة تجمعهم،
الا ما يكون بين أفراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم
وآخر. أما في هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم، بل لا انساب بينهم، وكل ينظر الى
نفسه ولا يتجاوزها لأنه كونه كونه رأسه

كما كانت هذه الجموة وذلك الهجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك
والسلطين من المسلمين ؟ اليس بمجيب أن لا تكون سفارة لثمانين في مراکش
ولا لمراكش عند العثمانيين . اليس بغريب أن لا تكون للدولة العثمانية صلات
صحيحة مع الافغانين وغيرهم من طوائف المسلمين في المشرق ؟

هذا التدار والتقاطع وارسال الحبال على الفوارب عم المسلمين حتى صبح أن يقال
لا علاقة بين قوم منهم وقوم، ولا بلد وبلد، الا طفيف من الاحساس بان بعض
الشعوب على دينهم، ويعتقدون مثل اعتقادهم، وربما يتعرفون مواقع أقطارهم
بالصدفة اذا التقى بعض ببعض في موسم الحجيج العام. وهذا النوع من الاحساس
هو الداعي الى الاسف وانتقاض الصدر اذا شعر مسلم بضياح حق مسلم على يد
أجنبي عن ملته. لكنه لضعفه لا يبعث على النهوض لمعارضته

كانت الملة كجسم عظيم قوي البنية صحيح المزاج فتزل به من العوارض
ما أضعف الالتئام بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال، وكاد كل جزء يكون
على حدة وتضعحل هيئة الجسم

بدأ هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند اتصال الرتبة
العالمية عن رتبة الخلافة وقتما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن
يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان
الراشدون رضي الله عنهم. كثرت بذلك المذاهب، وتشعب الخلاف من بداية
القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل في دين من الاديان. ثم انشلت
وحدة الخلافة فانقسمت الى أقسام: خلافة عباسية في بغداد وفاطمية في مصر
والمغرب وأموية في أطراف الاندلس. تفرقت بهذا كلمة الامة وانشقت عصاها،
وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك فسقطت هيبتها من النفوس، وخرج
طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يرعون
جانب الخلافة

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكيزخان واولاده،
وتيمورلنك وأحفاده. وإيقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا، حتى أذهلهم عن
أنفسهم. فتفرق الشمل بالكلية وانقضت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء
جميعاً. وانفرد كل بشأنه. وانصرف الى ما يليه. فتبدد الجمع الى آحاد، وافترق
الناس فرقا كل فرقة تتبع داعياً إما الى ملك أو مذهب. فضعفت آثار العقائد
التي كانت تدعو الى الوحدة. وتبعث على اشتباك الوشيعة، وصار ما في العقول
منها صوراً ذهنية تحويها مخازن الخيال، وتلحظها الذاكرة عند عرض ما في
خزائن النفس من المعلومات. ولم يبق من آثارها إلا أسف وحسرة يأخذاني

بالقلوب عند ما تنزل المصائب ببعض المسلمين بعد أن يتفقد القضاء، ويبلغ الخبر إلى المسامع على ملول من الزمان. وما هو إلا نوع من الحزن على الفاتت كما يكون على السموات من الأقارب لا يدعو إلى حركة لتدارك النارلة، ولا دقمة الفائلة وكان من الواجب على العلماء قياماً بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع أن ينهضوا لأحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك يتمكن الاتفاق الذي يدعو إليه الدين، ويحملوا مفاقد هذا الاتفاق في مساجد ومدارسهم، حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهيئاً لروح حياة الوحدة، ويصير كل واحد منها حلقة في سلسلة واحدة إذا اهتز أحد أطرافها اضطرب لحزنه الطرف الآخر، ويرتبط العلماء والعلماء والأئمة والرواظ في جميع أنحاء الأرض بعضهم ببعض، ويجمعون لهم مراکز في أقطار مختلفة يرجعون إليها في شؤون وحدتهم، ويأخذون بأيدي العامة إلى حيث يرشدون التنزيل وصحيح الآثار، ويجمعون أطراف الشائخ إلى معتد واحد يكون مركزه في الاقطار المقدسة وأشرفها معهد بيت الله الحرام، حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع المدوان والقيام بحاجات الأمة إذا عرض حادث الخلل، وتطرق الأجانب للتدخل فيها بما يحيط من شأنها، ويكون كذلك أدهى للنشر المعلوم وتنوير الأنفهام وصيانة الدين من البدع، فإن إحكام الربط إنما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف، فلما أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين العبيقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوهاير العامة وليس يخاف على المستبصرين ما يتهم هذا من قرة الأمة وعلو كلمتها، واقتدارها على دفع ما ينشأها من النوازل .

الا أنا نأسف غاية الأسف اذ لم تتوجه خوافر العلماء والمثقلين من المسلمين إلى هذه الوسيلة وهي أقرب الوسائل، وإن التفتت إليها في هذه الأيام طائفة من أرباب الغيرة، ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق أن يؤيدوا هذه الفئة، ولا يتوانوا فيما يوحدهم، ويجمع شتيتهم، فقد دارستهم التجارب ببيان لا مزيد عليه. وما هو بالمسير عليهم أن يبتوا الدعاة إلى من يبعد عنهم، ويصالحوا بالأكف من هو على مقربة منهم، ويتعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بفائدة، أو ما يخشى أن يحسبوا بضرر. ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا فريضة وطلبوا سمادة، والرمق باقي والآمال مقلية وإلى الله المعير .

الاحكام الشرعية

(المتعلقة بالخلافة الإسلامية) (٥)

٢

تمة الكلام في الشورى في الاسلام

(ومنها) ما رواه الطبراني في الاوسط وابوسعيد في القضاء عن علي قال قلت يا رسول الله ان عرض لي امر لم يزل قضاء في أمره ولا سنة كيف تأمرني؟ قال «نجمونه شورى بين أهل الفقه والعابدين من المؤمنين ولا تقض فيه برأيك خاصة»

(ومنها) ما في صحيح البخاري عن ابن عباس : وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبابا . وذكر واقعة في رجوع عمر الى قول من يذكره بالقرآن ، وقال : وكان وقفا عند كتاب الله عز وجل - وما في الصحيحين وغيرهما من استشارة عمر في مسألة الوباء لما خرج الى الشام وأخبروه اذ كان في (سرخ) ان الوباء وقع في الشام ، فاستشار المهاجرين الاولين ثم الانصار فاختلغا . ثم طلب من كان هنالك من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فاتفقوا على الرجوع وعدم الدخول على الوباء ، فنادى عمر بالناس : اي مصيبي علي ظهر - (أي مسافر ، والظهر الراحلة) فأصبحوا عليه ، فقال أبو عبيدة : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟ نعم نعم من قدر الله الى قدر الله ، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديا له عدوتان احداها خصبة والاخرى جديبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجديبة رعيتها بقدر الله ؟ ثم جاء عبد الرحمن بن عوف فأخبره بالحديث المرفوع الموافق لرأي شيوخ قريش

٩ - التولية بالاستخلاف والعهد

اتفق الفقهاء على صحة استخلاف الامام الحق والمهد منه بالخلافة الى من يصح العهد اليه على الشروط المعتبرة فيه ^(١) أي في الامام الحق ، فالعهد

(*) تابع لما في الجزء العاشر م ٢٣ (١) آخر ص ٩ من الاحكام السلطانية

(المنار : ج ١) (٥) (المجلد الرابع والعشرين)

والاستخلاف لا يصح الا من امام مستجمع لجميع شروط الامامة لمن هو مثله في ذلك . هذا شرط العهد الى الفرد ، واستدلوا على ذلك باستخلاف أبي بكر لعمر ، وأما العهد الى الجمع وجعله شوري في عدد محصور من أهل الحل والعقد ، فاشتروا فيه أن تكون الامامة متعينة لاحد منهم ، بحيث لا مجال لمنازعة أحد لمن يتفقون عليه منهم ، وهو الموافق لجعل عمر إياها شوري في الستة (رض) قال الماوردي : والعقد الاجماع عليها أصلاً في انعقاد الامامة بالعهد وفي انعقاد البيعة بعدد يتعين فيه الامامة لاحد منهم باختيار أهل الحل والعقد اهـ (آخر ص ١١)

وقد تمسك بهذا أئمة الجور وخلفاء التغلب والمطامير ولم يراعوا فيه مراعاة من احتجوا بعمله من استشارة أهل الحل والعقد والعلم برضاهم أولاً واقناع من كان توقف فيه ، والروايات في هذا معروفة في كتب الحديث ومن أجمعها (كنز العمال) وكتب التاريخ والمناقب — وأي عالم أو هائل يقيس عهد أبي بكر الى عمر في تحري الحق والعدل والمصلحة — بعد الاستشارة فيه ورضاء أهل الحل والعقد به — على عهد معاوية واستخلافه لزيد الفاسق الفاجر بقوة الارهاب من جهة ورشوة الزعماء من أخرى ؟ ثم ماتلاه واتبعت فيه سنته السيئة ^(١) من احتكار أهل الجور والطمع للسلطان ، وجعله إراثاً لأولادهم أو لاوليائهم كما يورث المال والمتاع ؟ ألا إن هذه هي أعمال عصبية القوة القاهرة المخالفة لهدي القرآن ، وسنة الاسلام ذكر الفقيه ابن حجر في التحفة اختصاص الاستخلاف بقسميه (الفردي والجمعي) بالامام الحق واعتماده ثم قال وقد يشكل عليه ما في التواريخ والطبقات من تنفيذ العلماء وغيرهم لعهود بني العباس مع عدم استجاعتهم للشروط بل نقذ السلف عهود بني أمية مع انهم كذلك — الا أن يقال هذه وقائع محتملة انهم انما نقذوا ذلك للشوكة وخشية الفتنة لا للعهد بل هو الظاهر اهـ

وقال الماوردي في العهد المشار اليه في أول هذه المسألة : ويعتبر شروط الامامة في المولى من وقت العهد اليه . وإن كان صغيراً أو فاسقاً وقت العهد وبالفأ عدلاً عند موت المولى لم تصح خلافته حتى يستأنف أهل الاختيار

(١) سنذكر بعض الروايات عن المحدثين في استخلاف يزيد بن معاوية

بيعته اه وتقل الحافظ ابن حنبل في شرحه لحديث عبادة في المبايعة — وقد تقدم — انه لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء ، وان الخلاف في الخروج على الفاسق فيما اذا كان عادلا رماسته صحيحة ثم أحدث جورا اه

وقد علم مما اسلفنا ان العبد والاستخلاف بشروطه متوقف على اقرار اهل الحل والعقد له ، واستبدالهم يقتضيه وان لم يصرحوا واما المتغلبون بقوة العصبية فمهدم واستخلافهم كامانهم ، وليس حقا شرعيا لازما لذاته ، بل يجب نبذه كما يجب ازالتها ، واستبدال إمامة شرعية بها ، عند الامكان والامان من فتنة اشد ضررا على الامة منها ؛ واذا زالت بتغلب آخر فلا يجب على المسلمين القتال لاعادتها

١٠ — طالب الولاية لا يولى

من هدي الاسلام ان طالب الولاية والامارة لاجل الجاه والثروة لا يولى فقد قال النبي (ص) لرجلين طلبا أن يؤمرهما « لن نستعمل على عملنا من أراد » وفي رواية « اننا لا نولي هذا من سأل ولا من حرص عليه » رواه الشيخان البخاري بهذا اللفظ ومسلم بلفظ « انا والله لا نولي على هذا العمل أحدا سأل ولا أحدا حرص عليه » وفي رواية للامام احمد « إن أخونكم عندنا من يطلبه » فلم يستمن بهما في شيء حتى مات . وسبب هذا المنع القطعي المؤكد بالقسم ان طلاب الولايات ولا سيما أعلاها وهي الامامة والحريصون عليها هم محبو السلطة للعظمة والتمتع والتحكم في الناس وقد ظهر انهم هم الذين أفسدوا أمر هذه الامة وأولهم من الجماعات بنو أمية وان كان فيهم أفراد ، بل منهم رجل الرجال وواحد الآحاد — عمر بن عبد العزيز خامس الراشدين — ولكنه لم يكن حريصا على الامامة ولو أمكنه لاعادها الى العلويين ،

وذكر الحافظ في شرح الحديث المذكور أننا كلمة حق في معناه عن المهلب قال : الحرص على الولاية هو السبب في اقتتال الناس عليها حتى سفكت الدماء واستبيحت الاموال والفروج وعظم الفساد في الارض بذلك . وهناك أحاديث أخرى . ولو حافظ المسلمون على اصل الشرع الذي قرر في عهد الراشدين في أمر الخلافة لما وقعت تلك الفتن والمفاسد ولعم الاسلام الارض كلها . وقد قال عالم ألماني لشريف حجازي في الآستانة : انه كان ينبغي لنا أن نضع لمعاوية تمثالا

من الذهب في عواصمنا ، لانه لو لم يحول سلطة الخلافة عما وضعها عليه الشرع
وجرى عليه الراشدون لملك العرب بلادنا كلها وصيروها اسلامية عربية

١١ - إمامة الضرورة والتغلب بالقوة

اتفق محققو العلماء على أنه لا يجوز أن يبايع بالخلافة إلا من كان مستجيباً لما
ذكره من شرائطها وخاصة العدالة والكفاءة والقرشية ، فإذا تعذر وجود
بعض الشروط تدخل المسألة في حكم الضرورات والضرورات تقدر بقدرها ،
فيكون الواجب حينئذ مبايعة من كان مستجيباً لأكثر الشرائط من أهلها ،
مع الاجتهاد والسعي لاستجماعها كلها ، قال الكمال بن الهمام في المسيرة : والمتغلب
تصح منه هذه الأمور للضرورة كما لو لم يوجد قرشي عدل أو وجد ولم يقدر
على توليته لغلبة الجورة اهـ^(١) قال هذا رداً على جماعة الحنفية في استدلالهم
على عدم اشتراط العدالة في الأئمة بقبول بعض الصحابة للأولوية والقضاء من
ظلمة بني أمية كروان وصلاتهم معهم ، فإرادته بالأمور - القضاء والامارة والحكم
كما قاله شارح المسيرة

وقال السعد في شرح المقاصد : وههنا بحث وهو انه اذا لم يوجد امام
على شرائطه وبايع طائفة من أهل الحل والعقد قرشياً فيه بعض الشرائط من
غير تقاذ لأحكامه ، وطاعة من العامة لاوامره ، وشوكة بها يتصرف في مصالح
العباد ، ويقتدر على النصب والعزل لمن أراد ، هل يكون ذلك إتياناً بالواجب ؟
وهل يجب على ذوي الشوكة العظيمة من ملوك الأطراف ، المتصغين بحسن
السياسة والعدل والانصاف ، أن يفوضوا إليه الأمر بالكلية ، ويكونوا لديه
كسائر الرعية ؟ وقد يتمسك بمثل قوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
الأمر منكم) وقوله (ص) « من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية »
فإن وجوب الطاعة والمعرفة يقتضي الحصول اهـ^(٢)

وانما فرض أن المبايعين في هذه الصورة بعض أهل الحل والعقد لانه اذا
بايعه جميعهم ومنهم الملوك الذين ذكرهم تمت شؤنته وتقد حكمة قطعاً ، وهذه
الصورة تصدق على بعض خلفاء بني أمية وبني العباس الذين كانت تنقصهم العدالة

(١) ص ٢٧٨ و ٢٧٩ (٢) ص ٢٧٥ ج ٢

أو العلم الاجتهادي، وكان الجمهور يوجبون طاعتهم، ويصححون للضرورة إمامتهم إذا لم تتيسر بيعة أمثل منهم وإن كان موجوداً، والمعتمد عند الحنفية أن إمامتهم صحيحة مطلقاً لأن العلم والعدالة عندهم ليست من شروط الانعقاد كما تقدم في محله. قال الكمال بن الهمام محقق الحنفية في المسيرة تبعاً للغزالي: (الأصل العاشر) لو نذر وجود العلم والعدالة فبعض تصدى للإمامة — بأن تغلب عليها جاهل بالاحكام أو فاسق — وكان في صرفه إثارة فتنة لاتطاق حكمنا بالانعقاد إمامته كي لا نكون كن يبنى قصراً ويهدم مصراً، وإذا قضينا بنفوذ قضايأ أهل البنى في بلادهم التي غلبوا عليها لميس الحاجة فكيف لاتقضي بصحة الإمامة عند ازوم الضرر العام بتقدير عدمها. وإذا تغلب آخر على ذلك المتغلب وقعد مكانه انعزل الاول وصار الثاني اماماً اهـ

وقال السعدى في شرح المقاصد بعد ذكر شروط الإمامة وآخرها النسب القرشى مانصه: وأما إذا لم يوجد في قرىش من يصلح لذلك أو لم يقتدر على نصبه لاستيلاء أهل الباطل وشوكة الظلمة وأرباب الضلالة فلا كلام في جواز تقلد القضاء وتنفيذ الاحكام واقامة الحدود وجميع ما يتعلق بالإمام من كل ذي شوكة — كما اذا كان الامام القرشى فاسقاً أو جائراً أو جاهلاً فضلاً عن أن يكون مجتهداً. وبالجملة مبنى ما ذكر في باب الإمامة على الاختيار والافتدار. وأما عند المعجز والاضطرار، واستيلاء الظلمة والكفار والفساد، وتساط الجبارة الاشرار، فقد صارت الرئاسة الدنيوية تغلبية، وبنيت عليها الاحكام الدينية المنوطة بالامام ضرورة، ولم يعبأ بعدم العلم والعدالة وسائر الشرائط، والضرورات تبيح المحظورات، وإلى الله المشتكى في النائبات، وهو المرتجى لكشف الملمات، اهـ بحروقه^(١)

والفرق بين هذه الخلافة وما قبلها بعد كون كل منهما جائزاً للضرورة أن الاولى صدرت من أهل الحل والعقد باختيارهم لمن هو امثل الفاقدين لبعض الشرائط، ولذلك فرضه المحقق التفتازانى قرشياً اذ القرشيون كثيرون دائماً. وأما الثانية فصاحبها هو المعتدى على الخلافة بقوة العصبة لا باختيار أهل الحل والعقد له، لعدم وجود من هو أجمع للشرائط منه، فذاك يطاع اختياراً، وهذا يطاع اضطراراً،

ومعنى هذا ان سلطة التغلب كاكل الميتة ولحم الخنزير عند الضرورة تنفذ بالقهر وتكون أدنى من الفوضى . ومقتضاه انه يجب السعي دائماً لازالتها عند الامكان ، ولا يجوز ان توطن الانفس على دوامها ولا أن تجعل كالكرة بين المتغلبين يتقاذفونها ويتلقونها ، كما فعلت الامم التي كانت مظلومة وراضية بالظلم لجهلها بقوتها الكامنة فيها ، وكون قوة ملوكها وامرائها منها ، ألم تر الى من استناروا بالعلم الاجتماعي منها كيف هبت لاسقاط حكوماتها الجمائرة وملوكها المستبدين ، وكان آخر من فعل ذلك الشعب التركي ، ولكنه أسقط نوعاً من التغلب بنوع آخر عسى أن يكون خيراً منه ، وإنما فعله تقليداً لتلك الامم الايية ، اذ كان جماهير علماء الترك والهند ومصر وغيرها من الاقطار ، يوجبون عليهم طاعة سلاطين بني عثمان ، ماداموا لا يظهرون الكفر والردة عن الاسلام ، مهما يكن في طاعتهم من الظلم والفساد ، وخراب البلاد ، وارهاق العباد ، عملاً بالمعتمد عند الفقهاء بغير نظر ولا اجتهاد ، وهذا هم أسباب اعتقاد الكثير منهم ، أن سلط الخلافة الشرعية ، تحول دون حفظ الملك والحياة الاستقلالية ، وسنفصل الكلام في هذا بعد وفيما يجب لجعل الحكم شرعياً اسلامياً

١٢ — ما يخرج به الخليفة من الامامة

قال الماوردي بعد بيان ما يجب على الامام — وقد تقدم — : واذا قام الامام بما ذكرناه من حقوق الامة فقد ادى حق الله تعالى فيما لهم وعليهم ووجب له عليهم حقان الطاعة والنصرة — مالم يتغير حاله » والذي يتغير به حاله فيخرج به عن الامامة شيئان أحدهما جرح في عدالته ، والثاني نقص في بدنه ، فأما الجرح في عدالته فهو على ضربين (أحدهما) ما تابع فيه الشهوة ، (والثاني) ما تعلق فيه بشبهة ، فأما الاول منهما فتعلق بأفعال الجوارح وهو ارتكابه للمحظورات ، واقدامه على المنكرات ، تحكيمياً للشهوة وانقياداً للهوى ، فهذا فسق يمنع من انعقاد الامامة ومن استدامتها ، فاذا طرأ على من انعقدت امامته خرج منها ، فلو عاد الى العدالة ، لم يعد الى الامامة ، الا بمقد جديد

« وأما الثاني منهما فتعلق بالاعتقاد والتأول بشبهة تعترض فيتأول لها خلاف الحق — فقد اختلف العلماء فيها فذهب فريق منهم الى أنها تمنع من انعقاد الامامة ومن استدامتها ، ويخرج بحدوثه منها . . . الخ (ص ١٦)

(المنار: وبعد تفصيل الخلاف في هذه المسألة وهي الابتداء بالتأول ذكر القسم الثاني مما يمنع من الخلافة وهو نقص البدن فجعله ثلاثة اقسام نقص الحواس ونقص الاعضاء ونقص التصرف وقسمها أيضا الى اقسام واطال في بيان أحكامها والذي تقتضي الحال نقله منه نقص التصرف وقد عقد له فصلا خاصا قال فيه ما نصه (« وأما نقص التصرف فضر بان حجب وقهر ، فاما الحجب فهو ان يستولي عليه من اهوانه من يستبد بتنفيذ الامور من غير تظاهر بمصية ، ولا بجاهرة بمشاقة ، فلا يمنح ذلك من امامته ، ولا يقدر في صحة ولايته ، ولكن ينظر في أفعال من استولى على اموره ، فان كانت جارية على أحكام الدين ومقتضى العدل جاز اقراره عليها ، تنفيذها لها ، وامضاء لاحكامها ، لئلا يقف من الامور الدينية ما يعود بفساد على الامة . وان كانت أفعاله خارجة عن حكم الدين ومقتضى العدل لم يجز اقراره عليها ، ولزمه أن يستنصر من يقبض يده ، ويزيل ثقله ، « وأما القهر فهو أن يصير مأسورا في يد عدو قاهر لا يقدر على الخلاص منه فيمنع ذلك عن عقد الامامة له لعجزه عن النظر في أمور المسلمين ، وسواء كان العدو مشركا او مسلما باغيا ، وللامة فسحة في اختيار من عداه من ذوي القدرة . وان أسر بعد ان عقدت له الامامة فعلى كافة الامة استنقاذه لما اوجبه الامامة من نصرته ، وهو على امامته ما كان مرجوا لخلاص مأمول الفسك ، إما بقتال او فداء ،

« فان وقع الایاس منه لم يخل حال من اسره من ان يكونوا مشركين او بغاة المسلمين ، فان كان في اسر المشركين خرج من الامامة للیاس من خلاصه ، واستأنف أهل الاختيار بيعة غيره على الامامة

(وهنا ذكر مسألة عهده بالامامة الى غيره وما يصح منها وما لا يصح ثم قال) « وان كان مأسورا مع بغاة المسلمين فان كان مرجوا لخلاص فهو على امامته ويكون العهد في ولي العهد ثابتا وان لم يصير اماما ، وان لم يرج خلاصه لم يخل حال البغاة من احد امرين — إما ان يكونوا انصبوا لا تقسم اماما او لم

ينصبوا ، فان كانوا فروغى لاهام لم قالام المأسور على امامته لان بيعته لم لازمة ، وطاعته عليهم واجبة ، فصار معهم كغيره مع اهل العدل ، اذا صار تحت الحكم ، وعلى اهل الاختيار ان يستنبوا عنه تأظراً بختفه ان لم يقدر على الاستنابة . فان قدر عليها كان الحق باختيار من يستنبه منهم . فان خلع المأسور نفسه او مات لم يصير المستناب اماماً لانها نيابة عن موجود فزالت بقتله .

• وان كان اهل البغي قد نصبوا لانفسهم اماماً دخلاً في بيعته ، وانتقادوا لطاعته ، قالام المأسور في ايديهم خارج من الامامة بالاياس من خلاصه ، لانهم قد انحازوا بدار تفرد حكمها عن الجماعة ، وخرجوا بها عن الطاعة ، فلم يبق لاهل العدل بهم نصرة ، ولا للمأسور معهم قدرة ، وعلى اهل الاختيار في دار العدل ان يعتقدوا الامامة لمن ارتضوه لها ، فان خلع المأسور لم يعد الى الامامة بخروجها منها ، اه (ص ١٩ و ٢٠)

ومن المعلوم ان كل هذا التفصيل في الامام الحق المستعجم للشروط القائم بالواجبات واما امامة التغلب كما تجري على قاعدة الاضطراب المتقدمة (رقم ١١) وما ذكره من انزال الامام بالنسبة قد اختلف فيه والمشهور الذي حقه الجمهور انه لا يجوز تولية الفاسق ولكن طروء الفسق بعد التولية لا تبطل به الامامة مطلقاً وبعضهم فصل : قال السعدني شرح المقاصد : واذا ثبت الامام بالقهر والغلبة ثم جاء آخر فقهره انزل وصار القاهر اماماً ولا يجوز خلع الامام بلا سبب ، ولو خلعوه لم ينقذ ، وان عزل نفسه فان كان يجوز من القيام بالامر المنزل والا فلا ، ولا ينزل الامام بالنسبة والاعضاء وينزل بالجنون وبالعشى والعمى والحرس وبامراض الذي ينسبه العلوم . (ص ٢٧٢ ج ٢)

وقد استدل من قال يخلع بالكفر دون المعصية بحديث عبادة بن الصامت في المباينة عند الشيخين قال : دعانا النبي (ص) فبايعنا فقل فيما اخذ علينا ان بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعمرنا ولايسرنا واثرة علينا وان لا تنازع الامر اهـ «الا ان تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان» وقد ذكر الحافظ في شرح قوله «الا ان تروا كفراً بواحاً» روايات أخرى بلفظ المعصية والانتم بدل الكفر ثم قال . وفي رواية اسماعيل بن عبيد الله عند احمد

والطبراني والحاكم من روايته عن أبي عباد « سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ماتنكرون ، وينكرون عليكم ماتعرفون . فإطاعة لمن عصى الله » وعند أبي بكر بن أبي شيبة من طريق أزهر بن عبد الله عن عباد رفعه « سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما لا تعرفون ويفعلون ما تنكرون فليس لأولئك عليكم طاعة »

وقال في شرح قوله « عندكم من الله فيه برهان » أي من نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل ، ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم مادام فعلهم يحتمل التأويل . قال النووي : المراد بالكفر هنا المعصية ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتم ذلك فانكروا عليهم وقولوا بالحق حينما كنتم اه وقال غيره المراد بالأنم هنا المعصية والكفر فلا يعترض على السلطان إلا إذا وقع في الكفر الظاهر . والذي يظهر حمل رواية الكفر على ما إذا كانت المنازعة في الولاية فلا ينافيه بما يقدح في الولاية إلا إذا ارتكب الكفر ، وحمل رواية المعصية على ما إذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية فإذا لم يقدح في الولاية نازعة في المعصية بأن ينكر عليه برفق ، ويتوصل إلى تثبيت الحق له بغير عنف ، ومحل ذلك إذا كان قادراً والله أعلم . ونقل ابن التين عن الداودي قال : الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إذا قدر على خلعهم بغير فتنة ولا ظلم وجب وإلا فالواجب الصبر . وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداءً ، فإن أحدث جوراً بعد أن كان عدلاً فاختلّفوا في جواز الخروج عليه والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه . اهـ

وقد تقدم التحقيق في المسألة ونصوص المحققين فيها وملخصه أن أهل الحل والعقد يجب عليهم مقاومة الظلم والجور والانكار على أهله بالفعل ، وإزالة سلطانهم الجائر ولو بالقتال إذا ثبت عندهم أن المصلحة في ذلك هي الراجحة والمفسدة هي المرجوحة ، ومنه إزالة شكل السلطة الشخصية الاستبدادية ، كإزالة الترك لسلطة آل عثمان منهم ، فقد كانوا على ادعائهم الخلافة الإسلامية جائرین جارین في أكثر أحكامهم على ما يسي في عرف أهل هذا العصر بالملكية المطلقة ، فلذلك بدأ الترك بتقييدهم بالقانون الأساسي تقليداً لام أوربية ، وسبب

ذلك جهل الذين قاموا بهذا الامر بأحكام الشرع الاسلامي (كمدحت باشا واخوانه) ثم قام الكماليون أخيراً باستقاط هذه الدولة ورفض السلطة الشخصية بمجملاتها وتفصيلها

١٣ دار العدل ودار الجور والتغلب

دار الاسلام وما يقابلها من دار الحرب معروفان ولهما أحكام كثيرة . وقد تكرر فيما نقلناه عن العلماء من أحكام الخلافة ذكر دار العدل وهي دار الاسلام التي نصب فيها الامام الحق ، الذي يقيم ميزان العدل ، تسمى بذلك اذا قوبلت بدار البغي والجور ، وهي ما كان الحكم فيها بتغلب قوة أهل العصبية من المسلمين وعدم مراعاة احكام الامامة الشرعية وشروطها . وأهل دار العدل هم الذين يسمون الجماعة ، وهم الذين يجب على جميع المسلمين اتباعهم واتباع امامهم اختياراً ، وعدم اتباع من يخالفهم الا اضطراراً ، وهذان الداران قد توجدان معاً في وقت واحد ، وقد توجد احدهما دون الاخرى . ولكل منهما أحكام أما دار العدل فطاعة الامام فيها في المعروف واجبة شرعاً ظاهراً وباطناً ، ولا تجوز مخالفته الا اذا أمر بمعصية لله تعالى ثابتة بنص صريح من الكتاب والسنة دون الاجتهاد والتقليد ، ويجب قتال من خرج عايه من المسلمين أو بغي في بلاده الفساد بالقوة ، كغيره من القتال الواجب شرعاً ، وتجب الهجرة من دار الحرب ومن دار البغي الى هذه الدار على من استضعف فيهما فظلم أو منع من اقامة دينه ، وعلى من تحتاج اليهم دار العدل لحفظها ومنعها من الكفار أو البغاة ، ولغير ذلك من المصالح الواجبة لاعزاز الملة ، اذا توقف هذا الواجب على هذه الهجرة . وأما دار البغي والجور فالطاعة فيها ليست قرينة واجبة شرعاً لذاتها ، بل هي ضرورة تقدر بقدرها وتقدم تفصيل القول فيها ، ومن الظلم الموجب للهجرة منها على من قدر الى دار العدل ان وجدت حمل المتغلبين من يخضع لهم على القتال لتأييد عصبيتهم والاستيلاء على بعض بلاد المسلمين ، فمن قدر على التفصي من ذلك وجب عليه فأمرها دائماً دائر على قاعدة ارتكاب أخف الضررين ، والظاهر ان يفرق بين قتالهم لأهل العدل فلا تباح الطاعة فيه بحال ، وبين قتال غيرهم كأنما هم من المتغلبين وفيه تفصيل .

لا محل لبيانها هنا . وأما الجهاد الشرعي فيجب مع أئمة الجور ، ومنه دفاعهم عن بلادهم إذا اعتدى عليها الكفار

قال رسول الله (ص) « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتله جاهلية ، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ، ولا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفي لذي عهد عهده ، فليس مني ولست منه — وفي رواية — يغضب للعصبية ويقاتل للعصبية فليس من أمتي » رواه مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة . والعمية بضم العين وكسر ها (لغتان) وتشديد الميم وفسروها بالكبر والضلال والمراد بها عظمة القوة والبطش ، والتغلب الذي لا يراد به الحق ، ولذلك بينه بأنه يغضب للعصبية وهي بالتحريك قوم الرجل الذين يعصبونه ويعتصب بهم أي يقوى ويشدد ، وفي رواية العصبية وهي نسبة إلى العصبية وأنت تعلم أن المتغلبين ما قاموا ولا يقومون إلا بالعصبية ، المراد بها عظمة الملك العمية ، لا يقصدون بقتالهم إعلاء كلمة الله ، ولا إقامة ميزان الحق والعدل بين جميع الناس ، وما أفسد على هذه الأمة أمرها ، وأضاع عليها ملكها ، إلا جعل طاعة هؤلاء الجبارين الباغين واجبة شرعا على الإطلاق ، وجعل التغلب أمرا شرعيا كبايعة أهل الاختيار من أولي الأمر ، وأهل الحل والعقد ، للإمام الحق ، — وجعل عهد كل متغلب باغ إلى ولده أو غيره من عصبته ، لاجل حصر السلطان والجبروت في أسرته ، حقا شرعيا واصلًا مرعيا لذاته ، وعدم التفرقة بين استخلاف معاوية لولده يزيد الفاسق الفاجر بالرغم من انوف المسلمين ، وبين عهد الصديق الأكبر واستخلافه للإمام العادل عمر بن الخطاب ذي المناقب العظيمة بعدم مشاورة أهل الحل والعقد فيه واقناعهم به ، والعلم بتلقيهم له بالقبول

١٤ — كيف سن التغلب على الخلافة

كان سبب تغلب بني أمية على أهل الحل والعقد من الأمة أن قوة الأمة الإسلامية الكبرى في عهدهم كانت قد تفرقت في الاقطار التي فتحها المسلمون وانتشر فيها الاسلام بسرعة غريبة وفي مصر وسورية والعراق ، وكان أهل هذه البلاد قد تروا بمرور الأمم على الخضوع لحكامهم المستعمرين من الروم

والفرس ، فلما صارت أزمة أمورهم بيد حكامهم من العرب استخدمهم معاوية الذي سن سنة التغلب السيئة في الاسلام على الخضوع له بجعل الولاة فيهم من صنائعه الذين يؤثرون المال والجاه على هداية الاسلام ، واقامة ما جاء به من العدل والمساواة ، وصاروا كثر أهل الحل والعقد الحائزين للشروط الشرعية محصورين في البلدين المكرمين (مكة المكرمة والمدينة المنورة) وهم ضعفاء بالنسبة الى اهل تلك الاقطار الكبيرة الغنية التي تعول الحجاز وتغذيه

أخذ معاوية البيعة لابنه الفاسق يزيد بالقوة والرشوة ، ولم يلق مقاومة تذكر بالقول أو الفعل الا في الحجاز ، فقد روى البخاري والنسائي وابن أبي حاتم في تفسيره — واللفظ له — من طرق ان مروان خطب بالمدينة وهو على الحجاز من قبل معاوية فقال ان الله قد أرى أمير المؤمنين في ولده يزيد رأيا حسنا ، وان يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر ، وفي لفظ سنة أبي بكر وعمر : فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : سنة هرقل وقيصر ، ان أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده الخ وفي رواية سنة كسرى وقيصر ، ان أبا بكر وعمر لم يجعلها في أولادهما ، ثم حج معاوية ليوطىء لبيعة يزيد في الحجاز فكلّم كبار أهل الحل والعقد أبناء أبي بكر وعمر والزبير نخالفوه وهددوه ان لم يردّها شورى في المسلمين ، ولكنه صعد المنبر وزعم انهم سمعوا وأطاعوا وبايعوا يزيد ، وهدد من ينافي به منهم بالقتل . وأخرج الطبراني من طريق محمد بن سعيد بن زمانة ان معاوية لما حضره الموت قال ليزيد قد وطأت لك البلاد ومهدت لك الناس ولست أخاف عليك الا أهل الحجاز فان رابك منهم ريب فوجه اليهم مسلم بن عقبة فاني قد جربته وعرفت نصيحته . قال فلما كان من خلافهم عليه ما كان — دعاه فوجهه فأباحها ثلاثا ، دعاهم الى بيعة يزيد وانهم أعبد له وقن في طاعة الله وممصيته . وأخرج ابو بكر بن خيثمة بسند صحيح الى جويرية بن اسماء سمعت اشياخ أهل المدينة يتحدثون ان معاوية لما احتضر دعا يزيد فقال له ان لك من أهل المدينة يوما فان فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فاني عرفت نصيحته الخ ذكره الحافظ في الفتح ، أباح عدو الله مدينة الرسول ثلاثة أيام فاستحق هو وجنده اللعنة العامة في قوله صلى الله عليه عند تحریمها كنكة « من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً» أي فرضاً ولا نقلاً — متفق عليه — فكيف بمن استباح فيها الدماء والأعراض والأموال ؟؟
 وكان الحسن البصري يقول أفسد أمر الناس اثنان عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف — وذكر مفسدة التحكيم — والمغيرة بن شعبة — وذكر قصته اذ عزله معاوية عن الكوفة فرشاه بالتمهيد لاستخلاف يزيد فأعاده — قال الحسن فمن أجل هذا بايم هؤلاء الناس لا بناتهم ولولا ذلك لكانت شورى الى يوم القيامة اه ملخصاً من تاريخ الخلفاء وهذا الذي قاله الحسن البصري من أئمة التابعين موافق لما قاله ذلك السياسي الألماني لاحد شرفاء الحجاز من أنه لولا معاوية لظلت حكومة الاسلام على أصلها ، ولساد الاسلام أوربة كلها ، وقد تقدم قد اضطرب أهل الأهواء ومن لا علم لهم بشيء من حقيقة الاسلام ونشأته الا من أخبار المؤرخين وهي أمشاج لم يكن يميز صحيحها من ضعيفها وحقها من باطلها الا الحفاظ من المحدثين ، فنجد من هؤلاء من يميل الى النواصب أو الخوارج ومن يرجح جانب غلاة الشيعة . وكان أستاذنا الشيخ حسين الجسري يشد :

من طالع التاريخ مع انه لم يتمسك باعتقاد سليم أصبح شيعياً والا قتل يخرج عن نهج الهدى المستقيم ولذلك نجد في المصريين وغيرهم من المنتسبين الى مذاهب السنة — على غلو دعاتهم في تعظيم آل البيت — من هو ناصبي يفعل بني أمية على العلويين ، ويؤمن أنهم أعزوا الاسلام وأقاموا الدين ، والتحقيق ان فتح الاسلام لكثير من البلاد في أيامهم الذي هو حسناتهم العظيمة كان أمراً اقتضته طبيعة الاسلام والاصلاح الذي جاء به لانقاذ البشر ، ولم يكن لغيرهم من عبد العزيز منهم حمل انقارده في اقامة الدين نفسه ، ولم يكن لهم حمل في ذلك يختص بدولتهم بحيث يقال انه لو لام لرجع الاسلام التهقري في العلم والعمل أو الفتح ، وما كان لهم من عمل حسن في هذه الامور ، فقد كان لمن بعدهم من العباسيين مثله ، وكلاهما تابع في الدين للخلفاء الراشدين لا متبرع ، وأما الامور المدنية التي استتبعت النتج الاسلامي فلبكل من التريتين فيها عمل ، وإنما سيئة الامويين

التي لا تغفر ما سنوه في قاعدة حكومة الاسلام ، فهي انتخاوية شوري في أولي الاختيار من أهل الحل والعقد وقد نسخوها بالقاعدة المادية : القوة تغلب الحق ، فهم الذين هدموها ، وتبعهم من بعدهم فيها

ومن اطلع على كتب السنة يعلم أن الله تعالى قد أطلع رسوله (ص) على مستقبل امته ، وان ما وقع كان مما تقتضيه طباع البشر بحسب قدر الله وسنته ؛ وقد اخبر بذلك بعض اصحابه بالتلميح قارة وبالتصريح اخرى ومنهم أبو هريرة الذي روي عنه في الصحاح والسنن والمسانيد عدة أحاديث وآثار في ذلك وانه كان يستعيز بالله من إمارة الصبيان ومن رأس الستين وهي السنة التي ولي فيها يزيد (وقد مات قبلها) وكان يقول : لو قلت لكم انكم ستحرقون بيت ربكم وتقتلون ابن نبيكم لقلتم لا اكذب من أبي هريرة . يعني قتل الحسين وقد وقع بعده . واخرج البخاري وغيره من طريق عمر بن يحيى بن سعيد بن عمرو ابن سعيد بن العاص الاموي — قال اخبرني جدي قال كنت جالسا مع أبي هريرة في مسجد النبي (ص) ومعنا مروان (هو بن الحكم بن أبي العاص وكان أمير المدينة لمعاوية) قال أبو هريرة : سمعت الصادق المصدوق (ص) يقول « هلكة أمتي على أيدي غلّة من قريش » فقال مروان لعنة الله عليهم غلّة ، فقال أبو هريرة لو شئت أن أقول : بني فلان وبني فلان لعلت . فكنت أخرج مع جدي الى بني مروان حين ملكوا الشام فاذا رآهم غلمانا أحداثا قال لنا عسى هؤلاء أن يكونوا منهم . قلنا أنت أعلم اه وانما أهلكوا الامة بافساد حكومتها الشرعية الاصلاحية ، والا فقد وسعوا ملكها بتغلب العصبية . قال الحافظ في شرح الحديث قال ابن بطال : وفي هذا الحديث حجة لما تقدم من ترك القيام على السلطان ولو جار لانه (ص) أعلم أبا هريرة بأسماء هؤلاء ولم يأمرهم بالخروج عليهم ، مع اخباره ان هلاك الامة على أيديهم ، لكون الخروج أشد في الهلاك وأقرب الى الاستئصال من طاعتهم ، فاختار أخف المفسدين ، وأيسر الامر به اه

وتقول ماذا كر من القاعدة صواب وما قبله من تطبيق النازلة عليها لا يصح ، فقد قاوم أهل الحجاز فغلبوا على أمرهم ، والصواب ما بيناه من قبل من تفرق جماعة الاسلام العاملة العادلة في الممالك ، وكون من بقي منهم بالحجاز ضعفاء بالنسبة

الى المملكة الاسلامية الجديدة ، فلم يكن أمر الخروج ممكناً الا بعصبية كعصبيتهم كما فعل بنو العباس ، وقد مهد أكثر العلماء السبيل للاستبداد والظلم بمثل هذا الاطلاق في الخضوع لاهلهما ، وقد تكرر بيان التحقيق فيه

ثم قال الحافظ : يتمجب من لعن مروان الغلاة المذكورين مع ان الظاهر أنهم من ولده ؛ فكان الله تعالى أجرى ذلك على لسانه ليكون أشد في الحجة لعلمهم يتعظون . وقد وردت أحاديث في لعن الحكم والد مروان وما ولد ، أخرجها الطبراني وغيره غالبها فيه مقال وبعضها جيد ، ولعل المراد تخصيص الغلاة المذكورين بذلك اه وقوله من ولده يصدق على الاكثر والا فان يزيد بن معاوية أول من كان يعني أبو هريرة بالغلاة والعصبيان ،

وجملة القول ان مرادنا من هذا البحث بيان مفسدة اخراج الخلافة الاسلامية عما وضعها عليه الاسلام ، وجعلها تابعة لقوة العصبية والتغلب ، فهذه المفسدة هي أصل المفاسد والزيايا التي أصابت المسلمين في دينهم ودنياهم . وقد كررنا ذكرها لتحفظ ولا تنسى .

ومن أغرب الغرائب أن قصر المسلمون عن غيرهم من اهل الملل التي كانوا قد تأقوها في العلم والعمل بأن لم يقيم أحد منهم بعمل منظم لاعادة حكم الاسلام كما بدأ ، بل رضوا بالتفرق والانتقام ، والظلم والاستدلال ، من كل من تولى الامر في قطر من اقطارهم ، حتى سهل عليهم مثل ذلك من غيرهم . فكانوا كقلنا في المقصورة

من ساسه الظلم بسوط بأسه هان عليه الذل من حيث أتى

ومن بهن هان عليه قومه وماله ودينه الذي ارتضى

أفلم يأتهم نبأ ما فعل البابوات ، من تنظيم الجمعيات ، وجمع القناطير من الدنانير لاجل اعادة سلطانهم الديني ؟ ألا ائنا قلنا غيرنا فيما يضر ، ولم نقل ولا استقلنا فيما ينفع في هذا الامر ، ولا يزال فينا من يجتهد في نبذ ما بقي من قشور سلطان الخلافة الاسلامية بعد ذهاب لبابها ، ويظنون ان وجودها هو الذي أضعف ملكنا وانما أضعفه ذهابها . فان ما لا يزال ندعيه منها للمستبددين ، كذب على الاسلام والمسلمين ، ولو استمكننا بعروتها الوثقى لكنا سادة العالمين ، وقد عرف هذا كثير من علماء الاجانب ولم يعرفه أحد من زعمائنا السياسيين .

١٥ — وحدة الخليفة وتعدد

أصل الشرع أن يكون رئيس الحكومة وهو الامام واحدا وهذا أمر
اجماعي عند جميع الامم كالمسلمين ، وسببه معروف وهو أن أمر الحكومة
أولى من كل أمر عام له شعب كثيرة بأن تكون له جهة وحدة يضبط بها
النظام وتتقوى الفوضى . قال الكمالان في المسامرة وشرحها ^(١) (ولا يولى)
الامامة (أ كثر من واحد) لقوله صلى الله عليه وسلم « اذا بويع لخليفتين فاقتلوا
الاخر منهما » رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ، والامر بقتله
يحمول كما صرح به العلماء على ما اذا لم يندفع الا بالقتل ، فاذا أصر على الخلاف
كان باغياً فاذا لم يندفع الا بالقتل قتل ، والمعنى في امتناع تعدد الامام أنه
مناف لمقصود الامامة من اتحاد كلمة أهل الاسلام واندفاع الفتن ، وان
التعدي يقتضي لزوم امتثال أحكام متضادة (قال الحجة — حجة الاسلام الغزالي —
فان ولي عدد موصوف بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من
الاكثر والمخالف باغ يجب رده الى الاتقياد الى الحق ، وكلام غيره من أهل
السنة اعتبار السبق فقط فالثاني يجب رده) اهـ ودليل الجمهور نص الحديث
وقال الماوردي (في ص ٧) واذا عقدت الامامة لامامين في بلدين لم
تنعقد امامتهما لانه لا يجوز أن يكون للأمة امامان في وقت واحد وان شذ
قوم فجوزوه « اهـ وأقول انما جوزه من جوزه في حال تعذر الوحدة وهذا
هو الخلاف الذي نقله المضد في المواقف اذ قال « ولا يجوز العقد لامامين في صقع
متضايق الاقطار اما في متسمها بحيث لا يسع الواحد تدبيره فهو محل الاجتهاد »
قال شارحه السيد الجرجاني : لوقوع الخلاف . واعتمد الجواز محشيه الفناري وهو
من أشهر علماء الروم أو الترك .. وأما في حال امكان الوحدة فلا نعلم ان أحدا
من العلماء الذين لعلمهم قيمة قال بجواز التعدد ، وقول من قال بالتعدد
للضرورة أقوى من قول الجمهور بامامة المتغلب للضرورة ، اذا كان كل من
الامامين أو الأئمة مستجما للشروط مقبلا للعدل ، فان كان في هذه تفرق

(١) ص ٢٨٠ وتقدم ان المسامرة للكمال بن الهمام الحنفي واما شرحها المسمى
بالمسامرة فهو للكمال بن ابي شريف الشافعي

فهو في غير عدوان ولا عداوة، وفي تلك ينبغي وجور ربما يفسد الدين والدنياء، بل أفسدهما بالفعل .

وقد بسط ترجيح هذا القول السيد صديق حسن خان بهادر في آخر كتابه الروضة الندية ^(١) قال

« واذا كانت الامامة الاسلامية مختصة بواحد والامور راجعة اليه مربوطة به كما كان في أيام الصحابة والتابعين وتابعيهم فحكم الشرع في الثاني الذي جاء بعد ثبوت ولاية الاول أن يقتل اذا لم يتب عن المنازعة . وأما اذا بايم كل واحد منهما جماعة في وقت واحد فليس أحدهما أولى من الآخر ، بل يجب على أهل الحل والمقد أن يأخذوا على أيديهما حتى يجعل الامر في أحدهما . فان استمرا على التخالف كان على أهل الحل والمقد أن يختاروا منهما من هو أصلح للمسلمين ، ولا تخفى وجوه الترجيح على المتأهلين لذلك

» وأما بعد انتشار الاسلام واتساع رقعته وتباعد أطرافه فمعلوم أنه قد صار في كل قطر أو أقطار ^(٢) الولاية الى امام أو سلطان ، وفي القطر الآخر أو الاقطار كذلك ، ولا ينفذ لبعضهم أمرو ولا نهى في غير قطره أو أقطاره التي رجعت الى ولايته — فلا بأس بتعدد الائمة والسلاطين ، وتجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة على أهل القطر الذي ينفذ فيه أو امره ونواهييه ، وكذلك صاحب القطر الآخر ، فاذا قام من ينازعه في القطر الذي ثبت فيه ولايته وبايعه أهله كان الحكم فيه أن يقتل اذا لم يتب ^(٣) ولا يجب على أهل القطر الآخر طاعته ولا الدخول تحت ولايته لتباعد الاقطار ، فانه قد لا يبلغ الى ما تباعد منها خبر امامها أو سلطانها ولا يدري من قام منهم أو مات ، فالتكليف بالطاعة والحال هذه تكليف بما لا يطاق ، وهذا معلوم لكل من له اطلاع على أحوال العباد والبلاد ، فان أهل الصين والهند لا يدرون بمن له الولاية في أرض المغرب فضلا عن أن يتمكنوا من طاعته ، وهكذا العكس ، وكذلك

(١) ص ٤١٣ من النسخة المطبوعة بالمطبعة الاميرية بمصر سنة ١٢٩٦

(٢) كان ينبغي حذف هذا الجمع هنا وفما بعده

(٣) يأتي هنا التفصيل السابق في الامام الحق وامام الضرورة والمتغلبين وداري

العدل والجور

أهل ما وراء النهر لا يدرون بمن له الولاية في اليمن ، وهكذا العكس ، فاعرف هذا فانه المناسب للقواعد الشرعية ، والمطابق لما تدل عليه الأدلة ، ودع عنك ما يقال في مخالفته ، فان الفرق بين ما كانت عليه الولاية الاسلامية في أول الاسلام وما هي عليه الآن ، أوضح من شمس النهار ، ومن أنكر ذلك فهو مباغت لا يستحق أن يخاطب بالحجة لانه لا يعقلها والله المستعان » اهـ

هذا أوجه تفصيل قيل في جواز التعدد للضرورة وهو اجتهاد وجيه ويشبهه عند بعض الائمة تعدد الجمعة في البلد الواحد . فالأصل في الشرع أن يجتمع أهل البلد كلهم في مسجد واحد لان للشارع حكمة جليلة في الاجتماع فان تعددت فاجمعة للسابق والمتأخر لا يعتد بجموعته . فتى علم أنها أقيمت في مسجد لم يجوز أن تقام ثانية فيه ولا في غيره من ذلك البلد ومن أقامها كانت صلاتهم باطلة وكانوا آثمين ولا تسقط عنهم صلاة الظهر ، وجوز التعدد للضرورة بقدرها أشد المانعين حظرا له في حال الاختيار

وظاهر كلام الجمهور الذين أطلقوا منع تعدد الامام الحق ، أن المسلمين الذين لا يستطيعون اتباع جماعة المسلمين وإمامهم في دار العدل لبعد الشقة وتعذر المواصلات ، يعذرون في تأليف حكومة خاصة بقطرهم ، ويكون حكمهم فيها حكم من أسلموا وتعذرت عليهم الهجرة الى دار الاسلام لنصرة الامام ، ولا تكون دارهم مساوية لدار العدل وجماعة الامامة الذين أقاموا الشرع قبلهم ، بل يجب عليهم اتخاذ الوسائل للالتحاق بها ، وجمع الكلمة ولو باستمداد السلطة منها ، ونصرة إمامها وجماعتها بقتال من يقاتلهم عند الامكان ، كما يجب على الجماعة مثل ذلك لهم في حال الاعتداء عليهم . واذا صح أن يكون حكمهم حكم من لم يهاجروا الى دار الاسلام ، فالحكم في نصرهم يدخل في قوله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ، وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) على القول المختار بأن هذه الآية في الولاية العامة ، لا فيما كان من ولاية التوارث خاصة ،

وجملة القول ان جمهور المسلمين على أن تعدد الامامة الاسلامية غير جائز ، ومقتضاه ان الحكومة الاسلامية التي تتجدد للضرورة ، وتعذر في ترك اتباع الجماعة هي حكومة ضرورة تعتبر مؤقتة وتنفذ أحكامها ولكن لا تكون مساوية

للاولى ، وان كانت مستجبة لشروط الامامة مثلها ، وظاهر القول الآخر الذي عدوه شاذاً انها اذا كانت مستجبة للشروط كانت امامة صحيحة ، وهذا هو التعمد الحقيقي ، ولكن لم يختلف اثنان في انها للضرورة ، فاذا زالت وجبت الوحدة. وهذه المسائل أحكام كثيرة لا محل هنا للبحث فيها ولكن لا بد من البحث في ثبوت هذه الضرورة ، فان بعد الشقة بين البلاد، وتعذر المواصلات التي يتوقف عليها تنفيذ الاحكام ، مما يختلف باختلاف الزمان والمكان ، فلا يصح أن يجعل عذراً دائماً لصدع وحدة الاسلام ، وقد «تقارب الزمان» في عهدنا هذا مصداقاً لما ورد في بعض الاحاديث المنبئة بالاحداث المستترة في ضمائر الغيب، فاتصلت الاقطار النائية بعضها ببعض ، في البر والبحر ، بالبواخر والسكك الحديدية ، ثم بالمرাকাك الهوائية (الطائرات والمناطيد) التي صارت تنقل البرد والناس مسافة مئات وألوف من الاميال، في ساعة أو ساعات، دع نقل الاخبار بقوة الكهرباء من أول الدنيا الى آخرها في دقائق معدودات ، ولو كانت هذه الوسائل في عصر سلفنا لملكوا العالم كله ؛ وهو ما يطمع به بعض الامم اليوم، وهذه شعوب الشمال في أوربة قد سادت معظم شعوب الجنوب والشرق ، وبين الفريقين منتهى ابعاد العمران من الارض. ولكن المسلمين قصر وافي هذه الوسائل، فبعض بلادهم محرومة منها كلها، وما يوجد في بعضها فهم عالة فيه على الافرنج ، وان شرعهم يفرضها عليهم فرضاً دينياً من وجوه أهمها أن كثيراً من الفرائض والواجبات تتوقف عليها أو لا تتم الا بها، كحفظ المملكة والدفاع عنها، والاعداد لاعدائها ما نستطيع من قوة كما أمرنا كتابنا ، وقد صار هذا من الفرائض العينية علينا ، لاستيلائهم على أكثر بلادنا، ويتحقق الوجوب العيني على الرجال والنساء باستيلاء الاعداء على قرية صغيرة منها. دع توقف وحدة السلطة عليه بالخضوع لامام واحد يقيم الحق والعدل فينا ، منفذاً به احكام شرعنا

فامام وحدة الامام الواجبة واجبات كثيرة قد فرط فيها المسلمون من قبل، بقبولهم احكام التغلب التي اضاعت جل ما جاء به الاسلام لاصلاح البشر في شكل حكومتهم وصفاتها وغير ذلك ، فأى واجب منها اقاموا حتى يطالبوا بهذا الواجب ؟

١٦ — وحدة الامة بوحدة الامة

وحدة الامامة تتبع وحدة الامة، وقد زقت المصيبة الجنسية الشعوب الاسلامية بعد توحيد الاسلام اياها برب واحد، وإله واحد، وكتاب واحد، وشرع واحد، ولسان واحد، فأني يكون لها امام واحد، وهي ليست امة واحدة؟

لا اقول ان هذا محال في نفسه، وانما اقول اني لا اعرف شعبا من شعوب المسلمين ولا جماعة من جماعاتهم المنظمة تقدره قدره، وتسعى اليه من طريقه، فهم في دركة من الجهل والتخاذل والتفرق المذهبي والتمصب الجنسي وضعف الهمة تقمدهم عن التسامي الى مثل هذا المثل الاعلى في الكمال الديني والاجتماعي. وهل البلاد الاسلامية ذات الحكومات المستقلة على الخضوع لرئيس واحد بالقوة العسكرية مما لا سبيل اليه في هذا الزمان ولا سبيل ايضا الى اقناع حكومات هذه البلاد، باتباع واحد منهم بالرضى والاختيار،

والحكومات المستقلة الآن هي حكومات الترك والفرس والافغان ونجند واليمن العليا وهي النجود وما يتبعها واليمن السفلى والحجاز، وقد استقلت بعض الاقطار الاسلامية التي كانت تابعة لروسية القياصرة كبخاري وخيوة، ولكن استقلالها لم يستقر بعد، على انه قد اعترف به في المعاهدة التركية الافغانية، ومثلها آذربيجان ودونهما كردستان، وهذه الحكومات الصغيرة تجزم الدولة التركية بأنها ستسودهن وتدغمهن في جامعها الطورانية. وكذا سائر شعوب القوقاز الاسلامية، ولا توجد حكومة منهم يمكن أن تدعي الخلافة الدينية، فبقي الكلام في الحكومات العربية. والدول الثلاث الاعجمية فأما أهل اليمن العليا فيعتقدون ان الامامة الشرعية الصحيحة محصورة فيهم منذ ألف سنة ونيف لان أئمتهم ينتخبون انتخاباً شرعياً تراعى فيه جميع الشروط الشرعية التي يشترطها أهل السنة مع زيادة مراعاة مذهبهم الزيدي، وان هذه الزيادة لا تعارض مذهب أهل السنة، وانهم يحكمون بالشرع ويسيرون بالحدود. ومذهبهم في الفروع فلما يخالف مذاهب السنة الاربعة ولا سيما مذهب الحنفية. فلا مطمع في اقناعهم باتباع غيرهم، وقد قاتلهم الترك

عدة قرون ولم يستطيعوا ازالة امامتهم ، ولكن جيرانهم من العرب وسائر المسلمين لا يمتدون بامامتهم ، وهم لا يدعون اليها ولا يستعدون لتعميمها : وقد اعترف بصحتها إمام حفاظ السنة وقاضي قضاة مصر وشيخ مشايخ الاسلام في ازهرها لهذه الحافظ احمد بن حجر العسقلاني في شرحه لحديث « لا يزال هذا الامر في قریش ما بقى منهم اثنان » من صحيح البخاري .

وأما السيد الادريسي فهو على كونه حاكما مستقلا . وسيدا علويا . وقيقها أزهرياً ، ومرشدا صوفيا . لم يدع منصب الخلافة فيما نعلم ، ولم يدع رؤساء امارته الى مبايعته بها ، ولكن اهل بيته وجماعته يعتقدون أنه أحق بها من شرفاء الحجاز ، ويلقبونه بالسيد الامام . ولقبه بعضهم بصاحب الجلالة الهاشمية ، وقد نقل لنا الثقات ان الملك حسين اجتهد في استمالته للاعتراف بالتبعية للحجاز في السياسة الخارجية او بالاسم فقط . فلم يفلح كما انه لم يفلح سمي له لدى الامام يحيى ذلك ، وقد استغرب كل منهما هذا السمي وبلغنا ان السيد الادريسي كان يفضل الاعتراف بسيادة الترك السياسية على بلاده في الامور الخارجية ، هرباً من دسائس الافرنج وتقوية للروابط الاسلامية

وأما حكومة الحجاز فهي جديدة ولا يعرف لها نظام ثابت وانما ملك الحجاز هو هنالك الحكومة وكل شيء ، وقد بايعه أهل مكة على انه ملك العرب ثم بايعه آخرون من سورية وغيرها بالخلافة وامارة المؤمنين على عهد وجود ولده فيصل فيها قبل اعلان استقلال دمشق ، وذلك كما يبايع أمثالهم في سورية ومصر الخليفة الجديد في الآستانة ، ويظهر أن ولده فيصل ملك العراق وولده عبد الله أمير شرق الاردن مصران على بذل نفوذهما لجعله هو الخليفة ، وأخذ المبايعة له من سورية والعراق عند سنوح الفرصة . وقد نشر في جريدة القبلة مقالات قديمة وحديثة في بطلان خلافة خلفاء الترك في الآستانة وتكفيرهم وتكفير حكومتهم . وقد كان في عمان مسجد متداع فأمر الأمير عبد الله بتجديد بنائه فوضع له قاضيه الشيخ سعيد الكرمي تاريخاً في أبيات من الشعر نقش على لوح من الرخام وضع فوق بابه قال في أولها :

حسين ابن عون من بني محمد عدنان فصار أمير المؤمنين بلا ثاني
أطاد له حق الخلافة بعد ما ثوت زمناً بالنصب في آل عثمان

وقد جعل هذا القاضي بناء حسين لما سماه مجد عدنان ، سبباً لصيرورته امير المؤمنين الذي لا ثاني له في بلاد الاسلام ، وهو لم ينل لعدنان مجداً ، ومجد عدنان ليس سبباً للخلافة ، وإنما يرضي الناظم بذلك أميره الذي كان ولا يزال يسعى لتحقيق جعل والده خليفة ، ولكنه طعن في ائمة يحيى حميد الدين الذي يخطب اميره ووالد اميره الملك وده ، لا في خلافة أعدائه الترك فقط ، ولا يستطيع احد ان يقرن به احداً من شرفاء الحجاز وأمثالهم . ممن يرون أنفسهم أهلاً للامامة بأنسابهم فقط فانه على تواتر نسبه الهاشمي العلوي ، وصراحتة بخلوه من شوائب الرق غير الشرعي . عالم مجتهد ، شجاع مدبر ، ذو شوكة ومنعة يقدر بهما على حفظ استقلاله ، وقد بويع بالامامة منذ عشرات من السنين ، والمعترفون بامامته يزيدون على عدد اهل الحجاز وكذا على أهل سورية كلها والعراق

ليس من غرضنا هنا مناقشة هؤلاء ولا غيرهم في دعاويهم ولا اغراضهم بل بيان الراقم في البلاد الاسلامية المستقلة وهو أن ملك الحجاز وأولاده يمتقدون أن الخلافة حقهم بنسبهم ومركزهم في الحجاز ، وانهم ينالونه بمساعدة اولاة اريانية لهم ، وقد قال أحدهم عبدالله أمير شرق الارز في الاسكندرية إن الخلافة لنا ، ونقل الجرائد المصرية هذا عنه ورد عليه في بعضها

وأما أهل نجد فحنابلة سلفيون وهم يسمون أميرهم إماماً ولا يسمونه خليفة ولم يبلغني انه يدعي الخلافة العامة ، ولكنهم يعتقدون انه لا يوجد امير مسلم يقيم دين الله كما أنزله غيره ، وأن بلادهم دار العدل وجماعة المسلمين والهجرة اليها واجبة بشروطها . فلا مطعم في اتباعهم لغيرهم . وقد اتهموا باتتعال مذهب جديد تفرم منهم غيرهم ، وهم لا يبالون ما يقال فيهم ، ولا يدعون احداً الى اتباعهم ، الا البدو والمجاورين لهم ، الذين لا يعرفون من الاسلام عقيدة ولا عملاً ، فيدعونهم الى التدين وترك البداوة واتباع حكومتهم الاسلامية التي تقيم شرع الله وحدوده على مذهب امام السنة أحمد بن حنبل

فهذا ملخص ما نعلم من حال البلاد العربية المستقلة ، وتركنا ذكر حكومة عمان الاباضية لان نفوذ الانكليز فيها كبير فأهلها لا يهتدون سبيلاً الى الارتباط بغيرهم ، ومذهب أكثرهم أباضي فهم من الخوارج الذين لا يقيدهم مذهبهم بشرط

القرشية ، وقد علمت من سلطان مسقط السابق أنه كان يتمنى الارتباط بالدولة العثمانية

وأما الدول الاعجمية المستقلة فالإيرانية منها شيعة امامية والامامة عندهم للامام محمد المهدي المنتظر فلا تعترف بامامة أخرى لغيره وانما ترتبط بغيرها من الدول الاسلامية، بسوء المحالفات السياسية

والافغانية سنية وقد اعترفت في المحالفة التي عقدت بينها وبين الحكومة التركية الجديدة في أقرة بأن الدولة التركية دولة الخلافة، ولكن لم تعترف لها بسيادة ما عليها. بل كانت محالفتها محالفة الند للند

وقد كان نص المادة الثالثة من هذه المحالفة التي وضعت في (أقرة) قد جعل الدولة الافغانية في مكان التابع من الدولة التركية ، وهذه ترجمته التي نشرت في جريدة الاخبار المصرية لمراسلها في (كابل — عاصمة الافغان) « تصدق الدولة الافغانية بهذه المناسبة على انها تقتدي بتركيا التي تخدم خدمات جليلة وتحمل علم الخلافة الاسلامية » أي تقر وتعترف بهذه القدوة وذكر المراسل ان أمير الافغان لم يقبل هذا النص بل غيره « بأن الدولة الافغانية لا تقتدي بالدولة العلية التركية وانما عليها أن تعترف بأنها دولة الخلافة » وقد كان هذا قبل الانقلاب التركي الاخير ، وذكر في بعض الجرائد ان الافغان أنكروا منه جعل الخلافة روحية لاشأن لها في السياسة والاحكام ، واذا آل الامر الى اعترافهم بصحة الخلافة العثمانية التركية شرعاً فلا مندوحة لهم عن اتباع الخليفة لانهم قوم مسلمون مستمسكون بدينهم استمساً عظيماً

ولكن الظاهر ان جميع الذين يعترفون للعثمانيين من الترك بالخلافة ولا يتبعون حكومتهم فانما يعترفون لهم بلقب من ألقاب الشرف، لصاحبه نفوذ معنوي لدى الدول. والا فلا معنى لكون الرجل خليفة المسلمين الا انه امام دينهم ورئيس حكومتهم الذي يجب طاعته عليهم . وتباح دماؤهم في الخروج عليه والاستقلال بالحكم دونه. واما المتغلب الذي لا يطاع الا بالقهر فلا يجوز لغير من قهرهم الاعتراف له بالخلافة، وان من العيب بالاسلام ان تجمل امامته الكبرى بمجرد لقب من ألقاب المدح والشرف

هذا وأما البلاد الاسلامية الراحة تحت أثقال السيطرة الاجنبية كصروسائر

أقطار أفريقية الشمالية وسورية والعراق فليس لها من أمر حاكمها أو حكومة دينها شيء، وليس فيها جماعة تتصرف في ذلك بحل ولا عقد، فلأن رؤساء الحكومة والشعب في قطر منها — وهم الذين كانوا لولا السلطة الأجنبية أهل الحل والعقد فيها — أرادوا أن يبايعوا خليفة في بلاد الترك أو العرب مثلاً مبايعة صحيحة، وهي ما توجب عليهم أن يكونوا خاضعين لسلطانهم، مطيعين في أمورهم العامة لامره ونهيه، ناصرين له على من يقاتله أو يبغى عليه، لما استطاعوا أن يعضوا ذلك وينفذوه بدون إذن الدولة الأجنبية المسيطرة عليهم، وهي لن تأذن وإن كانت تدعي أنها لا تمار — المسامين في أمور دينهم، وإنها تاركة أمر الخلافة اليهم وأما الأفراد والجماعات الذين ليس لهم رئاسة ولا نفوذ في قيادة الشعب، ولا يستطيعون أن يطيعوا إذا بايعوا، كأن ينفروا إذا استنفروا، وينصروا إذا استنصروا، فقد يسمح لهم في بعض هذه الاقطار أن يقولوا ماشاءوا، وفي بعضها لا يسمح لهم بذلك، ورأي السواد الأعظم من المسامين في كل قطر من هذه الاقطار مخالف لرأي الدولة المسيطرة عليه، ومن ذلك مبايعة بعض الأفراد والجماعات المصرية والهندية للخليفة التركي الجديد، ولو أراد مثل ذلك أهل تونس والجزائر لما أبيع لهم مع علم فرنسا المسيطرة عليهم أن هذه المبايعة لا يترتب عليها اتباعهم لحكومته التركية. وإن هذه الحكومة نفسها، غير تابعة لخليفته، بل هو تابع لها، وموظف عندها وهي التي تحدد عمله ووظيفته.

وصفة القول أن الشعوب الإسلامية المقهورة بحكم الأجانب ليس لها من أمرها، إلا ما يجود به عليها الأجانب القاهرون لها. ولا يمكنها أن تساعد على وحدة الأمة، التي تتوقف عليها وحدة الامامة. إلا من طريق بث الدعوة وبذل المال، وإن الشعوب المستقلة لا مطمع الآن بجمع كلمتها. بترك التعصب لمذاهبها ولجنسيتها، وإيجاد خلافة صحيحة قوية توحد حكومتها. وأقرب منه عقد موالاة ودية أو تحالفات سياسية عسكرية بينها، وقد بدأ بذلك الأعاجم منها. وأما العربية فقد عز إلى اليوم التأليف بينها، فإذا يسره الله تيسر اتفاقها مع غيرها، وكان ذلك تمهيداً للامامة العامة التي تجمع كلمتها كلها.

ومن ذا الذي يطالب بإعادة تكوين الأمة الإسلامية المنحلة العقد المفككة المفصل، وبإعادة منصب الخلافة إلى الموضع الذي وضعه الشارع فيه؟ أهل الحل والعقد — أهل الحل والعقد. ومن هم وأين هم اليوم؟

﴿ استدراك أو تصحيح ﴾

كنا عند كتابة ما تقدم تركنا الكلام على الخلافة العثمانية التركية لان أصل السياق فيها، والبحث موجه الى بيان حالة المسلمين وحكوماتهم المستقلة التي لا يمكن تعميم الخلافة بكفالة الترك لها الا باتفاقهم عليها، ثم بدا لنا أن نكتب كلمة فيها ليكون بحثنا تاماً جامعاً لكل ما تنجلي به المسألة من الجهة الشرعية ومن جهة المصلحة العمالية . وهذا نص الكلمة ومحله في السطر الثالث من ص ٥٥

وأما الدول الاعجمية المستقلة فأولها التركية وكان المشهور أن الخلافة انتقلت الى سلاطينها بزول آخر خلفاء العباسيين عنها للسلطان سليم الذي أسره بمصر وحمله الى الآستانة وتسلسل ذلك فيهم بعد ذلك بالعهد والاستخلاف ، حتى كان من أمرهم في هذه الايام ما كان ، ويقال إن السلطان محمد وحيد الدين الخلوع ما زال يدعي الخلافة التي آلت اليه بنظام الوراثة ، والحق ما بيناه من قبل ، وإن الخليفة العباسي الذي أسره السلطان سليم لم يكن يملك الخلافة ولا النزول عنها ولو لاهلها ، ولو كان يملكهما لاشتراط في نزوله الحرية والاختيار ولم يكن يملكهما ، ومثله السلطان وحيد الدين الآن ، فلذلك لا يعتد بما توقعه بعضهم من نزوله عنها لملك الحجاز ، وإذا كانت خلافة الترك العثمانيين بالتغلب فلا فرق بين اختيار الأمير عبد المجيد الآن بعد انقطاع سلسلة العهد والاستخلاف بخلم محمد وحيد الدين أو قبله ، وبين اختيار من قبله عملاً بذلك النظام . هذا اذا جعلته حكومة أنقرة خليفة بالمعنى الشرعي المعروف ، ولكنها اخترعت نوعاً جديداً من الحكومة ونوعاً آخر من الخلافة ، ووضعت للاولى قانوناً أساسياً عرفناه ولما تضع للثانية قانوناً لنعلم منه كنهها ، فإن كانت خلافة روحية لسلطان لها في سياسة الأمة وحكومتها فهي غير الامامة التي بينا أحكامها ، على أن ما يضمنونه لها من النظام إن كان موثقاً للشرع حمدناه ، وإن كان مخالفاً له أنكرناه ، ولا يضرنا تسمية هذا العمل خلافة فثله معهود عند أهل الطريق ولا مشاحة في الاصطلاح . وسنبين في كل وقت ما يجب علينا وعليها للاسلام ،

﴿ اهل الحل والعقد في هذا الزمان ، وما يجب عليهم في أمر الامة ، الامام ﴾

فرغنا مما قصدنا الى بيانه من أحكام الامامة العظمى في الاسلام ، وتقني عليه ببيان ما يجب من السعي للعمل بهذه الاحكام ، باعادة تكوين الامة ووحدةها . ولصب الامام الحق لها . الذي يبين في المسألة الثانية أنه واجب عليها شرعاً ، تأثم كلها بتركه ، وتعتمد حياتها وميتها جاهلية مرفقة ، فالامة كلها مطالبة به ، وهي صاحبة الامر والشأن فيه كما بيناه في المسألة الرابعة ، وانما يقوم به ممثلوها من اهل الحل والعقد كما حررناه في المسألة الثالثة ، فأهل الحل والعقد هم المطالبون بجميع مصالح الامة العامة ، ومسألة السلطة العليا خاصة

قلنا إن اهل الحل والعقد هم سراة الامة وزعمائها ورؤساؤها ، الذين تثق بهم في العلوم والاعمال والمصالح التي بها قيام حياتها ، وتتبعهم فيما يقررونه بشأن الديني والدنيوي منها ، وهذا أمر من ضروريات الاجتماع في جميع شعوب البشر ، تتوقف عليه الحياة الاجتماعية المنظمة ، قال شاعرنا العربي : لا يصلح الناس فوضى لا سراة ولا سراة اذا جهلهم سادوا

واذا صلحت هذه الفئة من الامة صلح حالها وحال حكمائها ، واذا فسدت فسداً ، ولذلك كان من مقتضى الاصلاح الاسلامي أن يكون اهل الحل والعقد في الاسلام من اهل العلم الاستقلالي بشريعة الامة ومصالحها السياسية والاجتماعية ، والقضائية والادارية والمالية ، ومن اهل العدالة والرأي والحكمة ، كما بيناه في المسألة الرابعة . وهي ما يشترط في اهل الاختيار للخليفة

فذكر اهل الحل والعقد عد تكرار في مسائل أحكام الخلافة ولم نجعله عنواناً الا لهذه المسألة التي عقدت للكلام فيها أنفسهم وأبن يوجدون اليوم ، وما يجب عليهم لامتهم في هذا العصر ، فان الحكومات غير الشرعية من اجنبية ووطنية تعنى بافساد زعماء الشعوب التي تستبد في أمرها ، ليكونوا أعواناً لها على استبدادها ، ومن تعجز عن افساده على قومه بالترغيب ثم بالترهيب تكيد له أو تبطل به ، فأهل الحل والعقد من قبل الامة ، قلنا يوجدون الا في الامم الحرة ، وأكثر الرؤساء في الامم المقهورة يكونون من قبل مستكلميها ، وهم

الذين توليهم رئاسة بعض الاعمال والمصالح فيها ، فيكون ما يبدؤهم من الحل والعقد مستأجراً ، وقد تنفس الامة ببغض رجاله ، وقد يكونون في نظرها من الخطوة المستحقين للعقاب ، وقد يوجد فيهم من يكون أهلاً للثقة ، وتعرف له الامة ذلك أو تجهله ، واذا سكنت عن إظهار احتقارها ، لصنائم المستبددين فيها ، لتفرقها في وقت الانتقاد والدعة ، فانها تظهره في وقت الاجتماع بالاضطراب والثورة ، وقد أظهرت لنا الثورة المصرية في هذه السنين ، كراهة الامة واحتقارها لافراد من رؤساء مصالح الدنيا والدين ، وترئيس أفراد آخرين عليها ، وآية هذه الزعامة المصنوعة المستأجرة للحكومة ان صاحبها اذا خرج من منصبه ، تجدد جمهور الامة لا يحفل به ، ولا يعده زعيماً له ، وربما أظهر له الاحتقار والاهانة . وقد رأينا الاجانب الغاصبين لبعض بلادنا في هذه السنوات النحسات يقودون بعض هؤلاء الزعماء الذين أفسدوهم على الامة أو رأسوهم عليها الى عواصم بلادهم ويتواطون معهم على توطيد سلطتهم فيها ، (أى الامة) ويستخدمون بعضهم في البلاد للاستعانة بهم على استعمارها ، وكذلك كان يفعل السلاطين والامراء ، في استمالة العلماء والوجهاء ، بالرتب والاوزعة والهبات - ثم هب الترك والمصريون يطلبون سلطة الامة بمجالس النواب ، وهذه المجالس بمعنى جماعة أهل الحل والعقد في الاسلام ، الا ان الاسلام يشترط فيهم من العلم والفضل ، مالا يشترطه الا فرنج ومقلداتهم في هذا العصر

وقد صار أهل الجمعية الوطنية في انقرة أصحاب الحل والعقد بالفعل ، وبالرغم من السلطان الذي ناصبهم فباء بالخزي والعزل ، وحلوا محل مجلس المبعوثين ومجلس الوزراء وشخص السلطان جميعاً ، وقد ذكرني هذا ما قاله لي الغازي احمد مختار باشا في الاستانة لما سألته عن رأيه في الحكومة الدستورية قال : عندنا مجلس وليس عندنا سلطان ، ولا بد من الكفتين في وجود الميزان واما البلاد المقهورة بالاحتلال الاجنبي كصر والهند ، فلا مجال فيها لمثل ما فعل الترك ، وانما يظهر فيها فرد بعد فرد ، الى ان تبلغ الامة سن الرشد ولقد وصل الاستاذ الامام رحمه الله تعالى الى مقام الزعامة في هذه الامة ومهتبة أهل الحل والعقد في الامور الدينية والدينية من سياسية وغيرها ،

بل قارب ان يكون زعيم الامة الاسلامية كلها ، ولكن بالقوة لا بالفعل لان الامة لم تكن قد تكونت تكوناً يؤهلها للسير في الخطة التي بختطها لها ، ولذلك كان يقول : يا ولىح الرجل الذي ليس له أمة ، وقد كان أمير بلاده ينهى عنه وينأى عنه ، على انه كان يرجع في المهمات وحل المشكلات اليه ،

وقد بلغ ربيده سعد باشا زغلول مقام الزعامة السياسية في هذه السنين التي تكون فيها قومه ، فلما تصدى للعمل بقوة الشعب ، كان جزاؤه النفي بعد النفي ، ويوجد في الهند رجال من المسلمين والهنود رفعتهم أحداث الزمان الى مقام الزعامة في الامة ، باظهارها ما هم عليه من الكفاءة وعلاو الهمة ، وهم الآن في غيابات السجون ، منهم (غاندهي) عند الهندوس وأبو الكلام ومحمد علي وشوكت علي عند المسلمين ، وبلي هؤلاء جماعاتهم كالوفد المصري عندنا وجمعية الخلافة عندهم

وأما الجماعات القديمة فان هيئة كبار العلماء في الازهر بمصر وفي جامع الفاتح والسليمانية من الاستانة وجامع الزيتونة بتونس ومدرسة ديونيد بالهند فان جمهور الامة يثق بأن حكم الله ما قالوا ، ولكن أكثر المتفرجين — ومنهم أكثر الحكام والقواد والاحزاب السياسية — فلما يقيمون لاحد منهم وزناً ، الا من كان ذا منصب أو ثروة ، أصاب بها بعض الوجاهة ولا يوجد في علماء أهل السنة مجتمعين ولا منفردين من يبلغ في الزعامة واتباع الشعب له مبلغ مجتهدى علماء الشيعة ، ولا سيما متخرجي النجف منهم ، فأولئك هم الزعماء لاهل مذهبهم حقاً ، ويقال إنهم أفتوا في هذه الآونة بتحريم انتخاب الجمعية الوطنية ، التي أمرت بها حكومة الملك فيصل لاقرار المعاهدة بين العراق والدولة البريطانية ، فاطاعها البدو والحضر من الشيعة وقد كان ميرزا حسن الشيرازي رحمه الله تعالى أصدر فتوى في تحريم التنباك فخضع لها الشعب الايراني كله ، وتركوا استعمال التنباك وزرعه ، وهو بالنسبة الى صادات بلادهم كالقطن في القطر المصري ، وكان الذي حمله على اصدار هذه الفتوى موقظ الشرق السيد جمال الدين الافغانى قدس الله روحه بسبب إعطاء حكومة ايران امتيازاً بالتنباك لشركة انكليزية ، فاضطرت الحكومة لفسخ الامتياز في مقابلة تعويض للشركة قدره خمسمائة ألف جنيه انكليزي ، ولو لم تفسخ هذه

الشركة لفعلت في ايران ما فعلت شركة الجلود الانكليزية في الهند ، أي ملكت أمتها تلك البلاد وضمتها الى 'مبراطورية الهند

قلت ان الحكومات المستبدة تجتهد في افساد من يظهر من الزعماء في الشعوب التي تتولى أمرها . على أنها تعنى قبل ذلك ، لاسباب التي تمنع وجود الزعامة فيها بافساد التعليم ومراقبته ، وقد أبعدوا علماء الدين عن السياسة وعن الحكومة ، فصار أكثر أهلها وأنصارها من الجاهلين بالشريعة ، وتولى هؤلاء أمر التعليم وإعداد عمال الحكومة ، وانكش العلماء وأرذوا الى زوايا مساجدهم ، أو جحور بيوتهم ، ولم يطالبوا بحقوقهم ، ولا استعدوا لذلك بما تقتضيه حال الزمان ، وطبيعة العمران ، ولا عرفوا كيف يحفظون مكائدهم من زعامة الامة بتعريفها بحقوقها ، وقيادتها للمطالبة بها ، فأضاعوا حقهم من الحل والعقد فيها ، وتركوها لرؤساء الحكام والاحزاب والجمعيات السياسية التي يتولى أمرها في الغالب من لا حظ لهم من علوم الدين ، ولا من تربيته التي لانظام لما بقي منها عند بعض المسامين ،

فاذا أريد السعي - والحال هذه - لما وحب في الشرع من امامة الحق والعدل العامة ، فلا بد قبل ذلك من السعي لوجود جماعة أهل الحل والعقد المتحلين بالصفات التي اشترطت فيهم كما تقدم في المسألة الخامسة ، فانهم هم أصحاب الحق في نصبه بنياتهم عن الامة ، وبتأييده في حمل الامة على طاعته ، والمطلوب قبل نصب الامام العام للامة كلها ، أو للبلاد المستقلة منها ، أن تتحد شعوب هذه البلاد ، وترجم عن جمل اختلاف المذاهب والاجناس واللغات ، موائم للوحدة والاتفاق .

وانا نتساءل هنا: هل يوجد في البلاد الاسلامة من أهل الحل والعقد ، من يقدر على النهوض بهذا الامر ؟ واذا لم يكن فيها من لهم هذا النفوذ بالفعل ، أفلا يوجد من له ذلك بالقوة ؟ ثم ألا يمكن للمسلمين وضع نظام لجعل النفوذ بالقوة نفوذاً بالفعل ؟ بلى انه ممكن عسر ، وقوة العزيمة تجعل العسر يسراً ، وقوة العزيمة تتبع قوة الداعية ، ومن ذا الذي يرجي ان يضم النظام ويشرع في العمل ؟ الا أنه حزب الإصلاح الاسلامي المتبدل .

١٨ — حزب الاصلاح الاسلامي المعتدل

قد علم مما تقدم ان العمل لوحدة الامة الاسلامية بقدر الامكان ينحصر اليوم في الشعبين الكبيرين - العربي جرثومة الاسلام - والتركي سيفه الصمصام ، وان أمر البلاد العربية المستقلة بيد أئمتها وامرائها فالتأليف بينهم مقدم على كل شيء فيها . ونقول هنا :

ان المتصدرين للزعامة السياسية ومقام الحل والعقد في غير جزيرة العرب من البلاد الاسلامية ازواج ثلاثة — مقلدة الكتب الفقهية المختلفة — ومقلدة القوانين والنظم الاوربية — وحزب الاصلاح الجامع بين الاستقلال في فهم فقه الدين وحكم الشرع الاسلامي وكنه الحضارة الاوربية ، وهذا الحزب هو الذي يمكنه إزالة الشقاق من الامة ، على ما يجب عمله في إحياء منصب الامامة ، اذا اشتد أزرها ، وكثر ماله ورجاله ، فان موقفه في الوسط يمكنه من جذب المستعدين لتجديد الامة من الطرفين . وهو الحزب الذي سميناه في المقالة الثالثة من مقالات (مدنية القوانين) بحزب الاستاذ الامام ، اذ كان المنار يهد السبيل لجعل الاستاذ زعم الاصلاح في جميع بلاد الاسلام ، وانا نعرف أفرادا من هؤلاء المصلحين المعتدلين في الاقطار المختلفة ولا سيما العربية والتركية والهندية ، ونشهد أن مسلمي الهند في جملتهم أرجى لشدة ازدياد هذا الحزب بالمال والرجال ، ولكنهم لا يستطيعون العمل الا باتحاد عقلاهم مع عقلاء سائر الاقطار ، لتكوين جماعة أهل الحل والعقد بما يتفقون عليه من النظام ، لاجل قيادة الرأي العام ، ولتكوين مؤتمر عاجل لاجل تقرير ما يتخذ من الوسائل الآن ، فان مسألة الخلافة كانت مسكوتا عنها ، لجعلها الاثقال التركي الجديد أهم المسائل التي يبحث فيها ، ولولا كثرة التخبط وتضليل الرأي العام بأكثر ما كتب فيها لآثرنا السكوت على القول ، مع السعي الى ما نرى من المصلحة فيها بالعمل ، ولكن وجب التمهيد له ببيان الحقائق وان جعلت موضع البحث والمرء ، باختلاف الآراء والاهواء ، وحسبنا أن نذكر حزب الاصلاح بما يعتن له من العقبات ، من حزبي التقاليد والعصبية ، وبما يجب ان يعد للعمل من القواعد والبيئات

١٩ - حزب المتفرنجين

بيننا في المقالة الثالثة من مقالات (مدنية القوانين) مرادنا من التفرنج وأهله وان منهم المرتدين المجاهرين بالكفر والمسرين به، ومداركهم في حكومة الاسلام وشريعته . وتقول هنا أيضا

ان ملاحدة المتفرنجين يعتقدون أن الدين لا يتفق في هذا العصر مع السياسة والعلم والحضارة ، وأن الدولة التي تتقيد بالدين تقيداً فعلياً لا يمكن ان تعز وتقوى وتساوي الدول العزيزة . وهؤلاء كثيرون جداً في المتعلمين في اوروبا وفي المدارس التي تدرس فيها اللغات الاوربية والعلوم العصرية ، ورأي أكثرهم أنه يجب أن تكون الحكومة غير دينية . وحزبهم قوي ومنظم في الترك ، وغير منظم في مصر ، وضعيف في مثل سورية والعراق والهند ، ورأيه انه يجب إلغاء منصب الخلافة الاسلامية من الدولة ، واضعاف الدين الاسلامي في الامة ، واتخاذ جميع الوسائل لاستبدال الرابطة الجنسية والوطنية ، بالرابطة الدينية الاسلامية ، والترك من هؤلاء أشد خصوم اقامة الامامة الصحيحة في الدولة التركية ،

وقد بثت جمعياتهم الدعوة في الاناضول مهد النعرة الاسلامية ، الى العصبية العمية ، بالاساليب التي لا يشغرو الجمهور بالغرض منها وقد أشرنا من قبل الى بعضها فكان لها التأثير المطلوب : كان التركي هنالك اذا سئل عن جنسه قال : مسلم الحمد لله . وبذلك يمتاز من الرومي والارمني . وأما الآن فصار يحجب بأنه ترك . وكان لا يفهم من وجوب الخدمة العسكرية الا طاعة خليفته وسلطانه في الجهاد في سبيل الله ، فبثت فيه فكرة القتال في سبيل الترك ووطن الترك لمجد الترك ، وقد اطلعنا في هذه الايام على قصة (قيص من نار) للكاتبة الاسرائيلية النسب ، التركية السياسة والمذهب ، خالدة أديب وزيرة المعارف في حكومة أنقرة ، وقد أنشأتها لبيان كنه الحركة الوطنية في الاناضول التي أنشئت لمقاومة سلطة الآستانة واخراج اليونان من البلاد وتأمين استقلالها فألفيناها مصورة لما ذكرنا ، لم نر فيها كلمة واحدة تدل على فكرة الجهاد الاسلامي ولا الروح الديني الذي كنا نعهد ،

على أن فريقاً من هؤلاء المتفرنجين يرى أن وجود منصب الخلافة في الترك

يمكن الانتفاع به من بعض الوجوه السياسية والأدبية وغيرها إذا كانت الخلافة صورية أو روحانية لا سلطان لها في التشريع ولا في التنفيذ، بل ينحصر نفوذها في الدعاية السياسية للدولة من طريق الدين، كسلطة البابا والبطاركة وجمعيات التبشير، وأكثر هؤلاء من أصحاب العصية الطورانية، الذين يتفقون من بعض الوجوه مع طلاب الجامعة الإسلامية، فإنهم يطمعون في تأليف أمة ليبره من شعوب الشرق الأعجمية المسلمة يجعلهم كلهم تركا لأنه ليس لأحد منهم لغة علمية غير مدونة إلا الفرس الإيرانيون والافغانيون. وكذا لغة الأوردو في مسلمي الهند، على أن اللغة التركية فاشية في أكثر بلاد إيران، ومن لم يمكن إدغامه في الأمة التركية باسم الوحدة الطورانية ورابطة اللغة التركية، فإن من الممكن إدغامه فيها بالتبع للخلافة الإسلامية، ثم يكون أولاد هؤلاء تركا بالتعليم والتربية بعبء للحكومة. وحزب العصية التركية المحضة، معارض لحزب العصية الطورانية العامة. إذ يخاف أن يضع الترك فيها كما ضاعوا في الجامعة العثمانية. أو الإسلامية بزعمه. وليس من غرضنا هنا تحقيق هذه المسائل ولا انتقادها، بل التذكير عما فيها من معارضة الإمامة الإسلامية بأوجز عبارة، ولانيأس من اقناع الكثيرين منهم بالجمع بين الجنسية والإسلامية

وهناك فريق من المتفرنجين — ومنهم بعض المتدربين — من غيرهم يرون أن إقامة الخلافة الإسلامية وجعل رئيس الدولة هو الإمام الحق الذي يقيم الإسلام متعذر في هذا الزمان في دولة مدنية، فاما أن تكون الخلافة في الدولة التركية اسمية كما كانت في الدولة العثمانية ينتفع بها بقدر الامكان ويتقى شر استبداد الخليفة وتكون الحكومة مطلقة من قيد التزام الشرع، في الأحكام التي لا يمكن العمل بها في هذا العصر، واما أن يستغنى عنها البتة. واستماله حزب الإصلاح لهؤلاء أيسر من استمالته لغيرهم

٢٠ — حزب حشوية الفقهاء الجامدين

إن جيم علماء الدين وأكثر العامة المقلدين لهم يتمنون أن تكون حكومتهم إسلامية محضة، والترك يحتمون أن تكون تابعة لفقهاء المذهب الحنفي، ومنهم من لا يرى مانعا من الأخذ في بعض الأحكام بفقهاء غير الحنفية من

المنار: ج ١ ص ٢٤ الردة عن الاسلام بتقصير العلماء وتمطيل منصب الخلافة ٦٥

مذاهب أهل السنة ، ولا يبالون بما خالف ذلك من مدنية مصر ، ولكن هؤلاء العلماء يعجزون عن جعل قوانين العسكرية والمالية والسياسية مستمدة من الفقه التقليدي ويأبون القول بالاجتهاد المطلق في كل الماملات الدنيوية ، ولو فوض اليهم أمر الحكومة على أن ينهضوا بها لعجزوا قطعاً ، ولما استطاعوا حرباً ولا صلحاً ،

طالما بينا في المنار أن تقصير علماء المسلمين في بيان حقيقة الاسلام والدفاع عنه بما تقتضيه حالة هذا العصر هو أكبر أسباب ارتداد كثير من متفرنجة المسلمين عنه ، وأنهم لو بينوه كما يجب لدخل فيه من الافرنج أنفسهم ، اضعاف من يخرج منه بفتنتهم . وان سبب ذلك أو أهم أسبابه أنه ليس للمسلمين امام ولا جماعة تقيم ذلك بنظام ومال كما يفعل امام الكاثوليك (البابا) وجمعيات التبشير في بلاد النصرانية ، على ان السلاطين والامراء واتباعهم قد أفسدوا العلماء وأبطلوا عليهم زعامتهم للامة الا فيما يؤيد ظلمهم واستبدادهم كما ذكرنا انفا ولو كان للمسلمين خليفة قائم باعباء الامامة العظمى لما أهمل أمر الدفاع عن الاسلام والدعوة اليه حتى كثر الارتداد عنه ، وغلب على الدولة العثمانية من لا علم لهم به ، أليس من الغريب اني لما وضعت مشروع الدعوة والارشاد للقيام بهذه الفرائض التي هي أول ما يجب على إمام المسلمين وجماعتهم لم يوجد في وزراء الدولة ولا رؤسائهم من تجرأ على اجازة هذا الاسم ؟ وان الذين استحسنوا المشروع اتفقوا على تسمية جمعيته بجماعة العلم والارشاد ؟ نعم إن مستشار الصدارة قال لحقي باشا الصدر الاعظم أمامي : اذا اتقنا هذا المشروع ألا نلقى مقاومة من الدول العظمى ؟ فأجابه : إن لدولة البلغار مدرسة عندنا لتخريج الدعاة الى النصرانية أفتسكون دولة الخلافة في عاصمتها دون دولة البلغار حرية في دينها ؟ ولكن هذا الصدر الاعظم لم ينفذ المشروع ولم يساعدنا فيه أدنى مساعدة ، وإنما اغتنمنا فرصة سفره الى ايطالية وسرطلت بك وزير الداخلية وزعيم الاتحادية الى أدرة لتقرير المشروع رسمياً ، وأعاني على ذلك انعقاد مجلس الوكلاء برئاسة شيخ الاسلام موسى كاظم افندي أحد أنصاره فما زلت الح عليه حتى أصدر - رحمه الله - قراراً من المجلس بتنفيذه ، ثم جاء طلعت بك فأفسد الامر

وكان الذي يسمونه السلطان و(الخليفة) في قصبه، مغلوبا على أمره ، لا يكاد يصحو من سكره، ولا ترجو المشيخة الاسلامية منه قولا ولا عملا في هذا الامر ولا غيره، ولما اذا كان تفوذ مثل طلعت وناظم أغلب عليه من تفوذ شيخ الاسلام وشيوخ دار الفتوى ؟ اليس لمجز هؤلاء الشيوخ واعوانهم من ادارة أمور الدولة وعن اظهار كفاية الشريعة ، وعن إثبات أصول الاعتقاد والعمل بها بالحجة، ودفع كل ما يرد عليها من شبهة ؟ اليس لانهم غير متصفين بما اشترطه أئمة الشرع في اهل الحل والعقد ، من العلم والسياسة والكفاية والكفاءة ؟ على أن تفوذ علماء الدين في بلاد الترك أقوى منه في مثل سورية ومصر، ولكن خصومهم من المتفرنجين أقوى منهم ، وكل من الفريقين يعد الآخر سبب ضعف الدولة، وتقهر الامة ، والحق أن الذنب مشترك بينهما. وأن نصب الامام الحق وجعل الدولة الترية كافلة لمنصب الخلافة ، لا يتم الا بجمع حزب الاصلاح لكلمة المسامين المتفرقة، بجذب أكثر اصحاب النفوذ اليه ، حتى تنحصر صفات اهل الحل والعقد فيه ، وإنما يكون ذلك بتحويل العلماء منهم عن جمود التقليد وعصبية المذاهب ، وكشف شبهات المتفرنجين على الدين والشرع ، وبيان الخطأ في عصبية الجنس ، فان كان اقناع السواد الاعظم بذلك غير مستطاع الآن، فحسب هذا الحزب من النجاح الرجحان على سائر الاحزاب، واستعداده لذلك بما سنبينه من الاسباب .

إن الاسلام هداية روحية، ورابطة اجتماعية سياسية، فالكامل فيه من كلمتاه ، والناقص فيه من ضعف في احدهما أو كليهما ، وقد فقدهما معا الملاحدة من غلاة العصبية الجنسية، فهؤلاء لا علاج لهم، لا عند أنصار الخلافة ولا عند غيرهم، لكن بيان حقيقة الاسلام، وما فيه من الحكم والاحكام ، الكدالة لارقي معارج المدنية والعمران، مع الخلو من كل مافي المدنية المادية من الشر والفساد ، على الوجه الذي سنشير اليه في أبحاثنا هذه — يقل من حدهم ، ويوقفهم عند حدهم، بل يهدي من لم يحتم على قلبه من أفرادهم ، وهو بهداية الكثير من غيرهم أقوم ، ومجاح الدعوة فيهم أرجى

حسبنا هذه الاشارة الى ما يجب من السعي لهذا العمل في الترك ، وأما الشعب العربي الذي هو أصل الاسلام وأرومته ، ولا حياة له الا بلفته، ولا

تم أركانه الا بفريضة الحج التي تؤدي في بلاده، وهو الركن الاجتماعي الوحيد الجامع بين شعوبه، ولا يمكن ان تكون الامامة الصحيحة العامة بمعزل عنه، — فهو شعب كله متدين، ليس في جزيرته إلحاد ولا تفرنج، وإنما آفته الجهل بطرق ادارة البلاد وعمرانها، وبالعلوم والفنون التي يتوقف حفظ الاستقلال وعزة الملة عليها، وتعادي الامراء، ودسائس الاعداء، فكل ما يجب له على حزب الاصلاح، اقناع أمرائه بما يجب من الاتحاد، ومساعدتهم على ما يجب من أعداد وسائل القوة والعمران، وها نحن أولاء نذكره بما يجوز نشره من برامج الاعمال. وأساليب الاستدلال (للكلام بقية)

خطاب أحد زعماء النهضة الاسلامية الهندية

الذي قدمه عند محكمته للمحكمة الانكليزية

ومقدمة مترجمة

في وصف ثورة الهند السياسية السلبية وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية (*)

المقدمة

إن الجهاد العظيم الذي قامت به الهند المستعبدة منذ خمس سنوات متواليات لصون الخلافة الاسلامية، وحرية البلاد العربية، يكاد يكون فدا في تاريخ العالم لا لانه جهاد بلاد استعبدت استعبادا شديدا، وحكمت بالنار والحديد اجيالا، وصبت على رأسها المصائب تلو المصائب، ودهمتها الدواهي إثر الدواهي بل لان

(*) صاحب الخطاب هو الزعيم الهام، الاستاذ العلامة الكاتب الخطيب الشيخ أبو ال كلام، والمترجم صاحب المقدمة هو الشاب النجيب، وغصن دوحه الاصلاح الرطيب. الشيخ عبد الرزاق المليح الهندي تلميذ دار الدعوة والارشاد بمصر

اصوله جديدة ، وطرق عمله عجيبة ، ومظاهراته سلمية ، وروحه العاملة فيه خالية من كل حقد وشدة ، وليس فيه الا الايثار ، وهضم النفس ، وكظم الغيظ ، وتقديم المهيج ، وتحمل الشدائد — القائمون به يُقتلون ولا يُقتلون ، يُضرون ولا يُضربون^(١) ، يصابون ولا يصيبون ، يقاومون القوة لا بالشدة والبطش ، بل بالصبر والحلم والسلم ، ومحاربون الاستبداد لا بالسيف والرمح ، بل بالايان واليقين والثقة بالله ربهم ، فهو جهاد سلمي حقا ، وحرب روحانية مدنية ، لا شائبة فيها من القوة والغلاظة ، بل هو في الحقيقة صحيفة عبر ، وكتاب بصائر لسائر الامم المستضعفة ، يبين لها أن الفوز والنصر لا يتوقف على بسطة الجسم والقوة المادية ، بل منبعه الحقيقي من القوة المعنوية وروحانية القلوب التي في الصدور ، وهو أول مثال للمقاومة السلمية للقوات المسلحة القتالة ، وإنه ليهب سلاحا ماضيا صائبا من الايمان والصدق للشرق المسكين ، ليحارب به الغرب الجائر المتسلح بالقوات المادية ، فهل يقبله الشرق وينجو به من الخزي والعار ؟

ألا لا يتهمني أحد بأنني أبالغ في هذا الجهاد ، أو أهيم بوصفه في وديان الخيال ، أو أتخيل كالشعراء في المحال ، بل أبين كنه الحال ، واتكلم عن حقيقة وبرهان ، فانه جهاد زعزع أساس الدولة البريطانية في البلاد ، وتركها في حيرة وارتباك ، فظلت طول هذه المدة مغولة الايدي مع ما تملك من القوة والسلاح ، ولم تستطع قهره ومقارعته بما أوتيت من البطش والجلاد ، اذ السلاح يقرع السلاح ، والقوة تصادم القوة ، والمصارع يصرع المصارع ، ولكن هل سمعت سيفا يقتل روحا ، وأن صُرعاً يصرع قابلاً ؟ نعم قهرت بريطانيا عدوتها المانية ، لأنها كانت اقوى منها وأدهى^(٢) ، ولكنها ما كان لها أن تقهر هذا الجهاد السلمي ، لانه ليس امامها قوة مادية مثلاً فتكسرهما ، ولا يدفتاكة فتجذمها ، وإنما كل ما هنالك عنق للقتل ،

(١) فيه احتباك أي: يضرون ولا يضرون من يضرهم ، ويضربون ولا يضربون ضاربهم (٢) إنما غلبتها بالدهاء الذي سخرت به أكثر أمم الارض لمساعدتها وآخرهن الولايات المتحدة الاميركية التي كانت أقوال رئيسها سبب الثورة الالمانية

وقلب للحياة ، وجسم للصلب ، وروح للبقاء ، فما أعجب هذا الجهاد ! وما أسلم هذا العراك !

ولقد كان من نتائج هذا الجهاد أن اضطرت بريطانيا على رغم انفها أن تخفف وطأتها عن الاسلام ، ولانصر على اظهار العداءة للخلافة الاسلامية ، والتمادي في حماية ربيبتها الدولة اليونانية ، فان الحكومة الهندية الانكليزية لما أرسلت بلاغها الرسمي الشهير في فبراير سنة ١٩٢٢ الى الحكومة المركزية في لندن تؤكد فيه المطالب الهندية في مسألة الخلافة ، وتحذرهما من سياستها الخرقاء في معاداة الدولة العثمانية والبلاد الاسلامية ، تأثر به الرأي العام لانكليزي أبما تأثر ، حتى تدهرجت وزارة المستر لويد جورج القاهر لمانيا ، وسقطت سقوطا مخزيا ، وكانت قد امتازت بعداءة الاتراك والمسلمين واستعمار البلاد الاسلامية المحتلة باسم الوصاية .

نعم قد سم هذا ، ولكن الايام حبلى ولاندرى مايكون وراء مؤتمر الصلح ، ومهما يكن من الامر ، فسيظل هذا الجهاد حتى تتحرر البلاد الاسلامية ، ويغادر كل جندي محتل أرض الشام وفلسطين والعراق ومصر والقسطنطينية ، فتصبح كلها حرة مطلقة من قيودها تحكم نفسها بنفسها كيف تشاء !

وان مما يحزن القلب ، ويبكي العين ، ان هذه البلاد الاسلامية التي تلتهم الهند غيرة عليها ، وتتفانى في حبها ، وترخص كل غال وثمين لاجلها ، لاتعلم عن هذا الجهاد الا شيئا لا يذكر ، مع أن سيل المصائب الذي غمر العالم الاسلامي قاطبة كان يجب أن يعرف به المسلمون بعضهم بعضا ، ويتعارفوا ويتناصروا ويبحثوا عن خطة مشتركة للتجاة من هذه الورطة ، وللغوز والفلاح والحياة في المستقبل . وهذا الذي دعاني الى أن أقدم الى مسامي مصر والشام والعراق وسائر البلاد العربية والاسلامية ، الخطاب الجليل الذي خاطب به المحكمة الانكليزية زعيم الهند الخلاجل الهمام ، الشيخ ابو الكلام احمد ، عند ما حوكم فيها ، لانه فوق ما فيه من البصائر والعبر ، يبين مقاصد ذلك الجهاد ، وطرق السير فيه بأحسن

بيان — غير أنه لا بد لايضاح كنه هذا الخطاب من بيان وجيز لحركة « اللاتعاون السلمي » التي سببته هذه الواقعة —

﴿ حركة اللاتعاون السلمي في الهند ﴾

قامت حركة هذا الجهاد بعد هدنة الحرب الكبرى مباشرة ، فظلت زمنا محصورة في قيام المظاهرات ، وحشد المحافل ، واجتماع المؤتمرات ، وارسال الوفود الى انكلترا وأوربة ، وغيرها من الطرق السياسية المعهودة . ولما لم تنتج هذه الاعمال شيئا ، تشاورت جمعية الخلافة والجمعية الوطنية الكبرى في وضع خطة للعمل ، ثم أعلنت في أغسطس سنة ١٩٢٠ « اللاتعاون السلمي » الذي هو داخل تحت الاوامر الشرعية لانه قسم من أقسام ترك الولاء للمحاربين والذي يسمى بالانكليزية Monuolent Non-cooperation ومعنى (كوابريشن) المساعدة والمشاركة في العمل ، فكان الغرض منه أن تقطع من بريطانيا جميع تلك العلائق التي تساعد في حكمها واستبدادها وقيامها في البلاد ، لان الهند ليس في وسعها أن تقوم بحركة مسلحة ولانها تريد أن تقدم مثالا عمليا لمقاومة القوة بالطرق السلمية ، فلذا جعل عنوان هذه الحركة أن تكون سلمية بالمرّة ، فلا تقابل القوة المادية بقوة مثلها ، بل بالحلم والتضحية والثبات على الحق ، تتعب القوة من الظلم والعسف ، ولا يتعب أصحاب الحق من الصبر والتضحية — وكانت لائحة عملها كما يلي :

- (١) ترد الى الحكومة جميع مناصبها وألقاب شرفها وأوسمتها
- (٢) تقاطع جميع مدارسها وكلياتها ، وتؤسس للصبيان المدارس الوطنية ، والشبان يشتغلون بنشر الحركة وترويجها —
- (٣) تقاطع جميع المحاكم العدلية ، فلا يذهب اليها المحامون ولا أصحاب الدعاوى ، بل تؤسس المحاكم الوطنية فتفصل فيها الدعاوى على الطرق البسيطة .
- (٤) تقاطع إصلاحات الحكومة التي تمن بها على البلاد ، فلا يرشح أحد

نفسه للمجالس النيابية ولا ينتخب لها أحد .

(٥) تقاطع البضائع الانكليزية ، ولا سيما القماش منها ، ويجب على الوطنيين أن ينزلوا القطن بأيديهم ، فينسج منه القماش ، وهو الذي يستعمله الناس .

(٦) يجب ترك الخدمة العسكرية لان الدولة البريطانية تستعمل الجيش الهندي لاستعباد هذه البلاد وغيرها من البلاد الحرة .

(٧) يجب أخيرا أن يمنع كل ما يدفع الى الحكومة من أموال الضرائب وغيرها فلا يؤدي اليها فلس واحد وان سجننت وعذبت ،

لا يخفى خطر هذه اللائحة ، فانها لم تكن الا دعوة الى الايثار وهضم النفس وتحمل الخسائر والتعرض للنوائب ، اذ لا يليبها أحد الا وينفض يده من وسائل معيشته ، فيذر نفسه وأهله للضنك والفقر والفاقة ، ثم يعرض عن كل ما عند الحكومة من الرتب والمنافع والشرف والفخار ، وبعد ذلك يعرض نفسه للحبس والتعذيب وقد يلقي الى القتل والصلب ، الا ان البلاد رحبت بها وتقبلتها بقبول حسن ، فأخذت جماعات تاركي التعاون تظهر من كل جهة وتعلن هذه الامور وتعمل بها ، والحكومة تراها بعينها ولا تعرف كيف تصد تيارها .

(مقاطعة ولي العهد)

ولما رأت الحكومة أن الحركة لا تزال تتقوى وتنتشر وانها لا تقدر على قهرها لجأت الى الحيل السياسية ، فدبر لوالي العام الجديد اللورد ريدنج الداهية الشهيرة ، سياحه لولي عهد انكلترة في البلاد الهندية ، ظنا منه أن البلاد لا تأبى استقباله والترحيب بضيفها لان المائلة الملكية تعتبر عندهم فوق المنازعات السياسية ، فتضعف الحركة وتعود المياه الى مجاريها —

ولكن سرعان ما خاب أماله ، فان الامة ما سمعت بهذه السياحة الاوقرت مقاطعتها ، وأعلنت جمعية الخلافة وجمعية العلماء أن هذه السياحة تنوب (عن) الامبراطورية البريطانية ، التي تحارب الخلافة والبلاد الاسلامية ، وتريد استعبادها

واستعمارها ، فلذا لا يجوز لاحد من المسلمين أن يشترك في استقبال ولي العهد ، ولا في الاحتفالات التي تقيمها الحكومة له —

ولقد قامت المازعات الشديدة في البلاد بهذا الاعلان ، فكانت الحكومة و جهة تجدد وتكذب بجميع وسائلها الكثيرة ومواردها المظلمة لانجاح هذه السياسة ، في جهة أخرى كان زعماء البلاد الذين لا حول لهم ولا قوة الاقوة لهم ، مصرين على قاطعتها ، وكانت النتيجة مدهشة جداً ، كانت هزيمة شنيعة تسجل في التاريخ الى قوى دول الارض أمام الرأي عام لبلاد ضحية الجسر ، قوية لروح ، فلقد رأى نجل امبراطور العالم بسني رسمه منظراً مدهشاً ، لم يشاهد مثله من قبل ، وربما لم يخطر في باله ، فانه ما دخل مدينة الا و بعد لاسواق فيها معطلة والدكاكين مقفلة ، والابواب موصدة ، والشوارع مهجورة ، المدينة كالأفي سكون كسكون المقابر ، كانه لم يبق فيها أحد الا المس او قد شاهد ماشاهد ، هم أليه الدوق أوف كنوت . مثل ذلك في سياحته التي تمت سياحته بسنة ، ووصفه أحد مكاتبي الجرث في باريس قائلاً « ان الهند اليوم مثل ما كانت باريس عند دخول اليهوديش الألمانية اياها في حرب السبعين ! » (للكلام بقية)

(وصف استقلال العراق بقلم شاعره معروف افندي الرصافي)

لنا (ملك) وليس له (رعايا)	و (أوطان) وليس لها (حدود)
(وأجناد) وليس لهم (سلاح)	و (مملكة) وليس لها (نقود)
ويكفيننا من الدولات انا	تعلق في الديار لنا البنود
و (أنا) بعد ذلك في (افتقار)	الى ما (الاجنبي) به (يجود)
تسود سياسة (الهندي) فينا	وأما ابن البلاد فلا (يسود)
إذا (فالهند) أشرف من (بلاد)	و (أشرف) من بني قومي (الهند)
وكم عند الحكومة من (رجال)	نراهم (سادة) وهم (العبيد)
وليس (الانجليز) (بمنقذينا)	واذ (كتبت) لنا منهم (عهد)
متى شفق (القوي) على (ضعيف)	وكيف يعاهد (الخرقان) (سيد)
ولكن نحن في يدهم (أسارى)	وما كتبوه من عهد (قيود)
أما والله (لو كنا قروداً)	لما رضيت بعيشتنا (القروء)

باب المراسلة والمناظرة

رد على الرسالة الرملية ، فيما سمنه العقائد الوهابية

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة استاذنا العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الأغر أرجو نشر ما يأتي في المنار بيانا للحقيقة التي أخفاها المحترم صاحب مجلة الاسعاد وصاحبه الاستاذ المحترم الشيخ تاج الدين في حادثة الرمل اذ كتب الثاني رسالة أسماها (الرسالة الرملية في الرد على مروجي بعض العقائد الوهابية في ثغر الاسكندرية) ونشرها صاحب المجلة المذكورة واسماها (الرسالة الجليلة) وعقبها بنجر غير صحيح لم يعزه الى مصدره الحقيقي بل عزاه الى نفسه ليوم أنه كان حاضرا ويلبس على القراء

وقد نشرت الرسالة المذكورة في عدد ٥ من المجلد ٣ من مجلة الاسعاد - وكتبنا ردا عليها فأبى نشره وطلب غيره خوفا على كرامة الاستاذ المؤاف كما يقول . فكتبنا غيره وأردفناه بمؤاخذته على الخبر الذي نشره غير معزو الى صاحبه طالبين منه نشره ظانين أنه كاصحاب المحلات الحرة التي تنشر ما لها وما عليها وترد بالحق كالمنار الذي يطلب كل حين من قرائه أن يوافوه بكل ما يرونه منتقدا معززا بالادلة والبراهين - وقد نشر بعضه مبتورا أولا ورد عليه بالباطل الذي طالما لفظ به المقلدون ، وفنده المهتدون . اسعادا لصاحب الرسالة علينا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أما ملخص الحادثة الرملية فهو أن أئمة المساجد منعموني من إلقاء المواعظ والدروس في المساجد التي احتكروها بالوظائف والمرتببات فالتخذنا مسجدا آخر بنيناه بأيدينا في ملك بعض مريدينا . وصرنا نصلي فيه ونقرأ الدرس بعد العشاء لمن يحضر من الاخوان فاجتمع عندنا خلق كثير وهداهم الله حتى تابوا عن الكبائر التي كانوا منغمسين فيها ليلا ونهارا . فخذ أولئك الائمة وصاروا يفترقون علينا بالكذب وينبذوننا بالالقباب ويشيعون بين الناس أننا ننكر الوسيلة والشفاعة ونسب الائمة وتنكر الوحي ويخطبون في مساجدهم بهذا

(المنار : ج ١) (١٠) (المجلد الرابع والعشرين)

ويقسمون بالله جهد أيمانهم ليصدقهم العوام . ثم كتبوا المشيخة الاسكندرية شكوى عزوا اليها فيها كل هذه المفتريات وختموا كثيرا من العوام عليها زورا وطلبوا من المشيخة ارسال وفد يخطب معهم في الاغراء بنا، وتنفير الناس عنا ولكن المشيخة وفقها الله لم ترد ذلك لما بلغها أننا براء من كل ما نسبوه اليها بشهادة بعض الكبراء وبعض العلماء الذين يعرفوننا حق المعرفة . ولما اكثروا من الشكوى، وأرسلوا وفودهم الى المشيخة ترى كلفت بعضهم بتحقيق المسألة وكان المنتظر من ذلك الوفد المؤلف من ثلاثة من علمائهم أن يحضروا الى محل الحادثة ويجمعوا الائمة الشاكين والمشكومين في بيت بعضهم بعيدا عن العامة وفي حفلة خاصة بهم ولكنهم - أرشدهم الله - لم يفعلوا وجاءوا بعد شهر الفوافيه رسالة ردا على شخص لا وجود له الا في خيالهم ينكر الوسيلة والشفاعة وكرامات الاولياء وما استحسناه من البدع وجاءوا يوم جمعة في ربيع الاول من سنة ١٣٤٠ في بعض مساجد الظاهرية وبعد صلاة الجمعة قعد القوم واحتشدوا حتى ملاؤا ما هو له من الفضاء والطرقات وقعد أحد الثلاثة الموقدين وهو الاستاذ الشيخ تاج الدين وأخرج رسالته بعد أن نوه الخطباء بفضل الوفد وعلمه وعناية المشيخة بايفاده وأن قوله هو القول الفصل ، والدين العدل واسترعوا الاسماع لقراءة الرئيس رسالته فقرأها وأنا حاضر في المسجد لا أقدر أبدي ولا أعيد من كثرة الصياح، وارتقاع الاصوات، وتحرش العوام وكلها همت برد الباطل اسكتني العوام من حولي ولما قرأ الاستاذ مسألة الشفاعة وأثبتها على الوجه الذي نعتقده استطعت أن أرفع صوتي بالموافقة في بعض المواضع التي لا خلاف فيها ثم انتهى الشيخ ولم يكده حتى قام ثاني الوفد الشيخ شريف وخطب وخصني بالكلام نحاملا اذ قال: يا فلان اتق الله - يكررها - ولا تفرق الناس ونحو ذلك ثم قام آخر وارتقى المنبر بغير دعوة وصار يحرض الناس ويشير الفتنة يسب ويشتم تصریحا وتلويحا والعلماء حاضرون واكثر العوام والخصوم فقامت من بينهم بعد أن أشهدتهم ورددت عليه وقلت والله انا كنا على الحق ولا زلنا على الحق والله لا نصرن السنة مادمت حيا ان شاء الله، وما كدت أخرج من باب المسجد حتى ابتدرني العوام ضربا ولصكا ولم ينقذني من بينهم الا رجال الشرطة وبعض الاخوان

وأما الرسالة فقد احتوت على اثبات الشفاعة التي لم ينكرها أحد ليقال انه رد على من ينكرها وليدخل أو يلصق بها ما يسمونه اليوم بالتوسل والمراد دعاء الموتى وسؤالهم قضاء الحاجات وقد بنى اثبات هذه الوسيلة على حياة الاموات في قبورهم وسماهم من مخاطبتهم واستجابة دعائهم وردهم عليه السلام او استدلال ببعض الأحاديث الضعيفة وبالأية الواردة في حياة الشهداء وحديثين من أحاديث الصحيح في سؤال القبر والزيارة وهي حجة عليهم لا لهم لو كانوا منصفين ثم قاس على حياة الشهداء - التي أثبتها القرآن لشهداء الصحابة في بعض الغزوات - حياة جميع من يسمونهم الاولياء وبنى على هذا جواز دعائهم والاستغاثة بهم في تفرج الكروب وقضاء الحاجات لانه لا فرق عندهم بين رد الميت السلام على من سلم عليه وبين استجابته الدعاء واجابة سؤال من توجه اليه ولا سيما اذا قدم له هدية من صدقة وقرآن (كذا قال الشيخ تاج الدين) في رسالته وذكر واقعة حال جرت بينه وبين وليه أبي العباس وكفى بها مصورا لعقائد امثاله وهذا نصها نقلا عن مجلة الاسعاد وهو :

« كم من منح وتفحات ، ونوال وافئآت ، شوهدت بسبب الزيارات والتوسلات ، باصحاب هذه المقامات : فما وقع للفقيه جابر هذه الكلمات اني اضطرت (تأمل) وقتنا الى الانتقال من مسكن الى آخر بمدينة الاسكندرية وكاد الحصول على المطلوب يتعسر أو يتعذر (تأمل) لضيق الجهة التي اريد السكنى بها بسكانها فتوجهت (تأمل) لزيارة سيدي احمد المرسى أبي العباس رضي الله عنه فبعد أن سلمت ووهبت لروحه الكريمة (تأمل) ما تيسر من القرآن توسلت به الى الله تعالى في ذلك المطلوب (تأمل) وشكوت له هذه الضائقة (تأمل) كاني اكلم حيا اشاهده (تأمل) واخاطبه وكان من كلامي له رضي الله عنه هذه العبارة (إن كان لكم كرامات فلم تكن لامثالنا وقد جئنا لتعليم العلم) ثم خرجت فاعترضني بجوار ضريحه أحد كنامي البلدية فسألته عن مسكن فإشار الى دار بهذه الجهة تدعى بدار الحاج علي الخولاني وقرع بابها فنزل صاحبها المذكور باسم الوجه ترى عليه لوائح الاستبشار بالطارق وادخلنا ما أعده للايجار من هذه الدار فقدرت اجرتي في نفسي بما يقرب من ضعف ما خصصه لاجرة السكنى فاردت التخلص لذلك ولما ظهر لذلك الرجل حقيقة الامر لم يسه

إلا القبول بما استطيع فواقعتني تساهله هذا في ريب وحذر من ان يكون بالمسكن عيب خفي على فاستأجرته مشاهرة بدل المساهمة التي هي العادة الغالبة بالمدينة فقبل أيضاً وبعد تمام الاتفاق والتوقيع من الجانبين على الاوراق قال ان سبب هذا الاكرام أنني ساعة قرعكم الباب كنت نائماً فرأيت أبا العباس واقفا على سطح مقامه يناديني بيا علي إني مرسل اليك من يسكن بدارك فاكرمه فابقظني قرع الباب فاحببت أن أقابل هذا الطارق بنفسي ، لعله المرسل من قبل السيد المرسي ، فتحققنت ما رجوت لاني رأيتك كثيراً بمسجده (تأمل) وعزمت على اكرامك بكل مايمكنني اجابة لهذا الولي الذي لم أره في منامي مدة حياتي غير هذه المرة) قال الشيخ فشكرته ألخ ،

هذه الحكاية تمثل لنا عقيدة الشيخ الذي يرد على الوهاية وتمثل لنا أيضاً عقيدة صاحب مجلة الاسعاد الذي نصب نفسه لافتاء الناس وكتب على مجلته عنوان اكبر المجلات الاسلامية الاصلاحية . . .

ثم هو يصف هذه الرسالة القبورية بالجليلة راضياً بما فيها ويرد على من قام يدفع عن نفسه تهمة الكذب التي ألصقها به الجاهلون فالاصلاح عند هؤلاء المصلحين تضليل من يهتدي بهدي السلف الصالح ، واقنائه بالنظريات والتأويلات لا تباع خرافات القبوريين واصحاب الموالد الخ (عبد الظاهر)

(المنار) قد تكرر تفنيدها الخرافات الجبت الوثنية فنكتفي هنا بتذكير طلاب الحق بالمسائل الآتية المفصلة في المنار من قبل وهي

- (١) ان ما ورد من النصوص في عالم الشيب حياة الشهداء وسماع ارواح المؤمنين والكفار كلام أهل الدنيا — يجب الايمان بما صبح منه كما ورد بلا زيادة ولا نقصان ولا يجري فيه القياس ، بل هو مبني على السماع . وهذه مسألة لا خلاف فيها ولكن ادعياء العلم عندنا يدرسون بعض كتب الكلام والاصول لاجل المناقشة في عباراتها استعدادا للامتحان ولا يعقلون منها شيئاً .
- (٢) ان هذه مسألة اعتقادية لا تقوم الحجة عليها الا بالادلة القطعية ولو كان الصالحون يقضون حاجات الناس بعد موتهم وكان طلب ذلك مشروعاً لبينه الله في كتابه وعلى لسان رسوله (ص) بياناً لا شبهة فيه ولتواتر فعله عن الصحابة والتابعين (رض) ولكن لم يرد فيه نص قطعي ولا خبر صحيح ظني

(٢) ان الرؤى والاحلام لا يثبت بها حكم من أحكام الفروع الشرعية التي يكتفون فيها بالأدلة الظنية ، فضلا عن العقائد وأصول الايمان التي يترتب عليها السعادة الابدية أو الشقاء الابدي ، فرجل مشغول الخيال بأمر من الامور تخيله في نومه واقماً على ما يجب في صورة مطابقة لمقيدته في ميت وافق تخيله الواقع ، هل يثبت بهذا أصل من عقائد الدين أو أي شيء يعتد به شرعاً ؟ أو يعد من خوارق العادات ؟ كلا ان مثل هذا يقع كثيراً لاهل كل ملة ولا سيما الوثنيين ، والروايات عن المتقدمين والمتأخرين فيها كثيرة ، ولكن أدعياء العلم عندنا لا يعرفون من أمر العالم ولا من تاريخه شيئاً يعتد به . وان علماء النفس المتأخرين قد أثبتوا أن بعض الناس يشعرون في المنام أو اليقظة ببعض ما تتوجه اليه أنفسهم من الامور وينقلون وقائع كثيرة في ذلك . فلا يبعد على هذا أن تكون نفس صاحب الدار قد شعرت وهو نائم بأن رجلاً في مسجد المرسى سيطلب منه ان يسكن في داره قصور له الخيال ان المرسى هو الذي أرسله ويطلب إكرامه . فهل نرتب على هذا المنام الذي تكثر أمثاله في كل أمة وملة ان المرسى سمع دعاء الشيخ اللاجيء اليه واستجاب له وتمثل لصاحب الدار في منامه وأخبره بما أخبره وأمره بما أمره ، ثم نجعل هذا دليلاً على شرعية الذهاب الى القبور التي اتخذت مساجد فاستحق متخذوها لعنة الله على لسان خاتم رسله في آخر حياته وندعوهم بان يقضوا حاجتنا ، خلافاً لكتاب ربنا وسنة نبينا وسيره سلفنا الصالح . (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا . ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا)

﴿ أهم أخبار العالم ﴾

إن انباء مؤتمر الصلح بين الشرق والغرب في لوزان ، ما زالت تشيل وتهبط بها كفتا الميزان ، ولن تعتدل حتى يعتدل الفريقان ، والظاهر ان السياسة البريطانية ، قد فازت في هذا الطور على السياسة الفرنسية ، فاذا تم للورد كرزون استمالة الترك فالويل للعرب عامة ، ولمصر خاصة ولن يتم ذلك ان شاء الله ، وانما نرجو أن يتم الصلح على قاعدة الاعتراف بحرية الامم واستقلالها والا فلا سلام في الارض حتى ينتقم الله من الباغين انتقاماً آخر يتوبون به اليه من استعباد خلقه

﴿ تقریظ المطبوعات الجديدة ﴾

كان شقيقنا السيد صالح رحمه الله تعالى قد اختص نفسه بتقريظ المطبوعات الجديدة في السنين الاخيرة فكان يأخذ أكثر ما يهدي منها الى المنار ويضعه في مكتبه ويتخير للتقريظ ما شاء منها متى شاء ويحول علينا أقله أحيانا. ولم يتيسر لنا بعد وفاته أن نحصى ما ترك تقريظه وإنما جمعنا بعضه فننوه به من غير مراعاة للتأريخ، وللمكانة هذه الكتب والمصحف في التقديم والتأخير

﴿ مسند الامام زيد المسمى بالمجموع الفقهي ﴾

قد طبع هذا الكتاب المسمى بهذا الاسم في العام الماضي بمصر سنة ١٣٤٠ الامام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب هو أحد أئمة أهل البيت الاعلام، عليهم التحية والسلام، وهو الذي ينتمي اليه الزيدية روى الحديث عن أبيه وأخيه محمد الباقر وأبان بن عثمان بن عفان وعروة بن الزبير وعبد الله بن أبي رافع، وروى عنه ابنه حسين وعيسى وابن أخيه جدنا جعفر الصادق والزهري والاعمش وشعبة وكثيرون منهم أبو خالد صمرو بن خالد الواسطي الذي روى هذا الكتاب الموسوم بالمجموع الفقهي الذي يسونه مسند الامام زيد أيضاً، وهذه التسمية ليست على اصطلاح المحدثين فانما الكتاب مجموعة أخبار وآثار مرتبة على أبواب الفقه ككتب السنن، والأخبار المرفوعة فيه على كثرتها قد رواها بصيغة: حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نذا أو فعل كذا. ولديهم مجموع آخر يسمى المجموع الحديثي من رواية أبي خالد أيضاً

فأما الامام زيد فلا خلاف بين علماء الحديث وغيرهم في توثيقه وعلمه وفضله وصلاحه، وهو الذي رفضه غلاة الشيعة لتوليه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما إذ قالوا له: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نبأ بك. فقال لا أبرأ منهما، فقالوا: اذن نرفضك — قال اذهبوا فأنتم الرافضة، فلزمهم هذا اللقب. وأما أبو خالد الواسطي فقد جرحه في الرواية الامام أحمد ويحيى بن معين وأبو داود والحاكم ويحيى بن بعض علماء الزيدية عن ذلك بأنه من قبيل طعن أهل كل مذهب في كل

مخالف لمذهبهم — ولا يصدق هذا على أمثال هؤلاء الأئمة فانهم لم يكونوا يحاربون أحداً ولا يتعصبون لمذاهب معينة ولا يتحاملون على أحد في الجرح والتعديل، وقد رووا عن كثير من مخالفهم في بعض المسائل لما ثبت عندهم عدالتهم، على أن المذهب الذي قيل إنهم يجرحونه لاجله هو مذهب الامام زيد وهم متفقون على عدالته وفضله والحاكم منهم زعة تشيع معروفة. وكان أقرب من هذا العذر أن يقولوا إنه انقرضت رواية أحاديث لم يروها أحد منهم فظنوا فيه أنه هو الذي وضعها، أو وجدها مكتوبة ولم يسمعها، وقد احتاط البخاري في ذلك فوصفه بأنه يروي المناكير، وهم لم يطعنوا فيه بشيء آخر غير هذه الأحاديث التي لم تعرف عن أحد غيره من رجال طرقهم. وقد أشار بعضهم إلى أن جرحه من قبيل أقوال بعض المعاصرين بعضهم في بعض، وما قلنا أقرب إلى ذهن المستقل لأنه لم يكن ممن يظهر فيهم أنه من أقران من تكلموا فيه. هذا وإن أكثر أحاديث الكتاب مخرجة في غيره من كتب الحديث المشهورة ومذهب الزيدية أو المعتزة ليس مبنياً عليه وحده بل هو مبني على الاجتهاد الصحيح وقد أنبتت أرض اليمن في القرون الأخيرة التي مات فيها العلم الاستقلالي في أكثر بلاد الاسلام أثمة لا يستطيع أحد رأى كتبهم أن يماري في اجتهادهم، أو أن يفضل عليهم قريناً من علماء سائر المذاهب في أمصار الاسلام سواء المذاهب المنسوبة إلى السنة والمنسوبة إلى الشيعة الامامية، ومن يماري في اجتهاد ابن المرتضى وابن الوزير والمقبلي والشوكاني؟ دع الذين جمعوا بين امامة العلم وامامة الحكم كالحادي والناصر ويحيى والمتوكل، وهم يشترطون في الامام الاعظم (خليفة المسلمين) ما يشترط اهل السنة من الاجتهاد في الدين ولذلك بقي الاجتهاد فيهم وسيبقى ان شاء الله تعالى وان ضعف العلم في هذا الزمان

وقد طبق الحافظ ابن حجر على أئمتهم حديث « سيبقى هذا الامر في قريش ما بقي من الناس اثنان » وهو يدل على اعترافه بصحة إمامتهم، وتبعه في ذلك غيره كالقسطلاني فذكره في شرحه للبخاري من غير عزو ولو أنهم كانوا يعنون بالدعوة إلى الاسلام وإلى إقامته في البلاد والقبائل التي درست رسومه فيها من جزيرة العرب وغيرها كما فعل الشيخ محمد عبدالوهاب وخلائقه في نجد وما حولها، لاحيوا الاسلام وعمت إمامتهم جزيرة العرب

كلها ، مهما يكن من مقاومة الدولة لهم فيها .

هو القصاصد والمصائف في كتابان في مجلد واحد لداعية العصية العربية أبي الفضل الوائدين طعنة الشهير وقت هذا العربي الاني الكاتب الشاعر حياته على إحياء العصية العربية وتجديد مجد العرب وملكهم فأثراً أولاً جريدة سهاها (الحمراء) تذكرياً بمجد العرب في الأندلس ثم كان يكتب في جريدة النهضة العربية (وكنتاهما صدرتا في الأرجنتين) ولم تكن المصنفتان قبل احتجاجيهما تتسلمان للحدرات أفكاره ، فكان ينشر شعره ونثره في دواوين خاصة ، وقد طبع ديوانه الأول الطبعة الثالثة في (سان باولو — البرازيل) سنة ١٩١٥ وكان في سن الحادية والعشرين ثم طبع في سنة ١٩١٦ مجموعة مقالات أدبية سهاها (نقحة الورد) ختمها بمقالة في الدعوة العربية التي تتجلى في مقالات كثيرة منها ، وكان يدعو إلى اتحاد النصارى مع المسلمين في القومية العربية على القاعدة التي يدعو إليها السياسيون المتدينون وهي أن الدين لا يمنع من اتفاق المختلفين فيه على مصالحهم الدنيوية المشتركة ، بل قال إن كانت الوحدة العربية تتوقف على توحيد الدين فهو يدعو أهل ملته النصارى إلى الإسلام لأجل تحقيق تلك الوحدة .

وأما هذه القصاصد والمصائف التي كانت آخر ما نشره من نظمه ونثره فهي إسلامية عربية يدعو فيها إلى تجديد مجد الإسلام بالعرب وتجديد العرب بالإسلام فقد كتب على طرفها أنه « طبعها بنفخته وعنايته لخدمة الدين والأمة والوطن » وأنه ألفها في سنتي ١٣٣٧ و ١٣٣٨ و طبعها في سنة ١٣٣٩ وقد صرح فيها بإسلامه وافتتحها بالبسملة ولكنه بنى دعوته على شفا جرف هار ، بنى عليه قصوراً من الخيال ، دونها الحمراء والزهرراء في البهجة والجمال ، وحصوناً من الأمانى دونها الأبلق الفرد ، بل جزيرة هيلوجلند ذلك بأنه اشترى بشورة الحجاز والمملكة العربية فيه . فطلق يدعو سائر العرب والمسلمين إلى مبايعة ملكه ، وهو لا يدري أنه قد قيد نفسه بوصاية دولة أذمرت بيئته أو أكلت أو شربت فيه أو دفن أحد من بنيها في أرضه تزعم أنه صار ملكاً لها وزال كل حق لأهله منه إلا ما تمنحه هي لمن تستخدمهم في استعباده — وهو لا يدري كنه استعداد الحجاز وأهله للحكم والملك ، ولا ولا . . . إنما هو أديب غلام ، وشاعر مؤثر ، وغبور على أمته ، ولكنه أخاع ، جهاده بوضعه في غير موضعه يعني أن لا تثنيه خيبة الأمل من هذا الطريق على سارك غيره . في جهاده ونصائحه

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ
وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذْكُرُونَ إِلَّا أَزْوَاجًا لِّبَابٍ

المجلد
١٣١٥

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَ
أَمْرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَزْوَاجٌ لِّبَابٍ

قال عليه الصلاة والسلام ان الاسلام ضي « وضاء » كمنار الطيريه

٣٠ جمادى الآخرة ١٣٤١ - ٢٧ الدلو (٢ ش) سنة ١٣٠١ هـ ١٦ فبراير ١٩٢٣

﴿ فتاوى المنار ﴾

عقود ضمان الحياة والمال من التلف والمكوس وقراءة العامي للحديث

(س ٣-٥) من صاحب الامضاء في بيروت

حضرة الاستاذ الفاضل واللودعوي الكامل مولانا السيد محمد رشيد افندي
رضا صاحب مجلة المنار الغراء لازال منارا للاسلام، وكهفًا للانام. أتقدم الى موائد
علمكم الشريف بالاسئلة الآتية :

رجل ضمن محل تجارته من الحريق في احدى شركات الضمان (السيكورتاه)
على مبلغ معين من المال وقدر الله واحترق ذلك المحل فهل يجوز له شرعا مطالبة
شركة الضمان بهذا المبلغ ويكون حلالا له أم لا ؟ وهل كل انواع الضمانات ضد
الحريق والحياة والغرق والسرقة شرعية يجوز عملها أم لا ؟ وهل الرسوم الجركية
التي تؤخذ على البضائع التجارية هي من المكوس المحرمة التي لا يجوز أخذها ؟
وإذا كانت حراما يجوز للانسان دفعها ولا يأنم على ذلك أم لا ؟
وهل يجوز للعامي الذي لا يعرف نحوا ولا صرفا أن يقرأ حديث رسول الله صلى

الله عليه وسلم مع اللحن فيه ام لا ؟ تفضلوا بينوا لنا ذلك والله يجازيكم على نشر
أحكام شرعه أحسن الجزاء
السائل

محمد طاهر الملاقي ببيروت

(ج) ١ — كل ما في السؤال الاول فهو من المعاملات المالية غير المشروعة
في الاسلام فلم يرد بها نص من الشارع، ولم يقررها بالاجتهاد امام عادل، وانما هي من
العقود الحادثة عند أولي المدنية المادية في هذا العصر . ومن التزامها في غير دار
الاسلام والعدل لزمته شاء أم أبى ، وانما هو مخير في أخذ ما ثبت له دون ما ثبت
عليه ، والمؤمن في غير دار الاسلام أن يأكل مال أهلها بعقودهم ورضاهم فهو
لا يكلف معهم التزام احكام دار الاسلام التي يلتزمون بها ، ولكن عليه ان يحاسب
نفسه على اضياع ماله باختياره فيما له مندوحة عنه ، وليس له ان يخون الحكومة غير
الاسلامية بدارها في المكوس المقررة عندها في نظامها ، واما اذا استطاع اسقاطها
او تخفيفها بغير السرقة والخيانة فلا بأس .

٢ — وأما المكوس في دار الاسلام فقد ورد في السنة ما يدل على تحريمها وهو
معروف وجماهير الفقهاء يحصرون مال الحكومة الاسلامية بما يذكرونه في كتب
الفقه كالغنائم والخراج وزكاة أموال المسلمين وجزية الذميين وما يستخرج من
الارض من الدفائن والمعادن . ولكن بعض المحققين بينوا أنه يجوز للامام (العادل)
استحداث ضرائب جديدة اذا توقف عليها القيام بأمر الملك، وحاجة الجند

قال الامام الشاطبي في المثال الخامس للمصالح المرسلة من كتابه الاعتصام
(ص ٩٥ ج ٢) مانصه: « اذا قررنا اماما مطاعا مقترا الى تكثير الجنود لسد الثغور
وحماية الملك المتسع الاقطار، وخلا بيت المال، وارتفعت حاجات الجند الى ما لا يكفيهم
(اي بيت المال) فللامام اذا كان عدلا ان يوظف على الاغنياء ما يراه كافيا لهم في
الحال ، الى ان يظهر^(١) مال بيت المال. ثم اليه النظر في توظيف ذلك على الغلات
والتجار وغير ذلك . . . (قال) وانما لم ينتقل ذلك عن الاولين لاتساع مال بيت

المال في زمانهم بخلاف زماننا . فان القضية فيه اخرى ، ووجه المصلحة هنا ظاهر فانه لو لم يفعل الامام ذلك النظام ، بطلت شوكة الامام ، وصارت ديارنا عرضة لاستيلاء الكفار ، وانما نظام ذلك كله شوكة الامام بعده فالدائن يحذرون من الدواهي لو تنقطع عنهم الشوكة يستحقرون بالاضافة اليها أموالهم كلها ، فضلا عن اليسير منها » الخ

ونقول إن حاجة الجند في زمن المؤلف رحمه الله وهو من علماء الاندلس في القرن الثامن لا تذكر بالنسبة الى حاجتهم في زماننا هذا الذي تنفق الدول فيه اكثر أموالها في الجندية وحاجها فقد صارت العلوم والفنون والاسلحة البرية والبحرية والجوية فيها اوسع علوم البشر واعمالها . ويتعذر إقامة حكومة اسلامية صحيحة تلتزم احكام فقه لا تكون مراعاة المصالح المرسلة من قواعده . ولا يكون امامها (الخليفة) واهل الشوري لديه او بعضهم من العلماء المجتهدين في احكام الشرع ٣ - يجوز للعامي ان يطالع كتب السنة للاستفادة منها فان عوام العرب يفهمون كثيرا منها فهمها صحيحا . واذا اراد ان يحفظ حديثا ليرويه ويفيد الناس به فعليه ان يعتمد على بعض اهل العلم في ضبط الفاظه وفهم معناه ودرجته في الصحة وما يقابلها

التصوير واتخاذ الصور والتماثيل ﴿

(س ٦) ومنه

الفاضل الهام مفتي الانام ، مقتفي أثر سيد الاقوام ، السيد محمد رشيد افندي رضا دام بسلام

قال بعض اهل العلم : ان الصورة اذا كانت غير كاملة أعني مشتملة على النصف الاعلى للانسان لا بأس بها ولم أعر على دليل يجوز ذلك من الكتاب ولا من السنة بل الاحاديث الصحيحة الموجودة تحرم ذلك قطعا وقد ورد عن الرسول (ص) انه قال : « من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافع » رواه البخاري ومسلم : وقد ورد في الصحيح . « ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون » او ما معناه وفي كتاب الترغيب والترهيب للشيخ الامام الحافظ زبي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري

المتوفى سنة ٦٥٦ ما نصه وعن اسامة بن زيد رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه الكأبة فسألته ماله فقال لم يأتي جبريل منذ ثلاث « فاذا جرو كلب بين بيوتهم فأمر به فقتل فبدا له جبريل عليه السلام فهش اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك لم تأتني فقال « انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا تصاوير » رواه احمد ورواه محتج بهم في الصحيح ورواه الطبراني في الكبير بنحوه اه فيؤخذ من ذلك تحريم التصوير مطلقا سواء كان باليد أو بالآلة الفوتغرافية وأيضا التماثيل النحاسية والجبسية وغيرها وقد رأينا للاستاذ الامام مفتي الديار المصرية سابقا المرحوم الشيخ محمد عبده رسما فوتغرافيا لهيئته الكريمة على ما علمه من طول باعه وكثرة بحثه واطلاعه وغيرته على الدين القويم وسلكه الطريق المستقيم وتمسكه بالكتاب والسنة وازالته للشبه والبدع فلمل فضيلة الاستاذ الامام قد اطلع على ما غمض عن الافهام بجواز حل ذلك وليس يخاف أن الاحاديث لم تقيد بزمن مخصوص بل هي عامة في جميع الازمان فالتمس من فضيلتك الجواب بتفصيل ذلك —

محمد طاهر اللادقي

(ج) تكرر بيان حكم التصوير واتخاذ الصور والتماثيل في مجلدات المنار ويجد السائل اختلاف أقوال الفقهاء في المجلدين الرابع عشر والخامس عشر وفي مجلدات اخرى وأما توفية المسألة حقها وتحرير القول في أدلتها والتحقيق فيها فيجده في ج ٥ و ٦ من المجلد العشرين ولا يمكن إعادة نشره لطوله

﴿ بيع الغائب وما ليس بمملوك ﴾

(س ٧) ومنه اذا اشترى تاجر بضاعة غير حاضرة من تاجر آخر أو قومسيونجي ودفع له الثمن أو عربونا على أن يسلمه إياها بعد شهرين حتى تحضر من محل موردها فباعها المشتري قبل حضورها واستلامها لتاجر آخر وهكذا بيعت لأشخاص كثيرين قبل حضورها فهل هذا البيع مباح شرعي أم لا ؟ وهل يجوز لمن اشترى أن يبيعها بثمنها الأصلي أو بربح أو بخسارة للتاجر أو للقومسيونجي الاول أم لا ؟ تفضلوا ببيان ذلك لا زلتم هادين مهدين ولله حق ناصرين ما

(ج) بيع البضاعة المملوكة الغائبة جائز شرعا ، وكذا بيع ما هو غير مملوك الى أجل اذا عينه بالوصف والقدر المانم للغش وهو الذي يعرف في الشرع بالسلم وله شروط يسأل العلماء عنها من لا يعرفها اذا احتاج اليها ولكن ورد في حديث أبي هريرة عنده مسلم مرفوعا « من اشترى طعاما فلا يبعه حتى يكتاله » وفي رواية « حتى يقبضه » وأخرى « حتى يستوفيه » وفي حديث عمرو ابن شبيب عن أبيه عن جده مرفوعا « لا يحل سلف وبيع ولا شرطان في بيع ولا ربح ما لم يضمن ولا بيع ماليس عندك » رواه احمد وأصحاب السنن الأربعة وصححه الترمذي منهم وكذا ابن خزيمة . وفي الاحتجاج بحديث عمرو هذا خلاف ولكن هذا الحديث عنه قد صرح فيه بالسمع وبذكر جده الأعلى عبد الله بن عمرو فالتحلاف فيه ضعيف . والمراد بالسلف فيه القرض اذا بايعه عليه لأجل النقص من الثمن . قال النووي في شرح حديث مسلم المذكور آتقا وما في معناه : وفي هذه الأحاديث النهي عن بيع المبيع حتى يقبضه البائع واختلف العلماء في ذلك فقال الشافعي لا يصح بيع المبيع قبل قبضه سواء كان طعاما أو عقارا أو منقولا أو نقدا أو غيره . وقال عثمان البتي يجوز في كل مبيع وقال أبو حنيفة لا يجوز في كل شيء إلا العقار . وقال مالك لا يجوز في الطعام ويجوز فيما سواه ووافقه كثيرون ، وقال آخرون لا يجوز في المكمل والموزون ويجوز فيما سواهما . ثم ذكر أن قول عثمان البتي شاذ . وأقول : إن مذهب مالك هو الوسط المعتدل في المسألة اذ اقتصر على منطوق الحديث فإن نوطه هذا الحكم بالطعام ليس عبثا فإن قوت الأمة لا يصح أن تعبت به الحيل التجارية ولا أن يكون من ذرائع الربا الذي حرمه الله فيه وفي النقيدين بالاجماع . والله اعلم وأحكم

(قتل الرجل امرأته)

(م ٦) من صاحب الامضاء في الكويت

الى استاذنا صاحب المنار ادامة الله

قتل رجل زوجته بلا مسوغ وله بنت قاصر منها افتونا برأيكم في القاتل وما يكون الحكم عليه في مذهب الشافعي لازلم منا رأ يستضاء بكم عبد الرحمن النقيب

(ج) جاء هذا السؤال فلم نعلم المراد منه فإن المتبادر منه أن القاتل كان عمدا وحكم القاتل المتعمد معلوم من الشرع بالضرورة بشرطه إذا ثبت شرعا ، فعمسى أن يوضح السائل سؤاله ويصرح بالامر الذي يطلب بيان حكمه

(المنار : ج ٢) (١٣) (المجلد الرابع والعشرون)

الخلافة الإسلامية

(٣)

﴿ ٢١ — مقاصد الناس في الخلافة وما يجب على حزب الإصلاح ﴾

الامور بمقاصدها — ومقاصد الناس في الخلافة مختلفة وقلما يقصد أحد منهم إقامة الخلافة الصحيحة الشرعية التي بينا حقيقتها وأحكامها ، ذلك بأن أكثرهم لا يعقلها ، ومن يعقلها من غير الاكثرين يظنون إقامتها متعذرة ، وانه لا مندوحة عن الرضى بخلافة الضرورة ، التي لا راعى فيها جميع الشروط الشرعية ، ولا جميع ما يجب على الخليفة والجماعة ، ثم هم يختلفون في حد هذه الضرورة لاتساع مجال الرأي والهوى فيه حتى لا يبقى بينهم وبين من لا يعرفون حقيقة هذا المنصب ومنافعه كبير فرق ، ولو عرفها السواد الاعظم لتمنوها ، ولو وضع نظام لا قامتها ودعوا اليه لاجابوا ، وبذلوا في سبيله ما استطاعوا باحث كثير من خواص المصريين وغير المعممين في هذه المسألة فألغيتهم متفقين على أن القصد من تأييد الخلافة الجديدة التي ابتدعتها حكومة أنقرة الجمهورية في الاستانة خذلان الدولة البريطانية في دسائسها التي ترمي بها الى جمل هذا المنصب الاسلامي الرفيع آله في يدها فيما كانت تسعى اليه من اصطناع الملك حسين في مكة والسلطان وحيد الدين في الاستانة وما آل اليه سمعها من الجمر بينهما بعد تهريبها الثاني الى مالطة ، ولم يقصد أحد من المصريين بتأييد الخليفة الجديد بالتهنئة ولا المبايعة أن يكون له على بلادهم حق إمام المسلمين الاعظم على الامة من كون حكومتهم تابعة له وخاضعة لسلطانه فيما يرى فيه المصلحة من نصب أمرائها وحكامها وعزلهم وجباية المال واخذ الجند للجهاد ولا غير ذلك من وظائف الخلافة التي ذكرها علماء الاسلام — وهذا كما ترى غرض سياسي فائده سلبية والباعث عليه الشعور الاسلامي العام الذي ولده الضغط الاجنبي ومحاولة هذه الدولة لاستعباد الشعوب الاسلامية التي بقي لها بقية من الاستقلال ولا سيما الترك والعرب ، وهو لا يتوقف على وجود الخلافة الصحيحة ولا الامام الحق والجماعة ، بل هو من قبيل المظاهرة السياسية للزعيم السياسي سعد باشا زغلول بل دونها قوة ، لاجل هذا لا يباليون ما كانت

شروط هذه الخلافة وأعمالها ، ومثلهم في ذلك سائر مسلمي أفريقيا وأمثالهم من المستذلين للأجانب ، على ان هؤلاء يتمنوز لويكونون تابعين للدولة التركية ويعلمون ان ذلك متعذر ولكن سياسة المصريين لا يتمنى أحد منهم ذلك ومسلمو الهند أشد عناية من سائر مسلمي الارض بهذا الامر ، ونصرهم للخلافة التركية إيجابي وسلبى لا سلبى فقط ، ولا يرضون أن تكون خلافة روحانية لاحكم لها ولا سلطان ، فاذا تساهلوا في بعض شروطها التي توجبها مذهبهم الذي يتعصبون له أشد التعصب بشبهة الضرورة فلا يتساهلون في أصل موضوعها والمقصد الذي شرعت لاجله وهو اقامة أحكام الشرع الاسلامي في العبادات والمعاملات المدنية والسياسية وغيرها — فهم يحتمون أن يكون الخليفة — وان متغلبا — رئيس الحكومة الاسلامية الاعلى ، ثم لا يسألون بعد ذلك أقام أحكام الشرع أم لا ، بدليل ما كان من تعصبهم لعبد الحميد الذي جعل نفسه فوق الشرع والقانون — فكان مستبدآ في كل شيء — ثم لمحمد رشاد الذي لم يكن بيده من الامر شيء — وكذا للاتحاديين الذين سلبوه كل شيء — ، ثم لوحيد الدين الى أن فرّ مع الأجانب مغاضبا لقومه ولسائر المسلمين ، فاذا ظل هذا منتهى شوطهم ، فلاحياة للخلافة الصحيحة بسعيهم ، ولا حاجة الى تأليف حزب أو جمعية غير ما عندهم ، ويمكن على هذا ارضاءهم بالخلافة الروحية بحيلة لفظية ، كأن تشترط الحكومة الفعلية على من تسميه خليفة أن يفوض اليها أمر الأحكام كلها أو ما يسمونه الآن في عرف القوانين بالسلطتين التشريعية والتنفيذية . وان كان يعلم هو وسائر الناس ان التفويض الصحيح في الشيء انما يكون ممن يملكه ويكون مختاراً فيه وانه لا يسلبه حق مراقبة المفوض اليه ومؤاخذته ولو بالعزل ، اذا خالف نصوص الشرع أو خرج عن جادة العدل ، بل هذه المراقبة على الوزراء والامراء والقواد والقضاة واجبة على امام المسلمين وهو مقيد فيها وفيما يترتب عليها بنصوص الشرع وبمشاورة أهل الحل والعقد ، لا مستبد في الامر

اذا ظل المسلمون على هذه الحالة فلا امامة ولا امام ، وقد أني لهم أن يفقهوا أن جعل ما سموه أحكام الضرورة في خلافة التغلب أصلا ثابتا دائما هو الذي هدم بناء الامنة ، وذهب بسلطة الامة المعبر عنها بالجماعة ، وترتب

عليه تفرق الكلمة، وضعف الدين والدولة، وظهور البدع على السنة. وقد انقلب الوضع وعم الجهل، حتى صار الالوف من كبراء حكام المسلمين وقوادهم وزعمائهم في دنياهم يظنون في هذا العصر ان منصب الخلافة وغيره من أحكام الاسلام هي سبب ضعف المسلمين وانه لا تقوم لهم بها قائمة، ولا يكونون مع التزامها أمة عزيزة غنية — والامر بالضد

والعلاج الشافي من هذا الداء، والدواء المستأصل لهذا الوباء، هو إحياء منصب الامامة، باعادة سلطة أهل الحل والعقد المعبر عنهم بالجماعة، لاقامة الحكومة الاسلامية الصحيحة، التي هي خير حكومة يصلح بها أمر المسلمين بل أمر سائر البشر، بجمعها بين العدل والمساواة وحفظ المصالح ومنع المفساد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكفالة القاصرين والعاجزين، وكفاية الفقراء والمساكين من صدقات المسلمين، ففيها علاج لجميع المفساد الاجتماعية، في حكومات المدنية المادية، التي ألبأت الجماعات الكثيرة الى البلشفية والقوضوية

فاذا أقيم بناء حكومة منظمة على هذه الاسس والقواعد لا تلبث بعد ظهور أمرها، أن تكون قدوة للامم الحرة التي أمرها بيدها، ولا يستطيع أكابر مجرميها، أن يمحروا بعد ذلك فيها، ليصدوها عنها ويفروها. وحينئذ ينجز الله وعده لنا، كما أنجزه لمن قبلنا، في قوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) الآية فالواجب على حزب الإصلاح الذي تقترحه أن يوجه كل قصده وهمه أولاً الى بيان شكل الحكومة الخلافة الاسلامية الاعلى بالنظام اللائق بهذا العصر الذي امتاز بالنظام على سائر العصور، ثم يحاول اقناع أصحاب النفوذ في البلاد الاسلامية المرجوة لتنفيذه بما فيه من المصالح والمنافع والسعادة، وبتفضيله على جميع أنواع الحكومات في العالم كله، وبامكان تنفيذه، ودفع كل ما للمتفرجين واليائسين من الشبهات على ذلك، وكل ذلك سهل كما جربنا بأنفسنا،

٢٢ — علاقة الخلافة بالعرب والترك

ثم ليعلم هذا الحزب ان الفوز في هذا يتوقف على التأليف والتوحيد بين العرب والترك واتفاقها عليه ولو بالجملة ومراعاة ما قوي في هذا العصر من العصبية

الجنسية مع اتقاء ضررها بقدر الاستطاعة ، وكذا عصبية المذهب عند طائفة الزيدية ، لا لان جمع الكلمة ووحدة الامة من أهم ما يجب من أعمال الخليفة فقط بل لان النجاح المطلوب في هذا الامر يتوقف على تعاون الشيعين عليه . ذلك أن احياء منصب الخلافة الصحيحة ، يتوقف على إحياء الدين والشريعة ، وانما يكون هذا بالعلم الاستقلالي في الدين المعبر عنه بالاجتهاد المطلق ، وهو يتوقف على اتقان اللغة العربية ، لاجل فهم الكتاب والسنة ، فعلاقة هذا المنصب بلغة العرب وبتاريخ العرب وبلاد العرب جلي ظاهر ، فتم مهبط الوحي ، ومظهر الاسلام الحق ، حيث قبلته ومشاعره دينه ، وموضع اقامة الركن الاجتماعي العام من أركانه ، ولا يمكن أن يماري في هذا من يماري في اشتراط النسب القرشي فيها خلافا لمذاهب السنة كلها أو العلوي الفاطمي خلافا لمذاهب الشيعة وخاصة الزيدية . العرب قوة عظيمة للخلافة ولكنها غير منظمة ولا متحدة كقوة الترك ، والعمل بالشريعة في حكومات جزيرة العرب المستقلة وأهلها أتم وأكمل منه في بلاد الترك ، ولكن هذه الحكومات غير قادرة الآن على اظهار حضارة الاسلام ولا على نشر دعوته الصحيحة على الوجه الذي يحرك الى النظر كما اشترط بعض علماء الكلام والترك أقدر منهم على الاول وأعظم عوناً على الثاني اذا قنعوا باقامة الامامة الحق على صراطها المستقيم ، فكل من هذين الشعبين يمكن أن يكمل ما ينقص الآخر في ذلك مع استقلال كل منهما في ادارة بلاده وسياساتها والسيادة فيها وارتباط كل حكومة مستقلة فيها — وكذا في غيرها . . . بمقام الخلافة مباشرة بالرضى والاختيار خضوعاً لحكم الشرع من جهة وانتفاعاً بما يمكن من الوحدة الاسلامية في كل وقت بما يناسبه من جهة أخرى

لو اتفق رؤساء حكومة جزيرة العرب على جعل واحد منهم خليفة للمسلمين وبايعوه مع علماء بلادهم وقضاةها وقوادها لما كان للترك أدنى وجه لمعارضتهم بخليفة ينصبونه في الاستانة وإن أعطوه حقوق الامامة الشرعية — وما هم بفاعلين — بل لو اتفق أهل الحجاز وتهامة ونجد أو أكثرهم على مبايعة إمام اليمن المشهود له بالعلم والعدالة والكفاية ، وأعلن هذا أنه يجري على قواعد الاجتهاد في إمامته ويقر أهل كل مذهب على مذهبهم لما استطاع أحد من علماء المسلمين لا العرب ولا المعجم أن يطعن في خلافته أو يرجح عليها خلافة أخرى ، إلا أن يتبع

أحد هواه فلا يكون لقوله قيمة ، ولا سيما اذا قام هذا الامام بالاصلاح الديني في الحجاز وسائر بلاد العرب ونظم قوى الامامة التنظيم الذي تقتضيه حالة العصر وما هو بعسير ، واذا فات هذه الامامة اعتراف بعض الاقطار الاسلامية بها اليوم فلا يفوتها ذلك غدا بعد بث الدعوة ولو في موسم الحج وحده والدين عون لهم وظهير ، ولكن اكبر مصائب العرب التفرق وحب الرياسة ومكانة مصر تلي مكانة جزيرة العرب في هذا الامر لو كانت مستقلة وارادت اقامة الخلافة الشرعية الصحيحة ولكن المتفرنجين فيها كالمفرنجين في الترك يابى اكثرهم ذلك ويجهل قيمته . والدولة البريطانية عدوة الخلافة والعرب تعارض هذا وذلك بكل قواها ، وقد كان نصرها الترك على محمد علي خوفا من تجديد شباب الاسلام بدولة عربية ، وهي تمتقدان الترك لا يجددون حياة الخلافة الصحيحة أبدا ولا ينشرون دعوة الاسلام ، وكان هذا أحد أسباب تأييدها لهم وغلقتهم في الجملة ، وكل ما قيل من أن الانكليز كانوا يسمعون لاقامة خلافة عربية في مصر أو الحجاز قبل الحرب الكبرى فهو كذب محض ، ولو فعلت ذلك مصر لاتبعتها الحجاز حتما وكذا سورية اذا استطاعتا بل تتمنى هذه الاقطار اتباعها ولو بدون اقامة الخلافة فيها ، ولعل أهل السنة وكثير من الشيعة في العراق لا يابون هذه الوحدة العربية

يظن بعض الناس أنه ينقص البلاد العربية شيء أهم من هذا الامر السلبي وهو الضعف وفقد الشوكة التي يحمونها بها الخلافة ومقام الخلافة ، بله القدرة على ما يقدر عليه الترك من الجهاد والفتح . وهذا الظن باطل فان اليمن وحدها قد حفظت استقلالها ومنصب الامامة فيها اكثر من ألف سنة ، وان الترك قاتلوا أئمة اليمن زهاء أربعة قرون وما استطاعوا القضاء على إمامتهم ولا الاستيلاء على جميع بلادهم ، مع أثره من ظاهرات ترك من أهل البلاد بسبب اختلاف المذهب . ولولا قوة اليمن لاستولى عليها الانكليز من عهد بعيد كما صرح بذلك أحد ولاة عدن منهم امام زعيم عربي حضرمي قال : لو لا هذا الامام الذي عنده نصف مليون مقاتل لو قال لهم ألقوا أنفسكم في النار أطاعوه — لاستولينا على جميع جزيرة العرب بغير قتال يذكر

هذا وان جزيرة العرب لا يخشى عليها من غير الانكليز ، وهؤلاء لا

يحاولون فتحها بالسيف والنار لموانع كثيرة — منها أنهم لا يقاتلون شعباً قويا حريياً بالطبع في بلاد وعرة كثيرة الجبال والاوودية خالية من سكك الحديد وسائر أنواع المواصلات ، ومنها أن قتال أهل هذه البلاد كثير النفقات قليل الربح بل لا ربح فيه الا اذا تيسر أخذ البلاد وأتفق على الإصلاح فيها ملايين كثيرة تقدماً لأجل الربح نسيئة ، وإنما يطمعون في الاستيلاء عليها باصطناع أمراءها وكبرائها بالدسائس والدراهم ، والتدخل فيها بحيل التجارة والامتيازات الاقتصادية بالتدريج ، وقد بذلوا في هذه السبيل أموالاً عظيمة ولا يزالون يبذلون ولم يستفيدوا به شيئاً ثابتاً يوازيه ولا قدروا أن يعطنموا به أحداً من أولئك الأمراء الا ملك الحجاز وأولاده ، ولن يستطيع هؤلاء بعد اليوم أن يعملوا لهم شيئاً لان الأمة العربية قد عرفت كنه جنائتهم عليها فدوام استمسك الدولة البريطانية بهم لا يزيد لها ويزيدهم الا مقتاً عند العرب وعند سائر المسلمين بل نقول انه ليس من أصول السياسة البريطانية الفتح بالقوة العسكرية مطلقاً ، ولم تكن الدولة العثمانية هي المانعة الانكليز من فتح هذه البلاد قبل اليوم ، فان الدولة لم تكن تستطيع إرسال جيش إليها الا من طريق البحر ، ومتى كان لها أسطول يقارب أحد الاساطيل البريطانية فيتمكن من ارسال الجند والذخيرة الى اليمن وحماة سواحلها وسائر سواحل الدولة من الانكليز اذا وقعت الحرب بينهما ؟ ولماذا لم نحم مصر أو تخرجهم منها ؟

وأما كون أهل جزيرة العرب لا يستطيعون الجهاد بقصد الفتح كالترك وهو ما فضل به الترك بعد الباحثين معنا في المسألة فيقال فيه ان من فضل الله على جزيرة العرب أنه ليس فيها شعوب أجنبية مختلفة في الجنس أو الدين يتحكون بالعرب فيغرونها بفتح بلادهم ، وان الترك لا يرون شيئاً أسلم لهم في بلادهم من اخراج الشعوب المخالفة لهم في الجنس والدين ليستريحوا من هذا التحاك وغوائله ، ولن يقدموا على قتال أحد من جيرانهم لأجل فتح بلادهم — وقد كانت حروبهم في القرون الاخيرة كلها دفاعاً للمعتدين أو مقاومة للثائرين ، ولم يكن شيء منها لأجل سعة الملك ولا لأجل نشر الدين ، وهم أحوج الناس الى الاستراحة من القتال والانصراف الى عمران بلادهم وما يتوقف عليه من العلوم والفنون ، والطامعون في سعة الملك منهم انما يطمعون في ضم

الشعوب الاسلامية الشرقية اليهم التي يمكنهم أن يجنسوها بجنسيتهم اللغوية كالكرد والجركس والتتار وسائر شعوب الجنس الطوراني . وأما الدعوة الى الاسلام من غير قتال فالعرب أقدر عليها من الترك وهم دعاة بالطبع وقد أسلم الملايين من سكان افريقية وجزائر المحيط الجنوبي بدعوة تجار العرب والدرابوش السائحين منهم ، وحرية الاعتقاد في أثر حكومات هذا العصر تفني خليفة المسلمين عن القتال لحماية الدعوة وحرية الدين كما كان عليه خلفاء العرب من الاولين إننا على علمنا بما ذكرناه نود أن يتعاون الترك والعرب على إحياء منصب الخلافة وسند ذكر ما يمتاز به الترك على العرب في هذا المقام ليعلم ان كلا من الشعبين عاجز بانفراد قومي بأخيه على النهوض بأعباء هذا الإصلاح العظيم ، الجدير بأن يغير نظام العالم وينقذ الشرق والغرب من الهلاك . وما نقرحه من وسائل التعاون والاتفاق خاصة بما سيتقرر من الخلافة الصحيحة الدائمة مع السكوت عن التعدد المعروف في الحال الحاضرة في الشعبين ، وذلك بأن يكون الذين يعلمون ويربون ليرشحوا للانتخاب الشرعي بالشورى من بيوتات شرفاء قريش وساداتها ، وان تكفل الدولة التركية هذا الاستعداد وتشرف على جميع شؤونه حتى لا يكون للتنافس فيه بين الشعبين أدنى مجال ، بل حتى يكون إحياء هذا المنصب من أكبر أسباب الاتحاد والتعاون بينهما ، وإذا شاء الترك حينئذ ان يكون مقام الخليفة في بلادهم فعلي حزب الإصلاح أن يقنع العرب بذلك ، وان كنا نرى ان الأجدر بالقبول الآن ان يكون في منطقة وسطى بين بلاد الشعبين ، على ما سنفصله بعد

والقسمة في مسألة مقام الخليفة ثلاثية وهي اما ان يكون في بلاد العرب أو الحجاز خاصة واما في بلاد الترك أو الأستانة خاصة وإما في منطقة وسطى مشتركة

٢٣ — جعل مركز الخلافة في الحجاز وموانعه

قد علمنا مما تقدم أن بلاد العرب بل جزيرتهم بل الحجاز منها هو أولى بلاد الاسلام بأن يكون موطن الخلافة الاسلامية ، ويزداد هذا ظهوراً بياني في الإصلاح الديني الذي يجب على الخليفة في هذا العصر ، ولما كان في الحجاز موانع تحول اليوم دون إمكان وجود الخلافة الصحيحة التي يرجوها المسلمون

فيه حتى في حالة الحاضرة التي لا يرضى أهل قطر اسلامي آخر معها ان يكون قابلاً له فكيف اذا أريد أن يسوس بلاد العرب كلها أو يدير شؤون غيرها من البلاد الاسلامية — فكيف اذا أريد أن يكون المثل الأعلى لافضل حكومة لا يرجى اصلاح حال البشر بدونها — واننا نذكر المهم منها — والحال هذه — وهو

(١) ان الملك المتغلب على الحجاز لهذا العهد يعتمد في تأييد ملكه على دولة غير اسلامية مستعبدة لكثير من شعوب المسلمين وطامعة في استبعاد غيرهم ولا سيما العرب، وقد أوثق نفسه معها بعقود بل قيود اعترف لها فيها بأن الامة العربية منها بمنزلة القاصر من الوصي وان لها حق تربيتها وحمايتها من الداخل والخارج حتى حق دخول بلاده بالقوة العسكرية لكبح الثورات الداخلية، ومن شاء فليراجع نص هذه الوثائق في المجلد الثالث والعشرين من المنار (ص ٦١٢ — ٦٢٤)

(٢) ان هذا الملك قد لقب نفسه بملك العرب وهو يسمى لان يعترف له بأنه هو الزعيم الاكبر للامة العربية والممثل لجميع حكوماتها المستقلة لتكون كلها موبقة وموثقة ومرهقة بتلك العهود السالبة لاستقلالها على أن كل حكومة من الحكومات العربية المجاورة له أقوى وأصلح من حكومته من كل وجه وغير مقيدة نفسها بعهود سالبة للاستقلال

(٣) إنه قد رضي أن يجعل ولديه رئيسين في بعض البلاد العربية التي استولت عليها الدولة الاجنبية المذكورة تابعين لوزارة الاستعمار في تلك الدولة كالكثير من مستعمراتها التي لها رؤساء وطنيون، فكانوا بذلك أول من دان واعان دولة أجنبية غير مسلمة على استعمار بلاد العرب

(٤) ان حكومته استبدادية شخصية غير مقيدة بشيء فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. مثال ذلك ما سمعه وما رآه في جريدتها المسماة بالقبلة من أخبار المصادرات المالية والغرامات الرسمية وغير ذلك مما لا نعرف له أصلاً في الشرع الاسلامي . وأما القوانين الوضعية فهو يحرمها ويكفر العاملين بها !!

(٥) ان هذه الحكومة خصم لكل علم يعين على الاصلاح الديني والديني في كراهتها للعلوم والفنون العصرية حتى تقويم البلاد ان تمنع (المنار : ج ٢) (١٤) (المجلد الرابع والعشرون)

كثيرا من الكتب الشرعية ككتب شيخى الاسلام المصلحين الكبارين ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من الحجاز

(٦) ما ثبت بالدلائل المختلفة من حرص أهل هذا البيت على الخلافة والامارة والملك ولو في ظل الامارة الاجنبية غير الاسلامية وقد سبق في المسألة العاشرة من هذه المباحث ان طالب تولاية لا يولى

(٧) ان اهل هذا البيت فاقدون لأمم شروط الخلافة ولا سيما العلم الشرعي بدليل ما نقرأه في منشورات الملك الرسمية وبلاغات حكومته من الإغلاط اللغوية والآيات القرآنية المحرفة والاحاديث الموضوعة على الرسول (ص) والتفاسير المخالفة للغة ولاجماع المفسرين وغير المفسرين، مع الاصرار على ذلك وعدم تصحيحه الدال على أنه لا يوجد عالم في الحجاز كله يتجراً على تصحيح آية أو حديث أو حكم شرعي ينشر في جريدتهم التي هي عنوان الجهل . ونسكت عما نعلمه باختبارنا ورواية الصادقين المختبرين أيضا

(٨) ان معظم العالم الاسلامي يمقت حكومة الحجاز الحاضرة واننا نرى الظعن فيها في صحف مصر وتونس والجزائر وجاوه والترك والهند وغيرها على أن أكثر أصحاب هذه الصحف والكاتبين فيها لا يعلمون كل ما نعلم من سوء حالها

(٩) ان الذين يسمون لاحياء منصب الخلافة في الاسلام يرمون به الى ثلاثة أغراض (أحدها) اقامة حكومة الشورى الاسلامية كما شرعها الله لتكون حجة على البشر أجمعين كما تقدم (ثانيها) اعادة مدنية الاسلام بالعلوم والفنون والصناعات التي عليها مدار القوة والعمران — تلك المدنية الجامعة بين نعم الدنيا المادية ، وبين الفضائل الدينية الروحية ، التي تحل عقد جميع المشكلات الاجتماعية ، (ثالثها) الاصلاح الديني بازالة الخرافات والبدع واحياء السنن وجمع السكامة وشد أواخي الاحوة الاسلامية وسائر المضائل الانسانية ، وليس في حكومة الحجاز استعداد لهذه المقاصد العالية ، ولا يرجى ان يرضى البيت الحاكم بالوسائل العلمية والعملية التي يتوقف عليها هذا الاصلاح العظيم

(١٠) ان الحجاز فاقد لما تتوقف عليه إقامة الخلافة من الشوكة والثروة فهو لا قوام له بنفسه فكيف يقوم بأعباء هذا المنصب العظيم ولا يرضى أحد

من مسلمي العرب المجاورين له ان يتبعوا حكومتها الاستبدادية الضعيفة فكيف يرضى بذلك غيرهم ؟

٢٤ — إقامة الخلافة في بلاد الترك وموانعها ومرجعاتها

لجعل الخلافة الصحيحة في بلاد الترك موانع ترجع الى أمرين كليين (احدهما) وهو أهمهما ما يخشى من امتناع أكثر الزعماء العسكريين والسياسيين منه لما فيه من توحيد السلطة العامة في شخص الخليفة وما تتوقف عليه الخلافة من إحياء اللغة العربية في بلاد الترك — وفروع ذلك وأسبابه معروفة — (وثانيهما) معارضة الأمة العربية ولا سيما في الجزيرة وما يتبعها ، ولكن المعارضة لا تكون مؤثرة وثابتة الا اذا جمعت الخلافة صورية كما كانت ، وأروحية كما هي الآن . ولعلهم لولا ارادة جعلها مصلحة دعاية (بوربغندة) للدولة التركية لما اختاروا لها الآستاة مدينة الفخفخة الباطلة ، والعظمة الزائلة التي صارت طرفا في البلاد الاسلامية ومهددة بحرا وبراً . فاذا كانت لا تصلح ان تكون عاصمة للدولة التركية . فان تصلح للخلافة الاسلامية بالاولى

واما اذا قبل أولو الامر من الترك أن يحموا منصب الخلافة الحق فالرجاء في تحقيق أغراضها ومقاصدها الثلاثة يكون أنم وأسرع وتقوم بها الحاجة على العرب الا اذا اجتمعت كلمة أمراء الجزيرة على مبايعة واحد منهم وذلك غير منتظر لما تقدم بسطه فيكون الرجحان لمن يؤيده الترك بالاسباب الآتية (١) ان الترك الآن في موقف وسط بين جمود التقاليد وطموح التفرنج — جمود عرب الجزيرة الذي جعل الدين مانعاً من العلوم والتقنون التي ترقى بها حضارة الأمة وثروتها ، وعزة الدولة وقوتها — وطموح التفرنج الذي يراد به انتزاع مقومات الأمة الاسلامية الدينية والتاريخية ، ومشخصاتها ، واستبدال مقومات أمة أخرى ومشخصاتها بها . وحضارة الاسلام وحكومة الخلافة هي وسط بين الجمود وبين حضارة الافرنج المادية التي تفتك بهاميكروبات الفساد وأوبئة الهلاك ، فهي عرضة للزوال ، فكيف حال من يقلدها تقليداً تأباه طبيعة أمتها وعقائدها

(٢) ان ما ظهر من عزم الحكومة التركية الجديدة وحزمها وشجاعتها

وعلو همتها وإقدامها يضمن بفضل الله تعالى نجاحها في إقامة هذا الإصلاح الإسلامي بل الإنساني الأعظم بإقامة حكومة الخلافة الجامعة بين القوة المادية والفنائل الانسانية المغنية للبشر عن خطر البلشغية والفوضوية لأنها كفالة لكل ما أطلبه الاشتراكية المعتدلة من الانصاف والانتصاف من اثره أرباب رؤوس الأموال . وهي بهذه الصفات أقدر على اتقاء كيد أعداء الاسلام الذين يقاومون الخلافة جهدا طاقهم

(٣) ان الدولة التركية الجديدة هي الدولة الاسلامية التي برعت في فنون الحرب الحديثة ويرجى اذا نجحت فيما تعنى به من الأخذ بوسائل الثروة والعمران ان تمكنها مواردها من الاستغناء عن جاب الاسلحة وغيرها من أدوات الحرب بصنعها في بلادها فتزداد قوة على حفظ حكومتها وبلادها ، وتكون قدوة لجيرانها واستاذا لهم

(٤) ان جمل مقام الخليفة في بلاد الترك وكفالتهم له يقوى هداية الدين في هذا الشعب الإسلامي الكبير ويعول دين نجاح ملاحدة المتفرنجين وغلاة العصبية الجنسية، في إبانته من جسم الجامعة الاسلامية . فيظل سياجا للاسلام وعضوا رئيسيا في جامعته الفضلى

(٥) لأن كان جهل العرب والترك في الزمن الماضي بمعنى الخلافة ووظائفها — ولا سيما جمعها لكلمة المسلمين — سبباً من أسباب تقاطعها وتدابرها التي انتهت بسقوط السلطنة العثمانية وباستيلاء الاجانب على قسم كبير من بلاد العرب والتمهيد للاستيلاء على الباقي فان مانسعى اليه الآن سيكون ان شاء الله تعالى أقوى الاسباب لجمع الكلمة والتعاون على احياء علوم الاسلام ومدنيته مع استقلال كل فريق بإدارة بلاده مستمدا السلطة من الخليفة الامام المجتهد في علوم الشرع الإسلامي المنتخب بالشورى من أهل الحل والعقد من العرب والترك وغيرهما من الشعوب الاسلامية بمقتضى النظام الذى يوضع لذلك

٢٥ — إقامة الخلافة في منطقة وسطى

إنني ضعيف الامل في كل من العرب والترك لا أرى أحدا منهما قد ارتقى الى هذه الدرجة بنفسه ، ولا أرى أية بيئة على استعدادها لما اقترحت من

تعاونهما عليه . ولست ممن يدع لليأس مسربا يسرب فيه الى قلبه ، لهذا أقترح على حزب الاصلاح أن يسعى لاقتناع الترك ولا يجعل الخلافة في مركز الدولة فان لم يستجيبوا فليساعدوا على جعلها في منطقة وسطى من البلاد التي يكثر فيها فيها العرب والترك والكرد كالموصل المتنازع عليها بين العراق والاضول وسورية ويضم اليها مثلها من البلاد المتنازع فيها بين سورية والاضول وتجعل شقة حياذ ورابطة وصل معنوي ، في مظهر فصل جغرافي ، فتكون الموصل اسما وافق المسمى . الا فليجربوا ان كانوا مرتاين في عاقبة هذا الامر العظيم وليفوضوا الى حزب الاصلاح وضع النظام لاقامة الامامة العظمى في هذه المنطقة وتنفيذ احكامها ومناهجها الاصلاحية الاسلامية فيها ، ثم لا يتبعها أحد من البلاد التي حولها الا بطوعه واختياره ، فاذا رضيت الدولة التركية بذلك على ان تكون كافلة له وذائدة عنه فالمرجو أن يرضى العرب والكرد به في هذه المنطقة وما يجاورها ، على ان يتفق الجميع من حولهم على احترامها فلا تعتدي ولا يعتدي عليها . والا وجب السعي لرد الامر الى معدنه ، واقراره في مقره ، بعد ازالة الموانع ، وتهيئة الوسائل . فان بدأ ناقصا ضعيفا ، فسيكمل ويكون قويا ، وقد « بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ ويأرز بين المسجدين كما تآرز الحية في جحرها . ولا تزال طائفة من هذه الامة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون . كما ثبت في الاحاديث الصحيحة

٢٦ — نموذج من النظام الواجب وضعها للخلافة

أول ما يجب على الحزب الذي بولي وجهه شطر هذا الاصلاح العظيم أن يضع نظاما أساسيا لحكومة الخلافة على أتم الوجوه التي تقتضيها حال العصر في حراسة الدين وسياسة الدولة أو الدول الاسلامية واصلاح الامة ، وبرنامجا لتنفيذ هذا النظام بالتدرج السريع الذي يدخل في الطاقة وكتابا في الاصول الشرعية للقوانين الاسلامية ، تقوم به الحاجة على كل من يزعم عدم صلاحية الشريعة للحضارة والعمران في هذا العصر

وبعد وضع النظام التام لاقامة الامامة على أساسها وقيامها بوظائفها وأعمالها ، يوضع نظام مؤقت ، لامامة الضرورية ، ويشرع في تنفيذ النظامين معا

مثل تفصيلي من هذا الاجال : تشأ مدرسة عالية لتخريج المرشحين للامامة العظمى وللاجتهاد في الشرع الذين ينتخب منهم رجال ديوان الخلافة الخاص وأهل القضاء والافتاء وواضعو القوانين العامة ونظم الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه ، وازالة البدع والخرافات اللاصقة بأهله . ومما يدرس في هذه المدرسة أصول القوانين الدولية وعلم الملل والنحل ، وخلاصة تاريخ الامم ، وسنن الاجتماع ، ونظم الطبائيات الدينية كالفاتيكان والبطاركة والاساقفة وجمعياتهم الدينية وأعمالها — فتن يخرج من هذه المدرسة في الزمن المعين أفراد مستجمعون لشرائط الخلافة ، ومن أهمها العلم الاستقلالي الاجتهادي والعدالة ، نزول ضرورة جعل الخليفة جاهلاً أو فاسقاً

فاذا انتخب أحد المخرجين في هذه المدرسة انتخاباً حراً من قبل أهل الاختيار — الذين يتحرى فيهم أن يكونوا من جميع الاقطار الاسلامية ولا سيما المستقلة منها بموجب الدستور — ثم يابعه من سائر أهل الحل والعقد من يحصل بهم الثقة التامة للامة كاهه قامت الحجة على كل فرد وجماعة أو شعب بأنه هو الامام الحق المائب عن الرسول صلى الله عليه وسلم في اقامة الدين وسياسة الدنيا ، وأن طاعته فرض شرعي في كل ما هو غير معصية قطعية ثابتة بنص الكتاب أو السنة الصحيحة من المصالح العامة ، ولا تجوز مخالفته في شيء من ذلك باجتهاد يعارض اجتهاده ولا تقليد نجتهد آخر ، فان اجتهاده في المصالح العامة مرجح على اجتهاد غيره متى كان من أهل الاجتهاد كما هو الواجب . وانما يتبع كل امرئ اجتهاد نفسه أو فتوى قلبه وراحة وجدانه فيما يختلف فيه اجتهاد العلماء من الامور الشخصية الخاصة به ككون هذا المال حلالاً أو حراماً . ويجوز لكل مسلم مراجعة الخليفة فيما يخلف فيه النص ولاهل الحل والعقد مراجعته في رأيه واجتهاده انزال المصلحة العامة . ومثل ما يرجح اجتهاده فيما ذكر كمثل حكم الحاكم فانه يرفع الخلاف في المسائل الاجتهادية ، ولكن من علم انه قضي له بغير حقه لا يحل له ديانة أن يأخذه لان علمه بالواقع أرجح من ظن القاضي الذي هو اجتهاده في الحكم أو في تطبيقه على قضية الدعوى كما ورد في الحديث الصحيح ، على ان الحنفية يقولون بنفوذ حكم الحاكم في الظاهر والباطن فيحل عندهم ديانة أن تأكل ما حكم لك به القاضي الشرعي وان كنت تعلم أن المال ليس لك

بعد هذا أذ كر الحزب بأهم البرامج والنظم التي يتوقف عليها العمل وهي

- (١) برنامج المدرسة العليا التي يخرج فيها الخلفاء والمجتهدون
- (٢) » انتخاب الشيعة
- (٣) » ديوان الخلافة الادري والمالي ومجالسه
- (١) مجلس الشورى العامة
- (ب) » الافتاء والتصنيفات الدينية والشرعية والنظر في المؤلفات
- (ج) » التقليد والتفويض لرؤساء الحكومات والقضاة والمفتين
- (د) » المراقبة العامة على الحكومة
- (هـ) » الدعوة الى الاسلام والدعاة
- (و) » خطابة المساجد والوعظ والارشاد والحسبة
- (ز) » الزكاة الشرعية ومصارفها
- (ح) » إمارة الحج وخدمة الحرمين الشريفين
- (ط) » قلم الرسائل

٢٧ — نهضة المسلمين وتوقفها على الاجتهاد في الشرع

لا أرى من المصاححة أن أنشر كل ما عندي من العلم والرأي التفصيلي في وسائل تجديد الامامة الاسلامية العظمى ومقاصده ومنافعه لأنني أخشى أن يستفيد منه اعداء الاسلام ما يذكرون أفدر به على قطع الطريق علينا من حيث لا ننتقم نحن به كما يجب . فان استعدادنا لهذا الاصلاح لا يزال ضعيفا جدا : رغم المسلمون للضيم ، ورزئوا بالضعف ، ورضوا بالخسف ، ولم يبق لشعب منهم همة في خير ولا شر ، حتى كان هذا التطور الجديد في بعض شعوبهم في هذا العصر ، وقد كان جل سببه شدة ضغط الاجانب عليهم ، لارجوعهم الى هداية دينهم ، ولا العلم بأنهم فقدوا بترتها ، ما كانوا قد أصابوه بهديها ، وانهم لو أقاموا شرعه ، وامتثلوا أمر الله في قوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) لما سبقهم أحد الى صنع المدافع والتدف وسائر أنواع السلاح . ولا الى بناء الجواري المنشآت في البحر كالأعلام ، والعلوم والفنون التي تتوقف عليها

هذه الاعمال ، ولما فاقهم أحد في فنون الحضارة ، وزينة الدنيا وطيبات المعيشة ، وهم يقرؤون في محكم كتابهم المنزل (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده الرزقيات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) ولوجأت هذه النهضة بهداية الاسلام - وهو أهل لما هو أرقى منها - لكانوا في المدنية أسرع سيرا ، وأبعد شوطا ، ولما احتاج احياء منصب الخلافة الى سعي ودأب ، ولا لتأليف حزب ، على أن الشعور الاسلامي من اقوى الوسائل المعنوية للنهضة ، وان كان بعض العاملين فيها ليس لهم حظ منه ؛ بل هم حرب له ، بيد أن أكثرهم يعلم أنهم لا بد لهم من مراعاته ومداراة اهله لانهم سواد الامة الاعظم الى أن يربوا جيلا جديدا يفرسون في أقدس نشئه الشعور انجسيمي المحض ؛ ويكون هو صاحب الرأي العام في الشعب

هذا ما علمه بالخبر ، من أمر النهضة في مصر والترك ، بل قيل لنا أن نهضة الافغان الجديدة تغلب عليها صبغة المدنية لا الصنعة الدينية ، وهم أشد الشعوب الاسلامية المعاصرة تديبا ، وأضعفهم تفرنجا ، وقد يصح أن يقال أنهم ليسوا من التفرنج في شيء ، فاننا نعني به الافتتان بتقليد الافرنج في مظاهر حياتهم وعاداتهم وشكل حكوماتهم ، لا العلوم والفنون والصناعات والنظم التي راجت سوقها في هذا العصر عندهم ، بعد أن كنا نحن أحق بها وأهلها ، في قرون طويلة كانوا فيها محرومين منها . وخير ما بلغنا عن الافغان في نهضتهم هذه أنهم يعنون باقتباس الفنون الزراعية والصناعية من أوربة دون الفنون الادبية والعلوم القانونية ، فان لهم في آداب الاسلام وشريعته غنى عن ذلك ، ولا سيما اذا سلكوا فيها مسلك العلم الاستقلالي المعبر عنه بالاجتهاد ، فالترقي الاسلامي يتوقف عليه في تجديده مثلما توقف عليه في مبدئه . كما أبدأنا وأعدنا مرارا ولا بد من التكرار الكثير في مثل هذا . ولو كان الافغان متصلين بحزيرة العرب وجعلوا العربية لغتهم الرسمية لكانوا أجدر بمزج الاسلام بالسبق الى احياء منصب الخلافة ، على ان الرجاء في تجديدهم مدينة الاسلام في الشرق عظيم ، ولا غرو فموظف الشرق وقائده في هذا العصر قد خرج من بلادهم

لا يمكن للمسلمين أن يجمعوا بين هداية الاسلام وحضارته من حيث هو

دين سيادة وسلطان الا بالاجتهاد في شرعه الواسع المرز ، فترك الاجتهاد هو الذي رد بعضهم الى البداوة التي قضى عليها أو الى ما يقرب منها ، وطوح ببعضهم الى التفرنج والالحاد والسعي الى التقصي من الدين

مثال ذلك أن الترك نصبوا خليفة متقياً لصناعتي التصوير والموسيقى وللعزف بالآلات الوترية ، وكل من هذين العاملين محرم ومسقط للعدالة في المذاهب الاربعة ، ومن أشدها فيه مذهب الحنفية الذي ينتمي اليه الشعب التركي ، وقد ردت المحكمة الشرعية بمصر شهادة استاذ موسيقي (موسيقار) من عهد قريب . ولكن لكل من المسألتين نخباً في الاجتهاد كما سنشير اليه في هذا البحث. وقد سئل الغازي مصطفى كمال باشا في أثناء سياحته الاخيرة في الاناضول عن صنع التماثيل ونصبها في البلاد أليس محرماً شرعاً ؟ - وقد روي أنهم سينصبون له تماثلاً في أنقرة - فأفتى بأنه غير محرم اليوم كما كان محرماً في أول الاسلام وقرب العهد بالوثنية وجزم بأنه لا بد للامة التركية من الاشتغال. بنحت التماثيل لانه من فنون حضارة العصر الضرورية واستشهد أو استدلل على حله بما رأى في مصر من التماثيل

وقد أفتى لنفسه وللحكومة في مسألة اختلاط النساء بالرجال ، ومشاركتهن لهم في الاعمال ، بل سن فيها سنة جديدة اذ عقده في أزمير على فتاة متفرجة حضرت مجلس العقد بنفسها ووقت نجاهه فيه وسأها القاضي عن رضاها به بعلاً فأجابت ، وسجل زواجهما وطفقت بعد تسافر معه بزي الفرسان ، وتقابل معه من يلقي من الرجال ، وقد صرح في مسألة النساء وما سيكون عليه في الامة التركية الجديدة بما لا يرضاه كله رجال الدين والمتدينون ، ولا يزال يستل عن المشكلات المتعلقة بشؤون الامة الدينية فيفتي برأيه فيخطيء ويصيب. ولا بد في أمثال هذه المسائل من الموقف الوسط بين التقم الجديد والجمود التقليد ، وانما يكون بالاجتهاد دون التقليد .

مصطفى كمال باشا ذكي فصيح ، ولكنه غير أصولي ولا فقيه ، وهو يفتي في أمثال هذه المسائل الدينية ، بما أوتي من الجرأة العسكرية ، والادلال بزمامته السياسية . فيقبل منه العوام ، ولا يتجرأ عليه الفقهاء . ولكن سير حكومته على هذه السبيل - وهي شعبية اسلامية ، لا يمكن

أن تدوم بتأثير سلطة شخصية، فلا بد لها من احدى ثلاث: اما اتباع فقهاءهم الخنفية بالجري على الراجح في كتب الفتوى — وهذا ما لا يرضاه أحد من طلاب المدنية المصرية الغلاة ولا المعتدلين — واما أن يرفضوا كون الحكومة اسلامية بحجة الفصل بين الدين والسلطنة وهذا ما يتمناه ملاحدة المتفرنجين ولكن لا سبيل اليه فان سواد الامة الاعظم مسلمون وهم أصحاب السلطة وسيكون لهم الرأي الغالب في الجمعية الوطنية. فلم يبق الا الثالثة وهي سبيل العلم الاستقلالي الاجتهادي الذي نوهنا به فهو الذي يثبت لهذه الحكومة وللعلم كله ان الشريعة الاسلامية اوسع الشرائع واكملها ، وان من أصولها حظر كل ما ثبت ضرره، وإباحة ما ثبت نفعه ، وإيجاب ما لا بد منه ، وان المحرم فيها بالنص يباح للضرورة ، والمحرم لسد ذريعة الفساد يباح للمصلحة الراجحة

٢٨ — أمثلة لحاجة الترك الى الاجتهاد في الشرع

وهنا تأتي مسألة التصوير فهو قد حرم لعله معروفة وهي سد ذريعة الوثنية، ومضاهاة خلق الله، فاذا احتيج اليه لمصلحة راجحة في العلم كتصوير الابدان المساعد على إتقان علوم الطب والجراحة — أو تحقيق المسميات اللغوية من الطير والحيوان لجرد ضبط اللغة ولما يترتب عليها من المسائل الشرعية كعرفة ما يؤكل وما لا يؤكل عند من يحرمون اكل السباع المفترسة منها أو المسائل العلمية الكثيرة — لمصالح عسكرية أو إدارية كتصوير الجواسيس والجناة — فكل ذلك يباح شرها حيث لا شبهة عبادة ، ولا قصد الى مضاهاة خلق الله ، وقد بينا ذلك بالتفصيل في فتاوى المنار^(١)، وهو مما لحه مصطفى كمال باشا المحام، فأفتى بالجواز المطلق طردا وعكسا، وهو ما لا يتم مطلقا، واستدلالة على جواز نصب التماثيل لكبراء الرجال بعمل الحكومة المصرية يشبه استدلاله على صحة سحب السلطة من الخليفة الآن بسلبها من الخلفاء العباسيين — ليس من الدين شيء . فان الحكومة المصرية غير مقيدة بالشرع في جميع أعمالها ، ولم يكن نصبها لشيء من هذه التماثيل بفتوى من علماء الازهر ولا غيرهم ، ولو استفتتهم لما أفتوا ، لا لان نصب التماثيل محرم في الاسلام فقط ، بل لان

(١) راجع ص ٢٢٠ — ٢٣٥ و ٢٧٠ — ٢٧٦ م ٢٠

فيه إضاعة كثير من مال الامة في غير مصلحة أيضا، وهم لا يقبلون شبهة من يدعون أن نصب التماثيل للرجال العظام ينفخ في روح الامة الرغبة في التشبه بهم ، والقيام بمثل أعمالهم ، لانهم يجزمون بأنه لم يخطر في بال مصري قط أن يكون كـ محمد علي باشا أو ابراهيم باشا أو سليمان باشا الفرنسي ذوي التماثيل المنصوبة بمصر والاسكندرية ، وبأن التماثيل قد تنصب لمن يكون قدوة سيئة أيضا ، وبأنها من تقليد الافرنج في أمر من أمور زينة مدنياتهم التي تقتضي نفقات عظيمة لا تقدم عليها الا الامم الغنية ذات الثروة الواسعة ، فلو كان مباحا مطلقا في شرعنا لسكان الاولى بنا تركه لاصريين يرجحان به (أحدهما) الاقتصاد في المال ونحن لا نزال شعوباً فقيرة (وثانيهما) تحامي التقليد لهم فيما هو من شخصيات حضارتهم التي فتنا بها فكانت من أسباب استكبارنا لهم واحتقارنا لانفسنا ، وقد نهانا نبينا (ص) عن التشبه بغيرنا لنكون مستقلين دونهم بل قدوة لهم. وهذه مسألة اجتماعية مهمة فصلنا القول في مضارها مراراً

وقول مصطفى كمال باشا : ان الامة لا بد لها من اتقان صناعة تحت التماثيل . يجاب عنه بأن الامة تاركة لصناعات كثيرة واجبة شرعا وهي كل ما تتوقف عليه المعيشة والقيام بالواجبات الذاتية كالملابس والاسلحة والطيارات والبوارج الحربية وغير ذلك . فلا يصح لتارك الضروريات والحاجيات القانع بأن يكون فيهما عالة على الاجانب أن يهتم بأمر الزينة المحضة ولو لم تكن ضارة في دين ولا دنيا !

وأما مسألة الموسيقى فليس لمحرميها من النصوص الصحيحة مثل أحاديث تحريم التصوير واتخاذ الصور والتماثيل ، بل هي مسألة خلافية . وقد فصلنا في المنار القول في أدلة الذين حظروا سماع الغناء والمعازف (آلات الطرب) من جهة الرواية ومن جهة الدراية والاستنباط وحققنا ان الاصل في المسألة الاباحة وان المحرم منه ما كان ذريعة الى معصية أخرى كمن يغريه السماع بشرب الخمر أو غيره من الفسق وان الاسراف فيه مكروه^(١)

وأما مسألة النساء فأحكام الاسلام أعلى الاحكام وأعدلها وأفضلها فيها وأكثر ما يستنكره العقلاء الفضلاء من مسلمات المدن المحجبات فهو من العادات ،

(١) يراجع ص ٣٥ — ٥١ و ١٤١ — ١٤٧ من المجلد التاسع

فاذا كان طلاب تغيير هذه العادات يحكمون الدليل في ترك ما هو ضار منها والاخذ بما هو نافع من غيرها فسيرون الشرع الاسلامي أقوى نصير لهم فيه ، وليس الفصل بين الضار والنافع في هذا وأمثاله بالامر السهل ، بل هو يحتاج الى تدقيق وبحث لاختلاف الآراء فيه باختلاف الاهواء والتربية كما يعلم من المثل الآتي : —

تصدي أحد أساتذة المدارس الاميرية في هذه البلاد لامرأة متزوجة يتصبها وكان من تصبيه لها أن قال لها وهي مارة في الطريق مامعناه: ان جالها قد حرم عليه نوم الليل ، فقاضاه زوجها الى المحكمة الاهلية طالباً عقابه على تصبي زوجته ومحاولة إفسادها عليه — فحكم قاضي المحكمة الابتدائية ببراءة الاستاذ مما عمله بأنه من حب الجمال الذي هو من الغرائز المحموددة والاذواق الصحيحة ، فكيف يعد ذنباً يعاقب عليه القانون ؟ ولكن قاضي الاستئناف عدّ عمله ذنباً وحكم عليه بعقوبة

ان تربية مسلمي مصر والترك — وأمثالهما — مذبذبة مضطربة في هذا العصر والتفاوت فيها كبير فمنهم غلاة التفرنج الذين يستحلون الفواحش ويميلون الى الاباحية وهم الاقلون ، ومنهم الجامدون على جميع التقاليد المتينة خيرا وشرها . ولا سيما اذا كانت مذبذبة الى الدين — وإن خطأ — وبين هؤلاء وأولئك أهل القصد والاعتدال من علماء الدين وعلماء الدنيا — فيجب أن يحال كل ما يراد من التغيير في عادات الامة على لجان من هؤلاء المعتدلين يبحثون في منفعه ومضاره من كل وجه ويضعون النظام لما يقررون تغييره مراعين فيه سنن الاجتماع باتقاء ضرر الاستعجال والطفرة ، وما يحدثان من الفوضى في الامة والتفاوت العظيم بين أفرادها وجماعاتها ، فان الجيل الحاضر وليد الجيل الماضي ووارثه في غرائزه وافعاله وانفعالاته وعاداته ، بل ينزع به العرق الى الاجيال التي قبله ، فاذا حمل على ترك شيء مما كان عليه من الافعال والعادات فانما يسهل عليه من ذلك ما يوافق الهوى واللذة دون ما يوافق العقل والمصلحة ، ثم إنه لا بد أن يلقي معارضة من فريق كبير من الامة بمقتضى سنن الغريزة ، فان كلام من حب التجديد وحب المحافظة على القديم غريزي في البشر فيظهر هذا في أناس وذاك في آخرين ، بتقدير العاير الحكيم ، والا لكانوا على غرر واحد لا يتغير كالنمل والنحل ، أو

لكانوا كل يوم في جديد لا يثبتون عليه ولا يكون لجيل منهم شبه بجيل آخر فمن يظن أنه يمكنه أن يميت أمة من الأمم بإبطال مقوماتها من العقائد والفرائز والأخلاق ومشخصاتها من الآداب والعادات ثم يبعثها خلقاً جديداً في جيل واحد بتغيير في قوانينها وشكل حكومتها ، واقتناعها بذلك بالخطب والشعر والجرائد فهو مغرور والحمل عليه بالقوة القاهرة لا يأتي الا بحكومة شخصية قاهرة

نعم ان التغيير ممكن وواقع، وطريقه معروف، وهو ما أرشدنا الله تعالى اليه بقوله (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وتغيير ما بالانفس انما يكون منظماً بتعميم التربية والتعليم ، وقد حقق علماء الاجتماع ان التأثير في تغيير حال الشعب لا يتم الا في ثلاثة أجيال . جيل التقليد والمحاكاة — وجيل الحضرة — وجيل الاستقلال ، وبتمامه يتم تكوين الملكة . ومثل هذا في الشعوب كمثل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي للأفراد . وقد يشذ بعض الشعوب في بعض الملكات كما يشذ بعض الأفراد بذكاء نادر فيبلغ من احكامها في بدايته ما يعجز عن مثله البليد في نهايته . وقد حقق الفيلسوف الاجتماعي (غوستاف لوبون) المشهور في كتابه (تطور الأمم) ان ملكة الفنون لم تستحكم لامة من أمم الارض في أقل من الثلاثة الاجيال المقررة للأعرب فهم وخدم الذين تربت هذه الملكة فيهم فصار لهم مذهب خاص فيها منذ الجيل الاول من مدنيته الإسلامية ، فاذاً لا بد من جعل كل تغيير يراد في الامة الى جان من أهل الاختصاص فيه تدرسه وتمحصه وتقرر فيه مافيه مصلحتها وموافقة شريعته وليس بيان هذا من مقصدنا هنا ولكنه استطراد غرضنا منه رد مسألة النساء وأمثالها الى أصل علمي معقول، فان الفوضى فيها ضاربة أطنابها في بلادنا كالبلاد التركية فما يراه بعض الناس ضاراً قطعاً يراه آخرون هو النافم الذي لا بد منه، ومقلدة الأفرنج فيه كالجامدين على القديم ليسوا على هدى ولا بصيرة، فان أعقل حكماء الأفرنج وأكبر علمائهم غير راضين عن حال النساء عندهم ، وقد حكى لنا عن عاهل ألمانيا عند ما زار الاستانة في أيام الحرب أنه لما اطلع على تهتك النساء التركيات وبروزهن للرجال متبرجات كنساء الأفرنج عذل طلعت باشا الصدر الأعظم الاتحادي على ذلك قائلاً انه كان لكم من دينكم وازع

للنساء عما نشكون من غوائله الادبية والاقتصادية ونعجز عن تلافيه فكيف تنقصون منه باختياركم؟ انكم إذا لخطئون
ومما يحسن التذكير به من المسائل التي يتسكك جواهر متفقهة المسلمين فيها بما ينافي ضروريات الحضارة الحاضرة والمصالح العامة زعمهم ان السائل المسمى بالكحول والسبيرتو نجس يحرم استعماله في كل ما يستعمله فيه الاطباء والصيادلة وسائر الصناعات الذين يعدونه ضرورياً في صناعاتهم ، وقد أفنى جماعة من فقهاء الهند بذلك منذ أشهر ورددنا عليه رداً طويلاً أثبتنا فيه ان هذا السائل طاهر ومطهر طبي، وأنه من الضروريات التي يجب الانتفاع بها في كثير من الاعمال، وأنه مما صحت البلوى به ، ولكن الاصل في فتاوى أفراد العلماء أن يعمل بها من يقتنع بصحة أدلتها اذا كانت الفتوى مؤيدة بالدليل على طريقة السلف التي تجري عليها في المنار، ومن يثق بعلم صاحبها أو يكونه على المذهب الذي ينتمي اليه في المقلدين — فهي لا تحل المشكلات العامة بل تبقى الامة مضطربة باختلاف الفتاوى وأقوال العلماء، وإنما يحل المشكلات العامة ويجمع كلمة الامة فيها الامام الاعظم (الخليفة) اذا كان مجتهداً كما تقدم

٢٩ — توقف الاجتهاد في الشرع على اللغة العربية

قد ثبت بما تقدم ان الجمع بين حضارة العصر وفنونه وبين المحافظة على الاسلام لا يتم الا بالاجتهاد في الشرع فكذلك لا يكون الخليفة هو الامام الحق الذي يجب طاعته ويمكنه نشر دعوة الدين والمحافظة عليه ومقاومة البدع وازالة الخلاف بين الامة في المسائل الاجتماعية والمدنية العامة الا اذا كان مجتهداً — والاجتهاد يتوقف على إتقان اللغة العربية وفهم أساليبها وخواص تراكيبها والمملكة الراسخة في فنونها ، للتمكن من فهم نصوص الكتاب والسنة وهما في الذروة العليا من هذه اللغة، وقد عد علماء الاصول من جيم المذاهب معرفة اللغة العربية شرطاً مستقلاً للاجتهاد مع اشتراط العلم بالكتاب والسنة، بل صرح بعض أئمة العلماء بأن معرفة هذه اللغة فرض على كل مسلم وان مقلداً — ولولا أن جيم سلف الامة كان على هذا الاعتقاد لما انتشرت العربية في خير القرون في كل قطر انتشر فيه الاسلام من غير مدارس منظمة تديرها الحكومات والجمعيات،

وهل لذلك من سبب غير الاعتقاد بالوجوب الديني ، ومن الآيات على ذلك إجماع العلماء في كل زمان ومكان على أداء جميع العبادات اللسانية بهذه اللغة كتلاوة القرآن في الصلاة وغيرها وأذكار الصلاة والحج وغيرها حتى أنهم لا يزالون يؤدون بها الوعظ من خطبة الجمعة لا الحمدلة والشهادتين والتلاوة والدعاء فقط ، ولكن منهم من يترجمها بعد الصلاة ومن المعلوم من الاسلام بالضرورة أننا متعبدون بتدبر القرآن والاعتبار والاتعاظ بآياته وبفهم تلاوة الصلاة وأذكارها ، وكل ذلك يتوقف على معرفة اللغة العربية ، وتقصير بعض المسلمين في هذا الواجب كتقصيرهم في الواجبات الكثيرة التي أضاعت عليهم دينهم ودنياهم ليس من غرضنا هنا أن ندعو أطاحم المسلمين الى تعلم اللغة العربية وإنما أن نذكر حزب الاصلاح بما لا يجمله أكثر رجاله من العلاقة القوية بين منصب الخلافة وبين اللغة العربية فانه سيجد في اللغة معارضة شديدة ، ولكن حاجته قوية وهي تعذر حياة الاسلام نفسه والاجتهاد في أحكامه بدونها - وتعذر تعارف المسلمين وجمع كلمتهم بالقدر المستطاع بدونها ، ففي كل قطر يسكنه المسلمون وكل مدينة منه لا يزال الاسلام فيها حيا يوجد من اهل العلم بالعربية من يمكن التعارف معهم ونشر ما يتقرر لخدمة الدين بسميهم

ان اللغة رابطة من روابط الجنس وقد حرم الاسلام التعصب للجنس لانه مفرق للامة ذاهب بالاعتصام والوحدة واضع للعداوة موضع الالفة وقد نهى النبي (ص) عن العصبية العمية الجاهلية وتبرأ ممن يدعو اليها أو يقاتل عليها ، وقد كان من اصلاح الاسلام الديني والاجتماعي توحيد اللغة بجعل لغة هذا الدين العام لغة لجميع الاجناس التي تهتدي به ، فهو قد حفظ بها وهي قد حفظت به . فلولا لتغيرت كما تغير غيرها من اللغات ، وكما كان يعروها التغيير من قبله ، ولولاها لتباعدت الافهام في فهمه ، ولصار أديانا يكفر أهلها بعضهم بعضا ، ولا يجدون أصلا جامعا يتحاكون اليه اذا رجعوا الى الحق وتركوا الهوى - فاللغة العربية ليست خاصة بجبل العرب سلاسل يعرب بن قحطان بل هي لغة المسلمين كافة ، ولغة شعوب أخرى من غير العرب ، وطوائف من العرب غير المسلمين ، وما خدم الاسلام أحد من غير العرب الا بقدر حفظهم من لغته ، ولم يكن أحد من العرب في النسب يفرق بين سيديويه الفارسي النسب واستاذه الخليل العربي في فضلها

واجتهادها في خدمة اللغة، ولا بين البخاري الفارسي واستاده أحمد بن حنبل العربي في خدمة السنة، بل لم يخطر في بال أحد من ساف الأمة ولا خلفها قبل هذا العصر أن يأبى تفضيل كثير من الاعاجم في النسب على بعض أقرانهم وأساتذتهم من العرب فيمامتازوا به من خدمة هذا الدين ولغته، ولا نعرف أحدا من علماء الاعاجم له حظ من خدمة الاسلام وهو يجهل لغته، ولولا ان ظل علماء الدين في جميع الشعوب الاسلامية مجمعين على التعبد بقراءة القرآن المعجز للبشر بأسلوبه العربي واذكار الصلاة وغيرها بالعربية ومدارسة التفسير والحديث بالعربية لضاع الاسلام منها ولو ان الدولة العثمانية احيت اللغة العربية فيما فتحت من أوربة لا تنتشر فيها الاسلام ثم فيما جاورها انتشارا عاما ولقامت فيها مدنية اسلامية كمدنية العرب في الاندلس وكان رسوخها فيها عظيما، ولكنها لم تفعل ذلك ولم تجعل لغتها التركية لغة علم وفنون بل اعتمدت في حكمها على قوة السيف وحده فكان من غوائل ذلك - وهي كثيرة - ان جميع الشعوب التي خضعت لسيادتها وسلطانها ظلت محافظة على لغاتها حتى المسلمين منهم . فلما تجددت في هذا العصر عصبية اللغة وجعل الترك العثمانيون لغتهم لغة علم أرادوا أن يكرهوا الشعوب الاسلامية في سلطنتهم على ترك لغاتهم الى لغة الدولة فامتنع الجميع عليهم ، وهب أصحاب اللغات غير العلمية المدونة كالالبانيين والكرد والجركس الى تدوين لغاتهم وجعلها لغة علم وفنون كما فعل الترك، وقد حاربت الدولة الالبانيين وهم أعظم حصونها في أوربة لاجل اللغة فاختراروا حربها والخروج من سلطنتها على ترك لغتهم ، ولو رضيت لنفسها لغة الاسلام ودعوتهم اليها لما أبوا ، وهذه المسألة هي التي فرقت بين الترك والعرب ذلك التفريق الذي أشرنا الى رزاياه في هذا البحث مرارا، وسعينا لتلافيه قبل تفاقم خطبه فما أفادنا السعي فلاحا، وكيف يعقل ان يرضى العرب استبدال التركية بالعربية التي شرفها الله على جميع اللغات بكتابه المعجز للبشر وحجته عليهم الى يوم القيامة على ما لها من المزايا الاخرى - ونحن نرى التتار أخوة الترك في العرق الطوراني لا يرضون بترك لغتهم واستبدال التركية بها وهي أرقى منها؟

فنحن الان نجاء أمر واقع، ماله من دافع، وكل ما نطمح فيه أن نتقي ضرره، ونوفق بين الجامعة الاسلامية والجامعة الجنسية اللغوية بما فصلناه من تعاون العرب والترك على إقامة الخلافة الاسلامية الحق، فاذا وفق الله لاتمام هذا فهو الذي تيم به الوحدة وما يترتب عليها من سعادة الدنيا والآخرة

وصف ثورة الهند السياسية السلبية

وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية (*)

(٢)

﴿ نبد القوانين الجائرة ﴾

قد غاظت هذه الهزيمة الحكومة ، فعزمت على قتل الحركة بالقوة والشدة ، ناسية أو جاهلة أنها لا تقتلها بها ، بل إنما تقويها وتشد أزرها

ان جمعية الخلافة وفروعها كانت نظم المتطوعين الذين كانوا على محافظتهم على نظام المجالس والجامع العامة يقومون بخدمات كثيرة اللامة فكانهم كانوا جيشا غير متسلح لها ، فأعلنت الحكومة أن جماعتهم هذه غير قانونية فيجب الغاؤها ، ثم منعت انعقاد المجالس فخرمت الامة من حرية الاجتماع وحرية اللسان ، وهي من احقوق الفطرية الطبيعية لكل انسان ، غير أن الحكومة لم تبال بسوء عملها بل حذت حذو من تقدمها من الحكومات المستبدة المنقرضة ، لان التاريخ يبد نفسه

وقد بدأت الحكومة بتنفيذ هذه القوانين الجائرة (بكثكتا) قبل غيرها من المدن ، لان قدوم البرنس اليها كان قريبا ، ولانها من أعظم المدن الشرقية ، وتكاد أن تكون أوربية لكثرة الاوربيين فيها ، فكانت مقاطعة البرنس فيها ثقيلة جداً على الحكومة ، فبادرت باعلان هذه القوانين فيها ، ولكن نشر صاحب هذا الخطاب في الوقت نفسه اعلانا ضد الحكومة ، قال فيه : انه يجب على الامة نبد هذه القوانين نبدا ، ولاقدام من أجلها على السجون أفواجا ، وقرر الامور الآتية .

(*) تابع لما في الجزء الاول

(١) ان الخضوع لمثل هذه الاحكام الجائرة ، معناه النزول عن الحقوق المدنية والانسانية ، وليس لحكومة أن تمنع المجامع السلمية ، والاعمال الوطنية الجائزة ، فاننا ان نخضع لها خوفا من الحبس والمهانة ، نكون مجبرين أمام ضمائرنا وأمام الانسانية ، فليس على محبي الحرية والحق الا أن يعصوها ، ويوطنوا أنفسهم على جميع المصائب التي تصبها الحكومة على رؤوسهم دون أن يخضعوا لها طرفة عين .

(٢) يجب أن يوسع نطاق التطوع ، وأن يثبت المتطوعون في كل شارع وزقاق معلنين للمقاطعة الملكية التي تريد الحكومة أن تجانبها ، واذا منعهم السلطة لا يطيعونها ، بل يسلمون أنفسهم للاعتقال بدون أدنى كره ولا مة ومة .

(٣) تعقد المجالس والمحافل في جميع المجتمعات العامة ، وكل من يذهب اليها يسلم نفسه للسلطة اذا أرادت انقبض عليه —

(٤) كل من يقبض عليه ، يقطع المحاكم مقاطعة تامة في القول والعمل ، لان الحكومة التي تنوب عنها المحاكم جائرة ومقاطعتها واجبة ، فلا معنى للاعتراف بمحاکمها والسعي للدفاع فيها ، فانها لا تستطيع أن تخالفها وتنصف في حكمها .

(٥) نتوقف هزيمة الحكومة على العدد الذي يدخل منا السجن ، فلنهرول الى السجون زرافات زرافات ، حتى تتعب الحكومة من حبسنا ولا تتعب نحن من الاقدام عليه .

وقد لبث الامة الدعوة ، فابتدأت الاعمال الجدية بكل قوة ، وسارع الناس أفواجا الى ادارات التطوع ، وبدأت الاجتماعات الامة ، وأخذ الخطباء يخطبون ويقبحون الحكومة وظالمها وعسفها ، فدهشت الحكومة وظلت في حيرتها أياما لا تدري ما تعمل . لانها كانت قد وقعت في نفس ذلك الشراك الذي بسطته يدها . فلا هي تقدر على أسر جميع النابذيين لاوامرها لان الناس كلهم نبذوها . ولا هي تستطيع غض النظر عنهم . لان هذا يظهر عجزها في تنفيذ قوانينها . غير أنها عازمت أخيرا على الاعتقال والتسجين . طاعة أن الناس سيخافون

من صولتها . ويعودون الى طاعتها . فأخذت تعتقل في (كلكتا) وحدها ألفا من المتطوعين كل يوم . وقد كان المنظر مؤثراً للغاية . فان عصابات المتطوعين كانت ترى ، فكلمها اعتقلت واحدة حلت محلها أخرى ، وهكذا الى الليل .

ثم أعلنت هذه القوانين القاسية في طول البلاد وعرضها، فخذت الامة في كل مكان حذو (كلكتا) في مقاومتها. فأخذ الوطنيون يظهرون في كل محل ويمصون القوانين، وأخذت السلطة تقبض عليهم وتسجنهم، فأصبح السجن العوبة والرجال أطفالا يلعبون بها . وان القلم ليعجز عن وصف تلك الحمية والغيرة والحاسة التي كانت تشاهد في كل زقاق وشارع وبلد من القطر الهندي العظيم فكان الناس يتنافسون في التصدي للاعتقال والسجن والذين كانوا لا يعتقلون لسبب ما كانوا يتحسرون على أنفسهم حتى الصبيان كانوا يكونون شوقا اليه ويلبسون على الشرطة أن تعتقلهم فكم من مئات منهم دخلوا السجن بالحاح شديد وودعتهم أمهاتهم بدموع الفرح ولم يكن المتطوعون وحدهم يقدمون أنفسهم للاعتقال بل كان الالوف من المارة والسوقة اذا رأوهم على هذه الحالة يتحمسون فيتزاحون ويقولون للشرطة : نحن أيضا منهم فاقبضوا علينا فكان يقبض عليهم ويرسلون الى السجن —

ولم يمض على هذه الحالة اسبوع الا بدت علام الممل والفتور والهزيمة على وجه الحكومة لان السجن على كثرتها وسعتها كانت قد امتلات وكذلك جميع تلك الابنية التي استخدمت لهذا الغرض واختل النظام والضبط في السجن وعجزت الحكومة عن تهيئة الطعام والشراب للمسجونين الوطنيين، فاضطرت الى أن تخلي سبيل ألوف منهم . فباب السجن كان يفتح وينادي المنادي فيهم « من كان منكم يريد الذهاب فليذهب » ولكنهم كانوا يأبون الذهاب، فيحملون على الاكتاف ويلقون وراء الباب، فذهبون الى الاسواق فيعصون الاوامر فيؤسرون فيرجعون الى السجن حيث كانوا قبل ساعات. فلما رأت الحكومة ذلك امتنعت من ارسالهم الى السجن فكانت تعتقلهم نهارا وتطلقهم ليلا من مراكز الشرطة غير أنهم بمجرد خروجهم يعودون الى عملهم القديم

ضجرت الحكومة من هذه الحالة ضجرا شديدا ، وأيقنت أن النار لا تتمد مادام الزعماء على حريتهم ، فمدت يدها اليهم ، وهم قد كانوا مستعدين لاجابة دعوتها من أول يوم ، معتقدين أنه لا بد لتقوية الحركة وتكميل العمل من سجنهم أنفسهم ، فألقي القبض على صاحب الخطاب في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢١ فذهب الى السجن بوجه ضاحك ، وثغر باسم .

وقد كان حفظه الله أعلن قبل أسره بساعات في بلاغ الى الامة أنه سيقبض عليه ، ففي تلك الساعة يتلي عزمها وثباتها ، وقد جاءت تلك الساعة ورأت الحكومة أن تلك الحركة أصبحت أقوى وأشد من قبل ، حتى بلغ عدد المسجونين خمسين ألفا : ولم يمض على أسره أسبوعان الا وقد وجدت الحكومة نفسها عاجزة ومنهزمة أمام هذه الحركة ، فاضطرت الى أن تمنح للسلم ، فأعلن الوالي العام في (كلكته) لوفد من حزب الاعتدال أن الحكومة ترغب في الصلح ، وترحب بهدنة تعقد له ، فهي تمسك يدها عن القبض والاسر وتطلق سراح جميع المسجونين ، ويمسك الزعماء عن أعمالهم ، بدون أن يعترف أحد من الفريقين بالغلبة والانكسار ، فيجتمعان في مؤتمر ، ويتشاوران في الامر ، ويكون لكل منهما حرية العمل اذا لم ينجح المؤتمر . وفي هذا الوقت نفسه أعلن أن الحكومة الهندية لا تألو جهدا في تقديم مطالب الهند في مسألة الخلافة الى الحكومة المركزية . وهي مستعدة أيضا لكل عمل مستطاع في المستقبل - (وقد أرسلت الحكومة بعد هذا الاعلان بلاغها الشهير بامضاء الوالي الامم وجميع ولاء المقاطعات الى انكلترا وهو الذي وقع الخلاف في نشره بين اللورد كرزن والمستر ما تنغو القائم بأعمال الوزارة الهندية إذ ذاك . فاضطر الثاني الى أن يستعفى من خدمته)

فلما دعيت جمعية الخلافة والجمعية الوطنية الكبرى الى هذه الدعوة . قبلتها وأعلنت الهدنة . وقدمت الشروط الاساسية للمؤتمر المقترح . وكان الشرط الاول منها أن تقبل حكومة لندرة المركزية كل ما يقرره المؤتمر غير أن الحكومة لم تقبل هذا الشرط فعاد الحال كما كان .

(صاحب الخطاب)

أما صاحب الخطاب العالم العلامة الشيخ أبو الكلام أحمد فمن المؤسسين
للنهضة الجديدة الإسلامية في الهند—أقول من المؤسسين لأنه لا يرضيه أن يقال
هو المؤسس لها—فانه الى سنة ١٩١٢ لم تكن في مسلمي الهند أي حركة عامة
نافذة قوية للأصلاح الديني ولا السياسي، فكانوا في الدين على جمود وتقليد
ومحدثات، وأما السياسة فلم يكن لهم فيها شأن فكانوا يمتنعونها ويخافون منها
كأنها حية تنهشهم. معتقدين أن الاستقلال يضر بهم ويمكن الهندوس منهم،
فبيناهم في هذه الظلمات إذ قام فيهم تلك السنة صاحب الخطاب فصاح بأعلى صوته
« اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد » فأما الدين فقد دعا فيه الى التوحيد الخالص
والتمسك بالكتاب والسنة ونبتذ التقليد والبدع والخرافات، وتطهير الأعمال والعقائد
من المحدثات. قال : ان الدين ما كان عليه الرسول وأصحابه والسلف الصالح من
أمة لا ما قاله فلان وفلان، وان القرآن مهيمن على الكسب السماوية والعلوم
البشرية فلا تشوهوا وجهه باليونانيات ولا بتخريفات المتزنجين. ففتح باب
الاجتهاد وفسر القرآن بأسلوب بديع ونزهة عن كل الترهات. واستنبط منه ومن
سنة الرسول كل ما يحتاجه المسلمون في دينهم ودنياهم

وأما السياسة فقد دعا فيها الى الحرية التامة واستقلال البلاد والاتحاد مع
أبناء الوطن ومقاومة الاجانب المسيطرين بغير حق . فقامت عليه القيامة من
كل جهة وصوب المعارضون اليه نباهم وبسطت الحكومة له شركها ولكن لم
توقفه العراقيل في طريقه، ولا صدته الموانع عن عمله، فما زال يلقي الخطب الرنانة
ويحبر المقالات الحماسية ويقرع أسماعهم ببلاغته الشهيرة ويوقظ قلوبهم بمواعظه
البالغة وينفخ في أجسادهم المبتة روح الدين والحرية حتى انتبهوا من رقدتهم
وهبوا من نومتهم ، وهرعوا الى الداعي ملين دعوته ومجيبين نداءه، وكل هذا في
خلال بضع سنوات المدة التي لا تكاد أن تصدق، وكانت لسان دعوته محجة
« اهللال » الاسبوعية خالدة الذكر

ويمكن تلخيص بعض مهمات دعوة الهلال الاجتماعية والسياسية في المواد الاتية :

(١) أن العبودية سواء كانت للاجانب أو الغاصبين من الامة نفسها لا تجتمع مع الاسلام، وأن السعي للحرية والاستقلال وتحمل الشدائد والمصائب والاغتياب بالموت في سبيله - كل ذلك واجب على المسلمين وورثة مليه ورثوها عن أجدادهم العظام فهم إما أن يعيشوا أحراراً أو يموتوا كراماً، وليس بين هذا وذاك من سبيل في الاسلام، لان شريعته ما دامت لا تبيح استبداد الولاة من المسلمين أنفسهم فكيف تبيح لهم أن يعيشوا خاضعين لظلم الاجانب واستبدادهم؟ والمسلم الذي يقنع ويرضى بهذه العيشة لا ريب في حرمانه من روح الحياة الاسلامية

(٢) على مسلمي الهند واجبان: اسلامي ووطني فالواجب الاسلامي يطالبهم أن لا يحسروا نظرهم في حدود أرضهم فان جنسية الاسلام مطلقة من قيود الوطن والنسل وشاملة لجميع المصطبغين بالصبة الاسلامية حيثما وجدوا ومن أي أمة كانوا فيجب عليهم أن يعينوا اخوانهم المسلمين خارج الهند وينصروهم ويخففوا مصائبهم عنهم وأما الواجب الوطني فهو أن يتحدوا مع أبناء وطنهم ويرخصوا نفوسهم في جهاد الحرية والاستقلال لبلادهم

(٣) إن الدول الغربية لا تهدد الاسلام والمسلمين فقط بل الشرق بأسره فيجب على الامم الشرقية أن تتحد وتتفق لصون حريتها وحياتها من الغرب

(٤) ان الدولة العثمانية هي البقية الباقية من الدول الاسلامية فيجب على مسلمي العالم كلهم أن يساعدها وينصروها ويرجعوا حقها وصيانتها على مقاصدهم الوطنية لانها المركز المالي والسياسي لهم ولا حياة للفروع بدون الاصل.

(٥) اللغة العربية هي اللغة الملية للمسلمين كافة والوسيلة الوحيدة للتعارف والاتحاد بينهم وإن من الملل الجوهرية للانحطاط الاجتماعي والديني انقراض الخلافة العربية وهجران اللغة العربية وشيوع العجمية والفلسة اليونانية بينهم فيجب عليهم إحياء اللغة العربية الصحيحة وتعلمها حتى تصبح عامة بينهم

(واني أريد أن أقول ها هنا كلمة في « المسألة العربية » فان كثيراً من

اخواننا العرب يعتقدون أن مسلمي الهند يرجحون الترك عليهم ويكرهون استقلالهم مع أن الامر ليس كذلك فهذا زعيم مسلمي الهند وقائدهم الاكبر ما زال يلح على الدولة أن تمنح للولايات العربية الحكم الاداري فقد صرح به في جميع مذكراته الي بعثها الي المرحوم طلعت بك وزير الداخلية ذاك والي ناولها أحمد رضا بك الشهير ثم الدكتور عدنان بك مندوب حكومة أنقرة في الاسانة الآن عند قدومهما الي الهند نعم إن مسلمي الهند ما كانوا يحبون أن يترك الترك والارب خوفا من انحلال الدولة الاسلامية وسقوط العرب في يد المستعمرين من الاجانب وقد وقع ما كانوا يخشونه فثار الشريف و... فالى الله المشتكى !

ولما ابتدأت الحرب الكبرى أصبحت الهند في حالة تشبه حالة الاحكام العرفية وأخذت الحكومة تسجن وتعتقل كل من ارتابت فيه غير أن صاحبنا ظل على حريته وثباته يقول ما كان يقوله ويقبح الظلم والاستبداد كعادته لم يخفه عفريت الحرب ولم ترعبه السطة العسكرية ثم لما بدأ الخلاف بين الدولة العلية والحلفاء وحجرت بريطانيا البارجتين العثمانية « رشادية وعثمان اول » وخشي نشوب الحرب بينهما قام في ذلك الوقت العصيب أيضا بكل جرأة وشجاعة يظهر أفكاره وآراءه في مقالاته وخطبه وقد نبه رجال الحكومة شفيها أن الحرب مع الدولة العثمانية يؤلب المسلمين على بريطانيا ويقم مسلمو الهند في موقف حرج فلا يكون أمامهم الا أن يكونوا مع الاسلام أو مع بريطانيا فيجب عليها أن تسلم بمطالب تركيا ولا تذرهما تنضم الي المانيا فاذا فعلت ذلك يبذل مسلمو الهند جهدهم في منع الدولة من أن تكون مع المانيا فاما أن تبقى على الحياد واما أن تكون بجانب الحلفاء، غير أن الحكومة لم تصنع الي نصحه ونشبت الحرب بين الدولة والاتحاديين فنشرت الحكومة البريطانية في أول اكتوبر سنة ١٩١٤

علانا في الهند قالت فيه ان الدولة البريطانية وحلفاءها قد اضطروا الي دفع الهجوم العثماني ولكن ليثق مسلمو الهند أننا لانهاجم تركيا ولا نقوم بعمل عدائي ضد البلاد الاسلامية المقدسة

وقد نشر حفظه الله مقالة شهيرة بعنوان « القارعة » فصل فيها ما كان يراه

مسلمو الهند أحسن تفصيل ثم تحدث مع اللورد كارماركل والي بنغالة السابق في نفس هذا الموضوع وكانت خلاصة حديثه معه وما كتبه في مقالته كما يلي :

(١) ان من المصائب علينا ان تقع الحرب بين الدولتين البريطانية والعثمانية التي يعدها جميع مسلمي العالم صاحبة الخلافة الاسلامية وآخر دولهم وأن مسلمي الهند يجب عليهم شرعا أن يكونوا مع الخلافة ويطيعوا أوامرها ويبدلوا وسعهم لنصرها وحمايتها فيجب على الحكومة أن تعلم هذه الحقيقة ولا تتخذ بأقوال المنافقين الذين يخدعونها ويتملقون لها

(١) ان أكثر ما يستطيع مسلموا الهند أن يفعلوه ابريطانيا هو أن يبقوا على الحياد ولا يتخذوا خطة عدائية لها ولكن هذا انما يكون اذا :

(أ) تركتهم بريطانيا على هذه الحالة فلم تطالبهم بمساعدة مادية ولا معنوية

(ب) لا يكره جندي مسلم على أن يذهب الى ميادين القتال

(ج) لا يهاجم الحلفاء البلاد الاسلامية بل يعلنون اعلانا مؤكدا بأن العرب

لا تغير الحدود الحالية للدولة الاسلامية ويضمنون استقلال الدولة العثمانية

(٣) وان لم تقبل الحكومة البريطانية هذا فمسلمو الهند يضطرون الى

فرضهم الديني فيفعلون كل ما في وسعهم لحفظ الخلافة والبلاد الاسلامية لان هجوم الاجانب عليها يوجد حالة النفير العام فيجب على جميع مسلمي العالم شرقا وغربا أن يهبوا للدفاع عنها

فلما رأت الحكومة أن حضرتها متصلب في أفكاره ومصر على أعماله وأنها لا تستطيع استمالته اليها بالترغيبات ولا تخويفه بالتهديدات كما فعلت بالآخرين أقفلت أولا جريدته ثم نفته من مقاطعة كلكتا مستقره ثم بعد ستة أشهر سجنته في معتقله ولم تخل سبيله الا بعد الهدنة في يناير سنة ١٩٢٠

ولسكنه بمجرد خروجه من معتقله انهمك في إيهاض هذه الحركة الجديدة

للخلافة والدعوة اليها ولم يسترح يوما واحدا — وهما نحن أولاء نراه بعد سنتين

قد سلم نفسه الى السجن ثانية فهو الآن بين جدران المربعة ثاويا ، وفي حجرة ضيقة منه قانعا ، فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا

﴿ الشفاعة الشرعية والتوسل الى الله ﴾

بالاعمال وبالذوات والاشخاص

من فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (*)

(الوجه الثاني) ^(١) الدعاء له والعمل له سبب لحصول مقصود العبد فهو كالتمسك بدعاء الرسول والصالحين من امته . وقد تقدم أن الدعاء اما أن يكون اقساما به أو تسببا به، فإن قوله: «بحق الصالحين» إن كان إقساما عليه فلا يقسم على الله إلا بصفاته. وإن كان تسببا فهو تسبب لما جعله سبحانه سببا وهو دعاؤه وعبادته. فهذا كله يشبه بعضه بعضا وليس في شيء من ذلك دعاء له بمخلوق ولا عمل صالح منا. فإذا قال القائل أسألك بحق الأنبياء والملائكة والصالحين فإن كان يقسم بذلك فلا يجوز أن يقول وحق الملائكة وحق الأنبياء وحق الصالحين ولا يقول لذاته أقسمت عليك بحق هؤلاء فإذا لم يجز أن يحلف به ولا يقسم، فكيف يقسم على الخلق به؟ وإن كان لا يقسم به فليس في ذوات هؤلاء سبب بوجب حصول مقصوده لكن لا بد من سبب منه كإيمان بالأنبياء والملائكة، أو منهم كدعائهم لنا — لكن كثير من الناس تعودوا ذلك كما تعودوا الحلف بهم حتى يقول أحدهم: وحقتك على الله وحق هذه الشبهة على الله . وفي الحلية لابي نعيم أن داود عليه السلام قال: يارب بحق آبائي عليك ابراهيم واسحق ويعقوب، فأوحى الله اليه « يا داود أي حق لا بآئك علي؟ » وهذا وإن لم يكن من الأدلة الشرعية فقد مضت السنة أن الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه . وأما الغائب والميت فلا يطلب منه شيء .

وتحقيق هذا الأمر أن التوسل به والتوجه اليه وبه لفظ فيه اجمال واشتراك بحسب الاصطلاح، فعناه في لغة الصحابة أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكونون

تابع لما نشر في الجزء التاسع ص ٦٨١م ٢٣

(١) أي من وجهي مرجيح المعنى الذي حمل عليه حديث دعاء الخارج الى الصلاة

(المنار: ج ٢) (١٧) (المجلد الرابع والعشرون)

متوسلين ومتوجهين بدعائه وشفاعته ودعاؤه وشفاعته من أعظم الوسائل عند الله. وأما في لغة كثير من الناس أن يسأل بذلك ويقسم عليه بذلك والله تعالى لا يقسم عليه بشيء من المخلوقات بل لا يقسم بها بحال فلا يقال أقسمت عليك يا رب بملائكتك ونحو ذلك بل إنما يقسم بالله وأسمائه وصفاته . فيقال « أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت المنان ، بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم ، وأسألك بأنك أنت الله لا أحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك » الحديث كما جاءت به السنة . وأما أن يسأل الله ويقسم عليه بمخلوقاته فهذا لا أصل له في دين الإسلام . وقوله ^(١) اللهم اني أسألك بمعاهد العزم من عرشك ، ومنتهى الرحمة من كتابك ، وباسمك وجدك الأعلى وكلماتك التامة — مع أن في جواز الدعاء به قوانين للعلماء فحوزه أبو يوسف وغيره ومنع منه أبو حنيفة وأمثال ذلك ^(٢) — فينبغي للخلق أن يدعوا بالأدعية المشروعة التي جاء بها الكتاب والسنة فإن ذلك لا ريب في فضله وحسنه فإنه الصراط المستقيم ، صراط الذين أكرم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وحسن أولئك رفيقا ، وهو أجمع وأنفع ، وأسلم وأقرب إلى الإجابة

وأما ما يذكره بعض العامة من قوله صلى الله عليه وسلم « إذا كانت لكم إلى الله حاجة فاسألوا الله بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم » فهذا الحديث لم يروه أحد من أهل العلم ولا هو في شيء من كتب الحديث والمشروع الصلاة عليه في كل دعاء . ولهذا لما ذكر العلماء الدعاء في الاستسقاء وغيره ذكروا الأمر بالصلاة عليه ، ولم يذكروا فيما يشرع للمسلمين في هذا الحال التوسل به كما لم يذكر أحد من العلماء دعاء غير الله والاستغاثة به في حال من الأحوال ، وإن كان بينها فرق فدعاء غير الله كفر بخلاف قول القائل اني أسألك بجاء فلان الصالح فإن هذا لم يباغتنا عن أحد من السلف انه كان يدعو به

(١) في كتاب « الوسيلة » وكذلك قوله الخ عطفًا على الدعاء الذي قبله وليس فيه العبارة المتهجمة هنا بين الدعاء بن (٢) أي من الأدعية

ورأيت في فتاوى الفقيه الشيخ أبي محمد بن عبد السلام انه لا يجوز ذلك في حق غير النبي صلى الله عليه وسلم^(١) ثم رأيت عن أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما من العلماء انهم قالوا : لا يجوز الاقسام على الله بأحد من الانبياء . ورأيت في كلام الامام احمد انه في النبي صلى الله عليه وسلم لكن هذا قد يخرج على احدى الروايتين عنه في جواز الحلف به^(٢)

وأما الصلاة عليه فقد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع قال الله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي . يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وفي الصحيح عنه انه قال « من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرة » وفي المسند أن رجلا قال : يا رسول الله أجعل عليك ثلث صلواتي قال « يكفيك الله ثلث أمرك » فقال : « أجعل عليك نصف صلاتي » قال « اذا يكفيك الله ثلثي أمرك » فقال أجعل صلاتي كلها عليك فقال « اذا يكفيك الله ما أهمك من أمور دنياك وآخرتك » وقد ذكر العلماء وأئمة الدين الادعية المشروعة وأعرضوا عن الادعية المبتدعة فينبغي اتباع ذلك

والمراتب في هذا الباب ثلاثة (أحدها) الدعاء لغير الله سواء كان المدعو حيا أو ميتا وسواء كان من الانبياء عليهم السلام وغيرهم فيقال يا سيدي فلان أغثني ا وأنا مستجير بك ونحو ذلك، فهذا هو الشرك بالله . والمستغيث بالمخلوقات قد يقضي الشيطان حاجته . بعضها . وقد يتمثل له في صورة الذي استغاث به فيظن أن ذلك كرامة لمن استغاث به وإنما هو شيطان أضله وأغواه لما أشرك بالله كما يتكلم الشيطان في الاصنام وفي المصروع وغير ذلك . ومثل هذا واقع كثيرا في زماننا وغيره وأعرف من ذلك ما يطول وصفه في قوم استغاثوا بي أو بنيري وذكروا أنه أتى شخص على صورتي أو صورة غيري وقضى حوائجهم فظنوا أن ذلك من بركة لاستغاثت (بي) أو بنيري وإنما هو شيطان أضله وأغواه وهذا هو أصل عبادة الاصنام واتخاذ الشركاء مع

« ٣ » في كتاب التوسل والوسيلة تقييد هذا بقوله : ان صح حديث الاعمى « ١ » من قوله (ثم رأيت عن أبي حنيفة) الى هنا ليس في سياق كتاب الوسيلة

الله تعالى في الصدر الاول من القرون الماضية كما ثبت ذلك فهذا شرك بالله نعوذ بالله من ذلك (الثاني) أن يقال للميت أو النائب من الانبياء والصالحين: أدع الله لي وأدع لنا ربك ونحو ذلك فهذا مما لا يستريب عالم أنه غير جائز. وأنه من البدع التي لم يفعلها أحد من سلف الامة وأئمتها. وإن كان السلام على أهل القبور جائزاً ومخاطبتهم جائزة كما كان صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه إذا زاروا القبور وأن يقول قائلهم «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا ان شاء الله بكم لاحقون» وقال ابن عبد البر ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام»

وفي سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما من رجل مسلم سلم على الا رد الله علي روعي حتى أرد عليه السلام» لكن ليس من المشروع أن يطلب من الاموات شيئاً. وفي الامام مالك^(١) أن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما كان يقول: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبا، ثم ينصرف. وكذلك أنس بن مالك وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، نقل عنهم السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة يدعون الله تعالى لا يدعون وهم مستقبلوا القبر الشريف. وإن كان قد وقع في ذلك بعض الطوائف من الفقهاء المتصوفة ومن العامة ممن لا اعتبار بهم فإنه لم يذهب الى ذلك امام متبع في قوله ولا من له في الامة لسان صدق. بل قد تنازع العلماء في السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو حنيفة يستقبل القبلة ويستدير القبر. وقال مالك والشافعي بل يستقبل القبر وعند الدعاء يستقبل القبلة ويستدير القبر، ويجعل القبر عن يساره أو يمينه وهو الصحيح إذ لا محذور في ذلك (الثالث) أن يقول: أسألك بجاه فلان عندك أو بحرمته ونحو ذلك. فهو الذي تقدم عن أبي محمد أنه أفتى بأنه لا يجوز في غير النبي صلى الله عليه وسلم^(٢). وافتى

(١) كذا بالأصل ولعلها وفي (موطأ الامام مالك الخ)

(٢) اي معلقا له علي صحة حديث الاعمي

أبو حنيفة وأبو يوسف وغيرهما انه لا يجوز في حق أحد من الانبياء فكيف بغيرهم. وان كان بعض المشايخ المبتدعين يحتج بما يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا أعييتكم الامور، فعليكم بأهل القبور » او قال « فاستغيثوا بأهل القبور » فهذا الحديث كذب مقترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم باجماع العارفين بحديثه لم يروه أحد من العلماء ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة وقد قال تعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده) الآية وهذا مما يعلم بالاضطرار في دين الاسلام أنه غير مشروع . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عما هو أقرب من ذلك من اتخاذ القبور مساجد ونحو ذلك ولعن على ذلك من فعله تحذيراً من الفتنة باليهود فان ذلك هو أصل عبادة الاصنام أيضاً فان ودا وسواعا ويعوث وبعوث ونسرا كانوا قوما صالحين في قوم نوح عليه الصلاة والسلام فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم اتخذوا الاصنام على صورهم كما ذكر ذلك ابن عباس وغيره من العلماء ^(١) فمن فهم معنى قوله (اياك نعبد واياك نستعين) عرف أنه لا يعين على العبادة الا عانة المخلوقة الا الله وحده

وقد يستغاث بالمخلوق فيما يقدر عليه وكذلك الاستعانة لا تكون الا بالله والتوكل لا يكون الا على الله . وما النصر الا من عند الله . فالنصر المطلق وهو خلق ما يغلب به العدو فلا يقدر عليه الا سبحانه . وفي هذا القدر كفاية لمن هداه الله تعالى والله تعالى أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً انتهى (٥)

(١) الاثر في صحيح البخاري

(٥) ملحوظة: نشرنا هذه الرسالة أو الفتوى عن مجموعة مخطوطة جاءتنا من بغداد وفي أثناء الطبع وجدنا فيها مواضع محرفة فراجعنا (كتاب التوسل والوسيلة) الذي سبق لنا نشره فوجدناها فيه بعبارة أوسع وأوضح سالمة من التحريف فتراجع فيه (ص ١٠٣)

﴿ انتداب العرب في سويسرة ﴾

في القرون الوسطى

(١)

طرفة تاريخية من قلم الامير شكيب أرسلان الشهير

يظهر أنه من جملة الممالك الاوربية التي انبسطت اليها يد الاستيلاء العربي وخفق فوق ربوعها علم الفتح الاسلامي في القرون الوسطى هي بلاد سويسرة هذه البقعة الجميلة النضيرة التي تراها جنة خضراء، صيفا وشتاء والتي هي من أوربة بمثابة الكبد من الجسد

كنت أعلم أن العرب بعد أن فتحوا اسبانية استولوا على جنوبي فرنسا وتمكنوا من أواسطها ونزلوا بر ايطالية واكتسحوا رومة (١) فضلا عن استيلائهم على صقلية وسردانية وغيرهما من الجزر ولكن الى سنة ١٩١٩ تاريخ ورود سويسرة لم اكن أعلم شيئا عن وصول العرب الى نفس سويسرة مع بقائهم فيها مستقلين بعدة من القلاع والبقاع نحو من مائة سنة وبلوغهم بحيرة كونستانز الشهيرة من جنوبي ألمانيا

وأول من نبه فكري الى هذا الحادث العظيم من ما جريات الفتح العربي الاوربي هو الاستاذ هس المستشرق السويسري الذي أقام مدة بمصر وعرف كثيرين من كبراء المصريين والذي يمت الينا بجبل صداقة ا كيدة كانت بينه وبين استاذنا الامام المرحوم الشيخ محمد عبده — برد الله ثراه . فأول اجتماعي مع المستشرق المشار اليه أطلعني على تاريخ وجود العرب بسويسرة محورا باللغة الالمانية بقلم مؤلف اسمه (فرديناند كار) مطبوعا في مدينة زوريخ سنة ١٨٥٦ وبعد ذلك استقرت هذا الموضوع فوق في يدي كتاب ممتع جليل عنوانه تاريخ غارات

« ١ » لا ندري ما يريد الكاتب من اكتساح رومية حقيقة هوام مجاز؟

فالعرب لم يفتحوها ولا سلبوها وهو اوسع منا اطلاعا على التاريخ

المسلمين على فرنسة وسافواي وبيامون وسويسرة الميسو (رينو) الفرنساوي وكتب
أخرى ظهر من اجمعها ومن آثا العرب الباقية ومن الاسماء العربية التي تركوها في البلاد
ومن المسكوكات العربية أي لا تزال محفوظة أنه كان للعرب دولة وصوله في بلاد
سويسرة وانهم لبثوا فيها حقبا (الحقب بضم فسكون نحو ثمانين سنة أو
اكثر) كان حافلا بالوقائع والنوادر شأنهم في كل محل دخلوه أيام كان العرب
عربا والناس ناسا

وما يخص هذه التواريخ وهو من أغرب ما جاء في حوادث الدهر أن عشرين
عربيا كانوا راكبين في سفينة من سواحل اسبانية ضلت بهم الطريق وما زالت
تتقاذفهم الامواج حتى رمت بهم على شاطئ خليج (سان ترويس) في جهات جينوة
فخرجوا الى البر وتوغلوا بين القرى يقتلون بأسرون واتخذوا لهم حصنا في أدغال
جبل (موروس) وصاروا يشنون الغارات ويأبون اليه بالغنائم. وقيل بل ركب ٢٠
عربيا من لصوص البحر من ساحل الاندلس قاصدين سواحل بروفانس (جنوبي
فرنسا) فأخذهم الريح الى خليج غريمو أو خليج سان ترويس فخرجوا ولم يشعر بهم
أحد ورأوا حول ذلك الخليج غابة ملتفة أشبه حولها سلسلة جبال فأغاروا على
أقرب قرية من محل نزولهم وقتلوا أهلها وانتشروا في الناحية وألقوا الرعب في
القلوب وكان الموقع مساعدا لهم بطبيعة الارض من الاشراف على البحر ثم من
الغاب المشتبك ثم الجبال الشامخة فحكموا في تلك الجهات واستولوا على طرقها
وقبضوا على مضايقتها وألقت هي اليهم بمقاليدها. وكان هذا الحادث نحو سنة
٨٩١ مسيحية

ولا يجب أن نأخذ كلام مؤرخي الافرنج هذا على علانه من جهة كون
غزاة هؤلاء العشرين عربيا هي لصوصية صرفة وعيثنابحتا وانهم إنما جاءوا
لأنهم والغصب فهذه شناعة مؤرخ أوربا بازاء حوادث كثيرة في تاريخ الاسلام
مع أن الواقع قد يكون خلاف ذلك وقد دلت الآثار وقامت الادلة ونهضت
البراهين على أن أكثر أغراض العرب في مغازيتهم في صدر الاسلام إنما كان اعلاء

كلمة الله ونشر عقيدة التوحيد وانهم كانوا يزون أنفسهم هداة لاجبابة ، وكانوا يستبسلون في الحروب استبسالاً ويبيعون أنفسهم من الله ابتغاء الجنة فقط ومجدون ذلك فرضاً عليهم على حين أن الغي أو الغريب الجاهل للحقائق البعيدة عن اكتناه أسرار هذه المغازي وما كان يجيش في صدور أهلها كان يتوهم أنها بأجمعها فتوحات دنيوية لاجل السلب والكسب، والنهي والامر، وليس التوهم بعبرة، فقد يكون هؤلاء العشرون غازيا الذين أبحروا من ساحل اسبانية الى ساحل ايطالية هم ممن نصبوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله ورفع راية التوحيد ونشر كلمته بين أهالي هاتيك الارضين راكبين لذلك لجج البحار، ومتوقلين عقاب الاوغار. استزادة من ثواب الله، ورغبة في الشهادة في سبيل الله، وربما كان بين هؤلاء العشرين مجاهدا العالم والفاضل، والفقير والمحدث، والشاعر والمترسل، والسائس المخنك، والقائد البصير المحرب

وبرهان ذلك واضح كالشمس من كون ٢٠ رجلا لا يقتحمون مثل هذه الغمرة، ولا يلقون بأنفسهم في بر لا آخر له، وهم عصبة كهذه قليلة، ان لم يكونوا من ذوي النفوس العالية، والطباع الزاكية، ولم تكن بين جنوبهم أرواح تتطال الى ما هو أعلى من حطام الدنيا الفانية. وليست قصة الخصوصية هذه التي تجدها في أكثر تواريخ الافرنج. حاشا النقاد المدققين الذين ابتدأوا ينبهون الافكار في هذه الايام. بدليل على كون هؤلاء العشرين غازيا انما جاؤا عابثين مفسدين قاصدين الغنيمة المادية ولا سيما وانك تراهم من جهة أخرى يعترفون بأنهم ما استقرت قدمهم في ذلك الساحل حتى شادوا الحصون، واستنبطوا العيون، وامتهدوا الخزون، ونحتوا الصخور، وأثروا آثار عمارة أثيلة لا تزال منها بقايا ناطقة بفضلهم الى يومنا هذا، مما يوافقنا كل عاقل منصف انها ليست أعمال لصوص ولا حكايات دعار، وانما هي آثار أمجاد أنجاد، وقروم أجود، من أعظم الرجال، وخيرة الأبطال

وقد يكونون علموا بما كان عليه أهل تلك الديار يومئذ من الجهل والخراب والانحطاط في المعارف والاخلاق « فانتدبوا » لاصلاح أمورهم و « لالاخذ بيدهم

في معترك الحياة « كما هي لغة الاستعمار لأن مما هو ثابت فعلا يكون شذمة كده أصلها ٢ رجلا لا تتمكن من نواصي تلك المديار، ولا تسود أولئك الاقوام من البحر المتوسط الى بحيرة (كوستنيز) الي هي كبد اوربة - إلا وهي أرق جدا من أهلها. ولولا الفرق البعيد في درجات المدينة ما ساد هذا القليل على ذلك الكثير، لابل لم تظهر هذه النقطة على ذلك الغدير،

قالوا ولم رأى هؤلاء العشرون رجلا ما أصابوا من الغنم في هذه الغزاة أرسلوا الى أسبانية فوافقهم ١٠٠ رجل آخرون من ذؤبان الرجال، ومن يعتمد عليهم في مثل هذه الاحوال، فاشتدت بعد ذلك وطاتهم وصالوا على جميع هاتيك الجهات يشخون في أهلها ويضربون عليهم الجزية ويقتدون من يشاؤون منهم يخزاهم الذلة والصغار وساعدتهم على ذلك ما كان فيه أهلي تلك الانحاء من اختلاف الكلمة وتفرق الاواء، فكان بعضهم يستعين بهم على بعض^(١) فعصفت ريجهم في هاتيك الآفاق، وصاروا ينصرون بالعرب، وأصبح الفرد الواحد منهم لا يبالي أن يلاقي ألفا فما مضت بضع سنوات حتى صار لهم عدد من الابراج والقلاع أهمها في الجبال المسماة فرا كسينا، قوم Fraxinatum أو فرا كسينه ولا تزال من بقايا آثارهم فيها أبنية ماثلة وبيوت منحوتة في الجبال، وآبار محفورة في الصخور

قال المؤرخ (رينو) السابق الذكر وكان ذلك في اواخر القرن التاسع للمسيح. ثم وصلوا الى سلسلة جبال الانب الشهيرة، وسنة ٩٠٦ اجازو مضايق دوفينه وجبل سينس واستولوا على نوقالس في حدود اليامون ونهبوا الاديرة التي هناك وشردوا الرهبان وألحقوا في لاهلين فاجتمع هؤلاء عليهم وأحاطوا بهم وأخذوا أسارى وشدوا أوثقتهم ووضعهم في دير مار اندراوس فحطم هؤلاء الاسرى القيود

(١) المنار: وهكذا تفعل العرب اليوم كان المئة بعد العشرة يحتلون قلب اوربة ويعيشون فيها أعزة وتستعين بهم أمم الفرنجة بعضها على بعض وهم اليوم مئة مليون ولكنهم أدلة في بلادهم ويستعين بعضهم على بعض بالاجانب كما يفعل ملك الحجاز واولاده

وأفلتوا وانتفضوا على أعدائهم فهزموهم وأحرقوا الدير وقسموا من المدينة وما رالوا يعيشون ويشنون الغارات حتى انقطعت الطرق بين فرنسة ويطالية، ثم يقول رينو ان العرب استولوا على مقاطعة فالي وزحفوا الى قلب بلاد الديرزون وصاحبوا بحيرة جيف وتقدموا الى بلاد الجورة في سويسرة Garu وكانت سويسرة حينئذ من مملكة بورغنيه ففرت أم الملك كوراد الى برج منفرد في نيوشاتل (احدى ولايات سويسرة اليوم) ولما ضاق ذرع الاهالي جميعا بهؤلاء العرب لاسيما أهل بروكس وسويسرة ويطالية ثار هوغ كونت (١) بروفانس وعزم ان يتولى كبر هذه المسئلة ويطرد العرب من تلك الديار ويستولي على معقلهم الاشم في فرا كسينه وارسي الذي لم في خليجها فاستنجد هوغ صهره صاحب القسطنطينية ليمده بالاسطول وبالنار الاغريقية فحصر الاسطول وهاجم العرب من البحر بينما الاهالي يهاجمونه من البر وضاق بالعرب الخناق فاعتصموا بالجبال وأعيأ أمرهم هوغ فلم يلبث أن صالحهم ولا سيما بعد أن رأى خصمه برانجر قام ينازعه الملك فاستقر أمر هؤلاء وجعلوا يرثون الارض ويبسبون ويفرسون وتزوجوا بنساء من البلاد ويشوا قابضين على جبال الالب لاسيما عمر « سان برنار » (الشهير الى الآن) وأقامت منهم فئة بمدينة نيس وفيها حارة باسمهم الى هذا اليوم وفي سنة ٩٦٠ تمسك الاهالي من طرد العرب من سان برنار بعد معركة شديدة وسنة ٩٦٥ أجلاوا عن « غرنوبل » وعن وادي « غريزي فودان » وبعد ذلك اجتمعت عليهم جيوش عظيمة من كل صوب وهزموهم وقتلوا كثرهم وتنصر بعضهم وبطن أن فلهم فر الى افريقية وأسبانية وقد بقيت لهم قرى تنصر أهلها ومن أبى منهم النصرانية صاروا عبيدا يشتلون في أراضي الديرية وكان سقوط حصن فرا كسينة سنة ٩٧٥ بعد أن أقاموا به أكثر من ٨٠ سنة وسمعت من بعض من عرف أمور سويسرة انه يوجد إلى اليوم قريتان في مقاطعة فالي Valeé يركب أهلها الخيول بسروج عربية ولهم عادات كثيرة خاصة بهم وهم لا يتزوجون من سائر الاهالي ولا يصاهرونهم لها بقية

كتاب من الخرافات الى الحقيقة

٧

(٧٠) اعتنى المسلمون قديماً بالرياضة البدنية اعتناء زائداً ، لأن العقل الصحيح لا يكون إلا في الجسم الصحيح ، ولذلك كانوا يعلمون الشبان فنّ الفروسية والرماية والسباحة اتباعاً للحديث الشريف القائل « علموا أولادكم السباحة والرماية » ^(١) « وعليكم بالرمي فإنه خير لهُوكم » ^(٢) و « الرمي خيراً لهُوتم به » ^(٣)

ليتأمل العاقل نتيجة دين يأمر بتوسيع دائرة المعارف وتزويد أسباب الثروة وتقوية البدن وفن (الحرب) وهذه الأركان الثلاثة متصل بعضها ببعض كما لصقت محاسن الأخلاق بالتحاب والتواد ، هل يقف أمام قوم هذا منهاجهم مهما قل عددهم وعديدهم أعظم أمباطورية ؟

(٧١) الرحمة للصغير واحترام الكبير كان خلقاً راسخاً لأنه (ص) قال « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا » ^(١)

(٧٢) الاقتصاد كان أساساً للمعاملات المالية وفي الحديث « ما طال من اقتصد » ^(٥)

(٧٣) الشح وكان مذموماً جداً ، وجاء في الحديث الشريف « ما محق الإسلام محق الشح شيء » ^(٦)

(٧٤) السخاء كان أمراً بمدوحاً جداً ، قال (ص) « أقبلوا السخي زلته فان الله أخذ بيده كلما عثر » ^(٧)

من لا يعرف أن أبا بكر وعثمان رضي الله عنهما سمحا بثروتها لاجل استكمال وسائل الحرب ؟

« ١ » رواه ابن مندة في المعرفة والديلمي في مسند الفردوس بسند حسن
« ٢ » الطبراني في الاوسط عن سعد بسند صحيح « ٣ » الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر

« ٤ » احمد والترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمر بسند صحيح
« ٥ » احمد عن ابن مسعود بسند حسن « ٦ » أبو يعلى عن أنس باسناد حسن « ٧ » الخرائطي في مكارم الأخلاق عن ابن عباس باسناد صحيح

(٧٥) أما البخل فكان في أقصى درجات المعيبات والمذمومات . لقوله (ص) فيه « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق »^١
 (٧٦) حرية الوجدان وحرية المساكن وصيانة الملك بأنواعه ولا سيما الكتب والرسائل وأمثالها من الحريات السياسية التي طالما افتخر بها الاويون وقد كانت من جملة ما جاءنا به ندنا قبل ألف سنة وكسور . قال الله تعالى (لكم دينكم ولي دين) (لا إكراه في الدين) . وقال رسوله « من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم فقد حل لهم أن يفتقروا عينه »^٢ وقال الله (لا تدخلوا بيوتا غير موثكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وقال (ص) « من اطلع في كتاب أخيه بغير أمره فكأنما اطلع في النار »^٣ وقصارى القول لواعتنى علماءنا باستخراج أمثال هذه الاحاديث لوجدوا فيها من الوثائق ما هو كاف لابطال كل دعوى اتهم بها الدين الحنيف .

ومما يوجب الاسف أن المصائب التي حلت بالمسلمين كأنها لم تكف لفتح عيونهم لتحري أوامر هذا الدين الممين التي تقتضي أن يكون متموه في طليعة العلماء والاغنياء والاقوياء والامراء . واعصاه !

(٧٧) ان التهور للخصم ومقابلة قوته بالقوة من أسس الاسلام لذلك قال الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) فهل للمسلمين بعد هذا أن يكلوا الامور لمشيئة الله تعالى ويعطلوا قوام وأوامر القرآن ويعدوا ذلك من الاسلام ؟
 (٧٨) أرشد (ص) الى حسن اختيار الموظفين بقوله « لكل شيء آفة تقسده وآفة هذا الدين ولالة سوء »^٤ فهل يحل بعد هذا أن يقل الوالي المسلم الشفاعات لاجل توسيد الامور العامة لغير أهلها

(٧٩) كانوا يمتنون بكل ما يزيد الثروة العمومية ولا سيما تربية الغنم لانه (ص) قال « اتخذ الغنم فانها بركة »^٥ وغير خاف على أحد ما للغنم من المكانة الاقتصادية في عصرنا . ليتنبه الكسالى .

« ١ » البخاري في الادب المفرد والترمذي بسند صحيح « ٢ » احمد ومسلم من حديث أبي هريرة « ٣ » الطبراني في الكبير عن ابن عباس « ٤ » رواه الحارث من حديث ابن مسعود وصححه « ٥ » الطبراني والخطيب عن ام هانيء وابن ماجه يلفظ : اتخذي »

- (٨٠) كانوا يضمنون الشيء في محله ويتباعدون عن الاسراف والتبذير
استرشادا بقوله (ص) « أفضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله ودينار
ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل
الله عز وجل » ^(١) وهذا يدل على أنه لم يكن من المعروف في عصره (ص)
تخصيص الثروة لافراد كسالى ينامون على ظهورهم تاركين العمل وعادن هذا عمادة
(٨١) كان العمل الجاد ممدوحا والكسل مذموماً لقوله (ص) « من
بات كالا من عمله بات مغفورا له » ^(٢)
(٨٢) أشد ما اعتنت به الديانة الاحمدية الصناعة والتجارة لانه (ص) قال
« أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » ^(٣)
(٨٣) كان الفقر مكروها مستعازا منه وانما يطلب الصبر عليه وكان (ص)
يقول « أعوذ بالله من الفقر والعيلة ومن أن تظلموا أو تظلموا » ^(٤) و« اللهم
إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم » ^(٥)
إن أبا بكر كان تاجرا غنيا . ولذلك ذو النورين . واكتسب طلحة والزبير
ثروة هائلة من التجارة .
(٨٤) ما كان أحد في أوائل الاسلام ينكمش في زاوية أو تكية ليأكل
ويشرب من ثمرة حد غيره باسم العمة . لانه (ص) قال استغفروا عن الناس
ولو بشوص السواك » ^(٦)
لذلك كان كل واحد يشتغل بعمل من الاعمال حسب قدرته العقلية والبدنية
(٨٥) الحراثة كانت محترمة جدا وقد أمرنا بها سيدنا (ص) بقوله « احرثوا
فإن الحرث مبارك واكثروا فيه من الجماحم » ^(٧)
(٨٦) الحياة الاستقلالية كانت أساس عمل كل فرد . لانه (ص) قال

« ١ » احمد ومسلم واصحاب السنن ما عدا ابا داود عن ثوبان
« ٢ » ابن عساكر عن انس بسند صحيح « ٣ » احمد والطبراني والحاكم
عن رافع بن خديج والطبراني عن ابن عمر وهو حديث صحيح
(٤) الحاكم في المستدرک بلفظ « أعوذوا بالله . - وآخره - وان تظلم او تظلم »
(٥) ابوداود والنسائي وابن ماجه « (٦) الزار والطبراني والبيهقي عن
ابن عباس وهو صحيح (٧) ابوداود في مراسيله عن علي بن الحسين مرسل

« خيركم من لم يترك آخرته لدينه ولا دينه لآخرته ولم يكن كلاء على الناس »^(١)
لذلك كان كل يسعى لئلا يكون حملاً ثقيلاً على المسلمين — شأن البطالين
والكسالى اليوم .

(٨٧) الاتجار في الاقطار وجلب ما يحتاجه الناس كان من الامور
الممدوحة . والاحتكار كان من الامور المذمومة جاء في الحديث « الجالب الى
سوقنا كالمجاهد في سبيل الله والمحتكر في سوقنا كالمجد في كتاب الله »^(٢)
هنا ادعوا القاريء الكريم لان يطالم بحث التجارة الخارجية وبحث الاحتكار
في كتب الاقتصاد السياسي ليرى علو معنى هذا الحديث .

(٨٨) التبذير وعمل الاشياء التي لا فائدة منها كانت مجهولة عندهم .
لان النبي (ص) « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج »^(٣)
من هنا يفهم أن انتشار التبر وزيارتها ليس من الاسلامية في شيء . وقد
انتقلت هذه الخرافة لديننا الصافي النقي من أساطير الهنود القديمة .

اذ إتلاف شيء من الزاد وإيقاد الشموع على القبور موحب لعنة فأين المتأملون ؟
(٨٩) في القرون الوسطى كانت للنصارى في محلات مختلفة صوامع
ينقطعون للعبادة فيها . فنهانا نبينا عن ذلك « لا رهانية في الاسلام » . لان
الله أمرنا بالعمل إذ قال (وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم)

(٩٠) ان ذبح القرابين والضحايا على القبور ممنوع في دين الاسلام لانه
جاء في الحديث « لا عقر في الاسلام »^(٤)

(٩١) النذر لعن الله ليس مشرعاً لقوله (ع) « لا وفاء لنذر في معصية الله »^(٥)
(٩٢) تعليق بعض الاشياء على الاولاد وغيرهم لدفع النظرة أو استكتاب
النسخ لاجل محبة الأزواج لزوجاتهم من أمور الشرك نعوذ بالله لقوله (ص)
« إن الرقي والتائم والتولة شرك »^(٦) ليتنبه الغافلون ! المبذرون .

(١) الخطيب عن انس بسند صحيح «٢» الحاكم عن اليسع بن المغيرة مرسل «٣»
ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم عن ابن عباس بسند صحيح وليس سبب اللعن
التبذير بل ان هذا العمل من العبادات الوثنية (٤) رواه أبو داود عن أنس (٥)
احمد عن جابر بسند حسن ، والنذور للموتى منها ما هو من أعمال الشرك ولا فائدة
في شيء من هذه النذور وانما يستخرجها عن مل البخيل كما ورد في حديث آخر
(٦) احمد وابو داود وابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود وهو صحيح

(٩٣) نهى النبي (ص) لمن ربط القلب بالمشعوذين وقال « من تعلق شيئاً وكل له » ^(١) والنتيجة الحرمان .

(٩٤) نهى كذلك عن مراجعة العرافين الذين يبتزون أموال الناس بدعوى الاخبار عن الغيب ، قال « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين يوماً » ^(٢) ولأن الله تعالى قال في كتابه الكريم آمراً نبيه أن يبلغ الأمة . (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول أني ملك) . فما قول خفاف العقول الذين يطلبون علم الغيب من العرافين بعد ما جاء في هذه الآية الكريمة مانرى من السراحة ؟

(٩٥) نهى (ص) عن التشاؤم من الاسم أو من صوت الطير وعن الرمل وعد ذلك وثنية فقال « العيافة والطير والطرق من الجبت » ^(٣)
(٩٦) وكذلك عد التطير شركاً فقال « الطيرة شرك » ^(٤)

(٩٧) كانوا لا يتشاءمون من طير الطائر ولا يعتمدون على أقوال الكهنة والسحرة . لانه (ص) أخرج من يفعل ذلك من الجمعية الاسلامية اذ قال « ليس منا من تطير ولا من تطير له أو تكهن أو تكهن له أو تسحر أو سحر » ^(٥)

(٩٨) الحسد والنميمة والكهانة كانت بمنزلة واحدة لانه جاء في الحديث الشريف « ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه » ^(٦) أين من يعتبر؟
(٩٩) لا واسطة بين العبد والمعبود في دين احمد . وكل فرد مسؤول عن عمله لأن الله تعالى قال (ولا تزروا زرة وزر أخرى) أما عمله أو يتخذه بعض الجهلة من لوسطاء لله تعالى فهو مأخوذ من الامم السابقة وتقليد (للاغراء) من النصارى و (للبراهمة) عند الهنود القدماء و (لمونية) عند الزردشتيين وللكاهن عند الكلدان . وما لهذا مكان في دين الاسلام .
(١٠) ان الله غني عن أية واسطة بينه وبين عبده . لانه قال في كتابه

« ١ » احمد وترمذي وحاكم وحسنود « ٢ » احمد ومسلم عن بعض ائمة المؤمنين
« ٣ » ابو داود عن قبيصة وهو صحيح : ٤) احمد والبخاري في الادب المنرد
واصحاح السنن عن ابن مسعود (٥) نصرائي في الكبير عن عمران بن حصين
وهو حسن (٦) رواه أيضا عن عبد الله بن بسر

الكريم (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) .
وأما بناء القبور الفخمة والمزينة واتخاذها ملجأ لقضاء الحاجات فهو ليس من
لإسلام في شيء . ولكنه تقليد للنصارى والهنود واليرانيين كما سيأتي
تفصيل دخول هذه الخرافات في تعاليم الاسلام .

(١٠١) الغيبة كانت مستكرهة جداً . لأن الله قال (ولا يغتب بعضكم بعضاً . أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ؟) (والاحاديث في تحريمها كثيرة)
ليتنبه الاغنياء الذين يقضون أوقاتهم باغنياب الناس والسحة في أيديهم
(١٠٢) لم يعتن الدين الاسلامي بشيء كما اعتنى بالعلم . وقد جاء في الحديث
« طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة » طلب العلم يوماً خيراً من صيام ثلاثة
أشهر^(١) وقال أيضاً « العلم أفضل من العبادة وعملك الدين الورع »^(٢) و « فضل
العلم أحب الي من فضل العبادة »^(٣) و « أفصح من رزق علماً »^(٤)
(١٣) الحرية الشخصية والاستقلال الذاتي من أهم قواعد الدين الحنيف
وحفظاً لكرامة الضرر جاء في القرآن الكريم (فذكر إنما أنت مذكر لست
عليهم بمسيطر)

فإن كان جل جلاله ينهى نبيه عن السيطرة ، فهل يكون هناك دين يكفل
الحرية أزيد من دين الاسلام ؟ وسنبعث في مقابلة الاسلام بغيره في هذه
المسألة بحثاً خاصاً (لها بقية) حسني عبد الهادي

« ١ » الديلمي في مستند الفردوس عن ابن عباس « ٢ » الخطيب وابن عبد
البر في كتاب العلم « ٣ » الطبراني في الاوسط والحاكم عن حنيفة والثاني عن سعد
وتتمته « وخير دينكم الررع » وهو صحيح « ٤ » البخاري في التاريخ والبيهقي
في الشعب بلفظ « أفصح من رزق لبا » اي عقلاً

أحوال العالم الاسلامي

﴿ مؤتمر الصلح بين الترك وأوربة في لوزان ﴾

عرف الترك كيف يعاملون أوربة في هذا المؤتمر معاملة الامثال ، ويدلون
إدلال المنتصر في القتال ، وعرف من لم يكن يعرف من العالم ان أوربة المادية
لا تحترم الا القوة ، ولا تذلل الا للقوة ، ولا تعترف بحق لغير القوة ، وقد جلبت
الدول الكبرى الى لوزان أمما كثيرة من الشرق والغرب جعلتها عوناً لها على
الترك ، فالأرمن طلبوا وطناً قومياً في بلاد الاناضول ، كالوطن الذي تؤسسه
انكثرة لليهود في فلسطين من بلاد العرب ، وشرذمة من بقايا الاشوريين
والكلدانيين يطلبون وطناً قومياً في العراق ، وأوربة هي التي تؤيد هؤلاء وأولئك
لأنهم نصارى بالمساومة بهم ، ونصارى الشرق ما زالوا شرقة في يد دول الاستعمار
المادية تستعملها للتغريق بين سكان البلاد التي تطعم فيها وتلقي بينهم وبين الاكثريين
من أبناء وطنهم العداوة والبغضاء ، باسم المسيحية التي تأمر بحبة الاعداء (١١)
وتمنيتهم بالسعادة والملك اذا خانوا أو طأنهم في خدمتها ، وهم أهون عابها من نعالها ،
ودماؤهم أرخص لديها من غسالة أرجلها ، والا فليؤسسوا الوطن القومي الذي وعدوا
الارمن ومنومهم به حتى حملوهم بالتغريب والتضليل على خيانة دولتهم العثمانية التي كانوا
أنعم وأعز فيها من جميع شعوبها حتى اضطرت الى البطش بهم . عرف العالم كله
كنهه مسيحية دول الاستعمار وغيرها على المسيحيين بعد تبرؤهم من الارمن كما
تبرأ الشيطان ممن أغراه بالكفر . وكان القبط أعقل نصارى الشرق فاتفقوا مع
المسلمين ولم يقعوا في الفخ الذي كان يراد به تضحياتهم — فمتى يعقل من يدعون
أنهم أذكى البشر وأحذقهم وأدهام ويفيقون من سكر تعصبهم ؟

كان الوفد التركي في لوزان أدهى الوفود وأحزمها ، فما زال يخفضه وفود الدول
العظمى ويخفضها حتى لم يترك لاتحادها عليه مع البلقان قيمة واضطرها الى تساهل

١٤٦ الوفود العربية واعتراف الترك باستقلال العرب المنار : ج ٢ م ٢٤

لم يسبق له نظير في معاملتها للترك في المؤتمرات السابقة منذ عدوا دولة أوربية ، وداس في لوزان كل ما كان من عظمة هذه الدول وجبروتها وكبريائها في فرساي ، وسيفر ، وسان ريمو ، ثم انه لم يقبل المعاهدة التي حررت وقبل انها منتهى ما يمكن من التساهل والسخاء الحامي مع الترك . بل حماها الى المجلس الوطني في أنقرة ليرى رأيه فيها ، وقد غلب الدهاء البريطاني الذكاء الفرنسي في هذا المؤتمر فتحول الترك بعده عن فرنسة وتقرّبوا من بريطانيا ، وطفقت جرائدهم — وقد سكنت عن الطعن في الانكليز — تطعن في فرنسة وتعدها أكبر خصومهم فجاءت تبجح فرنسة بصدقة الاسلام مدة سنتين هباء منشوراً .

الوفود العربية في المؤتمر :

كان للجنة المؤتمر السوري الفلسطيني وقد في جنيف عند اجتماع جمعية الامم فيها ثم انتقل الى جنوى عند انعقاد المؤتمر الاقتصادي فيها — فكان هذا الوفد أسبق الوفود القومية غير الدولية الى لوزان عند الشروع في عقد مؤتمر الصلح فيه وكان رئيس هذا الوفد الامير شكيب أرسلان وهو لحسن الحظ صديق للترك قديم يعرفه كبارهم وخواصهم . ثم ذهب وفد من فلسطين واتحد بهذا الوفد ، وذهب وفدان من مصر واتحدا هنالك أيضاً . واجتهد السوريون والمصريون في استمالة الترك ومطالبة وفدهم بالاعتراف باستقلال القطرين وسائر البلاد العربية عملاً بالميثاق الوطني التركي . وكان الغرض أن يقترح جعل ذلك في معاهدة الصلح ، وبأن يتوسل الى مؤتمر الصلح بقبول عرض مطالبهما له رسمياً فلم ينجحوا في هذا ولا ذاك . وكل ما كان ان عصمت باشا رئيس الوفد التركي صرح بالاعتراف بان الترك قد تركوا لمصر والولايات العربية العثمانية أمر تقرير مصيرها واستقلالها وكانت فائدة ذلك أمام الدولتين المحتلتين لهذه البلاد انهما تحواتسا عن طمعهما بأن ينص في معاهدة الصلح على تقرير الحالة الحاضرة في مصر والانتداب في سورية وفلسطين والعراق وقنعنا بأن تحدد بلاد الدولة التركية تحديدا يخرج منها

سورية والعراق، بله افريقية العثمانية، وفائدة هذا سلبية محضة. وههنا وقع الخلاف في ولاية الموصل فالترك يعدونها من بلادهم التي حددوها في الميثاق الوطني، وقد ناقشهم الوفد البريطاني في ذلك باسم دوائه الوصية (المنتدبة) على العراق وأقرها على ذلك الملك فيصل والدة الملك حسين — وإنما جعلتهما ملكين لمثل هذا التأييد الذي هو لازم الحماية والتأبعية

هذا وان كلا منهما قد أرسل مندوبا الى لندن ولوزان، فكانا في لوزان تحت تصرف لورد كرزون قولا وعملا، ولما اعترف عصمت باشا باستقلال البلاد العربية وذكر منها الحجاز بسعي الامير شكيب أرسلان، بادر مندوب الملك حسين بتطير النبأ الى مولاه بالبرق ليوهمه ان هذا كان بعض ثمرات سعيه. ثم بلغ شركة روتر ان عصمت باشا ذكر في ضمن اعترافه أن الملك حسين رئيس الامة العربية وأكبر زعمائها الممثل لها فطيرت هذه الفرقة في الاقطار لتكون توطئة وتمهيدا لتنفيذ المشروع الذي تعده وزارة المستعمرات البريطانية للبلاد العربية. وان عقل عصمت باشا ليربأ به أن يفتات على الامة العربية بالصدق فكيف يفتات بالكذب

كيد السياسة البريطانية للبلاد العربية

لم تنجح وزارة المستعمرات البريطانية النجاح التام باقناع دافعي الضرائب من البريطانيين وممثليهم في مجلس النواب بأن نصبهم الامير فيصل مائكا على العراق والامير عبد الله على شرق الاردن يضمن للدولة البريطانية استثمار فلسطين والعراق بدون نفقة كثيرة ترهق دافعي الضرائب عسرا، ويؤسس لدولتهم امبراطورية عربية جديدة تفيض على الخزينة تبرا، وعلى المستعمر السكسوني عسلا وخمرا، ورأت هذه الوزارة في عهد المحافظين — الذين هم أشد قومهم جشعا وحرصا على الاستعمار، وضراوة باستعباد الاحرار — ان الترك مصرون على انتزاع الموصل من ملك العراق، وان استيلائهم على الموصل يمكنهم من الاستيلاء على بغداد في

كل وقت بكل سهولة ، وان عرب العراق كثيرهم يفضلون الترك على البريطانيين بعد أن بلوهم وعرفوا إفكهم وخداعهم ، وذا قوامرارة جبروتهم وظلمهم ، فلا يمكن أن يحاربوا الترك معهم أو تحت قيادتهم ، لاجل أن تكون العراق مستعمرة هندية لهم . ومن البديهي ان بريطانية لا تستطيع قتال الترك في العراق وحدها ، وضلع العرب معهم عليها ، ولو تصدّت لذلك لقامت عليها الاحزاب البريطانية بأسرها ، وخشي أن يمتنعوا من بذل مئآت الملايين من الذهب والرجال، في هذه المقامرة التي تجر وراءها الخزي والنكال ، وشدة رطاة المقاطعة في الهند ، وشبوب نيران الثورة في فلسطين ومصر ، — ورأت هذه الوزارة أيضاً أن بعض الجرائد والاحزاب وكبار الساسة من الانكايذ يطالبون الحكومة بالجللاء عن العراق وفلسطين من قبل الاستهداف لهذه الاخطار — ورأت أن جعل فلسطين مملكة يهودية فاصلة بين مصر وسائر بلاد العرب ليست من الهنات الهيئات ، وانها قد صارت من المسائل الاسلامية العامة . فالهند قد وضعت استقلال فلسطين وسائر البلاد العربية في برنامجها ، وإمام اليمن على عزله قد احتج بها عليها ، وكاد أهل اليمن يجلون اليهود من بلادهم لاجلها ، حتى ان حكومة عدن البريطانية أجابت اليمن بأن مسألة احتلال فلسطين عرضية مؤقتة وأنهم سيتركونها لاهلها بعد بضع سنين ريثما تستقر الاحوال ! وهذا الجواب من أسلوب الحكيم فانهم انما يعنون باستقرار الاحوال حل مشكلات السكون الكبرى وتوطيد سلطانهم حيث وضعوا أقدامهم رأت وزارة المستعمرات كل هذا وأكثر منه مما نعلم ومما لا نعلم فرجحت إحداث تغيير جديد في شكل ادارة البلاد العربية وتجديد الضغائن والبغضاء بين العرب والترك قطعاً لطريق الجامعة الاسلامية، قبل أن يستيقظ جمهور الشعب العربي من رقاده، ويثوب الجمهور المتحدوع منه الى رشاده، ويدوس الزعماء المتجرين به وببلادهم ، وهي مراقبة لما حدث من تحول العراق عن فيصل وعدم انخداعه بالمعاهدة ، وفلسطين عن عبد الله ، وانه لما عاد من زيارتهم في أوربة لم يزره ولا هنأه من أهلها أحد ، علي ما يشهـ ويـ يشهـ أجراؤه من الدعاية (البور بغندة) في شأن رحلته

وفوائدها المنتظرة (؟) كما أنها عامة بما كان من فشل حسين في محاولة استمالة الامامين يحيى والادريسي ، وليس لهم أحد يعتمدون عليه من كبراء الامة العربية غير أهل هذا البيت الذي هو رئيسه — لا رئيس العرب — يطالبها باسم العرب — لا باسمه — بانجاز ما وعدته من تأليف مملكة عربية بقوتها وتحت وصايتها وحمايتها ، بشرط أن يكون هو رئيسها ، تمتد من البحر الاحمر الى حدود الاناضول وتمتد هي ولاية البصرة منها وتقدم لسائر الولايات المستشارين والموظفين الذين يديرون شؤونها

مشروع الشكل الجديد لاستعمار البلاد العربية

فالمشروع الذي تدرسه وزارة المستعمرات مبني على التوفيق بين مقاصد معاهدة سايكس بيكو ووعود (السر هنري مكماهون) للملك حسين في أثناء ما دار بينهما من المكاتبات التي عرفها قراء المنار في المجلد السابق منه (م ١٣) . ولما كان هذا التوفيق لا يتم الا بتوقيف فرنسة عليه ، واقناعها بجعل داخلية سورية داخلية في المملكة العربية الشريفة ، والقناعة المؤقتة بجعلها منطقة نفوذ فرنسية ، وحصر الانتداب المباشر المؤيد بالاحتلال العسكري في المنطقة الساحلية كما تقنع انكثرة بجعل العراق منطقة نفوذ بريطانية وحصر الحكم الاحتلالي المباشر في ولاية البصرة — لما كان الامر كذلك كاشفت وزارة الخارجية البريطانية حكومة الجمهورية الفرنسية بعزمها معتمدة في اقناعها على التخوين من استيلاء الترك على سورية والعراق والقيام بحركة الجامعة الاسلامية التي يمتد خطرها الى شمال افريقية الفرنسي فيفسده على ولية أمره كما يفسد الهند ويحصر على الدولة البريطانية — وكانوا قد مهدوا السبيل لذلك بتدريب الامير عبد الله على استمالة فرنسة الى شخصه قبل سفره الى لندن وفي أثناء وجوده في أوربة . ومن حججهم التي قويت بعد اعراض الترك عن فرنسة في أواخر العهد بمؤتمر لوزان أن أمرة الملك حسين هي الاسرة الوحيدة التي أشربت دون غيرها من البيوتات

العربية بغض الترك والحقده عليهم . وكان الغرض من هذا السعي أن يجعل الأمير عبد الله ملكا على شرقي الاردن وولاية دمشق وحلب ما عدا سواحل حلب وما ألحق من ولاية دمشق ببلدان الكبير، وبذلك يسهل حمل أهل هذه البلاد وأهل العراق على مبايعة الملك حسين بالخلافة، فينشق العالم الاسلامي فيها وتستحكم العداوة بين الترك والعرب ويتيسر للدولتين ضرب أحدهما بالآخر عند الحاجة الى ذلك . وتدوم لهما السيطرة على البلاد العربية

وقد درست وزارة خارجية فرنسة هذا المشروع فرجح عندها عدم الثقة بهؤلاء الحجازيين صنائع الانكليز الذين لا تأمن فرنسة اغراءهم باخراجها من سورية عند سnoch الفرصة وارادة الانكليز ذلك ، وقيل انها كانت تدرس معه مشروعاً آخر مضاداً له وهو جعل هذه البلاد تحت سيادة الترك إذا رضوا بأن تكون مناطق نفوذ لهم وللانكليز وبذلك يقضون على النهضة العربية ويكتفون أخطارها ولكنها لما تقرر هذا ولا ذاك

ولما شعر الناس في سورية بهذه المفاوضات والمباحث، انبرى أصحاب الاطماع ينزلفون الى حيث يتخذ كل منهم له يدا يستغلها عند تنفيذ المشروع المنتظر ولهجت بذلك جرائد سورية ومصر مندبضة أشهر فكانت شقة هدرت وتلتها أخرى ثم قرنا في سورية وكذبتهما الحكومة المحتلة وان لم يصدق كل الناس تكذيبها في وقتها

وأما الدولة البريطانية فلا تزال تدرس المشروع وقد توسل أعوانها في العراق بطلب الترك للموصل الى تنفير العراقيين منهم من حيث أظهرت هي الميل الى إنجاز الوعد باستقلالهم والاستعداد للجلاء عن بغداد لولا أن قام الملك فيصل يستغيث بها أن لا تفعل وشهد وفده لديهم أو صنيعتهم عنده (جعفر باشا العسكري) بأن خروجهم من العراق نكبة ما بعدها نكبة (١) وهل هذه الشهادة الاشهادة عليه وعلى مولاه الملك فيصل بما يفهمه كل أحد (؟) وهل يخفى على الاكابر ان هذه الدولة اذا لم تخرج في مثل هذه الفرصة من العراق فلن تخرج منه بعد ذهابها

الا باتقلاب جديد في العالم تزلزل به الارض زلاها ، وتخرج أثقالها ، ويتقوض صرح الامبراطورية البريطانية كلها ؟ ولن يكون هذا بعمل العراق بل لن يكون للعراق عمل في الوجود بعد استقرار السيطرة البريطانية عليه الا زرع القطن للمعامل الانكليزية واستخراج البترول لها وما أشبه ذلك ، وماذا يهم فيصل وآل فيصل اذا شقي العراق واستعبد وهو متمتع فيه بلقب الملك وأبهته ونعمته وفخفته ؟ ألم يكن يسعى لمثل ذلك في سورية وكان كل الخلاف بينه وبين الوطنيين عليه ؟ بلى وقد ظهروا عليه حين أعلنوا الاستقلال واضطروا الي اكتفاء شرسعيه للوصاية الاجنبية بجعله ملكا عليهم حتى اذا ما ألح عليه الجنرال غورو باعلان الوصاية الفرنسية أجاب بالقبول ، قبل أن يوجه اليه الجنرال الانذار المعلوم ، وهذا أمر لم نعلمه الا من عهد قريب . ولذلك لا نستبعد الآن أن يكون الانذار عن تواطؤ بينهما ليتخذة فيصل ذريعة الى اقناع المؤتمر السوري العام وسائر زعماء البلاد بقبول الوصاية التي بذل جهده قبل ذلك في اقناعهم بها فأبوا — ويؤيد هذا انتظاره الاحتلال الفرنسي في ضواحي دمشق . حتى اذا ماتم عاد الى قصره ليقوم بأمر الملك تحت وصايته وظله (??) ولو رضي الفرنسي أن يبقى فيصل في دمشق لرضي هو بمحاولة اسلاس البلاد لهم بدون نفقة تذكر كما فعل أخوه للانكليز في شرق الاردن ولكن هذا شراً للبلاد لا خيراً لها ، ولو أن الانكليز جعلوا هذا ملكا على فلسطين كلها لكان تنفيذ الوصاية والوطن القومي لليهود أقرب من لا وأقل نفقة ، واسكن الله نجي فلسطين من هذه النكبة لانه أراد أن ينفخ فيها روح القومية والوحدة الصحيحة ، فلولا هذا الاتحاد بين عرب فلسطين المسلمين والمسيحيين لحكنا على هذه البلاد حكماً محزناً مخزياً ، وقد كانت من فوائد هذا الاتحاد واليقظة أن علم الشعب الفلسطيني كله ما كان خفياً الا على أفراد منه وهو ان الامير عبد الله الحجازي صنعة الانكليز كايه وأخيه وانهم موطنون أنفسهم على أن يكونوا ملوكاً في دائرة الامبراطورية البريطانية المرنة كسلطان زنجبار ونظام حيدرآباد وراجا كشمير وأمثالهم ، أما وقد عرفت حقيقتهم فقد صاروا عاجزين « عن تسليم البضاعة »

نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبأنه لا يمكن أن يتفق الانكليز مع هؤلاء الملوك الحجازيين الا على استعمار البلاد العربية واستعمار الشعب العربي وان كل تغيير يحددانه في البلاد العربية تجارب بريطانية كالتجارب التي نراها في مصر، فيجب على الامة العربية أن لاتثق بشيء يجري بين الفريقين، عملاً بالحديث الصحيح « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »

نبأ عن النهضة الافغانية * وكونها دينية مدنية

ألم مراسل جريدة الاخبار المصرية في الآستانة بمدينة (رومية) عاصمة الدولة الايطالية في طريقه الى (لوزان) وزار فيها السردار عظيم الله خان سفير الدولة الافغانية فيها فوجده في دار السفارة يقرأ القرآن العظيم وبعد أن تعارفا دار بينهما الحديث الآتي وكان المراسل سائلاً والسفير مجيباً

الافغان وإيطاليا

س — هل أسست الحكومة الايطالية سفارة لها في (كابل) مقابل السفارة الافغانية التي تأسست في (روما) ؟

ج — أجل لقد أسست الحكومة الايطالية سفارة لها في (كابل) وعينت الماركيز (بيترنو) سفيراً لها لدى جلالة أمير الافغان . وقد تم الاتفاق بين شركة أفغانية وشركة إيطالية على مد خط أوتوموبيل بين (كابل) و (بشار) الى مدة ١٢ سنة بحيث يكون ٦٠ في المئة من رأس المال إيطاليا و ٤٠ في المئة أفغانيا »

س — هل عقدت أو تتفاوض الحكومة الافغانية لعقد معاهدات أو اتفاقات سياسية أو اقتصادية مع إيطاليا ؟

ج — اني لم أصل الى عاصمة إيطاليا الا منذ أيام قلائل . بيد أننا سنسعى لعقد معاهدات تجارية مع إيطاليا لان لدينا مواد كثيرة يمكننا تصديرها الى البلاد الايطالية ومن هذه المواد الصوف وجلود استراخان ، والسجاجيد

والنواكه احافه وبعض المعادن كالذهب والفضة والحديد و (الزنك) والنحاس والكبريت وبعض الاحجار الكريمة كالزمرد والياقوت والماس وغير ذلك وهنا دعا دولة السفير تابعه وأمره أن يحضر نماذج المعادن الافغانية فأطاع التابع وأحضر عددا من العلب فتحها السفير وألقى ما فيها على جريدة فرشها على المكتب. وأرانا أنواع الحديد والرصاص والزنك والنحاس والذهب والفضة. وقد كان من بينها ما هو خام وما هو نقي. ثم إنه فتح العلب التي تحتوي على الاحجار الكريمة وأرانا أنواع الياقوت والزمرد والماس والزبرجد فقدمنا لبعض التفاصيل عن المناجم التي تحتوي هذه المعادن، قائلا: ان من بينها ما لا يستطيع العالم بأمره ان يستنفده. وقد قضينا نحو نصف ساعة في فحص هذه المعادن والاحجار ولما انتهينا من فحصها عدنا الى حديثنا فسألنا دولته

السياسة الافغانية في الغرب والشرق

س — ما اساس السياسة الغربية التي تتبعها الحكومة الافغانية ؟
ج — « الصلح والمسالمة . لقد كانت بلاد الافغان موصدة الابواب الى حين اعلان استقلالها . والآن تتعارف الافغان مع جميع الدول وستزداد بهم تعرفا كل يوم . لا تريد الافغان ان تنازع احدا وانما تريد ترقية بلادها »
وقد كان المعنى الذي استخرجناه من اقوال دولة السفير ان اساس السياسة الغربية التي تتبعها الافغان هي المسالمة الرامية الى الاستفادة من الغرب في استثمار المنابع الطبيعية الافغانية واعلاء شأن البلاد الافغانية عرفانا واقتصادا

س — اذن ما قواعد السياسة الشرقية التي تتبعها الحكومة الافغانية ؟
ج — الاخاء وقد كان من احدث مظاهر هذا الاخاء تلك البرقية التي ارسلها جلالة امير الافغان الى ملك انكلترا طالبا فيها معاملة تركيا في دائرة الحق والعدل. وقد ارسلت الحكومة الافغانية برقيات في هذا المعنى لحكومتى فرنسا واطاليا،

س — ما رأيكم في مؤتمر لوزان ؟

ج — اننا لا نتتظر الا صلحا عادلا مرضيا.

س — فاذا لم تقبل الدول تحقيق الميثاق الوطني التركي واضطرت تركيا الى مواصلة جهادها فماذا يكون موقف البلاد الافغانية نحو تركيا ؟

ج — موقف البلاد الافغانية ازاء هذه الحالة مصرح به في المعاهدة التركية الافغانية

س — لما ذا لا تتأسس العلاقات السياسية بين مصر والافغان ؟

ج — نحن نريد أن نؤسس مع مصر كل علاقة . وقد مر « الجناب الاعلى محمود طرزي بك » سفير الدولة الافغانية في باريس بمصر خلال سيره الى مقر وظيفته وقابل الكثيرين من رجال مصر فأكرموا وقادته ولبث هنالك مدة . واذا قبلت مصر فنحن مستعدون في الحال لتأسيس جميع العلاقات السياسية .

س — كيف شعور الافغانين نحو اخوانهم المصريين ؟

ج — لا فرق بين الاتراك والمصريين في نظرنا ، نحب كليهما حبا جما . ونحن نتلقى أخبار مصر دائما ونتتبعها بكل شوق . وبغيتنا تأسيس جميع الروابط مع جميع الشعوب الاسلامية وعلى الاخص الشعب المصري .

مبادئ التربية في بلاد الافغان

س — اسمح لي يا دولة السفير أن أسألكم بعض أسئلة ليست سياسية .

هل تتكرمون علي ببيان مبادئ التربية التي تقبلتموها لتربية أبنائكم ؟

ج — هي مبادئ التربية الاسلامية الصحيحة . وهل هناك مبادئ أشرف وأعلى من مبادئ التربية الاسلامية ؟ ان الدين الاسلامي دين الفطرة ، دين الفضيلة ، دين العزة ، دين المدنية ، دين الحق والحقيقة . فكيف لا تكون مبادئه أساس التربية في البلاد الاسلامية ؟ نحن على أتم يقين أن كل نجاح وكل فلاح نفوز به في معترك الحياة ، إنما نفوز به بفضل اعتصامنا بمبادئ ديننا المبين . فاذا ما أرخينا حبل الاعتصام أخذنا في التقهقر ، والانحطاط والاضمحلال . تلك حياة المسلمين أعدل شاهد على أنهم قد ارتفع شأنهم كما رفعوا شأن العالم معهم لما

كانوا متعصمين بالدين الاسلامي . لكنهم لما أهملوا دينهم اجتمعت عليهم المصائب ولم يستطيعوا مقاومتها . فكيف يكون الامر على هذا المنوال ولا تتخذ مباديء التربية الاسلامية اساساً لتربيتنا . أزيد على ذلك أننا نهتم في بلادنا بتربية معارفنا على هذا الاساس ، أكثر من اهتمامنا بأي شيء . والجميع من جلالة الامير الى أصغر صغير يذلون كل جهد لتربية المعارف . ويمتد ذلك في الاهمية الحربية ، ثم الداخلية . وقد أرسلنا الى أوربا عدداً من الطلاب كما تعلمون ونحن نبذل قصارى الجهد لان يكونوا متمسكين بمباديء الدين الحنيف معتصمين بحبل الله ، حتى يتمكنوا من خدمة شعبهم أعظم الخدم .

التشريع والآداب في الافغان

س — مآثر التشريع في بلاد الافغان؟

ج — منبع التشريع هو الشريعة الفراء . نستمد جميع قوانيننا منها . وكلنا يراعي هذه القوانين . وليس جلالة الامير غير مسؤول . بل هو مسؤول ويدعى الى المحاكمه اذا حدث خلاف بينه وبين أحد رعاياه . فالكل تحت حكم القانون المستمد من الشريعة السمحة بلا استثناء . حكومتنا حكومة شرعية ، قانونها الاساسي أحكام الشرع

س — هل تطبق المباديء الاجتماعية في الحياة الافغانية ؟

ج — تطبق تمام التطبيق . ومن آثار ذلك أن الاشرية السكحولية لا تدخل في بلادنا أصلاً . أجل ، لا تدخل هذه الاشرية الروحية في بلادنا ولا تخرج منها . كذلك لا تدخل الآفات العصرية في بلادنا . وسياجنا الحصين ، الذي يمنع دخولها في بلادنا هو ايماننا قبل كل شيء . ولن نجد امرأة عاهرة واحدة بين نساء الافغان . بلادنا والحمد لله طاهرة مطهرة ، بلاد اسلامية بكل معنى الكلمة ، وكل من يجزأ على خرق هذه المباديء يلاقى عقابه الصارم في الحال

جلالة أمير الافغان

س -- نسمع عن جلالة أمير الافغان كثيرا من المناقب التي نلقاها بكل احترام وفخار . فهل لدولتكم أن تزيدونا بيانا ؟

ج -- أشرح لكم كيف يقضي جلالة الامير يومه . ينتبه جلالة الامير من نومه مبكرا ويكون على رأس عمله قبل نظاره وقبل موظفي حكومته . ويشغل مع نظاره الى الظهر حيث يتناول غداءه معهم ثم يعود بعد برهة الى العمل حتى المساء وهناك يترى نحو ساعتين بركوب الخيل أو المشي أو غير ذلك ثم يتناول عشاءه ويعود الى عمله حتى بعد منتصف الليل . ولهذا يلوح على جلالاته آثار التعب دائما . هكذا يقضي جلالاته أيام أسبوعه ولا يستريح الا أيام الجمعة . لا يتناول جلالاته أي رتب من خزنة الشعب بل يعيش من دخله الخاص بمعيشة بسيطة لا تفتقر عن معيشة أفقر رعاباه . ولا شك أن مثل هذه الحياة تكون خالية من جميع مظاهر الابهة والمظنة الخاوية . وجلالاته رجل عمل لا رجل مظاهر . وقد كان أحسن أسوة لأمته للسعي والكد في سبيل ترقية البلاد والحدوث قال المراسل : الحق أن دولة عظيم الله خان رجل كبير من كل وجهة . فهو — عدا كونه رجل عمل ورجل دولة — رجل اسلام يشعر بعزة دينه أسمى شعور . ولذلك تراه في عاصمة ايطاليا يرتدي ملابس التي يرتديها في عاصمة دولته ولا يستبدل بطر بوشه قبة . أي انه رجل يمثل دينه ودولته على السواء اه

(المنار) قد نشرت الصحف العامة مقالات أخرى عن الافغان واميرهم متعددة المصادر متفقة المعنى مصدقة لما قلناه في هذه الامة مرارا آخرها ما في بحث الخلافة المستفيض وهو أن هذا الشعب هو الجامع بين صلابة الدين التي في بلاد نجد وبين الاخذ بأساليب المدنية والعمران السالمة من أخطار ومفاسد المدنية المادية الافرنجية السارية في مصر وبلاد الترك وأمثالها . ولا نرى في كلام السفير الافغان في ايطالية مباينة الا في قوله ان معيشة الامير لا تفتقر عن معيشة أفقر رعاباه

﴿ تقريظ المطبوعات ﴾

﴿ الفطرة ﴾ جريدة عربية اسبوعية تصدر في (بونس أيرس) عاصمة (الارجننتين) صاحبها الكاتب الفاضل العاقل السيّد محمود محمد سلوم وغايتها ارشاد قرائها الى الوحدة والمدنية الراقية بسنن الله تعالى في الفطرة ، ويدخل فيها هداية دين الفطرة (الاسلام) ولذلك نرى مقالاتها الارشادية متوجة بآيات الذكر الحكيم وممزوجة بها أيضاً على المنهاج الذي أشرعه أستاذنا حكيماً الاسلام وموقظاً الشرق في العروة الوثقى وسلكنا جادته بالمنار ، وقد خلفت في ذلك جريدة الارجننتين التي ساءنا احتجاجها . وأهم ما نلتقده منها ما انتقدنا من تلك وهو كثرة الغلط في الآيات القرآنية والاحاديث ، وتلافيه أن يراجع الكاتب او المصحح تلك الآيات في المصحف الشريف قبل طبعها ، وان يستعين على ذلك بمفاتيحه ككتاب (فتح الرحمن) او كتاب (مفتاح كنوز القرآن) ويراجع الاحاديث في معاجمها واشهرها كتاب الجامع الصغير وكنوز الحقائق المطبوع على حواشيه ونضرب لذلك مثلاً مقالة^(١) عقده الجريدة في عددها ١٢ بعنوان (انصر اخاك ظالماً او مظلوماً) لانكار كون هذه الجملة حديثاً نبوياً صيانة لمقام النبوة المعصوم من الامر بنصر الظالم . وقد اخطأ كاتب المقالة في انكار الحديث كما اخطأ في اكثر الآيات التي اوردها في المقالة

بني انكاره للحديث على قاعدة صحيحة وهي ان من علامة الحديث الموضوع مخالفته للقطعي كالقرآن وغيره من أصول الدين وفروعه القطعية ومنها تحريم الظلم وازالته لا اقراره ومساعدة اهله عليه ، ولكن تحكيم هذه القاعدة في الحديث كتحكيمها في قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) بانكار ان يكون من القرآن للقطع بأن القرآن يأمر بالصلاة ولا يمكن الجمع بين الامر بالشيء والنهي عنه . ومن علم ان هذا النهي مقيد بقوله تعالى (وانتم سكارى) لا ينكره . كما ان العالم بأن النبي (ص) فسر في هذا الحديث نصراً للظالم بمحجزه عن الظلم كما رواه احمد والبخاري والترمذي عن انس — ورده عن ظلمه كما رواه الدارمي وابن عساكر عن جابر بن عبد الله — لا ينكره

(١) كتب هذا التقريظ منذ أشهر عقب وصول العدد ١٢ من الجريدة

وقد ظن الكاتب ان هذا تأويل من بعض العلماء والصواب انه تفة الحديث وفي رواية عن عائشة «ان كان مظلوماً فخذ له بحقه. وان كان ظالماً فخذ له من نفسه» ومن الغلط في الآيات قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الخ جعل فيها « اذ » مكان « ان » ومنها قوله تعالى (١١ : ١٤) ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) حذف من وسطها (وما لكم من دون الله من أولياء) ومنها قوله تعالى (٤ : ١٣٤) — يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) زاد فيها كلمة بالحق ومنها قوله تعالى (٩ : ٦) وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) أورده هكذا : وان استجارك أحد من المشركين فأجره حتى يبلغ مأمنه .

وفيه من الخطأ في الحديث — متنه وتصحيحه قول الكاتب : ورد في الحديث الصحيح قول الرسول الأمين « خذوا كلامي فاعرضوه على القرآن فما كان منه وفقاً فهو شرع والا فهو رد » وهو مروي بلفظ آخر وغير صحيح السند ومعارض بالصحيح ، قال عبد الرحمن بن مهدي أحد أقران الإمام مالك : الزنادقة والخوارج وضعوا حديث « ما أنا كم عنى فاعرضوه على كتاب الله فان وافق كتاب الله فأنا قلته وان خالف فلم أقله » وقال الشافعي ما رواه أحد ممن يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير . وزعم بعضهم أنهم عرضوه على مثل قوله تعالى (وما أنا كم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) مخالفة . والصواب أن ليس كل ما روي من الحديث موافقاً لكتاب الله فهو صحيح فمن الأحاديث الموافقة للقرآن ما لا يصح سنده بل ما هو موضوع . وأما ما خالف القرآن مخالفة صحيحة فيستحيل أن يكون النبي (ص) قاله

وقد علمنا أن صاحب هذه الجريدة من طائفة العلويين المعروفين بالنصيرية فسرنا ذلك أضعاف ما كان يسرنا لو كان من طائفة أخرى لان هذه الطائفة أشد الفرق الإسلامية تقصيراً في العلم ولم أر أحداً من أفرادها في بلادنا متعلماً بصيراً بأمور العصر الا شاين أحدهما كان عضواً معنا في المؤتمر السوري العام بدمشق والثاني أديب شاعر له على حداثة سنه ذوق في الشعر وأسلوب جيد سيكون بهما من أشهر شعراء الوطن ، وأرجو أن يكون فيها كثيرون خيرا

منهما . واثني أرى في هذه الجريدة أن بعض الجالية في الأرجنتين يهدونها إلى بعض القارئ في الوطن فعمى أن تكون خير وسيلة إلى إصلاح حال الطائفة وترغيبها في العلم والوحدة المالية من جهة والوطنية من جهة أخرى . فان الدسائس الأجنبية تدب عقاربها في القوم والوساوس الشيطانية تفعل في أذهانهم فعلها تقول لهم : انكم لستم مسلمين بل أنتم أصحاب دين مستقل يجب ان تكون لكم دولة مستقلة . . . ولكن قصارى هذا الاستقلال التفريق والضعف الذي يذهب باستقلال الوطن كله

وأما مسألة الدين الاسلامي ومكانهم منه فسيجليها العلم لمن لا يعرفها فتعلم هذه البطون العربية المريقة ان مجوس الفرس هم الذين أسسوا الجمعيات الباطنية للقضاء على ملك العرب بتفريقهم في الدين الذي جمع كلمتهم وآتاهم ذلك الملك العظيم لاجل انقاذ وطنهم منهم وإعادة ملك كسرى ودين (زردشت) وقد كانت دسائسهم من اسباب اضعاف العرب وازهاب ملكهم ولكن الاسلام ظل هو الحاكم لبلاد الاكاسرة الى اليوم

﴿ محاضرات الفلاسفة العامة وتاريخها والفلسفة العربية وعلم الاخلاق ﴾

في الجامعة المصرية

قد طبع منذ عامين أو أكثر ما ألقاه الاستاذ (الكونت دي جلارزا) الاسباني من هذه المحاضرات في الجامعة المصرية في ثلاثة أجزاء جمعت في كتاب واحد نافذ صفحاته على ٢٥٠ وجعل ثمنه ثمانون قرشاً صحيحاً ، فمن يقرأه من طلاب الفلسفة كان كأنه واظب على تلك الدروس في تلك السنة ، وكان هذا الكتاب مما ادخرت لاقرأه فأكتب عنه بعد القراءة فخالصت الضروريات دون ذلك بل ضاق الوقت عنها ﴿ أسرار المراهقة في الفتى ﴾ « وهي محاورات دارت بين أب طبيب وابنه تبحث في شؤون دور البلوغ في الفتى وفي أهمية وظائف أعضاء التناسل وكيفية الاحتفاظ بها سليمة وانصائح قيمة عليها تتوقف صحة الابدان ونضارة العمران » تأليف الدكتور شخاشيري الطبيب والجراح في المستشفى الانكليزي بمصر القديمة —

جرى تعريف العام على عد كل ما يتعاق بشؤون داعية التماسل من بدء الاستعداد الطبيعي لها الى غاية حصول ثمرتها من الامور السرية التي يخل انوارها والتحدث عنها بالآداب ويرمى صاحبه بالمجون والخلاعة ، فقلما يسم الفقى كلمة من أهله أو أصحابه عن معنى بلوغ الحلم إلا ما يتلقاه طالب علم الفقه الاسلامي من أحكام غسل الجنابة وبناء على هذا العرف سمي هذا الكتاب الذي بين مؤلفه موضوعه بأسرار المراهقة — وجرى فيه على تعريف المراهقين بما سيجدون في أنفسهم من شؤون هذا الطور الجديد بأسلوب علمي طبي نزيه ، ولكن تلك الآداب قد طوي بساطها في هذا العصر عند أكثر أهل هذه البلاد وأمثالها فصار أعمق الاسرار فيها جهر اقلما بجهر فتى أو فتاة إلا في بيوت قليلة ، والكتاب يفيد هؤلاء وغيرهم لان الذين يعرفون أسرار المراهقة والبلوغ يعرفونها من المجان والفساق المتقاربين لهم في السن أعني أنهم يعرفون منها ما تضر معرفته والكتاب يرشدهم الى ما يتقون به هذا الضرر فلا يستغنى عن مثله منهم أحد، وقد طبع على ورق جيد في ٦٨ صفحة القطع الصغير وهو يطلب من مؤلفه ومن مكتبة المنار بمصر وثمان خمسة قروش واجرة البريد قرش واحد

﴿ القول المفيد ﴾ في أدلة الاجتهاد والتقليد ﴿ للامام المجتهد القاضي محمد بن علي الشوكاني قال في أوله « طلب مني بعض المحققين من أهل العلم أن أجمع له بحثا يشتمل على تحقيق الحق في التقليد أجاز هو أم لا على وجه لا يبقى بعده شك ولا يقبل عنده تشكيك ولما كان هذا السائل من العلماء المبرزين كان جوابه على نمط علم المناظرة » وقد طبع هذا الكتاب في العام الماضي فبلغت صفحاته زهاء الستين من قطع المنار وصححه وعاق عليه بعض الفوائد صدقنا الشيخ محمد منير السلفي من علماء الأزهر . ولكن بقي فيه غلط كثير لعل سببه رداءة النسخة التي طبع منها ، وهذا لا يمنع الاستفادة من الكتاب فننحت جميع المشتغلين بعلم الدين الصحيح بالنية الشرعية الصحيحة أن يعالوه ، وسننقل نبذة منه في جزء آخر ان شاء الله تعالى وثمان النسخة منه ثلاثة قروش وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر

يُنَوِّى الْحَكَمَةَ تَمَنِّيَا وَ
وَمِنْ بَيِّنَاتِ الْحَكَمَةِ فَقَدْ
أَوْفَى غَيْرَ كَثِيرًا وَمَا
يَذْكُرُ إِلَّا أَوَّلَ الْأَبَابِ

الْمَجْلَدُ
١٣١٥

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَالِدُونَ الْأَبَابِ

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام ضوى « ومنا » كمنار الطريق

٣٠ رجب ١٣٤١ - ٢٢ الحوت (٣ ش) سنة ١٣٠١ هـ ١٨ مارس ١٩٢٣

فتاوى المنار

(الاكراه على الطلاق معلقا عقب عقد النكاح)

(س ٩) من صاحب الامضاء في (سمبس - جاوه)

حضرة العلامة الاكبر ، الذي هو حجة الاسلام في هذا العصر ، مولاي
الاستاذ (السيد محمد رشيد رضا) صاحب مجلة المنار الاغر ، حفظه الله تعالى
السلام عليكم تحية مباركة طيبة . وبعد فاني أرجو كل الرجاء أن تتفضلوا
علي بالجواب عما يأتي :

قد جرت عادة في بلدنا وفي سائر بلاد جاوه وملايو من زمن بعيد الى اليوم
أن كل عاقد للنكاح من قاض أو حاكم يلحق كل زوج عقد له النكاح عقبه
تعليق الطلاق بما اذا غاب عنها ولم يترك لها نفقة ولم ينفق عليها في غيبته مدة ستة
أشهر مثلاً وهي غير ناشز فاذا لم ترض بذلك واشتكت أمرها الى الحاكم وثبتت
دعواها ببينة وقبائها طأقت طلقة واحدة .

وغير ذلك من التعاليق التي تناسب حال كل بلد من هذه البلاد ، والتعليق
الذي جرينا عليه في بلدنا وطالبنا كل زوج عقدنا له بالتلفظ به هو بأمر ملكنا
(السلطان) وكذا في سائر تلك البلاد بأمر أولياء أمورهم

ثم إني رأيت في هذه الايام أن لا حاجة لنا الى هذا التعليق فان في مذهب
الشافعي رحمه الله باباً واسعاً في فسخ النكاح . والنرض من التعليق هو التفريق بين
المرء وزوجه بموجب تعليقه . وقبل كتابة هذا الكتاب سألت نفرأ من المشتغلين
بعقد الانكحة عن التعليق هل هو سنة أو مكروه أو ... أو ... وما فائدته ؟
فلم أجد في أجوبتهم الا استحسان التعليق ، حتى غلا بعضهم فيه وقال يجب على
الامة أن تطيع أمر السلطان به وانه يصح ولو مع الاكراه عليه لانه اكراه بحق .

قلت لا يصح التعليق مع الاكراه فانه اكراه بغير حق وانما تجب طاعة السلطان في المعروف كما ورد في الحديث « انما الطاعة في المعروف » ولا يكون الشيء واجبا الا اذا كان له مستند من الادلة الشرعية وهي الكتاب والسنة والاجماع والقياس بين كونه واجبا وهل لهذا التعليق مستند من هذه الادلة بل قلت ان مثل التعليق الذي جرينا عليه بدعة مكروهة ان لم أقل انها حرام فان الاسلام لم يأمرنا بتحليف الزوج بالطلاق ليقوم بالحقوق الزوجية . وأما اذا كان الزوج بنفسه يعلق طلاق زوجته بأي شيء كان فقد قل في شرح الروض « تعليقه جائز »

نعم اني قرأت في هذه الايام في كتاب باللغة الملاوية للسيد عثمان بن عقيل اسمه « القوانين الشرعية » قوله فيه ما تعريبه (انما يستحسن تعليق الطلاق بعد عقد النكاح لتذكير الزوج بالمحافظة على حق زوجته من المعاشرة بالمعروف كما أمر الله به في كتابه (وعاشروهن بالمعروف) اهـ وها أنذا أنقل التعليق المستعمل في بتاوى بنصب العربي من الكتاب المذكور وهو :

« أما بعد عقد النكاح فأقول في تعليق طلاق زوجتي فلانة بنت فلان بأحد هذه الافعال الثلاثة الآتية حالة كوني أحت على نفسي (؟) أن لا أفعل شيئا منها وهي : كلما لم أنفق على زوجتي فلانة بنت فلان النفقة الواجبة علي شرعا مدة شهر واحد ولم ترض بذلك وشكت أمرها بنفسها أو بوكيلها عنها وكالة شرعية الى (؟) عند راد اكمام (المحكمة الشرعية) وأثبتت هي أو وكيلها دعواها بذلك عند (راد اكمام) وطلبت طلاقها بنفسها أو بواسطة وكيلها منها فهي طالقة من عقدي (؟) طالقة واحدة . كلما غبت عن زوجتي فلانة بنت فلان في سفر البر أو في البلد ستة أشهر أو في سفر البحر سنة واحدة ولم ترض بذلك وشكت أمرها بنفسها أو بواسطة وكيلها عنها وكالة شرعية الى (؟) عند (راد اكمام) وأثبتت هي أو وكيلها دعواها بذلك عند (راد اكمام) وطلبت طلاقها بنفسها أو بواسطة وكيلها منها فهي طالقة من عقدي طالقة واحدة . كلما ضربت زوجتي فلانة بنت فلان ضربا موجعا غير لائق في الشرع ولم ترض بذلك وشكت أمرها بنفسها أو بواسطة وكيلها عنها وكالة شرعية الى عند

(راد اكلام) وأثبتت هي أو وكيلها دعواها عند (راد كام) وطلبت هي طلاقها بنفسها أو بواسطة وكيلها منها فهي طالقة من عقدي طلقة واحدة اه بالحروف ما تقولون في هذا التعليق فهل يستحسن شرعا أم لا ؟ انني أقول انما استحسنوا التعليق وأغلقوا باب الفسخ لانهم اضطربوا في فهم أقوال العلماء المختلفة فيه كقول بعضهم لا يجوز فسخ عقد من غاب غيبة منقطعة وجهل حاله يسارا وإعسارا وبعضهم قال بجوازه . فهم لا يتجرون على ترجيح قول على آخر من تلك الاقوال لانهم قالوا انهم ليسوا من أهل الترجيح . هذا والمرجو أن تبينوا لنا سريرا الحق في ذلك فيكون جوابكم هو الفصل بين الحق والباطل ما

سبب ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٤١ م . ب . ع

(ج) إكراه الناس على تطليق أزواجهم عقب العقد عليهن طلاقا معلقا على ما ذكر أو غيره بدعة قبيحة لم ينقل عن حكومة من حكومات السلف ولا الخلف ، ولم يبلغنا عن غير مسلمي جاوه ، ولا ندري متى ابتدعتها ومن زينها لها . فلعل السائل يبين لنا هذا ان كان يعلمه . وهل عثمان بن عقيل أول من وضع لها هذه الصيغ الدالة على ما كان عليه من الجهل بالشرع وباللغة العربية التي لا يمكن فهم الشرع بدون إتقانها كما هو عهدنا بكل ما اطلنا عليه من كتبه أم كانت قبل ذلك ؟ . ومن الغريب أن يحجم علماءهم وحكامهم المسلمون عن ترجيح قول للفقهاء على آخر كل منهما صحيح عنهم . وأن لا يروا بأسا في ابتداع أمر لم يقل به أحد منهم . فان قولهم بجواز تعليق الطلاق أمر غير إكراه كل أحد عليه وما يقصدون به من القيام بحقوق الزوجة قد يفضي الى كثرة التفرقة بين الزوجين وتخريب البيوت

ويمكننا أن نستغني عن محاولة اقناعهم بما هو الرض الصحيح الذي يريدونه من هذه البدعة وهو رفع الضرر عن الزوجة بما قررتة الدولة العثمانية من أحكام فسخ النكاح والتفريق بين الزوجين على مخالفتهم المذهب الحنفية الذي هو المذهب الرسمي لها وهو :

مواد فسخ النكاح في محاكم الدولة العثمانية

المادة ١٢٢ — اذا اطاعت الزوجة بريد النكاح على وجود علة في الزوج من العلل التي لا يمكن المقام معها بلا ضرر أو حدثت به أخيرا هكذا علة فلازوجة أن تراجع الحاكم وتطلب فسخ نكاحها منه . فان كان يؤمل زول تلك العلة يؤجل الحاكم الفسخ سنة فاذا لم تنزل العلة في خلال هذه المدة وكان الزوج غير راض بالطلاق والزوجة مصرة على طلبه يحكم الحاكم بالفسخ . أما وجود عيب كالعمى والعرج في الزوج فلا يوجب التفريق

المادة ١٢٣ — اذا جن الزوج بعد عقد النكاح وراجعت الزوجة الحاكم طالبة تفريقها يؤجل الحاكم التفريق لمدة سنة . فاذا لم تنزل الجنة في هذه المدة وكانت الزوجة مصرة يحكم الحاكم بالتفريق .

المادة ١٢٤ — خيار الزوجة غير فوري في الاحوال التي لها بها الخيار فلها^(١) أن تؤخر الدعوى أو تتركها بعد مدة بعد اقامتها .

المادة ١٢٥ — اذا جدد الطرفان العقد بعد التفريق وفقا للمواد السابقة فليس للزوجة حق الخيار في الزواج الثاني

المادة ١٢٦ — اذا اختفى الزوج أو سافر الى محل بعد مدة السفر أو أقل منها ثم غاب وانقطعت أخباره وأصبح تحصيل النفقة منه متعذرا وطالبت الزوجة التفريق يحكم الحاكم بالتفريق بينهما بعد بذل الجهد في البحث والتحري .

المادة ١٢٧ — اذا راجعت الزوجة التي غاب زوجها الحاكم وكان زوجها ترك لها مالا من جنس النفقة وطالبت منه التفريق يجري الحاكم التحقيقات بحق ذلك الشخص فاذا يتس من الوقوف على خبر حياته أو مماته يؤجل الامر أربع سنوات اعتبارا من تاريخ اليأس فاذا لم يقف على خبر عن الزوج المفقود وكانت الزوجة مصرة على طلبها يفرق الحاكم بينهما . واذا كان الزوج غائبا في دار

(١) لها ذلك بشرط أن لا تظهر منها أمارات الرضا بالعيب كما

مر في المادة (١٢٠) اهـ من حاشية الاصل

الحرب يفرق الحاكم بينهما بعد مرور سنة اعتبارا من رجوع الفريقين المتحاربين وأسرهم إلى بلادهم وعلى كلتا الحالتين فالزوجة تعد عدة الوفاة اعتبارا من تاريخ الحكم المادة ١٢٨ — اذا تزوجت المرأة التي حكم بتفريقها وفقا للمواد السابقة بشخص آخر ثم ظهر الزوج الاول فلا يفسخ النكاح الاخير .

المادة ١٢٩ — اذا تزوجت الزوجة التي حكم بوفاة زوجها ثم تحققت حياة الزوج الاول لا يفسخ النكاح الثاني .

المادة ١٣٠ — اذا ظهر بين الزوجين نزاع وشقاق وراجع أحدهما الحاكم يعين حكما من أهل الزوج وحكما من أهل الزوجة واذا لم يجد حكما من أهلها أو وجد ولكن لم تتوفر فيهما الاوصاف اللازمة يعين من غير أهلها من يراه مناسبا . فالمجلس العائلي الذي يتألف على هذه الصورة يصغى الى شكاوى الطرفين ومدافعاتهم ويدقق فيها ويبذل جهده لاصلاح ذات بينهما فاذا لم يمكن الاصلاح وكان الذنب على الزوج يفرق بينهما واذا كان على الزوجة يخالها (١) على كامل المهر أو على قسم منه . فاذا لم ينفق الحكمان يعين الحاكم (هيئة حكومية) أخرى من أهلها حائزة للاوصاف اللازمة أو حكما ثالثا من غير أهلها ويكون حكم هؤلاء قطعيا وغير قابل للاعتراض : اهـ

هو التهويش على المصلي وهل منه الخطبة وتكبير العيد ﴿

(س ١٠) من صاحب الامضاء في دمياط

فضيلة الاستاذ الامام الرشيد صاحب المنار

السلام عليكم يا فضيلة الاستاذ ورحمة الله وبركاته تحية من عند الله مباركة طيبة وبعد :

(١) أثبتت السنة الصحيحة سنبة التكبير دبر كل صلاة في أيام الاعياد كما أنه ثبت بها عدم التشويش على المصلي سواء كان هذا التشويش بالصلاة أو بالذكر أو بالدعاء أو بقراءة القرآن

فما قول فضيلتكم في هذا التكبير عند إتمام صلاة رجل مسبوق تخلف عن

(١) الخلع هو تطلق الزوج زوجته عقابا شرمه من المأكل ٩٨٧

الجماعة بركة أو أكثر هل يعد التكبير إذا تشويشا على المصلي أم لا ؟ أفتونا
مأجورين بهلك الله حجة للإسلام والمسلمين آمين

وما قولكم يا فضيلة الاسناد في خطبته صلى الله عليه وسلم وقد أمر من جلس
قبل أن يصلي ركعتين تحية المسجد بأن يصلي ركعتين خفيفتين فهلا كانت الخطبة
إذا تعد تشويشا عليه . ونرجو أن لا تحرمونا من الرد بوجه السرعة سواء بالمناز
المضيء أو بخطاب خصوصي باسمنا هداانا الله بكم اليه ما

حسن محمد فايد

وكيل جمعية الاعتصام بهدي الاسلام بدمياط

(ج) لم يثبت بالسنة الصحيحة سنية التكبير بركل صلاة في يومي العيد
وأيام التشريق ولكنه مأثور عن بعض الصحابة وزاد فيه الناس : الله أكبر كبيرا،
والحمد لله كثيرا ، الى آخر ما هو معروف

وأما ايداء المصلي برفع الصوت عنده ولو بذكر غير متعين ففي السنة ما
يدل عليه وهو متفق عليه عند العلماء . ولا يدخل فيه رفع الصوت المتعين شرعا
كصوت الخطيب والمؤذن بين يديه . والجمعة اذا اتفق وجود من يصلي بالقرب منهما
كواقعة السؤال الثابتة في حديث الصحيحين والسنن لانه لا يعد ايداء المصلي ولا شاغلا
له عن الله تعالى أو يقال انه يرجح اذا عد الامر ان متعارضين لانه الاصل والشعار
المطلوب لذاته في وقت أدائه وفائدته عامة للجماعة المسلمين والصلاة وقتئذ مصالحة
خاصة بفرد أو أفراد من المقصرين وهي خلاف الاصل حتى قال بعض الفقهاء بأن حديث
أمر النبي (ص) من دخل المسجد وهو يخطب بأن يصلي ركعتين خاص بذلك
الرجل لا عام ، ومن ذهب أنه عام على الاصل قالوا يخفف فيهما بالاقصار على
الواجبات التي لا تصح الصلاة بدونها ليسمع الخطبة ، والصواب انه عام إذ ورد
الامر به في حديث الصحيحين وبخفيف الركعتين

ولمن أثبت التكبير برفع الصوت عقب الصلوات في العيدين وأيام التشريق
أن يقول فيه مثل ذلك أي انه شعار الوقت والمتأخر في الصلاة مقصر فلا يرجح ترك
التهويش عليه بمنع الشعار أن يؤدي في وقته كالخطبة والأذان بين يدي الخطيب قبلها

الخلافة الاسلامية

(٤)

٣٠- الاشتراع الاسلامي والخلافة

نريد بالاشتراع ما يعبر عنه عندنا بالاستنباط والاجتهاد، وفي عرف هذا العصر بالتشريع وهو وضع الاحكام التي تحتاج اليها الحكومة لاقامة العدل بين الناس وحفظ الامن والنظام وصيانة البلاد ومصالح الامة وسد ذرائع الفساد فيها. وهذه الاحكام تختلف باختلاف الزمان والمكان واحوال الناس الدينية والمدنية كما قال الامام العادل عمر بن عبد العزيز (رض) تحدث للناس قضية بحسب ما أحدثوا من الفجور، أي وغيره من المفاسد والمصالح والمضار والمنافع. فالاحكام تختلف وان كان الغرض منها واحداً وهو ما ذكرنا آنفاً من إقامة العدل الخ لا يقوم أمر حكومة مدنية بدون اشتراع، ولا ترتقي أمة في معارج العمران بدون حكومة يكفل نظامها اشتراع عادل يناسب حالتها التي وضعها فيها تاريخها الماضي، ويسلك لها السبل والفجاج للعمران الراقى، ولا يصلح لامة من الامم شرع أمة أخرى مخالفة لها في مقوماتها ومشخصاتها وتاريخها، كما أنه لا يصلح للغة من اللغات قواعد لغة أخرى في صيغ كلامها واحكام تأليفها، إلا اذا أرادت أمة أن تندغم في أمة أخرى وتتحد بها فتكونا أمة واحدة كما اتحدت شعوب كثيرة بالاسلام فكانت أمة واحدة ذات شريعة واحدة، وأما الشعوب التي تقتبس شرائع شعوب أخرى بغير تصرف ولا اجتهاد فيها تحوله به الى ما يلائم عقائدها وآدابها ومصالحها التي كانت الشعب بها شعباً مستقلاً بنفسه فانها لا تلبث أن تزداد فساداً واضطراباً، ويضعف فيها التماسك والاستقلال الشعبي فيكون مانعاً من الاستقلال السياسي وما يتبعه. فشرع الامة عنوان مجدها وشرفها. وروح حياتها ونمائها، واعجب ما مني به بعض الشعوب الاسلامية ان ترك شريعة له ذات اصل ثابت في الحق وقواعد كافية للعدل والمساواة واستبدل بها قوانين شعوب أخرى هي دونها فأصبحوا ولا

امام لهم في حياتهم الاشتراعية من أنفسهم بل هم يقتدون فيها بافراد من الاعاجم يقلدونهم بما خسروا به اهم مقومات امتهم واعظم مظهر من مظاهر شرفهم ، وهو الاشتراع

لا تتسم هذه الخلاصة التي نكتبها في هذا البحث لبيان أنواع الحكومات الغابرة والحاضرة وشأنها في الاشتراع ومكان المسلمين فيه ، وإنما نقول إن صحفنا العربية تصرح في هذا العهد أننا بعد آخر بأن أحدث أصول التشريع هو أنه حق للامة ، ويظن هؤلاء الذين يكتبون هذا وأكثر من يقرءون كلامهم أن هذا الاصل من وضع الافرنج ، وإن الاسلام لا تشريع فيه للبشر لأن شريعته مستمدة من القرآن ، والاحكام المدنية والسياسية فيه فلياة محدودة — ومن السنة والزيادة فيها على ما في القرآن قليلة ومناسبة لحال المسلمين في أول الاسلام دون سائر الازمنة ولا سيما زماننا هذا — وإن الاجماع والاجتهاد على استنادهما الى الكتاب والسنة قد انقطعا وأقفلت أبوابهما باعتراف جماهير علماء السنة في جميع الاقطار الاسلامية — وأن هذا هو السبب في تهقر الحكومات الاسلامية المتمسكة بالشريعة الدينية ، واضطرار الحكومتين المدينتين الوحيدتين التركية والمصرية الى استبدال بعض القوانين الافرنجية بالشريعة الاسلامية تقليداً ثم تشريعاً ذلك ظن الذين يجهلون أصول الشريعة الاسلامية وأساس الاشتراع فيها الذين لا يفرقون بين الاصطلاح الفقهي والاصطلاح المصري في التشريع فيعمي عليهم الحقيقة اختلاف الاصطلاح : ذلك بأن اسم الدين والشرع قد يستعملان استعمال المترادف وإن كان بينهما عموم وخصوص فأنهم كثيراً ما يخصون الشرع بالاحكام القضائية أو العملية دون أصول العقائد والحكم والآداب التي هي قواعد الدين ، المتعلقة بصلاح المعاش والمعاد ، ولذلك جعلوا الفقه قسامين عبادات ومعاملات ، والفقهاء يفرقون فيها بين الديانة والقضاء. يقولون يجوز هذا قضاء لا ديانة . وتسمى الاحكام العملية دينا باعتبار أنها يدان بها الله تعالى فتتبع ادعانا لامره ونهيه . وبهذا الاعتبار تطلق كلمة الشارع على الله تعالى ، وأطلقت على النبي (ص) بأنه مبلغ الشرع ومبينه ، ومن العلماء من قال إن الله تعالى أذن له أن يشرع ، والجمهور على أنه مبلغ ومبين لما نزل عليه من الوحي وإن الوحي أعم من القرآن

والتحقيق أن هذا كله خاص بأمر الدين وهو ما شرع ليتقرب به الى الله تعالى من العبادات ، وترك الفواحش والمنكرات ومراعاة الحق والعدل في المعاملات تزكية للنفس واعدادها للحياة الآخرة . ومنها ما في المعاملات من معنى الدين كاحترام أنفس الناس وأعراضهم وأموالهم والنصح لهم وترك الاثم والبغى والعدوان والغش والخيانة وأكل أموال الناس بالباطل . وأما ما عدا ذلك من نظام الادارة والقضاء والسياسة والحماية وتدبير الحرب مما لا دخل للتعبد والزلفى الى الله في فروعه بعد حسن النية فيه فقد كان الرسول (ص) في زمنه مشترعا فيه باجتهاده مأمورا من الله بمشاورة الامة فيه ولا سيما أولي الامر من أفرادها الذين هم محل ثقتها في مصالحها العامة وممثلو إرادتها من العلماء والزعماء والقواد، وهو كذلك مفوض من بعده الى هؤلاء أنفسهم، ويخلفه لتمثيل الوحدة من يختارونه اماما لهم وخليفة له

والدليل على هذا من الكتاب قوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) وقوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) الآية وقوله (وإذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلهم الذين يستنبطونه منهم) ومن السنة ما صرح عنه من ان أمته لا تجتمع على ضلالة وما كان يجعله (ص) موضع الشورى من أمور الحرب وغيرها من المصالح الدنيوية — وما أذن فيه من الاجتهاد والرأي عند فقد النص من الكتاب وعدم السنة المتبعة، والحديث فيه مشهور — ومن آثار الخلفاء الراشدين المهديين ما كانوا يستشيرون فيه أهل العلم والرأي من أمور الادارة والقضاء والحرب أيضا وما وضمروه من الدواوين والخراج وغير ذلك مما لم يرد به نص في الكتاب والسنة — ومن أصول الفقه حجية إجماع الامة، واجتهاد الامة — فكل هذا مما يسمى في عرف علم الحقوق والقانون تشريعاً — وهو ميدان المجتهدين الواسع ، وجرى عليه العمل في خير القرون

فثبت بهذا أن للاسلام اشتراعا مأذونا به من الله تعالى وأنه مفوض الى الامة يقره أهل العلم والرأي والزعامة فيها بالشورى بينهم . وأن السلطة في الحقيقة للامة فاذا أمكن استفتاءها في أمر وأجمعت عليه فلا مندوحة عنه . وليس للخليفة — دع من دونه من الحكام — أن ينقض إجماعها ولا أن

يخالفه ، ولا أن يخالف نوابها وممثليها من أهل الحل والعقد أيضا . واتفاق هؤلاء إذا كانوا محصورين يسمى إجماعا عند علماء الأصول بشرط أن يكونوا من أهل العلم الاجتهادي . وأما إذا اختلفوا فالواجب رد ما تنازعوا فيه إلى الأصليين الأساسيين وهما الكتاب والسنة والعمل بما يؤيده الدليل منهما أو من أحدهما ، لقوله تعالى بعد الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول وأولي الأمر (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) أي أحسن عاقبة وما لا مما عداه ، ومنه العمل برأي الأكثر في تشريع قوانين أوربة ومقلديها فشرعنا مخالف لها في هذه المسألة ، ومن وجوه كونه خيرا من غيره وأحسن عاقبة أن النزاع بين الأمة يزول بتحكيم الكتاب والسنة فيه ، وتطيب نفوس جميع نواب الأمة بما يظهر رجحانه بالدليل ، ولا يبقى للاضغان والنزاع مجال بينهم . وقد تقدم إثبات سلطة الأمة وتمثيل أهل الحل والعقد لها في أول هذه المباحث (رقم ٣ و ٤) بقدر الحاجة العارضة . وأما تفصيل القول في هذا وذاك فيراجع فيه تفسير (اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) في الجزء الخامس من تفسير المنار

الاشتراع — أو التشريع أو الاستنباط — ضرورة من ضرورات الاجتماع البشري ، ومن قواعد الشرع الاسلامي أن الضرورة لها أحكام منها أنها تبيح ما حرمه الله تعالى بأذنه في قوله بعد بيان محرمات الطعام (إلا ما اضطررتم إليه) منها نفي الحرج والعسر من الدين ، وانتفاؤها من قسم المعاملات أولى من انتفاءها من قسم العبادات التي يعقل أن يكون فيها ضرب من المشقة لتربية النفس وتزكيتها إذ لا تكمل تربية بدون احتمال مشقة وجهد . ويسهل هذا الاحتمال نية القربة وابتغاء المثوبة فيه ، وليس في المعاملات شيء من معنى التدبير إلا ما ذكرنا آنفا ، والفرض منه حفظ النفس والأموال والأعراض أن يعتدى عليها بغير حق ، فمن لم يردعه عن ذلك خوف عقوبة الحكم في الدنيا يردعه خوف عذاب الله في الآخرة إن كان مؤمنا به وبما جاء به رسوله (ص) فتبين بهذا أن للاشتراع المدني والجنائي والسياسي والعسكري دلائل كثيرة منها قواعد الضرورات ونهي ومنع الضرر والضرار — فلو لم ينص في القرآن على أن أمور المؤمنين العامة شوري بينهم — ولو لم يوجب طاعة أولي الأمر بالتبع لطاعة الله

وطاعة الرسول ولولم يفرض على الامة رد هذه الامور اليهم ويفوض اليهم امر استنباط احكامها— ولولم يقر النبي (ص) معاذاً على الاجتهاد والرأي فيما يعرض عليه من القضايا التي لانص عليها في كتاب الله ولم تمض فيها سنة من رسوله^(١) لولم يرد هذا كله وما في معناه لكفت الضرورة اصلاً شرعياً للاستنباط الذي يسمى في عرف هذا العصر بالتشريع . ووراء هذا وذاك عمل الامة في صدر الاسلام وخير القرون وكذا ما بعدها من القرون الوسطى التي خرجت فيها الخلافة الكافلة للامور العامة عن منهج العلم الاستقلالي فزالا معا لتلازمهما الخلافة مناط الوحدة، ومصدر الاشتراع، وسلك النظام، وكفالة تنفيذ الاحكام، واركانها اهل الحل والعقد رجال الشورى، ورئيسهم الامام الاعظم، ويشترط فيهم كلهم أن يكونوا اهل للاشتراع، المعبر عنه في اصولنا بالاجتهاد والاستنباط، وقد كان اول فساد طراً على نظام الخلافة وصدع في اركانها جعلها وراثية في اهل الغلب والعصبية، واول تقصير رزي به المسلمون عدم وضع نظام ينضبط به قيامها بما يجب من امر الامة، على القواعد التي هدى اليها الكتاب والسنة، واول خلل نشأ عن هذا وذاك تقلت الخلفاء من سيطرة اهل الحل والعقد الذين يمثلون الامة، واعتمادهم على اهل عصبية القوة، التي كان من ام اصلاح الاسلام لامور البشر ازالتها، فصار صلاح الامة وفسادها تابعاً بذلك لصلاح الخليفة واعوانه اهل عصبية، لا للمثلي الامة ومحل ثقتها من اهل العلم والرأي فيها، والغيرة والحدب عليها

ثم ترتب على ذلك شعور الخلفاء بالاستغناء عن العلم أو عدم شعورهم بالحاجة اليه وترك التمسك بالذات اشتغالا به لتحصيل رتبة الاجتهاد فيه، ورأوا أنه يمكنهم الاستعانة بالعلماء الذين يتقلدون مناصب الوزارة والقضاء والافتاء وغيرهم من الاعمال التي يحتاج فيها الى استنباط الاحكام — فتركوا العلم ثم جهلوا قيمة العلماء فصاروا يقلدون الجاهلين من أمثالهم للاعمال، ووجدوا فيهم من يفتي بعدم اشتراط العلم الاستقلالي (الاجتهاد) في إمام المسلمين ولا في القاضي

(١) رواه احمد وأبو داود والترمذي مرسلًا ويؤيده ما سنده البخاري من حديث عمرو بن العاص وتابعه عليه أبو هريرة وأبو سلمة (رض) « اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فخطأ فله اجر »

لا مكان استعانتهم بالمتقي الذي لا يكون الا مجتهداً ، ثم عم الجهل فصاروا يستفتون الجاهلين (أي غير المجتهدين) أمثالهم ، ثم أذاع هؤلاء الجاهلون الذين احتكروا مناصب الدولة وأموالها أن الاجتهاد قد أقفل بابه ، وتمذر تحصيله ، وأوجبوا على أنفسهم وعلى الأمة تقليد أفراد معينين من العلماء والانتساب اليهم ، ثم صاروا يقلدون كل من ينتمي اليهم مع الاجماع على امتناع تقليد المقلد — فضاع علم الاحكام ، وفقدت ملكة الاشتراع والاستنباط بالتدريج ، والأمة لا تشعر ، فلما صار أمر الحكومة في أيدي الجاهلين ضاعت الشريعة والاشترع واختل نظام الأمة وانحل أمرها وتضعضت ملكها ، وقع كل ذلك بترك اصول الاسلام وفروعه والجاهلون يحسبون انه وقع باتباع تعاليمه !!

قال القاضي أبو علي محسن التنوخي^(١) في كتابه (جامع التواريخ) حديثي أبو الحسين بن عباس قال : كان أول ما انحل من سياسة الملك فيما شاهدناه من أيام بني العباس - القضاء - فان ابن الفرات (الوزير المشهور) وضع منه وأدخل فيه قوما بالزمانات^(٢) لا علم لهم ولا أبوة فيهم فما مضت الا سنوات حتى ابتدأت تتضع ويتقلدها كل من ليس لها بأهل حتى بلغت في سنة نيف وثلاثين وثلاث مئة الى أن تقلد وزارة المتقي أبو العباس الاصفهاني الكاتب وكان في غاية سقوط المروءة والرقاعة — (الى أن قال) وتلا سقوط الوزارة انضاع الخلافة وبلغ صيورها الى ما نشاهد فانحلت دولة بني العباس بانحلال القضاء ، وكان أول ما وضع ابن الفرات من القضاء تقليده إياه أبا أمية الاخوص الفلاني البصري — وذكر أنه إنما قلده لمودة وعدة إياه اذ أوى اليه واختفى عنده في أيام محنته

وأقول ان ابن الفرات كان من أقدر الوزراء وأعلمهم بشؤون الملك والسياسة وكان حسن السيرة وانما جراه على مثل هذا جهل الخليفة والنصرافه الى اللهو واللعب ثم التلذذ بالاسراف في اللذات فانه ولي وله ثلاث عشرة سنة . قال الخافض الذهبي : اختل أمر النظام كثيرا في أيام المقتدر بصفره . يعني ان الخلل قد

(١) المتوفى سنة ٣٨٤ (٢) هذا نص النسخة المطبوعة حديثا . ومن معاني الزمانه في اللغة المحبة وهو قد ولي أبا الاخوص القضاء محبة ومكافأة على معروف كما نص عليه الكتاب ،

طراً قبله من أيام المتوكل بن المعتصم اذ كان قد اشتد عيث الترك الذين استكثر منهم المعتصم وجعلهم عدة الخلافة وسياسيها فكانوا هم الذين دكوا بنيانها وهدموا أركانها. والملة الاولى لهذا كله بدعة ولاية العهد التي استدلوا عليها باستيخلاف أبي بكر لعمر (رض) فجعلتها القوة حقاً لكل خليفة وان كان متغلباً لا يعد من أئمة الحق ، ولم يراع ما راعاه ابو بكر من استشارة أهل الحل والعقد ، وقد بينا بطلان هذا في المسألة التاسعة من هذا البحث

فعلم بهذا القول الوجيز أن التساهل في بعض شروط الخلافة التي عليها مدارها — وهي العلم الاستقلالي والعدالة والشورى في نصب الامام وفي تصرفه — قد كان معلولاً للتغلب وعلة لفقد الاشتراع — الاستنباط — الذي لا يقوم أمر الدولة ولا يطرد ارتقاؤها ولا حفظها بدونه — فكان هذا علة لضعف الدولة، وكان ضعف الدولة علة لضعف الامة ، اذا صارت تابعة للدولة لا متبوعة ، وكان فساد أمرها معاً علة لتغيرات كثيرة في الاحوال الاجتماعية وشؤون المعيشة تقتضي أحكاماً شرعية أخرى غير التي كان الامر عليها قبلها، او تعود الامامة الحق الي اصلها.

ونحمد الله ان ظهر لاركان الدولة التركية التي تنحل منصب الخلافة ان الدولة العثمانية كانت فاسدة وانها لم تكن بعد دعوى الخلافة خيراً من قبلها، بل لم تلبث ان دب اليها الخلل والضعف بالتدرج في كل من أمور الدين والدنيا حتى صار كثير من نابتها المتفرنجين يصرحون بأن الاسلام هو الذي جنى عليها وان حكم الخلافة هو الفاسد الذي لا يمكن صلاح حالها معه، فتسنى لنا ان نبين لها وللعالم الاسلامي الذي كان اكثره مفتوناً بها انها لم تكن قائمة على اصول الشريعة في الخلافة، وأن نبين حقيقة الخلافة وشكل الحكومة الاسلامية الحق وخطأ جمهور اعضاء المجلس الوطني الكبير في رأيهم وعملهم فيها، ونثبت بالدلائل ان اصول الحكومة الاسلامية ارقى من اصول سائر حكومات الامم، بجمعها بين دفع المناسد وحث المصالح لمادية، وبين الحق والعدل والفضائل التي يتهدب بها البشر وتكمل الانسانية ، وأن ندعو هذه الامة التركية الاسلامية الى اقامة حكومة الاسلام كما أمر الله ورسوله وخلفاؤه الراشدون خيراً مما أخرجت للناس ولو كره المتفرنجون (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله سميع عليم)

٣١- ما بين الاشتراع وحال الامة من تباين وتوافق

وضع الاسلام قواعد عامة لانواع المعاملات الدنيوية راعى فيها هداية الدين وتقييد حكومته بالتزام الفضائل واجتناب الرذائل ، فلم يجعل ما فوض الى أولي الامر فيها من الاستنباط - الاشتراع - مطلقاً من كل قيد لئلا يجنوا على آداب الامة خطأ في الاجتهاد، أو اتباعاً للهوى اذا غلب عليهم الفساد، فحرم الربا الذي كان فاشياً في الجاهلية، لما فيه من القسوة والبخل والطعم الذي يحمل على استغلال ضرورة المحتاج، كحرم الفس والخيانة، وجعل الامة متكافلة بما أوجب من النفقة على القريب، والزكاة لازالة ضرورة الفقير والمسكين، وغير ذلك من المصالح العامة ، وجعل لكل امرأة كافلاً يقوم بأمرها من زوج أو قريب؛ والا فالامام الاعظم أو نائبه، لئلا تضطر الى ما يشق عليها القيام به من الكسب مع قيامها بوظائفها الخاصة بها من الحمل والوضع والرضاعة وتربية الاطفال - فيكون اضطرارها الى الحياة الاستقلالية سبباً لقلّة النسل وغير ذلك من المفاسد

وقد كان من تأثير ضعف الدين في الشعوب الاسلامية وحكوماتها أن ترك كل منهما مراعاة ما يجب عليه من تلك القواعد والتزام أحكامها فترتب على ذلك احتياج كل منهما الى ارتكاب بعض المحظورات كالربا إما اضطراراً وإما اختياراً ترجح فيه المصلحة على المفسدة رجحاناً ظاهراً هذا الاحتياج الذي يدفع صاحبه الى ارتكاب المحرم اذا لم يجد له مخرجاً لا يعرض في الاقتراض كما يعرض في الاقتراض ، فكان من أثره أن المسلمين لم يجدوا من يقرضهم الا من غيرهم، إما من اهل ذمتهم وإما من الاجانب عنهم، كالماهدين الذين يكونون في بعض الاحيان حريين ، وهذه مفسدة أخرى ، هي ذهاب ثروة المسلمين الى غيرهم ، وناهيك بذهابها الى أعدائهم ، وحاجتهم اليهم في أم مصالحهم ،

ثم إن توسع الفقهاء في مسائل الربا وادخالهم فيها ما لم يكن معروفاً في عصر الوحي - وتضييق أكثرهم في أحكام العقود المالية - واستحداث الامم التي يتعاملون معها لانواع كثيرة من العقود والمعاملات - وترقي المعلوم

الاقتصادية والاعمال المالية الى درجة قضت بتفوق متبعي قواعدها ونظمها على غيرهم في الثروة والقوة والسيادة — كل أولئك كانت دافعا في صدور المسلمين ورافعا لغيرهم عليهم حتى في ديارهم ، بل هو أظهر العلل لسلب جل ملكهم منهم ، و السيطرة عليهم فيما بقي لهم شيء من السيادة فيه ، ولاعتقاد أكثر الذين يعرفون أحوال هذه الامم العزيزة في علومها وأعمالها ويجهلون أصول الاسلام — ان الاسلام نفسه علة ضعف المسلمين بما في شرعه من الجود على أحكام عتيقة مالية واجتماعية توجب فقر ملتزميها وكل ما يجره الفقر في الامم من الذل والضعف وفقد الملك

بدأت بضرب المسألة المالية مثلا لما طرأ على كثير من البلاد الاسلامية من تأثير ترك العمل بأحكام الشريعة الفراء ، اذ كان المال قوام حياة الامم والدول في كل زمان ، وصار له من الشأن في هذا الزمان ما لم يكن له من قبل ولا سيما عصر النبي (ص) الذي كانت فيه الامة قليلة الحاجات ، وغير مرتبطة في حياتها بمعاملات الامم الاخرى ، ولكن عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم قد انزل في ذلك المصرقوله (ولا تؤثروا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما) فارشدنا به الى مكانة المال من حياة الامم ونظام أمرها وكونها لا تقوم الا به ، وحثنا على المحافظة عليه ، وعدم تمكين السفهاء من التصرف فيما هو ملك لهم منه ، كما أمرنا في آيات اخرى بالاقتصاد ونهانا عن الاسراف والتبذير ، وذمه كما ذم القمار غول الثروة بما أفاد تحريمها وتحريم القمار بانواعه في الدين ، فهل يمكن أن يقال إن مقتضى شرع هذا الدين أن يكون اهله فقراء ؟ وأن يكون ما به قيام معاشهم وعزة امتهم ودولتهم في أيدي الطامعين فيهم من الامم الاخرى ؟ واذا كان هذا مخالفا لهدي هذا الدين فما بال المشتغلين بعلم الشرع فيه أجهل أهل بلادهم بالفنون المالية ، وما يرتبط بها من الامور السياسية ، ولا يجعلون هذه الفنون مما يتدارسونه في مدارسهم الدينية ؟ السبب لهذا انه ليس لهم حكومة اسلامية تطلبه منهم لتكون احكامها وميزانياتها موافقة لحكم الشرع

واضرب لهم مثلا آخر ميل بعض المسلمين في مصر وترك الى التعاليم الاشتراكية بل قيامهم بتأليف الاحزاب لها والدعوة اليها ، وسواء كان ذلك

(المنار : ج ٣) (٢٥) (المجلد الرابع والعشرون)

افتتانا بتقليد الفرنجة أو شعورا بما يشعر به الاشتراكيون في أوربة من تأثير
أثرة أرباب الاموال على العمال وغيرهم من اهل الاملاق - فلو كانت الشريعة
الاسلامية نافذة الاحكام ، والهداية التي يتبعها الخواص والعموم ، لما شعر
بالحاجة الى التعاليم الاشتراكية احد من اهلها ، بل رأى الاشتراكيون من
الامم الاخرى انه يجب حل المسألة الاجتماعية بها ، ولكان ذلك سببا
لاهتمام كثير منهم الى الاسلام ودعوتهم اليه

ومالي لا اذكر من المثل في هذا المقام دعوة كثير من النساء والرجال في مثل
هذه البلاد الى تربية المرأة تربية استقلالية تساوي بها الرجل في كل شيء حتى
لا يكون قيا عليها في شيء . سبق الاسلام جميع الملل الى المساواة بين الرجال والنساء
في الشؤون الزوجية الا هذه الدرجة بقوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
والرجال عليهن درجة ، وهي الرياسة التي بينها في قوله (الرجال قوامون على
النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم) فجعل سببها تفضيلهم
عليهن بالقوة على الكسب والحماية والدفاع ، وما فرض لهن عليهم من المهر
والنفقة . افرأيت لو ان افراد المسلمين وحكامهم أقاموا هذه الشريعة فساوى
الرجال النساء بانفسهم في كل شيء ماعدا رياسة المنزل وكذا الرياسة العامة كالامامة
المعطى وإمامة الصلاة ، وكرموا من كما اوصاهن الرسول (ص) اكانت النساء تشعر
بالحاجة الى اعداد انفسهن للكسب وغيره من اعمال الرجال الشاقة ؟ أم يفضلن
ان يعشن في هناء وراحة يتمتعن من كسب الرجال في ظل كفايتهم وكفالة
الشريعة الذي تنفذها حكومتهم بما لا يتمتع به الرجال انفسهم ؟ فان المرأة
تأكل من كسب الرجل ما يأكل وهي المدبرة لأمر مأكله ، ولكنها تفضل بما تلبس
من اللؤلؤ وما تزين به من الحلي . فان كان ثم غبن فالرجل هو المغبون

وجملة القول في هذا المقام أن ترك العمل والحكم بالشريعة في بعض المسائل
يفضي الى ترك بعض آخر منها أو يفضي الى جملة متعذرا اذ يصير مفسدة
بعد ان كان في الاصل عين المصلحة ، ثم يؤثر ذلك في افكار الأمة واخلاقها
وعاداتها ، حتى تنقلب بتغيير عظيم في مقوماتها ومشخصاتها . فالشر والخير والباطل
والحق كل منهما يقوي جنسه ويقويه ، وقد تشبذت الأمة الاسلامية ما يصونها
من ذلك التدهور والهوي ، وينصب لها معارج الرقي ، ويستنبط لها من الاحكام

في كل زمن ما يلحق بحالها : منبها على قواعد الشريعة الهادية لهم الى كمالها ، ذلك بأن الاستنباط (لاشتراع) الذي أذن به لاولي الامر من المسلمين قد فقد بفقد جماعتهم ، وزوال الامامة الحق المنفذة لاستنباطهم ، كما علم ذلك من المسائل ٣ و ٤ و ٥ و ١٧ من هذا البحث ، ومن بقي يشتغل بعلم الاحكام الشرعية الاسلامية فقصارى أمر جمهورهم مدارس الكتب التي ألقت للازمنة الماضية التي كانت دار الاسلام فيها ذات استقلال ومنعة وبيت مال غني كاف لكفالة المعوزين والغارمين وغير ذلك من النفقات الشرعية — فهو لاء لا يستطيعون أن يفتوا بما يخرج عن قواعد مصنفى تلك الكتب لتلك الازمنة ولحكوماتها ، التي كانت تلزم العمل بها ، بل قدروا فيما وضعوه من الشروط للافتاء أن يلتزموا فروع كتب معينة لا يتعدونها ، لان تعديها ضرب من الاجتهاد ولو في المذهب ، وقد قرروا منعه كالا جتهاد المطلق

ومنتهى ما يرجى من توسعتهم على الحكومة التي تريد العمل بأحكام الشريعة أن يستخرجوا لها بعض الفروع الموافقة للمصلحة العامة في هذا الزمان من كتب المذاهب المعتمدة — فان الذين حرّموا عليهم الاجتهاد والاستنباط من أصول الشريعة والاقتباس من مصباحها مباشرة قد أوجبوا عليهم تقليد مذاهب معينة* كما قال صاحب جوهرة التوحيد* فواجب تقليد خبر منهم* يعنى الائمة المشهورين في الفقه ، فاعتمدوا هذا التحريم والتحليل ممن ليس بأهله. وانما أباحوا تقليد غير الاربعة من المجتهدين للعالم بذلك في خاصة نفسه ، دون الافتاء به لغيره ، كما قال بعضهم

وجائز تقليد غير الاربعة في غير إفتاء وفي هذا سعة

مثال هذه التوسعة في أصول المعاملات أن القاعدة عند اكثر الفقهاء المشهورين أن الاصل في العقود البطلان فلا يصح منها الا ما دل الشرع على صحته وذهب آخرون الى أن الاصل فيها الصحة الا ما دل الكتاب أو السنة على بطلانه ، لقوله تعالى في أول سورة المائدة وهي آخر ما نزل من السور (يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) والعقود ما يتعاقد الناس عليه ، فهذا المذهب أقوى دليلا ، وأقوم قبلا ، وأهدى سبيلا ، بما فيه من التوسعة على الناس وهو الذي رجحه المحققون من الحنابلة

ألم تر أنه لما شاءت الحكومتان العثمانية والمصرية أن تخرجا عن مذهب الحنفية في بعض أحكام النكاح والطلاق وفسخ النكاح في بعض الأحوال وتأخذا فيها بما تقرر في المذاهب الأخرى لبأها شيوخ الفقه ووضعوا لها قوانين في هذه الأبواب مقتبسا بعضها من المذاهب الثلاثة الأخرى ولعلهما لو شاءتا الأخذ في بعض الأحكام بأقوال غير علماء المذاهب الأربعة من الصحابة والتابعين وأئمة العترة لما أبوا موالاتهما، فإن الجمود على مذهب معين لم يكن إلا تحقيقاً لرغبة الأمراء والسلاطين، والاسترزاق من الأوقاف التي زمامها بأيديهم، فالذنب فيه مشترك بينهم وبين الفقهاء الذين رأوا فيه منفعة لهم. وأما الذي لا يجزأ عليه هؤلاء المتفقهة فهو الاستنباط من الكتاب والسنة، وقواعدهما العامة ككون الضرورات تبيح المحظورات، وكون ما حرم لسد الذريعة يباح للمصلحة الراجحة. وإن نص أئمتهم على هذه القواعد لأن هذا عندهم من الاجتهاد المدسوع

والحق أن العلم الاستقلالي (الاجتهاد) لم ينقطع ولن ينقطع من هذه الأمة المحمدية ولا لبطلت حجة الله على الخلق بفقد حملتها والدعاة إليها والذابين عنها، ولما صبح من خبر المعصوم من عدم اجتماعها على ضلالة، ومن أنه لا يزال فيها طائفة ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله، ولكن هؤلاء العلماء المستقلين كانوا ينتسبون في كل عصر من اعصار غلبة الجهل إلى المذاهب التي نشأوا عليها قبل الاجتهاد لسببين (أحدهما) أنهم لم يكونوا يجدون رزقا يتمكنون به من الانقطاع للعلم إلا من الأوقاف المحبوسة على المشتغلين بهذه المذاهب فيضطرون إلى تدريس كتبها والتصنيف فيها ليحل لهم الأكل مما وقف على أهلها (وثانيهما) أن الملوك والحكام وأعوانهم من المقلدين كانوا وما زالوا حربا للعلم الاجتهادي الذي يفتضحون به، ويظهر جهلهم وضلالهم بظهوره، فاذا وجدت حكومة اسلامية جريئة كالحكومة التركية الحاضرة تحيي العلم الاجتهادي فإنها نجد منذ الآن سدا من عوز لما تحتاج إليه من الأحكام والتعليم في المدرسة الاجتهادية التي اقترحنا انشاءها في المسألة (رقم ٢٦) على أن مقلدة المذاهب لا تكاد تطلب الحكومة منهم شيئا الا وتجد فيهم من يفتيها ولو بالتأويل والخروج عن صحيح المذهب

إذاً لا يمكن خروج الامة الاسلامية من جحر الضب الذي دخلت فيه الا بالاجتهاد ووجود المجتهدين وما يلزمه من وجود الاجماع الاصولي الذي هو احدى الحجج عند الجمهور وان شئت قلت هو ركن الاشتراع الركن الذي لا يمكن أن ترتقى أمة ولا ينتظم امر حكومة بدونه كما قلنا في صدر هذه المسألة ، بل وجود الامامة الحق يتوقف على هذا الاجتهاد كما علم مما تقدم. وان اجتماع المجتهدين في هذا العصر مهد السبيل موطأ الاكاف لا مكان العلم بهم ودعوتهم الى الاجتماع في مكان واحد او عرض المسائل عليهم أينما وجدوا، وهذا لم يكن ممكناً في عصر أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ومن بعدهم ولذلك قال بعض المحققين : ان العلم بالاجماع ان وجد غير ممكن

٣٢ — تأثير الامامة في اصلاح العالم الاسلامي

العالم الاسلامي في غمة من امر دينه وأحكام شريعته ، تتنازعه أهواء حكامه المختلفي الاديان والمآرب ، وآراء علمائه ومرشديه المختلفي المذاهب والمشارب ، ومساورة اعدائه في دينه ودنياه ، وليس له مصدر هداية عامة متفق عليه فيرجع اليه فيما عمي عليه ، وكلما ظهر فيه مصلح هب أهل الاهواء المفسدون يصدون عنه ، ويطعنون في دينه وعلمه ، ولا علاج لهذه المفاسد والاضلالات إلا إحياء منصب الامامة ، وإقامة الامام الحق المستجمع للشروط الشرعية ، الذي يقوم مع أهل الحل والعقد بأعباء الخلافة النبوية ، فانه هو الذي يذعن كل مسلم لوجوب طاعته فيما يصدر عنه من أمور الاصلاح العامة بقدر الاستطاعة ، ويرجع ارشاده على ارشاد غيره في الامور الخاصة ، اذ يكون اجدر ببيانها بالحجة الواضحة ، فاذا لم تكن الامامة كذلك كان حكم الشرع فيها أنها سلطة تغلب ، ولا تجب طاعة المتغلب شرطاً ولو فيما وافق الشرع الا على من هو متغلب عليهم ، فقد كان السلطان عبد الحميد يدعي الخلافة ولما لم يكن مستجمعاً لشروطها ولا قائماً بواجباتها لم يكن مسلمو الافغان واليمن ونجد والمغرب الاقصى يؤمنون بصحة خلافته ، ولا يعترفون بوجوب طاعته ، فيجعلوا حكوماتهم تابعة لدولته. بل لم يكن أهل مصر الذين كانوا تحت سيادته السياسية معترفين بخلافته يقبلون أن يكون له عليهم أمر ولا نهى ، وانما كان اعترافهم أمراً صورياً معنوياً

يتوكلون عليه في مقاومة السيطرة نبراضانية عليهم ، كـ هو شأنهم وشأن أمثالهم في الاعتراف بالخلافة الاسمية الحديثة في الاستانة على ما بيناه في موضعه من هذا البحث ، وهذه الخلافة الحديثة لا تبلغ درجة التغلب فان الدين ابتدعوها لم يجعلوها ذات أمر ولا نهى في حكومتهم

وأما اذا نفذ ما اقترحنه وبيننا طريقه من اقامة الامامة الحق ، ولو في بقعة صغيرة من الارض ، فان جميع العالم الاسلامي يذعن لها اذعانا تقسنا منشؤه العقيدة الدينية ، ولا نجد حكومة من الحكومات الاسلامية مجالا للظمن فيها ، ولا يكون لاحد من المصطنعين للاجانب سبيل لانكارها ، وحينئذ يسمى كل شعب اسلامي للاعتصام بها . فالشعب الذي لا يستطيع أن يتبع حكومة الامام الحق لقهر دولة قوية له يجتهد ويتحرى أن يتبع جماعة المسلمين وامامهم كما أمره الله ورسوله فيما لا سيطرة لحكومته عليه فيه من نظام التربية الدينية والتعليم الاسلامي والاحكام الشخصية ، بل قد تضطر كل حكومة مسيطرة على شعب اسلامي أو اكثر أن تستميله بقدر ما ترى فيه من الوحدة والرأي العام بموادة خليفة نبيه والسماح له بأن يتلقى الارشاد الديني من قبله كما هو شأن الكاثوليك مع البابا

ولعل هذا بعض ما يقصد اليه الترك من إيجاد خليفة روحاني كالبابا والبطاركة عند النصارى ، ولكن المسألة دينية شرعية يجب فيها الاتباع ، ولا يمكن أن تنجح بالمواضعة والابتداع ، وان كان يود ذلك الكثيرون ممن يقدمون السياسة على الدين ، وقد جهل هذا بعض الذين أظهروا استحسان عمل الترك وتجاهله بعض آخر أو غفل عنه ، وظن كل منهم ان هذا كاف في حصول ما يرغبون فيه من نكابة اعداء الاسلام وغيظهم ، وشد ازر الشعب التركي ومؤازرته عليهم ، وذلك ظن الجاهلين بشؤون العالم وسياسة الدول ودرجة اختبارها كما نبينه في المسألة التالية

لعلنا من ادري الناس بما يترتب على اقامة الامامة الحق من الاصلاح في العالم الاسلامي بما لنا من الاختبار ، وكثرة ما يرد علينا من الرسائل والمسائل من الاقطار ، ومن احدها سؤال ورد من قطر اسلامي عن اقل ما يكون به الانسان الجاهل الاعجمي مسلما لان اهله اجهل واصل من مسلمي (بنكوك

(— سيام) الذي وصف لنا سوء حالهم من سألنا عن صحة اسلامهم ونشرناه في المنار من قبل . وقد بقي عند كل منهما بقية ممن يدعي العلم يحفظون من مذهب الامام الشافعي (رض) احكاماً جهادية يحتمون على الناس العمل بها في صلاة الجمعة وغيرها فأدى ذلك الى ترك صلاة الجمعة وترك صلاة الجماعة من بعضهم بل الى ترك الصلاة ممن يعسر عليهم حفظ الفاتحة وتجويدها باخراج الحروف من مخارجها وتشديد المشدد منها ولا سيما الياء في (إياك نعبد وإياك نستعين) فان تخفيف المشدد فيها مبطل للصلاة عند الشافعية

ومن أحدثها سؤال بعض اهل العلم في جاوه عن حكم ما جروا عليه بأمر حكاهم المسلمين من إزام كل من يتزوج بأن يطلق المرأة التي يعقد عليها عقب العقد طلاقاً معلقاً على التقصير في النفقة عليها او ضربها او على الغيبة عنها وتركها بغير ثقة بالصفة التي يرى القارئ بيانها في باب الفتوى من المنار ان كثيراً من اهل العلم الساعين لاصلاح حار المسلمين في الاقطار المختلفة يعملون بما ننشر في المنار من الحقائق الدينية بالادلة التفصيلية، ويسألنا بعضهم عما يعرض عليه مما لم يرحكه فيه . ومجد هؤلاء وامثالهم معارضين في بعض البلاد من مقلدة بعض المذاهب لما يخالف مذهبهم، ولكنهم لا يعنون بنشر مذاهبهم وحمل الناس عليها ، بل يتركونهم فوضى في امر دينهم لا يبالون بتركهم للفرائض ولا باقترافهم لكبائر المعاصي، وانما يهتمون بمعارضة بعض المسائل التي تخالف مذهبهم كصلاة الجمعة بما دون اربعين رجلاً حراً بالغاً مقيماً في داخل سور البلد لا يظمن عنها، وان ادت هذه المعارضة الى ترك الجمعة البتة، فاذا صار للمسلمين امام وجماعة من اهل العلم الاجتهادي والعدالة يستمد منهما دعاة الاصلاح العلم والارشاد ، فانه لا يلبث ان يعم ذلك مسلمي جميع البلاد

وقد سبق لنا ان اقترحنا في المجلد الاول من المنار ضرباً من الاصلاح على مقام الخلافة الاسلامية الرسمي — وان كانت خلافة تغلب — لان بلادنا كانت خاضعة لحكمه ، ونودّ أن يقوم بالحق بقدر طاقته ، فكان جزاً ونا على مثل هذا الاقتراح من المنار أن يدخل البلاد العثمانية ، وليبدأ اهلاً واصدقائنا في الديار السورية

ولا غرو فذلك الخليفة نفسه كان جاهلاً بأصول الدين وفروعه وبما يصلح به حال المسلمين ويفسد ، واعوانه جهلاء واصحاب اهواء ، فهم لا يبلغونه امثالي

تلك الاقتراحات ، واذا ذكروها له شو هوها ، وجعلوا حقها باطلا ، وصلاحيها فسادا ، وهو يصدقهم ، ولا يطمئن لخبر غيرهم ، وفاقد الشيء لا يعطيه
وجملة القول ان الجهل الغالب على اكثر المسلمين والتعصب المذهبي المفرق للكلمة بين المتعلمين للدين منهم لا يمكن تلافي ضررها في زمن قصير الا باقامة خلافة النبوة على وجهها الذي لا سهل على احد ان يماري فيه وراء ظاهرا ، ويكفي ان يعتقد صحتها السواد الاعظم من المسلمين لموافقتها لمذاهبهم وهم المنتمون الى مذاهب أهل السنة والزيدية من الشيعة والاباضية من بقايا الخوارج ، وهؤلاء اذا كانوا لا يشترطون في الامام ما يشترطه أهل السنة والزيدية من النسب فهم لا يشترطون عدمه ، ومالنا لانتحري فيه المذهب الذي يستلزم غيره كاستلزام مذهب الزيدية لمذهب السنة والخوارج استلزام الاخص للاعم والمقيد للمطلق ؟

ان هذا هو القول الحق الذي تقوم به المصلحة الاسلامية العامة وما عداه مما يقبله أتباع كل ناعق يباعث السياسة الحاضرة فهو غثاء ، وسيذهب جناء ، ومنه يعلم أن ماقررتة حكومة أنقرة باطل في نفسه ، ولا يفيد العالم الاسلامي أقل فائدة ، بل قد كان سببا منذ الآن لشقاق في الشعب التركي الذي يرجح جمهوره الهداية الاسلامية ، على نظريات القوانين والتقاليد الافرنجية ، فان في مجلس الجمعية الوطنية حزبا كبيرا يرى أن المصلحة تقضي بوضع الخليفة في الموضع الذي وضعت فيه الشريعة بأن يكون هو رئيس الحكومة والمنفذ للأحكام . نعم ان حزب الغازي مصطفى كمال باشا المصير على رفض كل سلطة شخصية في الحكومة التركية العليا سواء كانت باسم الخلافة أو غيرها هو صاحب القلب في المجلس الحاضر ولكن سبب ذلك تأثير هذا الرجل وحزبه من قواد الجيش في الانفس بما لهم من المنة في انقاذ الدولة من الخطر — لأن هذا هو رأي الامة التركية ، ولو استغثت الامة استغثاء حرا خالفت هذا الحزب في هذه المسألة . هذا هو الحق

وسيعلم العالم الاسلامي أننا قد قننا بهذا البيان بما أمرنا الله تعالى به من التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وبالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وطامتهم ، فيرجعوا الى رأينا من يخالفه اليوم كما رجعوا الى رأينا في السلطان عبد الحميد ثم في جمعية الاتحاد والترقي . والعاقبة للمتقين .

وصف ثورة الهند السياسية السلبية

وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية (*)

(٣)

وانه لتقل أمثلة تلك الجرأة والشهامة والشجاعة التي أبدتها طول هذه المدة ، فانه ما زال قبل سجنه يدعو الحكومة الى القبض عليه بمخالفتها ونبذ طاعتها فما حذرت عملا من الاعمال الوطنية الا وبادر الى اعادته صائحا « ان كان هذا العمل جناية وذنبنا عند الحكومة ، فما أنا ذا فاعله ، فلتعاقبني ! » ولكنها ما زالت تقض الطرف عنه وتهاب جانبه ، لانها تعلم أن الامة كلها معه ، وأن التعدي عليه يزيد الطين بلة — غير أنها اضطرت أن تسجنه أخيرا للآفة سنتها وليس في وسعها سحب قوانينها المعلنة ولا أن تسكت عن نابذها —

﴿ المحاكمة والخطاب ﴾

ان خطاب هذا الزعيم سيسجل في تاريخ الحرية والجهاد للامم ، إذ هو آية عظيمة من آيات الصديق بالحق وتشنيع الباطل وتقبيح الاستبداد ، ومثل عال للجرأة والشجاعة والثبات على الحق كالجبال الراسيات ، ولا سيما الامور الآتية منها ، التي تستحق الاعتبار والتدبر فيها ، وهي :

(١) ان تاريخ الجهاد الوطني في كل البلاد يروي لنا أن الناس كانوا يبادىء ذي بدء يجهرون بمقاومة القوات المستبدة والحكومات الجائرة ، بكل جرأة وشجاعة ، حتى اذا أخذتهم الحكومة وأرادت معاقبتهم ، يجتهدون في تبرئة أنفسهم ، فاما أن يقولوا عن أعمالهم إنها كانت قانونية ، لاجئين الى تلك القوانين التي

(*) تابع لما في الجزء الاول

(المنار : ج ٢) (٢٦) (المجلد الرابع والعشرون)

شهدوا بجورها وظلمها، واما أن يأولوا أعمالهم بتأريلات تخفف جنائتهم في نظر المعاقبين ، والناس عامة لا يرون في ذلك بأسا ، فيجوزونها قائلين إن هذه سياسة وخدعة و « الحرب خدعة » فلا بأس أن يحافظ الانسان على نفسه ، ويدفع عنها شر الاعداء بكل ما أمكن ، ولكن صاحب الخطاب سلك مسلكا آخر ، فصرح في خطابه بأنه ليس من الحق والصدق أن ينكر الانسان أمرا صحيحا وحقيقة ظاهرة ، فإن الحكومة كانت أخذت عليه أنه ينفر الناس عنها ويقول في خطبه إنها ظلمة جائرة ، ويحرضهم على مقاومتها ومحاربتها ، فلم ينكر شيئا من هذا ، بل اعترف به جميعا بكل جرأة وصراحة ، بل قال أكثر مما نسب اليه —

(٢) قال في خطابه إن النزاع قد قام بين الحق والباطل ، وإن الباطل سيفعل ما كان يفعل له أمس بالحق وأصحابه ، فيجب على أولئك الذين رفعوا أصواتهم في حماية الحق مع علمهم بقوة الباطل وشدة شكيمة أن يتحملوا بدون أدنى وجل ولا اضطراب تلك النتائج التي لا مناص منها في هذه السبيل ، وإن كانوا يشكون ويتململون فليس لهم أن يدخلوا في هذه الممعة الخطرة

(٢) قد صرح أمام القضاة بكل ما كان يصرح به أمام الامة بدون أدنى خشية ولا وهن في ساعة كانت حياته بيدهم وكل كلمة من أفواههم كانت كافية للقضاء عليه ، غير أنه لم يلابته في إيمانه ورسوخه في التوكل على الله وحده ، لم يبال بهذا الخطر العظيم المهدق به ، بل احتقره وآثر الحق على نفسه وحياته

(٤) ان العبرة الكبيرة التي أوجه نظر المطالعين اليها هي أن الامة والجماعة تتأثر من الاسوة العملية أكثر من الخطب والمواعظ ، فانها عند ما ترى أمام أعينها الامثلة الصادقة للشجاعة والحرية والاستقامة وعدم الخوف ، يتجدد فيها هذا الروح ، فعلى زعماء الامم وأبطالها أن يقدموا أمثلة لا يشارم وثباتهم كهذا المثل والا فلا طائل تحت بلاغة الخطابة واعادة الدعاوي والالفاظ .

﴿إلى أخواننا في الشام، والعراق، ومصر، وسائر البلاد الإسلامية﴾

أخواني: إن هذه نبذة يسيرة من تلك المساعي التي تبذلها الهند لصون الخلافة الإسلامية واستقلال بلادكم الإسلامية والعربية، على معارضة الموانع الآتية:

(١) إن الهند تبعد عن هاتيك البلاد بعد أشاسعاً وتحول بينهما البحار الزاخرات.
(٢) إن أهل الهند لا يضرهم احتلال هاتيك البلدان واستعمارها ضرأماً، ولا ينفعهم استقلالها نفعاً شخصياً، بل إن مصالحهم المحلية، ومقاصدهم الوطنية، تقتضي الاعراض عن غيرهم، والسعي لاستقلالهم أنفسهم.

(٣) إنهم فوق هذا يثنون تحت نير الاستعباد، ويقاسون الشدائد بيد الاستبداد، وإن الدولة التي تملكهم نفس تلك الدولة التي حاربت بلادكم وتريد الاستيلاء عليها، فسعيهم ضدها مخوف بالآخطار، ومجلبة للاهوال.

بيد أنهم لمجرد واجبهم الإنساني والشرقي، وأكبر منهما واجب الأخوة الإسلامية وحماية المظلوم، لم يستطيعوا القرار في راحتهم وبيوتهم، بل اضطروا إلى منازلة أقوى دول الأرض لاجلهم ولحرية بلادكم!

أفليس في هذا عبرة وموعظة لكم، أهل البلاد الإسلامية والعربية؟
البلاد التي:

(١) حريتها واستقلالها وحياتها وشرفها القومي والوطني في معرض الهلاك
(٢) هي لم تكن مستعبدة لأًرباً، بل كانت لها حكومة إسلامية شرقية ومهما تكن سيئاتها كثيرة، فهي على كل حال كانت حكومة قومية وإسلامية، وظلمها وغدرها وميلها كان أحسن وأولى من عبودية الأجانب.

(٣) هي نفسها كانت في الحرب فريقاً محارباً، وكان الشرع والعقل يوجبان عليها أن تغض النظر عن مصائبها الداخلية وتحارب العدو الخارجي وتدفع شره
ولكنها ماذا فعلت؟

إن التاريخ سبق قصتها بكل خجل وحياء؟ فإنها لم تكتم بالقعود عن

أداء فرضها الديني والوطني والانساني ، بل واسوأ تأه ا كثير من أبنائها انضموا الى العدو ، فساعدوه على مطامعه ، وكانوا سبباً لانكسار آخر الدول الاسلامية وانتقاصها ، حتى ان رجلاً قرشياً هاشمياً قاد جيوش الحلفاء الى « بيت المقدس » ففرغه من اخوان دينه وسلمه الى أعدائه ا

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ان كان في القلب اسلام وإيمان ا أفلم يأت الى الآن وقت قمع المطامع الشخصية والاهواء الباطلة ؟ أفليس هذا أو ان الرجوع الى الله ، ورتق ما فتق ، وسد ثلثة الاسلام ، واتحاد الكلمة ، والود عن البلاد الاسلامية والعربية ؟ أفلم يأن للمسلمين أن يعودوا الى رشدهم ، ويصلحوا ما أفسدته أيديهم ؟ « أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ؟ »

ان مسلمي الهند ليسوا بمجانين حتى يرغبوا في أن يكون أهل بلاد العرب والشام عبيداً للأتراك ، ولكن ليس معنى التحرير من ربقة الترك ، العبودية لبريطانية وفرنسة باسم الوصاية أو الحماية ، فيجب على احوالنا أن ينعنوا هذه الحقيقة . انه لا يمكن لأمة أن تصون حريتها ما لم تكن وراءها قوة عسكرية ، والأتراك مهما تكن سيئاتهم وذنوبهم ، فالحقيقة التاريخية أن قوتهم العسكرية هي التي حافظت الى الآن على الاجزاء الباقية من البلاد الاسلامية وردت عنها كيد الاعداء . وأن العراق والشام ان نالتا اليوم الحرية التامة ، لا تستطيعان المحافظة عليها لفقدان قوة عسكرية منظمة منهما ، فاذاً لا مناص لهما ولغيرهما من البلدان الاسلامية من أن تتحد وتتفق وترتبط بقوة مركزية ، مع حفظ حريتها المحلية واستقلالها الداخلي ، والا فلا نجاة لها من الحلفاء .

ان الحرية الوطنية انما تصونها وتضمنها القوة ، لا الوعود ، والعهود ، والمعاهدات ، والمؤتمرات ، فان العرب لا يبالي بشيء منها بل انما يهاب القوة ، والقوة وحدها تجعله يحترمها - فعلى أهل البلاد الاسلامية أن يتحدوا ويتعاونوا ويتناصروا ويرتبطوا بالقوة المركزية الاسلامية ، ثم ليعملوا لطرد الاعداء من أوطانهم ان أحبوا

بلائحة (الاتعاون السلمي) الهندية بعد أن يجعلوها ملائمة لحمايتهم الاجتماعية والسياسية^(١)

﴿ مجلة المنار الغراء ﴾

خصصت مجلة (المنار) الغراء بنشر هذا الخطاب لأنها التخلية بمثلها لا يادها البيضاء في الاصلاح الديني وقدحها المعلى في النهضة الاسلامية الحديثة، فانها لا تزال تجاهد جهادا عظيما منذ ربع قرن لاجياء المسلمين، وتقاوم الاستبداد والقهر والجمود والتقليد من زمن بعيد، بل انها أول صوت ارتفع على بعد أجيال كثيرة لاعلاء كلمة الحق، وأعظم منار رفع للهداية الى الصراط السوي، فاتها في الى قد مرقت ظلمات التقليد التي كانت محيطة بالمسلمين، وبصرتهم سبيل الاسلام ودين الحق التي كانت عميت عليهم، ولم يكن هديها محصوراً في البلاد العربية، بل شمل العالم الاسلامي كله، فانه كثيراً ما استناد منها، وتنور بأفكارها، وان صاحب هذا الخطاب - الذي وضعنا له هذه المقدمة - لا يزال يترفها ويعدده أصبح دعوة اصلاحية ظهرت بين المسلمين في القرون الاخيرة . اهـ (عبد الرزاق)

(١) ان ما ذكره الكاتب في هذه المسئلة مبني على النظريات العامة المجهلة التي هم بها كل مسلم بقدر غيرته الاسلامية ويتمنى ما يقترحه مسلمو الهند من توحيد القوة الاسلامية بقدر رسوخ التوحيد بالله في قلبه، ولكن بين النظريات والعمل عقبات لا عقبه واحدة أهمها أن المانع من اتحاد العرب مع الترك مشترك بين الفريقين والعرب أقرب الى الترك منهم اليهم، مع أن المجاورين لهم منهم ليس أمرهم في ايديهم، وأن سبب هذه العقبات كلها وعلة عللها العصبية الجنسية التي استحدثها الترك لجعل السلطة - التشريعية والتنفيذية - تركية لا اسلامية، ويعبرون عنها « بالحاكية الملية » ويعنون بالملية النسبة الى ملة الترك . ويشترطون أن تكون لغة التابع لدولتهم هي التركية دون سواها . وكان من أصول برنامجهم إسقاط دولة آل عثمان وإزالة سلطة الخلافة من الدولة لتحقيق الحاكمة الملية التركية - وقد فعلوا عندما تمهدت السبيل - فالعرب لا يابون الاتحاد بالترك عند الامكان على قواعد الشريعة الاسلامية العربية مع محافظة العرب على لغة الشريعة والقرآن وحرية الترك في لغتهم - فعلى اخواننا الهنود وغيرهم من أهل الغيرة أن يضموا لهذه الوحدة النظام الذي نساعدهم عليه بمقالنا الحافل في الخلافة الاسلامية ونحن نعتقد ان السواد الاعظم من العرب يوافقون عليه و يسبقون الترك الى تنفيذه بالرغم من دسائس الاجابب وأعوانهم من الحجازيين

﴿ انتداب العرب في سويسرة ﴾

في القرون الوسطى

طرفة تاريخية من قلم الامير شكيب ارسلان الشهير

(٢)

أما المؤرخ (يود براند) الذي نقل عنه (فرديناند كار) الألماني فقد جاءت رواياته مطابقة لروايات المسير رينو وقد وصف خوارق شجاعة تلك الشرذمة العربية وما بلغوه من الفتح والاستيلاء والتبسط في البلاد وكيف كانوا يجوبونها طولاً وعرضاً ويوقعون بكل من ناوأم أو وقف في وجههم وينهبون الاديار والكنائس وقصور الامراء. ومن رأيه أن هؤلاء الغزاة من العرب لم يكن غرضهم في تلك النواحي التوسع في الملك ولا استعباد الاهالي بل الاجتهاد في جمع الذهب والنفائس ووضعها في حصن (فراكسينه) حتى اذا ضاق بهم الامراء أو أدبر بهم طالع الحرب خلصوا بها الى سفنهم التي كانت دائماً راسية في مرفأ « سان ترويس » وقصدوا اسبانية. ومن رأيه ورأي غيره أن الخليفة في اسبانية لم يكن عنده علم بغزو هؤلاء الصماليك ولا بما اعتزموه من الاستيلاء على جبال الالب والايغال في ايطالية وسويسرة وانها غزاة قام بها هؤلاء الذؤبان من أنفسهم

ثم انه يوجد في دير « نوفالس » تحت جبل « سنيس »

تاريخ جولة هؤلاء العرب في سنة ٩٠٦ ويقال انه قبل هذه السنة انصبت بلايا ورزايا على مقاطعات « بورغوند » و « سميلكة » وجبال الالب الايطالية لان العرب المذكورين تسلقوا جبل « سنيس » وانفتحت أمامهم « سافواي » وسويسرة وكان دير « نوفالس » من أغنى الاديار وأعظمها فلما سمع الرهبان بقدوم العرب جمعوا كل ما عندهم من الاموال والنفائس والكتب وحملوها الى « تورينو » لتكون في حرز حريز فقبل أن ساروا بها وصل العرب واستولوا عليها واقتحموا الدير ووضعوا النار في الكنيسة وأسروا بعض الرهايين . قال: وفي تلك الآونة كانت

جميع البلاد الممتدة من نهر «البو» Po الى نهر الرون Rhone «والبيروفانس» Pruvence و«البيامون» Pièmont و«الدوفينه» Rdaufhine و«مونتفرات» montgerrat و«ترانتاز» Tarntaisa مجالا لغارات العرب ومشهد الوقائع غزوم واجتياحهم

وكان الاشراف والاساقفة اذا أرادوا المرور من هناك الى رومية مضطرين أن يؤدوا فدية عن أنفسهم ليسمح لهم العرب بالجواز والا وقفوا تحت خطر القتال وطالما كانوا يقدون أنفسهم بأشياء ذات قيمة من ذخائر الاديار وزعم هذا المؤرخ أن العرب لم يقتصروا على نهب المال الصامت والصائت بل تجاوزوه الى سبي الاهالي رجالا ونساء واسترقاقهم (كما كان الافرنج أنفسهم يفعلون مع العرب) وكان اذا قتل أحد الاهالي واحدا من العرب أخشوا الانتقام من قوم القاتل وأضرمو النار في جميع البلد (على طريقة الدول المتقدمة اليوم يرمي القنابر من الطيارات على القرى وقتل أي من صادفت فيها من رجال ونساء وأطفال عقابا لمقاوم من أهالي تلك القرى أو عابر سبيل فيها، هذا لعمر ك نظير ذاك حذو القذة بالقذة الا أن عمل أولئك الصعاليك من العرب وهو أصغر يسمونه عيشا وتخريبا وعمل الدول المتقدمة هذه مع كونه أقطع واكبر يسمونه اصلاحا وتمدينا)

وكان السكان يهيمون زرافات ووحدانا ويأوون الى الكهوف والغابات ويعتصمون بالجبال لاجل النجاة بأرواحهم من عادية العرب وطالما سعى أناس في جمع كلمة الملوك والامراء على قتال هؤلاء ففشلت مساعيهم بما كان من اختلاف الكلمة . بل كنت ترى أحيانا بعض الرؤساء يستظهرون بالعرب على أبناء جلدتهم . أخبر فلودوارد Floduord في تاريخه أن العرب سنة ٩٢١ قتلوا قافلة من الانكليز كانوا حاجين الى رومة بالقاء الصخور عليهم من أعالي الجبال وبعد سنتين من ذلك التاريخ أهلكوا قافلة أخرى في جبال الالب وفي سنة ٩٢٩ اضطر الحج الى الرجوع أدراجه . قالوا ولا يعلمون تماما في أي مضايق

الالب وقعت هذه الحوادث هل في ممر الالب بين سويسرة وإيطاليا أو في ممره بين فرنسا وإيطاليا ؟ ولكن يرجح أن الانكايين الذين كانوا يحجبون رومة كانوا يختارون ممر سان برنار . ثم لم يتفق المؤرخون على تعيين الزمن الذي وقعت فيه سان برنار في قبضة العرب وإنما تحقق وجود هذا الحادث في القرن العاشر ويرجح بعضهم أنه في نحو سنة ٩٤٠ تساق العرب سان برنار من جهة وادي الرون حيث يوجد هناك في كهف عظيم دير « اغونوم » Ogaunaum المؤسس على اسم القديس موريسوس ففي ذلك العام سطا العرب على ذلك الدير ونهبوا ما فيه من الامتعة والذخائر وأحرقوا فجاء القديس أريك أسقف أوغسبرغ عن طريق (بورغوند) لاختذ عظام الشهداء ونقلها الى أوغسبرج فلم يجد شيئا . وذكر فلوداورد أن جماعة من حجاج الانكايين والفرنسيين كانوا قاصدين رومة ٩٤٠ فصادفوا العرب فرجعوا بعد أن فقدوا كثيرا من رفاقهم . وان راهبا اسمه رودلف من رهبان سان موريتز وجه خطابا الى الملك لودفيك الرابع يذكر فيه بالاعمال العظيمة التي قام بها سلاطين جرمانية في المحافظة على هذه الجهات ويستعديه على العرب ويستمدده لاماطة معرفتهم وترميم ماخر به من قبور القديسين

وبعد أن غزا العرب نواحي بحيرة حنيف ظهوروا في مضائق جبال الالب الشرقية وملكوها ويقول فلوداورد أنهم غزوا المانيا وقطعوا الطرق على حجاج الالمان واجتاحوا وادي الرين ونواحي شور وان الوثائق التي تثبت وصول العرب الى وادي الرين تنبئ بأن الدوق الالمانى هرمان المسمى كونت شورفالس Graf von Churvallechen التمس من عاهل المانيا يومئذ عام ٩٤٠ أن يعوض أسقف شورف ما نهبه العرب من ديار أسقفية فأهدى القبر ذلك الاسقف كنيسةين هما كنيسة بلوندنز وكنيسة سان مارتين على شرط انه بعد وفاة الاسقف يعود ريع أوقاف الاولى على أساقفة شورف وريع الثانية على دير الراهبات في رازيس وان مما يحير العقول كيف اقتحمت عصاة قليلة من صعاليك العرب تلك

الانخطار وصعدت تلك الجبال جبال الالب وعبرت شاطيء بحيرة لانغ وكومر الى أن ظهرت على حدود ألمانية ؟ فقد ثبت انهم مع قلة عددهم كانوا أوتواجرة خارقة للعادة وكان الخوف منهم قد تمكن من القلوب جميعها . ولقد تحقق كونهم جاسوا خلال أودية منابع الرين وجهات الشور وكانت مغاور الجبال مكامن لهم وكانوا يقعدون المسافرين بالمرصاد من المهاوي العميقة ويتخذون لانفسهم أبراجا يعتصمون بها في الشدائد

ثم ورد في تاريخ كار خبر قيام هوغ صاحب بروفانس لحرب العرب المذكورين وعزمه على فتح حصونهم في فرا كسنة وذلك أنه بعد عقد الصلح مع ألبريكوس خصمه الذي كان ينازعه على مملكة لومباردية استنجد ملك الروم بالقسطنطينية ليعث له بالاسطول فبعث به وأحرق مراكب العرب في خليج سان ترويس بينما كان هوغ يهاجم حصونهم في جبل فرا كسنة وكان مقصد (هوغ) أن يمحو وجود تلك الديار ويخلص من شرهم ولكن فاجأه ما لم يكن في حسباناه وهو أن (بيرانجر Péréngar) المطالب بعرش لومباردية نذر على (هوغ) وجاذبه الحبل فغضب هوغ وأصر على قهره وأخذ أسيرا وقتله أو سمل عينه ففر (بيرانجر) من لومباردية الى (هرمان) أمير (شفابن) فأجاره وقدمه الى (أوتو) قيصر ألمانية فأكرم هذا مشواه ووعدته خيرا ، فلما علم (هوغ) بذلك سقط في يده وأرسل الى القيصر بالاطاف والهدايا ليصرفه عن مساعدة (بيرانجر) ثم صالح العرب وسرح الاسطول اليوناني وأطلق للعرب حريةهم وأمنهم بشرط أن يجعلوا سكناهم في الجبال الفاصلة بين ايطاليا و (شفابن Chavvaben) وأن يحجزوا بين عساكر (بيرانجر) وجبال الالب . وظهر جلي أن العرب نالوا بهذه المعاهدة حق احتلال جميع معابر الالب وشعابها وجلاء نفس (هوغ) عن بقعتهم — أو منطقة احتلالهم — ولكن هذا غير صريح . وقد اتخذ العرب هذه المعاهدة سلاحا وانتفعوا بها أعظم الانتفاع وقاموا بتنفيذها بتمامها حتى أن بيرانجر في عودته

الى ايطالية لم يجرأ أن يمر بجبال الالب بل جاء من طريق جبال التيرول فتعرض من جراء جبنه هذه الى هجاء الشاعر المؤرخ (بود براند) الذي كان في عصره ومنذ عقد العرب هذا الوفاق شعروا أنهم أصبحوا السادة المالكيين لمعابر الالب وضربوا رسوما على التقوافل المارة فكل من لم يؤد لهم الرسم أو ثقهه أسيرا الى أن يدفع

ثم امتد غزو العرب الى نواحي (سارغانز Sargans) وتورغنبورغ Toggenburg وأبنزل وقد ذكر ذلك مؤرخ اسمه ايكهارد في كتاب وجد في دير القديس غالن فقال :

ان طبيعة العرب وطور معيشتهم البرية كانا مما جعل التغلب عليهم في غاية الصعوبة ولقد تمادت جرأتهم الى ايام فالتا Valta وبينما كان الاهالي يومئذ محتفلين بعيد يبي رافعين الصليبان طائفين بها اذ أقبل العرب من جهة بارينغ Parenegg ورموا الجماهير بالمقاييع ولكن الشهم الهام فالتا لم يترك هذا الجرم بدون جزاء بل جمع جموعه ودم قطاع الطرق بجيشه المكون من العبيد والعملة وغيرهم وكلهم مسلحون بالحرايب والمناجل والفؤوس وقد كبس على العرب بياتا وهم نائمون فقتل بعضا وأسر بعضا وفر الباقون الى الجبال لا يلوون على شيء وسبق الاسرى الى الدير فأبوا أن يأكلوا ويشربوا حتى ماتوا جوعا (اذاً ليس الايرلانديون هم الذين اخترعوا هذا النوع من الانتحار)^(١) ولم تعرف مدة اقامة العرب بشرقى سويسرة الا أنه ثبت كونهم وجدوا هناك في القرن العاشر . وفي سنة ٩٥٤ التي انكسر فيها العرب في دير القديس (غالن) هذا انكسر لهم جيش آخر في حرب (المجار) وذلك بفضل شجاعة الملك كونراد فون بورغونند فانه استأصل منهم طائفة عظيمة لكنهم بقوا قابضين على معابر الالب الغربية قال المؤرخ ايكهارد من رهبان دير القديس غالن : ان العرب تمكنوا تماما في داخل جنوبي أوروبا وكان من جملة الخطط التي رسموها لانفسهم أن يتزوجوا

(١) المتار هؤلاء مسبقون أيضا ففي أخبار سنة ٢٩٣ من كتاب تجارب الامم

من بنات اهل البلاد وأن يتوطنوا بها على شرط أن لا يؤدوا مالا كثيرا لملك القطر الذي يكونون فيه ، واما الوادي الذي اتجمعوه لتأسيس هذه المستعمرة العربية التي قصدوا أن يعطوا فيها الفلاحة ويستقروا هادئين فلا يعلم هل هو وادي فاليس Vallis أو وادي فال من سافوا أم غيرها

وسنة ٩٥٤ كانت سنة نحس على سويسرة الشرقية لان الحجار من جهة الشمال والعرب من الجنوب كانوا قد اكتسحوا البلاد

وفي — ٢٢ يوليو ٩٧٣ كان القديس (ما جلوس) من (كلوني) عائدا من (بافيا) الى (بورغوندي) ومعه قافلة عظيمة لان الناس الذين كانوا يريدون العبور ظنوا أن التحاقهم به قد يحميهم من غارة العرب فوصلوا الى قرية في جبل سان برنار واذا العرب انقضوا عليهم وأوثقوهم ولم ينبج القديس نفسه من الوثاق بل صفدوه بالحديد ثم أحضروا له طعاما على عادة العرب لحما وخبزا يابساً فأبى أن يطعم شيئا وقال لهم اني لم اعود اكل هذا الخبز فقام أحدهم وغسل يديه وعجن دقيقا وخبزه وقدمه للقديس بكل احترام فرضي هذا من عمله وصلى وأكل . وما يروي أولئك المؤرخون أيضا أن أحد العرب أراد أن يقطع غصن شجرة ليتخذ منه محبنا فلما أراد أن يتناول الى الشجرة كان تحتها انجيل شريف من أمتعة القافلة فأراد أن يدوس عليه فانتهره اصحابه وصاحوا به : ويل لك كيف تطأ برحلك كتاب نبي مقدس ؟ وذلك أن العرب يحترمون الانبياء ويقولون إن محمدا (ص) هو النبي الذي وعد بنجيته المسيح (ص)

هذا — وقد أذن العرب للقديس ما جلوس أن يكتب الى بلدته كلوني بطلب فدية بك بها نفسه ورفاقه فلما ورد الصريح قامت قيامتهم وأضجوا وأعولوا وعلا نحيبهم فجمعوا وعفشوا (جمعوا ومنه قول العامة العفش للامتعة) من ذخائر الاديار والكنائس كل ما قدروا وأرسلوا به لفداء القديس ورفاقه فبلغ مجموع الفدية ألف رطل من الفضة أصاب كل واحد من العرب رطلا . الا أن هذه الحادثة هاجت عليهم البلدان بأسرها وصمم الاكثرون على التخلص من معرهم

واشتهر في ذلك زعيم اسمه (بربو) من أهل (سيسترون Sistrion) فتألب الأهالي عليهم بزعامه هذا الرجل وأجلوهم عن تلك الناحية الى (دوفينه Dauphine) ومنها الى بروفانس وهناك غزاهم غليوم أحد أمراء بروفانس بجيش كبير الى مقرهم الاصيلي فراكسنة وبعد حصار شديد افتتح الحصن عنوة وفر العرب منه لا تدين بالحراج والجبال فمنهم من وقع في اليد فقتل ومنهم من تنصر لينجو برقبته وتقاسم جيش بروفانس أسلابهم وهكذا انتهت من هناك دولتهم وشالت نعمتهم والله الامر من قبل ومن بعد

(له تلمة في آثار العرب بسويسرة)

أقدم كتاب في العالم أثر مصري

منذ ٥٥٠٠ سنة

نشر أولا في جريدة الاهرام

عثر أحد الفلاحين على أوراق بردية وهو محفر مقبرة بناحية ذراع أبي النجا بطيبة فباعها للعالم الاثري الفرنسي بريس دافين الذي أذاعها سنة ١٨٤٧ ثم قدمها هدية لدار الكتب الاهلية بباريس ولذلك اشتهرت بورقة بريس البردية وهي أقدم كتاب في العالم لانها كتبت منذ ٥٥٠٠ سنة وقد كانت كتب الاولين كلها من هذا النوع وهي تشتمل على ١٨ صحيفة مكتوبة بالخط الهراطيقي بالحبر الاحمر والاسود متضمنة نصائح ومواعظ وحكم وضوحها رجلان الاول يدعى قافنه وهو وزير الملك حوني من الاسرة الثالثة والثاني يدعى فتاح حنب وهو وزير الملك أسي من الاسرة الخامسة كتبها وله من العمر ١١٠ سنوات اقتبسها من السلف، وجعلها موعظة للخلف؛ ولذا قال لابنه « اذا سمعت هذه الحكم السامية عمرت طويلا، وبلغت أوج الكمال، وتدرجت الى معالي العلا والمجد

ثم اعتنى بترجمتها من اللغة المصرية القديمة الى الفرنسية العالمان شاباس ديفري وباللاتينية العالم لوث وبالألمانية العلامة بروكش باشا وبالانكليزية

الاثري المسترجن ومن هؤلاء نقلتها الى العربية
وقد وجدت هذه النصائح مكررة وغير مرتبة فليخصتها واقتصرت فيها على
فرائد الفوائد

ولاهمية هذه النصائح الدرية اعتنى بها الانكليز اثناء عظيمها حتى قرروها
في برنامج الدراسة للاطفال فأكسبتهم المبادئ الشريفة التي أشربتها قلوبهم في
الصغر فسادوا العالم وقادوا الامم وذلك بفضل اتباعهم منهاج أجدادنا العظام
التي دونوها لنا، وكثروها لاجلنا، فكان نفعها لغيرنا، وياحبذا لو اهتدينا اليها، واقتدينا
بها فنحن أحق بها

﴿ نصائح قاقنا ﴾

الحكيم المصري القديم

- (١) اسلك طريق الاستقامة لئلا ينزل عليك غضب الله
- (٢) إحذر أن تكون عنيدا في الخصام فتستوجب عقاب الله
- (٣) الابن الذي ينكر الجليل يحزن والديه
- (٤) متى كان الانسان خيرا بأحوال الدنيا سهل عليه قيادة ذريته
- (٥) ان قليل الادب ابلید ومذموم
- (٦) اذا دعيت الى وليمة وقدم لك من أطيب الطعام الذي تشهيه فلا
تبادر الى تناوله لئلا يعتبرك الناس شرها، واعلم أن جرعة ماء تروي الظما ولقمة
خبز تغذي الجسم
- (٧) احفظ هذه النصائح واعمل بها تكن سعيدا ومحموذا بين الناس

﴿ أمثال فتاح حتب ﴾

الحكيم المصري القديم

- (١) ان التعرف بأعظم الناس نفحة من نفحة الله

- (٢) لا توقع الفزع في قلوب البشر لئلا يضربك الرب بمصا انتقامه
- (٣) اذا شئت أن تعيش من مال الظلم أو تغني منه نزع الرب نعمته منك وجعلك فقيرا
- (٤) ان الله يعز من يشاء ويذل من يشاء لان يده مقاليد الامور فمن العيب التعرض لارادته تعالى
- (٥) اذا كنت عاقلا قرب ابنك حسبا يرضى الله تعالى واذا شب على مثالك وجد في عمله فأحسن معاملته واعتن به . أما اذا طاش وساء سلوكه فهذب أخلاقه وأبعده عن الاشرار لئلا يستخف بأمرك
- (٦) ان تدبير الخلق بيد الله الذي يحب خلقه
- (٧) اذا نلت الرفعة بعد الضعة وحزت الثروة بعد الفاقة فلا تدخر الاموال بمنع الحقوق عن أهلها فانك أمين على نعم الله والأمين يؤدي أمانته واعلم أن جميع ما وصل اليك سينتقل منك الى غيرك ولا يبقى فيه لك الا الذكر
- (٨) ما أعظم الانسان الذي يهتدي الى الحق والى الصراط المستقيم
- (٩) من خالف الشرائع والقوانين نال شر الجزاء
- (١٠) لا ينجو الاثيم من النار في الحياة الآخرة
- (١١) الا ان حدود العدالة لثابتة وغير قابلة للتغيير
- (١٢) اذا دعاك كبير الى الطعام فاقبل ما يقدمه لك ولا تطل نظرك اليه ولا تبادره بالحديث قبل أن يسألك لانك تجهل ما يخالف مشربه بل تكلم عند ما يسألك فحينئذ يعجبه كلامك
- (١٣) اذا كلفك كبير حاجة فأنجزها له حسب رغبته
- (١٤) اذا تعرفت برجل رفيع المقام فلا تتعاضم عليه بل احترمه لمركزه
- (١٥) اذا جاست في مجلس رئيسك فعليك بالسكال والصمت ولا تتفوق في الكلام لئلا يعارضك من هو اكبر منك نفوذا واكثر منك خبرة واعلم أن من الجهل أن تتكلم في مواضع شتى في آن واحد

(١٦) لا تعمق كبيرا عن عمله من رأى مشغولا فإنه عدو لمن يعوق أعماله
(١٧) لا تخن من ائتمنتك تزدد شرفا ويعمر بيتك
(١٨) من الحق أن يتشاجر الرؤوس مع رئيسه فإن الانسان لا يعيش
عيشة راضية الا اذا كان مهذبا لطيفا ظريفا

(١٩) اذا دخلت بيت غيرك فاحذر من الميل الى نساائه فكم أناس هافتوا
على هذه اللذة القصيرة التي تمر كالحم فأودت بهم الى المخاطر والمهلك واعلم أن
بيت الزاني للخراب والزاني نفسه فاقد الرشد وهالك وممقوت عند الله والناس
ومخالف للشرائع والنواميس^(١)

(٢٠) اذا كنت عاقلا فدبر منزلك وحب زوجتك التي هي شريكك
في حياتك وقم لها بالمؤونة لتحسن لك المعونة وأحضر لها الطبيب وأدخل عليها
السرور ولا تكن شديدا معها اذ باللين تملك قلبها وقيم بمطالبها الحق (أو بالمعروف)
ليدوم معها صفاؤك ويستمر هناؤك.

(٢١) لا تعجب بعلمك لان العلم بحر لا يصل الى آخره متبحر مهما خاض
فيه وسبح واعلم أن الحكمة أغلى من الزمرد لان الزمرد تجده الفعلة في الصخور
بخلاف الحكمة فإنها نادرة الوجود

(٢٢) لا تترك التحلي بحلية العلم ودمائة الاخلاق

(٢٣) اذا كنت زعيم قوم فنفذ سلطتك الخولة لك وكن كاملا في جميع
أعمالك لئلا كرك الخلف ولا تسرف في المواهب والنعم التي تقود الى الكبرياء
وتؤدي الى الكسل

(٢٤) اذا كنت قاضيا فكن لين الجانب مع المتقاضين ولا تجعل أحدا
يتردد في كلامه ولا تنهره ودعه يتكلم بحرية لكي يعبر عن مظلمته بصراحة واذا
لم تنصفه يكون سببا لسوء سمعتك فحسن الاصغاء أفضل طريقة لكشف الحقيقة
(٢٥) ليكن أمرك ونهيك لحسن الإدارة، لا لاظهار الرياسة والامارة .

(١) هذا موافق لقوله تعالى (ولا تقر بوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا)

- (٢٦) لا تستبد لثلاث تفضل
- (٢٧) لا تكن يا بسا فتكسر ولا ليثا فتعصر
- (٢٨) اذلت أن تطاع، فسل ما يستطاع
- (٢٩) اذا حكمت بين الناس فاسلك طريق العدل ولا تمحيز لفريق دون آخر والا نسبوك للجور والعسف
- (٣٠) اذا عفوت عن أساء اليك فاجتنبه واجعله ينسى اساءته اليك حتي لا يذكرها مرة ثانية
- (٣١) بقدر الكد تكتسب الثروة فمن جد في طلبها أنجح الله مسعاها
- (٣٢) اجتهد دائما في عمالك ولا تترك فرصة اليوم للغد، فمن جد وجد
- (٣٣) اذا كنت منتظما في حياتك صرت غنيا وحسنت سمعتك، وتحسنت صحتك، وطار صيبتك، وملكت حاجتك، أما الذي ينقاد لشهواته فانه يصير ذميا سمعا وعدوا لنفسه
- (٣٤) اذا وقفت أمام الحاكم فاخفض جناحك واحن رأسك ولا تعارضه وجاوبه بوداعة لينجذب قلبه اليك
- (٣٥) اذا فاه أخوك بالشر فازجره لتكون خيرا منه
- (٣٦) اصغ الكلام غيرك فان السكوت من ذهب
- (٣٧) لا تحتقر فقيرا، واذا زارك فلا تتركه سدى لثلاث تخذه، ولا تغضبه ولا تحتقر رأيه فان هذا ليس من شيم السكram
- (٣٨) احذر من تحريف الحقيقة بين الناس لثلاث تزرع الشقاق بينهم
- (٣٩) لا تنهر أحدا بما صرح به لك غيرك لثلاث يبخسك الناس
- (٤٠) من ساءت سيرته ضل الصراط المستقيم
- (٤١) اذا كنت في مجتمع فاسلك دائما حسب قوائمه
- (٤٢) اذا عاشرت قوما فاجذب قلوبهم اليك
- (٤٣) ليكن كلامك دائما سديدا مفيدا

فانه داء دفين لا دواء له والمتصف به قليل الحظ لان الطمع مجلبة الشحناء والشقاق بين الاهل والاقارب وهو سبب كل الشرور والذائل . أما القناعة فهي أساس النجاح والفلاح ومصدر الخير والبر

(٤٥) لا تتفرط في الكلام ولا تصغ الى البذاءة لانها صادرة عن التهيج والغضب ، واذا أسرف أحد أمامك في الكلام فأطرق رأسك الى الارض لترشده بذلك الى طريق الحكمة

(٤٦) من يلقي بنفسه في متاعب الدنيا ويستغرق فيها كل أوقاته لا يجد لذة في حياته

(٤٧) من يعكف طول نهاره على شهواته ضاعت مصالح بيته
(٤٨) اذا شئت أن تعرف طباع صديقك فلا تسأل عنه أحدا بل استنتج ذلك بانفرادك معه في المحادثة المرة بعد المرة ولا تقضبه ومتى أخبرك عن أصل ماضيه عرفت جميع أخلاقه واذا فاتحك الحديث فسايره ولا تدعه يحترس في حديثه ، وإياك أن تقاطعه في الحديث أو تزدريه وبهذا يمكنك أن تستطلع جميع أحواله
(٤٩) كن بشوشا ما دمت حيا

(٥٠) من زرع الشقاق بين الناس عاش حزينا لا يصحبه أحد

(٥١) من طابت سريرته ، حمدت سيرته

(٥٢) متى كبر الانسان في السن عادت اليه حالة صغره فيعمش بصره (١) وينقص سمعه ويصمت فيه ويسخن كلامه ويظلم عقله وتضعف ذاكرته وتخور قواه وتقف حركة قلبه وترق عظامه ويهزل جسمه ويفقد ذوقه وشبهه . حقا ان الشيخوخة آفة الانسانية
أنطون زكري

بالمتحف المصري

(١) العمش توصف به العين ومعناه كثرة تحلل الدمع منها ويلزمه ضعف البصر الذي هو العشى . يقال عشي الرجل (كرضي) وعمشت عينه فهو أعشى أعشى (المنار : ج ٣) (٢٨) (المجلد الرابع والعشرون)

أهل الصفة

(وأباطيل بعض المتصرفه فيهم وفي الاولياء وأصنافهم والدعاوى فيهم)

لشيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مسألة﴾ ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم في أهل الصفة كم كانوا؟ وهل كانوا بمكة أو بالمدينة؟ وأين موضعهم الذي كانوا يقيمون به؟ وهل كانوا مقيمين بأجمعهم لا يخرجون الا خروج حاجة أو كان منهم من يقعد بالصفة ومنهم من يتسبب في القوت؟ وما كان تسببهم هل يعملون بأبدانهم أم يشحذون بلزنبيل؟

وما قول العلماء وفقهم الله تعالى فيمن يعتقد أن أهل الصفة قاتلوا المؤمنين مع المشركين؟ وفيمن يعتقد أن أهل الصفة أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومن الستة الباقين من العشرة وأفضل من جميع الصحابة؟ وهل كان فيهم أحد من العشرة؟ وهل كان أحد في ذلك العصر يندر لأهل الصفة؟ وهل تواجدوا على دف أو شابة أو كان لهم حاد ينشد لهم أشعارا ويتحركون عليها بالتصديّة ويتواجدون؟

وما قول العلماء في قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) هل هي عامة أم مخصوصة بأهل الصفة رضي الله عنهم؟ وهل هذا الحديث الذي يرويه كثير من العوام ويقولون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من جماعة يجتمعون الا وفيهم ولي لله لا الناس تعرفه ولا الولي يعرف أنه ولي» وهل تخفى حالة الاولياء أو طرقهم على أهل العلم أو غيرهم؟ ولماذا سمي الولي وليا؟ وما الفقراء الذين يسبقون الاغنياء الى الجنة والفقراء الذين أوصى الله عليهم في كلامه وذكرهم خاتم أنبيائه ورسله وسيد خلقه محمد صلى الله عليه وسلم في سنته؟ هل هم الذين لا يملكون كفايتهم أهل الفاقة والحاجة أم

لا؟ والحديث المروي في الابدال هل هو صحيح أم متطوع؟ وهل الابدال مخصوص بالشام أم حيث تكون شعائر الاسلام قائمة بالكتاب والسنة يكون بها الابدال بالشام وغيره من الاقاليم؟ وهل صحيح أن الولي يكون قاعدا في جماعة ويغيب جسده وما قول السادة العلماء في هذه الاسماء التي تسمى بها أقوام من المنسوبين الى الدين والفضيلة ويقولون هذا غوث الاغواث وهذا قطب الاقطاب وهذا قطب العالم وهذا القطب الكبير وهذا خاتم الاولياء؟

وأيضاً فاقول العلماء في هؤلاء القلندرية الذين يخلقون ذقونهم ما هم؟ ومن أي الطوائف يحسبون؟ وما قولكم في اعتقادهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعم شيخهم قلندر عنبا وكلمه بلسان العجم؟ وهل يحل لمسلم يؤمن بالله تعالى أن يدور في الاسواق والقرى ويقول من عنده نذر للشيخ فلان أو لقبره؟ وهل يأثم من يساعده أم لا؟ وما تقولون فيمن يقول ان الست نفيسة هي باب الخواارج الى الله تعالى وأنها خفيرة مصر؟ وما تقولون فيمن يقول ان بعض المشايخ اذا قام لسماع الحكماء والتصدية يحضره رجال الغيب وينشق السقف والحيطان وتنزل الملائكة ترقص معهم أو عليهم وفيهم من يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر معهم؟ وماذا يجب على من يعتقد هذا الاعتقاد؟ وما صفة رجال الغيب وما قول من يقول انه من خفراء التتار؟ وهل يكون للتتار خفراء أم لا؟ واذا كانوا فهل يغلب حال هؤلاء خفراء الكفار كحال خفراء أمة النبي صلى الله عليه وسلم

وهل هذه المشاهد المسماة باسم أمير المؤمنين علي وولده الحسين رضي الله عنهما صحيحة أم مكذوبة؟ وأين ثبت قبر علي بن عم رسول الله؟ والمسؤول من احسان علماء الاصول كشف هذه الاعتقادات والدعاوى والاحوال كشفا شافيا

بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

والحالة هذه أفتونا مأجورين أثابكم الله

أجاب: رضي الله عنه وأرضاه آمين.

الحمد لله رب العالمين: أما الصفة التي ينسب اليها أهل الصفة من أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم فكانت في مؤخر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في شمال المسجد بالمدينة النبوية كان يأوي اليها من فقراء المسلمين من ليس له اهل ولا مكان يأوي اليه. وذلك أن الله سبحانه وتعالى لما أمر نبيه والمؤمنين أن يهاجروا الى المدينة النبوية حين آمن به من آمن من أكابر أهل المدينة من الاوس والخزرج وبايعهم بيعة العقبة عند منى وصار للمؤمنين دار عز ومنعة جعل المؤمنين من أهل مكة وغيرهم يهاجرون الى المدينة وكان المؤمنون السابقون بها صنفين المهاجرين الذين هاجروا اليها من بلادهم والانصار الذين هم اهل المدينة وكان من لم يهاجر من الاعراب وغيرهم من المسلمين لهم حكم آخر، وآخرون كانوا ممنوعين من الهجرة لمنع أكابرهم لهم بالقيود والحبس، وآخرون كانوا مقيمين بين ظهرائي الكفار المستظهِرين عليهم وكل هذه الاصناف مذكورة في القرآن وحكمهم باق الى يوم القيامة في أشباههم ونظرائهم قال الله تعالى (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا. وان استنصروكم في الدين فاعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير * والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير * والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) فهذا في السابقين

ثم ذكر من اتبعهم الى يوم القيامة فقال (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم) وقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) الآية وذكر في السورة الاعراب المؤمنين وذكر المنافقين من اهل المدينة ومن حولها. وقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا * الا المستضعفين

من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم * وكان الله غفورا رحيما)

فلما كان المؤمنون مهاجرون الى المدينة النبوية كان فيهم من ينزل على الانصار بأهله أو بغير أهله لان المبايعة كانت على أن يؤوهم ويواسوهم . وكان في بعض الاوقات اذا قدم المهاجر اقترع الانصار على من ينزل منهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد حالف بين المهاجرين والانصار وأخى بينهم . ثم صار المهاجرون يكثرون بعد ذلك شيئا بعد شيء فان الاسلام صار ينتشر والناس يدخلون فيه والنبي صلى الله عليه وسلم يغزو الكفار تارة بنفسه وتارة بسراياه فيسلم خلق تارة ظاهرا وباطنا وتارة ظاهرا فقط ويكثر المهاجرون، الى المدينة من الاغنياء والفقراء والآهلين والعزاب . فكان من لم يتيسر له مكان يأوي اليه يأوي الى تلك الصفة التي في المسجد . ولم يكن جميع أهل الصفة مجتمعون في وقت واحد بل منهم من يتأهل أو ينتقل الى مكان آخر يتيسر له ويحيي ناس بعد ناس وكانوا تارة يكثرون وتارة يقلون . فتارة يكونون عشرة أو أقل وتارة يكونون عشرين وثلاثين وأكثر وتارة يكونون ستين وسبعين

وأما جملة من آوى الى الصفة مع تفرقهم فقد قيل كانوا نحو أربع مائة من الصحابة وقد قيل كانوا أكثر من ذلك . جمع أسماءهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ولم يعرف كل واحد منهم في كتاب تاريخ أهل الصفة (١) وكان معتنيا بجمع أخبار الزهاد والصوفية والآثار التي يستندون اليها والكلمات المأثورة عنهم وجمع أخبار زهاد السلف وأخبار جميع من بلغه انه كان من أهل الصفة ولم يبلغوا . والصوفية المستأخرون بعد القرون الثلاثة (١) . وجمع أيضا في الابواب مثل حقائق التفسير ومثل أبواب التصوف الجارية على أبواب الفقه ومثل كلامهم في التوحيد والمعرفة والمحبة ومسألة السماع وغير ذلك من الاحوال وغير ذلك من الابواب.

(١) هذا التاريخ لأبي عبد الرحمن محمد الشامي المذكور المتوفى سنة ٤١٢

وفيما جمعه فوائد كثيرة ومنافع جليلة وهو في نفسه رجل من أهل الخير والدين والصالح والفضل . وما يرويه من الآثار فيه من الصحيح شيء كثير ويروي أحيانا آثارا ضعيفة بل موضوعة يعلم أنها كذب

وقد تكلم بعض حفاظ الحديث في سماعه وكان البيهقي إذا روى عنه يقول حدثنا أبو عبد الرحمن من أصل سماعه وما يظن به وبأمثاله ان شاء الله تعالى تعتمد الكذب (١) لكن لعدم الحفظ والاتقان يدخل عليهم الخطأ في الرواية فان النساك والعباد منهم من هو متقن في الحديث مثل ثابت البناني والفضيل بن عياض وأمثالهم ومنهم من قد يقع في بعض حديثه غلط وضعف مثل مالك بن دينار وفرقد السنجي ونحوهما

وكذلك ما يؤثره أبو عبد الرحمن عن بعض المتكلمين في الطريق أو يقتصر له من الأقوال والأحوال فيه من الهدى والعلم شيء كثير . وفيه أحيانا من الخطأ أشياء وبعض ذلك يكون عن اجتهاد سائغ . بعضه باطل قطعا مصدره مثل ما ذكر في حقائق التفسير قطعة كبيرة عن حمفر الصادق وغيره من الآثار الموضوعة وذكر عن بعض طائفة أنواعا من الإشارات التي بعضها أمثال حسنة واستدلالات مناسبة وبعضها من نوع الباطل واللغو . والذي جمعه الشيخ أبو عبد الرحمن في تاريخ أهل الصفة وأخبار زهاد السلف وطبقات الصوفية يستفاد منه فوائد جليلة ويجتنب ما فيه من الروايات الباطلة ويتوقف فيما فيه من الروايات الضعيفة . وهكذا كثير من أهل الروايات ومن أهل الآراء والأذواق من الفقهاء والزهاد والمتكلمة وغيرهم يؤخذ فيما يثرونه عن قبلهم وفيما يذكرونه معتقدين له شيء كثير وأمر

(١) المنار: ذكر الحافظ في لسان الميزان السلمي هذا ووصفه بأنه شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم وأنه عني بالحديث ورجاله وقال: تكلموا فيه وليس بعمدة بل قال ابن القطان: كان يضع الاحداث للصوفية وان الحاكم قال كان كثير السماع والحديث متقنا فيه من بيت الحديث والزهد والتصوف . (قال) وقال السراج: مثله ان شاء الله لا يعتمد الكذب ونسبه الى الوهم .

عظيم من الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسوله . ويوجد أحيانا عندهم من جنس الآراء والأذواق الفسدة أو المحتملة شيء كثير، ومن له من الأمة لسان صدق عام بحيث يثنى عليه ويحمد في جماهير أجناس الأمة فهو لا هم أئمة الهدى ومصابيح الدجى وغلطهم قليل بالنسبة إلى صوابهم وعامته من موارد الاجتهاد التي يعذرون بها وهم الذين يتبعون العلم والعدل فهم بعداء عن الجهل والظلم وعن اتباع الظن وما تهوى النفس

(فصل وأما حال أهل الصفة) هم وغيرهم من فقراء المسلمين (الذين) لم يكونوا في الصفة أو كانوا يكونون بها بعض الاوقات - فكما وصفهم الله تعالى في كتابه حيث بين مستحقي الصدقة منهم ومستحقي الفیء . فقال (إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير) إلى قوله (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا) وقال في أهل الفیء (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله أولئك هم الصادقون) وكان فقراء المسلمين من أهل الصفة وغيرهم يكتسبون عند إمكان الاكتساب الذي لا يصددهم عما هو أوجب أو أحب إلى الله من الكسب وأما إذا أحصروا في سبيل الله عن الكسب فكانوا يقدمون ما هو أقرب إلى الله ورسوله

وكان أهل الصفة ضيف الاسلام يبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بما يكون عنده فإن الغالب كان عليهم الحاجة لا يقوم ما يقدرون عليه من الكسب بما يحتاجون إليه من الرزق

وأما المسألة فكانوا فيها كأدبهم النبي صلى الله عليه وسلم حرمها على المستغني عنها وأباح منها أن يسأل الرجل حقه مثل أن يسأل ذا السلطان أن يعطيه حقه من مال الله أو يسأل ذا كان لا بد سائلا المصالحين الموسرين إذا احتاج إلى ذلك ونهى خواص أصحابه عن المسألة مطلقا حتى كان السوط يسقط من يد أحد

فلا يقول لاحدنا واني اياه. وهذا الباب فيه أحاديث وتفصيل وكلام للعلماء لا يسمه هذا الكتاب مثل قوله (ص) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه «ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل له ولا مشرف فخذ وما لا فلا تتبعه نفسك» (١). ومثل قوله: من يستغن يغنه الله، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله، ما أعطى أحد عطاء خيرا أوسع من الصبر (٢). ومثل قوله: من سأل الناس وله ما يغنيه جاءت مسألته خدوشا أو خدوشا أو كدوشا في وجهه (٣). وقوله: لان يأخذ أحدكم خبلة فيذهب فيحطب خير له من ان يسأل الناس اعطوه او منعه» (٤) الى غير ذلك من الأحاديث

واما الجائز منها فمثل ما اخبر الله عز وجل عن موسى والخضر أنهما اتيا اهل قرية استطعما اهلها. ومثل قوله «لا تحمل المسألة الا لذي الم، وجع او غرم، مقطع او فقر مدقع». ومثل قوله لقيصة بن مخارق الهلالي «يا قبيصة لا تحمل المسألة الا لثلاثة، رجل اصابته جائحة اجتاحت ماله فسأل حتي يجد سدادا من عيش او قواما من عيش ثم يمسك، ورجل يحمل حمالة فيسأل حتي يجد حمالة ثم يمسك

(١) المنار. الحديث في الصحيحين وغيرها ولفظ البخاري في كتاب الاحكام: عن عبد الله بن عمر قال سمعت عمر يقول كان رسول الله (ص) يعطيني العطاء فأقول اعطه أفقر اليه مني، حتى أعطيني مرة فقلت اعطه من هو أفقر اليه مني فقال «خذه فتموله وتصدق به فما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذ وما لا فلا تتبعه نفسك» وله في كتاب الزكاة: اذا جاءك بدل فما جاءك ولفظ مسلم «خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك» الخ وزاد في آخره قال سالم: فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل احدا شيئا ولا يرد شيئا اعطيه

(٢) هو في الصحيحين أيضا على اختلاف في ألفاظه وأوله «ما يكون عندي من مال فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله الخ» (٣) رواه أحمد وأصحاب السنن وفيه زيادة تحدد القنى بخمسين درهما وفي سنده حكيم بن جبير ضعيف وتكلم فيه شعبة من أجل هذا الحديث، ومعنى الخدوش والكدوش واحد (٤) روياه أيضا واللفظ للبخاري

وما سوي ذلك من المسألة فانما هو سحت اكله صاحبه سحتا (١)
ولم يكن في الصحابة لا أهل الصفة ولا غيرهم من يتخذ مسألة الناس والاحاف
في المسألة بالكدية والمشاحذة - لا بالزنبيل ولا غيره - صناعة وحرفة بحيث لا يبتغي
الرزق الا بذلك . كما لم يكن في الصحابة ايضا اهل فضول من الاموال
لا يؤدون الزكاة ولا ينفقون اموالهم في سبيل الله ولا يعطون في النوائب بل
هذان الصنفان الظالمان المصران على الظلم الظاهر من مانعي الحقوق الواجبة
والمعتدين حدود الله في اخذ اموال الناس كانا معدومين في الصحابة المثني عليهم
(فصل) من توهم أن أحدا من الصحابة أهل الصفة أو غيرهم أو التابعين
أو تابع التابعين قاتل مع الكفار أو قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم أو اصحابه
أو انهم كانوا يتحلون ذلك أو أنه يجوز ذلك فهذا ضال غاويل كافر يجب أن
يستتاب من ذلك فان تاب والا قتل (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

بل كان اهل الصفة ونحوهم كالقراء الذين قنت النبي صلى الله عليه وسلم
يدعوا على قتلهم هم من أعظم الصحابة ايمانا وجهادا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرا
لله ورسوله كما أخبر الله عنهم بقوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون لله ورسوله أولئك هم الصادقون) وقال
(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون
فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة
ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب

(١) لفظ الحديث في صحيح مسلم « يا قبيصة ان المسألة لا تحل الا لاحد
ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته
جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قوا ما من عيش أو قال سدادا من
عيش - ورجل أصابته فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قوا ما من عيش - أو قال
سدادا من عيش - فما سواه من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتا »
(المنار : ج ٣) (٢٩) (المجلد الرابع والعشرون)

الزراع ليغيبظ بهم الكفار) وقال (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) (لها بقية)

من الخرافات الى الحقيقة

(٨)

فوز روح زردشت على روح الاسلام

من المخرجات أنه اذا تأصلت عقيدة ما في نفس فرد أو جماعة يتعذر على معتقدها أو على غيره ازالتها . فان اتفق أن نزع هذه العقيدة فلا بد أن يبقى لها آثار في النفس تظهر بين آونة وأخرى . بالرغم من الجهد الذي يبذره صاحب العقيدة ليتناساها . هذا شأن العقائد الدينية : فان ضم اليها عقيدة قومية وامتزجت العقيدتان يتعذر حينئذ ازالة هذه العقيدة المزدوجة . أضرب مثلاً هؤلاء الإيرانيين أرادوا التآليف بين حاجاتهم الروحية وبين موجبات تقاليدهم التاريخية وبين مقتضيات الدين الاسلامي فلم يفلحوا . لماذا ؟ لان (زردشت) ولد في إيران ونشر مذهباً ملائماً لروح الفرس وموافقاً لتقاليدهم التاريخية ، فرسخ هذا الدين في أنفسهم ، لانه جاء موافقاً لحاجاتهم الروحية حتى ان ملك ذلك العصر (كستاسب) ووزرائه وسائر الطبقات أقبلوا على دين (زردشت) إقبال العاشق المشتاق . لان روح البلاد كانت تطلب وصايا (زردشت) . فكان معبراً عما في ضميرها

نعم ان العرب ضربوا دولة الفرس في القادسية ضربة زلزلوا بها أركانها ، وقوضوا عمود خيمتها . الا أن روح إيران بقيت بمعزل عن تلك الضربة . ولم تبدل لان تبديلها محال : حتى ان احكام الاسلام المنطقية العلوية ، لم تستطع فتح الروح الإيرانية . لان هذه الروح كانت قد اعتادت وألفت عقائداً مشاجرة مركبة ممزوجة بالخيالات والاهام ، فلم تكن أسس الدين الاسلامي البسيطة لتحل محل تلك الاسس المركبة . روح الإيراني كانت تطلب أحياناً عبادات

مقرونة بمظاهر العظمة والنفخخة وأحيانا بمظاهر الحزن المشعشع المعظم ،
فلذلك كانوا يرون قواعد الدين الاسلامي كالشيء اليابس غير المرين . وهذا
ما تأباه أرواحهم ، وتنبو عنه أذواقهم

الدين والحكومة كانا يرتكزان على قاعدة واحدة عند الفرس . فلما سقطت
الحكومة سقط الدين معها ، لان سقوط القاعدة يقتضي سقوط ما بني عليها ،
ان اعادة دين (زردشت) كانت في نظر الايرانيين اسهل وأسلم من التوسل
لاعادة عرش كسرى . ولكن اعادته تتوقف بالطبع على إضعاف الدين الذي
حل محله . لذلك صمموا على الامور الآتية

(١) زلزلة قواعد الاسلام

(٢) إدخال تقاليد الفرس في سويداء قلبه

(٣) إحداث مذاهب جديدة

(٤) ابتداع طرق مستحدثة

والقصد من ذلك كله اضاعة جوهر الاسلام الساذج بين هذه المركبات أو
إلباسه ثوب (زردشت) السابغ الفضفاض على الأقل ، حتى اذا ما عثرت رجلاه
بأذيال هذا الثوب ووقم أو ضعفت مشيته تمهدت لهم السبيل لنصب عرش كسرى
لذلك يجد المدقق منا في حوادث التاريخ أن جميع الفرق الضالة ولدت في
ايران . وان الخرافات والبدع السيئة جاءت من ايران . لان الاحكام الاسلامية
البسيطة لم تستطع تطويع النفس الفارسية التي اعتادت الانحناء تحت أثقال
التقاليد القديمة

هذا هو السبب الايجابي . وهناك سبب معنوي أيضا ، وهو أن الايراني
قضى عمره وهو يئن تحت استعباد السلالات المالكة . لانه كان يتدحرج بين
استبداد آل (البيشداديين) و (الاشكانيين) و (الكيسانين) و (الساسانيين)
وكل شعب وقم في نيران الاستبداد تطلب روحه دائما مبعثا لا نيتها وبث شكواها
وهذه المظاهر التخيلية التي يحتفل بها الايرانيون في أيام مخصوصة هي مبعث
الاسى الذي يجتمع فيه ما يفيض من دموعهم ففي تلك الاجتماعات والاحتفالات
يفرغ كل امرئ آلامه ويخرج منها بدون آلام

ذلك ياسيدي القاريء : سر ما تم المحرم التي يبكي فيها الايرانيون الحسين

السبط رضي الله تعالى عنه. واذا اعتاد الروح عملا وصار له ملكة فانه يصدر عنه دائما لا يعيقه عنه طائق مهما يكن قويا. ولا شأن للمظاهر والاشكال عند الروح وانما الشأن عنده للادراك والشعور الذي يبعث على العمل، فثم شعور يحرك داعية البكاء وسيان أبكي على كسرى أم على الحسين رضي الله عنه. باعث البكاء أساسي — وصورة المأتم فرع عنه^(١)

روح الايراني يزيد أن يرى رجلا جالسا على عرش الملك بكل عظمة ونخامة، يريد أن يحصر حق التعظيم فيه وفي ورثته. لان هذا المعنى تبوأ ورسخ في سويداء قلب الشعب وأمسى روحا ثانيا له، يريد أن يرى أمرا كبيرا ذا أبهة وبهجة يأمر وينهي متأبها متألها — لا عبدا متواضعا — ومن تحته أمة تأتمر وتطيع وتخضع. وأنى يجدهذا في الاسلام؟ الاسلام حرم الاستبداد والتعظيم والكبرياء، ونسخ توارث الامر والنهي. وجعل الخلافة تابعة للشورى. وكان الخليفة كأحد الناس بعيدا عن العظمة وعن الفخفة. لذلك أحدثوا مسألة (الامامة المعصومة) لتقوم مقام الكسروية المقدسة، فيتوارث عدة عروش الاكاسرة، فاستعانوا ببني هاشم لاجلاسهم على عرش الخلافة. بل لاجلاس أحفاد اسماعيل الشاه على عرش كسرى

ان عقل الايراني ما كان يقدر أن يفهم معنى أصول انتخاب الرئيس السياسي من الناس. وكان انتخاب الخلفاء الراشدين الاربعة في نظره من أغرب الغرائب لان (زردشت) غرس في قلبه فكرة توارث الرئاسة والعظمة

(١) كان الروح الايراني يريد أن يبكي على (زردشت) وكسرى فبكي على الحسين. والروح البريطاني يريد أن يبكي على طريق الهند فبكي على ملك بني هاشم. روح الاولين من الفرس رأى بني أمية حاجزا فكسره وأقام مقامه دولة فارسية: دولة الشاه اسماعيل الصفوي. وكذلك الروح الاوربي رأى الاتراك حائلا دون مرامه فزاله ولكن من أقام مقامه؟ السربري كوكس في العراق والسر هربرت صمويل في فلسطين وغورو في الشام

الاوريون والايرانيون سلكوا طريقا واحدا وعملوا عملا واحدا وعيون العرب مغمضة عن مشاهدة التاريخ. وان نصيحتهم عارف بالامر يصمون الآذان ويقابلونه بالافتراء والبهتان. رب اهد قومي فانهم لا يعلمون (المترجم)

والجلال . لذلك كانوا يتمجبون من ترجيح أحد علي علي كرم الله وجهه لان الفضل الذاتي كان في نظرهم شيئاً غريباً . ولا سيما وأولاد سيدنا علي رضي الله عنهم أسباط لرسول صلى الله عليه وسلم . وهذا هو سر تولد مسألة (الامامة) فانها من مقتضيات روح ايران . ولما كان الحسين رضي الله عنه قد تزوج إحدى عقائل بيت الملك في ايران من أسرة (الساسانيين) كان الفرس يعلقون أهمية كبرى على هذه النقطة

كانت روح الايراني تطلب (خداوند) أي رئيساً إلهياً لتتقاد له وتطيعه طاعة وجدانية وتمثل أوامره بغير بحث ولا مراجعة . وأنى لها في الاسلام مثل ذلك وأكبر خليفة يقول علناً (أيها الناس من رأى منكم في أعوجاجا فليقومه) فيجيب من آحاد الناس بكل بساطة (لورأينا فيك أعوجاجا لقومناه بسوقنا) ^(١) الايراني ما كان يمكن أن يفهم هذا . وروحه يأبى قبوله . وانما يريد (خداوند) أي رئيساً إلهياً يأمر فيطاع بلا نقد وبلا اعتراض . الايراني ينشرح صدره ان قتل أو كسر أو ستم احداً امثالاً لاسر (الخداوند) وتكفي أدنى إشارة منه ليطيع بكل سرور . وهذا السرور لا بد له من (خداوند) . اذاً ما العمل والاسلام يأبى ذلك ؟ وجدوا فكرة إحداث (امام يورث) أقصر طريق لمبانوا . وهكذا فملوا

من قرأ روح أبي مسلم من أفعاله يتضح له صدق ما نقول وللقاريء الكريم البيان

أمر الامام (ابراهيم) أبا مسلم الخراساني أن يقتل كل من اشتبهه في اخلاصه وان كان ولدأ لا يتجاوز طوله خمسة أشبار . فامتثل أبو مسلم هذا الامر بدون تردد لانه صدر من (خداوند) أي من امام . ومجموع من قتل أبو مسلم

(١) المنار : ليس كل مافي الاسلام ولا أهمه قول هذا الخليفة وهو عمر، بل قيد الله تعالى طاعة خاتم رسله في آية المبايعة بالمعروف فقال (ولا يعصينك في معروف) مع العلم بأنه لا يأمر الا بالمعروف . وصح عنه انه كان يقول «انما الطاعة في المعروف» وما في معناه، وقال ابو بكر في خطبته الاولى عقب مبايعته قدوليت عايكم ولست بخيركم ، فاذا استقمتم فاعينوني، واذا زغت فقوموني وعلى هذا جرى الخلفاء الراشدون كلهم

على الشبهة ستمائة ألف مسلم . ولقد صور المؤرخ ابن الاثير هذه الفواجم تصويرا تاما حتى إن (أبا سلمة الخلال) الذي أحرز عنوان (وزير آل محمد) لم يقدر أن يصون دم نفسه من قانون الشبهة لأن أبا مسلم كان يتلقى أوامر ممثل (الخدائون) الامام ابراهيم كامر آلهي .

وياليت الامر بقي مسوقا بروح الايرانيين وحدهم بل ان روح سورية المقتبسة من روح الروم زاد الامر اضطرابا وتهويشاً، إذ من المعلوم أن بعض الجنود السورية والعراقية أغريت يوم (صيفين) بإسدم الطاعة لعل كرم الله وجهه ولعناوية أيضا . وهذه الديمقراطية الواسعة ليست الا من بقايا أفكار — يزناس — فتشوشت أفكار العرب بين هذا الجزر الايراني والمد الرومي . (وكان العربي من القديم قانعا بالانكماش في جزيرته ولا يحلوه الا ما عنده فلا يعرف ما عند غيره . والسياسة هي معرفة المتغير ومعاملته حسبما علم من أحواله) وأوضح دليل على عقلية الايرانيين ما عمله اهل بلدة (راوند) من توابم أصفهان يوم جاءوا لمقابلة الامام المنصور اذ نادوه (يا خدائون) أي الهنا لان كلمتي امام وخدائون في نظر الفرس لا يتجزآن وعند ما عدلوا عن تسمية المنصور اماما لم تستطع الروح الفارسية أن تعيش بدون امام . ففتشت عليه واستمرت تفتش حتى وجدته ولكن من وجدت ؟ وجدت أبا مسلم الخراساني وادعت بأن الالهية حلت فيه : أي في قاتل ستمائة ألف مسلم لا يتعجب العاقل من اسناد الايرانيين الالهية لابي مسلم . لانه والحق يقال بطل من ابطال التاريخ وسياسي هائل وهوليس اكثر من ايراني وطني متغال ولكن المعجب كل المعجب تقديس غير الايرانيين له . والاحزاب التي ألقت لذلك

حزب الرزامية

ان قانون الشبهة الذي أحدثه الامام ابراهيم لم يستثن أبا مسلم بل طبقه الخليفة المنصور عليه بالذات وعلى ذلك اجتمع بعض الفرس وبسطاء العرب وأعلنوا امامة أبي مسلم على رؤوس الاشهاد . ومموا جمعيتهم باسم حزابي . ثم أعلن (رزام بن شاقو) مؤسس الحزب الرزامي الالهية أبي مسلم . وقبل الناس الالهية ابي مسلم الذي صار اماما قبل مدة وجيزة . حتى إن بعض الحزابين ما كان

يصدق أن أبا مسلم يموت . بل كانوا يعتقدون بأنه سيظهر يوماً ما ويملأ العالم عدلاً وبعضهم كان يقول إنه مات وإن الأمامة انتقلت إلى بنته ما هذه العقائد وما هذه الأقوال؟ إن هي إلا بقايا دين (زردشت) وبعدة قليلة كثر هذا الحزب

جميع هذه الخرافات ليست من ديننا في شيء إن هي إلا خرافات ، وما أبو مسلم إلا سياسي تام وامامته وألوهيته وقديسيته شيء موهوم خيالي

حزب المبيضة

ثم ظهر كاتب أبي مسلم المقنع فالتف حوله الخراسانيون الذين كانت أجسامهم مسلمة وأرواحهم أسيرة عقائد (بوذا) و (زردشت) اسم المقنع (هاشم بن عاصم) وكان يغطي وجهه لقبحة ولذلك سمي المقنع رأى المقنع محرراً في أفكار الخراسانيين . رأى مسلمين ولكن قواعد الاسلام الساذجة لم توافق مشربهم ، وطلب الرجوع إلى دين زردشت صعب ، وكذلك الاكتفاء بالاسلام بل هو عنده أصعب ، ولذلك عزم على صبغ الاسلامية بصبغة زردشتية ، وهذا يحتاج لجسارة ومهارة وبما أن هذا كان خصيصاً بالعلوم الطبيعية أخذ يقدم لهم قوانينها وقواميسها كمجرات . فصدقوه واتبعوه . كانت أعماله معطوفة على هدم بناء العرب السياسي والديني معاً . لذلك توسل بأحياء عقيدة الناسخ التي اكتست ثوباً هندياً وآخر مصرياً وثالثاً يونانياً وثوباً رابعاً إيرانياً ؛ ولكنه زاد على أثوابها ثوباً خامساً اسلامياً . وللقاريء الكريم ما كان يقول هذا المقنع :

إن الله تجلى في باديء الامر في وجود آدم ثم انتقل إلى نوح ثم إلى ابراهيم ومن بعده إلى موسى ثم إلى محمد عليهم السلام . ومن بعده إلى علي كرم الله وجهه ثم إلى محمد بن الحنفية وفي النهاية حل في أبي مسلم الخراساني ومن بعده انتقل إلى وجود المقنع . إن هذه العقيدة القديمة وجد من استأنس بها في إيران وسورية ومصر والهند . والتف حوله عدد ليس بالقليل . حتى إن الخليفة المهدي اضطر لأن يسوق عليه ثلاثة جيوش وكان الغالب في الثلاث المماركة المقنع فهذا الظفر اطلق لسان الفرس وطفقوا يهيجون بإيران واستقلاتها ، هذا فيهم

الخليفة المهدي جنداً كثيراً وارسله لحربه فغلب في هذه المرة وقتل المقنم في مدينة (كسن) ولكن الخرافات التي نشرها بين المسلمين لم تمت وأما سبب تسميتهم المبيضة فهو أنهم كانوا يلبسون لباساً أبيض الزنادقة أو المحمرة

هم من اتباع المقنم أيضاً . وكانوا يسمون المحمرة لأنهم كانوا يلبسون لباساً أحمر (١) لقد أضر المحمرة بالاسلام أضراراً ابلغ من أضرار المبيضة وادخلوا فيه خرافات أكثر منهم واتبعوا العرب والمسلمين اتباعاً دامت احتقاباً طويلة . قبل الاسلام بقرنين ونصف ظهر في ايران رجل اسمه (مزدك) ونشر مذهباً جديداً فيها . ومن مقتضيات هذا المذهب اهل كل قانون وكل نظام وحل جميع الروابط الادبية . وفتح الباب على مصراعيه لكل شهوة بشرية ، بذل الكامرة جل المستطاع لقمم هذا المذهب ولكنهم لم يفلحوا لان الاشتراك بثروة الاغنياء وبالنساء الجميلات كان يجذب الشبان من جميع الاطراف اليه ، وانتشر هذا المذهب حتى انه لم يبق هنالك اثر للقانون والنظام وللحق وللادب وللحياء ، وعد كل شيء يوافق تسكين الشهوة البشرية مباحاً بل مشروعاً وفي خلافة المهدي بدا هذا المذهب ينتشر بين المسلمين ولكن بلباس اسلامي بذل الخليفة المشار اليه كل ما يمكنه لمحوره ، وسالت الدماء كالانهار ولكن بدون جدوى ، بل ظل ينتشر في خراسان والعراق انتشاراً سريعاً ومن الغريب ان جميع المذاهب التي كان الايرانيون ينشرونها بعد الاسلام هي مقتبسة مما كان يجري في الهند وايران ولكن كانوا يبدلون اسم مؤسسها القديم ويضعون عليها اسم احد اولاد سيدنا علي رضي الله عنه ، ولم يوجد حزب أضر باخلاق المسلمين أكثر من هذا الحزب لأنهم لم يكتفوا باباحة النساء والاولاد بينهم بل طفقوا يخطفون اولاد النساء الحسان من الاسواق وبهذا الشكل اتبعوا الخليفة المهدي وحكومته تبعاً ما وراءه تعب المترجم نابلس حسني عبده الهادي

(١) رجع الناس في هذا العصر الى جعل الملابس الملونة بلون خاص شعاراً للأحزاب والجمعيات كالقميص الاسود لحزب القاشستي في ايطاليا

مذشور عام

(في المسألة العربية العامة والفلسطينية خاصة)

ان النهضة الوطنية الفلسطينية في مدينة نيويورك العظمى قد عقدت اجتماعا عاما بعد ما اتصل بها من تصديق عصبة الامم على الوصايات وقررت باجماع الاصوات إصدار هذا النداء لكل الجمعيات والمؤتمرات السورية والفلسطينية ولجميع السلطات العربية، لتقرر الجمعيات خطة دفاعية عامة، تجاه مالحق بالبلاد من الاذى والعبودية. على أن يحتوي على المواد الآتية :

أولا — ان الحلفاء قد خاضوا غمرات الحرب واتخذوا لانفسهم مبدأ تحرير الشعوب المستضعفة كما صرحوا بلسان وزرائهم في أثناء الحرب العظمى وبعدها وكما صرح المستر ولسن في خطبه وفي مواده الاربع عشرة . فاستنادا على هذا المبدأ ووفقا للمعاهدة المربوطة بين جلالة الملك حسين الاول وبين بريطانيا العظمى سنة ١٩١٥ بلسان العميد البريطاني بمصر السير هنري مكماهون ووفقا للرسائل المتبادلة بين الحكومة الحجازية والانكليزية قد ساعد الغرب الحلفاء منذ سنة ١٩١٦ بدخولهم الحرب واءلانهم الثورة ضد الحكومة العثمانية^(١)

ولم يكن حق العرب في الاستقلال يقتصر على الوعود والمعاهدات الدولية ولا على نظام عصبة الامم ولا على مواد الرئيس ولسن الاربعة عشرة بل على ما للعرب السوريين من تراث المجد والوطنية ، وما فطروا عليه من انتقاليذ ومأم عليه من الكفاءة السياسية والادارية ، كما يدل على ذلك وجود نواب العرب في الندوة العثمانية في الدور العثماني ، وادارة كثير منهم مناصب رفيعة من سياسية وعسكرية ، وادارية وعلمية ، مما يجعل للعرب حقا أكيدا فوق ما لهم من الحق الطبيعي في الاستقلال والحرية . غير ان الحلفاء قد ساروا فعلا على طريقة الاستعمار

(١) المنار. ان ماذكر من الرسائل بين الحجاز والانكلز وما سماه معاهدة هو خزي للعرب خدعوا به فيجب أن يردوه على صاحب الحجاز ولا يعترفوا به لانه يعدم بالصرامة قاصرين تحت حجر الانكلز أفما أن لهم أن يدركوا ويعقلوا ؟

(المنار : ج ٣) (٣٠) (المجلد الرابع والعشرون)

واضطهاد الشعوب ونفع الذات . فوعدت الحكومة الانكليزية اليهود بكتاب حبي أرسله المستر بلفور الى اللورد زوتشلد في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ بوطن قومي في فلسطين ، وتواطأ المسيو كايانصو والمستر لويد جورج بعد الحرب على اتفاق سايكس بيكو ، فتقسمت البلاد السورية الى أجزاء ولحق بها من الضرر والحيف والظلم والجور والعبودية ما لم تكن تتوقعه فهدمت بذلك جميع المبادئ التي افتخر الحلفاء باتخاذها مبدأ لهم ورموا بالعهود والوعود التي ربطوها مع العرب عرض الحائط والاغرب من ذلك أن عصبة الامم التي ولدتها المبادئ الديمقراطية الحديثة والتي لها السلطة في رؤية عهود الوصايات والتي من جملة وظائفها حماية الاقوام المستضعفة كما خولها هذا الحق عهد الجمعية الموقع عليه في فرساي في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٩ قد صمت آذانها عن سماع صوتنا الممزج بحلاوة الحق ، وتغاضت عن كل المساويء التي يقترفها الارصياء في بلادنا فصدقت بلا تردد بعد جلسة سرية عهود الوصايات ، اللهم الا العراق ، وبذلك تحقق الرأي القائل ان عصبة الامم لم تكن الا للتوفيق بين الروح القومية الجديدة، والسياسة الاستعمارية القديمة ولما كان العرب قد فشلوا في جميع الاعمال السياسية الخارجية ولم يلاقوا من الاوربيين الا تصلفا كلما ازدادوا تقربا اليهم وجب عليهم أن يحصر أعمالهم في بلادهم وفيما يهمهم من أمرها من حيث هي بلاد عربية أو بلاد دينية مقدسة مع المثابرة في الجهاد سياسيا واقتصاديا وعمليا

ثانياً — ن القضية العربية كانت في بدء نشأتها جامعة لكل الاقطار العربية من سورية (شمالية وجنوبية) وعراقية وحجازية وكانت الوعود التي يستند عليها العرب تتضمن كل هذه الاقطار حتى اشترك في الجيش العربي أداس من مختلفي الاقطار والامصار من سائر بلاد العرب، غير ان الدول الاستعمارية الاجنبية قد جزأت بلادنا وفككت مفاصلها وجعلت لكل قطر منها قضية تختلف عن قضية القطر الآخر من حيث طريقة الحل وارتباطها بحكومة خاصة تأييدا لسياساتهم في تفريق كلمة العرب ليعسر بذلك حل القضايا العربية التي هي منهم بعضها لبعض

وفضلا عن ان القضية العربية قد ابتدأت شملة جامعة فان موقع بلاد العرب الجغرافي من حيث فقدان الحواجز الطبيعية بينها واقتتار كل قطر الى آخر لا اختلاف تربته وموارده مما يزيد الترابط الطبيعي بين العرب بالخطر لجامعة اللغة والعنصر ومما يجعلنا نؤكد ان هذه القضية المتحدة سياسيا واقتصاديا يجب أن يشترك في حلها العرب كلهم ويتعاونوا على درء الخطر في كل الاقطار كما كان في بدء الحركة العربية سنة ١٩١٥ ولما كانت الامة العربية قد امتشقت حسامها اناييد استغلالها فالنهضة ترى ان الوسيلة الاولى التي يجب أن يتخذها الفلسطينيون هي نشر الدعوة في بلاد العرب كلها لتعاون على درء العبودية عنا ، على أن يكون مبدأ التعاون وسيلة لاستقلال البلاد عن طريق الجامعة العربية . وبذلك يجب على العرب مقاومة الصهيونية والاجانب المستعمرين على السواء كما يقاومهم الفلسطينيون فيما لو كانوا منفردين . فلهذا تجب النهضة اجماع الرأي على طريقة هذا الجهاد السياسي الفعلي وينظر الى تقوية هذا الجهاد بالطرائق العمالية الواجبة التي يقر عليها الرأي

ثالثا — مقاطعة اليهود ، على أن يباح لهم ما عدا الاراضي « أي الاموال المنقولة فقط » ويحرم الشراء منهم . وتأيدا لذلك فالنهضة تهتم الآن بمشروع تأسيس بنك في فلسطين لتكون المقاومة على أساس اقتصادي علمي عملي ليسنفيد المزارع والتاجر ولكي لا تضر المقاطعة بالوطن . وهنا لا يسعنا الا أن نهرح أن فشل هذا المشروع ونجاحه يتوقف على أهل البلاد ، فاذا لم ير المهاجرون الذين يعملون في سبيل القضية كل ما يمكن عمله اقداما من أهل البلاد على شراء الاسهم فالمشروع سيبقى في طي الخفاء كما ان ذلك يدل على ان أهل البلاد لا يفقهون للطرق الوطنية الحقيقية معنى . نحن لانرى ان الجهاد الاقتصادي هو بتخير المقالات على أعمدة الجرائد بل بالعمل ، وهذا المشروع هو أعظم العمل فائدة من هذه الوجهة

رابعا — نشر الدعوة بين جميع العامة في المدن والقرى إما بتأسيس النوادي وإما باللقاء الخطب والمواظ في أوقات معينة لاضاءة الاقطار بنور المعرفة وبالقضية

الوطنية . راية شعار التي تنبجهم عن بيع الاراضي وبتصوير العبودية التي تلحق
بالتي ، راية بوايع والسكنائس في هذا العمل قسط وافر .

عنه — من أهم الاسباب القويمة لحفظ كيان أمتنا وحصولنا على أمانينا
الوطنية انتشار العلم . فعلى كل رجل أن يرسل ابنه الى المدارس لطلب العلم وعلى
الأمم المدارس الوطنية لانها تولد في النفوس غريزة الوطنية الصحيحة .
سادسا — تتخذ النهضة ما تضمنته البنود السالفة مبدءاً لها في جهادها المقبل
راعية من كل جمعية أو سلطة عربية إبداء أي اقتراح يتعلق بالعمل الاساسي
للنهضة . كما أننا نرغب في مراسلتنا لاتخاذ الطرق الفعالة المشتركة للحصول على
أمانينا الحقة .

الخاتمة — قد أدرك العرب بعد أن حلب الدهر شطريهم ورأوا من صنوف
العدايب ، رأوا ان وقت الاحتجاج والصراخ قد مضى ، وان الطريقة الوحيدة
لوحصولنا الى حقنا وبلوغ أمانينا الوطنية هي أن نكون أقوياء وكما ان الضعف فينا
سبب في اضطهادنا وامتهان كرامتنا العربية فالقوة ستكون سببا حقيقيا في ايصالنا
الى ما نبتغي من الحرية والاستقلال فما مضى بنا من العبر السياسية والتجارب
الزمنية علمنا ان ضعف العرب في تفرقهم وتشتيت شملهم ولولا ذلك لما رأينا
للاجنبي أصعبا تلعب في مقدرات الامة العربية ، فكفى فيما سبق عبرة لنا وان
لنا أن نحبي الاستقلال والحرية بقلوب مرتبطة متمدين على أنفسنا في هذا
الجهاد الشريف

لتحي فلسطين عربية حرة . لتحي سورية متحدة . لتحي الجامعة العربية

النهضة الوطنية الفلسطينية . نيويورك

نظمي عنتباوي . النابلسي

وفاة عالم عربي علوي

كتب الينا صديقنا العالم الرحالة الشهير السيد محمد بن عقيل من المكلا ما يأتي:
وصل الي تلغرف من حيدرآباد وتأخر بعدن لم يم الركب بموصل بالامس
وفيه الاعلام بوفاة عالم الشرق، البدر المشرق، المناضل عن النبي الامين، والانزع
البطين، والآل الميامين، وعدو النواصب أجمعين، شيخنا السيد أبي بكر بن عبد
الرحمن بن محمد بن شهاب الدين باعوي رحمه الله رحمة الابرار، وألحقه بمن أحبه
وألحقنا بهم في عاقبته، وعظم فيه الاجر وأحسن الخلف، وانا لله وانا اليه راجعون
توفي ليلة الجمعة قبيل العشاء الساعة ٧ زوالية: ٩ الجاري في حيدرآباد الدكن
ودفن بعد صلاة الجمعة. وكانت ولادته سنة ١٢٦٢ ويجمعها حروف
(أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين باعوي

٢٣٩ ٢٥ ٤٠٥ ٥٢ ٤٠٣ ١١٩

وله مصنفات في الاصول، والفقه، والانساب والحساب، والطبيعات،
والادب، والمنطق، وغير ذلك فتاوى جمّة. وديوان شعر، وقد نشر في الجرائد
كثير من قصائده وبآخر النصائح الكافية له قصيدتان، وأرسلت اليكم عددا
منها، وأظن أن أخانا السيد عبد الله دحلان يكتب له ترجمة، وقد أفضني نعيه
(والله الامر من قبل ومن بعد) وفيه خلف عن كل هالك وهو المستعان.

في ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٣٤١

(المنار) نعزي صديقنا الكاتب وسائر السلالة العلوية والبلاد الحضرمية
والهندية والامة العربية عن هذا العالم المتقن الذي خدم العلم واللغة العربية بكتبه الكثيرة،
وبتدريسه وتعليمه، وبصحيحه لكثير من مطبوعات (مطبعة دائرة المعارف النظامية)
في حيدرآباد الدكن موطن إقامته ومما بلغنا من ترجمته انه هو الذي جدد الدعوة الى
مولاة آل البيت ومعاداة أعدائهم في القديم والحديث فراجت في علوية الحضارمة

المنتمين في جزائر جاوه وماجاورها ناعلاقيها أناس غلوا لا يرضاه الفقيد ولا تلامذه المعتدلون حتى وجد فيهم من ضل بنزغات الباطنية التي دسوها في الشيعة . لم يقفوا عند حد ما كانت به الشيعة شيعة ، ونشروا في ذلك رسائل عديدة ، فنهد لهم آخرون يردون عليهم ، وعظم الشقاق بين جوالي العرب في تلك البلاد من الافراد والجماعات ، وطفق بعضهم يطعن في بعض ، وقد كان المسلمون هنالك متفقين على تكريم السادة العلويين وتفضيلهم على غيرهم وان كان يفوقهم علما وتقوى فصار لهم بعد ذلك أعداء وخصوم أقوياء . ولم تقف لهذه الدعوة على فائدة توازي ذلك أو ترجع عليه . فعسى أن يشرح لنا صديقنا السيد عبد الله دحلان في ترجمة الفقيد الكريم تغمده الله برحمته أو في مقال خاص فقد كثرت علينا الرسائل من الفريقين المتنازعين ونحن معرضون عنها لاننا نكره الشقاق والتنازع وتتحرى أن نكتب ما نرجو به إصلاح ذات البين ، وهو يتوقف على معرفة كنه الحال بين الفريقين

تقریظ المطبوعات

﴿ المرأة في التاريخ والشرائع ﴾ — هو « كتاب مصور فيه ٢٧ رسما يبحث في تطور المرأة في التاريخ منذ عهد البشر البدائي حتى الآن حيث تبوأ كرامتي مجالس الامم : فيدخل في ذلك الكلام عن المصرية القديمة والبابلية والاشورية والصينية واليابانية واليونانية والرومانية والفينيقية ولا سيما العربية قبل الاسلام وبعده . ويختتم الكتاب في الكلام عن تطور شأن المرأة في التمدن الحديث في الغرب وفي الشرق الادنى خاصة لما بتاريخ مسألة الحقوق النسائية — فهو اذا يكاد يكون بما فيه من أحكام الشرائع تاريخا عاما »

مؤلف هذا الكتاب صديقنا البعثة محمد جميل بك ييهم من مسرات بيروت وقد ذكر في مقدمته أن الباعث له على تأليفه ما يراه من تطور شأن

النساء في الشرق تباً لتأثير حضارة الغرب فيه وان كان له في اللغة ونحوها
 وآدابه فأحب أن ينبه لئلا يرى أن لا توجد في هذا على شيء بل انما
 الكتاب للتأليف في هذا الموضع ويهدى السبيل لئلا يرى أن عام في مسألة المرأة
 طبع الكتاب في بيروت سنة ١٣٤٥ ز. انطوت في بعض منسوخة نظرية
 عجل فاعجبني طريقة البحث فيه ونظام التأليف ثم أسكنه بالتقريب مني
 راجياً أن أجد فرصة أطلعها فيها بالذمة التي يمكنني من تقديمها. ولكنني أشهد
 له بما علمت من النظرة الاجمالية أنه من الكتب الجديرة بالمطالعة والاعتبار
 والمقد. وصفحاته ٧٧٠ ونيف ماعدا الصور والرسوم. وتضمن النسخة منه عشرون
 قرشاً. ويطلب من مكتبة المنار بمصر.

تهذيب الالفاظ العامية في اللغة العامية المستعملة في مصر وغيرها من
 البلاد الافريقية والآسيوية العربية التي الله العربية طرأ عليها التعريف والتصحيح،
 وترك الاعراب في التركيب والتأليف، ودخل فيها ألفاظ من لغات الشعوب الخالطة
 والمجاورة لاهلها ممن دخل في الاسلام كالفرس والترک والبربر ثم من الافرنج.
 وان في هذه العامية كثيراً من فرائد اللغة المبهورة يقتبسها الكتاب والمؤلفون
 في اللغة الصحيحة المعربة لغفلتهم أو جهلهم بأنهم من اللغة، وقد يكرنون في أشد الحاجة اليها
 ولا سيما المترجمين لبعض الكتب الاجمالية منهم — فلها في بعض علماء
 اللغة قديماً وحديثاً بيان الدخيل والمولد وتمييز العربي الصحيح من الالفاظ العامة
 من الدخيل ورد المصحف أو المحرف الى أصله. وأجمع ما كتب في هذا العصر
 وأوسعه وأفعله فيما نعلم كتاب (تهذيب الالفاظ العامية) للاستاذ الشيخ محمد علي
 الدسوقي خريج دارالعلوم المصرية والمدرس في المدارس الاميرية. وقد نفذت
 الطبعة الاولى منه فأعاد النظر فيه وصحح ما كان قد ظهر له من خطأ فيه وزاد
 فيه زيادة صالحة ثم طبعه ١٣٤٨ طبعة ثانية بلغت صفحاتها ٢١٨ صفحة

وقد وضع للكتاب مقدمة في أدواء العربية العامية وأدويتها التي ترجع بها
 الى أصلها — وهي اللحن ودواؤه النحو والتعريف ودواؤه بيان أصله ورده

اليه — والدخيل ودواؤه يتوقف على تأليف مجمع لغوي . . . وانتقل الى بحث التعريب فأطال الكلام فيه وما يتعلق به ولا سيما التعريب من اللغات الافرنجية الذي كثر الجدل وعظم الخلاف فيه في المجمع اللغوي الذي ألف بمصر وفي غيره وبلي ذلك فصول في الوسائل العملية لتعميم اللغة الصحيحة ونسخ العامية بها سماها الادوية العامة . وفصول أخرى من تاريخ اللغة بحث فيها في تهذيبها وأدوار تنقيحها قبل الاسلام وبعده وفي الاعراض « التي ظهرت عن داء التحريف » وهي عشرة وفي بعض الابهجات الموروثة عن العرب. هذه جملة مباحث المقدمة وأما مباحث الكتاب فقد جعلها في جداول مقسمة الى أقسام

(الاول) ما تنطق به العامة صحيحا ويظن أنه عامي

(الثاني) المحرف بالحركات والاوزان

(الثالث) المصحف بالحروف ويتبعه مباحث الهموز والمعدود والمشدد والمخفف واللازم والمتعدي وما تزيد فيه العامة وما تنقص منه وما تقلبه وما تستعمله من البحث والجمع والافراد والنسب، أي ما تخالف فيه العربية الفصيحة من ذلك وغيره وبلي المولد والفرق بينه وبين المصنوع

(والقسم الرابع) في سرد الكلمات العامية ومرادفاتها العربية في أثاث المنزل ومتاعه وماعونه وهو مرتب على حروف المعجم

ولا يحتاج القاريء بعد هذا البيان الوجيز لمباحث هذا الكتاب الى شهادة له بأنه جدير بأن يسمى تأليفا جديدا مفيدا وأنه جدير بعناية علماء اللغة العربية والساعين لحياتها . وأنه ينبغي لاهل الاقطار العربية الاخرى في المشرق والمغرب أن يحصوا من الالفاظ عوام بلادهم ما أحصاه المؤلف

﴿ مذكرات غليوم الثاني ﴾ شرع الكاتبان محب الدين افندي الخطيب وأسعد افندي داغر في ترجمة هذه المذكرات وطبعها في أجزاء صغيرة كالمجلات وسيكون الكتاب بعد تمامه ٢٠٠ صفحة ونمنه خمسة قروش . وقد صدر العدد الاول منه في ٥٢ صفحة وهو رابعه ولكن جعل ثمنه ٤ قروش وقد طبع بالمطبعة السلفية على ورق جيد ويطلب من مكاتبها ومن سائر المكاتب

يُؤْتِي الْحَاكِمَةَ حُكْمًا وَسُلْطَانًا
وَمَنْ يُؤْتِ الْحَاكِمَةَ فَقَدْ
أَوْفَى خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يُذَكِّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

الْمَجْلَدُ
١٣١٥

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ

قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام ضربي « ومنا » كمنار الطريق

٢٩ شعبان ١٣٤١ - ٢٥ الحبل (وا) سنة ١٣٠١ هـ ش ١٦ ابريل ١٩٢٣

الخلافة الإسلامية

٥

٣٣ - كراهة غير المسلمين لحكومة الخلافة

قد يقول قائل : ان غير المسلمين في البلاد التي توصف بالاسلامية (نسبة الى السواد الاعظم من اهلها) يكرهون أن تؤسس حكومة الخلافة فيها ولا سيما النصارى الذين يرون أن ضعف النفوذ والتشريع والآداب والتقاليد الاسلامية في كل بلد اسلامي انما يكون بقوة نفوذ الافرنج وتشريعهم وآدابهم وتقاليدهم - وكذا لغاتهم - وبذلك تكون مقومات الامة ومشخصاتها أقرب الى النصرانية منها الى الاسلام ومن لم يؤمن بالمعية النصرانية والوصايا الانجيلية بحجة الاعداء وكرهه الغنى وادارة الخد الايسر لمن يضربه على خده الايمن فانه قد يكون أشد استمساكا بالنصرانية الاجتماعية السياسية من أقوى المؤمنين بالانجيل ايمانا . فتلك النصرانية المزورة التي تنسب اليها المدنية المادية الاوربية هي مشار التعمصب والسكرامة لكل ما هو اسلامي لانصرانية الانجيل الزاهدة المتواضعة الخاشعة ذات الايثار الذي يسمونه « انكار الذات »

واذا كان أمثالهم من متفرنجة المسلمين يكرهون الحكومة الدينية ويعارضون في احياء منصب الخلافة أفلا يكون متفرنجة النصارى أولى؟ واذا كان الامر كذلك فكيف نعود الى تجديد حكومة دينية يكرهها كثير من رعاياها وينفرون منها؟ الجواب عن هذا يحتاج الى تفصيل نكتفى بالضرورة منه فنقول : اذا صح ما يعزى الى من ذكر من أهل الوطن بمقتضى العاطفة وتأثير التربية، فان من يحصن الحقيقة وينظر اليها بعين المصلحة سواء كان منهم أو من غيرهم فانهم يحكمون فيها حكما آخر

ان حكومة الخلافة اسلامية مدنية قائمة على أساس العدل والمساواة الا أن لغير المسلمين فيها من الحرية الشخصية ما ليس للمرتد والمنافق من المسلمين، هؤلاء يريدون أن يكون الاسلام رابطة جنسية أدبية حرة بحيث يكون لهم في حكومته جميع حقوق المسلمين الشرعية والعرفية والقانونية وان

صرحوا بأنهم لا يدعون الله بالإيمان ببقية دينه ، ولا بإقامة أركانه وشمايره ، وهم يحسبون أن الحكومة الإسلامية لا تعطيه شيئاً من ذلك ، حتى أن المرأة إذا خلفت من زوجها أنه ارتد عن الإسلام حرم عليها أن تقيم معه وتستمر على عصمته ، وأحكام المرتدين معروفة فأمرهم أغلظ من أمر الوثنيين دعى الكتائبين الذين تحمل ذبايحهم وأتزوج بالمحصنات من نسائهم ، ولا تعاقب الحكومة الإسلامية غير المسلمين على شيء يحل لهم في دينهم - وإن لم يكن حلالاً في الإسلام - إلا ما فيه إيذاء لغيرهم ، بل لا تحاسبهم على شيء من أعمالهم الشخصية التي لا تضر المسلمين ولا غيرهم من رعيته وإن خالفت دينهم ، ولكنها تحاسب المسلمين وتعاقبهم على المعاصي بالحدود وأنواع التعزير كالتوبيخ والحبس ، وذلك أن من أصول الإسلام حفظ الآداب والفضائل ومنع الفواحش والمنكرات . وقد وصف الله المسلمين بقوله (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وقال فيهم (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وأحكام الردة والحسبة في الإسلام معروفة

فعلم بهذا أن ملاحدة المسلمين وفسادهم المستهترين أجدر أن يكونوا أشد كراهة لإقامة أحكام الشريعة من غير المسلمين لأنها تكلفهم ما لا تكلف غيرهم وتؤاخذهم بما لا تؤاخذ به . وقد اقترح بعض هؤلاء الملاحدة على جماعة المؤتمر السوري العام الذي عقد في دمشق أن يقرروا جعل الحكومة السورية غير دينية ، ولا أذكر أن أحداً من الأعضاء النصاري وافق على الاقتراح بل صرح بعضهم برده كأكثر المسلمين . واقترح في ذلك المؤتمر أن تقيد مادة الحرية الشخصية من القانون الأساسي بقيد عدم الاختلال بالآداب العامة فرد هذا الاقتراح بعض هؤلاء الموصوفين بالمسلمين وصرح بعضهم بتعليل الرد بأنه يترتب عليه أن يجوز للشرطة منم الرجل من الجلوس مع امرأة في ملاهى من الملاهى أو مقهى من المقاهي العامة لمعاينة الحرة (٤٩) وقد كان رد هذا الاقتراح أقبح خزي صدر من ذلك المؤتمر وإن علل الرد بمضمون بالاستغناء عن قيد الآداب العامة بقيد القوانين التي يمكن أن ينص فيها على ذلك القيد ، وخدع بعض أهل الدين والآداب بذلك وما كان ينبغي لهم أن يتخذوا ، بل أقول إن أكثر النصاري من أعضاء ذلك

المؤمن كانوا أقرب الى المسلمين المستمسكين بأحكام الاسلام منهم الى المتفلسطين من الدين ، وان كانوا يتقربون اليهم وينتصرون لهم فيما يوافق أهواءهم من مخالفة هداية الدين العامة

وقد ثبت بالتجارب أن غير المتدينين اذا اختلفوا لاسباب سياسية أو غيرها فانهم يكونون أشد عداوة وقسوة بعضهم على بعض من المتدينين بالفعل من الفريقين — فالمتدين وان شديكون أقرب الى الرحمة من المادي — واعتبر ذلك بما وقع من القسوة في هذه الحرب البلقانية العامة بين الاوربيين أنفسهم وبين من غلبت عليهم تربيتهم من الارمن والروم والترك

وأضرب مثلاً آخر الدكتور برتكالوس الرومي قال لجماعة من السوريين كانوا يظهرون الابتهاج والسرور بالدستور العثماني عقب اعلانه : ان حكم الشريعة الاسلامية خير لنا معشر النصارى من حكم الدستور الذي يسلبنا كثيراً مما أعطتنا الشريعة من الامتيازات، ويحملنا ما أعفتنا من التكليفات. وأيد كلامه اشتداد العداء بين الترك وبين الروم والارمن وغيرها بعد الدستور الذي ترتب عليه سلب هؤلاء كثيراً مما كان لهم منذ كان الحكم بالشرع وحده

واني أعقب على هذا القول بأن أشد ما يتبرم به متفرنجة الترك من أحكام الشريعة هو ما أعطته من الحرية الواسعة لغير المسلمين في بلاد الاسلام ، ويرون انه لولاها لصارت هذه البلاد ملة واحدة كبلاد أوربة التي لم يكن فيها شيء من هذه الحرية ، ولا استراحت من العداوات والفتن التي أثارها عليهم نصارى الروملي فالاناضول بدسائس أوربة حتى كانت سبب انحلال السلطنة العثمانية — هذا رأيهم ، ومن الغريب ان كثيراً من نصارى بلادنا المتفرنجين يوافقونهم على هذه النظرية ويقولون ياليت المسلمين أكرهوا اجدادنا على الاسلام في ازمة الفتح والقوة، اذا كنا في اوطاننا امة واحدة ذات ملة واحدة فنسلم من شقاء هذا الشقاق والفتن الخيرية للبلاد

لا مجال في هذا المقام لتحرير القول في هذه المسألة ، وليس من الصعب بيان خطأ من يظن أن معاملة نصارى الدولة بعدل الشريعة الاسلامية وحريتها هو الذي ألهم عليها ولا اثبات ان الذي ألهمهم ثم أثارهم هو جهل رجال الدولة وغفلتهم من دسائس أوربة في هذه الشعوب وما بشرا في مدارسها وكنائسها !، وانما غرضنا

من ذكرها ان الشريعة الاسلامية خير للنصارى في بلاد اكثر اهلها مسلمون من حكومة مدنية لا يتقيد اهلها بأصول هذه الشريعة — كما كانوا في عهد الخلفاء من العرب — فان الفرق الحقيقي بين الحكومتين هو ان الاكثرية المسلمة لا يحل لها ان تتبع هواها في التشريع الديني ولا في التنفيذ بما يعد ظمناً للأقلية غير المسلمة لان الله تعالى حرم الظلم تحريماً مطلقاً لا هوادة فيه ولا عذر ، ووجب العدل إيجاباً مطلقاً عاماً لا محاباة فيه ، وحذر تحذيراً خاصاً من ترك العدل في حالة الكراهة والبغض من اي فريق كان بقوله تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا. اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خير بما تعملون) اي ولا يحملنكم بغض قوم لكم او بغضكم لهم — قال بعض المفسرين اي الكفار ، والصواب انه اعم — على أن لا تعدلوا فيهم بل اعدلوا فيهم كغيرهم — وحذف المعمول دليل العموم — اي اعدلوا عدلاً مطلقاً عاماً في المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والصديق والعدو ، الخ وقال في آية اخرى (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ، ان يكن غنياً او فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وإن تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً) اي كونوا قائمين بالعدل في الاحكام وغيرها على كل وجه — كما تدل عليه صيغة المبالغة — شهداء لله في إثبات الحق ، وما كان لله لا يميز فيه المؤمن نفسه ولا والديه واقرب الناس اليه على غيره ، لان هذا التمييز يثار لنفسه او لقريبه على ربه الذي جعل الشهادة له سبحانه ، ولا يفرق فيه بين الغني والفقير بأن يحابي الغني طمعاً في نواله او الفقير رحمة به ، وقفى على هذا الامر بالنهي عن ضده وهو اتباع هوى النفس ، كراهة للعدل وبحظر النبي والتحريف للشهادة او الاعراض عنها او عن الحكم بالحق ، وتهدد فاعل ذلك وتوعده أنه خير بأمره لا يخفى عليه منه شيء — دع ما ورد في الاحاديث النبوية من الوصية بأهل المهد والذمة خاصة ، ولولا ذلك لفعلت الحكومات الاسلامية القوية بالمخالفين لهم ما فعل غيرهم من إبادة بعض وإجلاء آخرين عن ديارهم أو إكراههم على الاسلام ، او سن قوانين استثنائية لقهرهم وإذلالهم ، وفي التاريخ العثماني ان السلطان سليمان استنقذ شيخ الاسلام ابا السعود العمادي الدمشقي الاصل في إكراه النصارى على الاسلام او الجلاء فأبى ان يفتيه وبين له ان الشريعة

لا تبيح ذلك فأذعن، وكان يريد أن يفصل بهم كما فعلت الدولة الأسبانية بمسلمي الأندلس

وتم فرق آخر بين الشرع الاسلامي والاشتراع البشري الذي لا تتقيده حكومته بالدين هو في مصلحة غير المسلمين أيضا، وهو أن كل مسلم يعتقد أن الحكم الشرعي حكم الهي وان طاعته قرينة وزلنى عند الله يثاب عليها في الآخرة، وعصيانه عصيان لله تعالى يعاقب عليه فيها، سواء حكم به الحاكم عليه أم لا، ولكن حكم الحاكم يرفع خلاف المذاهب، فتكون طاعته ضربة لازب. وهذا ضمان لغير المسلم الوازع فيه نفسي ولا ضمان مثله للمسلم من غيره،

(فان قيل) كل ذي دين يحاسب نفسه (أو ضميره) على ما يعتقده من حق عليه. (قلنا) هذا عام مشترك وما نحن فيه أخص منه، وهو احترام الحكم الشرعي ووجوب طاعة الحاكم اذا حكم عليه سواء اعتقد صحته أم لم يعتقد— وان أمن عقاب الحكومة في التفصي منه بالحيلة

وجملة القول أنه ليس في الشريعة ظلم لغير المسلم يعذربه على كراهتها وهي تساوي بين أضعف ذمي أو معاهد وبين الخليفة الأعظم في موقف القضاء وتقرير الحقوق، والشواهد على هذا في عصر الخلافة الراشدة وما بعدها متعددة وانا نصح بكل قوة بأن العدل العام المطلق لم يوجد الا في الاسلام

ولا نعرف لهم مطمئا في هذه المساواة الا مسألة رد شهادة غير المسلم على المسلم. وهي مسألة لا يقوم دليل على إطلاق القول فيها. بل لما خرج من الكتاب والسنة واصول الشريعة. فقد قال تعالى في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل من القرآن ليس فيها حكم منسوخ (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم) الآية— المتبادر الذي عليه جمهور السلف والخلف أن المراد بغيركم غير المخاطبين بالآية وهم المسلمون وخصه بعض العلماء بأهل الكتاب ولا دليل على هذا التخصيص، وقيد بعضهم بمثل الحالة التي نزلت فيها الآية بناء على أن الأصل في شهادة غير المسلم العدل أن ترد لقوله تعالى (وأشهدوا ذوي عدل منكم) وقد بينا ضعف الاستدلال بهذه الآية على ما ذكر في تفسير آية المائدة بتفصيل منه ان هذا في الامر بالشهاد في مسألة المطلقات المبتدات من المسلمات لا في

الشهادة مطلقاً ولا في كل اشهاد ، وقد قال تعالى في الاشهاد على الاموال (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) ولم يقيّد هذا الاشهاد بالعدول من المؤمنين كما قيده في المسألة الخاصة بالنساء المسلمات ، وبيننا ضعف حمل المطلق على المقيّد في الآيتين مع اختلاف موضوعهما ، والفرق بين الاشهاد والشهادة ، كما بينا ضعف القول بأن غير المسلم لا يكون عدلاً بدليل القرآن اذ جاء فيه (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وقوله (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك) كما بينا ضعفه بدليل سيرة البشر المعلومة بالاختبار والعقل وهو أنه لم توجد أمة من الامم جردت من الصدق والعدالة بحيث لا يصدق أحد من أهلها ، وبيننا أيضاً سبب تفضيل الفقهاء للمسلم على غيره في الشهادة من أربعة أوجه أهمها ما كان عليه المسلمون الاولون من التقوى والصدق وعدم المحاباة عملاً برصايا الدين التي تقدم بعض الآيات فيها آتفاً ، وما اتفق عليه المؤرخون في مقابلة ذلك من غلبة فساد الاخلاق على الامم الاخرى التي فتح المسلمون بلادها

وفي اصول الشريعة مستند آخر لشهادة غير المسلم وهو دخولها في عموم البيئة اذا ثبت عند القاضي صدقه فيها فان البيئة في اللغة كل ما يتبين به الحق وقد فصل المحقق ابن القيم هذا المعنى في كتابه (إعلام الموقعين) ونشرنا ذلك في المنار وبيننا انه يدخل في عموم البيئة كل ما تجدد في هذا العصر من أنواع الجرائم كأثر خطوط الاصابع على الاشياء مثلاً . ومن أراد التفصيل فعليه بالمنار وتفسيره فلم يبق بعد هذا البيان على إجماله من عذر لغير المسلمين اذا كرهوا إحياء الشريعة الاسلامية المعادلة لمحض التعصب الاعمى أو لتفضيل تشريع الاجانب على تشريع من يشار إليهم في وطنهم . وليس من الحق ولا من العدل أن تكلف أمة ترك منقبة التشريع الفضلى ، ومثل هذه الحكومة المثل ، إرضاء لفئة قليلة لا مصلحة لها في تركها وانما تكرهها لمحض التعصب على السواد الاعظم من أهل وطنها ، ونأهيك بما تأرث من الاضغان بين مسلمي الاناضول والروم والارمن الذين خرجوا على الترك في زمن محنتهم ، وساعدوا أعداءهم عليهم في حربهم ، وموضوع الكلام في إقامة الخلافة في هذه البلاد التركية فاذا رضي الترك بذلك وعاملوا هؤلاء الجناة البغاة بعدل الشريعة ورحمتها فلا يعقل أن يكرهوا

ذلك أو يفضلوا عليه غيره ان كانوا يعقلون، وانما أخشى أن يكون هذا الامر نفسه مما ينفر كثيرا من الترك عن إقامة الشريعة التي تحرم ان يتبعوا الهوى في معاملة أقوام أولئك الجناة القساة الذين خربوا ديارهم بالنار والبارود وهم يرونها بأعينهم أكواما من الرماد والانتقاض

وهذه حكومات جزيرة العرب إسلامية محضة ليس فيها قوانين وضعية ولا تشريع أوربي، وأقدمها حكومة أئمة اليمن وهناك كثير من اليهود وهم راضون من حكومة الامامة الشرعية لم يشكوا منها ظلما ولا هضا، ولا يفضلون عليها حكومة أخرى؛ ولو سرى اليهم سم السياسة الاستعمارية من طريق التعليم أو غيره لافسدوهم على حكومتهم، واثاروهم عليها لطلب وطن قومي لهم في البلاد. ولو عدم نافتو السم بالمساعدة على ذلك حبا في الانسانية أي حبا بافساد الانسانية واثارة البغضاء بين المختلفين في الدين والجنس واللغة بعضهم على بعض ليمكنوا هم من استعباد الجميع. (فاعتبروا يا أولي الابصار)

٣٤ - الخلافة ودول الاستعمار

من البديهي^(١) أن إقامة الخلافة الاسلامية يسوء رجال دول الاستعمار، وانهم قد يقاومونها بكل ما أوتوا من حول وقوة، وأحرصهم على ذلك الدولة البريطانية، ولا أجهل ممن يظنون أنها كانت تسعى قبل الحرب لجعل الخلافة في الامة العربية، الا الذين يظنون اليوم انها تود اليوم تأسيس دولة او دول عربية ولو كانت تريد هذا من قبل لكان أقرب طرقه مساعدة أئمة اليمن المجاورين لها في منطقة عدن على الترك بالسلاح والمال لتنظيم جيشهم والاستيلاء على الحجاز، فان حكومة الامامة في اليمن قوية عادلة قديمة راسخة يرجع تاريخها الى القرن الثالث من الهجرة، وقد حاربتها الدولة العثمانية زهاء أربعة قرون لاستقاطها فمجزت عن ذلك، ولكن الحكومة البريطانية كانت لها بالمرصاد، وما زالت تكيد لها، وتسعى بالدسائس والفتن للتدخل في شؤونها، والتوسل بذلك للاستيلاء عليها، ولم تستطع ذلك ولن يجعل الله لها عليها سبيلا

«١» اتنا نختار ما اختاره علماء المعقول من قدمائنا في النسبة الى البديهة والطبيعة والفرجة على الفاظها كالتسليقة الذي ثبت سماعا

وقد اشتهر لدى الخاص والعام أن الدولة البريطانية، كانت ظهيرة للخلافة العثمانية التركية، وما ذلك الا لعلها أنها صورية، وانها هي التي تنتفع باظهار صداقتها لها، وكان رجال هذه الدولة الداهية أعلم الناس بأن هذه الدولة قد دب في جسمها الانحلال، وانها سائرة في طريق الفناء والزوال، وانما كانوا يحاولون أن تبقى حصناً بين القيصرية الروسية المخيفة بسرعة تكوينها ونموها وبين البحر الأبيض المتوسط، على شرط أن تكون قوة هذا الحصن بما وراءه من المساعدة البريطانية لا بنفسه. وقد بينا هذا في المنار من قبل، وان الغازي احمد مختار باشا وافقنا على أن قاعدة الدولة البريطانية في السياسة العثمانية: ان لا تموت الدولة ولا تحيا، وبيننا أيضاً أن هذه القاعدة قد تغيرت بما كان بين الدولتين البريطانية والروسية على مسائل الشرق، واقتسامهما بلاد إيران قبل الحرب، وانها تخرج الى إقامة خلافة عربية صورية تكون آلة ييدها الا بعد الحرب العامة والتمكن من خداع شريف مكة وتسخيره لمساعدتها، ونحمد الله أن جعلنا من أسباب خيبة هذا السعي حتى لم يتم لها

قد عنيت الدولة البريطانية منذ أول زمن هذه الحرب بالبحث في مسألة الخلافة وطلق رجالها يستطلعون علماء المسلمين وزعماءهم في مصر والسودان والهند وغيرها آراءهم فيها ليكونوا على بصيرة فيما يريدونه من إبطال تأثير إعلان الخليفة العثماني الجهاد الديني بدعوى بطلان صحة خلافته من جهة وبدعوى أن هذه الحرب لا شأن للدين فيها من جهة أخرى، وقد وجد من مناققي الهند من كتب لهم رسالة باللغة الانكليزية في ذلك وأرسلها اليها ناشرها لترجمها بالعربية ونشرها في المنار فعجبنا من جهله وثقاقه، ولو لا المراقبة الشديدة على الصحف عامة والمنار خاصة في تلك الايام لرددنا عليها. وقد اطلعنا على ما كتبه بعض علماء مصر لهم في الخلافة وهو نقل عبارة شرح المقاصد وعبارات أخرى في معناها وعلّمنا ان بعض العلماء كتب لهم بعض الحقائق فيها

وقد دارت بيننا وبين بعض رجالهم مناقشات في المسألة العربية اقتضت أن نكتب لهم مذكرات في تخطيط سياستهم فيها بينا في المذكرة الاولى منها التي قدمناها لهم في أوائل سنة ١٩١٥ أن أكثر مسلمي الارض متمسكون بالدولة العثمانية وخليفتها لانها أقوى الحكومات الاسلامية وانهم يخافون أن يزول

بزوالها حكم الاسلام من الارض، وان هذا اعظم شأننا عندكم من بقاء المعاهد المقدسة
سليبة مصونة بل بينا لهم أيضاً أن إعلانها الجهاد شرعي وان سبب ضعف تأثيره
في مثل مصر هو الاعتقاد بأنها منتصرة مع حلفائها فلا تحتاج الى مساعدة . . .
وعدت اني بحث الخلافة في آخر مذكرة منها وهي التي أرسلتها الى الوزير
لويد جورج في منتصف سنة ١٩١٩ فقلت في بيان ما يرضي المسلمين من
انكليزية «ان الوزير قد علم أن الاعتراف باستقلال الحجاز وتسمية أمير مكة
ملكاً لم يكن له ذلك التأثير الذي كان الانكليز يتوقعونه من قلوب المسلمين
— ذلك بأن بلاد الحجاز أفقر البلاد الاسلامية وأضعفها في كل شيء، وهي
موطن عبادة، لا ملك وسيادة، ولم يكن المسلمون مضطربين من الخوف على
المساجد المقدسة أن تهدم أو يمنع الناس من الصلاة فيها والحج إليها وزيارتها،
بل الاضطراب الاعظم على السلطة الاسلامية التي يعتقدون أن لبقاء الاسلام
بدونها، والحرس على بقائها ممزوج بدم كل مسلم وعصبة، فهو لا يرى دينه
باقياً الا بوجود دولة اسلامية مستقلة قوية قادرة بذاتها على تنفيذ أحكام
شرعه بغير معارض ولا سيطرة اجنبية، وهذا هو السبب في تعلق أكثر
مسلمي الارض بحجة دولة الترك واعتبارهم إياها هي الدولة الممثلة لخلافة النبوة،
مع فقد سلاطنتهم لاعد القوة والاستقلال من شروطها الخاصة، ولولا ذلك
لا عترفوا بخلافة امام اتين لشرف نسبه وعامه بالشرع واستجماعه لغير ذلك
من شروط الخلافة، ذلك بأن الشروط تعدنا نوية بالنسبة الى اصل المطلوب،
مثال ذلك أن الحكومة المصرية تشترط في مستخدميها أن يكونوا مصريي
الجنس حارفين بدينهم العربية حامليين لشهادات مخصوصة — ولكنها عند ما
تحتاج اني مستخدمين من غير المصريين يعرفون تركي اشتراط ذلك فيه لانه
تتأهلا يقدم المسلمون في الشروط حتى غيره اذا كان قادرا على أصل العمل المطلوب»
اه المراد هنا من مذكرتنا اني لويد جورج

ونان العرب من هذا أن لا يغتروا بما يعمون من عدم استجماع الخليفة
التركى لشروط الخلافة. ولا بما كانوا يرمون اليه من جعل شريف مكة خليفة

بعد اعترافه لم بأن مكان الامة العربية من انكلرة مكان القاصر بالطفولية أو الختة من الوصي ورضاه بحمايتهم له ولها ، وقد صرحنا للوزير في هذه المذكرة بأن الذي يرضي العالم الاسلامي من دولته ترك الشعوب الاسلامية العربية والتركية والفارسية أحرارا مستقلين في بلادهم وبقاء مسألة الخلافة على ما هي عليه الى ان يمكن تأليف مؤتمر اسلامي عام لحل مشكلتها، وقد بينا فيها ايضا أن هذه الدولة مستهدفة لعداوة الشرق كله بالتبع لعداوة العالم الاسلامي فلا يغرنها ضعف المسلمين وتفرقهم فتحتقر عداوتهم مع كونهم مئات الملايين فانهم لن يكونوا أضعف من « ميكروبات » الاوبئة. وسننشر هذه المذكرة في الوقت المناسب لم يبال هذا الوزير بنصح هذه المذكرة فاستمر على سياسة القضاء على دولة الترك واستعباد العرب حتى خذله الله وخذله قومه وأسقطوا وزارته، ولكن بقي أشد أنصاره في الوزارة التي خلفتها وهو لورد كرزون التي هو أشد تعصبا وعداوة للمسلمين منه فلذلك لم يتغير من سياسة الدولة شيء في المسألة الاسلامية الا ما اضطرت اليه من مجاملة الدولة التركية الجديدة بعد تنكيلها بالجيش اليوناني الذي أغرته وزارة لويد جورج بالقضاء على ما بقي للترك من القوة في الاناضول، فأثبتت بذلك أنها لا تلين الا للقوة، وأما الحق والعدل والوفاء بالعهود والوعود فلها في قاموس سياستها معان أخرى غير ما يعرفه سائر البشر في لغاتهم

٣٥ — الخلافة وtheme الجامعة الاسلامية

ان السبب الاول لكون الدولة البريطانية هي الخصم الاكبر الاشد الاقوى من خصوم الخلافة الاسلامية هو أنها تخشى أن تتجدد بها حياة الاسلام وتتحقق فكرة الجامعة الاسلامية فيحول ذلك دون استعبادها للشرق كله. وقد نشرنا في مجلدات المنار أقوالا كثيرة للساسة الاوروبيين في هذه المسألة من أهمها ما نشرناه في المجلد العاشر سنة ١٣٢٥ من رأي كرومر في تقريره السنوي عن مصر والسودان سنة ١٩٠٦ فيها وأهمه قوله

« المقصود من الجامعة الاسلامية بوجه الاجمال اجتماع المسلمين في العالم كله على تحدي قوات الدول المسيحية ومقاومتها ، فإذا نظر اليها من هذا الوجه وجب على كل الامم الاوربية التي لها مصالح سياسية في الشرق أن تراقب

هذه الحركة مراقبة دقيقة لأنها يمكن أن تؤدي إلى حوادث متفرقة فتضرم فيها نيران التعصب الديني في جهات مختلفة من العالم»

ثم ذكر أن للجامعة الإسلامية معاني أخرى أهم من المعنى الأصلي وهي (أولها) في مصر الخضوع للسلطان وترويج مقاصده

(وثانيها) استلزامها لتهييج الاحقاد الجنسية والدينية لا فجا ندر

(وثالثها) السعي في اصلاح أمر الاسلام على النهج الاسلامي (!!) وبعبارة

أخرى السعي في القرن العشرين لاعادة مبادئ وضعت منذ ألف سنة هدى لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة « وذكر أن عيب هذه المبادئ والسنن والشرائع هو المناقضة لآراء أهل هذا العصر في علاقة الرجال بالنساء وأما ثالثاً قال انه « أهم من ذلك كله وهو أفراغ القوانين المدنية والجنائية والمالية في قالب واحد لا يقل تغييراً ولا تحويراً (قال) وهذا ما وقف تقدم البلدان التي دان أهلها بدين الاسلام»

ثم قفى على تحذير الاوربيين من الجامعة الاسلامية بتحذيرهم من الجامعة الوطنية لثلاث تجلبب بها الاولى « التي هي اعظم الحركات المتقهقرة »

رددنا على لورد كرومر في كل هذه المسائل رداً مسهما ورد غيرنا عليه أيضاً، وفي هذه المباحث ما فيها من تفنيد كلامه، وغرضنا هنا أن نبين شدة اهتمام الانكليز بمقاومة الجامعة الاسلامية بكل معنى من معانيها، وتحريضهم جميع الاوربيين وجميع النصاري عليها وعلى من يتصدى لها، وتخويف المسلمين منها ولقد كان من إرهاب أوربة للشعوب الاسلامية وحكوماتها أن جعلتها تخاف وتحذر كل ما يكرهه الاوربيون منها وتظهر الرغبة في كل ما يدعوها اليه وجروا على ذلك حتى صار الكثيرون منهم يعتقدون ان ما يستحسنه لهم هؤلاء الطامعون فيهم هو الحسن، وما يستقبحونه منهم هو القبيح، اذ تربوا على ذلك، ولم يجدوا أحداً يبين لهم الحقائق - وكان هذا دعواً لهم على سلب استقلال هؤلاء المخدوعين والمرهبين في بعض البلاد وغلبة نفوذهم على نفوذ الحكومة في بلاد أخرى كمصر والدولة العثمانية، واستحوذ الجبن والخور على رجال الحكومات في هذه البلاد حتى ان أركان الدولة العثمانية لم يتجرؤا على الاذن لنا بإنشاء مدرسة اسلامية في عاصمتها باسم (دار الدعوة والارشاد) كما تقدم، ولم

يكونوا كلهم يجهلون ماذا كرت بل قال لي شيخ الاسلام حسني أفندي رحمه الله تعالى : ان عندنا قاعدة مطردة في الافرنج هي أن كل ما يرغبوننا فيه فهو ضارّ بنا وكل ما ينفروننا عنه فهو نافع لنا . وإنما هو جبن بعض الرؤساء وفساد عقائد بعض . وما الجبن الاغشاة من الوهم على عين البصيرة انقشعت عن ترك الاناضول ، فأروا أنهم بعد انكسارهم في الحرب العامة ، وفقدهم لتلك الممالك الواسعة ، أعزوا أقوى مما كانوا عليه منذ مائتي سنة ، إذ كانت البلاد فيها تنتقص من أطرافها ، وتقوذ الا جانب في عاصمة الدولة فوق تقوذ خليفته وسلطانها . لهذا السبب ينوط الرجاء بحكومة الاناضول ألوف الألوف من المسلمين أن تحمي منصب الخلافة وتجدد به مجد الاسلام وشريعته الفراء التي يرجى أن يتجدد باحيائها مجد الانسانية ، ويدخل البشر في عصر جديد ينجون به من مفسد المدنية المادية ، التي تهدد العمران الاوربي بالزوال

أنا لا أتصور أن يكون العرب من معارضة دول أوربة الاستعمارية هو الذي يمنع الترك من اقامة الخلافة الاسلامية . فان هذا شكل حكومتنا ، ومقتضى ديننا ، وطالما صرحت هذه الدول بعد الحرب بأنها لا تفتات على المسلمين في أمر الخلافة . وأما الجامعة الاسلامية التي يخافونها فهي مسألة أخرى . ولكل دولة لها رعايا من المسلمين أن تسوسهم بالطريقة التي تراها أحفظ لمصلحتها ، نعم لن يكون الافرنج هم الذين يمنعون إقامة الخلافة ولكن الذي يخشى أن يمنعها إنما هم المتفرنجون دون غيرهم وقد شرحنا ذلك من قبل

من المعلوم في السياسة أن يطعن المستعمرون للبلاد الاسلامية في جامعة دينية يظنون أنها قد تقضي الى انتقاص أهل هذه البلاد عليهم ، ويخافون أن تكون الخلافة الحق سبباً لتحقيق هذه الجامعة ، وأن يطعنوا في الشريعة الاسلامية وينفروا المسلمين منها لاجل ذلك ، كما يطعن فيها دعاة النصرانية لهذه العلة وللطعن في تنصير المسلمين ، وهذا الخوف من اقامة الخلافة يكون على أشده اذا كان الباعث على اقامتها السياسة المحضة التي يستحل أصحابها كل عمل لاجل مصلحتهم ، وقد يكون دون ذلك اذا كان الباعث دينياً محضاً وهو اقامة حكم الاسلام كما شرعه الله تعالى ، وليس من شروطها أن يتبعها جميع المسلمين ، ونحن نعلم أن هذا متعذر غير مستطاع في هذا الزمان ، وتكليف غير المستطاع

ممنوع في الاسلام (لا يكاف الله نكاح الاوسمها) بل نحن نرى الرأي الغالب في بعض البلاد يأبى إحياء الخلافة حتى اننا نجتهد في اقناع الحكومة التركية الحاضرة به ونشك في قبولها ، فان زعيمها وصاحب النفوذ الاعلى في أقوى أحزابها يصرّح في خطبه بأن السلطة في هذه الحكومة للامة التي يمثلها المجلس الوطني الكبير بلا شرط ولا قيد وانه لا يمكن أن يكون لشخص معين تفوذ فيها مهما يكن لقبه — أي خليفة سمي أو سلطانا —

لما أذاع الاتحاديون عزمهم على انشاء مدرسة جامعة اسلامية في المدينة المنورة وابتداع سجل لطلاب الشفاعة النبوية فيها وقالت الجرائد وغير الجرائد أن مرادهم بذلك احياء الجامعة الاسلامية — كتبت مقالة في هذا الموضوع نشرتها في المجلد السابع عشر من المنار (سنة ١٣٣٠) قلت فيها نصه :

«وأما رأي الذي أنصح به للدولة، فهو أن تصدي رجالها السياسيين لتحريك أوتار الجامعة الاسلامية يضر الدولة كثيرا ولا ينفعها الا قليلا ، ويوشك أن تكون هذه الاقوال التي قيلت في هذه المسألة — على قلة تأثيرها — من اسباب ما نراه من شدة تحمل اوروبا عليها ، واكتفي في هذا المقام بالمثل الذي يكرره الامام الغزالي « كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة »
« ومرادي من هذا انه يجب عليها احد امرين :

(الاول) ان تؤسس حكومة اسلامية ، خالية من التقاليد والقوانين الاجنبية ، الا ما كان من النظام ، الذي يتفق مع الشرع ولا يختلف باختلاف الاقوام ، وتمطي مقام الخلافة حقه من احياء دعوة الاسلام ، واقامة الحدود وحرية اهل الاديان ، ولا يمجزها حينئذ أن ترضي غير المسلمين من رعاياها الذين ليس لهم اهواء سياسية ، ولا ضلع مع الدول الاجنبية ، بل يكون ارضاؤهم اسهل عليها منه الآن ان شاءته . ولو كان لي رجاء في اصغائها الى هذا الرأي ، او جعله محل النظر والبحث ، لبينت ذلك بالتفصيل ، ولاوردت ما أعلمه من المشكلات والعقبات التي تعترض في طريق تنفيذه من داخلية وخارجية مع بيان المخرج منها ، ثم ما يترتب عليه من تجديد حياة الدولة وكونه هو المنجى لها من الخطر ، وان تراءى لكثير من الناس أنه هو المسرع بالخطر ، فلنأمنهم أن اوروبا تعجل بالاجهاز على الدولة اذا علمت أنها شرعت بنهضة اسلامية ،

لعلمها بأن هذه هي حياتها الحقيقية، وكون حياتها بهذا هو ما يصرح به بعض أحرار الأوربيين وأن خوف منه بالتمويه والابهام أكثر السياسيين (الثاني) أن تدع كل ما عدا الأمور الرسمية الممهودة لديها من أمور الدين إلى الجمعيات الدينية الحرة، والأفراد الذين يدفعهم استعدادهم إلى هذه الخدمة، ولها أن تساعد ما يستحق المساعدة من هذه الأعمال بالحماية، وكذا بالاعانة المالية من أوقاف المسلمين الخيرية (إذا كانت تريد بقاء الأوقاف العامة في يدها ولم يجب طلاب الإصلاح إلى جعل أوقاف كل ولاية في أيدي أهلها) مع بقائها بمعزل عن السياسة وأهلها. ولو لا أن هذا هو رأي لما اشترطت على رجال الدولة وجمعية الاتحاد إذ عرضت عليهم مشروع الدعوة والارشاد أن يكون في بد جماعة حرة، لاعلاقة لها بالسياسة، وأن لا تخصص لها اعانة من خزانة الدولة، بل تكون نفقاتها مما تجمعها هي من الاعانات بأنواعها ومما تعطاه من أوقاف المسلمين الخيرية. (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد) اهـ

هذا ما كتبناه في ذلك الوقت وقد شرحنا آراء الأفرنج في الجامعة الإسلامية وما فيها من الأوهام وما ينبغي للمسلمين مزاراً، في مجلدات المنار

٣٦ - شهادة لوردين المشريعة الإسلامية

ما كل من يتكلم في الإسلام وشريعته من الأفرنج يتكلم عن علم صحيح وما كل من لديه علم يقول ما يعتقد فإن منهم من تنطقه السياسة بما تريه من مصلحة دولته، ومنهم المتعصب الذي لا يبحث عن شيء من أمر الإسلام إلا ما يمكن الطعن فيه لتشكيك المسلمين في دينهم أو لتحريض أعدائهم عليهم. وقد وجد فيهم من قال الحق في الإسلام وشريعته في أحوال اقتضت ذلك من هؤلاء لورد كرومر الذي طعن الشريعة تلك الطعنات النجلاء التي أقامت مصر وأقعدتها قد اضطر إلى انصافها وتقييدها ما أطلقه من الطعن فيها بما لا ينكره أحد من عقلاء المسلمين، كما أنصفها بكلمة قالها مرة للاستاذ الامام ونشرنا هذا وذاك في مجلد المنار العاشر إذ كان هو بمصر، فقد قلت في سياق الرد على طاعنته ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى حدثني أنه كان يكلمه مرة في

مسألة اصلاح المحاكم الشرعية في إبان اهتمام الشعب والحكومة بها واعتراض بعض العلماء على اصلاحها ، فأقام له الدلائل على أن الاسلام يدعو الى كل اصلاح ، ويناسب كل زمان ، فقال له اللورد ما ترجمته :

« أتصدق يا استاذ أنني أعتقد أن ديناً اوجد مدنية جديدة وقامت به دول عظيمة لا يكون اساسه العدل ؟ هذا محال ، ولكنني اعلم ان هذه المقاومات (اي لاصلاح المحاكم) امور (إكليركية) «اي تقاليد رجال الدين الاسلامي كتقاليد الكنيسة عند النصارى

هذه الكلمة حملتني على ارسال كتاب الى اللورد هذا نصه :

القاهرة في ٢٠ ربيع الاول سنة ١٣٢٥

جناب اللورد العظيم

أحييك بما يليق بمكانتك، وان لم يسبق لي شرف المعرفة لحضرتك، وأرجو أن تمن علي بوضع دقائق من وقتك الثمين نجيبني فيها عن السؤال الآتي الذي يعني من حيث أنا صاحب مجلة إسلامية تدافع عن الدين وتبحث في فلسفته وهو: هل عنيت بما قلت في تقريرك الاخير عن الحكم بالشرعية الاسلامية «التي وضعت منذ أكثر من ألف سنة» الدين الاسلامي نفسه الذي هو عبارة عن القرآن الحكيم والسنة النبوية؟ أم عنيت بذلك الفقه الاسلامي الذي وضعه الفقهاء؟ فان كنت تعني الثاني فهو من وضع البشر وقد مزجت فيه آراءهم بما يأخذونه عن الاول وخطأ فيه بعضهم بعضاً وقد ترك حكام المسلمين أنفسهم العمل بكثير منه ولطلاب الاصلاح من المسلمين انتقاد على كثير من تلك الآراء في كل مذهب. وان كنت تعني الاول فهذا العاجز مستعد لان يبين لجنابتكم أن معظم ما جاء في الدين نفسه من الاحكام القضائية والسياسية هو من القواعد العامة — وهي توافق مصلحة البشر في كل زمان ومكان لان اساسها درء المفاسد وجلب المصالح بحكم الشورى — وما فيه من الاحكام الجزئية (وهو مقابل الممظم) راجع الى ذلك. وأختم رقيمي مودعا لجنابتكم بالتحية والاحترام

منشيء المنار بمصر

محمد رشيد رضا

وقد أجبنا بالكتاب الآتي بنصه العربي موقعا ومؤرخا بخطه الافرنجى وهو

كتاب لورد كرومر الى صاحب المنار

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ رشيد رضا صاحب جريد المنار جوابا على خطابكم اقول اني عنيت بما كتبت مجموع القوانين الاسلامية التي تسمونها الفقه لانها هي التي تجري عليها الاحكام ولم اعن الدين الاسلامي نفسه ولذلك قلت في هذا التقرير الاخير وفي غيره بوجوب مساعدة الحزب الاسلامي الذي يطلب الاصلاح ويسير مع المدنية من غير ان يحس اصول الدين . ولعل العبارة التي كتبها بتقريرى كانت موجزة فلم تؤد المراد تماما واقبلوا يا حضرة الاستاذ احترامي الفائق

كرومر

في ٤ مايو سنة ١٩٠٧

كلمة لورد كتشُر للسيد الزهراوي

زار السيد عبد الحميد الزهراوي عقب تعيينه عضواً في مجلس الاعيان العثماني مصر ونزل ضيفاً عند صديقه صاحب المنار ، وزار لورد كتشُر العميد البريطاني في ذلك الوقت بايعاز وكنت معه فكان مما قاله له اللورد باللغة العربية: ^(١) « ان الدولة العثمانية لا تصلح بالقوانين التي تقتبسها منا — معشر الاوربيين — ونحن ما صلحت لنا هذه القوانين الا بعد تربية تدريجية في عدة قرون كنا نغير فيها ونبدل بحسب اختلاف الاحوال ، وان عندكم شريعة عادلة موافقة لعقائدكم ولاحوالك الاجتماعية ، فالواجب على الدولة ان تعمل بها وترك قوانين اوروبية فتقيم العدل وتحفظ الامن وتستغل بلادها الخصبة ، وعندي انها لا تصلح بغير هذا »

هذا الكلام حق وان جاز على قائله الجهل والخطأ فيما يظن انه لا يصلح لنا من قوانين اوروبية ونحن نعلم ان كل مالمديهم من حق وعدل في ذلك فشريعتنا قد سبقت الى تقريره كما علم مما تقدم ولتفضيل ذلك مقام آخر

أهل الصفة

(وأباطيل بعض المتصوفة فيهم وفي الأولياء وأصنافهم والدعاوى فيهم)

لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية قدس سره

تابع لما قبله

وقد غزا النبي صلى الله عليه وسلم غزوات متعددة وكان القتال منهم في تسع منازل مثل بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر ، وحنين ، وانكسر المسلمون يوم أحد وانهزموا ثم عادوا يوم حنين ونصرهم الله ببدر وهم أذلة، وحصروا في الخندق حتى دفع الله عنهم أولئك الأعداء وفي جميع المواطن (كان) يكون المؤمنون من أهل الصفة وغيرهم مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يقاتلوا مع الكفار قط

ونما يظن هذا ويقول من الضلال والمناققين قسمان (قسم منافقون) وإن أظهروا الاسلام وكان في بعضهم زهادة وعبادة يظنون أن إلى الله طريقا غير الإيمان بالرسول ومناقبه وإن من أولياء الله من يستغني عن متابعة الرسول كاستغناء الخضر عن اتباع موسى وفي هؤلاء من يفضل شيخه أو عالمه أو ملكه على النبي صلى الله عليه وسلم أما تفضيلا مطلقا أو في بعض صفات الكمال وهؤلاء منافقون كفار يجب قتالهم بعد قيام الحج عليهم فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى جميع النقادين انفسهم وجنهم ، زهادهم وملوكهم وموسى عليه السلام إنما بعث إلى قومه لم يكن مبعوثا إلى الخضر ولا كان يجب على الخضر اتباعه بل قال له أني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه. وأنت على علم من الله تعالى علمكه الله لا أعلمه. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» وقال الله تعالى (يا أيها الناس أني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض) وقال تعالى (وما أرسالك إلا كفة للناس بشيرا ونذيرا

(والقسم الثاني) من يشاهد ربوبية الله تعالى لعباده التي عمت جميع البرايا ويظن أن دين الله الموقفة للقدر سواء كان ذلك في عبادة الأوثان واتخاذ الشركاء (المنار : ج ٤) (٣٥) (المجلد الرابع والعشرون)

٢٧٤ كون توحيد الربوبية يجتمع مع الشرك وتعطيل الشرع المنار. ج ٤ م ٢٣

والشفعاء من دونه وسواء كان فيه الايمان بكتبه ورسله والاعراض عنهم والكفر بهم. وهؤلاء يسوون بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المنافسين في الارض وبين المتقين والفجار، ويجعلون المسلمين كالمجرمين ويجعلون الايمان والنقوى والعمل الصالح بمنزلة الكفر والفسوق والعصيان وأهل الجنة كاهل النار وأرلياء الله كاعداء الله، وربما جعلوا هذا من باب الرضا بالقضاء وربما جعلوه التوحيد والحقيقة، بنوا على أنه توحيد الربوبية الذي يقر به المشركون وأنه الحقيقة الكونية. وهؤلاء يبدون الله على حرف فان أصابهم خير اطمأنوا به وان أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم خسروا الدنيا والآخرة. وغايتهم يتوسعون في ذلك حتى يجعلوا قتال الكفة رقتل الله وحتى يجعلوا أعيان الكفار والفجار والاثوان من نفس الله وذاته، ويقولون ما في الوجود غيره ولا سواه، بمعنى أن المخلوق هو الخالق والصنوع هو الصانع، وقد يقولون (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) ويقولون (أنطم من لو يشاء الله أطعمه) الى نحو ذلك من الاقوال والافعال التي هي شر من مقالات اليهود والصارى بل ومن مقالات المشركين والمجوس وسائر الكفار من جنس مقالة فرعون والدجال ونحوهما ممن ينكر الصانع الخالق الباري رب العالمين أو يقولون إنه هو أو إنه حل فيه

وهؤلاء كفار بأصل الاسلام، وهو شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، فان التوحيد الواجب أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا فلا نجعل له ندا في ألوهيته ولا شريكا ولا شفعاء. فأما توحيد الربوبية وهو الاقرار بأنه خالق كل شيء فهذا قد قامه المشركون الذين قال الله فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال ابن عباس تسألهم من خلق السموات والارض؟ فيقولون «الله» وهم يعبدون غيره. وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) فيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم فيقولون لله قل أفلا تلتقون قل من يده ماسكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون؟ فيقولون لله قل فأنى تسجدون)

فالكفار المشركون مقرون بأن الله خالق السموات والارض وليس في جميع الكفار من جعل لله شركاء او ياله في ذاته وصفاته وأفعاله، هذا لم يقله أحد قط لا من المجوس الثنوية ولا من أهل التثليث ولا من الصابئة المشركين الذين يعبدون الكواكب والملائكة ولا من عباد الانبياء والصالحين ولا من عباد التماثيل والقبور وغيرهم فان جميع هؤلاء وان كانوا كفارا مشركين متنوعين في الشرك فهم يقررون بالرب الحق الذي ليس له مثل في ذاته وصفاته وجميع أفعاله ولكنهم مع هذا مشركون به في الوهيته بأن يعبدوا معه آلهة أخرى يتخذونها شركاء أو شفعاء — أو في ربوبيته بأن يجعلوا غيره رب الكائنات دونه مع اعترافهم بأنه رب ذلك الرب وخالق ذلك الخالق

وقد أرسل الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم) وان هذه أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون

وقد قالت الرسل كلهم مثل نوح وهود وصالح وغيرهم (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) فكل الرسل دعوا الى عبادة الله وحده لا شريك له والى طاعتهم والابتن بالرسول هو الاصل الثاني من أصلي الاسلام فمن لم يؤمن بأن هذا (١) رسول الله الى جميع العالمين وأنه يجب على جميع الخلق متابعتها وان الحلال ما أحله والمحرّم ما حرّمه والدين مآشره فهو كافر مثل هؤلاء المناقضين، ونحوهم من يجوز الخروج عن دينه وشرعته وطاعته امامهم وما يخصوا ويجوز اعانة الكفار ونحوهم على افساد دينه وشرعته ويحتجون بما يفترونه أن أهل الصفة قالوه وانهم قالوا نحن مع الله من كان

(١) المناسب ان يقال : بان محمدا (ص)

مع الله كنا معه ير يدون بذلك الحقيقة الكونية دون الامر والحقيقة الدينية ويحتج بمثل هذا من ينصر الكفار والفجار ويخفرهم بهمة وقلبه وتوجهه من ذوي الفقر. ويعتقدون مع هذا أنهم من أولياء الله وان الخروج عن الشريعة المحمدية سائغ لهم، وكل هذا ضلال وباطل وان كان لأصحابه زهد وعبادة فهم في العبادة مثل أوليائهم في الاجناد، فان لم يرد على دين خليفه والمرء مع أحب هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد جعل الله المؤمنين بعضهم اولياء بعض والكافرين بعضهم أولياء بعض، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المارقين من الاسلام مع عبادتهم المظيمة الذين قال فيهم « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » وهؤلاء قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما خرجوا عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وفارقوا جماعة المسلمين، فكيف بمن يعتقد أن المؤمنين كانوا يمالون النبي صلى الله عليه وسلم

ومثل هذا ما يرويه بعض هؤلاء المقترين ان اهل الصفة سمعوا ما خاطب الله به رسوله ليلة المعراج وان الله أمره أن لا يعلم به أحدا فلما أصبح وجدهم يتحدثون به فأنكر ذلك فقال الله له أنا أمرتك أن لا تعلم به احدا لكن أنا الله أعلمتهم إلى أمثل هذه الاكاذيب التي هي من اعظم الكفر وهي كذب واضح فان اهل الصفة لم يكونوا الا بالمدينة ولم يكن بمكة اهل صفة والمعراج إنما كان من مكة كما قال سبحانه وتعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) ومما يشبه هذا من بعض الوجوه رواية بعضهم عن عمر رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث هو وأبو بكر وكنت كالزنجي بينهما . وهذا من الافك المتخلق، ثم إنهم مع هذا يجملون عمر الذي سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه وهو أفضل الخلق بعد الصديق لم يفهم ذلك الكلام بل كان كالزنجي ويدعون أنهم سمعوه وعرفوه، ثم كل منهم يفسره بما يدعيه من الضلالات

السكفريه التي يزعم أنها علم الامرار والحقائق إما الاتحاد وإما تعطيل الشرائع ونحو ذلك مثلاً ما يدعي النصيرية والاسماعيلية والقرمطية والباطنية الثنوية والحاكمية وغيرهم — من الضلالات المخالفة لدين الاسلام ما ينسبونه الى علي بن أبي طالب أو جعفر الصادق أو غيرها من أهل البيت كالبطاقة والهفت والجدول والجفر وملحمة بن عقبة وغير ذلك من الاكاذيب المقتراة باتفاق جميع أهل المعرفة وكل هذا باطل، فانه لما كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم به اتصال النسب والقربا، وللأولياء والصالحين منهم ومن غيرهم به اتصال الموالاة والمتابعة، صار كثير ممن يخالف دينه وشريعته وسنته يموه باطله ويخرفه بما يقتريه على أهل بيته وأهل موالاته ومتابعته وصار كثير من الناس يغلو إمامي قوم من هؤلاء أو من هؤلاء حتى يتخذهم آلهة أو يقدم ما يضاف اليهم على شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته وحتى يخالف كتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه السلف الطيب من أهل بيته ومن أهل الموالاة له والمتابعة وهذا كثير في أهل الضلال

(فصل) وأما تفضيل أهل الصفة على العشرة وغيرهم خطأ وضلال بل خير هذه الأمة بمد نبيا أبو بكر ثم عمر كما تواتر ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب موقوفاً ومرفوعاً وكما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمة العلم والسنة وبعدهما عثمان وعلي وكذلك سائر أهل الشورى مثل طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وهؤلاء مع أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة ومع سعيد بن زيدم العشرة المشهود لهم بالجنة وقد قال الله تعالى في كتابه (لا يسئوي منكم من أفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) ففضل السابقين قبل فتح الحديبية الى الجهاد بأنفسهم وأموالهم على التابعين بعدهم وقال الله تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وقال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان)

وقد ثبت في فضل البدرين ما تميزوا به علي وغيرهم وهؤلاء الذين فضاهم

الله ورسوله فمنهم من هو من اهل الصفة، والعشرة لم يكن فيهم من هو من اهل الصفة الا سعد بن أبي وقاص فقد قيل انه اقام بالصفة مرة، واما اكار المهاجرين والانصار مثل الخلفاء الاربعة ومثل سعد بن معاذ واسيد بن الحضير وعباد بن بشر وابي ايوب الانصاري ومعاذ بن جبل وابي بن كعب ونحوهم لم يكونوا من اهل الصفة بل عامة اهل الصفة انما كانوا من فقراء المهاجرين، والانصار كانوا في ديارهم ولم يكن احد ينذر لاهل الصفة ولا لغيرهم

(فصل) واما سماع المكاء والتصديّة وهو الاجتماع لسماع القصائد الربانية سواء كان بكف او بقضيب او بدف او كان مع ذاك شبابة فهذا لم يفعله احد من الصحابة ولا من اهل الصفة ولا من غيرهم ولا من التابعين بل القرون الثلاثة المفضلة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم « خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » لم يكن فيهم أحد يجتمع على هذا السماع لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب وانما كان السماع الذين يجتمعون عليه سماع القرآن وهو الذي كان الصحابة من اهل الصفة وغيرهم يجتمعون عليه فكان اصحاب محمد اذا اجتمعوا امرؤ واحد منهم يقرأ والباقي يستمعون وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على اهل الصفة وفيهم قارئ يقرأ فجلس معهم، وكان عمر بن الخطاب يقول لابي موسى يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون وكل من تقل أنهم كان لهم حاد ينشد القصائد الربانية بصلاح القلوب أو أنهم لما أنشد بعض القصائد تواجدوا على ذلك أو أنهم مزقوا ثيابهم أو أن قائدًا أنشدهم

قد لست حية الهوى كبدي فلا طيب لها ولا راق

الا الطيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

أو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال « ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم » أنشدوا شعرا وتواجدوا عليه فكل هذا وأمثاله كذب مقترى وكذب مخلق باتفاق أهل الآفاق من أهل العلم وأهل الايمان لا ينازع في ذلك

الا جاهل ضال وان كان قد ذكر في بعض الكتب شيء من ذلك فكأنه كذب باتفاق أهل العلم والايان

(فصل) وأما قوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) فهي عامة فيمن تناوله هذا الوصف مثل الذين يصلون الفجر والعصر في جماعة فانهم يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه سواء كانوا من أهل الصفة أو غيرهم. أمر الله نبيه بالصبر مع عباد الله الصالحين الذين يريدون وجهه وأن لا تعدو عيناه عنهم (تريد زينة الحياة الدنيا) وهذه الآية في الكهف وهي سورة مكية وكذلك الآية التي هي في سورة الانعام (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين)

وقد روي أن هاتين الآيتين نزلتا في المؤمنين المستضعفين لما طلب المستكبرون أن يبعدهم النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه الله تعالى عن طرد من يريد وجهه وان كان مستضعفا ثم أمره بالصبر معهم وكان ذلك قبل الهجرة الى المدينة وقبل وجود الصفة لكن هي متناولة لكل من كان بهذا الوصف من أهل الصفة وغيرهم والمقصود بذلك أن يكون مع المؤمنين المتقين الذين هم اولياء الله وان كانوا فقراء ضعفاء فلا يتقدم أحد عند الله تعالى بسلطانه وماله ، ولا بذله وفقره ، وانما يتقدم عنده بالايان والعمل الصالح ، فنهى الله سبحانه وتعالى أن يطاع (١) أهل الرئاسة والمال الذين يريدون ابعاد من كان ضعيفا أو فقيرا وأمره أن لا يطرد من كان منهم يريد وجهه وأن يصبر نفسه معهم في الجماعة التي أمر فيها بالاجتماع بهم كصلاة الفجر والعصر ولا يطيع أمر الغافلين عن ذكر الله المتبعين لاهوائهم (لها بقية)

(١) لعل الاصل : فنهى الله سبحانه وتعالى نبيه ان يطيع الخ بدليل ما عطف عليه من قوله : وأمره الخ

الخطاب

الذي خاطب به المحكمة الانكليزية العالم العلامة الاستاذ أبو الكلام
إني قد كنت عازماً على أن لا أقدم الى المحكمة بيانا ، لأنها مكان لا رجاء
لنا فيه ، ولا طلب منه ، ولا شكوى اليه ، وإنما هي كمنعرج الطريق الى المنزل
لا بد من قطعه للسابل ، ولذا نقف فيه وقفة على كره منا ، والا لدخلنا السجن توأ
إن الجمعية الوطنية وجمعية الخلافة وجمعية العلماء قد أبجن تقديم بيان الى
المحاكم ، لا للدفاع بل لاعلام الامة بالحقيقة ، بيد أني ما برحت أشير على الناس
بان يؤثروا الصمت على الكلام ، وأن يقاطعوا المحاكم مقاطعة تامة . وذلك
لأنني أرى أن كل من يقدم بيانا لدحض التهمة وكشف الحق — وان كان
قصده به اعلام الجمهور — لا يسلم من الظنة ، اذ يجوز أن يكون في نفسه أدنى
هوى للتخلص من العقاب ، أو في اعماق قلبه أقل رجاء في عدل المحاكم . مع أن
سبيل « تارك التعاون » مستقيم نير ، لا ينبغي أن توسخه الظنون والشبهات .

اليأس التام من العدل

إن « اللاتعاون » نتيجة لليأس التام من الحالة الحاضرة ، وهذا اليأس هو
الذي ألجأ الامة الى أن تغيرها ، وتبديل غيرها بها ، فكان من يقاطع الحكومة
ويأبى معاونتها ، يعلن بانه يئس من عدلها وحبها للحق ، وأنه لا يعترف بها بل
يعدها حكومة غاصبة جائرة وغير شرعية ، لهذا يود إسقاطها وتخطيها . أفبعد
هذا يرجع القهقري فينتظر منها أن تنصفه كحكومة عادلة صالحة للبقاء والدوام ؟
وان غضضنا الطرف عن هذه الحقيقة الثابتة ، فإن السعي للتبرئة من التهمة
ليس الا فعلا عبثا وانكاراً للحقائق . اذ كل بصير يعلم أنه لا رجاء في المحاكم
أن تنصف وتعديل في الحالة الحاضرة ، لا لان رجالها لا يحبون العدل ، بل لانها
سائرة على نظام لا يستطيع معه حاكم أن ينصف أولئك الذين لا تريد الحكومة
نفسها أن تنصفهم

واني ههنا أصرح بان خطاب « اللاتعاون » ليس مع الافراد والآحاد ، بل مع الحكومة ونظامها ومبادئها

موقف أصحاب الحق أمام المحاكم والقضاة !

إن هذه الحالة مثل سائر حالات عصرنا ليست بقذة ، فالتاريخ شاهد على أنه كلما طغت القوات الحاكمة ورفعت السلاح في وجه الحرية والحق ، كانت المحاكم آلات مسخرة بأيديها تفك بها كيف تشاء ، وليس هذا بعجيب ، فإن المحاكم تملك قوة قضائية ، وتلك القوة يمكن استعمالها في العدل والظلم على سواء ، فهي في يد الحكومة العادلة أعظم وسيلة لاقامة العدل والحق . و بيد الحكومات للنجاة أفعى آلة للانتقام والجور ومقاومة الحق والاصلاح

والتاريخ يدلنا على ان قاعات المحاكم كانت مسارح للفظاعة والظلم بعد ميادين القتال ، فكما أهريق الدماء البريئة في ساحات الحروب ، حوكت النفوس الزكية في ايوانات المحاكم ، فشنت وصلبت وقتلت واقت في غياهب السجون . وليس هنالك عصبة صالحة محبة للحق من الانبياء والحكماء والعلماء والصالحين ، إلا ونراها واقفة كالجناة والمجرمين في قاعات المحاكم امام القضاة . نعم انت كرايام ومر العشي قد محاكثرا من مساوىء العهد القديم . فلا يوجد الآن شيء من المحاكم الرومية للقرن الثاني المسيحي . ولا جمعيات التفتيش السرية (Inquisifon) التي كانت في القرون المتوسطة . ولكني لا استطيع الاعتراف بان عصرنا هذا قد نجح من تلك العوامل النفسية التي كانت تعمل في تلك المحاكم — حقا ان تلك الابنية التي كانت مكامن للاسرار الرهيبة قد دكت دكا . ولكن من ذا الذي يقدر ان يقلب تلك القلوب التي تكن فيها الاسرار الخفية لحب الذات والظلم ؟

مقام عجيب ولكنه عظيم !

ان جدول مظالم المحاكم وفضائلها طويل عريض — تلك المظالم التي لم يفرغ (المنازع: ج ٤) (٣٦) (المجلد الرابع والعشرون)

التاريخ الى الآن من البكاء منها - فرى فيه اسم المسيح (ص) الانسان الكامل الذي اوقف مع اللصوص في محكمة اجنبية . وسقراط الحكيم الذي اضطر الى شرب كأس السم و لانه كان اصدق رجل في بلاده . وكذا فلورنس غيللو الذي لم يكذب مشاهداته العلمية لانها كانت جنابة في عين القضاة والمحاكم — وصفت المسيح بالانسان الكامل لاني اعتقد انه انسان . ولكن الملايين من الناس يعتقدون انه فوق هذا — اذن ما اعجب قفص الجناة ! وما اعظم شأنه ! إنه موقف للصنفين معاً : الابرار والاشرار ! حتى انه كان لا ثقا بهذا الوجود العظيم !
حمداً وشكراً

واني اذ أتدبر التاريخ العظيم لهذا الموقف ، وأراي قد شرفت بالوقوف فيه ، يسبح روعي بحمد الله ويلهج لساني بشكره من غير قصد مني ، وهو وحده يعلم ما أجده من الجذل والابتهاج ، اذ أحسبني في هذا القفص محسوداً للملوك والسلطين العظام ، فاين لهم في قصورهم المريحة تلك المسرة والراحة التي يرقص لها قلبي في صدري ؟ وباليك الانسان الغافل والعاكف على هواه ، يشعر بنفحة منها ! واني أقول حقاً إنه لو أدركها الناس لتمنوا المشول في هذا المكان ، ولندروا النذور لاجله !

لم أخاطب المحكمة ؟

إني كنت عازماً على السكوت في المحكمة ولما أحضرت فيها ورأيت الحكومة تقدم في اثبات جرمي الخطبتين اللتين أقيمتا في بعض مجامع (كدكتنا) وهما لا يحتويان على جميع الامور التي ما زلت أكررها في جميع خطبي ورسائلي ومقالاتي التي تعدو الحصر ، والتي ان قدمت كانت اتفع لمقصدها — علمت انها عاجزة حتى عن تهيئة ذلك المستند الذي يعتبر في هذه الايام كافياً لانزال العقاب . مع شدة رغبتها وحرصها على سجنى — فغيرت قصدي وقلت ان العلة التي كانت مانعة من الكلام أصبحت موجهة له ، فأردت أن أثبت بلساني

الامر الذي لا تستطيع الحكومة اثباته مع علمها به وشدة رغبتها في اثباته —
واني أعلم ان قوانين المحاكم لا توجه علي ، ولا تضطرنني الى الاعتراف به من
تلقاء نفسي . ولكن قانون الحقيقة فوق هذه القوانين الوضعية . وهو الذي يسوقني
الى ما سأقوله . اذ ليس من الحق أن نذر شيئا مستورا . لان الخصم لا يستطيع اثباته
الاعتراف بالجناية

ان الاستبداد الذي ابتليت به الهند نوع من ذلك الاستبداد الذي يصيب
الامر في طور ضعفها وهنها . وهو من طبعه يبعث الحركة الوطنية والحرية والمطالبة
بالحقوق بغضا شديدا . لانه يعلم أنها اذا نجحت سقطت قوته الظالمة وامحى وجوده
الفاحش . وما من وجود يحب سقوط نفسه وزواله مهما يكن زواله ضروريا في
عين الحق والانصاف . فالتدافع بين الحرية والاستبداد «تنازع لبقاء» و«تزامم
في الحياة» كل من الفريقين يجد ويكد للفوز والبقاء : الامة تريد أن تنال حقها
المعصوب ، والاستبداد يأبى عليها ولا يريد الترحيل عن مقامه ، ولا تثريب
عليه ، لانه — وان كان وجوده خلافا للحق — يدافع عن نفسه وحياته ، وليس
لنا أن ننكر مقتضيات الطبيعة ، فكما يسمى الخير لبقائه ، يسعى الشر أيضا ، ومهما
يكن ملوما في نفسه لا يلام على رغبته في الحياة

وقد بدأ التزام في الهند بين هاتين القوتين : الحرية والاستبداد — فليس
بيدع أن تكون الحرية والمطالبة بالحقوق جنائية في عين الاستبداد . وأن يكون
محاربو وجوده الباطل جناة وأثمة وأهلا للعقاب الشديد — فمادام الامر كذلك
فاني أعلن على منسمع من المحكمة والحكومة باتي أنا قد ارتكبت هذه الجناية
ارتكابا واقترفت اقترافا . وان كانت الحكومة لا تعلم — وهي لتعلم — فلتعلم
الآن أنني من أولئك الجناة الذين بذروا بذور هذه الجناية في قلوب أمتهم .
ووقفوا حياتهم على سقيها وتنميتها وتشجيرها . بل اني ولا فخر — أول مسلم في
الهند دعا أمة من اثنتي عشرة سنة الى هذه الجناية دعوة عامة ، وحول وجهتها
في خلال ثلاث سنوات عن العبودية التي كانت الحكومة زينتها لها الى الحرية

التي قد أشرقت شمسها الآن ولن تنكسف أبدا . فان كنت آثما في زعمها
فلتعاقبني بما تشاء . فها أنا ذا معترف بالجناية بصدر رحب ولسان طلق ، غير جزع
منها ولا نادم عليها . لان هذا ما كنت أتوقعه وأعرفه من قبل !

واني لا أنتظر من الحكومة إلا الغلظة والقسوة لاني وان ألفتيتها تدعي العصمة
من الخطأ والزلل ولا تعترف بذنوبها . أعلم أنها ما ادعت أبدا أنها مثل المسيح
في لينه وحنانه . فاذن كيف أنتظر منها أن تقبل أعداءها وتحبهم كأصدقائها ؟
واعلم أنها لا تعاملهم إلا بذلك المعاملة التي نراها منها الآن . والتي ، ازال الاستبداد
يختارها للحق الحرية والحق وخنق أصحابه وحماته . فالشدة والغلظة من الحكومة
شيء طبيعي لا ينبغي لنا أن نشكو أو نعجب منه . بل على كل من الحزين أن
يعملا على مكانتهما حتى يفصل الله بينهما وهو خير الفاصلين

(ثم قال بعد هذا انه لم يقبض عليه لاجل الخطبتين اللتين قدمتا في المحكمة
بل ليخلو للحكومة جو كالكتا . كيلا يقاطع احتفال ولي عهد انكلترا عند
قدومه اليها . وتضعف الحركة الوطنية والاسلامية . ثم ذكر أشد ما في الخطبتين
وهو ما يلي) :

أشد ما في الخطبتين

ان الحكومة التي تأسست على الظلم لظالمة وهي إما أن تتوب من ذنوبها
وفظائعها وتخضع للحق وأما أن تزول من الوجود ! «
أيها الناس ! ان كنتم تتألمون لآخوانكم الذين قبض عليهم فعلى كل منكم
أن يبت في نفسه الآن : هل هو راض بان تظل هذه الحكومة قائمة في بلادنا
كما كانت عند القبض على آخواننا ؟

اذا كنتم تريدون تحرير بلادكم من رق العبودية فطريقته واحدة وهي أن
لا تدعوا فرصة لاعدائكم المكارين لاستعمال أسلحتهم القتالة التي عندهم في
حساب . . .

إني أرى بعض الناس يظن أن الخطيب إذا قام بمثل هذه الأقوال يحتاج لنفسه ، وإلا فإنه بالحقيقة لا يقصد بها شيئاً ، ولكنني أيتها الأخوان أعتقد أنه ليس فيكم أحد يحسب أولئك الذين يتعبون لاجلكم خوفاً من السجن أو الاعتقال ، أو مخلصين لهذه الحكومة الظالمة في نفسها وقوتها بقولهم إن أعمالنا يجب أن تكون بالامن والنظام — لا ، لا ، لا ، إن هذا لا يتصور أبداً ، بل الحق الذي لا مرأى فيه أنهم يقولون ذلك لأنهم يريدون نجاحكم متوقفاً على الامن والنظام إذ أنتم لا تملكون تلك الآلات الجهنمية التي تتسلح بها هذه الحكومة ، وإنما الأسلحة التي لديكم هي الإيمان والضمير وقوة التضحية — فاستعملوها في وجهها تنجحون . ، وإلا فلا نجاح لكم بالأسلحة المادية »

أيتها الناس ! إن كنتم تريدون أن تعزلوا الحكومة برهة من الزمان فطرقه كثيرة ، ولو كنت لا سمح الله من المحبين للحكومة لبحث بها ودعوتكم إليها ولكن الذي أريده منكم هو (الحرب الحرب) الحرب التي لا تنتهي في يوم واحد بل تمتد الى يوم الفصل ، وما أدراك ما يوم الفصل ؟ اليوم الذي إما أن تمحى فيه هذه الحكومة الجائرة وإما أن تفني ثلاثمائة مليون من النفوس البشرية !

الاعتراف فوق الاعتراف

إن كانت هذه التصريحات (جنائية) فإني معترف بأن قلبي قد اشتغل بها ولساني نطق بها وإني أنا الذي صرحت بها أمام عشرات الألوف من الناس ، ليس في هاتين الخطبتين فقط بل في خطب أكثر من أن تعد وتحصى ، بل ما صرحت أقول أكبر وأشد منها ، ذلك بأنني أعتقد أن الصدع بها واجب علي ولن يمنعني من أداء الواجب كونه معاقباً عليه بقانون ١٢٤ من القوانين الهندية (١) بل إني لأجدني الآن مدفوعاً الى التصريح بها أمام المحكمة ولا أزال قائلاً بها

(١) أن مادة ١٢٤ هذه مثل المادة ١٥١ من القوانين المصرية الخاصة بالذين يحرضون على كراهية الحكومة بأي واسطة من وسائل النشر أو الصور أو الكلام أو الخطابة الخ (المترجم)

مادام لسانى بين أسنانى ، وروحي في حثانى - وإن لم أفعل ذلك أكن ظالما
لنفسى وعاصيا عند الله وعند الناس أجمعين !
الحكومة الحاضرة « ظالمة ! »

نعم انى قلت « ان الحكومة الحاضرة ظالمة » وان لم أقل هذا فماذا اقول
يا ترى ؟ وأيم الله انى لا عجب كيف يطلب منى أن أسمى شيئا بغير اسمه وأن
أدعو الاسود بالابيض ؟

ان ما قلته هو اهون ما يجب ان يقال في هذا الباب ، اذ لا اعلم حقيقة
ملفوظة اخف منه

لا ريب انى ما زلت اقول انه ليس الا ان تتوب الحكومة من آثامها وتغير
خطتها وترجع عن ظلمها فان لم تستطع فبعدا لها وسحقا ! وليت شعري ماذا
يقال غير هذا ؟ الشر اما ان يصلح واما ان يزول ، وهل بينهما طريق آخر ؟ ان
هذه الحقيقة قديمة العهد طويلة العمر لا يضاهيها في الكبر الا الجبال والبحار
وانى ما دمت اعتقد ان هذه الحكومة من اولها الى آخرها شر على شر فكيف
استطيع ان ادعو لها واقول : دومي ولا تصالحي
لماذا أعتقد هذا ؟

لماذا اعتقده انا وملايين من ابناء وطني واخوان ديني ؟ الجواب اصبح الآن
واضحا جليا حتى يصح ان يعبر عنه بقول الشاعر الانجليزي (ملتون) : انه بعد
الشمس اوضح شيء واجلى محسوس . على انى اصرح ههنا بأنى اعتقد ذلك لانى
هندي ولانى مسلم ولانى انسان

الحكم الشخصي ظلم بالذات

انى أعتقد أن الحرية حق طبيعى لكل انسان ولكل أمة ، فطرة الله التي
فطر الناس عليها - وليس لشخص أو حكومة أن تستعبد عباد الله وتتخذهم خولا -
وسم الاستعباد والرق بأي اسم شئت ، غير أنه على كل حال استعباد ورق ،

ومشيئة الله وباموسه يمتته وينفيه ، واني لاجله لا أعترف بالحكومة الهندية الهندية ، بل أعدها حكومة غير شرعية ، لانها مستبدة طاغية ، استعبدت البلاد وفهرت العباد ، داست الشرائع وخانت المواثيق ، ليسخطها الشعب ويمجها الحق ، فهي معدومة في نظر الامة وان كانت موجودة بقوة السلاح ، وأرى واجباتي الدينية والوطنية والانسانية تطالبني بأن أحرر بني جلدتي من رقها وعبوديتها الشائنة .

ولا يفاطم كلامي « بالاصلاحات الادارية » و « الترفي التدريجي » كلمات خطتها الحكومة وزخرفتها لتخدع به البله والحمقى — أما أنا فلا أخدع بها ، إذ الحرية في اعتقادي حق طبيعي للانسان ، وليس لاحد أن يحدد ويقسم في تأدية الحقوق ، وان مثل الذي يقول ان أمة تنال حريتها تدريجيا كمثل الذي يقول للذائن برد اليك الدين قسطا قسطا ، نعم ان لم يستطع أخذه دفعة واحدة يضطر الى قبوله بالاقساط . ولكن لا يسقط به حق الاخذ مرة واحدة

« الاصلاحات » وما هي « الاصلاحات ؟ » وان هي الا كما قال الفيلسوف الروسي تولستوي : أن أبيع للمسجونين انتخاب سجنهم بالاصوات ، فانهم لا يصيرون به أحرارا »

الحكومة الحاضرة حسنة أو قبيحة ؟ سؤال ثانوي ، أما السؤال الاسامي فهو : هل وجودها حق وشرعي ؟ فاني أعتقد ان مثل هذه الحكومة الاجنبية المتسلطة ، باعتبار أصل خلقتها غير شرعية ، لان نفس وجودها ظلم وشر ، فهي لو لم ترتكب جميع تلك الفظائع التي ارتكبتها بهذه الكثرة ، لكانت في اعتقادي ظالمة وجائرة ، ويكفي لقبحها وشذاعتها أنها موجودة — نعم نعتف بحسناتها ان كانت لها حسنات ، ولكن يظل وجودها على كل حال ظلما وغير شرعي — ومثاله أن لو تسلط أحد على بيتنا وأدارها إدارة حسنة وعمل أعمالا صالحة ، فانه بهذه الحسنات لا يصير تسلطه حقا وشرعيا

ان الشر يصح أن ينعت ويقسم بالسلم والكيف ، فتقول « كم هو وكيف

هو؟» ولكن لا يصح نعته وتقسيمه بالحسن والقبیح ، فلا تقول «أحسن» هو أم قبیح؟» نعم يقال «سرقة قبیحة» و «سرقة أقبح» ولكن لا يقال «سرقة حسنة» و «سرقة قبیحة» وهكذا الاستبداد ، فاني لا أستطيع أن أتصوره حسنا وشرعيا في حال من الاحوال ، لانه بذاته ووجوده قبیح وشر وغير شرعي نعم ربما يوجد نوع من الاستبداد أخف وطأة وأقل ظاهرا وأكثر لينا من غيره ، ولكن الاستبداد الذي دهم الهند لم يقف عند قبیحه الخافي ، بل مازال يكتسب السيئات فرق السيئات ، والمنكرات تلو المنكرات ، ظلمات بعضها فوق بعض ، فاذن كيف لا يعلن ظلمه ولا يشهر قبیحه ، ولا يشدد النكير عليه ؟ للكلام بقية

﴿ انتداب العرب في سويسرة ﴾

في القرون الوسطى

حظرة تاريخية من قلم الامير شكيب ارسلان الشهير

٣

آثار العرب في سويسرة

لم نزل للعرب آثار كثيرة في سويسرة منها برج السارازين (لا يخفى أن لفظة سارازين كان يطلقها الافرنج على المسلمين في القرون الوسطى واختلفوا كثيرا في أصل هذه الكلمة وكيفية اشتقاقها وقرأت في رحلة ابن بطوطة أن الملك الرومي الذي كان في القسطنطينية سأله هل أنت سرا كنوا؟ قال وهذا اللفظ معناه المسلم بلغتهم) وهو بزج بقرب بلدة فيفاي بجوار (مونثروا) من مقاطعة (لوزان) . ومما ينسب اليهم مغارة وكهف في جهات لوستس وقال بعض المؤرخين ممن تقل عنه كار . من المحقق أن عصائب العرب زحفت الى (الجوزة) وبحيرة جنيف وانه لم يوجد من مؤرخين من يذكر دخولهم

الى روراسيه) وكانت كتبنا صامتة عن ذلك — فالتواتر ورواية الاخلاف عن الاسلاف متصلة بالسند تقومان مقام ذلك ، وكثير من أسماء هذه البلاد تدل على وقوع هذه الغزاة

وعلى نصف ساعة من دقلية في الجبل من جهة الشمال الغربي على مقربة من الطريق الروماني المؤدي من دلبون الى آجوا يوجد مضيق بين جندلين اسمه كهف (السارازين) . وشيوخ دقلية يروون عن آبائهم واجدادهم خلفاء عن سلف أن هذا المكان كانت أقامت فيه شرذمة من (السارازين) كانوا يوردون جهالم (يظهر أنه أينما تكون العرب تكون الجمال ولو في قلب أوربا) ماء سورن بقرب كورتتل — وهذا اسم طريق روماني مهجور الآن ثم على أحد صخور غار السارازين عدد ٢٣ منقور تقرا غريبا بأرقام عربية ولا يعرف السبب في نقر هذا العدد خاصة لا نقطاع سند التواتر وعدم وجود تاريخ لذلك وإنما المعروف أن العرب كانوا مقيمين هناك دركا . ثم انه بقرب روسميزون تجاه جبل شبت يوجد طريق اسمه طريق السارازين

ثم انه يوجد في بلاد البيامون ووادي ساس في الجبل طريقان أحدهما يمر من فور كيتل مخترقا يمر أنثرونه والثاني يمر من مونتومورو أي جبل المورو — وهو المسلم المغربي في عرف الافرنج — وكل من المضيقين كان الى سنة ١٤٤٠ يقال له الامر القديم ويقول فرديناند كار نقلا عن المؤرخين انه مما لا يجوز أن ننساه أن المعاهدة التي عقدها الملك هوغ كونت بروفانس مع العرب كان من جملة شروطها سد جميع المضائق والثنايا الا ثنية سان برنار فقط ، فلذلك ترى هناك محلا اسمه « الماجل » وهو بدون شك محطة بريدية ، وتجد في وادي ساس مكانا يسمى « ألالين » وهو « العين » وهناك ماء على الطريق في أعلى الوادي كما أن في شرقي الوادي عين ماء اسمها Eienapi أي عين الالب

وفي غربي وادي ساس محل اسمه ميشابل وهو حسبما يظن الاستاذ هيتسيف محرف عن « مشبل » أي اللبوة التي معها اشبالها بدليل أن هناك غربي (المنار : ج ٤) (٣٧) (المجلد الرابع والعشرون)

ممرسيميلون جبلا اسمه جبل الاسد . ونحن نظن أن الاسم هو مشايل كما يلفظونه الآن لامشيل ، وهو جمع مشيل اسم مكان كقولك مأسدة ، أو هو مشايل جمع مشبول ، ومكان مشبول كثير الاشبال ومن أكثر الاشياء في تلك الجهات التي جال فيها العرب اسم « مورو » الذي هو كما تقدم اسم المغربي عند الافرنج لان الرومان كانوا يسمون المغرب الاقصى « موريثانيه » فمن ذلك جبل مورو الذي عند فرا كسينة وعليه قصر من آثار العرب ويوجد ممراسمه مورو باس في ناحية ماكوغناغه في الپيامول . كذلك في وادي قال له وادي انزا (ولعله وادي العنزة) محل يقال له « ميا دلمورو » أي قننة المغربي وهو الى الشمال من بريسبنون وفي جبل سان برنارغر بي الدير الشهير قننة شاهقة اسمها موتيمور وما عليه اسم « سارازين » شيء لا يكاد يحصى ، ذكر المسير ادوارد كلرك في تاريخ ولاية « فرانش كونته » بفرنسة أن الاسماء المضافة الى سارازين كثيرة في تلك الولاية قال : عندنا خمسة كهوف يسمى كل واحد منها بكهف السارازين وجسران اسم كل منهما جسر السارازين . وثلاثة قصور كل منها يقال له قصر السارازين . وطريقان كل منها منسوب الى السارازين . وسد طاحون منسوب الى السارازين . وواد صغير يسمونه وادي السارازين . وجندلان كبيران كل منها يقال له صخر السارازين . وباب يرفع ويخفض من آثار السارازين ، وقرية اسمها ساراز . وهناك أيضا حائط السارازين ومعسكر السارازين الخ وأمثال هذه الاسماء يجدها الانسان في مقاطعة بريس وفي الليونه فمن ليون الى حدود فرنسة الجنوبية تكثر الابواب التي ترفع وتخط امام القلاع وكلها منسوبة الى السرازين ويقول هؤلاء المؤرخون الذين أثرناء عنهم ما تقدم من تاريخ العرب في سويسرة انه كان للعرب قدرة بالغة على البناء وتشيد الابراج وتحصينها وإحكام اقفالها وقد تركوا آثارا بديعة مدهشة فني ايطالية وغربي سويسرة لاتزال جدران كثيرة مبنية بالحجارة الكبرى من بناء العرب ، وفي كل بناء تركوه ظهر أنهم أهل هندسة وقوة حيلة يعجب بها كل من تأملها فتركوا بهذه الآثار ذكرا عظيما بين الاهالي

ثم انه قد وجدت في سويسرة مسكوكات كثيرة عربية واكثرها من مسكوكات الاسلام في افريقية منها ضرب سنة ١٦٩ للهجرة ومنها ضرب ١٨٢ للهجرة واكثرها من عصر هرون الرشيد وقسم منها مضروب في القيروان ، ويظن أن اكثر هذه النقود وصلت الى سويسرة بواسطة الدورماندين وكذلك وجدت في بلدة مودون من سويسرة مسكوكات منها من سنة ١٧٠ للهجرة مضروب في افريقية ومنها ضرب اسماعيل بن احمد في أيام الخليفة المعتضد سنة ٢٨٣ للهجرة ومنها ضرب في بغداد سنة ٣٦١ هجرية مكتوب على بعضها من الوجه الواحد « لا إله الا الله وحده لا شريك له . ركن الدولة أبو علي بويه . ومن الوجه الآخر : باسم الله قد ضرب هذا الدرهم في مدينة السلام عام ثلاث مائة وأربع وستين . ووجد على بعضها : محمد رسول الله ، الطائم لله الملك العادل عضد الدولة أبو شجاع . ويظن أن هذه المسكوكات وصلت بواسطة الحروب الصليبية أو عن طريق التجارة ومما وجد من آثار العرب في سويسرة ثوب حريري مطرز في دبر بقرب (شور) يستعمله القسوس في القداس عليه كتابات عربية مطرزة بالقصب ولا شك انه قبل أن يصير ثوبا كنسيا كان خلعة ملوكية أو خلعة لاحد الامراء وقد أتى المسيو سانستر دوساسي في كتابه المنتخب من تأليف العرب في الصفحة ٣٠٥ على بحث دقيق يتعلق بهذه المنسوجات العربية الفاخرة فقال ما ترجمته

« عرفنا منسوجات كثيرة من هذا النوع الذي يسميه ابن خلدون بالطراز منها المعطف الذي كان يلبسه قياصرة ألمانية عند تنويعهم فهذا الرداء عليه كتابات عربية منسوجة بخيوط ذهبية وقد قرأها وترجمها المسيو تيسشن فظهر انه نسج في بلرم في دولة الملك روجر (والعرب يقولون رجار) سنة ٥٢٨ هجرية أي ١١٣٢ ميلادية ونجزم بانه في أيام رجار لان الكتابات ليس فيها شيء من آثار الدين الاسلامي . ومنها قطعة حريرية مطرزة بالذهب مخروطة في خزائن ذخائر كنيسة (نوتردام) الكبرى ياريز بديعة الصنع مكتوب عليها اسم الخليفة الحاكم بأمر الله المتوفى سنة ٤١١ للهجرة . ثم قطعة ثالثة شبيهة في النعاسة بالثانية وجدت في ضريح

٢٩٢ الانتداب العربي في أوربة والاوربي في العرب المنار ج ٤ م ٢٤

بسير سان جرمان المروج عليها كاهنتان عربيتان مكررتان مرارا . كذلك في مؤلف
ظهر على آثار بارم باللغة الايطالية طبع في نابلي سنة ١٨١٤ مذكورة كتابة عربية
وجدت على اكام القميص الذي وجد في خربج الامبراطور فريدريك الثاني
المتوفى في ١٣ ديسمبر سنة ١٢٥٠ كذلك يذكر المسيو (دومور) سجادة عليها كتابة
عربية نسجت في مصر في زمان الخليفة المستعلي بالله وذلك يكون بين سنة ١٠٩٤
وسنة ١١٠١ الميلاد وهذه السجادة هي في خزانة آثار الفاتيكان الآن (أي في
زمان دسامي وهذا عاش بين سنة ١٧٥٨ وسنة ١٨٣٨)

قد نقلنا كثيرا من هذا التاريخ عن الميسورينو الفرنسي وهو من المستشرقين
المشهورين كان عضوا بالمجمع الملكي للآثار والآداب وأحد حفظة الكتب
الشرقية المخطوطة في مكتبة باريين الملكية وتأليفه المسمى غارات العرب في جنوبي
فرنسة وفي البيامون (شمالي ايطالية) وفي سويسرة طبع بباريز سنة ١٨٣٦ وقد
طبع منه نسخة في مكتبة منيخ عاصمة البافيار وذلك سنة ١٩٢٠

وأما المؤرخ الالماني الذي اعتمد عليه (فرديناند ككر) فهو (ايودبراند)
المؤرخ الشهير القديم العهد ولد سنة ٩٢٢ في لومباردية من أصل شريف ونشأ
في بلاط الملك هوغ المار الذكر في بافيار سنة ٩٤٥ وعندما نفى الملك هوغ
دخل (ايودبراند) في خدمة (برانجر) خلفه وقد سافر لبرانجر هذا الى ملك
القسطنطينية وكانت وفاته سنة ٩٧٠ والف كتابين باللاتينية أحدهما اسمه « معالي
الامبراطور أوتون الكبير » والثاني اسمه « سياحتي الى القسطنطينية » ملاء
هزوا بدولة بيزنطية وصنف كتابا اسمه « الانتقام » كله نكبات ونوادر على
أبناء عصره . وفي زمانه كانت وقائع العرب في سويسرة

هذا ما اتصل اليه علمنا من تاريخ اقامة العرب بسويسرة ، أو بالاحرى
« انتداب » العرب لادارة تلك البلاد في القرن العاشر . فان قيل انك تعرض بما تسميه
دول الخلفاء اليوم انتدابا على سورية وفلسطين والعراق وهذا لا يشبه ذلك أجبتنا
انه لا يوجد أدنى فرق بين الانتدابين ، فاذا كان العرب سفكوا دماء بسويسرة

فهو ولا شك أقل جدا مما سفكه الحلفاء في سورية والعراق واذا كان أخذوا جماعة بثأر واحد فالحلفاء لم يتوقفوا دقيقة واحدة عن تدمير قرى بشماها ورمى القنابر الديناميتية على النساء والاطفال والعاجزين وحصد رؤوس الالوف لاجل الانتقام من عمل رجل واحد أو عصابة مؤلفة من بضعة رجال وان قيل ان العرب في سويسرة سلبوا ونهبوا فهل اذا تأمل المُنصف ادارة الحلفاء في البلاد الشرقية التي احتلوها وما جمعوه منها من الذهب وما وزعوا من الاوراق المالية بدون ضمان وما حملوا الاهلين من المغارم وما استأثروا لانفسهم من معادن البلاد وأصناف مرافقها يجد شيئا غير السلب والنهب ؟ وزد على ذلك شيئا وهو أن العرب لم يخدعوا أهل سويسرة في القرون الوسطى بقولهم انهم حلفاؤهم وانهم إنما جاؤهم لتحريرهم من رقي الاجانب حتى اذا انكشف الغطاء عرفوا انها خدعة وظهرت الذئاب من تحت أصواف الحملان كلا كان عمل العرب في سويسرة أشرف وأبعد عن اللؤم ولم يكونوا مع ذلك دولا عظاما بل شردمة صعاليك لا يعيهم ما يعيب الدول العظام (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) شكيب أرسلان

في ١٥ ابريل سنة ١٩٢٢

(المنار) :إننا نود لو يكون للقراء من العبرة بهذه الاثارة من تاريخهم ما هو في نظرنا أهم من المقارنة التي ختمها بها الامير الكاتب مراعاة لمقتضى الحال . وهي المقارنة بين أحوال الامة في طور حياتها واقبالها ، وطور ضعفها وادبارها . تتقاذف الامواج برهط من صعاليك العرب لا يتجاوز عددهم أصابع اليدين فتلقيهم بسواحل بلاد لا يشاركون أهلها في لغة ولا دين ، ولا تربطهم معرفة ولا عهد ، فيكون من أمرهم وأمر شرادهم تتبعهم ما استخرجه لنا الكاتب من أسفار تواريخهم من عزة ومنعة ، وتمكن في الارض ، وقتال أو اجارة للامراء والملوك ، وفرض الضرائب والمكوس ، واقامة للصروح والحصون ، - ثم يكون من أمر هذه الامة أن يذل ألوف الالوف منهم في عقر دارهم ، ويسلمون قيادهم فيها لاعدائهم

باختيارهم ، حتى يكون من مثل أمير الحجاز تلك البلاد المقدسة التي تحترمها الدول الكبرى ولا تدنو منها بسوء أن يقترح باختياره على الدولة الانكليزية أن تنتزع البلاد العربية حتى المقدسة من الترك وتجعلها تحت حمايتها - وأن يكون هذا الاقتراح في الوقت الذي كانت فيه هذه الدولة تتوقع محو اسمها من الدول العظمى بقوة الحلف الالماني التركي حتى لو أجمع العرب أمرهم واقترحوا عليها الاعتراف باستقلالهم المطلق ومساعدتهم عليه ولو في مقابلة عدم مساعدة الترك عليها - فضلاء عن مساعدتهم على الترك - لقبولوا شاكرين (فاعتبروا يا أولي الابصار)

باب المراسلة والمناظرة

جاءتنا الرسالة الآتية في مسألة تسويد النبي (ص) في العبادات المشروعة ومسألة التوسل فنشرها مع الوعد بنشر ما يجيئنا من رد عليها تراعى فيه آداب المناظرة

(إمامة الشام ، عما علق بأذهان بعض المنتسبين الى العلم من الاوهام)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله الهادين المرشدين « أما بعد » فانا نحرر هذه الرسالة قياما بما أوجبه « الدين النصيحة » في الكشف عن مسألتين خلط فيهما بعض من ينتسب للعلم (الاولى) راجعة الى الاحكام (والثانية) راجعة الى العقائد

موضوع الاولى (تسويد) النبي صلى الله عليه وسلم وقضاؤنا فيها أن من أتى بها في الصلاة أو في الاذان أو في دعاء مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم على أن تكون من شرع الله ودينه فهو مبتدع ، وفي الاولين مبطله لهما ، وفي الثالث مكروهة كراهة نحریم وقد رأينا أن نجري على ما كان عليه المحدثون الاولون في الارشاد فنقدم الادلة على هذه الامور الثلاثة . التسويد في الصلاة

وما بعدها تطبيقاً للفروع على الأصول وإن كانت أحوال المناظر وقوانينها تفضي على المثبت بأقامتها لا علينا كما هو معروف عند الأسرلين وسواهم إن المثبت لا مره والمدعي المطالب بأقامة الأدلة على دعواه أما الثاني فيكفي أن يقول لم يرد ونحوه فنقول :

إن مرجع الأحكام إلى واحد من أربعة أمور أو خمسة على الخلاف في الاستحسان والمصالح المرسلة (١) كتاب الله (٢) صحيح السنة أو حسنها أو ضعيفها فيما يتبع المباداة المعروفة عندهم بنضائل الأفعال الخالي عن ورود شيء فيه من النوعين الأولين (٣) الإجماع بأنواعه ولا سيما الثابت عن الصحابة (٤) القياس الصحيح فيما لا نص فيه « دمج الاستحسان والمصالح المرسلة » أما الكتاب فلا تعرض لما فيه إذ لم يذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم إلا مجرّداً منها وأما السنة فهي نافذة لأن الصلاة هي النبي صلى الله عليه وسلم المذكورة بعد التشهد على اختلاف الروايات فيها حال تعلّم النبي صلى الله عليه وسلم أيادها للصحابة خالية من تسويد ، وكل من الأذان والعلامة على النبي صلى الله عليه وسلم أو قيني ثابت بعد كتابته ولم يذهب أحد من الأربعة ولا غيرهم من علماء المسلمين منقادهم وبنّاخريهم إلى جواز ذكرها في الأذان ولا في الأقامة ، وأما بعد التشهد قال كثير من أئمة الأئمة على عدم جوازها كما سيأتي بيانه بعد منسلاً لا يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم تركها تواضعاً فقاموا بوجوبها أو سمرت ولو استحباباً أو جوازاً لوجب على النبي (ص) تبليغها أو جاز ولا لم يؤد وظيفته البلاغ كما أمره الله تعالى بقوله (بأخ ما أنزل إليك من ربك) الآية خصوصاً وأنه في مقام البيان بعد سؤال الصحابة (رض) عن كيفية الصلاة عليه المشروعة بقوله (إن الله وملائكته) الآية ، رواد مسلم وغيره ، وإيضاً فهي مخالفة لقوله (ص) « صلوا كما رأيتموني أصلي » رواد البخاري ولقد فهموا رضي الله عنهم ما أراده ونعم ما فهموا ، ولذلك استنبأنا عن الأتيان بها ولو كانت غير مبطلة فضلاً عن كونها مندوبة كما يزعم البعيد عن معنى كونه (ص) مشرعاً وكونهم محتلين كما قلنا

الاتيان بها وهم أفضل الامة وأكثرها أدبا وقدره لمن بعدهم الى يوم القيامة وان اتفاقهم على عدم الاتيان بهامن غير انكار أحد منهم على أحد مع ما هو معروف عنهم من اكباره (ص) واجلاله هو أبلغ اجماع على عدم الاتيان هذا وقد روى النسائي عن عبد الله بن الشخير (رض) انه قال انطلقت في وفد من بني عامر الى رسول الله (ص) فقلنا أنت سيدنا فقال رسول الله (ص) « السيد الله » قلنا وأعظمنا وأفضانا قال « قولوا بقواكم أو بعض قواكم أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي رفعتني الله عز وجل » فهذا الحديث صريح في نفيها من وجهين الاول دلالة الفحوى فانها أحدى طرق القصر وذلك قوله السيد الله فانها جملة معرفة الطرفين مفيدة للحصر ولهذا وقع الرد بها في القرآن رداً على الحصر بانما في قوله تعالى: ألا إنهم هم المفسدون » رداً لقولهم (انما نحن مصاحون) وأمثال هذا كثير: الوجه الثاني بالمنطوق وهو قوله (ص) ما أحب أن ترفعوني الخ ومنزله بالحصر « محمد رسول الله » وقوله (وما محمد الا رسول) وأمثال هذا

فقد تبين من هذا أن كلا من الكتاب والسنة والاجماع يمنع الاتيان بها ولا يجترىء مسلم على القول بان الصحابة (رض) اجتمعوا على منكر وهو ترك شيء من الدين، ويهديم اهتدى التابعون لهم باحسان فمن بعدهم حتى دب الفساد في المسلمين، وغابت الاهواء على أئمة الدين، فجاءوا بالاستحسان والمصالح المرسله فنزلوا سلطان الدين من النفوس (١) حتى صار لا يسمع الا قول فلان وفلان وصار الذين وضعوا فكربا لا وضعاً الهياً

وأما القياس فهو بنفيها أشبه وان لم تكن اليه حاجة بعد النصوص لانه انما يستدل به فيما لا نص فيه وقد قدمنا النصوص من الكتاب والسنة والاجماع.

(١) المنار: ان مراعاة المصالح المرسله في الاحكام الشرعية قال بها الامام مالك وهو عنده خاصة بالمعاملات القضائية والسياسية دون العبادات التي جعل مدار اثباتها على الاتباع المحض وهو الحق

ومع ذلك فهو قاطع في نفيها وانورد على ذلك بعض الامثلة : لا يجهل أحد أن أفضل ما ينطق به لسان هو القرآن الكريم وقد أجمعوا على أنه لو أتى به في ركوعه أو سجوده كان محنة ناسنة وقد روى مسلم في صحيحه أن رسول الله (ص) رفع سجدته حجرتة في مرضه الذي مات فيه فأشرف على الصحابة وهم متأهبون للصلاة فقال : نهيت أن قرأ القرآن راكعاً أو ساجداً « ولا يقال انه نهى عنه لاطنة الركوع والسجود لان كثيره وقليله سواء في النهي ولانه لو أطلهما بالتسبيح بقدر سورة بفترة ولاسيما في النوافل لما بطلت صلاته، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قرأ في ركعة واحدة بفترة ثم النساء ثم آل عمران ثم كان سجوده قريباً من ركوعه المذكور « رواه مسلم . فالسيادة التي ليست بذكر ولم ترد في شيء مما تقدم من لادة أولى بالمنع

مثال آخر : قال الامام النووي في شرحه حديث كيفية تعليم النبي (ص) للصحابة (رض) أن يصلوا عليه ما حاصله : ان قول القائل في الصلاة ورحمتك قبل واركعت وبعدها غير جائز ون وردت في حديث غريب لان العبادة لا يؤخذ فيها الا بالحديث الصحيح أو الحسن الخالي عن علة كالغربة ونحوها اهـ فالسيادة أولى بالمنع لعدم وروده ولا في حديث موضوع بل ورد النهي عنها كما تقدم في حديث النسائي فهي إحداث محض في الدين (١) مردودة على محدثيها

(١) صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أما بعد فن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد (ص) وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار »

وقد عرف الامام الشافعي رضي الله عنه البدعة بما نصه (مأحدث وخالف كتاب أو سنة أو إجماع أو أثر) فهو البدعة الضالة (وقد بينا أن تسوية النبي (ص) في الصلاة والأذان والدعاء المذكورين يرد في واحد من الاربعة التي ذكرها الشافعي في تعريف البدعة اهـ من حاشية الأصل

عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة، يشهد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي رواية. من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» مسلم عن عائشة (١)

هذا ما يتعلق بها من حيث الاصول الاربعة المعول عليها . ولنرجع اليها من حيث الفروع فنقول : مذهب الشافعي أن كل كلام أجنبي أي غير مشروع مبطل للصلاة ولو حرفا مفهما أو حرفين وان لم يفهما . وقد تبين مما تقدم أنها كلام أجنبي بالمعنى المذكور والقول بالبطلان ليس بدعا منا بل هو قول المحقق الطوسي من أئمة الشافعية وقد نقل هذا العلامة الكردي المدني في حاشيته على شرح ابن حجر الهيتمي قال ما محصله : اختلف في تسويد النبي (ص) عقب التشهد فتيل بجوازه تأدبا وقبل بكرائه وقيل بحرمته وقال الطوسي من أئمتنا انها مبطله . قال الكردي بعد هذا ولعل الطوسي غلط اه وقد تبين مما تقدم أنه الحق وأما تغليظه اياها فهو مبني على ما قدمه من جوازها تأدبا وعلى ما قاله بعض المتأخرين من الشافعية وهم شذوذ بالنسبة الى المتقدمين لان القول بجوازها تأدبا يؤدي الى رفع الادب عن الصحابة والتابعين اهم باحسان وهو مالا يجتريء على القول به ذودين

هذا ولم يقل بجوازها أحد من الائمة الاربعة ولم ينقل عن أحد من أصحابهم القول بالجواز . هذا ما يتعلق بها من حيث الفروع والاصول . وان فيه لمقنعا لمريد الحق المنصف

مسألة التوسل

والمسألة الثانية من الرسالة موضوعها ما ادعاه بعض من انتمى الى العلم من سنية التوسل مرتسكنا فيه على حديثين أحدهما « اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك » الثاني ما ورد في تفسير الكلمات التي تلقت آدم أو تلقاها في قوله تعالى (١) اللفظ الثاني انفرد به مسلم ورواه احمد أيضا وأما الاول فمتفق عليه

(فتلقى آدم) الآية وأنا نتكلم على كل من الحديثين ثم نفصل المسألة من حيث المنقول فيها عن الأئمة بالاجتزاء فنقول في شرح الحديث الأول « وخير ما فسرت به بالوارد » جاء من حديث معاذ عند مسلم ما يخصه « ان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيء وان حقهم عليه اذا هم فعلوا ذلك الا يعذبهم » فمعنى حق السائلين أي العابدين المخلصين في عبادتهم كما يؤخذ من الحديث هو أن تشملهم رحمته وحينئذ يرجع معنى الحديث الى ان رسول الله (ص) سأل الله أن يدخله في رحمته لانه خير عابد مخلص بصفة من صفاته الذاتية وهي الرحمة المبينة في حديث « ان رحمتي سبقت غضبي » وسؤال الله بصفة من صفاته لاشيء فيه وليس هو توسلا بذات مخلوق أو عمله بل هو سؤال بجزائه على عمل الانسان نفسه في مقابلة عمله كما يوضحه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ « اذا هم فعلوا ذلك » فاذا كان معنى الحديث ما قدمناه لم يدل على سنية ما زعم من التوسل ولا على جوازه. وانا ننقل عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم خصوصا أئمة المذاهب الاربعة وأصحابهم عدم الجواز

رأي أبي حنيفة وأصحابه

قال ابو حنيفة وأصحابه لا يجوز أن يسأل بمخلوق ولا يقول أحد أسألك بحق أنبيائك . قال ابو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي بعد أن ذكر ما تقدم ما نصه : وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة قال بشر بن الوليد حدثنا أبو يوسف عن أبي حنيفة انه قال لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ، وقال أبو يوسف أكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام وقال القدوري المسألة بخلقه لا تجوز لانه لاحق للخلق على الخلق فلا يجوز وفاقا وما يقول فيه ابو حنيفة وأصحابه أكره كذا هو عند محمد حرام وعند أبي حنيفة وأبي يوسف الى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب

رأي الشافعية

في فتاوى أبي محمد العز بن عبد السلام ما نصه: لا يجوز سؤال الله بشيء من محبقاته لا الأنبياء ولا غيرهم: ثم قال: وأتوقف في جوازه بنبينا (ص) لاني لا أعرف صحة الحديث فيه، والحديث الذي يشير اليه هو «توسلوا بجاهي فان جاهي عند الله عظيم» (١) حديث باطل باتفاق الحفاظ، ونقل ابن القيم ان الدعاء عند القبر والصلاة عنده والتسبح به لانه قبر فلان الصالح بدع منكرة باتفاق أئمة المسلمين. وان ما ينقله بعض الجهالة من دعاء الشافعي عند قبر أبي حنيفة كذب ظاهر اه: ونقل الثوري عن الشافعي ما نصه أكره أن يعظم مخلوق واصطلاحه في مثل هذه العبارة معروف وهو التحريم، ولم ينقل عن مالك وأحمد في المسألة شيء سوى السلام على النبي (ص) وصاحبيه (رض) لمن وجد عند القبر، بل نقلت ما افقتهما لغيرهما من الأئمة كما تقدم عن القدوري وابن القيم اه الكلام على أحد الحديثين

وأما على الثاني فقد قال السيوطي في تفسير الكلمات من قوله تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات) الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما أذن آدم الذنب الذي أذنبه رفع رأسه فقال: أسألك بحق محمد الاغفرت لي، فأوحى الله اليه ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله، فلمت انه ليس أحد أعظم قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله اليه يا آدم انه آخر النبيين من ذريتك لولاه ما خلقتك» رواه الطبراني وابو نعيم والبيهقي وابن عساكر والحاكم وانفرد الاخير بتصحيحه اه يرويه جميعهم عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه عن جده عن عمر

(١) المنار الذي نجزم به ان سلطان العلماء لا يخفى عليه أن هذا الحديث موضوع وانه إنما عني حديث الاعمي والرواية التي تدل على مذكر من رواياته ضعيفة كما حققه شيع الاسلام في كتاب التوسل والوسيلة

ابن الخطاب يرفعه ولم يثابره السيوطي عنه أحد من المفسرين بالمشهور كابن جرير
والمؤلف ابن كثير وغيرهم وهو الذي أنتمى قول "وإنك العلاء" في تفسير الآية
لاحتجاجنا إلى عدة ررق ولكن نكتفي بأنهم أهملوا ما قال السيوطي - واستناد
الحديث في الطبراني الصغير هكذا : عن محمد بن داود بن اسلم الصوفي المعري
عن أحمد بن سعيد المدني الفري عن محمد بن عيسى بن اسماعيل المدني عن عبد الرحمن
بن زيد بن اسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال الطبراني لا يروى
عن عمر إلا بهذا الاستناد تفرد به أحمد بن سعيد اهـ

«ملحوظة» (تفق المحققون العلماء على عدم الاحتجاج بالحديث إذا روي
بعضه المحضة (١) كالأستاد الذي منعه إذا لم يصرح باللفظ المتحدث أو الأخبار
والإسماع من طريق أخرى وقد صرح الطبراني أنه لا يروى إلا بهذا الاستناد
كما تقدم عنه)

قال البيهقي (وهو أحسن من غيره) أنه عبد الرحمن اهـ يريد بذلك أنه
شذوذا أراد الطبراني أحمد بن سعيد وقال بعضهم تعليقا على تصحيح الحاكم
ليس كل ما صححه الحاكم مقبولا وقال المدارسي في هذا الحديث بخصوصه في
كتابه (كشف لأحوال في نقد الرجال) إن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف
بالتفريق وقال العلامة أحمد بن ناصر التميمي في كتابه (تقريب التهذيب) جوابا
للسائل أنه عن تصحيح الحاكم لهذا الحديث أنه من رواية عبد الرحمن بن زيد
يعني أس بن بصحيح وقال أحمد بن حنبل : عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ضعيف
وقال يحيى بن معين : ليس حديثه بشيء . وضعفه علي بن المديني جدا وهو أمام
المؤلف في عصره صاحب تأليف عديدة في الجرح والتعديل . وقال أبو داود
صاحب السنن أولاد زيد بن اسلم كلهم ضعيف وقال النسائي من أصحاب السنن
ضعيف وقال ابن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول : ذكر رجل لمالك حديثا
فقال من حديثك فذكر استنادا منقطعاً فقال مالك اذهب إلى عبد الرحمن بن

(١) المنار : لا يصح هذا على إطلاقه بل هو مقيد بعلمة المدلسين

زيد يحدثك عن أبيه عن جده عن نوح (ومثلك هو لامام الجليل) وقال أبو زرعة أحد الحفاظ الذين يروي عنهم البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن في شأن عبد الرحمن انه ضعيف ، وقال أبو حاتم الحفاظ المعروف ! ليس عبد الرحمن ابن زيد بقوي في الحديث كان في نفسه صالحا وفي الحديث واهيا اهـ

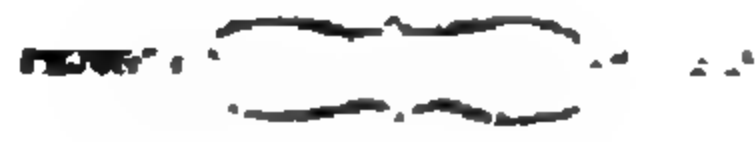
وقال ابن حبان كان يقاب الاخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وسناد الموقوف فاستحق الترك اهـ

وقال ابن سعد صاحب الطبقات في شأنه ، كان كثير الحديث ضعيفا جدا اهـ وقال ابن خزيمة ، ليس عبد الرحمن ممن نحتاج أهل العلم بحديثه اهـ وقال الحاكم وأبو نعيم وهو الراوي للحديث روى عن بيه أحاديث موضوعة اهـ وقال الحفاظ بن الجوزي الناقد الأحاديث أجمعوا على ضعفه اهـ

فهذا الحديث الذي يتمسك به جهالة المرتدين في جواز التوسل قد بينا شأنه وأقوال العلماء فيه وكان يصح لهم ذلك لو لم يعارضه اتفاق المسلمين كما نقلناه عن الأئمة على عدم جواز التوسل فضلا عن سانيته نسأل الله التوفيق والاهتمام بما جاء عن خير الأمة والمهدين بسنته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وآمين

احمد عطيه قوره

تحريرا بالعلاقة في ٤ شوال سنة ١٣٤٠ هـ



ذكرى رينان في الجامعة المصرية

محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق في رينان والافغانى

رينان كاتب بليغ من كتاب الفرنسيين وملاحدتهم اشتهر اسمه في مصر وبعض البلاد العربية الاخرى بخطاب (محاضرة) موضوعه (الاسلام والعلم) وجهه به قوة فصاحته وبلاغته الخلافة الى الطعن في الدين الاسلامي والامة العربية لينقض بها ماشاده علماء فرنسة الفلاسفة الاعلام وغيرهم من التاريخ المجيد للعرب والاسلام، وفي مقدمتهم الفيلسوف الاجتماعي الكبير (غوستاف لوبون) صاحب كتاب (حضارة العرب) الذي سارت بذكره الركبان والعلامة (سديو) الشهير صاحب كتاب (تاريخ العرب) ولكنه تكلم بمجهل وتكلموا بعلم وقد كان من مثار المعجب للناس ان الجامعة المصرية اقامت حفلة حافلة لذكرى رينان بمناسبة انقضاء قرن من عهد ولادته وماروا في استنباط الباعث لاساتذة الجامعة على اختيار هذا المالحد الطاعن في دين الاسلام وفي المسيحية أيضاً للاشادة بذكره واعلاء قدره على عدم حفظ أي منقبة له تقع بها البشر فأصاب هذه البلاد وهذه الامة حظ منها يستحق بها ذلك عليها، والعهد قريب باحتفال فرنسة وغيرها بذكرى عالم من علمائها بل من أكبر علماء الارض ومكتشفينهم تقع البشر كلهم بعلمه واكتشافاته وهو (باستور) الشهير فلماذا لم تحتفل الجامعة باحياء ذكره، واعلاء قدره؟

وقد كان الدكتور طه حسين أحد مدرسي الجامعة المصرية ينشر في هذه الاثناء التي وقع فيها الاحتفال بذكرى (رينان) مقالات في جريدة السياسة يحاول فيها إثبات انتشار الارتباب في الدين الاسلامي والالحاد والنسق عنه في أهل القرن الثاني والثالث للهجرة الاسلامية في بلاد الحضارة العربية كالعراق بل في الحجاز أيضاً، ويستدل على ذلك بشبهات كشبهات رينان، كما أخبرنا الثقات الذين رد بعضهم عليه

وفي اثر ذلك نشر في الجرائد إعلان يبشر الناس بأن الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق سيلقي في الجامعة المصرية محاضرة موضوعها (الفيلسوف

رينان وجمال الدين الافغاني (فظننا نحن وأمثالنا أنه يريد بهذه المحاضرة أن يحو سيئة ذلك الاحتفال بالاشادة بفضل فيلسوف الاسلام السيد الحسيني سليل البضعة النبوية الطاهرة الذي اشتهر عنه أنه رد على محاضرة رينان في وقتها بما هدم بنيانها ، وفوض أركانها ، وقد أئمننا دار الجامعة في مساء اليوم الثاني من شعبان (٢٠ مارس) مع الكثيرين لسماع محاضرته ، فلما سمعناها دهشنا وخاب أملنا ، نخرجنا من دار الجامعة الى دار جريدة الاهرام لموعده اجتماع مجلس ادارة نقابة الصحافة فيها فحف بنا كثيرون ممن خرج معنا من الازهريين وغيرهم فرأيناهم مستائين. مما سمعوا كارهين له ، فذكرنا لهم بعض ما في الخطاب من الخطأ والخلل والضعف في المحاضرة فتمنوا لو يكتب فوعدهناهم بذلك وقد كتبنا في تلك الليلة العجالة التالية لجريدة الاهرام :

(محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرزاق)

(موسيورينان وجمال الدين)

نظرة عاجلى

حضرت هذه المحاضرة في الجامعة المصرية وكنت قد سمعت من شيخنا الاستاذ الامام كامة مجلة عن رد السيد علي رينان فهمت منها ما سأذكره بعد كنت أظن أن سأسمع ما قاله رينان في الاسلام مفصلا وان يكون فيه شبهات ومطاعن دقيقة تحتاج الى حجج جمال الدين وقوة عارضته فخاب ظني وكنت انتظر أن اسمع تمة المحاضرة المعلن عنها في الصحف وهي ما كان بين رينان ومحمد عبده لارى هل أسمع عنه ضد ما أعلم منه عن نفسه، كما سمعت ضد ما أعلم منه عن استاذي ؟ واكن الاستاذ صاحب المحاضرة أطال في المقدمة فضاف الوقت المعين عن الخاتمة ، ومي على ما أظن رد الشيخ محمد عبده على رينان طعن رينان في الاسلام بأنه عدو العلم والعقل وطعن في العرب بأن عقولهم قاصرة بطبيعتها غير مستعدة لفهم الفاسفة وما وراء الطبيعة وكل ما ذكر في المحاضرة من تلخيص كلامه يدل على أنه لم يكن يعرف من أصول الاسلام شيئا الا بعض

كلام دعاة النصرانية في الجزائر ورجال السياسة الفرنسية فيها وناهيك باخلاص الفريقين والتحقيق والصدق منهم (١) فن تحقيق الفريق الاول ما يعرفه قراء العربية من كتاب (الاسلام لا كونت دي كاستري) الذي ترجمه بالعربية المرحوم احمد فتحي باشا زغلول فان فيه من العقائد المنسوبة الى الاسلام ما لم يخطر في بال احد من البشر لم يطلع على مقترياته . ومن تحقيق الفريق الآخر تفضيل البربر على العرب في العلم والمدنية ، ودليلهم على ذلك أن أصلهم من برايرة الشمال الاوربيين لا من هج الساميين ، وقد اضطر الى تجهيلهم الفيلسوف الاجتماعي بحق (غوستاف لوبون) احد أفراد علماء الفرنسيين الذين انصفوا العرب حق الانصاف على علم صحيح بالتاريخ

ومن هذا الباب ثناء رينان على جمال الدين وعلى قومه الافغان بانهم من الارومة الآرية ذات العقل الراقي المستعد للفلسفة العليا التي تسنعي على عقول العرب وعمل بذلك ما زعمه من عدم استمسك هذا الشعب بالاسلام . والحق الواقع القطعي الدال على مبالغ جهل رينان هو أن السيد جمال الدين هو الفيلسوف الوحيد الذي خرج من الافغان وهو من صميم العرب من سلالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وان الشعب الافغاني هو أشد الشعوب الاسلامية اغنصاما بدين الاسلام وتعصبا له ، لعله لا يفوقه في هذا أو يساويه فيه الا عرب نجد فاذا كان السيد جمال الدين غير متدين كما تراهي لعقل رينان فقد نقضت قاعدته في العرب وفي الافغان جميعا ، فما هذه الفلسفة؟ واذا كن هذا مبلغ علمه بهذا الشعب الحاضر ، فما القول بعلمه بالشعب العربي لاندلسي الغابر ، اذ فضح نفسه فيما قاله عنه شر فضيحة

على أننا لا نثق بما نقل اليه الاستاذ صاحب المحاضرة من كلام فيلسوف في الغرب والشرق — على رايه — فان السيد جمال الدين كتب رده على رينان بالعربية — كما قال — وترجم لجرادة الديبا بالفرنسية . ونقل من الفرنسية الى الالمانية ، ومنها الى العربية فهل حفظ الاصل مع كثرة النقل من لغة الى لغة الى أخرى؟

(المنار: ج ٤) (٣٩) (المجلد الرابع والعشرون)

نقل البنا قبل هذا كلام من قول رينان في الامام الغزالي وجدنا غلطا مخالفا لما في كتبه المشهورة كتهافت الفلاسمة وأحياء علوم الدين وهو لم يفتوره من تعدد الترجمة ما أصاب رد السيد جمال الدين

ما يخص ما ذكر في المحاضرة من رد السيد الاقناني على الفيلسوف الفرنسي انه وافقه على كون الاسلام عدو العلم والعقل كسائر الاديان وخالفه في طعنه في العرب . ولكن الاستاذ صاحب المحاضرة نقل عن السيد كلمة وجيزة مجملة فيما عزاه رينان الى الاسلام هل هو من تأثير الدين نفسه أم هو تأثير فهم الناس له واختلاف الشعوب في فهمه ؟ خرجت هذه الكلمة بصوت غير جهوري فلم تعما كل اذن . ولا فكر فيها كل سامع . ولعل كل ما في الرد من التسليم باضطهاد الاسلام للعلم وعداوته للعلم مبنى على هذه الكلمة

ههنا أذكر كلمة الاستاذ الامام عن رأي استاذ السيد جمال الدين في الدين والعلم ، وهي ان الاسلام دين العقل والحكمة والفلسفة الصحيحة وانه لولا تأثير هدايته لما انتقل العرب من الامية الى أعلى مما كان عليه جميع البشر في كل علم وكل فن وكل نظام وكل عمران في مدة جيل واحد حتى سادوا الفرس والروم والاوربيين وغيرهم ، وهل يعقل ان تلك الشراذم التي خرجت من جزيرة العرب حفاة عراة لا يعرفون من العلم شيئا غير القرآن ولم يكن كل واحد منهم بمفظة كله يمكن أن تدوخ كل هذه الامم وتسودها وتسوسها من ساحل المحيط الاطلسي الى الشرق الاقصى وتخضعها لدينها ولعقبا بالسيف ؟

ولكن المسلمين ابتدعوا في الاسلام بدعا كثيرة لم يمكن تداركها بسبب فساد نظام الخلافة واخراجها عن أصلها الذي يشترط فيه العلم الاستقلالي والعدالة وبهذا الابتداع الذي صار اسلام القرآن فيه غير اسلام المنتسبين اليه أضاعوا العلم به ثم عادوا كل علم حتى صاروا الى ما كان يسعى السيد لتلافيه وتداركه ، فكانه يقول لرينان كل ما ذكرت من عداوة الاسلام للعلم مما تكثر الشواهد عليه في التاريخ — وان كانت قليلة في عهد الاسلام بالنسبة الى غيره من الاديان

فهو الاسلام الذي فهمه خطأ اولئك الذين عادوا العلم والعقل والحضارة لا اسلام القرآن الذي يخاطب العقل ويرفع شأن العلم في آيات كثيرة ويبين أن الله سندا في الكون قام بها نظامه وان هذه السنن لا تبديل لها ولا تحويل

من الكلمات الماثورة عن السيد جمال الدين ان القرآن وحده كاف لرفع البشر الى أرقى مقام من العلم والعرفان والفضائل والحضارة ، لو أن شعبا وجدوا على صخرة في جزيرة بالبحر ولم ير غيره ، وايس معنى هذا أن فيه مسائل جميع العلوم والفنون التي يرقى بها البشر وانما معناه انه يصلح العقول والانفس ويدفعها بهدايته الى طالب هذا السكال

وكتب الى صديقي الشيخ عبد القادر المغربي من الاسنانة أيام كان السيد فيها أنه زاره فكان مما سمعه منه أنه ليس بين اوربا وبين القرآن من حجاب يمنعهم من الاهتداء به الا نحن معاشر المسلمين . قال: انه رفع كفيه ووضعها أمام وجهه وفرج بين أصابعه وقال : ينظرون البنا من خلال القرآن هكذا فيرون وراءه شعوبا قد فشا فيها الجهل والفقر والكسل و... و... فيقولون لولا أن تعاليمه باطلة لما كان اتباعه بهذه الدركة من الانحطاط ، فاذا أردنا أن نهديهم الى الاسلام فلنقنعهم أولا أننا لسنا مسلمين

وقد سألت الاستاذ الامام : هل وفي السيد بما وعد به من كتابة كتاب يثبت فيه ان المدنية الفاضلة التي مات الحكماء بحسرة من فقدوها لا تختلط في العالم الا بالدين الاسلامي ؟ فقال لا أعلم أنه كتب شيئا بهذا العنوان ولكنه كتب كتابا أوقال رسالة فارسية في العدالة العامة أثبت فيها هذه القضية ولا أعلم ما فعل الله بهذا الكتاب أو الرسالة (الشك مني)

ومن أراد أن يعرف رأي السيد في تأثير الاسلام في اصلاح انبشرفليقرأ مقالات الروة الوثقى الاجتماعية في الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام ، وأما موضوع الاسلام والعلم فقد فصاه الاستاذ الامام في كتاب لاسلام والنصرانية تفصيلا . وسأعود الى هذا الموضوع فأوفيه حقه في المنار إن شاء الله تعالى

فعلم من هذا أن الذي يتفق مع ما كتبه السيد جمال الدين أو أملاه في حقيقة الاسلام وكونه دين الحكمة والعقل والمدنية هو أنه قد وافق على أن الاسلام المعزج بالبدع هو ذلك الذي اضطهد بعض اهله رجال العلم كما كان يقول في مجالسه بمصر عند رده على بعض آراء الاشعري في السكسب والجبر والتحسين والتبسيح العقليين : ان دبر الاشعري في المسألة كذا وان ! له الاشعري قادر مرید — غير حكم

ويجب الملحد ان يكون عظماء الرجال ملاحدة مثله واذا كان من متحلي الفلسفة والعلم والباحثين في الادلة يظن ان من عرف بالعقل والعلم والحكمة لا يمكن ان يكون ذا دين. وهذا ما كان يحمل بعض الناس على القول بأن جمال الدين ومحمد عبده غير متدينين .

وقد كان يسألني بعض من يعرفون مني الصدق : هل الاساذ الامام متدين بالفعل اعتقادا وعملا ؟ بل كثيرا ما سألني مثل هذا السؤال عن نفسي من يحسنون الظن بي ويعدوني من (المتورين) مثلهم ، وآخر من سألني هذا السؤال عن نفسي أديب في حضرة جماعة من المسلمين والمسيحيين منهم سليم افندي سر كيس الكاتب المشهور ، وموضوع السؤال الايمان بالبعث والحياة الاخرى بعد الموت ، وقد أجبتهم بما أزال استبعادهم للبعث وصوره لهم بصورة تتفق مع العلوم والفنون العصرية ولا سيما الكيمياء حتى اعترفوا بذلك

ان الملحد يحكم على غيره بالاحاد بأدنى شبهة وقد حدثني الدكتور شمبل أنه سأل السيد جمال الدين عن الدلائل على وجود الله تعالى — قال فشرع يذكري قواعد كلامية في استحالة الترجيح بغير مرجح والممكن والواجب لم افهمها فعلمت أنه شاك ولا يستطيع أن يقيم برهانا علميا واضحا ، والذنب على الدكتور شمبل الذي كان خالي الذهن من تلك الاصول والقواعد العقلية التي اعتمد عليها متكلمو الاسلام في المسائل الالهية — فظن أن السيد يقول ما لا يفهم لانه هو لم يفهم ما قاله السيد

أرى في هذا البلد أفراداً يعنون في هذه الأيام بافساد عقائد المسلمين وتجرثهم على الكفر وعلى الفسق أيضاً (١) حتى زعم بعضهم أن أكثر المسلمين كانوا كذلك في القرن الثاني للهجرة مرتابين في الدين وفاسقين عنه بدليل ما يوجد عنه في بعض كتب الخلاعة والاختبار من حكاية ما يؤثر في ذلك عن بعض الأفراد من الشعراء والمغنين والمختئين، على أن رواة هذه الاخبار لا يوثق بهم وأين هم من كتب المحدثين الثقة وتراجم العلماء والصلحاء الذين ملأوا الدنيا علماً وفضلاً وقدوة صالحة؟ إنهم لا يستطيعون قراءة أمثال هذه الكتب ولا تصديق مؤلفيها، (ولكل وجهة هو موليها) وأما نحن فأننا لا نقبل الا رواية الثقة العدول وننصح للناس أن يعرضوا عن اللغو والفضول، وروايات من لا يوثق بعديتهم، ولا سيما اذا كانت مخالفة للروايات الصحيحة التي تعارضها، وعلماء نقد الحديث يردون رواية العدل المعروف بالصدق اذا خالفت روايات الثقة الاثبات المعروفة فأراء حكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني مدونة في رده على الدهريين وفي مقالات العروة الوثقى وغيرها برواية الثقة وقد طبعت في عصره وتلقاها الالوف ومئات الالوف في الشرق والغرب فهل يصح أن نردها بجمل مقتضبة منقولة عن لا يوثق بهم بعد مرورها من مضيق لغات مختلفة تعودنا أن نسمع من أهلها الاختلاق علينا في ديننا وتاريخنا وسياستنا؟ كلا انه لو صح ما فعلوه فيها عن السيد جمال الدين اسكانت دليلاً على جهله فيما نعلم أنه من أعلم الناس به، وعلى تناقضه وعلى كذبه ونفاقه. ولو كان ذلك — أجل الله قدره — لما صح أن يكون قدوة لاحد، وفات على دعاة الاتحاد أن يتخذوه قدوة فيه للناس، كيف وهو الذي أحيا النهضة العلمية والسياسية في الاسلام. رحمه الله وبرأه من تهم أعداء الاديان، كرينان ومقلدة رينان، ونحن انما نهتدي بقوله تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أوائك الذين هدام الله واولئك هم الالباب)

(١) تساءل الناس في الجرائد عن هؤلاء الافراد وهم غير محصورين وليس لنا ان نطعن في تدين فرد معين منهم الا بدليل لا يحتمل التأويل والمحاضرة التي نرد عليها ليست كذلك على ضررها في هذا الباب، وتأييدها هؤلاء الافراد

كلمة المنار في المحاضرة

(١)

كتبنا كالمتنا العجلى الاهرام عقب حضور المحاضرة بحافز التأثير السيء الذي كان لها في نفسنا وفي أنفس الجمهور كما علمنا ، كما أن احد أساتذة الجامعة جاء الاهرام في تلك الليلة بكلمة أثنى فيها على المحاضرة وزعم أن الجمهور تلقاها بالقبول والارتياح . . . ، ورغب الى رئيس تحريرها أن ينشرها في الجريدة على أن تكون باسمها فنعل ، ثم استكتبوا رضا توفيق بك الملقب بالفيلسوف التركي مقالة في الثناء على المحاضرة وتحييد موضوعها والتنويه بأمر الجامعة المصرية وأساتذتها ونشرها

ونحن وندنا في كالمتنا العجلى أن نعود الى الموضوع فنجليه في المنار — والمنار أجدر به — لاجل أن نكتب ما نرى فيه الفائدة بعد قراءة المحاضرة لعلمنا بأن ستشر في جريدة السياسة التي كانت خصصت بعض صفحاتها لنشر أمثالها ، فلما قرأناها ظهر لنا ما كان خفي علينا عند سماعها ، وأول افتتاحها بتدقيق البحث في تاريخ اخراج السيد جمال الدين من مصر واعتقاله في الهند ومجيئه الى باريس فقد أطل فيها بما لم ينشر كله في صحيفة السياسة اذ لم يكن مكتوباً ، وكان هو أول ما تبرم به السامعون ونكره فاتهم لم يحضروا لاجل سماع تاريخ السيد في اسفاره وتحرير القول في تاريخها ونرى أن نقسم القول في المنار الى بيان ما ظهر لنا من غرض الاستاذ الشيخ مصطفى من المحاضرة فالدفاع عما رمى به السيد جمال الدين فتفند مطاعن رينان الجبلية

الغرض من المحاضرة

كنا نظن أن الاستاذ الذي درس العلم الاسلامي في الجامع الازهر وبعض العلم الاوربي في باريس أراد بعد احتفال الجامعة المصرية برينان ، الذي لم يعرف في هذه البلاد الا بما اشتهر من طعنه في الاسلام — أن يقوم بما هو جدير به

من تلخيص رأي رينان في الاسلام وتلخيص رد السيد جمال الدين عليه والزيادة عليه بما يعن له، وختم الكلام بخلاصة الموضوع الذي هو (الاسلام مع العلم والفلسفة) ذلك ما كنا نوده وما كان يظنه الكثيرون

فكانت خلاصة المحاضرة أن السيد جمال الدين الذي اشتهر في العالم الاسلامي كله بأنه حكيم الاسلام وموقف شعوبه والداعية الى تجديد مجده وإعزاز دولته بهدي الدين وعدو الاتحاد وصاحب تلك الحملة المصورة على أهله في رده على الدهريين — قد كان ما كان من أمره في ذلك محصوراً في حياته قبل أن يذهب الى أوربة — بل الى باريس — وإنما كان لغرض سياسي وأنه بعد وصوله الى مدينة الكفر والاتحاد واجتماعه برينان وأمثاله في أوائل سنة ١٨٨٣ قد تطور فكره في أقل من ثلاث سنين، ففرق من الدين، واعتقد أنه عدو للعلم والعقل والمدنية، حتى أنه قبل بكل تعظيم وارتياح طعن رينان في الاسلام، وعظمه وأثنى عليه من جرائه أطيب الثناء، على ما سنبينه بالأجمال من بطلانه وسخفه الذي لا يخفى على طالب علم به حكيم الاسلام، ومكمل تربية الاستاذ الامام (١) بهذا أجاب الاستاذ الشيخ مصطفى عن المقارنة بين رد السيد على رينان سنة ١٨٨٣ وبين سائر محركاته حتى رده على الدهريين الذي كتبه سنة ١٨٨١ — وهذا سر ذلك التدقيق التاريخي الذي أشرنا اليه في فاتحة هذه الكلمة ولكن المعروف من تاريخ السيد الحكيم ومن محركاته في سنة ١٨٨٣ وما بعدها أنه لم يزد بعد اقامته في أوربة وباريس خاصة إلا اسئسا كما بعروة الاسلام الوثقى ودفاعاً عنه ودعوة الى النهضة الاسلامية المدنية بهرايته العالية. وخلاصة المحاضرة أن فليسوفي الشرق والغرب قد اتفقا على اثبات عداوة الدين للعلم والعقل وحرية الفكر لا فرق بين الاسلام وغيره

علمنا أن صاحب المحاضرة كان يبحث منذ سنين عن آثار السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده فهل كل هذا التعب كان لاجل هذه النتيجة، المستنبطة من تلك المقدمات غير المسئلة؟

الدفاع عن السيد جمال الدين

اننا نرى التعارض تاما بين هذا الرد الذي استخرجـه لنا صاحب هذه المحاضرة من ترجمة المانية عن ترجمة فرنسية لم يرها عن أصل عربي مفقود وبين سيرة السيد ومكتوباته وما روى الثقات عنه من أول عمره الى آخره حيث كان في الاستانة يختلف اليه العلماء والكتاب والاذكياء الذين لقينا كثيراً منهم ، فأي الامر ين ترجح ؟

لدينا رجل معروف مشهور روى لنا عنه آراءه وأفكاره كثير من العلماء والفضلاء من أقطار مختلفة عاشره وتلقوا عنه ، منهم من توفي كالاستاذ الامام والاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان والاستاذ ابراهيم اللقاني الذين كان أقرب الناس اليه ، وأصقهم به وأكثرهم استفادة منه ، ومنهم الاحياء كالاستاذ الشيخ بخيت والاستاذ ابراهيم بك الهلباوي ، ومنهم آخرون من أهل سورية والاستانة وغيرها من الاقطار كالامير شكيب ارسلان والشيخ طاهر الكيال والشيخ عبد القادر المغربي ، وله آثار مخطوطة ومطبوعة في عصره أشهرها رسالة الرد على الدهريين وجريدة العروة الوثقى التي نشرها بباريس سنة ١٨٨٤

كل ذلك متفق في تعريف الرجل البنا أو تعريفنا به ، ويعارضه تلخيص بالعربية عن ترجمة المانية لترجمة فرنسية لرده بالعربية على رينان — فيه ابهام التلخيص واحتمال الخطأ فيه — وعدم الثقة بمطابقة الترجمة الالمانية للفرنسية والترجمة الفرنسية للأصل العربي الذي كتبه السيد ردا على رينان ، فاذا هو بهذه الظلمات الثلاث أقرب الى التأيد منه الى الرد والمشهور انه رد ، على أننا فہمنا منه غير ما فهمه صاحب المحاضرة

فأي هذين الامرين المتعارضين نرجح ؟ أفہمنا المؤيد بالآثار المخطوطات والمطبوعات ، وبروايات الثقات الاثبات أم فهمه المعارض بكل ما ذكرنا الذي نعلمه تلك الظلمات الثلاث اننا نرى أهل الفرق المختلفين في اصول الدين الواحد

منهم على مذهبه بنصوص من كتاب ذلك الدين الالهي وكذلك المختلفون في الفروع قد يرد بعضهم على بعض بنصوص الكتاب وأقوال الرسل عليهم السلام. بل نرى أهل دين يستدلون بكتاب غير كتابهم على خلاف ما اجمع عليه المؤمنون بذلك الكتاب، كما ألف بعض دعاة النصرانية كتابا استدل فيه بآيات من القرآن على أن التوراة والانجيل اللذين بأيدي أهل الكتاب حق كما أنزلهما الله وأنه لا تحريف فيهما ولا تبديل. وأنه يجب العمل بهما بعد الاسلام !!

اتنا نجد فيما لخصه الاستاذ صاحب المحاضرة من رد السيد جمال الدين على رينان جملا متفرقة تخالف جملا أخرى منها وتحول دون صحة النتيجة التي استنبطها من مجموع الرد وقد يؤيدها في ذلك جملة من تلخيص رد رينان على السيد أول ما لخصه من رد السيد قوله :

« تشتمل محاضرة الموسيوريان على نقطتين أساسيتين فقد حاول هذا المفكر العظيم أن يبرهن على أن الديانة الاسلامية كانت بما لها من نشأة خاصة تناهض العلم وان الامة العربية غير صالحة بطبيعتها لعلوم ما وراء الطبيعة ولا للفلسفة » ويظهر ان الموسيوريان يقول ان هذه النبتة الصالحة ذبلت في أيدي المسافرين كما يذبل النبات تلفعه ربح الصحراء الساخنة »

« وان المرء ليتساءل بعد أن يقرأ المحاضرة عن آخرها : أصدر هذا الشر عن الديانة الاسلامية نفسها ؟ أم كان منشؤه الصورة التي انتشرت بها الديانة الاسلامية في العالم ؟ أم ان أخلاق الشعوب التي اعتنقت هذا الدين أو حملت على اعتناقه بالقوة — وعاداتها ومواهبها الطبيعية — هي جميعا مصدر ذلك ؟ » ولا ريب (١) أن الوقت المخصص لرينان قد حال دون اجلائه هذه النقطة « أه بحر وقه فيؤخذ من هذه الجملة أو لجل أمور :

(أحدها) — أن السيد صرح بان رينان يحاول أن يبرهن على نظريته في

(١) الظاهر أن هذه الجملة استئناف بياني فوالعطف في أولها غلط

(المنار : ج ٤) (٤٠) (المجلد الرابع والعشرون)

الاسلام ، لا أنه برهن ، ومعنى حاوله طلبه بحيلة كما بينته الزنجشري في أساس البلاغة وإنما يلجأ الى الحيلة العاجز

(ثانيا) — أنه حاول ذلك بأخذه من نشأة هذا الدين الخاصة وكون العرب الذين نزل كتابه بلغتهم غير مستعدين للعلم والفلسفة — لامن طبيعته وتعاليمه (ثالثا) — أن الاسلام نفسه نبته صالحة — أو العلوم — فالعبارة محتملة ، وأنها ذبلت في أيدي المسلمين وتصوحت كما يتصوَّح النبات الغض تلقحه ريح السموم ومعنى هذا على الوجه الثاني ان العلوم وجدت في عهد الاسلام ثم ذبلت ، وهذا حق فالتاريخ يشهد ان العرب هم الذين أحبوا العلم والفلسفة بعد ان أخرجهم الاسلام من أميتهم ، وانها انما ذبلت بعد ضعف دولهم ، ثم جفت ويبدت بعد زوال تلك الدول ، وسيأتي تفصيل ذلك

(رابعا) — قوله : ان المرء ليتساءل بعد أن يقرأ المحاضرة عن آخرها أصدر هذا الشر عن الديانة الاسلامية نفسها ؟ أم كان منشؤه الصورة التي انتشرت بها الديانة الاسلامية الخ ما تقدم

والذي يتفق مع سيرة السيد محمجة ومفصلة بل الذي نقل عنه صراحة هو ان اسلام القرآن أكمل هداية للبشر وأنه كافل للمدنية الفاضلة التي ماتت الفلاسفة والحكماء في حيرة من فقدوها وعدم اهتداء السبيل اليها ، وان المسلمين لم يقوموا بكل ما أرشد اليه الاسلام من كل وجه ، وأنهم جنوا على دينهم حتى نفروا الناس منه في القرون الاخيرة ، وقد تقانا في الكلمة العجلى بعض ما روى لنا الثقات عنه في آخر عمره في الاستانة أي بعد التطور الذي استنبطه الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق فكان منشأ أغلاطه . ومما يؤثر عنه وسمعه منه الكثيرون : أن القرآن لا يزال بكرا لم يفسره احد حق تفسيره ، وان فيه من الهداية ما يناسب كل عصر ، وان المسلمين أخذوا من هدايته المدنية في كل عصر بقدر استعدادهم وأحوالهم الاجتماعية ، ولولا ما سنشيره اليه من الصدمات التاريخية لبلغوا به الكمال لمديني كما بلغوا الكمال الديني — يؤيد فهمنا هذا ما نقله الاستاذ صاحب المحاضرة

من رد رينان على السيد جمال الدين قبل خاتمتها وهو قوله :
« ويلوح لي أن الشيخ جمال الدين قد زودني بطائفة من الآراء الهامة (١)
تعينني على نظريتي الأساسية وهي أن الاسلام في النصف الاول من وجوده لم
يحل دون استقرار الحركة العلمية في الاراضي الاسلامية . ولكن في النصف
الثاني خنق الحركة العلمية وهي في حظيرته فكان هذا من سوء حظه » أه
أضف الى هذا إطناب السيد في تفنيد رأي رينان في العرب — واستنتج
منهما أنه يعني بالنصف الاول عصر الدول العربية المحضة قبل تغلب الأعاجم على
خلفاء العرب من ترك وفرنس — وبهذا تعلم أن السيد قد هدم محاضرة رينان
ونسفها نسفا برقة ولطف ، كالماء تخلل أساس بناء بني على شفا جرف هار فانهار به ،
وان كل ما وافقه عليه هو أن المسلمين قد وجد منهم كثيرهم في نشأة الاسلام
الاعجمية في النصف الثاني من حياته ما خنق الحركة العلمية ، فكل ما أسنده الى
الاسلام موافقا لرينان يراد به الاسلام الاعجمي المشوه بالبدع ، لا الاسلام العربي
المنصوص في القرآن والسنن ، والا كان كلامه متناقضا ، ولا وجه لدفع التناقض
الذي يصاب عنه كلام العقلاء الا ما ذكرنا

شرح الشيخ محمد عبده لرد الافغاني على رينان

إنني أستطيع أن أشرح لك أيها القارئ هذا الحكم ولكنك غني عن
شرحي بشرح أكبر تلاميذ السيد جمال الدين ومريديه وأعلم الناس بأرائه
والمطلع على رده على رينان بنصه ، فهو قد شرح هذا الرد بكتاب حافل ، تهزين
به الخزائن والمحافل ، الا وهو (كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية)
أورد في هذا الكتاب بضعة من أصول الاسلام هي نصوص جلية وبراهين
قطعية ، على كونه دين العلم والعقل والمدنية ، ثم ذكر خلاصة تاريخية لمؤرخي الاسلام
والافرنج عن الدول العربية ، تثبت ان تلك المدنية الزاهرة وانتشار العلم والفلسفة

(١) — المنار : الصواب المهمة فان المهم ما يهتم به الانسان والهوام المذنب ،
ومن سجع الاساس : أهمة حتي همة

كان نتيجة تلك الاصول الاسلامية واستعداد الامة العربية . ومما نقله من كلام غوستاف لوبون الفيلسوف المؤرخ الفرنسي فيه : إن العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين

وبعد أن شرح نتائج تلك الاصول ففتح باباً آخر للكلام عنوانه (الاسلام اليوم او الاحتجاج بالمسلمين على الاسلام) وصف فيه سوء حال المسلمين علمائهم ودهمائهم — وذكر أنه هو الذي حمل ريتان على الطعن في الاسلام واتخذ حجة له — وقد أورد ذلك بصيغة السؤال ثم أجاب عنه بعد أن سماه « جمود المسلمين » جواباً بين به أسبابه والمخرج منه ومما قاله في أوائل هذا الجواب والعنوان لنا:

ضعف الاسلام العربي بتغلب الاعاجم

« أنظر كيف صارت مزية من مزايا الاسلام سبباً فيما صار اليه اهله : كان الاسلام ديناً عربياً، ثم لحقه العلم فصار علماً عربياً، بعد ان كان يونانياً، ثم أخطأ خليفة في السياسة فاتخذ من سعة الاسلام سبيلاً الى ما كان يظنه خيراً له : ظن أن الجيش العربي قد يكون عوناً لخليفة علوي لان العلويين كانوا الصق بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فأراد أن يتخذ له جيشاً أجنبياً من الترك والديلم وغيرهم من الامم التي ظن أنه يستعبد بها بسلطانه . ويصطنعها باحسانه . فلا تساعد الخارج عليه، ولا تعين طالب مكانه من الملاك . وفي سعة أحكام الاسلام وسهولته ما يبيح له ذلك . هنالك استعجم الاسلام وانقلب عجمياً

خليفة عباسي أراد أن يصنع لنفسه وخلفه، وبئس ما صنع بأمة ودينه، أكثر من ذلك الجند الاجنبي وأقام عاياه الرؤساء منه، فلم تكن الا عشية أو ضحاها حتى تغلب رؤساء الجند على الخلفاء واستبدوا بالسلطان دونهم، وصارت الدولة في قبضتهم . ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه الاسلام والقلب الذي هذبه الدين، بل جاؤا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون ألوية الظلم . لبسوا الاسلام على أبدانهم، ولم ينفذ منه شيء، الى وجدانهم، وكثير منهم كان يحمل إلهامه معه

يعبده في خلوته، ويصلي مع الجماعات لتمكين سلطته، ثم عدا على الاسلام آخرون كالتار وغيرهم ومنهم من تولى أمره

«أي عدو هؤلاء أشد من العلم الذي يعرف الناس منزلتهم: ويكشف لهم قبح سيرهم؟ قالوا على العلم وصديقه الاسلام ميلتهم أما العلم فلم يحفلوا بأهله، وقبضوا عنه يد المعونة، وحملوا كثيرا من أعوانهم أن يندرجوا في سلك العلماء وأن يتسر بلوا بسر ابيله، ليعدوا من قبيله. ثم يضعوا للعامة في الدين ما يبعض اليهم العلم ويبعد بهم عن طلبه. ودخلوا عليهم وهم أغرار من باب التقوى وحماية الدين: زعموا الدين ناقصا ليكلوه، أو مريضا ليعلاوه، أو متداعيا ليدعموه، أو يكاد أن ينقض ليقيموه» نظروا الى ما كانوا عليه من فخفة الوثنية. وفي عادات من كان حولهم

من الامم النصرانية، فاستعاروا من ذلك للاسلام ما هو براء منه. لكنهم نجحوا في اقناع العامة بأن في ذلك تعظيم شعائره، وتفخيم أوامره والغوغاء عون الفاشم، وهم بد الظالم، فخلقوا لنا هذه الاحتفالات، وتلك الاجتماعات، وسنوا لنا من عبادة الاولياء والعلماء والمتشبهين بهم ما فرق الجماعة. وأركس الناس في الضلالة، وقرروا أن المتأخر، ليس له أن يقول بغير ما يقول المتقدم، وجعلوا ذلك عقيدة حتى يقف الفكر وتجمد العقول. ثم بشوا أعوانهم في أطراف الممالك الاسلامية ينشرون من القصص والاعخبار والآراء ما يقع العامة بأنه لا نظر لهم في الشؤون العامة. وأن كل ما هو من أمور الجماعة والدولة فهو مما فرض فيه النظر على الحكام دون من عداهم، ومن دخل في شيء من ذلك من غيرهم فهو متعرض لما لا يعنيه، وأن ما يظهر من فساد الاعمال واختلال الاحوال ليس من صنع الحكام وإنما هو نتيجة لما ورد في الاخبار من أحوال آخر الزمان وأنه لا حيلة في اصلاح حال ولا مآل، وأن الاسلام تفويض ذلك الى الله وما على المسلم الا أن يقتصر على خاصة نفسه. ووجدوا في ظواهر الالفاظ لبعض الاحاديث ما يعينهم على ذلك وفي الموضوعات والضعاف ما شداؤهم في بث هذه الاوهام. وقد انتشر بين المسلمين جيش من هؤلاء المضلين وتعاون ولاية الشر على مساعدتهم في جميع الاطراف

وأنخذوا من عقيدة القدر مشبطا للعزائم وغلا للأيدي عن العمل . والعامل الأقوى في حمل النفوس على قبول هذه الخرافات إنما هو السذاجة وضعف البصيرة في الدين وموافقة الهوى . أمور إذا اجتمعت أهلكت . فاستمر الحق تحت ظلام الباطل ورسخ في نفوس الناس من العقائد ما يضارب أصول دينهم ويباينها على خط مستقيم كما يقال

هذه السياسة — سياسة الظلمة وأهل الأثرة — هي التي روجت ما أدخل على الدين مما لا يعرفه وسلبت من المسلم أملا كان يخترق به أطباق السموات، وأخلدت به إلى يأس يجاور به العجماوات . فجل ما تراه الآن مما نسميه اسلاما فهو ليس باسلام وإنما حفظ من أعمال الاسلام صورة الصلاة والصوم والحج ومن الأقوال قليلا منها حرقت عن معانيها . ووصل الناس بما عرض على دينهم من البدع والخرافات إلى الجود الذي ذكرته وعدوه ديننا . نعوذ بالله منهم ومما يفترون على الله ودينه . فكل ما يعاب الآن على المسلمين ليس من الاسلام وإنما هو شيء آخر سموه اسلاما والقرآن شاهد صادق (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) يشهد بأنهم كاذبون وأنهم عنه لاهون وعماء جاء به معرضون . وسنوفي لك الكلام في مفساد هذا الجود وثبت أنه علة لا بد أن تزول اه المراد منه هنا (للكلام بقية)

رسائل الطعن في الوهاية

كان السلطان عبد الحميد يخاف عاقبة نهضة العرب الدينية في نجد إذ كان يمتقد هو وبعض أركان دولته أن العرب لا تجتمع لهم كلمة ولا تقوم لهم دولة إلا بدعوة دينية كما قرره حكيمهم ابن خلدون في مقدمته — فكان يغري بعض أمرائهم ببعض كاغراء آل رشيد بآل سعود ، وكان المنافقون من المعممين يتقربون إلى حكومته بالطعن في الوهاية ويزعمون أنهم يخدمون بذلك الدين وينصرون السنة ، ولكننا لم نر أحدا من هؤلاء المنافقين نصر

لدين بالرد على الملاحدة ولا على دعاة النصرانية الذين يطعنون في أصل الاسلام وكتابه ورسوله لتنصير المسلمين ، وكان بعض حشوية الشام المتملقين أشد الناس اسرافا في الطعن في الوهابية فلا يكادون يذكرون في كل البلاد العثمانية بقدر ما يذكرون في دمشق وحدها .

وقد خفت هذه الوطأة في السنين الاخيرة ثم اشتدت بعد استقرت اماره عبد الله بن الملك حسين في شرق الاردن وشاع أن الوهابية سينزحون الاستيلاء على هذه المنطقة لانزاعها من السلطة الحجازية البريطانية ، وكان بعض الجرائد المسيحية في دمشق والقدس أول ميادين هذه الحملة . فاصحابها النصاري يطعنون في الوهابية ويفضلون امراء الحجاز على امراء نجد من طريق السياسة بل ذكرت جريدة (لسان العرب) التي تأخذ راتباً شهرياً من الامير عبد الله ومنحتها جريدة القبلة الحجازية لقب « لسان أقوامنا » أنه يجب على النصاري في سورية وفلسطين تأييد الملك حسين وأولاده لان حكومتهم مدنية لا اسلامية بخلاف حكومة نجد فانها اسلامية دينية متمسكة - وقد فتحوا أبواب صحفهم لكل من يطعن في الوهابية من المسلمين طعننا دينياً بحتاً لاجل هذه الغاية السياسية

وفي هذه الاثناء جاءتنا عدة رسائل من دمشق ورسالة من بيروت في الطعن في الوهابية كتب على ظهر بعضها أنها « توزع مجاناً وقف الله تعالى » وعلى البعض الآخر « توزع مجاناً في محبة رسول الله صلى الله عليه » وغير معهود من أصحابها هذا السخاء في نشر العلم والدين ؟ ؟

لم يرسل اليها هذه الرسائل مؤلفوها . بل أرسلها بعض أهل العلم والدين لنرد عليها . وقد تصفحننا أوراقاً من كل منها من أولها وآخرها فلم نر شيئاً منها يستحق أن يكرم بالرد . لانهم يقولون زوراً ويخلقون أفسكاراً ويردون عليها كما يردون بعض الحق بمحض الجهل وتقليد العوام ومجاراتهم وجعل البدع الفاشية فيهم سنناً مجماً عليها . بل ذكروا في رسائلهم من الاحاديث الموضوعة والآثار المصنوعة والكذب على السلف الصالح والائمة ما يعمد معه الكذب على الشيخ محمد عبد الوهاب وأهل نجد أمراً هيناً فان كذباً عليه (ص) ليس ككذب على غيره فن كذب عليه متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، كما تواتر عنه عليه صلوات الله وسلامه . على أن بعض علماء دمشق الاثريين قد ردوا

عليهم برسائل فضحوا بها ما متروا ولقفوا ما لفقوا

فمن هذه الرسائل ثلاث لرجل في دمشق يدعى الشيخ عبد القادر الكيلاني الاسكندراني لقيته في دمشق غير مرة فاومني أنه يكره الحشو والبدع ويحب الاصلاح . وما كنت اظن فيه أن يكتب امثال هذه الرسائل ولكنها هي أدل على حقيقة حاله مما تراءى لي منه

(ومنها) رسالة لرجل عامي لا ندري أهو من طائفة المغممين أم من غيرهم اسمه محمد توفيق السويقة — وقد كتب عليها انها الرسالة الاولى

(ومنها) رسالة للشيخ محمد جميل الشطي الحنبلي سماها (الوسيط بين الافراط والتفريط) نصب فيها نفسه حكما بين الوهابية وغلاة خصومهم وكنا نظن أنه يحكم عن علم ، ويلتزم الحق فلا يجوز في الحكم ، فاذا هو خصم أي خصم ، نقل عنهم ما ليس عندهم ، ولبس الحق بالباطل ، ولم يميز بين الاواخر والاوائل ، بل جعل الخلف الطالح ، كالسلف الصالح ، وايدم في بعض المواضع من حيث لا يدري بل في سياق الرد عليهم ، واعتمد في هذا الرد على كلام أعدائهم ومقلدة أعدائهم رد على هذه الرسائل الشيخ ناصر الدين الحجازي الاثري والشيخ أبو اليسار الدمشقي ، فأتيا بما يكفي دافعا لمفترياتها ، ومزيلا لشبهاتها ، وإن لم يستقصيا جميع ضلالاتها ، وردهما عليها رد على رسالة الشيخ مصباح شبقلو البيروتي . فان كل الذين يردون على الوهابية يستمدون الافتراء عليهم من مصدر واحد كما أن مصدر مادتهم العلمية والدينية واحدهم والتقليد لمتأخري مقلدة الحشوية وبدعهم ، فلا تحري في النقل ، ولا استقلال في الفهم ، ولا رسوخ في شيء من العلم ، وأنى والعلم الذي فرضه الله على كل مسلم محرم عندهم ، لانه يدخل في مفهوم الاجتهاد الذي أقلل بابه بعض شيوخ مشايخهم ، وشرعوا للناس تقليد المجتهدين بدلا منه ، ثم شرع آخرون لهم تقليد المقلدين ، وجميع من ينسب الى مذاهبهم من الميتين ، الى خمس طبقات مرتبة في خمس دركات على أنهم يستدلون فيجتهدون لتأييد التقليد ، لان الاجتهاد المحرم عندهم ما يطلب به الحق لذاته ، ولذلك يحتجون بالاحاديث الموضوعة أو المفتراة حديثا لان مشايخهم ذكروها ، ولا يعلم الفريقان أن المحدثين أنكروها أو لم يتبنتوها ، والتميز بين الاحاديث الصحيحة والباطلة من شروط العلم المحرم عندهم . وان لنا كلمة فاصلة فيهم وفي بيان عقائد الوهابية سيرونها في جزء آخر

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ
وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يُبَذِّرُ اللَّهُ أَرْزَاقَهُ إِلَّا لِمَن يَشَاءُ

الْمَلِكِ

١٣١٥

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ

قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام عني « وما » كناية عن طريقه

٣٠ رمضان ١٣٤١ - ٢٥ الثور (٢) سنة ١٣٠١ هـ ١٦ مايو ١٩٢٣

فتاوى المنار

﴿ أسئلة وبحث في الفتوى الاولى من فتاوى هذا المجلد — ٢٤ ﴾

﴿ وموضوعها استعمال الذهب والفضة ﴾

(س ١١) اصحاب الامضاء بدار سعد (الحج)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، محمد وآله
وأصحابه أجمعين

لحضرة سيدي العلامة صاحب الفضل والفضيلة السيد محمد رشيد رضا
صاحب مجلة المنار حفظه الله آمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته علي الدوام
سيدي — اطاعت على فتواكم الشريفة في استعمال آنية الذهب والفضة الصادرة
في الجزء الاول من المجلد ٢٤ من مجلتكم المنار الغراء وهي لعمرى فتوى نفيسة
فيها توسيع وتيسير على كثير من المسلمين الذين ابتلوا باستعمال هذين النقيدين
في الاسلحة والاواني والساعات والخواتيم وغير ذلك وفي دين الله شعة، وفي
الخيافية السمحة والمحجة البيضاء ما يوسع الخلق تفرجاً ورحمة. وبحسب المؤمنين
قوله تعالى (ما جعل الله عليكم في الدين من حرج) وقوله تعالى (قل من حرم
زينة الله التي اخرج لعباده) وقوله تعالى (انما حرم ربي الفواحش) الآيات
ولكن المحتاط لدينه لا بد له من برهان وحجة قاطعة تقابل النصوص وتدفع
اعتقاده الذي قد رسخ في يقينه، وأصبح من اجزاء دينه ، التي لا يمكنه فصل
بعضها عن بعض . وها أنا ذا أنطلق عليكم واستزيدكم بياناً لما كتبتهموه واقفاً
موقف السائل المستفيد ولا شأن لي في الاعتراض وإنما أنطلب الحقيقة

بنيتم سيدي فتواكم على ما ذهب اليه الامام داود ومن وافقه من منع

القياس ، وقد علمتم أن جمهور الامة آخذ بالقياس ، وأن داود أيضا ممن يأخذ بالجلي منه . وقلتم في تعليمهم بالخيلاء ، وكسر نفوس الفقراء ما هو الحق ولكن الاصح عندهم ان العلة هي العين مع شرط الخيلاء وفرق بين الحال

نعم سيدي علمنا من مذاهب جمهور الامة الاسلامية تحريم الاستعمال للآنية في الاكل والشرب بالنص وغيرها بالقياس عليها ، وقالت طائفة بالحل والاباحة مطلقا ، وقالت أخرى بتحريم ما جاء به النص فقط ومنهم داود ، وقال الشافعي في مذهبه القديم بالكراهة للتنزيه

ثم وجدنا ابن المنذر نقل الاجماع ووجدنا الامام النووي أيضا ناقلا له مع قول ابن المنذر: ان المخالف معاوية بن قرة ، وقول الشافعي في القديم ومع قول النووي ان المخالف داود وأصحابه ممن ينفي القياس واسقاطه لهذا القول ونقله عن الاصحاب انهم لا يعتبرون خلاف من لم يقل بالقياس واسقاطه لمذهب الشافعي القديم وكونه غير مذهب له الآن

فهل نقل الافراد للاجماع مقبول أو مردود ؟ واذا رد فن أين نعلم الاجماع ؟ وهل قولهم بالاجماع يحمل على الاجماع الصحيح المقبول الذي هو حجة ؟ أو يحمل على كونه وقع بعد الخلاف وموت أهله أم ماذا نقول ؟ وهل تقولون بحجية الاجماع ؟ وهل هو واقع في الماضي ويمكن الوقوع في الحال والاستقبال أم لا وقد نقل النووي أيضا الاجماع على تحريم خاتم الذهب مع وجود الخلاف وصحة كون جماعة من الصحابة ومن العشرة قد لبسوه حتى راوي حديث النهي عنه والقول فيه . كسابقه أفيدوا بما فاءكم الله

واذا أسقطتم هذا الاجماع فما قولكم في حديث الذهب والحرير « هذان حرامان على ذكور أمتي حال لائتها » وحديث « من لبس الذهب في الدنيا لا يلبسه في الجنة » أو كما قال تفضلوا بالبيان الشافي واظهار الحجة الساطعة في ذلك لاعداءكم المسلمون ودمتم
الامير بدار سعد (الحج)
وأفيدوا عافاكم الله عن حديث النهي عن لبس الذهب الا مقطعا أو كما قال

وعن حديث سيف رسول الله الذي تقلده يوم فتح مكة وهو محلى بالذهب وعن إلباسه للبراء خاتم الذهب وهو راوي حديث النهي عنه. ويقول: ألبسني رسول الله، ولماذا لبسه سعد بن أبي وقاص وطلحة واسيد بن حضير وصهيب وحذيفة وخباب وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم؟ هل يجوز أن يقال إنه لم يبلغهم النهي؟ أم تقول إنهم حملوا النهي على التنزيه؟ أفيدونا جزاكم الله خيراً فقد وقع هنا سوء ظن لمخالفة إجماع المذاهب حفظكم الله

(المنار) اننا أوجزنا في هذه الفتوى لانه سبق لنا تفصيل المسألة في الفتوى ٥٧ من المجلد السابع وغيرها، ولواطلم عليها السائل لاستغنى بها عن أكثر هذه المسائل. ولو أردنا أن نعيد كل ما حققناه من المسائل في المنار كلما تكرر السؤال عنه ممن يتجدد من المشتركين لكثير التكرار فيه حتى يملأ أكثر القارئين به ومن مسائل تلك الفتوى (١) بيان ضعف حديث «أحل الذهب والحرير للأنث من أمتي وحرم على ذكورها» وتخطئة الترمذي في تصحيحه (٢) اعلال حديث «ان هذين حرام على ذكور أمتي» البخ (٣) ان حديث معاوية في النهي «عن لبس الذهب الا مقطعا» في اسناده سليمان القناد فيه مقال وبقية رجاله ثقات ورواه أبو داود بسند آخر فيه بقية بن الوليد وفيه مقال أيضا (٣) ان حديث علي «نهاني رسول الله عن التخنم بالذهب» الخ رواه احمد ومسلم وأصحاب السنن ما عدا ابن ماجه وفي رواية فيه «ولا أقول نهاكم» وهي كما قيل قاضية على رواية «نهى» (٤) ان الذي ثبت في الصحاح هو النهي عن الأكل والشرب في صحاف الذهب والفضة وأوانيهم مالم الوعيد الدال على التحريم وكذا التخنم بالذهب (٥) اختلاف السلف والخلف في المسألة ومسألة الحرير (٦) اختلاف النصوص وآراء العلماء في علة النهي والتحريم وقد استغرق هذا وحده صفحتين من الفتوى وسيدكر بعضه فيما يأتي. وهاك تلخيص الكلام في الحرير والذهب والفضة من خاتمة تلك الفتوى وهو:

«والجملة ان نص الشارع صريح في النهي عن الحرير الخالص الا لحاجة

لبسا وجلوسا عليه وأباح أنس وابن عباس الجلوس عليه. وقال الفقهاء أي بلا حائل فإن كان هنالك حائل كالنسيج الأبيض الذي يوضع على الكراسي والارائك فلا بأس عندهم — وعن الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة — والتختم بالذهب على ما فيه ، وإن بعض الفقهاء حملوا ذلك النهي على الكراهة دون التحريم والجاهير حملوه على التحريم ، وإن داود خصه بالشرب — وأكثر المحدثين بالاكل والشرب ، وعامة الفقهاء حرموا كل استعمال الانحوضبة يصلح بها إناء. وأن الاحتياط أن يجتنب المسلم ماورد به النهي الصريح ويراعي المصلحة فيما وراء ذلك بحسب اجتهاده مع الاخلاص والله أعلم »

وبقي هنا أسئلة نجيب عنها بالاجاز

(١) حديث « من لبس الذهب في الدنيا لا يلبسه في الجنة » أخطأ السائل في لفظه فانما ورد بهذا اللفظ في الحرير مع ذكر الآخرة بدل الجنة، وهو في الصحيحين وغيرهما والمراد به الحرير الخالص وهو مقيد بما لا تمس اليه الحاجة جمعا بين الروايات الصحيحة ومنها اذن النبي (ص) لعبد الرحمن بن عوف والزبير بلبسه لحكمة كانت بهما رواه الشيخان بل الجماعة كلهم ، وروى أبو داود لبيه عن عشرين من الصحابة

وأما حديث لبس الذهب فقد أخرجه أحمد والطبراني عن ابن عمر مرفوعا بلفظ « من مات من أمتي وهو يلبس الذهب حرم الله عليه ذهب الجنة » الحديث ، ولم أر لفقهاء الحديث الذين حصرنا التحريم في الصحف والآنية والخواتيم كلاما في هذا الحديث وما ذلك الا لانهم لم يروه صالحا للاحتجاج فانهم يأخذون بكل ما يحتج به. وليسوا كقلدة المذاهب الذين يأخذون بما وافق مذاهبهم ويردون غيره او يسكتون عنه. ولم يحتج به من رأينا كتبهم من فقهاء الحنابلة حتى المغني والشرح الكبير للمقنع ولكن ذكره الحافظ في الفتح ولم يتكلم عليه ، وسيأتي ما يؤيد اعلاله

(٢) حديث النهي عن لبس الذهب الا مقطعا أشرنا الى ضعفه في خلاصة

فتوى المجلد السابع وذلك ان صالح بن الامام احمد قال عن أبيه ان ميمون القناد روى هذا الحديث ولا يصح ، وثقه ابن حبان ورواه أبو داود من طريق بقية ابن الوليد وهو صدوق الا أنه كثير التدليس عن الضعفاء ولفظه عن معاوية : نهى رسول الله (ص) عن ركوب النمار وعن لبس الذهب الا مقطعا « والنمار والنمر جمع نمر وفيه حذف مضاف فانما النهي عن استعمال جلودها بوضعها على الرجل وعللوه بالخيلاء وبأنه زي العجم ، ومدنى المقطع ما جعل قطعاً كعجلي النساء وما يجعل في سيف الرجل — كذا فسروه قال في نيل الاوطار : قال ابن رسلان في شرح سنن أبي داود : والمراد بالنهي الذهب الكثير لا المقطع قطعاً يسيرة منه نجعل حلقة أو قرطاً أو خاتماً للنساء أو في سيف الرجل وكره الكثير منه الذي هو عادة أهل السرف والخيلاء والتكبر ، وقد يضبط الكثير منه بما كان نصاباً تجب فيه الزكاة (أي ٢٠ مثقالاً) واليسير بما لا تجب فيه (انتهى) وقد ذكر مثل هذا الكلام الخطابي في المعالم ولعل هذا الاستثناء خاص بالنساء. قال لان جنس الذهب ليس بمحرم عليهن كما حرم على الرجال قليله وكثيره اه وقوله هذا مراد به تأييد مذهبه وحمل الحديث عليه كدأب المقلدين

وقد أباح قليل الذهب بعض المصنفين في فقه المذاهب . قال أبو القاسم الحرقى من قدماء أئمة الحنابلة في مختصره المشهور ، ويكره أن يتوضأ بآنية الذهب والفضة فان فعل كره . اه وحمل الشارح في المغني الكراهة على التحريم ثم قال في اختلاف الأئمة في الضبة الكبيرة وتعليل التحريم بالاسراف والخيلاء : اذا ثبت هذا فاختلف أصحابنا فقال أبو بكر يباح اليسير من الذهب والفضة لما ذكرنا . واكثر أصحابنا على انه لا يباح اليسير من الذهب ولا يباح الا مادعت اليه الحاجة كائف الذهب وما يربط به أسنانه الخ

(٣) السؤال عن إلباس النبي (ص) البراء خاتم الذهب . ومن لبسه غيره من الصحابة هل يجوز أن يقال إنه لم يبلغهم النهي أم نقول أنهم حملوا النهي على التنزيه ؟ أقول

حديث البراء أسنده البخاري في عدة أبواب اختلفت ألفاظها بالتقديم والتأخير والزيادة والنقصان ولفظه في كتاب اللباس : نهانا النبي (ص) عن سبعم عن خاتم الذهب—أو قال حلقة الذهب—والحرير والاستبرق والديباج والميثة الحراء والقسي وآنية الفضة النخ وقد ذكر الحافظ في شرحه من الفتح ما نصه: وقد جاء عن جماعة من الصحابة لبس خاتم الذهب ، من ذلك ما أخرجه ابن أبي شيبة من طريق محمد بن أبي اسماعيل أنه رأى ذلك على سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وصهيب وذكر ستة أو سبعة، وأخرج ابن أبي شيبة أيضا عن حذيفة وعن جابر ابن سمرة وعن عبد الله بن يزيد الخطمي نحوه من طريق حمزة بن أبي اسيد: نزعا من يدي أبي اسيد خاتما من ذهب . وأغرب ما جاء في ذلك ما جاء عن البراء الذي روى النهي فأخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح عن أبي السفر قال رأيت على البراء خاتما من ذهب ، وعن شعبة عن أبي أسحق نحوه أخرجه البغوي في الجعديات ، وأخرج أحمد من طريق محمد بن مالك قال رأيت على البراء خاتما من ذهب فقال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فألبسنيه فقال « إلبس ما كساك الله ورسوله » قال الحازمي اسناده ليس بذلك ولو صح فهو منسوخ (قلت) لو ثبت النسخ عند البراء ما لبسه بعد النبي (ص) وقد روى حديث النهي المتفق على صحته عنه فالجمع بين روايته وفعله إما بأن يكون على التنزيه أو فهم الخصوصية له من قوله « إلبس ما كساك الله ورسوله » وهذا أولى من قول الحازمي : لعل البراء لم يلبسه النهي . ويؤيد الاحتمال الثاني أنه وقع في رواية أحمد : كان الناس يقولون للبراء لم تتختم بالذهب وقد نهى عنه رسول الله (ص) ؟ فيذكر لهم هذا الحديث ثم يقول : كيف تأمروني أن أضع ما قال رسول الله (ص) « إلبس ما كساك الله ورسوله » ؟ أه

فعلم من هذا أن أجوبة العلماء عن التعارض بين رواية البراء وعمله ثلاثة (أحدها) أن لبسه للخاتم كان قبل التحريم فهو منسوخ ، وأدنى ما يرد به هذا القول إلى الأدب في التعبير أنه قيل عن غفلة فان الروايات في لبس البراء للذهب

مربحة في أنه كان بعد النهي بل بعد وفاة النبي (ص) فان كان هنالك نسخ فالمسوخ هو تحريم الذهب لا اباحته (ثانيها) الخصوصية ، وهو ضعيف بل باطل أيضاً ، لا لقولهم ان الخصوصية خلاف الاصل فقط ، بل لان الحلال والحرام لا تثبت فيه خصوصية الافراد لذواتهم وانما تناط الرخص باسباب تقتضيها ، وليس هذا الموضوع بالذي يتسع لشرح هذه المسألة (ثالثها) اعتقاد أن النهي للكراهة وهو أقربها ، ولكن فيه ان بعض أحاديث النهي تتضمن الوعيد وهو لا يكون الا على المحرم ، ويجاب بأن حديث البراء المنفق عليه ليس فيه وعيد ، ولو ثبت الوعيد عنده أو عند غيره من أكابر الصحابة الذين روي عنهم التختم بالذهب لما لبسه أحد منهم ، ومن المستبعد أن يخفى عليهم ، ويجوز أن يكون الوعيد عندهم مقيدا بقيد كالاسراف أو الخيلاء مما لا ينطبق عليهم .

هذا وان حديث البراء وحديث علي (رض) في النهي يشتملان على النهي عن لبس القسي (بفتح القاف وتشديد السين والياء) من الثياب وهي ثياب مصرية فيها شيء من الحرير وعن المياثر الحمراء أو من جلود السباع أو مطلقا جمع ميثرة بالكسر وهي حشايا صغيرة كان النساء يصنعنها لرجال فتوضع على سرج الفرس أو رحل البعير . وكن يصنعنها من الارجوان الاحمر أو جلود السباع أو الديباج وقد سبق اليها العجم فكان مما عمل به النهي عنها تقليدهم والتشبه بهم وهو سبب عارض . وفي تحريمها خلاف بين الفقهاء اقواه ان النهي يكون للتحريم اذا كانت حريرا خالصا أو أكثرها من الحرير ، وللتنزيه اذا لم تكن كذلك ، على أنه صرح النهي عن الاحمر مطلقا وعن جلود الثور ، وفي تحريمهما خلاف مشهور .

(٢) نقل النووي وابن المنذر الاجماع على ما ذكره السائل غير صحيح ونكتفي في بيانه والجواب عنه بما قاله أهل الرواية من فقهاء الحديث الواسعي الاطلاع المستقلي الفكر : قال القاضي الشوكاني في نيل الاوطار ما نصه :

«قال النووي: قال اصحابنا انعقد الاجماع على تحريم الاكل والشرب وسائر الاستعمالات في انا، ذهب أو فضة إلا رواية عن داود في تحريم الشرب فقط. ولعله

لم يبلغه حديث تحريم الاكل وقول قديم للشافعي والعراقيين فقال بالكراهة دون التحريم وقد رجع عنه. وتأوله أيضا صاحب التقريب ولم يحمله على ظاهره فثبتت صحة دعوى الاجماع على ذلك وقد نقل الاجماع أيضا ابن المنذر على تحريم الشرب في آنية الذهب والفضة إلا عن معاوية بن قرة «وقد اجيب من جهة القائلين بالكراهة عن الحديث بانه للزهيد بدليل» «أنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة» ورد بحديث «فانما يخرج في بطنه نار جهنم» وهو وعيد شديد ولا يكون الا على محرم. ولا شك أن أحاديث الباب تدل على تحريم الاكل والشرب وأما سائر الاستعمالات فلا. والقياس على الاكل والشرب قياس مع فارق فان علة النهي عن الاكل والشرب هي التشبه باهل الجنة حيث يطاف عليهم بآنية من فضة وذلك مناط معتبر للشارع كما ثبت عنه لما رأى رجلاً متخماً بمخاتم من ذهب فقال «مالي أرى عليك حلية أهل الجنة؟» أخرجه الثلاثة من حديث بريدة وكذلك في الحرير وغيره والالزم تحريم التحلي بالحلي والاقتراش للحرير لان ذلك استعمال وقد جوزوه البعض من القائلين بتحريم الاستعمال «وأما حكاية النووي للاجماع على تحريم الاستعمال فلا تتم مع مخالفة داود والشافعي وبعض اصحابه وقد اقتصر الامام المهدي في البحر على نسبة ذلك الى اكثر الامة على أنه لا يخفى على المنصف مافي حجية الاجماع من النزاع والاشكالات التي لا تخلص عنها. والحاصل أن الاصل الحل فلا تثبت الحرمة الا بدليل يسلمه الخصم ولا دليل في المقام بهذه الصفة فالوقوف على ذلك الاصل المعتضد بالبراءة الاصلية هو وظيفة المنصف الذي لم يخبط بسوط هيبة الجمهور ولا سيما وقد أيد هذا الاصل حديث «ولكن عليكم بالفضة فاعبوا بها لعباً» أخرجه احمد وأبو داود. ويشهد له ما سلف أن أم سلمة جاءت بجلجل من فضة فيه شعر من شعر رسول الله (ص) فحضر خضت — الحديث في البخاري وقد سبق — وقد قيل ان العلة في التحريم الخيلاء، أو كسر قلوب الفقراء، ويرد عليه جواز استعمال الاواني من الجواهر النفيسة وغالبها انفس واكثر قيمة من الذهب والفضة، ولم يمنعها الا من شذ، وقد نقل ابن الصباغ في

الشامل الاجماع على الجواز وتبعه الرافعي ومن بعده. وقيل العلة التشبه بالا عجم وفي ذلك نظر لثبوت الوعيد لفاعله ومجرد التشبه لا يصل الى ذلك. وأما اتخاذ الاواني بدون استعمال فذهب الجمهور الى منعه ورخصت فيه طائفة « اه

وقال الحافظ محمد بن اسماعيل الاميرفي (سبل السلام ، شرح بلوغ المرام) بعد ذكر الاجماع على تحريم الاكل والشرب في آنية الذهب والفضة وصحافها ما نصه « وأما غيرها من سائر الاستعمالات ففيها الخلاف — قيل لا تحرم لان النص لم يرد الا في الاكل والشرب ، وقيل تحرم سائر الاستعمالات اجماعا ، ونازع في الاخير بعض المتأخرين وقال النص ورد في الاكل والشرب لا غير ، وإلحاق سائر الاستعمالات قياسا لا يتم فيه شرائط القياس ، والحق ما ذهب اليه القائل بعدم تحريم غير الاكل والشرب فيها اذ هو الثابت بالنص ، ودعوى الاجماع غير صحيحة ، وهذا من شؤم تبديل اللفظ النبوي بغيره فانه ورد بتحريم الاكل والشرب فقط ، فعدلوا عن عبارته الى الاستعمال وهجروا العبارة النبوية وجاؤا بلفظ عام من تلقاء أنفسهم ، ولها نظائر في عباراتهم ا ه المراد منه

فأنت ترى أنه أنكر صحة الاجماع ولو لم يكن من دليله الا ما تقدم عن الصحابة (رض) لكفى ، وأنكر صحة القياس هنا ولا ينكر كل قياس ، وهو قياس في مسألة فيها نص ، ولو أراد النبي (ص) بيان تحريم كل استعمال اصرح به ، وهو انما صرح ببعض الاستعمال فصدق على الباقي قوله « وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها »

وقد لخص الحافظ ابن حجر الاقوال في المسألة في الفتح فقال في آخر شرحه لاحاديث النهي عن الاكل والشرب في أواني الذهب والفضة والتختم بالذهب وتعليقه ما نصه :

« وفي هذه الاحاديث تحريم الاكل والشرب في آنية الذهب والفضة على كل مكلف رجلا كان أو امرأة ولا يلتحق ذلك بالحلي للنساء لانه ليس من التزين الذي أبيح لها في شيء . قال القرطبي وغيره : في الحديث تحريم استعمال

أواني الذهب والفضة في الاكل والشرب ويلحق بهما ما في معناهما مثل التطيب والتكحل وسائر وجوه الاستعمالات وبهذا قل الجمهور ، وأغربت طائفة شذت فأباحت ذلك مطلقا ، ومنهم من قصر التحريم على الاكل والشرب ، ومنهم من قصره على الشرب لانه لم يقف على الزيادة في الاكل « أه المراد منه وهو صريح في عدم الاجماع . وقد أطل بعده في سرد ما علموا به النهي والبحث فيه فان قيل لا يبعد أن يكون الاجماع قد وقع بعد ما ذكر من الخلاف ، قلنا ان هذا احتمال أرادوا به تصحيح قول من ادعاه ، ولا يصح أن يجعل الاحتمال دليلا وفي حجية اجماع غير الصحابة وفي إمكانه ثم امكان العلم به ما فيه من الخلاف ؟ بل يصح أن يقال ان كون تحريم الاستعمال قول الجمهور فيه نظر فانه غير منقول عن كثير من علماء السلف الذين يعتقد بعلمهم وانما قبلت هذه الاقوال بعد فشو التقليد فصار ماعليه المقلدون الكثيرون يشتهر بما عليه الائمة الكثيرون ، وان كانت كثرة المقلدين كقلتهم باتفاق علماء الاصول ، فأخذ زهاء مئتي مليون من حنفية هذا الزمان بقول أبي حنيفة رحمه الله تعالى ان رفع اليدين عند الركوع والقيام منه مكروه مثلا لا يخرج به عن كونه قول فرد أو افراد . ولا يلحقه بقول الجمهور لكثرتهم ، بل جمهور العلماء المجتهدين من سلف الامة وقدموتها على سنية الرفع ورواه البخاري عن خمسين من الصحابة . بل لو خالف أبو حنيفة ومالك والشافعي واحمد (رض) سائر علماء عصرهم فهم ومن قبلهم سواء في المسألة ، أعني انه لا يقال انها مذهب جمهور الامة بأخذ الائمة مليون من اتباعهم بها فان هؤلاء الملايين ليس لهم قول لانهم مقلدون لغيرهم لا مستدلون ولكن بعض اتباع هؤلاء الائمة صاروا يسمون اتفاقهم اجماعا وألغوا في ذلك كتاب جمعوا فيها ما اشتهر من هذا الاتفاق ، على أنه غير حجة في الدين باتفاق علماء الاصول كما يأتي ، بل من المؤلفين من يطلق كلمة الاجماع على اتفاق علماء مذهبه ، وقد ينوهم هؤلاء وأولئك ان ذلك هو الاجماع الذي جعل حجة لعدم علمهم بالخالف ، ولاغرو فاقول المقلدين من له اطلاع على أقوال سلف الامة وأئمتها المخالفين لمذهبه

(٥) السؤال عما يعرف به الاجماع . وجوابه أنه يعرف بالنقل الذي لا معارض له. وكان العلم بالاجماع من أشق الأمور في العصر الاول و يكاد يكون من المتعذر بعده، بل قال بعضهم: إنه متعذر، حتى الاجماع السكوتي المختلف فيه . ولهذا أكثر خطأ الذين حاولوا ضبط ما عرفوه من مسائله كابن المنذر وابن حزم ولدينا رسالة لابن تيمية في تخطئة ابن حزم في كثير مما نقل الاجماع عليه . وأما تحقيق الحق في مسألة حجبة الاجماع فقد فصلناه في تفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ^(١)) وأبلي الامر منكم) فلا نفرد لها بحثا هنا

(٦) قول السائل اننا بنينا فتوانا على ما ذهب اليه داود ومن وافقه من منع القياس . وهو سهو منه يظهر له بمراجعة الفتوى وانما بنيناها على نص القرآن وقاعدة البراءة الاصلية وحديث « وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » وما في معناه، وتخصيص القياس بما عدا الزيادة في العبادات والتحريم الديني المحض ، وهذا مذهب المحققين من فقهاء الحديث وغيرهم

وقد حققنا مسألة الاحتجاج به واختلاف أهل الحديث وأهل الرأي فيه حيث حققنا مسألة الاجماع كما بيناه آنفا فبراجع هنالك فانه طويل ونفيس جدا

(٧) قوله : فقد وقع هنا سوء ظن لمخالفة إجماع المذاهب. نقول ما هذه المذاهب التي أساؤا الظن بمن ينقل ما خالفها ؟ الظاهر أنهم يعنون مذاهب أئمة الفقه الاربعة الذين ينتمي اليهم أكثر مقلدة المسلمين السنيين : أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم ، فان كانوا يسيئون الظن بمن ينقل ما يخالف أقوالهم وأقوال اتباعهم فسوء ظنهم هذا يتناول أساطين علماء الاسلام الاعلام من المفسرين والمحدثين والمتكلمين والاصوليين ، وان كانوا يسيئون الظن بمن يخالف مذاهبهم في العمل فهم يسيئون الظن بكل المجتهدين في زمنهم ومن بعدهم ، ويشرعون للناس حجبة اجماعهم ، وهذا شرع لم يأذن به الله ، ولم يقل به احد من علماء الاصول المتتمين اليهم ولا من غيرهم ، بل جمهور هؤلاء الاصوليين يشترطون

في الإجماع اتفاق المجتهدين في عصر من الأعصار حتى أنهم منعوا الاحتجاج بإجماع الخلفاء الأربعة مع ما ورد في الحديث من جعل سنتهم كسنته (ص) وإجماع أئمة آل البيت مع ما ورد من حديث الثقلين وغيره ، وإجماع أهل المدينة في عصر التابعين وتابعيهم الذي جرى عليه الإمام مالك . فهل يقولون بحجية إجماع أربعة من المجتهدين كان عدد المجتهدين في عصرهم غير محصور؟ وجميع هؤلاء الأصوليين يقولون بالتبع لأئمة السلف كلهم بوجوب اتباع الدليل وتحريم التقليد ورد كل قول لكل أحد يخالف نص الكتاب والسنة ، وهذا منقول عن الأئمة الأربعة نقلا لا نزاع فيه فهو مما أجمعوا عليه بل نقل ابن حزم الإجماع الإمام على النهي عن التقليد ، وإنما أباح التقليد المقلدون وأولوا كلام أئمتهم في بطلانه ، واشترطوا فيه العجز عن معرفة الدليل ولو في بعض المسائل دون بعض ، واختلف هؤلاء في التزام مذهب معين ورجح ابن برهان والنووي عدم الالتزام واحتجوا بما كان عليه عوام السلف من الصحابة والتابعين . وقال الناج السبكي في أواخر كتابه (جمع الجوامع) في الأصول الذي هو عمدة الأزهر وسائر المعاهد الدينية بمصر : وإن الشافعي ومالك وأبا حنيفة وأحمد والأوزاعي وإسحق وداود وسائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم وليعلم من يسيء الظن ومن يحسنه من أهل بلادكم أن المنار منار الإسلام لا منار مذهب معين من المذاهب المتبعة ، وأنه يحترم ويعظم جميع الأئمة ويخدم الإسلام بنحو ما كانوا يخدمونه به ، وهو بيان كتاب الله وسنة رسوله وسيرة سلفه الصالح مع الدعوة إلى الاهتداء بذلك في هذا العصر في أمري الدين والدنيا ، ومن ذلك ذكر كل حكم بدليله . ويعتمد في الاستدلال على أشهر كتب التفسير والسنة وشروحيها المعتمدة ، ويتحرى بذلك إفادة جميع المسلمين وجمع كلمتهم ، وإزالة ما شجر من الخلاف والشقاق بينهم ، ويرى أن اتباعهم لأولئك الأئمة يساعد على ذلك دون اتباع كثير من المقلدين المتأخرين المفرقين ، وليعلم هؤلاء أيضا أن كثيرا من هذه الكتب المنتشرة المنسوبة إلى أناس يصفون أنفسهم بالشافعي والحنفي الخ محشوة بالخرافات والاحاديث الموضوعة والاقوال

المخالفة لأحوال الأئمة ونصوصهم ، ونحن بحمد الله وتوفيقه قد اتبعنا الأئمة كلهم بالتزام ذكر الأحكام بأدلتها من غير تعصب لأحد من العلماء في المسائل الخلافية، وإننا ننصح لكل أحد بأن يحتاط لنفسه في العمل، ومنه أن يجتنب ما يختلف العلماء الذين يعتقد بعلمهم في تحريمه وإن لم يعتقد رجحان التحريم، وأما إذا اعتقده بقوة دليhle عنده أو بالثقة بقول إمامه فيتمتعين عليه تركه ، ولكن ليس المقلد أن يعترض على من اتبع الدليل لأنه ليس من أهله ، ولا على من قلده غير إمامه وغير الأربعة كالزيدي مثلاً لأنه مثله . ولا ينبغي للمسلمين أن يتعادوا بسبب هذه الخلافات فقد أضع ذلك عليهم دينهم ودينام كما بيناه مراراً ، وأقد صدق حجة الإسلام الغزالي في جعله ترك المسلمين لجميع المسائل الخلافية الاجتهادية دون ضرر الاختلاف والتفرق في الدين ، وقوله أنهم لو عملوا بما أجمع عليه المسلمون وحده لكان كافياً في نجاتهم في الآخرة كما بينه في كتابه القسطاس المستقيم ونقائمه في (محاورات المصالح والمفاد) فليراجعه من أراد والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

(تنبيه) جاءنا سؤال بل أسئلة من بيروت عن استعمال الذهب والفضة لعل السائل يستغنى بما يراه في هذا الجزء عن نشرها والجواب عنها إن بقي عنده اشكال بعد قراءة ما هنا فليسال عنه وحده والمرجو من كل من يسأل عن أشياء عديدة أن يميز بعضها من بعض ويجعلها معدودة بالأرقام

﴿ النفس التي خلق منها البشر ﴾

(س ١٢) من صاحب الامضاء في بيروت

لجاناب حضرة صاحب الفضل والفضيلة العلامة السيد محمد رشيد افندي رضا منشيء مجلة المنار الاغر حفظه الله آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته و بعد أرفع لجنابكم ما يأتي راجياً التكرم بالاجابة عليه : قرأت في مناركم الاغر في الجزء الثامن من المجلد الثالث والعشرين

الصحيفة ٦٢١ ما يأتي

«وكان مما ذكر من دفع بعض الشبهات مسألة خلق البشر من نفس واحدة فذكر انه ايس في القرآن نص قطعي اصولي على ان هذه النفس هي آدم كما نعتقد نحن وأهل الكتاب ..

بناء على كون هذه الآيات القرآنية ايس فيها نص قطعي اصولي كما قال الاستاذ الامام (رحمه الله) فحينئذ تحتل أن تكون هذه النفس غير آدم وما هي هذه النفس التي هي غير آدم . تكموا علينا بالجواب فلا زلتم للعلم أنصارا وللدين الحنيف منارا

الداعي لكم
محبي الدين سليم كريدية

(ج) النص الاصولي القطعي هو عبارة عن اللفظ الذي يفيد معنى واحدا لا يحتمل غيره حقيقة ولا مجازا ولا كناية فلا يدخل فيه ما يدل على معنى راجح هو المتبادر عند الاطلاق بحيث لا يحتمل غيره الا بتأول متكاف — فعلى هذا لا ينبغي للعاقل أن يبحث عما يحتمله كل لفظ من المعاني المجازية أو الكنائية الا اذا احتاج الى ذلك لغرض صحيح كدفع اعتراض معترض مخطي* تعين دفعه بمثل ذلك

بعد التذكير بهذه الفائدة أقول بحسن أن تراجعوا معنى النفس التي خلق منها البشر في تفسير أول سورة النساء في الجزء الرابع من تفسيرنا فان لم يكن لديكم فراجعوه عند وكيل المنار في بيروت الشيخ عبدالله العطار ، وفي بعض مجلدات المنار بحث في هذه المسألة كان سببه خوض بعض الناس في كلمة الاستاذ الامام التي أشرنا اليها . واعلم قبل ذلك ان قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) يشبه قوله تعالى (خالقكم من طين) في كون الاول دالا على أصلنا الروحي والثاني دالا على أصلنا الجسدي ، وان تفسير النفس الواحدة بآدم تفسير مراد و ايس هو المعنى اللغوي للفظ النفس ، وان بعض المفسرين قالوا ان المراد بالنفس الواحدة في آية الاعراف قصي جد قریش ، وحسبك هذا بيانا لكون النفس الواحدة المنكرة في الآية ليست نصا اصوليا ولا ظاهرا لغويا في آدم عليه السلام

الخلافة الإسلامية

(٦)

٣٦ — الخلافة والبابوية، أو الرياسة الروحية

الاسلام دين الحرية والاستقلال الذي كرم البشر ورفع شأنهم باعتاقدهم من رق العبودية لغير الله تعالى من رؤساء الدين والدنيا. فأول اصوله تجريد العبادة والتزيه والتقديس والطاعة الذاتية لله رب العالمين ، وأن الرسل عليهم الصلاة والسلام ليسوا إلا مرشدين ومعلمين ، (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين)، فلا سيطرة لهم على سرائر الناس ، ولا حق الاكراه والاجبار ، ولا المحاسبة على القلوب والافكار ، ولا مغفرة الذنوب والاوزار ، ولا الحرمان من الجنة وادخال النار ، بل ذلك كله لله الواحد القهار ، العفو الغفار ، قال تعالى لخاتم رسله (فذكر انما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر * نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار * وما أنت عليهم بوكيل * ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء * قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ... انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)

وانما تجب طاعة الرسول فيما يبلغه ويبيّنه من أمر الدين عن الله تعالى وما ينفذه من شرعه ، دون ما يستحسنه في أمور الدنيا بظنه ورأيه ، فالطاعة الذاتية إنما هي لله ، ولذلك قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فطاعة الرسول ثم طاعة أولي الامر من الامة تبعا لطاعة الله التي أوجبها للمصلحة تنفيذها للشريعة ، على ان الرسول معصوم في تبليغ الدين وإقامته ، وقد جعله الله أسوة حسنة لأمته ، وكان الصحابة على هذا يراجعون النبي (ص) فيما يقوله برأيه في المصالح العامة كالخرب والسلم ويبدون آراءهم ، وكان يرجع عن رأيه الى رأي الواحد منهم اذا تبين له انه الصواب ، كما رجع الى رأي الحباب بن المنذر يوم بدر ، والى رأي الجمهور بعد الشورى وان لم يظهر له انه اصوب كما فعل يوم احد . وقد

المنار : ج ٥ (٤٢) المجلد الرابع والعشرون

قال « انما أنا بشر اذا أمرتكم بشيء من امر دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رأيي فانما أنا بشر » رواه مسلم من حديث رافع بن خديج ، وقال « انتم اعلم بامر دنياكم » رواه من حديث عائشة

وكان (ص) يعلم ان فيمن اتبعه منافقين ، وكان يعرف بعضهم دون بعض ولكنه يعاملهم معاملة المؤمنين ، لان من اصول شريعته ان يعامل الناس بحسب اعمالهم الظاهرة ويوكل امر القلوب والسرائر الى الله تعالى . قال رجل له وقد رآه يعطي رجالا من المؤلفة قلوبهم : يا رسول الله اتق الله . قال « ويلك اولست احق اهل الارض ان يتقي الله ؟ » ثم ولى الرجل فقال خالد بن الوليد يا رسول الله ألا تضرب عنقه ؟ وفي رواية فقار عمر يا رسول الله ائذن لي اضرب عنقه — قال « لا تفعل لعله أن يكون يصلي » فقال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه : قال رسول الله (ص) « اني لم أؤمر ان اتقب في قلوب الناس ولا اشق بطونهم » رواه الشيخان من حديث ابي سعيد الخدري

واذا كان هذا شأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهل يكون للخلفاء والامراء مهما عظم شأنهم أن يحاسبوا الناس على قلوبهم أو يسيطروا عليهم في فهمهم للدين أو عملهم به وربما كان فيهم من هم اعلم به منهم ؟ كلا إن الخليفة في الاسلام ليس الرئيس الحكومة المقيدة ، لاسيطرة ولا رقابة له على ارواح الناس وقلوبهم ، وانما هو منفذ للشرع وطاعته محصورة في ذلك . فهي طاعة للشرع لاله نفسه ، كما تقدم آنفا وبسط في المسألة (١ و ٢ و ٨) ولكن الاعاجم افسدوا في امر الامامة والخلافة بما دست الباطنية في الشيعة من تعاليم الامام المعصوم ، وبما افراط الفرس والترك ومن تبعهم في الغلو باطراء الخلفاء مما يذكر مثاه في الخلاصة التاريخية الآتية ، حتى فتحوا لهم باب الاستعباد ، وقهروا الامة على الخنوع والانقياد ، انتهى كل غلو الى ضده ، فكان غلو الاعاجم في الخلفاء العباسيين سببا للقضاء على خلافتهم ، ثم كان تقديس الخلفاء العثمانيين سببا لاسقاط دولتهم ، وقيد ابقى الترك لواحد منهم لقب خليفة مجردا من معناه الشرعي والسياسي كما تقدم ، ولم يمنع ذلك الناس ولا سيما اصحاب الجرائد عن وصفه بالقداسة ، وبصاحب العرش ، وغير ذلك من الاطراء بالقول والفعل . وكثر خوض المسلمين كغيرهم بذكر الخلافة الروحية ، وفصلها من السلطة الزمنية

السياسية ، وانا وان كنا قد بينا الحق في المسئلة في هذا البحث نرى أن نزيدها ايضاحا بنقل ما كتبه الاستاذ الامام فيها نفلا عن كتابه (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) قال رحمه الله

﴿ الاصل الخامس الاسلام ﴾

(قلب السلطة الدينية)

أصل من اصول الاسلام أنتقل اليه وما أجله من أصل — قلب السلطة الدينية والاثيان عليها من أساسها : هدم الاسلام بناء تلك السلطة ومحاثره حتى لم يبق لها عند الجمهور ر من أهله اسم ولا رسم . لم يدع الاسلام لاحد بعد الله ورسوله سلطانا على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه . على ان رسول الله عليه السلام كان مبلغا ومذكرا ، لا مهيمنا ولا مسيطرأ ، قال الله تعالى « قد كر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » ولم يجعل لاحد من أهله أن يحل ولا أن يربط لا في الارض ولا في السماء (١) بل الايمان يعتق المؤمن من كل رقيب عليه فيما بينه وبين الله سوى الله وحده ، ويرفعه عن كل رق الا العبودية لله وحده ، وليس لمسلم مهما علا كعبه في الاسلام على آخر مهما انحطت منزلته فيه الا حق النصيحة والارشاد . قال تعالى في وصف الناجين : « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » وقال : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » وقال (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) فالمسلمون يتناصحون ثم هم يقيمون أمة تدعو الى الخير وهم المراقبون عليها يردونها الى السبيل السوي اذا انحرفت عنه . وتلك الامة ليس لها فيهم الا الدعوة والتذكير ، والانذار والتحذير ، ولا يجوز لها ولا لاحد من الناس أن يتبع عورة (١) اشارة الى ما نقل متى في انجيله عن المسيح (١٨ : ١٨ الحق أقول لكم كل ما تر بطونه على الارض يكون مربوطا في السماء . وكل ما تحلونه على الارض يكون محلولا في السماء)

أحد . ولا يسوغ لقوي ولا اضعيف أن يتجسس على عقيدة احد ، وليس يجب على مسلم أن يأخذ عقيدته أو يتلقى أصول ما يعمل به عن أحد الا عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله من كلام رسوله بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف (١) وإنما يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من وسائله ما يؤهله لانهم كقواعد اللغة العربية وآدابها وأساليبها وأحوال العرب خاصة في زمان البعثة، وما كان الناس عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم وما وقع من الحوادث وقت نزول الوحي ، وشيء من الناسخ والمنسوخ من الآثار . فان لم تسمح له حاله بالوصول الى ما يعده لفهم الصواب من السنة والكتاب فليس عليه الا أن يسأل العارفين بهما . وله بل عليه أن يطالب المجيب بالدليل على ما يجيب به سواء كان السؤال في أمر الاعتقاد أو في حكم عمل من الاعمال فليس في الاسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه

﴿ السلطان في الاسلام ﴾

لكن الاسلام دين وشرع ، فقد وضع حدوداً ، ورمم حقوقاً، وليس كل معتقد في ظاهر أمره بحكم يجري عليه في عمله . فقد يغلب الهوى ، وتنحكم الشهوة، فيغبط الحق ، أو يتعمد المعتدي الحد ، فلا تكمل الحكمة من تشريع الاحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود . وتنفيذ حكم القاضي بالحق ، وصون نظام الجماعة . وتلك القوة لا يجوز أن تكون فوضى في عدد كثيرة فلا بد أن تكون في واحد وهو السلطان أو الخليفة

الخليفة عند المسلمين ليس بالمعصوم ، ولا هو مهبط الوحي ، ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة . نعم شرط فيه أن يكون مجتهداً، أي أن يكون من العلم باللغة العربية وما معها مما تقدم ذكره بحيث يتيسر له أن يفهم من

(١) أي توسيطه لذاته وأما توسيطهم في التعليم والارشاد فقد اثبتته اولاً واخراً

الكتاب والسنة ما يحتاج اليه من الاحكام، حتى يتمكن بنفسه من التمييز بين الحق والباطل، والصحيح والفساد، ويسهل عليه إقامة العدل الذي يطالبه به الدين والامة معاً

هو على هذا — لا يخصصه الدين في فهم الكتاب والعلم بالاحكام بمزية، ولا يرتفع به الى منزلة، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء، إنما يتفاضلون بصفاء العقل، وكثرة الاصابة في الحكم، (١) ثم هو مطاع مادام على المحجة، ونهج الكتاب والسنة، والمسلمون له بالمرصاد، فاذا انحرف عن النهج أقاموه عليه، واذا اعوج قوموه بالنصيحة والاعذار اليه، (٢) « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » (٣) فاذا قارق الكتاب والسنة في عمله، وجب عليهم ان يستبدلوا به غيره، ما لم يكن في استبداله مفسدة تفوق المصلحة فيه (٤) فالامة أو نائب الامة هو الذي يصبه، والامة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه، وهي التي تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها، فهو حاكم مدني من جميع الوجوه.

ولا يجوز لصحيح النظر ان يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الافرنج (كراتيك) أي سلطان إلهي. فان ذلك عندهم هو الذي ينفرد بتلقي الشريعة عن الله، وله حق الاثارة بالتشريع، وله في رقاب الناس حق الطاعة، لا بالبيعة، وما تقتضيه من العدل وحماية الحوزة، بل بمقتضى الايمان، فليس المؤمن ما دام مؤمناً أن يخالفه، وان اعتقد أنه عدو لدين الله، وشهدت عيناه من اعماله ما لا

« ١ » المنار من شواهد ذلك ارتفاع قدر العلماء على الخلفاء الذين قصر وا عنهم في الفهم والعلم، الم يأتك نبأ الامام مالك مع الخليفة هرون الرشيد « رحمهما الله » وكيف انزل الامام الخليفة عن المنصة واقعد مع العامة عند لقاء الدرس لانه في رتبة المستفيد « ٢ » من شواهد ذلك قول الخليفة الأول رضي الله عنه في خطبته « وان زغت فقوموني » راجع ص ٧٣٤ من مجلد المنار الرابع

« ٣ » حديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما « راجع ٣٢ » من مجلد المنار الرابع
« ٤ » مثال ذلك ان يكون له عصبية اقوى من الامة يخشي ان يبيدها بها
و« درء المفاسد مقدم على جلب المصالح »

ينطبق على ما يعرفه من شرائعه ، لان عمل صاحب السلطان الديني وقوله في أي مظهر ظهرا هما دين وشرع . هكذا كانت سلطة الكنيسة في القرون الوسطى . ولا تزال الكنيسة تدعي الحق في هذه السلطة كما سبقت الإشارة اليه . كان من أعمال التمدن الحديث الفصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية ، فترك للكنيسة حق السيطرة على الاعتقاد والاعمال فيما هو من معاملة العبد لربه : تشرع وتنسخ ما تشاء ، وتراقب وتحاسب كما تشاء ، وتحرم وتعطي كما تريد ، وخول السلطة المدنية حق التشريع في معاملات الناس بعضهم لبعض ، وحق السيطرة على ما يحفظ نظام اجتماعهم ، في معاشهم لا في معادهم ، وعدوا هذا الفصل منبعا للخير الاعم عندهم .

ثم هم يهيمون فيما يرمون به الاسلام من أنه يحتم قرن السلطتين في شخص واحد . و يظنون أن معنى ذلك في رأي المسلم أن السلطان هو مقرر الدين ، وهو واضع أحكامه وهو منفذها ، والإيمان آلة في يده يتصرف بها في القلوب بالاخضاع ، وفي العقول بالاقناع ، وما العقل والوجدان عنده الا متاع ، وينبذون على ذلك أن المسلم مستعبد لسلطانة دينه ، وقد عهدوا أن سلطان الدين عندهم كان يحارب العلم ، ويحمي حقيقة الجهل ، فلا يقيس للدين الاسلامي أن يأخذ بالتسامح مع العلم مادام من أصوله أن إقامة السلطان واجبة بمقتضى الدين . وقد تبين لك أن هذا كله خطأ محض وبعد عن فهم معنى ذلك الاصل من أصول الاسلام . وعلمت أن ليس في الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة الى الخير ، والتنفير عن الشر ، وهي سلطة خولها الله لا ذنى المسلمين يقرع بها أنف أعلام ، كما خولها لاعلام يتناول بها من أدنام ،

ومن هنا تعلم «الجامعة» (١) أن مسألة السلطان في دين الاسلام ليست مما يضيق به صدره ، وتخرج به نفسه عن احتمال العلم ، وقد تقدم ما يشير الى ما صنع الخلفاء العباسيون والامويون الاندلسيون من صنائع الماروف مع العلم والعلماء :

(١) هي مجلة مصرية رد عليها الاستاذ في هذه المسألة

وربما أتينا على شيء آخر منه فيما بعد

يقولون : ان لم يكن للخليفة ذلك السلطان الديني أفلا يكون للقاضي أو المفتي أو شيخ الاسلام ؟ وأقول : إن الاسلام لم يجعل هؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الاحكام ، وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قررها الشرع الاسلامي ، ولا يسوغ لواحد منهم أن يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه أو ينزعه في طريق نظره. « اهـ

الخاتمة

خلاصة اجتماعية تاريخية ، في الخلافة والدول الإسلامية (*)

(وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ أليس الله بأعلم بالشاكرين)

(تمهيد) لقد كان فيمن قبلنا من البشر منذرون ورسول بعثوا لهدايتهم ، وملوك وحكام يتولون الاحكام والسياسة فيهم ، وكان بعض الانبياء ملوكا ، وكان بعض الملوك تابعين للانبياء ، وكان الملك والرياسة فتنة للملوك والرعايا ، وللرؤساء والمرؤسين ، (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون ؟) وكان رؤساء الدين من غير الانبياء كثيرا ما يشتركون مع رؤساء الدنيا من الملوك والامراء في فتنة المال والجاه ، فيكون بعضهم اولياء بعض في استعباد مرءوسيههم ، والتمتع باموالهم واعراضهم ، وكانت الشعوب تنقاد لأولئك الرؤساء إما بوازع الاعتقاد الديني ، وإما بقهر القوة والسلطان ، وإما بالامرين جميعاً ، وربما

(١) كانت هذه المقالة أول ما كتبناه في مسألة الخلافة ثم لما بدا لنا أن نقدم عليها بيان أحكامها الشرعية وتلا ذلك البحث في وسائل اقامتها وموانعها ، طال القول حتي نسينا هذه المقالة ، ثم رجعنا اليها فرأينا أن نجمعها خاتمة للترغيب على أن بعض مباحثها قد تكررت في المباحث التي سبقت

كان بعضها يضيق ذرعا ببعض الملوك الجائرين فينزع يده من طاعتهم ، ويشل عروشهم ، وبولي أمره جماعة من الزعماء الذين نهضوا لمقاومة الجور والقهر بقوتهم ؛ حتى اذا صار الامر اليهم كانوا وعم عصبة أشد جورا وبغيا من الملك الواحد الذي لا يستطيع ظلما ولا هضا الا بأعوانه من أمثالهم ، وما زال الناس مرهقين بسيطرة رؤساء الدين الروحية في سرائرهم ، ورؤساء الدين والدنيا معا في ظواهرهم ، اذا أووا الى ظل العدل يوما لفحصهم هجير الجور أبامآ ، واذا تذوقوا من حلاوة الرحمة جرعة راحة تخرجوا من عالم القسوة آلامآ ، يشقى الالوف منهم ليتمتع باللذة أفراد من المترفين ، ويحرم الالوف من بلغة العيش ويتمتع بشمرات كسبهم نفر من المسرفين ، — ما زال الناس كذلك حتى بعث الله خاتم رسله رحمة للعالمين ، فجاءهم عنه بما فيه صلاح الدنيا وهداية الدين ، فكان من أصول هدايته للبشر أن أسس لهم ديناً وسطاً ، وشرطاً عادلاً ، ومملكة شورية : جعل أمرهم شورى بينهم ، وأزال جبرية الملك وأثرته وكبرياه من حكومتهم ، وجعل أمر الرئيس الذي يمثل الوحدة ويوحد النظام والعدل في المملكة للامة ، ينتخبه اهل الرأي والعدالة والعلم من زعمائها ، الموثوق بهم عندها ، وجعله مسؤولاً عنهم لديهم : ومساوياً في جميع أحكام الشريعة لادنى رجل منهم ، وفرض عليهم طاعته في المعروف من الحق والعدل ، وحرّم عليهم طاعته في المعصية والبهني والجور ، وجعل الوازع في ذلك دينيا لينفذ في السر والجهر ، لان الطاعة الحقيقية لله وحده ، والسيطرة لجماعة الامة ، وانما الرئيس ممثل للوحدة ، ولذلك خاطب الكتاب المنزل ، نبي هذا الدين المرسل ، بمبايعة الناس على أن لا يعصوه في معروف وأمره بمشاورتهم في الامر ، وقد أقام هذه الاصول صلوات الله وسلامه عليه بالعمل على أكمل وجه ، فكان يستشيرهم ، ويرجم عن رأيه الى رأيهم ، ودعا في مرض موته من عساه فالله : بشيء الى الاقتصاص منه ، وسار على سنته هذه خلفاؤه الرشيدون من بعده ، فكان هذا من أفعال أسباب قبول دين الاسلام ، وسيادته على جميع الملل والاديان ، واستعلاء حكمه ولغته في الشرق والغرب ، وخضوع الامم الكثيرة له بالرضا والطوع ، وانتشاره في قرن واحد من الحجاز الى أقصى افريقية وأوربة من جانب المغرب ، والى بلاد الهند من جهة المشرق

ولو سار من جاء بعد الراشدين على سننهم في اتباع هدي الكتاب والسنة، لعمت هداية الاسلام العالم كله، ولما تهافت عبید الشهرة والشهوة، على رياسته التي هي خلافة للنبوة، والنزوان عليها بقوة العصبية، اذ ليس فيها تمتم بالذات الجسدية، ولا بمظمة السيطرة الجبروتية. فقد فرض الصحابة للخليفة الاول نفقة نفسه وعياله كرجل من أوساط المهاجرين لا أعلام ولا أدنام، ولكنه هو ومن بعده من الراشدين اختاروا أن يكونوا في معيشتهم دون الوسط من امتهم

أما الاعتداء على عمر وقتله فلم يكن من حسد المسلمين ولا من كراهتهم له، ولا من طمع أحد أن يخلفه، بل كان من جماعة المجوس السرية انتقاماً منه لفتح بلادهم، وإسقاطه لمكهم، وأما التمادي على عثمان وقتله فقد كان بدسائس الفرس وعبد الله بن سبأ اليهودي، ولو لا هاتان الفتنتان لما وصل الشقاق بين علي ومعاوية الى ما وصل اليه، كما يعلم ذلك كل مدقق في التاريخ اتسم ملك الاسلام وكثر خصومه من زعماء الملل والشعوب الذين أزال عظمهم واستمئاعهم بملك بلادهم، وساوى بينهم وبين عبدهم في الحقوق وكل أقوامهم عبدهم، ولم يكن الوازع الديني فيمن دخلوا فيه من هذه الشعوب مثله فيمن فهموه حق الفهم من العرب، ولم تكن كل بطون العرب كالسابقين الاولين من المهاجرين والانصار، ولم يكن من السهل إيجاد نظام لقوة الخلافة تخضع له كل هذه الامم والشعوب في الخافقين مع بعد الشقة وصعوبة المواصلات، فلهذا سهل على السبئيين والمجوس بث الفتن للاسلام وللعرب، وعلى معاوية تأليف جيش في الشام يقاتل به الامام الحق أمير المؤمنين، ثم جعل خلافة النبوة ملكاً عضوضاً كملك الغابرين

سنة التغلب وعواقبها، وافساد الاعاجم لحكم الاسلام العربي

فتح معاوية للاقوياء باب التغلب فأقبلوا اليه يهرعون، ولم يثبت ملك الامويين معه قرناً واحداً كاملاً، ولما كان الاسلام قد أبطل عصبية العرب الجنسية، احتاج العباسيون ان يستعينوا على الامويين بعصبية الامة الفارسية، وكان للزنادقة والمنافقين من هؤلاء مكاييد خفية، يريدون أن يديلوا للفرس من (المنار: ج ٥) (٤٥) المجلد الرابع والعشرون

العرب ، والمجوسية من الاسلام ، ولاجلها بشوا في المسلمين التفرقة بالفلو في آل البيت توسلا للطعن في جمهور الصحابة ليفرقوا كلمة العرب ويبعدوا بهم عن أصول الاسلام الشوروي (الديمقراطية) وينشئوا فيه حكومة (أتوقراطية) مقدسة أو معبودة ، يجعل رئاستها لمن يدعون فيهم المعصية من بيت النبوة ، ليسهل عليهم بذلك إعادة الكسروية والمجوسية . ولما انكشف أمرهم للعباسيين عولوا على جعل عصبيتهم من الترك ، فكان المعتصم يشتري شبانهم من بلادهم وسائر النواحي ويجعلهم جنودا له ، ويطلق لهم العنان ، ويمهد لهم هو ومن بعده سبيل السلطان ، جهلا منهم بطبائهم العمران ، وكانوا أولي جهل وقسوة وفساد ، فطغوا في البلاد ، وأكثروا البغي والمدوان على العباد ، حتى صاروا يقتلون الخلفاء أنفسهم وهم على عروشهم ، أو يخلعونهم ويولون غيرهم بأهوائهم ، فاختل بفسادهم النظام ، والطاعة بوازع الاسلام ، فسهل على إخوانهم التتار اجتياح ملك العباسيين تخريبا وتقبيا ، وتقتيلا وتمثيلا ، واستفحل أمر الباطنية من القرامطة وغيرهم ، وقد كان جند الترك في العباسيين ، كجند الانكشارية بعده في العثمانيين ، كان قوة لهم ، ثم صار قوة عليهم ، ومفسداً لملكهم

وقد أفسد اللاحج أمر الخلفاء العباسيين بالاطراء والتعظيم الذي ينكره الاسلام ولا تعرفه العرب ، بشر من إفسادهم له بالاستبداد بهم والاعتداء عليهم ، كما فعل السلطان عضد الدولة بذلك المظهر العجيب الذي أقامه للخليفة الطائم قال السيوطي في ترجمة الطائم لله من تاريخ الخلفاء : وسأل عضد الدولة الطائم أن يزيد في ألقابه « تاج الملة » ويجدد الخلع عليه ويلبسه التاج فأجابته ، وجلس الطائم على السرير وحوله مائة بالسيوف والزينة ، وبين يديه مصحف عثمان ، وعلى كتفه البردة ، ويده القضيبة ، وهو متقلد بسيف رسول الله (ص) وضربت ستارة بعثها عضد الدولة وسأل أن تكون حجابا للطائم حتى لا تقع عليه عين أحد من الجند قبله ، ودخل الأتراك والديلم وليس مع أحد منهم حديد ، ووقف الاشراف واصحاب المراتب من الجانبين . ثم أذن لعضد الدولة فدخل ، ثم رفعت الستارة وقبل عضد الدولة الارض ، فارتاع زياد القائد لذلك وقال لعضد الدولة : ما هذا أيها الملك ؟ أهذا هو الله ؟ فالتفت

اليه وقال هذا خليفة الله في أرضه (!!!) ثم استمر يمشي ويقبل الأرض سبع مرات. فالتفت الطائم الى خالص الخادم ، وقال استدنه ، فصعد عضد الدولة فقبل الأرض مرتين ، فقال : ادن اليّ ، فدنا وقبل رجله . وثنى الطائم يمينه عليه وأمره جلس على كرسي بعد أن كرر عليه « اجلس » وهو يستعفي ، فقال له اقسمت عليك لتجلسن ، فقبل الكرسي وجلس . فقال له الطائم قد رايتُ ان افوض اليك امر الرعية في شرق الأرض وغربها ، وتديرها في جميع جهاتها ، سوى خاصتي واسبابي ، فتولّ ذلك . فقال : يعينني الله على طاعة امير المؤمنين وخدمته ، ثم افاض عليه الخلع وانصرف اهـ

ثم ذكر المؤرخ من طائفة هذا ما وصل اليه امر الخلفاء بعد ذلك مع السلاطين اذ كانوا الوجهاء في كآحاد ركابهم . وما كان يفعله امثال ذلك الملك الجاهل المتعلق وكل ما ذكر من تلك الهيئة منكرات في الاسلام . فتقبيل الأرض اشد تذلل من الركوع والسجود ، وقد صحت الاحاديث في النهي عن التشبه بالاعاجم في كبريائهم وبذخهم ، حتى في الوقوف على رؤوس ملوكهم او بين ايديهم

اضطراب المسلمين في حكوماتهم

وأمسبب وقوع ذلك وطول العهد عليه فهو ان التطورات الاجتماعية كانت تقضي بوقوع ما وقع من التصرف في شكل الحكومة الاسلامية ، ولم يكن يمكن في تلك الازمنة ان يوضع لها نظام يكفل ان تجري على سنة الراشدين ، ولا طريقة أوائل الامويين والعباسيين . في الجمع بين عظمة الدنيا ومصالح الدين . ولما صار هذا ممكنا كان امر الدين قد ضعف ، وتلاه في جميع الشعوب الاسلامية ضعف حكوماتها ، وضعف حضارتها ، فلم تهتم الى مثل ما اهتمت اليه الافرنج من القضاء على استبداد ملوكهم شعباً بعد شعب ، فمنهم من قضى على الحكومة الملكية قضاء مبرماً ، ومنهم من قيد سلطة الملوك فلم يدع لهم من الملك الا بعض المظاهر الفخمة التي يستفاد منها في بعض الاحوال ، دون أن يكون لهم من الامر والنهي في الحكومة أدنى استبداد

ذلك بأن كل من يعطى تصرفاً في أمر يجب أن يكون مسؤولاً عن سيرته فيه ، والتقاليد المتبعة في الملك أن الملك فوق الرعية فلا يتطاولون الى مقامه

الاعلى ليسألود عما فعل - وهذا شيء أبطله الاسلام بجعله امام المسلمين كواحد منهم في جميع أحكام الشريعة ، ونص على أنه مسؤول عما يفعل بقوله (ص) « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته : فالامام راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيته » الخ (متفق عليه من حديث ابن عمر) وكان المسلمون يراجعون الخلفاء الراشدين ويردون عليهم أقوالهم وآراءهم فيرجعون الى الصواب اذا ظهر لهم أنهم كانوا مخطئين ، حتى ان عمر بن الخطاب (رض) خطأته امرأة في مسألة فقال على المنبر : امرأة أصابت وأخطأ عمر - أو - ورجل أخطأ غفل المسلمون عن هذا فتركوا الخلافة لاهل العصبية يتصرفون فيها تصرف الملوك الوارثين الذين كانوا يزعمون أن الله فضلهم على سائر البشر لذواتهم وليبوتهم وأوجب طاعتهم والخضوع لهم في كل شيء ، فلم يوجد في اهل الحل والعقد من الرؤساء من اهتمدى الى وضع نظام شرعي للخلافة بالمعنى الذي يسمى في هذا العصر بالقانون الاساسي يقيدون به سلطة الخليفة بنصوص الشرع ، ومشاورتهم في الامر ، كما وضعوا الكتب الطوال لاحكام التي يجب العمل بها في السياسة والادارة والجبابة والقضاء والحرب ، ولو وضعوا كتابا في ذلك معززا بأدلة الكتاب والسنة وسيرة الراشدين ، ومنعوا فيه ولاية العهد للوارثين ، وقيدوا اختيار الخليفة بالشورى وبينوا أن السلطة للامة يقوم بها اهل الحل والعقد منها وجعلوا ذلك أصولا متبعة - لما وقعنا فيما وقعنا فيه فأما الراشدون رضي الله عنهم فقد كانوا واثقين بتحريهم للحق والعدل ويصرحون بسلطة الامة عليهم وهم واقفون في موقف الرسول (ص) من منبره كما قال أبو بكر : وليت عايكم ولست بخيركم فاذا استقمتم فأعينوني واذا زغت فقوؤموني . وكما قال عمر : من رأى منك في اعوجاجا فليقومه . وكما قال عثمان : أمري لا امركم تبع . وأقوال علي وأعماله بالشورى معروفة على اضطراب الامر وظهور الفتن في زمنه ، وموت كثير من كبراء اهل العلم وتفرق بعضهم ، ثم انهم لم يكونوا قد دخلوا في عهد التصنيف ووضع النظم والقوانين ، ولا شعروا بشدة الحاجة الى ذلك لكثرة الصلاح وخضوع الامة لوازع الدين وما جاء عصر التأليف والتدوين إلا وكانت الخلافة قد انقلبت الى طبيعة

الملك بالبدعتين الكبيرين اللذين ابتدعهما الله تعالى في خلقه من القوة العصبية ، وجعل الخلافة ترثا ينتقل من راس إلى راس ، وأولئك من عصبته ، وشغل الناس عن سوء هاتين البدعتين ، فكانت القوة التي أثارها السبئيون والمجوس واقتصرها الأمويون ، وما تلا ذلك من بيع السكامة وحقن الدماء في الداخل والمواد إلى الفتوح ونشر حداثة الناس في القوة في الخارج ، وذلك أن تأثير الفساد الذي يطرأ على إصلاح الخطي ، ثم يظهر إلا بتدرج بطيء

قاعدة ابن خلدون في العصبية مخالفاً للإسلام

خدع كثيرون بمظهر ذلك الملك حتى حكموا الاجتماع (ابن خلدون) الذي اغترباهتدائه إلى سنة قيام الملك وسائر الأمور البشرية العامة بالعصبية حتى أدخل فيها ما ليس منها ، بل ما هو مضاد لها ، كدعوة الرسل (ع.م) فجعل مدارها على منتهى في أقوامهم وقوة عصبية عشائرية مستندة على حديث معارض بآيات القرآن الكثيرة وبوقائهم تواربهم الصحيحة ، وبني على ذلك إلحاق الخلافة بالنبوة بما ليس عليه من ذلك ، وإنما النبوة بخلاف النبوة هادمتان لسلطان العصبية القومية ومقررتان لقاعدة الحق ، واتباعه يوازع النفس ، والاذعان لشرعية الرب . وهذه قصص الرسل في القرآن الكريم ناقضة لبنیان قاعدته . وفي بعضها النصريح بعدم القوة والمنعة كقوله تعالى حكايه عن لوط عليه السلام (قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد) أم أيهم قامت دعوته بعصبية قومه ؟ إبراهيم الخليل ؟ أم موسى الحكيم ؟ أم عيسى الروح الكريم ؟ أم خاتم النبيين ؟ عليه وعليهم الصلاة والسلام . ألم تكن جل مزايا بني هاشم في قريش الفضائل الأدبية دون الحربية ؟ ألم يكن جل اضطهاد وصده عن تبليغ دعوة ربه من رؤساء قريش ؟ ألم يكونوا هم الذين أخرجوه إلى الهجرة . وهم الذين نزل الله فيهم (وإذ يكره بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك) الآية ؟ حتى هاجر مستخفيا . وسمى الله هجرته إخراجا - أي نفيا وبعادا - بمثل قوله (يخرجون الرسول وأياكم أني تؤمنوا بالله ربكم) حتى نصره الله تعالى بضوء المهاجرين والانصار . وما آمن أكثر قريش إلا بعد أن أظهره الله عليهم وخذلهم في حروبهم له

نعم ان بعض كلام ابن خلدون في حكمة جعل الخلافة في قريش صحيح ، وهو مكاتبتهم العاليا في الجاهلية والاسلام التي لم ينازعوهم فيها أحد من العرب ، وأولى أن لا ينازعوهم فيها من يدين بالاسلام من المعجم ؛ وذلك من أسباب جم الكرامة ، وقد أشار الى ذلك الصديق رضي الله تعالى عنه في احتجاجه على الانصار ، وأما عصبية القوة الحربية فلم تكن علة ولا جزء علة لجعل الخلافة في قريش. لان الاسلام قد قضى على هذه العصبية الجاهلية — يعترف ابن خلدون بغيره بذلك — فلا يمكن أن يجعلها علة من علل شرعه القويم ، الذي مداره على جعل القوة تابعة للحق ، خلافا لسائر المبطائين من البشر الذين يجهلون القوة فوق الحق ، فاما أن يكون تابعا لها وإما أن تقضي عليه قبل أن يقضي عليها

وبهذا البيان الوجيز يعلم سائر ما في كلام ابن خلدون من شوب الباطل بتحكيم قاعدته في تصحيح عمل معاوية حتى في استخلاف يزيد وجعله مجتهدا مخطئا في قتال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ومصيبا في استخلاف يزيد الذي أنكره عليه أكبر علماء السحابة فنفذه بالخداع والقوة والرشوة . فهو يزعم ان معاوية كان عالما بقاعدته في ان الامور العامة لا تتم الا بشوكة العصبية ، وبأن عصبية العرب كلهم قد انحصرت في قومه بني أمية ؛ وان جعل الخلافة شورى في أهل الحل والعقد من أهل العلم والعدالة والكفاية من وجهاء قريش غير بني أمية لم يعد ممكنا . وكل هذا باطل وفي كلام ابن خلدون شواهد على بطلانه ، وليس من مقصدنا إطالة القول في بيان ذلك هنا .

وحسبنا أن نقول ان عصبية العرب لم تنحصر في بني أمية لا بقوتها الحربية ولا بثقة الامة بعد لهم وكفاءتهم ، وانما افترصوا حياة عثمان وضعفه فنزوا على مناصب الامارة والحكم في الامصار الاسلامية التي هي قوة الدولة ومددها . واصطنعوا من محبي الدنيا من سائر بطون قريش وغيرهم من يعلمون انهم يوافقونهم . وأثر هؤلاء ممن لم يعرفوا من الاسلام إلا بعض الظواهر . وهم مع الحكام أتباع كل ناعق . فتوسلوا بهم الى سن سنة الجاهلية . والقضاء بها على خلافة النبوة الشرعية (١)

ولو شاء معاوية أن يجعلها شورى كما أصبح له بعض كبراء الصحابة (رض) ويجعل قومه وغيرهم مؤيدين لمن ينتخب انخاباً شرعياً بالاختيار اهل الشورى لفعل وما منعه الا حب الدنيا وفطنة الملك ، ولكن عمر بن عبد العزيز لم يكن يستطيع ذلك بعد أن استفحل أمرهم ، وصاروا محييين بمن يتولى الامر منهم وفي كتاب الفتن من صحيح البخاري اب ابا رزة الصحابي الجليل سئل — وكان بالبصرة عن التنازع على الخليفة بين مروان وابن الزبير والخوارج — وهو أثر سنة معاوية فقال : احدثت عند الله أني أصبحت ساخطاً على أحياء قريش ، انكم يا معشر العرب كنتم على الحال الذي علمتم من الذلة والقلة والضيالة وان الله أنقذكم بالاسلام وبمحمد (ص) حتى بلغ ما ترون وهذه الدنيا التي أفسدت بينكم. إن ذاك الذي في الشام والله إن يقاتل إلا على الدنيا ، وان هؤلاء الذين بين أظهركم والله ان يقتلون إلا على الدنيا ، وان ذاك الذي بمكة والله ان يقاتل إلا على الدنيا هـ. ويعني بالذين بين أظهرهم الخوارج الذي يسمون القراء ولذلك جاء في رواية أخرى زيادة : يزعمون أنهم قرأواكم

نعم ان الاولين من بني أمية وبني العباس استخدموا طليعة الملك وتوسلوا به الى مقاصد الخلافة كنشر الاسلام ولغته وإعزازة وفتح الممالك وإقامة العدل بين الناس كافة. الا ما كان من الانتقام من المتهمين بطلب الخلافة ومن التصرف في بيت المال . قال ابن خلدون بعد تفصيل له في هذا الباب : فقد صار الامر الى الملك وبقيت معاني الخلافة من تحري الدين ومذاهبه والجري على منهاج الحق . ولم يظهر التغير الا في الوازع الذي كان ديناً ثم انقلب عصبية وسيفاً . وهكذا كان الامر لمهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك ، والصدر الاول من خلفاء بني العباس الى الرشيد وبعض ولده ، ثم ذهبت معاني الخلافة ولم يبق الا اسمها ، وصار الامر ملكاً بحتاً وجرت طبيعة التغلب الى غايتها. واشتغلت في أغراضها من القهر والتقلب في الشهوات والملاذ . وهكذا كان الامر لولد عبد الملك ولما جاء بعد الرشيد من بني العباس ، واسم الخلافة باقياً فيهم لبقاء عصبية العرب ، والخلافة والملك في الطورين ملتبس بعضهما ببعض ، ثم ذهب رسم الخلافة وأثرها بذهاب عصبية العرب وفناء جيلهم وتلاشي أحوالهم ، وبقي الامر ملكاً بحتاً كما كان الشأن في ملوك الاعاجم بالشرق . يدينون

بطاعة الخليفة تبركاً وذاك ليس لغيره ومناحيه لهم وليس للخليفة منه شيء...
فقد تبين أن الخلافة وجدت بغير أن تكون آراءهم ثم تبست معانيهما واختلطت،
ثم انورد ذلك حيث انورفت معانيها من عصبية الخلافة اهـ

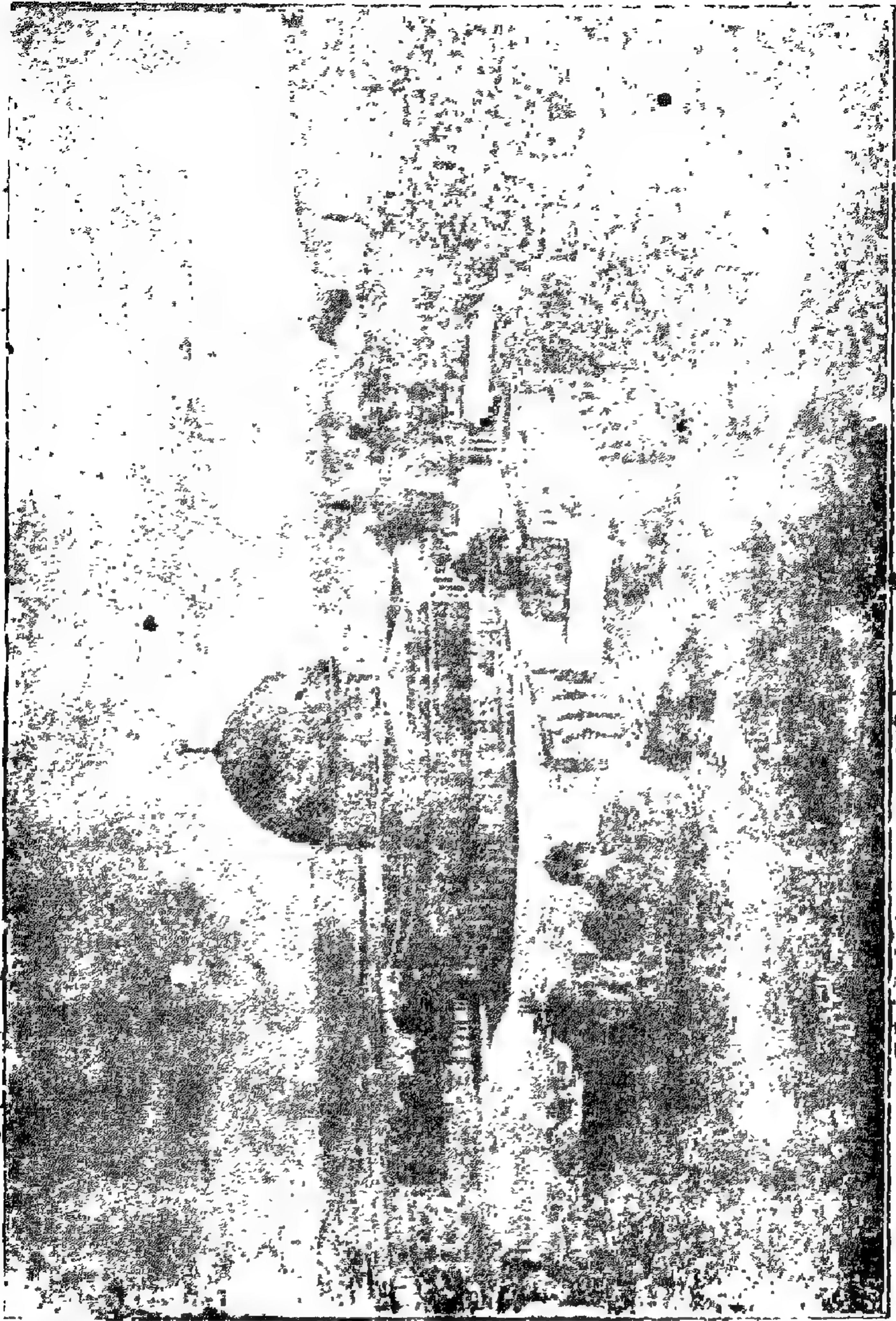
وهذه الخلافة التي كانت في مصر قد تبدلت على صحة قولنا الذي كررناه
مراراً وهو أن الخلافة في مصر لم تكن إلا أداة ليدبر بها يد المالك ونعيمه
وترفه وبين مقاصد الخلفاء بين المصلحة والحق والعدل — وإن الفساد دب
اليهم بالتدريج، وما زالت يد يد المالك التي أرأى ملكهم، وأكثر المسلمين لا
يشعرون بسير أسنن الاجتماعية فيهم إلا فأفرون لا يستطيعون تلافي الفساد
وتداركه قبل أن ينتهي إلى غاية من هلاك الأمة .

وإنما كان يتلافى بالنظم الذي تنظم به الخلافة — فالنظام قد أوجد أديانا
ومذاهب باطلة، برأيت حرية، فكيف لا يحفظ به الحق الراسخ رسوخ
الاطواد، فوالحق الذي يملو بالي إلى أن الماسلمين بذلوا من العناية لاعادة
الخلافة إلى ذهابها، فشر ما بدت فرق الباطنية لافسادها، لعادت أقوى ما
كانت وسادوا بها لتدنياها

هذا — وإن ما فات المسلمين في القرون الوسطى لا ينبغي أن يفوتهم في
هذا العصر الذي عرف البصر فيه من سنن الله تعالى في الاجتماع البشري ومن
فوائد النظام وأحكامه ما لم يكونوا يعرفون

الترك العثمانيون والخلافة والتاريخ

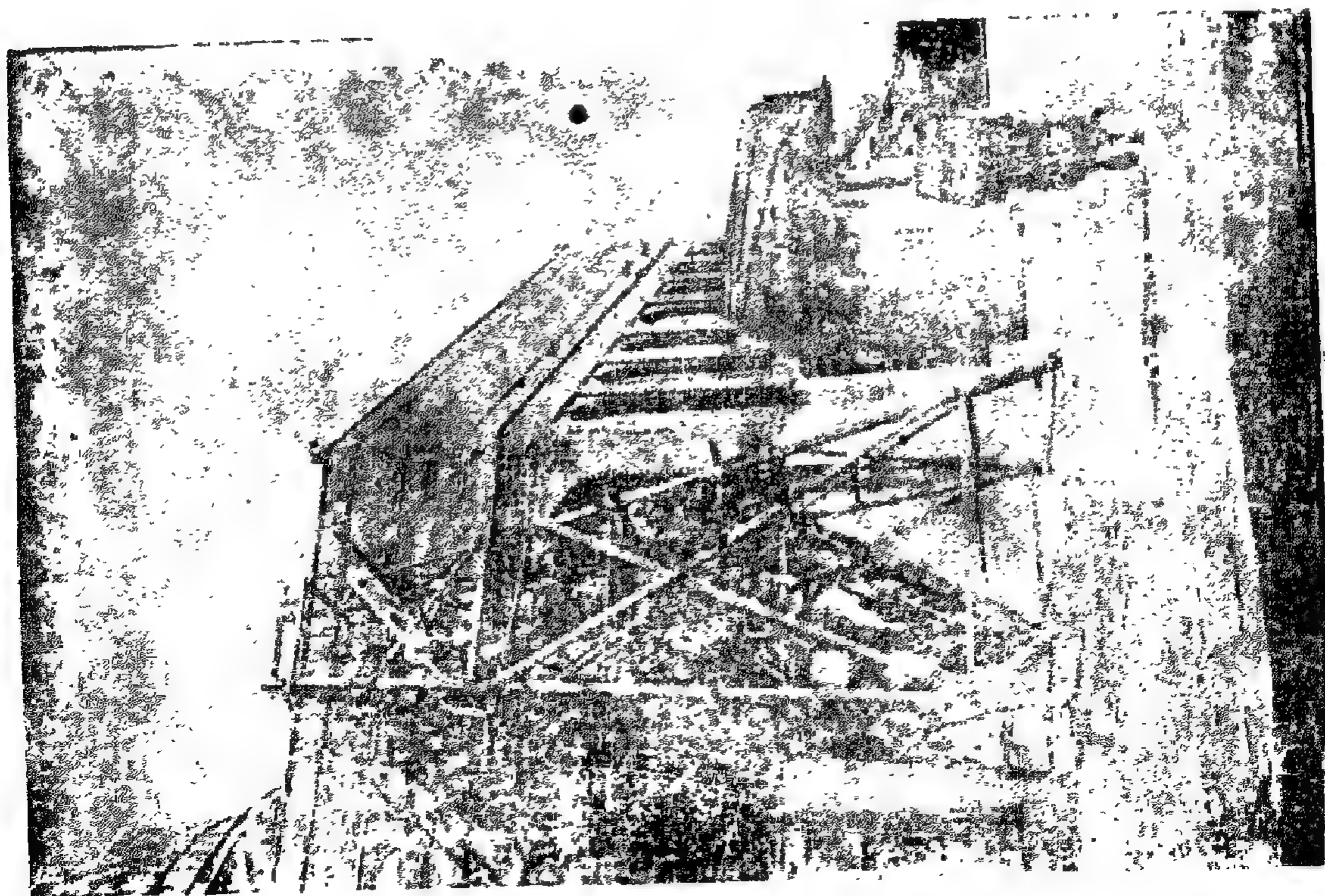
كان أجدر المسلمين بالسبق إلى هذا ربال الدولة العثمانية، ولا سيما الذين يقيمون
في الآستانة والروملية من بلاد أوربية يشاهدون تطور شعوبها وترقيهم في
العلوم والفنون والنظام، ولكن دولتهم لم تكن دولة علوم وفنون. لأنه لم
يكن لهم لغة شامية مدونة ناطقة لتلك الآ في أثناء القرن الماضي، ولم يكن يتعلم
علوم الإسلام منهم إلا غليل من المبادئ — ولهذا جعلوا سلطة سلاطينهم
شخصية مطلقة. حتى بعد انحياضهم بلقب الخلافة، فلما صاروا يدرسون تاريخ
أوروبة وقوانينها، وثوراتها على حكوماتها لازالة استبدادها، ظنوا أن لا
سبيل لتقييد استبدادهم ومنع ظلمهم إلا بتقليد أوربية في شكل حكوماتها.



منظر عام للحرم القدسي الشريف



منظر مدخل المسجد الاقصى



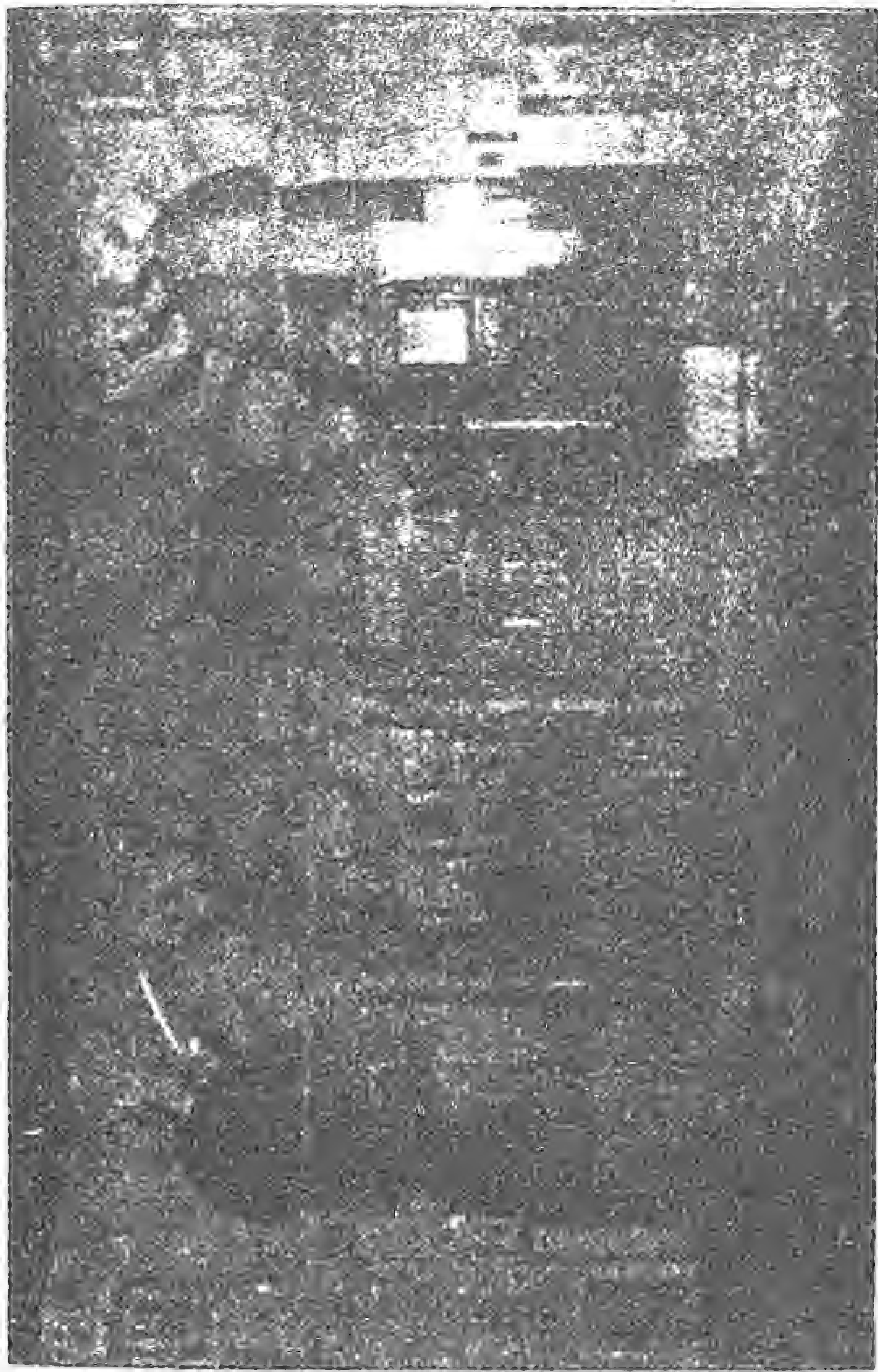
ار احدى الصقالات المنصوبة على جدار مقام الصخرة لاصمال الترميم



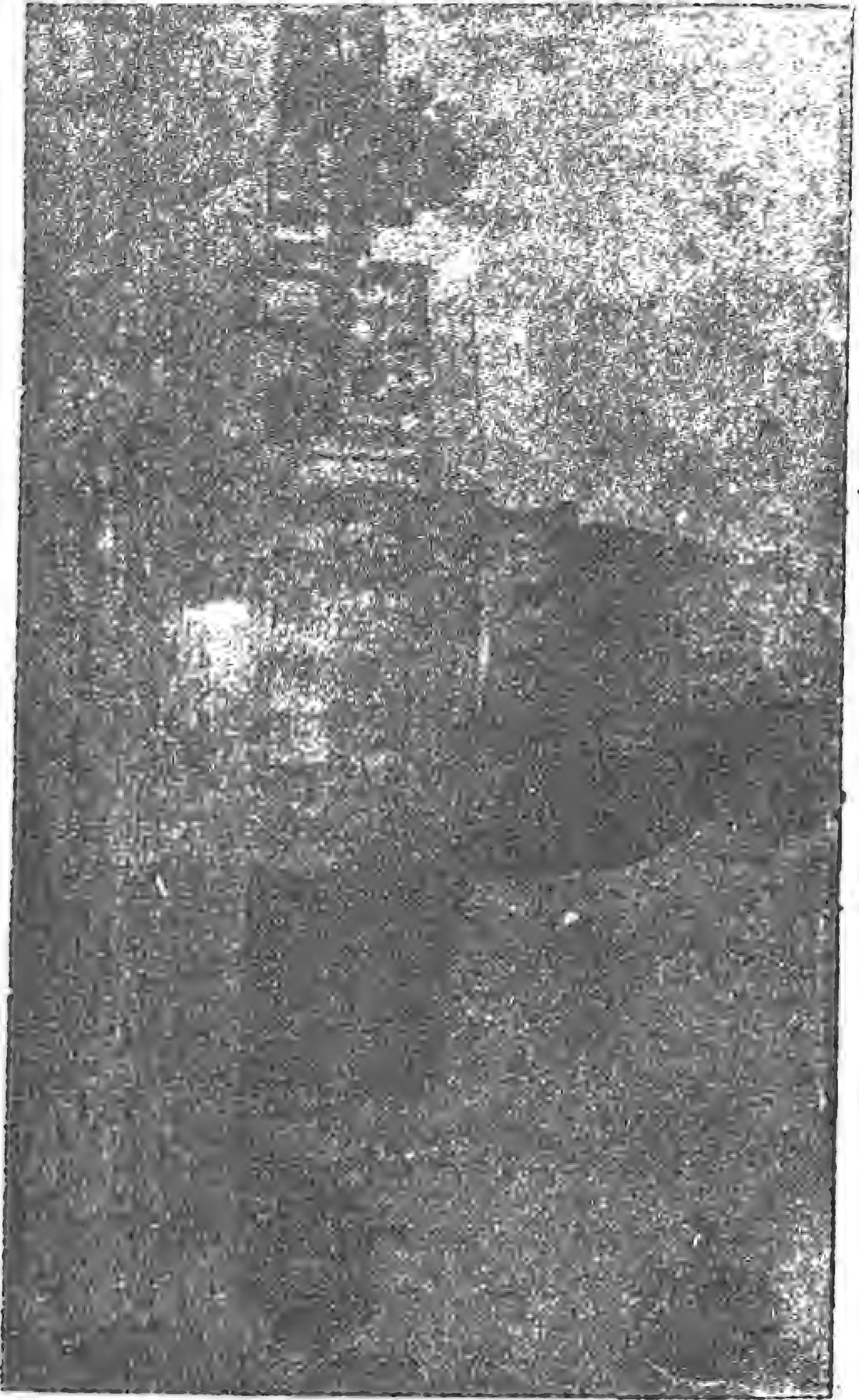
منظر في داخل المسجد الأقصى

منظار جدار من جدران مسجد الصخرة المشرفة

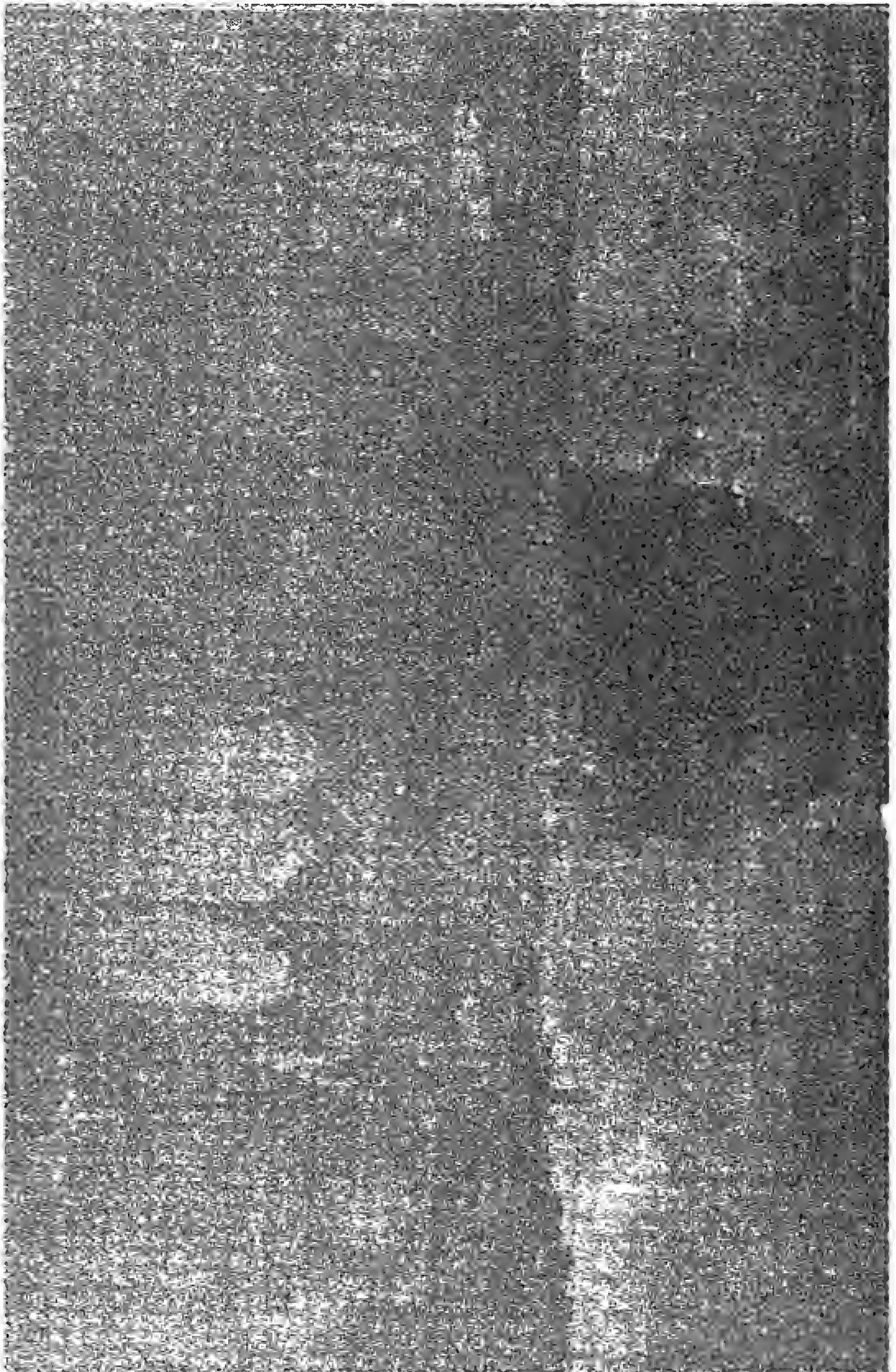




منظر من داخل القبة ويرى في أسفلها جاذب من الصخرة الشريفة



منظر لقبة الصخرة المشرفة مع قبة السلطنة المشهورة



منظر عام اقمبة الصخرة المشرفة

الملكية المقيدة، ثم رجحوا في هذا الزمن الجمهورية لأنهم رأوا أن جعل السلطان مقدسا غير مسؤول كما قرروه في قانونهم الاساسي لم يف بالغرض. ولودرسوا الشريعة دراسة استقلالية كما يدرسون القوانين لوجدوا فيها مخرجا أوسع وأفضل من القانون الاساسي السابق، ومن الخلافة الروحية وحكومة الجمعية الوطنية الحاضرة

أسس مدحت باشا وأعوانه الدستور العثماني فزق السلطان عبد الحميد شملهم وداس دستورهم مدة ثلث قرن كان فيها الحاكم المطلق الذي لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، والشرع والقانون تحت إرادته، منتحلا لنفسه ما يختص به رب العزة نفسه دون خلقه، بقوله تعالى (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) والناس في المملكة العثمانية ومصر وتونس والهند يقولون : قال الخليفة الاعظم وفعل الخليفة الاعظم ، فان قال أحد العثمانيين المظلومين في أنفسهم وفي أمتهن ووطنهم ، انه أساء وظلم — لعنوه وحكموا عليه بالخيانة أو بالكفر، فكان هذا سببا لا اعتقاد هؤلاء المتفرنجين من الترك أن منصب الخلافة نفسه عقبة في طريق ما يبتغون من تقليد أوربة في شكل حكوماتها المقيدة ، من حيث ان الخليفة يجب أن يطاع مطلقا ولا يجوز أن يعصى، ولا أن يقيد بقانون، ومن حيث إن رياسته الدولة تجعلها مضطرة لمراعاة أحكام الشريعة الاسلامية في السياسة والادارة والقضاء والتعليم ، والى تعلم اللغة العربية التي يتوقف عليها فهم الشريعة ، وهذه قيود تنافي ما يبتغون تقليد الافرنج فيه لاستقلال امتهم التركية ، بجعل سلطتها في الحكم والدولة لها ، لا تتقيد فيه بقيد ما من شريعة أخرى، ولا لغة أخرى، وهو ما يعبرون عنه « بالحاكية الملية »

احياء الجنسية الطورانية

عزم هؤلاء المتفرنجون على إحياء الجنسية التركية الطورانية وجعلها مستقلة أتم الاستقلال في الحكم والتشريع ، والمعائد والآداب ، غير مقيدة فيه بقيد مستمد من أمة أخرى — بل أقول بلغة صريحة فصيحة: غير مقيدين فيه بالشريعة الاسلامية ولا بالدين الاسلامي ، وقد مهدوا له السبيل بما ألفوا

(المنار : ج ٥) (٤٦) (المجلد الرابع والعشرون)

له من الكتب والرسائل، ووضعوا له من الاناشيد والقصائد، وواتهم السلطة الاتحادية على ذلك، ولكن طارضهم فيه الشعب التركي الذي يريدون هذا له وبه وفيه، وهو شعب متدين بالاسلام، وسلطانه يعترف له أكثر مسلمي الارض بأنه خليفة المسلمين، وان لدولته تقوذاً روحياً في هذه الشعوب الاسلامية قد جعل لها مكانة خاصة لدى الدول الكبرى في سياستها، له فائدة من جهة وفائدة من جهة أخرى، فان هذه الدول تضطر الى مراعاتها في بعض الامور لكيلا تهيج عليها رعاياها المسلمين باتهامها بعبادة دولة الخلافة، وتقبل منها كل عذر يعتذر به عن بعض مطالب الدول بأنه مما لا يستطيع صدوره من خليفة المسلمين، ولهذا السبب تقسه تجمع على عداوة هذه الدولة والكيد لها، والسعي لاضعافها أو اعدامها التسترخ من تأثير منصب الخلافة في رعاياها المسلمين. ولهذا فشا في هؤلاء المتفرنجين الاعتقاد بأن ضرر الخلافة عليهم، أكبر من نفعه لهم، ثم تزلزل هذا الاعتقاد عند بعضهم منذ حرب طرابلس الغرب الى الآن، وقد كان الاتحاديون على تهورهم بين إقدام وإحجام، للفصل في هذه المسألة وجعل السيادة الطورانية فوق سيادة الاسلام

وسائل المتفرنجين لامادة الدين

تعارض المانم والمقتضي — فاتخذوا لازالة الموانع وسائل (منها) بث الاتحاد والتعطيل في المدارس الرسمية ولا سيما العسكرية وفي الشعب جميعا وألفوا لذلك كتباً ورسائل بأساليب مختلفة (ومنها) تربية النابتة الحديثة في المدارس وفي الجيش على العصبية الجنسية، و احلال خيالها محل الوجدان الديني بجعلها هي المثل الاعلى للامة، والفخر برجالها المعروفين في التاريخ وان كانوا من المفسدين المخربين، بدلا من الفخر برجال الاسلام من الخلفاء الراشدين، وغيرهم من السلف الصالحين، ولهم في ذلك أشعار وناشيد كثيرة يتغنى بها التلاميذ والجنود وغيرهم (ومنها) التدرج في محو كل ما هو اسلامي في أعمال الحكومة، و اضعاف سلطة المشيخة الاسلامية، حتى انهم سلبوا منها الرئاسة على المحاكم الشرعية؛ ووضعوا قانونا لاحكام الشخصية (ومنها) اضعاف التعليم الديني حتى انهم حددوا عدد من يتخرج في المدارس الدينية

فجعلوه قليلا لا يكفي للمحافظة على الدين والشرع، (ومنها) جعل الخلافة والسلطنة مظهرًا مؤقتًا لأمر لصاحبه ولا نهى، ولكن يستفاد من اسمه، في تنفيذ ما لا يقبله الجمهور من غيره، حتى شاع أنهم كانوا يصدرون الارادات السنية بامضاء السلطان محمد رشاد وهو لا يدري (ومنها) إفساد الآداب والاخلاق والآداب الاسلامية بالعمل فأباحوا للنساء التركيات هتك الحجاب والتبرج والتهتك بل أباحوا لمن البغاء وكانت إباحته قاصرة من قبل على غير المسلمين. وقد حدثني الامير شكيب ارسلان في (جنيف سويسرة) عن طلعت باشا الصدر الاعظم أن عاهل الالمان لما زار الآستانة في اثناء الحرب ورأى النساء التركيات سافرات متبرجات عذله على ذلك وذكر له مافيه من المفاسد الادبية والمضار الاقتصادية التي تنم منها أوربة وتعجز عن تلافيتها. وقال له ان لكم وقاية من ذلك كله بالدين أفتريلونها بأيديكم؟

منتهى سلطة الخليفة وشيخ الاسلام

لم يكن منصب الخلافة الذي يتحلى بلقبه السلطان مانعا للاتحاديين من حمل من الاعمال التي تهدم الدين وتمحو أثره من الدولة ثم من الامة، لان الخلافة لم تكن الا لقبيا رسميا له بعض من التأثير في خارج الدولة كاحترام الدول له وتعلق مسلمي رعاياها ومن تحت نفوذها منهم به، وأما داخل الدولة بل الدولة نفسها — فلم يكن للخليفة فيها ديوان خاص ذو نظام وتقاليد يستعين به الخليفة على شيء من اعمال الحكومة في اقامة الشرع والمحافظة على الدين، والنظر في مصالح المسلمين. لم يكن في (المابين الهمايوني) مستوى الخليفة السلطان شيء من هذا

وانما كان يوجد في الوزارة عضو يسمى شيخ الاسلام، وله دار تسمى (باب المشيخة الاسلامية) هي مقر رجال الفتوى وادارة المحاكم الشرعية وادارة التعليم الديني. ولكن المشيخة الاسلامية بلغت من الضعف ان صارت عاجزة عن حفظ هذه المصالح الخاصة بها، فلم يقدر شيخ الاسلام أن يمنع الحكومة الاتحادية من سلب المحاكم الشرعية منه وجعلها تابعة للمدلية (الحقانية) ولا من التضيق على التعليم الديني، فهل يقدر على منعها من اباحة الزنا للمسلمات،

أو غيرها من تلك الموبقات ؟ وأهم اسباب هذا الضعف أن المشيخة لم تكن الا مصلحة رسمية لم تمن في يوم من الايام بشيء من خدمة الدين الروحية التي تجعل لها سلطة معنوية في الشعب الاسلامي في داخل المملكة ولا خارجها ليكون لها من قوته الدينية ما يهابه الحكومة ونخشاها ، وتؤيد به تفوذها ، وتفوذ الخليفة الذي ترك الامور الدينية والمصالح الاسلامية لها

ضعف ماعدا العسكرية في الدولة

الحق أقول ان الدولة العثمانية والشعوب الاسلامية ، قد برحت بها الادواء الاجتماعية ، والدسائس والتعاليم الاجنبية ، حتى افقدتها جميع قواها المادية والمعنوية ، فلم يبق فيها الا القوة الحربية ، المتمتعة بشيء من النظام والسلاح المصري في هذه الدولة ، فلا يستطيع أحدا أن يحدث فيها انقلابا ما إلا بقوة الجيش — عرف ذلك الاتحاديون فعملوا به ما عملوا ، وأسأوا به حتى قضوا على هذه السلطنة (الامبراطورية) وصدق قولنا فيهم عند سلب حزب الائتلاف السلطة منهم « فان مادوا كرة ثانية ، كانت هي القاضية »

ما نقرحه على الترك في مسألة الخلافة

هذا وان الله تعالى قد وفق هذه القوة العسكرية الهادمة ، بما كان من تلك السياسة الجاهلة الظالمة ، الى انتقاذ جلّ البلاد التركية ، من برائن الدول الاوربية ، بعد أن نشبت فيها ، وكاد يتم بأس العالم كله منها ، وألغوا حكومة جمهورية تركية ، قررت ما قررت في مسألة الخلافة الاسلامية ، فالذي نراه بعد طول الروية ، والنظر في المسألة من الوجهتين السياسيتين الاسلاميه والاجتماعية أن ماقرروه باديء الرأي يجب أن يكون تديرا مؤقتا ، لا امرا مبرما مؤبدا ، وأن تترك السلطة العسكرية أمر الحكومة بعد الصلح ، الى مجلس منتخب من الشعب ، ينتخبه بحرية حقيقية ، لاسيطرة عليها للحكومة ولا للجندية ، وأن يترك أمر الخلافة الى الشعوب الاسلامية كلها ، والحكومات المستقلة وشبه المستقلة منها ، وأن يؤلف له لجنة أو جمعية مختلطة حرة مركزها الاستانة ، تقدرس كل ما يكتبه وما يقترحه أهل العلم والرأي في المسألة ، ويكون ذلك

تمهيدا لعقد مؤتمر اسلامي يعقد بعد الصلح بسنة أو أكثر من سنة ،
ونرى أن تؤلف الحكومة التركية العليا لجنة أخرى للبحث فيما يجب أن
تكون عليه علاقتها مع الأمة العربية ، ومع غيرها من الشعوب الاسلامية ،
وما يمكن أن تفيدها وتستفيد منها بمكائنها العسكرية والمدنية والدينية ، وأن
يكون أعضاء اللجنتين أو بعض أعضائها من أركان مؤتمر الخلافة هم الذين يضمون
برامجه ، ويقررون نظامه ، بعد تمحيص ما يجمعونه من الآراء والمعلومات في
كل ما يتعلق بالمسألة .

وقد تناقلت الجرائد أن حكومة انقرة ستشاور العالم الاسلامي في الخلافة ،
ولكن الشورى الصحيحة النافعة لا تتم الا بالنظام ، وحسن الاختيار من
الأفراد والأقوام ، فحسبى أن يختار لكل لجنة أهلها من أولي النهى ، وأن توفق
كل منها لتحقيق الحق في عملها ، وأن ينتهي ذلك باقتناع أهل الحل والعقد
من الترك ، ببذل نفوذهم لإقامة الإمامة الحق ، لأصلاح ما أفسدت جهالة
المسلمين ومادية الأوربيين في الأرض ، فقد استدار الزمان ، واشتدت حاجة
البشر إلى إصلاح القرآن ، وضعفت معارضة المقلدة الجامدين ، وظهر ضرر
عصبية الأمويين والعباسيين والعثمانيين ، وضلال الأفرنج والمتفرنجين ،
فطوبى للمجددين المصلحين ، وويل للمقلدين المفرورين ، والعاقبة للمتقين ،
(أن هذا هو حق اليقين * ولتعلن نبأه بعد حين)

الخطاب

الذي خاطب به المحكمة الانكليزية العالم العلامة الاستاذ أبو الكلام
(٢)

الاسلام والاستبداد

اني مسلم ، ولاني مسلم وجب علي أن أندد بالاستبداد وأقبحه وأشهر مساويه
وليعلم أن الاسلام لا يعترف بالحكومة الشخصية ، ولا بحكومة عصبية من
الموظفين ينقدون روايتهم ، لانه نظام كامل للجمهورية ، وانما جاء ليرد إلى

النوع الانساني حرية المغصوبة التي كان اغتصبها الملوك المستبدون ، والحكومات الاجنبية ، والرؤساء الروحانيون ذور الاهواء ، والرجال الاقوياء من الجماعة ، وقد كانوا يعتقدون أن الحق للقوة والتسلط ، واقهر والغلبة ، ولكن الاسلام بمجرد ظهوره أعلن أن الحق ليس في القوة ، ولا هو القوة ، بل الحق هو الحق ، وأنه ليس لاحد من البشر أن يعبد عباد الله ويذلهم ويسخرهم — ثم قضى على سائر الامتيازات والمناصب المؤسسة على الغلبة القومية والجنسية قضاء تاما — وبين أن الناس كلهم متساوون في الانسانية ، متساوون في الحقوق ، متساوون في الحياة ، وليس اللوز والجنس والنسل ميارا للفضل والحسب ، وإنما معياره « العمل » وحده ، فأعلام قدرا وأكرمهم حسبا ، أحسنهم عملا وأتقاهم لربهم (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم) « الحجرات »

الاسلام نظام جمهوري

ان الاسلام أعلن « حقوق الانسان » قبل انقلاب فرنسا بأحد عشر قرنا ، وليس مجرد اعلان ، بل وضع نظاما عمليا للجمهورية الحق بالغنا في السكالمتهاه ، ونظيرا لنفسه في الاتقان ، كما قال المؤرخ الشهير (غبون — أو — جبون) فكانت حكومة نبي الاسلام وخلفائه الاربعة ، جمهورية كاملة ، تتشكل برأي الامة وانتخابها ونيايتها — ولذا توجد في مصطلحات الاسلام كلمات جامعة لهذا الغرض لا توجد مثلها في لغة ما فحيث إنه لم يعترف بوجود ملك ومنصبه ، وعوضه بمنصب لرئيس الجمهورية ، سماه « بالخلافة » وهي في اللغة « النيابة » وسمى صاحبها « بالخليفة » أي « الدائب » الذي لا يملك قوة ولا نفوذا بنفسه ، وكذلك اختار لنظام الجمهورية كلمة « الشورى » ووصف المسلمين بقوله (وأمرهم شورى بينهم) والشورى ضد الاستبداد ، فقد ربه أن جميع أعمال الحكومة يجب أن تكون برأي الجماعة وشوراها ، لا برأي شخص وحده — فأى اسم للجمهورية ورئيسها ونظامها يكون أحسن وأجمع من هذه الاسماء الاسلامية ؟

البيوروكريسي الوطني والاسلامي ظلم أيضا

فما دام الاسلام ينهى المسلمين عن قبول حكومة اسلامية لم تتشكل برأي الامة وانتخابها . فما تكون قيمة هذا « البيوروكريسي » الاجنبي Burocreci في عين المسلمين ؟ وهب انه لو تقوم الآن في الهند حكومة اسلامية على نظام شخهي . أو تكون بيوروكريسيا لطائفة من الوطنيين ، فان الاسلام يوجب علي أن أسميها أيضا ظالمة وجائرة ، وأسعى لخرايبها ونقضها كما أفعل الآن . واست يدع فعلماء الاسلام مازالوا يجاهرون بظلم الولاة ويحاسبون المستبدين من المسلمين أنفسهم

وإني لا اعترف بكل الاسف أن نظام الاسلام الجمهوري لم يعمل به طويلا بل أضلت القيصرية والسكروية ولاة المسلمين ، فحادوا عن الطريق وآثروا التشبه بقيصر وكسرى واستنكفوا من التشبه بأسلافهم الخلفاء الراشدين ، الذين عاشوا طول حياتهم في ثياب رثة كآحاد الناس ، بيد أنه لم يخل عهد من أصحاب الحق الذين ناقشوا الملوك والسلاطين في استبدادهم وتفردهم بالحكم ، وتحملوا جميع تلك المصائب التي صبت عليهم في هذه السبيل بوجوه مستبشرة

الوظيفة المالية للمسلمين اعلاء الحق واعلانه

ولعمري ان المطالبة من مسلم بأن يسكت عن الحق ولا يسمي الظلم ظلما ، مثل مطالبته بأن يتنازل عن حياته الاسلامية ، فان كنتم لا ترون لانفسكم أن تطالبوا أحدا بأن يرتد عن دينه ، فليس لكم أن تطالبوا مسلما بأن يمتنع عن قوله للظلم إنه ظلم ، لان معنى كلتا المطالبتين واحد —

إن تصديق بالحق واعلانه عنصر ضروري للحياة الاسلامية ، فان فصل عنها فقدت أكبر ما يمتاز به ، لان الاسلام أنس قومية المسلمين عليه ، وجعلهم شهداء الحق على العالم كله ، فبكما يجب على الشاهد أن لا يتوانى في ابداء شهادته

كذلك يتحتم على المسلم أن لا يتمتع في اعلاء الحق ، ولا يبالي في اداء فرضه بمصيبة وابتلاء ، بل يصدع به حيثما كان ، ولو لاقى دونه الحمام — وتصير هذه الفريضة أو كد وأوجب عند ما يسود الظلم والجور ، ويمنع الناس من اعلان الحق بالعنف والشدة ، لانه ان أجهز السكوت عنه خرقا من بطش الجبارين الذين يقطون الالسة ويفتنون الابدان بأنواع من المذاب ، يصبح الحق في خطر دائم ، ولا يبقى لظهوره وقيامه من سبيل ، مع أن ناموس الحق فوق القوة ، وليس بمحتاج في ثبوته الى تصديق القوة ، ولا يضره سكوت الناس عنه قاطبة ، بل انه يظل على كل حال حقا ، حقا عند ما نجد في سبيله ما نحب ونشتهي ، وحقا عند ما يكون دونه الموت الزؤام ، وهل تصير النار برداء ، والثلج نارا لانا نجس ونسجن ؟

وجوب الشهادة بالحق وخطر كتابها

لهذا أنبيء المسلمون في كتابهم انهم « شهداء الحق » في أرض الله ، فالشهادة بالحق والصدع به وظيفتهم الملية وديانتهم القومية التي تميزهم عن سائر الامم الغابرة والآتية : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) وقال لهم نبيهم (ص) « أنتم شهداء الله في الارض » (١) فالسلم مادام مسلما لا يستطيع كتمان هذه الشهادة ، وان حبس أو قتل أو ألقى جسده في النيران المتأججة — وأخبر القرآن بأن من يكتم شهادته ييؤ بغضب الله ، ومأواه جهنم وبئس المهاد ، وكذلك أنبا أن الامم الكبيرة لم تهلك الا لانها كتمت الحق : (ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (٢) وقال : (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، ابئس ما كانوا يفعلون)

(١) رواه البخاري (٢) من سورة البقرة

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وانما نجد « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » من آكد الفرائض الاسلامية وقد اخبر القرآن أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أساس لعظمة المسلمين وفخارهم القومي ، وأنهم خير الامم لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأنهم ان حادوا عنه يفتقدون سؤددهم ومجدهم الشامخ (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر - ١٠٦:٣) وقال النبي (ص) « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ، أو لبوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ، ثم لتدعنه ولا يستجاب لكم » رواه الترمذي عن حذيفة وأما أداء هذه الفريضة فعلى ثلاث درجات في ثلاث حالات مختلفة قال : النبي صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » (رواه مسلم) وحيث إننا لسوء حظنا لا نقدر في هذه البلاد على تغيير منكرات الحكومة بأيدينا لجأنا الى الدرجة الثانية التي في وسعنا وهي أن نعلن بالسنننا ظلمها ومساوئها ، ونندد بمثالبها ونشهر بمعاييبها

الاركان الاربعة

ان القرآن وضع أساس الحياة الاسلامية على أربع دعائم : الايمان ، والعمل الصالح ، والتوصية بالحق ، والتوصية بالصبر — فالإيمان والعمل الصالح معناها ظاهر — أما « التوصية بالحق » فهي أن يوصي كل أخاه بالتزام الحق « والتوصية بالصبر » هي أن يتواصيا بتجشم المآلئ وتحمل النوازل في سبيل الحق ، وانما قرنت هذه بتلك لان وقوع الحزن والمشاق أمر لا مناص منه في سبيله : (والعصر ان الانسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

التوحيد الاسلامي والامر بالمعروف

التوحيد أساس الاسلام ، وقطب رحاه ، وضد « الشرك » الذي أشرب المسلمون به في قلوبهم ، ومعنى التوحيد أن يوحد الله في ذاته وصفاته . والشرك هو أن يجعل له سبحانه شريك في ذاته أو صفاته - والتوحيد يعلم المسلمين أن الخوف والخشوع لا يكون الا لله الواحد العظيم ، أما غيره فلا يخاف منه ولا يخشع له ، وإن من يخشى غير الله فهو مشرك به وجاعل غيره أهلاً للخوف والطاعة . وهذا ما لا يجتمع مع التوحيد أبداً

الاسلام من أوله الى آخره دعوة عامة الى البسالة والجرأة والتضحية والاستهانة بالموت في سبيل الحق والقرآن يكرر هذا مرة بعد أخرى : (لا يخشون أحداً الا الله . وكفى بالله حسيباً ٣٣ : ٣٩) (من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله ٩ : ٢٠) (ولا يخافون لومة لائم ٥ : ٥٨) (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ، ان كنتم مؤمنين ٣ : ١٧٥) (أليس الله بكاف عبده ؟ ويخوفونك بالذين من دونه ، ومن يضلل الله فما له من هاد ٣٩ : ٣٥)

والرسول (ص) يقول : « خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه ، فقتله » رواه الحاكم عن جابر على شرط الصحيحين وفي رواية « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » (رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي) وقد كان يأخذ العهد من أصحابه ان يقولوا بالحق أينما كانوا (كما رواه عبادة بن الصامت وأخرجه الشيخان)

وقد ابيضت عين الدهر ولم تر مثلاً هذه الضحايا العظيمة الكثيرة في إعلاء كلمة الحق التي قدمتها الامة الاسلامية في كل دور من حياتها ، قتراجم علمائها ومشايخنا وساداتها عبارة عن هذه الضحايا

ألا فلتعلم الحكومة الانكليزية أن المسلم الذي أمره ربه أن يرحب بالموت

الاحمر ، ويتغافل في لحج الدواهي والكوارث ولا يقبل السكوت عن الحق لا يخيفه قانون ١٢٤ من العقوبات الهندية ولا يرده عن دينه وأداء فريضته — اذا أ كبر عقاب في هذا القانون حبس المرء طول حياته ، والمسلم يرحب به ويتجنأه إن كان لا بد منه في سبيل الحق —

لا يوجد في الاسلام قانون ١٢٤

إن تاريخ الامة الاسلامية ينقسم الى دورين مختلفين ، فالدور الاول ، دور نبي الاسلام (ص) وخلفائه الاربعة ، وقد كان النظام الاسلامي الجمهوري فيه قائما بأنهم معانيه ، فكانت الامة متمتعة بالجمهورية الحق ، ترتع في رياض المساواة الاسلامية العامة ، وتعيش عيشة هنيئة في ظلال الحرية الكاملة ، لا تخيفها الملكية المطلقة ، ولا تثقل كواهلها القيصرية والكسروية ، خليفتها ورئيس جمهوريتها من أحادها ، تنصبه بأيديها وتحاسبه في جليل الامور وحقيرها ، ولا تسمح له أن يجحف بها أو يستبد برأيه دون رأيها ، وهو نفسه يكون من أعدل الناس وأفضلهم وأعلمهم بوظائف الخلافة والحكومة ، يعيش عيشة الفقراء والمساكين ، يستر جسده بأطمار بالية ، ويسكن في كوخ حقير ، ولم يكن اذ ذاك بدار الخلافة الاسلامية « القصر الابيض » لجمهورية أمريكا

وقد كان المسلمون في هذا الدور يقاتعون الخلفاء ويناقشونهم وهم على المنابر يخطبون ، حتى إن عجوزا من عجائز العاصمة كانت تتجوأ عليهم وتخطب الواحد منهم على ملاء من الناس بقولها ان تزغ عن الحق تقومك بسيوفنا ! » والخليفة لا يؤاخذها ولا يعاقبها على ذلك بجناية « الثورة » بل يشكر الله ويحمده ان وجد في الامة السنة صادقة ذربة في اعلان الحق كهذه العجوز — وقد قام الخليفة مرة يوم الجمعة خطيبا وقال (اسمعوا وأطيعوا) فرد عليه رجل قائلا . والله لا نسمع ولا نطيع لانك خنت الامانة ، وأخذت القماش أكثر من سهام المسلمين ، فنادى الخليفة ابنه ، فشهد ان أباه لم يخن المسلمين ، بل اني قد أعطيته سهمي من

القماش ، ومن سهمينا فصالت الجبة والرداء

وقد كان سير الامة هذا مع ذلك الخليفة الذي كانت تقشعر من خشيته جلود الملوك في عقر دورهم ، وتخر أمام هيئته عروش فارس ومصر ، وتزلزل من بأسه جدران القسطنطينية ، ولكن مع هذا كله لم يكن عند الحكومة الإسلامية قانون ١٢٤ يحاكم به الخليفة معارضيه من أصحاب الحق

أما الدور الثاني فدور الحكومة الشخصية والملكية المطلقة ، بدأ باستيلاء بني أمية على الخلافة قهرا وعنوة ، فانقلبت فيه الجمهورية الإسلامية على رأسها وحل الاستبداد والقمهر محلها ، وظهر مكان الخليفة الإسلامي ملك مكلل بتاج الملك ، مترجع على عرش الحكومة المذهب . ولكن استبداد هذا الدور مع سائر عقوباته المريعة من الجلد بالسياط والحبس في السجون ، والقتل بالسيوف ، لم يستطع أن يصد المسلمين عن اعلان الحق ، ويقعدهم عن الذود عنه وحمايته ، بل ظلت ألسنتهم حادة ذلقة في اعلانه ، ونفوسهم متهيئة لتقديم المهج في سبيله ، فأعجاب الرسول (ص) ما عاشوا ظلوا ينددون بظلم الولاة ويشهرونه ، ويطلبونهم بتغييره ، وجعل الحكومة شورى بين المسلمين (١) ثم قام مقامهم التابعون الذين تربوا في حجبهم وتخلقوا بأخلاقهم ، فكانوا خير خالف اخير ساف ، ماها بوا غير الله ، وما داهنوا أحدا من خلقه — بل كانوا يجهرون بالحق ، ويقولون للجبابرة والطواغيت « أصلحوا ، أوزولوا ، أزالكم الله ! » وقد عد الامام محمد الغزالي أولئك الصحابة والتابعين الذين كانوا الى زمن الخليفة هشام بن عبد الملك وأنكروا ظلم الامراء وطالبوهم بحكومة الشورى والنيابة ، فباغ عددهم أكثر من ثلاثة وعشرين رجلا (٢) واني أنبه ههنا أنه لا يوجد في شريعة الاسلام قانون

(١) أراد معاوية بن أبي سفيان ان يجعل ابنه يزيد خليفة بعده واخذ يكره الناس على مبايعة فقام عبد الرحمن بن أبي بكر فرد عليه قائلا « اهرقلية؟ اذامات كسرى قام كسرى مكانه والله لا نفعل ابدا ! »

(٢) المنار : ليس هذا من قبيل الحصر بل ما اتفق من الروايات التي تنقل للاسوة والتقوية والا فالمنكرون للمنكر لم يكن حصرهم ممكنا

١٢٤ (من القوائين الهذلية) الذي كان يمنع هؤلاء الاخيار ، من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واعلان الحق ، وتقبيح الظلم

طالب الخليفة الاموي الشهير هشام بن عبد المطلب ، طاوس البجلي يوما الى مجلسه فلما دخل عليه ، لم يسلم عليه بأمر المؤمنين ، ولكن قال « السلام عليك يا هشام ! » وجلس بازائه ، وقال « كيف أنت يا هشام ؟ » فعضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله ، وقال له « يا طاوس : ما الذي حملك على ما صنعت ؟ » قال « وما الذي صنعت ؟ » فازداد غضبا وغيظا ، وقال « خلعت نعليك بحاشية بساطي ، ولم تقبل يدي ، ولم تسلم علي بأمر المؤمنين ، ولم تكنني ، وجلست بأزائي بغير أذني ، وقلت كيف أنت يا هشام » قال (اما ما فعلت من خلعت نعلي بحاشية بساطك فأني أخافهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ، وأما قولك لم تقبل يدي ، فاني سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ، لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد ، الا امرأته من شهوة ، أو ولده من رحمة — وأما قولك لم تسلم علي بأمر المؤمنين ، فليس كل الناس راضين بأمرتك . فكرهت أن أ كذب — وأما قولك جلست بأزائي ، فاني سمعت أمير المؤمنين عليا يقول اذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام » فقال هشام عظمي ، فقال سمعت من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن في جهنم حيات كالقلال ، وبقارب كالبغال ، تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته . ثم قام — انتهى ملخصا

وكان مالك بن دينار ينادي في جامع البصرة « ان الله دفع الى هؤلاء الملوك غنما سمانا صحاحا ، فأكلوا اللحم ، ولبسوا الصوف ، وتركوها عظاما تتعقعع ! » وخاطب أبو حازم سليمان بن عبد الملك الجبار بقوله « ان آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم ، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وقد ارتحلوا ، فلو شعرت بما قالوا وما قيل فيهم ! » فقال له رجل من جاسائه : بثما قلت ، قال أبو حازم : ان الله قد أخذ الميثاق

على العلماء « ليبيننه للناس ولا يكتُمونه ! » قال سليمان ، وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد ؟ قال : أن تأخذه من حله ، فتضعه في حقه . فقال سليمان : ومن يقدر على ذلك ؟ فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان أدع لي ، فقال أبو حازم « اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة ، وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى ! » فقال سليمان : أوصني ، فقال : أوصيك وأوجز ، عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك من حيث أمرك ! وكان سعيد بن المسيب التابعي الكبير يقول على رؤوس الاشهاد في ولاية زمنه : يجيئون الناس ، ويشبعون الكلاب !

وقد ظل علماء الاسلام على هذه المدينة بعد عهد بني أمية ، غير هيايين ولا وجاين في عهد العباسية ، فهذا المنصور الخليفة العباسي القهار لما قال لسفیان الثوري « ارفع الينا حاجتك » رد عليه قائلاً « اتق الله ! فقد ملأت الارض ظلماً وجوراً ! »

ولما استقر على منصة الخلافة هرون الرشيد الخليفة العباسي الشهير ، كتب الى سفیان الثوري كتاباً بيده يقول فيه :

« من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين ، الى أخيه سفیان بن سعيد ابن المنذر — أما بعد يا أخي ! قد علمت أن الله تبارك وتعالى آخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله ، واعلم اني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبائك ، ولم أقطع منها ودك ، واني منطو لك على أفضل المحبة — واعلم يا أبا عبد الله ! أنه ما بقي من اخواني واخوانك أحد الا وقد زارني وهنأني بما صرت اليه ، وقد فتحت بيوت الاموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي ، وقرت به عيني ، وإني استبطأتك فلم تأتني ، وقد كتبت اليك كتاباً شوقاً مني اليك شديداً — وقد علمت يا أبا عبد الله ، ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته ، فاذا ورد اليك كتابي فاعجل العجل »

وهل يعلم اللورد ريدنغ من كان هذا الرشيد الذي يكتب الى عالم من

علماء المسلمين بهذه للهجة اللينة ؟ انه قد كان يحكم ربع الكرة الارضية وبخطاب قيصر الروم في كتاب منه اليه « يا ابن الكلب » كما صرح به المؤرخ جبن الانكليزي — ٨ ثم هل علم بما رد عليه ذلك العالم ؟ ن لم يعلم فليسمع مني جوابه ثم يتدبر فيه ، فانه يجلي له ما خفي عليه من حقيقة الاسلام ، وجرأة المسلمين في اعلان الحق ، ويبين له أن ما تطالبه حكومته منا لا ينال ، وان المسلم لا يتمتع من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولو فجع في النفس والمال

قد كان من حديث سفیان أنه لما أتاه الرسول بكتاب الخليفة ، كان في مسجد الكوفة وحوله أصحابه ، فرمى اليه الرسول الكتاب ، فلما رآه ارتعد وتباعد منه ، كأنه حية عرضت له — ثم أدخل يده في كفه وأغما بعباءته وأخذ الكتاب فقلبه بيده ثم رماه الى من كان عنده ، وقل يأخذه بعضكم يقرؤه ، فاني استغفر الله أن أمس شيئا منه ظالم بيده ، فلما فرغ من قراءته ، قال « اقلبوه واكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه » فتقبل له « يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقل : اكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه ، فان اكتبته من حلال فسوف يجزي به ، وان كان اكتبته من حرام فسوف يصلي به ، ولا يبقى شيء منه ظالم عندنا ، فيفسد علينا ديننا » ثم قل اكتبوا :

« من العبد المذنب سفیان بن سعيد بن المنذر الثوري ، الى العبد المفرور بالآمال هارون الرشيد ، الذي سلب حلاوة الايمان : أما بعد . فاني قد كتبت اليك أعرفك أن قد صرمت حبالك ، وقطعت ودك ، وقلبت موضعك ، فانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنتفقت في غير حقه ، وأنفذته في غير حكمة ، ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عني ، حتى كتبت الي تشهدني على نفسك — أما أني قد شهدت عليك أنك واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك ، وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى — يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم ، هل رضي بفعلك المؤلغة قلوبهم ، والعاملون عليها في أرض الله تعالى ، والمجاهدون في سبيل الله ، وابن

السبيل ؟ أم رضي بذلك حملة القرآن وأهل العلم ، والارامل والايتام ؟ أم هل رضي بذلك خلق من رعينتك ؟ فشد ياهارون مثرك ، وأعد للمسألة جوابا ، وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل ، فقد رزئت في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيد القرآن ومجالسة الاخيار ، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما ، وللظالمين اماما ، ياهارون قعدت على السرير ، ولبست الحرير ، وأسبلت سترا دون بابك ، وتشبهت بالحجبة رب العالمين ، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون

أفلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس ؟ فكيف بك ياهارون غدا اذا نادى المنادي من قبل الله تعالى : (أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم) أين الظلمة وأعوان الظلمة ؟ فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا عدلك وانصافك ، والظالمون حولك وأنت لهم سابق وامام الى النار . كأنني بك ياهارون وقد أخذت بضيق الخناق ، ووردت المساق ، وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك ، وسيئات غيرك في ميزانك ، زيادة عن سيئاتك ، بلاء على بلاء ، وظلمة فوق ظلمة ، فاحتفظ بوصيتي ، واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها واعلم اني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصيح غاية والسلام اه فلما وصل هذا الكتاب الى هارون أقبل يقرأه ودموعه تنحدر من عينيه ، ويقرأ ويشهق . ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هارون يقرأه عند كل صلاة حتى توفي — انتهى ملخصا

ولم يكن العلماء والائمة هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وحدهم ، بل كان يوجد اذ ذاك من دهاء المسلمين وعامتهم من يؤدي هذه الفريضة بكل شجاعة ورزابة جاش — فبينما كان الخليفة المنصور العباسي يطوف بالبيت اذ سمع رجلا عند الملتزم يقول « اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطيم » فدعاه المنصور وقال : ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من

الطمع والظلم ؟ ، فقال الرجل الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض أنت « قال المنصور » ويحك كيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في يدي ، والحلو والحامض في قبضي ؟ « قال وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك ، ان الله استرعاك أمور المسلمين وأموالهم ، فاغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر ، وابوابا من الحديد ، وحجبة معهم السلاح ، ثم سجنك نفسك فيهمانهم ، وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها ، واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة ، ان نسيت لم يذكروك ، وان ذكرت لم يعينوك ، وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح ، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان ، فلان نفرسميتهم فائتمروا علي أن لا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء الا ما أرادوا ، فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل — الى آخره — فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته

ومن ذا الذي لم يسمع بظلم داهية بني أمية الحجاج بن يوسف الثقفي وغلظته وسفكه للدماء ، ولم يكنه مع جبروته وغلظته لم يستطع صد المسلمين عن اعلان الحق ، فلقد جيء اليه يوما بحطيط الزبات أسيرا ، فلما دخل عليه ، قال أنت حطيط ؟ قال نعم سل ما بدا لك ، فاني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال : ان تثبت لاصدقن ، وان ابتليت لاصبرن ، وان عوفيت لاشكرن . قال فما تقول في ؟ قال أقول : إنك من اعداء الله في الارض تنتهك المحارم ، وتقتل بالظنة ، قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال أقول إنه أعظم جرما منك وانما أنت خطيئة من خطاياهم

ودخل رجل من المسلمين على المأمون بن الرشيد وقال له علي ، لا من رجاله يا ظالم أنا ظالم ان لم أقل لك يا ظالم ، فأقبل عليه المأمون وقال من أنت ؟ قال أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم أجد لنفسي فيه حظا ،

فعلقت بموعظتك لعل الحقهم. فأمر بضرب عنقه
فهكذا كان المسلمون في الايام الاولى يتقربون الى مولاهم بتعرضهم للهلك
والسلاطين وتخشيتهم لهم في القول وتقديم مهجهم للهلاك، ولقد ظلموا على هذه
الوتيرة بعد ولا يزال يوجد فيهم الربانيون يأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر
حتى يأتي أمر الله كما ورد في الخبر « لا يزال طائفة من أمي ظاهرين على الحق
لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون »

الفتنة التتارية والفتنة الغربية

فلا تفتنهم الفتنة الحديثة الغربية ، ولا تستطيع ردعهم عن عملهم الحق ،
اذ هي ليست بجديدة لهم ، فلقد دهموا قبلها بالفتنة التتارية ، وزلزلوها زلزالا
شديدا ، فكما نرى الدول الاوربية ولا سيما انكلترة قد دمرت البلاد
الاسلامية ، ومزقت شمل الخلافة العثمانية ، وقضت على حرية الممالك الشرقية ،
وأباحت سفك دماء المسلمين أنهارا في السهول الاناضولية ، كذلك كانت الفتنة
التتارية ، والتتار لم يكونوا أناسي بل سباعا ووحوشا ، أنهالوا على البلاد الاسلامية
كالسيل الجارف ، ووضعوا السيف في رقاب المسلمين ، ودمروا الخلافة العباسية
ودخلوا بغداد فجاسوا خلال الديار — ولكن هل قدرت سيوف هلاكهم ومنكو
وباقا أن السفاكين ، أن تقهر العلماء الربانيين وتسكتهم عن الحق ؟ كلا فهذا
شاعر ايران الشهير السعدي الشيرازي قد قال لهلاكو خان وجها لوجه « انك
ظالم ا » ودعا شمس الدين التتاري على منكوخان وهو يسمع ويرى ، ولعن
شيخ الاسلام احمد بن تيمية أبا آنا في حضرته وعلى ملا من جنوده — نعم
كانت في أيدي التتار السيوف البتارة تطير الهامات في طرفة عين ، ولكن لم
يكن في « الثورة الجنكيزية » قانون ١٢٤ الذي امتازت به الدولة البريطانية
المدنية في بلاد الهند ا

الحجاج وريدنغ

فاذا كنا نحن المسلمين نعامل حكومتنا الاسلامية هذه المعاملة ، فماذا يرجوه منا عمال هذه الحكومة الاجنبية ؟ وهل تكون الحكومة الانكليزية الهندية « القانونية » أكرم علينا من الحكومات الاسلامية التي طاعتها واجبة علينا « شرعا ودينا » ؟ وهل دولة الملك جورج الخامس ونيابة اللورد ريدنغ أعز علينا من خلافة عبد الملك بن مروان ونيابة الحجاج بن يوسف الثقفي ؟ ولو غضضنا الطرف عن الفرق الشرعي العظيم بين الحكومة الاجنبية غير الاسلامية والحكومة الوطنية الاسلامية ، وأنزلناها منزلة واحدة ، أفلا نقول في حكومات (جيمس فوردي) و (ريدنغ) ما قلناه في حكومات الحجاج وخالد القسري من قبل ؟ قد قلنا يومئذ : أتق الله ، فقد ملأت الارض ظلما وجورا ! وهذا هو الذي نقوله اليوم ، ولا نزال نقوله حتى يزول الاستبداد أو نزول نحن ! والحقيقة أن ما نعمله الآن في الهند من ترك التعاون ومقاطعة الحكومة ، إنما كنا أمرنا به في مقابلة ظلم الولاة من المسلمين ، لا في مقابلة الاجانب — ولو فهم أساطين بريطانيا ودهاتها هذه الحقيقة ، لاعترفوا بأن مساهلة المسلمين ومداراتهم قد بلغت منتهاها ، وانه لا ينبغي أن ينتظر منهم أكثر من هذا ، اذ ليس وراءه الا الارتداد عن الاسلام أو النفاق فيه ، ولا يمكنهم أن يفعلوا ذلك حبا في سواد عيون البريطانيين (أو زرقتها)

(للخطاب بقية)



من الخرافات الى الحقيقة

(٩)

بابك ومذهبه

في أوائل خلافة المأمون ظهر في ولاية (مازندران) رجل اسمه بابك . وفي تلك الآونة كان العرب مشغولين باختلافات داخلية . لذلك صمم الرجل أن يستفيد من ذلك الاضطراب لإعادة السلطنة الفارسية . وكان هذا المتخيل من طائفة مجوسية اسمها (خرميه) .

وخلاصة مذهبه هدم قواعد الاخلاق من أساسها . لا الأخلاق أساس الدين . ثم طفق ينشر عقيدة التناسخ . وعند ما كثر أتباعه اعتصم في قلعة منيعة في مازندران . وأخذ ينشر تهاليله منها . وكان بين آونة وأخرى يخرج من قلعته وينهب القرى والبلاد المجاورة ، ويقتل الرجال ويأسر النساء ، فكان قتل النفوس والزنا وجيم المحرمات مباحة دينا في مذهب بابك وبهذا كثر أتباعه ظل هذا الرجل في قلعة (بذر) عشرين سنة ينفت منها سمومه بين العرب المسلمين لتجرتهم على مخالفة أحكام الدين الاسلامي لاجل أن تنحل الرابطة التي بينهم ، وعندئذ لا يجد الساعون لإعادة المجد الفارسي أمامهم معارضين أشداء . ثم أرسل الخليفة المعتصم عام ٢٢٣ قائدا تركيا اسمه (آفشين) للقضاء على هذا الرجل فوفق لراحة المسلمين من وجوده . ولكنه لم يستطع أن يقلع ما بذره من الشرور في أدمغة العوام فلم تنقض سنة ٢٦٠ الا وقد ظهر مذهب آخر اسمه (مذهب القرامطة) في زمان ملكشاه أحد ملوك السلجوقيين في مازندران أيضا . وكان نبات هذا المذهب من الجذور السامة التي غرسها بابك

خروج الاسلامية عن صبغتها الاولى ومن السبب؟

ان شدة الامويين في السياسة وحيلهم للاغتصاب قلب أفكار المسلمين عليهم . فكان الإيرانيون والعراقيون ظمأين للانتقام منهم ، ولا سيما مظالم

الحجاج وعبد الله بن زياد فقد كانت من أم الأسباب لا انقلاب الأفكار على بني أمية لأن الشدة والبطش في الإدارة تنتج ضد ما يراد منها دائماً ، فإن أنالت الجبارين شيئاً من مبتغاهم عاجلاً فلا بد أن تنعكس القضية بعد حين ويتباعد عنهم الناس . وبعد أن يبقوا منفردين يبطش بهم كما بطشوا بغيرهم هذه قاعدة عامة جاء مفعولها في كافة أدوار التاريخ

وجملة القول إن شدة الإدارة في زمان بني أمية كانت من جملة الأسباب التي حملت رجال الفرس على العمل باسم الدين والانتقام فظهرت أحزاب متعددة ظاهرها ديني وباطنها سياسي يراد به تفكيك عرى الاسلام والمسلمين وأهم هذه الفرق (١) الشيعة (٢) الامامية (٣) السكلمية (٤) العلوية (٥) المغيرية (٦) الهشامية (٧) اليونسية (٨) المفوضة

الشيعة

كان دعاتها يدعون أن الامامة والخلافة أو الوصاية خفية أو جليلة — منحصرة في علي بن أبي طالب وأولاده ، ويرفضون أساس الانتخاب والبيعة ويمدون الخلافة من أركان الدين ويحيلون ترك النبي (ص) إياها بدون بيان ولا وصية . ان بعض الشيعة لم يبعدوا عن أهل السنة كثيراً مثل الجعفرين ومنهم أهل ايران ولكن هناك غلاة الشيعة الذين يرفضون السني أكثر من رفضهم لليهودي والنصراني ، شيء غريب . ان عملهم هذا مخالفة صريحة لأفكار سيدنا علي بن أبي طالب الذي يدعون الانتصار له وقد آن الاوان للعدول عن سياسات باطنها غير ظاهرها ، فليتنبه المسلمون !!!^(١)

« ١ » المنار: قد اخطأ المؤلف خطأ ظاهراً في جملة الشيعة فرقة مستقلة غير الامامية وجعلها منقسمة الى معتدلين كالجعفرية وهم شيعة ايران والى غلاة لم يدكر اين هم ولا ما اسمهم ، فالجعفرية اذا غير الامامية ، والصواب ان الجعفرية هم الامامية وان الشيعة مقسم لا قسم ، فمن اقسامها الامامية الجعفرية ، ومنها الزيدية وهم اشد هم اعتدالا واقربهم من أهل السنة . ومنها الفرق الأخرى التي ذكرها وغيرها . ثم انه قد تقص ما بناء من جعل جميع ما ذكره على الشيعة والظاهرية والباطنية نابعاً من ايران وصادراً عن روح الايرانية المجوسية . وقد نهنا من قبل وبيننا ان هذا البحث كله تاريخي ، وان روح الجامعة الاسلامية قد استيقظت في جميع شعوب المسلمين وطفقت تصلح ما افسد الدهريينهم

الامامية

أول اختلاف ظهر بين المسلمين، نشأ من مسألة الامامة نعم ان نارها أطفئت في (سقيفة بني ساعدة) يوم بويص الصديق. الا أن ذلك كان ظاهرياً ودليلنا الفرق المتعددة التي ظهرت بعد ذلك

ادعى بعض الناس أن هناك نصائبوياء على امامة سيدنا علي وأنه أفضل الانبياء والاولياء بعده صلى الله عليه وسلم وان لاولاده وأحفاده ما له من الفضيلة والرجحان . ويتهم هؤلاء أبا بكر وعمر وعثمان بنصب حقوق أبي الحسين . يزعم هؤلاء أن الامامة منحصرة في اثني عشر اماماً من أحفاد علي المرتضى وأنه ظهر منهم الى اليوم أحد عشر وان الثاني عشر موجود الا أنه لم يظهر الى الآن وأنه سيظهر يوم يعم الظلم وجه الارض ، فيملاها نوراً وعدلاً

هذه العقيدة شبيهة بعقيدة الفرس في (هرمز) لان المعجم كانوا يعتقدون انه عندما يسود الباطل على الحق يظهر (هرمز) وينصر الحق على الباطل فهذه الخرافة قد دخلت على الاسلام من ايران ايضاً . ولكنهم بدلوا باسم (هرمز) اسماً عربياً هو (المهدي والقائم المنتظر) ويزعم هؤلاء ان اسم علي كان مذكوراً في القرآن الشريف وان عثمان ذا النورين اخبره منه حين الجمع والى القاريء الكريم الآيات المزعومة اخراجها من القرآن الشريف^(١)

« ١ » ان هذا مما افتراه بعض الروافض وسموه سورة ، ولم يكن مفترهاً متقناً للغة العربية فجاءت في غاية الضعف والركاكة على ان اكثر الفاظها منقولة من سور اخرى ولكنه لم يحسن التأليف بينها ، ولم يضعها في مواضعها اللائقة بها فسكثر خطاه في مفرداتها واساليبها ، وظن انه حاكي القرآن ، وابطل حجة الاعجاز ، بتفليده في الفواصل لاياته لظنه انه لا يمتاز على كلام البشر الا بفواصله ، ومن سوء حظه وحظ فرقة انه جمع بين ضعف العقل والفهم ، والحرمان من العلم ، فخطب المؤمنين بقوله « وان اكثركم فاسقون » ولو شئت أن ابين اغلاطه اللغوية النحوية والبائية لالفت فيها كتاباً وناهيك بقوله: انزلنا اليك آيات بينات فيها من يتوفه مؤمناً ومن يتوله من بعدك يظهرون . وقوله: ولقد ارسلناه موسى وهارون عما استخلف فبعثوا هارون فصبر جميل . وناهيك بقوله: ان علياً قائماً بالليل ساجداً يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعد ابني يعلمون . تأمل ايها القاريء كيف حرف

ما افتراه بعض الزنادقة على القرآن

(يا ايها الذين آمنوا بالنورين انزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم . نوران بعضهما من بعض وانا السميع العليم . ان الذين يوفون بعهدي الله ورسوله في آيات (١) لهم جنات النعيم . والذين كفروا من بعدما آمنوا ينقضهم ميثاقهم وما عاهدتم الرسول عليه يقذفون في الجحيم . ظلموا أنفسهم وعصوا الوحي الرسول (٢) اولئك يستقون من حميم . ان الله الذي نور السموات والارض بما شاء واصطفى من الملائكة والرسل (٣) وجعل من المؤمنين (٤) اولئك في خلقه يفعل الله ما يشاء . لا اله الا هو الرحمن الرحيم . قد مكر الذين من قبلهم برسولهم فآخذتهم بمكرهم ان اخذي شديد اليهم . ان الله قد اهلك عاداً وثموداً بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة أفلا تتقون . وفرعون بما طغى على موسى واخيه هرون اغرقته ومن معه اجمعين . ليكون لكم آية وان اكثركم فاسقون ، ان الله يجمعهم يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون ، ان الجحيم مأواهم وان الله عليم حكيم . يا ايها الرسول باغ انذارى فسوف يعلمون ، قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون (٥) ، مثل الذين يوفون بعهدي اني جزيتهم (٦) جنات النعيم ، ان الله لدو مغفرة وأجر عظيم ، وان عليا لمن المتقين ، وانا لنوفيه حقه يوم الدين . ما نحن عن ظلمه غافلين ، وكرمناه على اهلكت اجمعين ، فانه وذريته لصابرون ، وان عدوهم امام المجرمين ، قل للذين كفروا بعد ما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهد من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الامثال لعلكم تهتدون ، يا ايها الرسول انا انزلنا اليك آيات بينات فيها من يتوفه مؤمناً (٧) ومن يتوله بعدك يظهر (٨) ، فأعرض عنهم انهم معرضون ، انا لهم محضرون ، في يوم لا يغني عنهم شيء ولا هم يرحمون ، ان لهم في جهنم مقاماً عنه لا يعدلون (٩) ، فسبح باسم ربك وكن من الساجدين ، ولقد أرسلنا موسى وهرون بما استخلف فبغوا هرون (١٠) فصبر جميل (١١) ، فجعلنا منهم القردة والخنازير ، ولعنناهم الى يوم يبعثون . فاصبر فسوف يبصرون ، ولقد آتيناك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين ، وجعلنا بهذه الصفة قول الله تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

لك منهم وصيا لعلمهم يرجعون، ومن يتول عن أمري فاني مرجعه (١) فليتمتعوا
بكفرهم قليلا فلا تسأل عن الناكثين، يأبها الرسول قد جعلنا لك في أعناق
الذين آمنوا عهداً نخذه وكن من الشاكرين

ان علياً قاتناً بالليل ساجداً (٢) يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه. قل هل يستوي
الذين ظلموا وهم بعبادتي يعلمون (٣) سيجعل الاغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم
يندمون، انا بشر ناك بذرية صالحين، وانهم لا امرنا لا يخلفون، فعليهم مني
صلوات ورحمة أحياء وأمواتا يوم يبعثون، وعلى الذين يبنفون عليهم من بعدك
غضبي انهم قوم سوء خاسرين، وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم
في الغرفات آمنون، والحمد لله رب العالمين اهـ (*)

ومن نظر هذه العبارات يرى لاول وهلة أن لا علاقة بينها وبين القرآن
الكريم. وما سبب تلفيقها الاتفریق كلمة المسلمين. ليتها للفرس إعادة مجد
ایران. أثناء اشتغال الامة بالخصام^(١)

المترجم

حسنی عبد الهادي

(*) انتهت الافیكة الرکیكة وقد نهنا بعلامة الاستفهام الى اقبح ذلك فيها، واطهور
ذلك لكل أحد لم يعد لها أحد شبهة تحتاج الى الرد عليها لامن المسلمين ولا من غيرهم
« ١ » حاشية للمترجم: ان هذه الطريقة هي نفس الطريقة التي سلكها
لنصارى سورية الذين تعلموا في المدارس الأجنبية: الايرانيون قصدوا إعادة مجد
كسرى ففرقوا بين أكابر الصلابة وقصد نصارى السوريين إعادة مجد قيصر الرومان
ففرقوا بين العرب والترك بحجة العربية فما كانت النتيجة بعد ان نالوا مبتغاهم؟
تركوا العرب والعربية وأصبحوا انكازا وفرنسيين وهذه غاية من يستعجل
الشيء قبل ان يستكمل وسائله. الفرس اسسوا دولة العباسيين ثم الصفويين ونالوا
البتغي ونصارى سورية ايضا اسسوا فيها حكومتی الانجائز والافرنسيس ونالوا
المقصد. وفي الحالتين خسر العرب المسلمون. وفي الحالتين كانوا آلة لزوال
حاكيتهم. ولحد اليوم قل من يعتبر

ذكرى رينان في الجامعة المصرية

محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق في رينان والافغاني

كلمة المنار في المحاضرة (*)

(٢)

تفصيل لرأي السيد جمال الدين، في أن الحضارة والحكمة منوطتان بالدين

تقدم ان الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق قد استنبط مما فهمه من كلام السيد الذي خاص اليه من ثلاث ترجمات أنه بعد وصوله الى باريس في سنة ١٨٨٣ دخل في طور جديد تغير فيه اعتقاده ورأيه في الاسلام، وكونه منشأ العلم والحكمة والعمران، وبيننا أن ما نقله الينا من الترجمة الثالثة لكلام السيد فيه ما يدل على خلاف ذلك، وأن فهمنا مؤيد بما نقله لنا عنه من عاشروه قبل سنة ١٨٨٣ وبعدها وبآثاره بعدها، وأهمها جريدة العروة الوثقى التي أنشأها بباريس في أوائل سنة ١٨٨٤ عقب رده على رينان، وشهادة هذا له بالفلسفة والعرفان، لظنه انه آري من عنصر الافغان،

نسبة هذه الجريدة الى السيد جمال الدين متواترة لان ألوفاً من النسخ كانت توزع منها في عهده في أقطار الارض كلها، ولا يزال في الناس من يحفظ نسخها الاصلية ومن نسخها عنها مثلاً، على انها طبعت بعد ذلك برمتها. وقد صرح في فاتحة العدد الاول منها بأنه هو المنشئ لها والمذير لسياسيتها، والشيخ محمد عبده وان كان رئيس تحريرها — لم يكن يخرج فيها عن رأيه بل كان يعبر عنه، وكثيراً ما كان يتلقاه منه، وكان الغرض منها معالجة ما طرأ من الضعف على المسلمين وارشادهم الى الوسائل التي يستعيدون بها قوتهم ومجدد وحضارتهم وانقاذ بلادهم من الاجانب، ووقاية دينهم مما يهدده من النوائب، وقد اعتمد في ذلك كله على ارشاد القرآن وهداياته، والرجوع في فهمه والعمل به الى منهج

(*) تابع لما نشر بالعدد السابق ص ٣٠٣

الخلفاء الراشدين وسائر السلف الصالح

ومن المعلوم بالضرورة أن هذا الغرض لا يتم في هذا العصر الا بالمعروف والفنون الرائجة في أوربة وأمريكا والتي هي منشأ قوتها وحضارتها — أفرايت لو كان السيد جمال الدين رجم بباريس سنة ١٨٨٣ عن رأيه في كون الدين ولا سيما الاسلامي لا يتفق مع العلم والحكمة ، أكان يبني سياسته في إعادة مجد المسلمين على هذه الدعوة ؟ كلا إنه لو دخل في الطور الذي استتبطه صاحب تلك المحاضرة ، لجعل دعوته فلسفية محضة مشوبة بفصل الدين من السياسة ، وبالتشكيك في الدين أو الصدد عنه ، كما فعل النصارى في أوربة من قبل وكما يفعل مقلداتهم من متفرنجة المصريين والترك والفرس ،

لكنه لم يفعل ذلك بل جعل دعوة الاصلاح كلها قائمة على إحياء هداية القرآن وصحيح السنة ، وسيرة السلف الصالح من الامة ، وهذه حاجتنا الناهضة على أن ما سلم به لرينان من اضطهاد بعض المسلمين للعلم إنما كان بسوء فهمهم للاسلام ، وان الاسلام المشوب بالبدع والاهواء هو الذي يناهض الحكمة والعلم لا اسلام القرآن الذي كان المسلمون يفهمونه في إبان سلطان الدولة العربية قبل تغلب العجم عليهم ، وتحكمهم في دينهم ودنياهم ، كما نقلنا التصريح بذلك عن الاستاذ الامام بالاجال ، واحلنا على كتابه الاسلام والنصرانية لمن يريد التفصيل ، وننقل هنا بعض الشواهد على ذلك من أشهر مقالات العروة الوثقى التي لا انفصام لها

(الشاهد الاول)

من العدد الثاني الذي صدر بباريس في ٢٠ مارس سنة ١٨٨٤

جاء في أواخر مقالة الجنسية والديانة الاسلامية من هذا العدد ما نصه : (١) « ولو أن حاكما صغيرا بين قوم مسلمين من أي جنس كان تبع الاوامر الالهية وثابر على رعايتها ، وأخذ الدهماء بمحدودها ، وضرب بسهمه مع المحكومين في الخضوع لها ، وتجاوى عن الاختصاص بمزايا الفخفخة الباطلة — لا يمكنه أن يحوز بسطة في الملك وعظمة في السلطان ، وأن ينال الغاية من رفعة الشأن في الاقطار المعمورة

بأرباب هذا الدين، ولا يتجشم في ذلك اتعابا ولا يحتاج الى بذل النفقات ولا تكثير الجيوش ولا مظاهره الدول العظيمة، ولا مداخله أعوان التمدن وانصار الحرية ويستغني عن كل هذا بالسير على نهج الخلفاء الراشدين والرجوع الى الاصول الاولى من الديانة الاسلامية القويمة، ومن سيره هذا تنبعث القوة، وتتجدد لوازم المنفعة « أكرر عليك القول بان السبب هو أن الدين الاسلامي لم تكن وجهته كوجهة سائر الاديان الى الآخرة فقط، ولكنه مع ذلك أتى بما فيه مصلحة العباد في دنياهم وما يكسبهم السعادة في الدنيا والتنعيم في الآخرة وهو المذهب منه في الاصطلاح الشرعي بسعادة الدارين » الخ

ثم ختم المقالة بهذه الجملة « فاذا رجع الوازعون في الاسلام الى قواعد شرعهم وساروا سيرة الاولين السابقين لم يمض قليل من الزمان الا وقد آتاهم الله بسطة في الملك وأحقهم في العزة بالراشدين من أئمة هذا الدين وفقنا الله للسداد، وهدانا سبيل الرشاد »

﴿ الشاهد الثاني ﴾

﴿ من العدد ٣ المؤرخ في ٢٧ مارس سنة ١٨٨٤ ﴾

في هذا العدد مقال طويل جعلنا عنوانه في تاريخ الاستاذ الامام (ماضي الامة وحاضرها، وعلاج علاها) ذكر فيه خلاصة آراء أهل العصر في ترقية الامم من نشر الجرائد وانشاء المدارس وتعميم المعارف، وبين أن هذا العلاج في المصريين والعثمانيين لم يأت بالمطلوب من الحرية والعزة والاعتصام من استدلال الاجانب اذ كان تقليدا لم تكن له غاية الا نسف ثروتهم، وان المتشدين منهم بالفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شاكلها يصوغونها في عبارات متقطعة بتراء لاتعرف غايتها، ولا تدرك بدايتها، « وان المقلدين من كل أمة المنتحلين لا طوار غيرهم يكونون فيها منافذ وكوى لتطرق الاعداء اليها، وتكون مداركهم مهابط الوسوس، ومخازن الدسائس، بل يكونون بما أقيمت أفئدتهم من تعظيم

الذين قلدوهم ، واحتقار من لم يكن على مثالهم ، شوّما على أبناء أمتهم ، يذلونهم ويحقرون أمرهم ، ويستهيئون بجميع أعمالهم ، — الى ان قال — ولهذا لو طرق الاجانب أرضاً لا ية أمة ترى هؤلاء المنعدين فيها يقبلون عليهم ، ويعرضون أنفسهم لخدمتهم النخ (ثم بين رأيه بما نصه)

« لا أطيل عليك بحثاً ، ولا أذهب بك في مجالات بعيدة من البيان ، ولكني أستلفت نظرك الى سبب يجمع الاسباب ، ووسيلة تحيط بالوسائل : أرسل طرفك الى نشأة الامة التي خملت بعد النباهة ، وضعفت بعد القوة ، واسترقت بعد السيادة ، وضيمت بعد المنعة وتبين أسباب نهوضها الاول حتى تتبين مضارب الخلل ، وجراثيم العلل ، فقد يكون ما جمع كلمتها ، وأنهم هم آحادها ولحم ما بين أفرادها ، ومصدرها الى مكانة تشرف منها على رؤوس الامم وتسوسهم وهي في مقامها بدقيق حكمتها انما هو دين قويم الاصول محكم القواعد شامل لأنواع الحكم ، باعث على الالفه ، داع الى المحبة ، مركز للنفوس مطهر للقلوب من أدران الخسائس ، منور للعقول باشراف الحق من مطالع قضاياءه ، كافل لكل ما يحتاج اليه الانسان من مباني الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها ، وينادي بمعتقديه الى جميع فروع المدنية . فان كانت هذه شرعتها ، ولها وردت ، وعنها صدرت ، فما تراه من عارض خلاها وهبوطها عن مكانتها انما يكون من طرح تلك الاصول ونبذها ظهرياً ، وحدث بدع ليست منها في شيء ، اقامها المعتقدون مقام الاصول الثابتة واعرضوا عما يرشد اليه الدين ، وعما أتى لاجله ، وما أعدته الحكمة الالهية له ، حتى لم يبق منه الا أسماء تذكر وعبارات تقرأ . فتكون هذه الحادثات حجاباً بين الامة وبين الحق الذي تشعر بنداثة أحيانا بين جوانبها

« فعلاجها الناجع انما يكون برجوعها الى قواعد دينها والاخذ بأحكامه على ما كان في بدايته ، وإرشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق ، وإيقاد نيران الغيرة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الامة ولان جرثومة الدين متأصلة في النفوس بالوراثة من أحقاب طويلة والقلوب مطمئنة اليه ،

وفي زواياها نور خفي من محبته ، فلا يحتاج القائم باحياء الامة الا الى نفخة واحدة يسري نفثها في جميع الارواح لا قرب وقت ، فاذا قاموا لشؤونهم ، ووضعوا أقدامهم على طريق نجاحهم ، وجعلوا أصول دينهم الحققة نصب أعينهم ، فلا يعجزهم بعد أن يبلغوا بسيرهم منتهى الكمال الانساني . . .

«ومن طلب اصلاح أمة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوي هذه فقد ركب بها شططا وجعل النهاية بداية ، وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فينعكس عليه القصد ولا يزيد الامة الا انحسا ، ولا يكسبها الا تعسا .

«هل تعجب أيها القارىء من قولي ان الاصول الدينية الحققة المبرأة عن محدثات البدع تنشىء للامم قوة الاتحاد واتلاف الشمل وتفضيل الشرف على لذة الحياة وتبعثها على اقتناء الفضائل ، وتوسع دائرة المعارف ، وتنتهي بها الى أقصى غاية في المدنية ؟ ان عجبت فان عجبك أشد . هل نسيت تاريخ الامة العربية وما كانت عليه قبل بعثة الدين من المهجبة والشتات ، واتيان الدنايا والمنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقواها وهذبها ، ونور عقولها وقوم أخلاقها وسدد أحكامها ، فسادت على العالم ، وساست من تولته سياسة العدل والانصاف ، وبعد أن كانت عقول أبنائها في غفلة عن لوازم المدنية ومقتضياتها نهبتها شريعتها وآيات دينها الى طلب الفنون المتنوعة والتبحر فيها ، ونقلوا الى بلادهم طب بقراط وجالينوس وهندسة أقليدس وهيئة بطليموس وحكمة أفلاطون وارسطو ، وما كانوا قبل الدين في شيء من هذا ، وكل أمة سادت تحت هذا اللواء انما كانت قوتها ومدنيتها في التمسك بأصول دينها . . .

(تنبيه) ان هذه الجملة وحدها نص صريح في الرد على مزاعم ربنان في الاسلام على القاعدة التي بينهاها . وعلى خطأ الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرزاق فيما فهمه من الترجمة الثالثة من رده

﴿ الشاهد الثالث ﴾

﴿ من العدد الرابع المؤرخ في ٣ ابريل ١٨٨٤ ﴾

المقالة الاجتماعية لهذا العدد في المقابلة بين الاسلام والنصرانية وأتباعهما في فنون الحرب ، وكيف انحصرت في اتباع دين الزهد والسلم ، وبعد أن بين سبب عناية الشعوب الاوربية في القتال وفنونه وآلاته خلافاً لـ ما يلم دينهم قال : «أما المسلمون فبعد أن نالوا في نشأة دينهم ما نالوا وأخذوا من كل كمال حربي حظاً، وضربوا في كل فخار عسكري بسهم، بل تقدموا سائر الملل في فنون المقارعة، وعلوم النزال والمكافأة، ظهر فيهم أقوام بلباس الدين وأبدعوا فيه وخطوا بأصوله ما ليس منها، فانتشرت بينهم قواعد الجبر وضربت في الاذهان حتى اخترقها وامتزج بالنفوس حتى أمسكت بعنانها عن الاعمال، هذا الى ما أدخله الزنادقة فيما بين القرن الثالث والرابع وما أحدثه السوفسطائية الذين أنكروا مظاهر الوجود وعدوها خيالات تبدو للنظر ولا تثبت الحقائق، وما وضعه كذبة النقل من الاحاديث ينسبونها الى صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ويثبتونها في الكتب وفيها السم القاتل لروح الغيرة، وان ما يلصق منها بالعقول يوجب ضعفاً في الهمم وفوراً في العزائم. وتحقيق أهل الحق وقيامهم ببيان الصحيح والباطل من كل ذلك لم يرفع تأثيره عن العامة خصوصاً بعد حصول النقص في التعليم والتقصير في ارشاد الكافة الى أصول دينهم الحققة ، ومبانيه الثابتة التي دعا اليها النبي واصحابه، فلم تكن دراسة الدين على طريقها القويم الا منحصرة في دوائر مخصوصة وبين فئة معينة . لعل هذا هو العلة في وقوفهم بل الموجب لتقهقرهم وهو الذي نعاني من عنائه اليوم ما نسأل الله السلامة منه .

«إلا أن هذه الدوائر التي غشيت الدين وصرفت قلوب المسلمين عن رعايته وان كان حجابها كثيفاً لكن بينها وبين الاعتقادات الصحيحة التي لم يحرموها بالمرّة تدافع دائم وتغالبل لا ينقطع، والمنازعة بين الحق والباطل كالدفاع بين الماض وقوة المزاج، وحيث إن الدين الحق هو أول صبغة صبغ الله بهانفوسهم،

ولا يزال وميض برقه يلوح في أفئدتهم بين تلك الغيوم العارضة، فلا بد يوماً أن يسطم ضياؤها ويقشع سحاب الاغيان، وما دام القرآن يتلى بين المسلمين وهو كتابهم المنزل، وامامهم الحق، وهو القائم بأمرهم، بحماية حوزتهم، والدفاع عن ولايتهم، ومغالبة المعتدين، وطالب المنعة من كل سبيل، لا يعين لها وجهاء، ولا يخصص لها طريقاً، قاننا لا نرتاب في عودتهم الى مثل نشأتهم، ونهوضهم الى مقاضاة الزمان ما سلب منهم فيتقدمون على من سواهم في فنون الملاحة والمنازلة والمصارلة، حفظاً لحقوقهم وضناً بأنفسهم عن الذل وعلتهم عن الضياع، والى الله تصير الامور»

﴿ الشاهد الرابع ﴾

﴿ من العدد الخامس المؤرخ في ١٠ ابريل ١٨٨٤ ﴾

المقالة الاجتماعية لهذا العدد في الاعتصام وجمع كلمة المسلمين بين فيباهدي الدين الاسلامي في الموضوع وأثره في سلف المسلمين وخلفهم، وشكا مما ألم بهم من التفرق والانقسام، بعد الوحدة والالتئام، وبين سبب ذلك وبدأه بقوله « بدأ هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقتما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم

« كثر بذلك المذاهب ونشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل في دين من الاديان، ثم انشلت وحدة الخلافة فانقسمت الى خلافة عباسية في بغداد، وقاطمية في مصر والمغرب، وأموية في أطراف الاندلس. تفرقت بهذا كلمة الامة وانشقت عصاها وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك، فسقطت هيبتها من النفوس، وخرج طلاب الملك والسلطان يداً بون اليه من وسائل القوة والشوكة، ولا يرعون جانب الخلافة «وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكيز خان وأولاده،

وتيمور لك وأحفاده ، وإيقاعهم بالمسلمين قتلا وإذلالا ، حتى أذهلهم عن أنفسهم
فتفرق الشمل بالسكاية ، وانفصمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعا... الخ
الى أن قال « وكان الواجب على العلماء قياما بحق الوراثة النبوية التي شرفوا
بها على لسان الشارع أن ينهضوا لآحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي
وقع في الملك الخ

﴿ تنبيه ﴾ السيد جمال الدين يحقق أن السبب الاول لضعف المسلمين هو
انتقال الخلافة الى غير العلماء المجتهدين في الدين خلافا لرينان الذي يزعم أن
سبب ضعف المسلمين هو دينهم حتى إنه زعم أن العلماء الكبار من خلفاء العباسيين
كالنصور والرشيد والمأمون كانوا مرتدين عن الاسلام في باطنهم الذي زعم أنه
اكتشفه هوبعد زهاء الف سنة ١١

﴿ الشاهد الخامس ﴾

﴿ من العدد السادس المؤرخ في ٢٤ ابريل ﴾

المقالة الاجتماعية لهذا العدد موضوعها (التعصب) بين فيها حقيقة التعصب
وهو القيام بالعصبية لحماية من تجمعهم رابطة نسب أو جنس أو وطن أو دين
بحماية أنفسهم من عدوان المخالفين لهم ، وتعاونهم على القيام بمصالحهم ومنافعهم ،
وبين أنه وصف كسائر الاوصاف له حد اعتدال ، وطرفا تفريط وافراط ، وان
الاعتدال فيه من أسمى الفضائل ، كما أن الخروج عنه من أضر الرذائل ، ثم
قال ما نصه وهو محل الشاهد :

« نشغ جماعة من متردقة هذه الاوقات في بيان مفسد التعصب الديني
وزعموا أن حمية أهل الدين لا يؤخذ به اخوانهم من ضيم ، وتضافرهم لدفع ما يلم
بدينهم من غاشية الوهن والضعف هو الذي يصددهم عن السير الى كمال المدنية
ويحجبهم عن نور العلم والمعرفة ويرمي بهم في ظلمات الجهل ويحملهم على الجور
والظلم والعدوان على من يخالفهم في دينهم ومن رأي أولئك المتفقين أن لا سبيل

لدرء المفاسد واستكمال المصالح الا بانحلال العصبية الدينية ومحو أثرها وتخليص العقول من سلطة القائد ، وكثيراً ما يرجفون بأهل الدين الاسلامي ويخوضون في نسبة مذام التعصب اليهم

« كذب الخراصون ان الدين أول معلم ، وأرشد استاذ وأهدى قائد للانفس الى اكتساب العلوم والتوسع في المعارف ، وأرحم مؤدب وأبصر مروض يطبع الارواح على الآداب الحسنة والخلائق الكريمة ، وبقيمها على جادة العدل ، وينبه فيها حاسة الشفقة والرحمة ، خصوصاً دين الاسلام فهو الذي رفع أمة كانت من أعرق الامم في التوحش والقسوة والخشونة ، وسماها الى أرقى مراقي الحكمة والمدنية في أقرب مدة - وهي الامة العربية » اهـ

(تنبيه) هذا نص صريح في الرد على رينان أثبت فيه أن العرب بلغوا أرقى مراقي الحكمة (الفلسفة) والمدنية بدينهم ، ودليل على ان السيد جمال الدين لم يتغير رأيه في الدين بباريس سنة ١٨٨٣ (لها بقية)

الخوارج والاباضية

راجعنا بعض أهل العلم فيما جاء في الجزء الرابع من رسالة (أهل الصفة) لابن تيمية (ص ٢٧٦) من قتال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه للمارقين ، قال إنه يدل على أن المراد بهم الخوارج ويخشى أن يكون في نشر هذا تفريق بل اغراء بينهم وبين جيرانهم... فقلنا إن شيخ الاسلام بين في المنهاج أن علياً (رض) لم يكفر الخوارج بل قاتلهم لخروجهم عليه و بدئهم إياه بالقتال وعاملهم معاملة المسلمين وقد نقلنا عنه ذلك في المنار من عهد غير بعيد. وقد قتل علي غيرهم من المرتدين الذين قالوا بألوهيته هذا وان حديث المارقين المذكور في (ص ٢٧٦) رواه البخاري في قوم يخرجون في آخر الزمان وقد تكاف في تأويله من حملوه على الخوارج على انه لم يبق من طوائف الخوارج الا الاباضية المعتدلون. وهم من أشد المسلمين استمساكاً بالاسلام وما يخالفون به أهل السنة فهم فيه كاهل كل مذهب عامتهم مقلدون ومتعلمون متأولون ، واذا كان جمهور أهل السنة لم يكفروا غلاتهم المتقدمين ، أفنفرق كلمة المسلمين بتكفير متأخريهم المعتدلين ؟

(المنار : ج ٥) (٥٠) (المجلد الرابع والعشرون)

وفاة زعيم عربي علوي عظيم

السيد محمد علي الادريسي

في منتصف شهر شعبان نعت الينا أبناء عدن السيد محمد علي الادريسي أمير عسير وتهامة اليمن السفلى فشككنا كعشيرته وجماهير الناس هنا في صحة الخبر ، ولم نستيقن الا في آخر شعبان ، وكان سبب الشك انه كان قد جاء قبل ذلك بأشهر نبأ من الحجاز بوفاة ثم ظهر كذبه

قد امتاز السيد محمد علي الادريسي في عشيرته بمزايا عظيمة لا يجتمع مثلهما عادة الا للأفراد الافذاذ في الاجيال ، كالكاء والسعاء والشجاعة والحزم والاقدام ، — مزايا مكنته من تأسيس مملكة مستقلة بنفسها في بلاد يتنازع الحكم والسلطان فيها أقدم دولة عربية اسلامية — وهي دولة أئمة اليمن — وأقوى دولة اسلامية عسكرية — وهي الدولة العثمانية — وقد اجتمعت الدولتان على مناوئته وقتاله واستعانت الدولة العثمانية عليه بحكومة الحجاز فكان له الفلج والظفر ، وبذلك تأيد حكمه واستقر الادريسيون شيوخ طريقة صوفية ، لا قواد جيوش ولا رجال أحكام وسياسة ، ولجدهم السيد احمد بن ادريس شهرة ذائعة بالصالح والولاية ، وهو مدفون بجوار (صبيا) عاصمة عسير ، واطريقته في تلك البلاد أتباع كثيرون يخضعون لشيوخ الطريقة خضوعاً روحياً إذعاناً ، لا يقبل أهل فيه بحثاً ولا برهاً عقلياً ولا دينياً ، كدأب عامة بلاد اليمن وافريقية ، فمثل الادريسية كمثل اخوانهم السنوسية

ومما امتاز به السيد محمد علي رحمه الله تعالى على شيوخ طريقتهم في هذا العصر انه طلب العلم في الازهر بمجد وعناية فاستفاد في سنوات قليلة ما لا يدرك اكثر المجاورين في هذا المعهد مثله في بضع عشرة سنة ، بل ما يقصر عنه فيه اكثر الشيوخ الذين يقضون عشرات السنين هنالك متعلمين ومعلمين ، ذلك بانه كان نير العقل ، مستقل الفكر ، لم تقو خرافات الطريقة ولا طريقة التعليم الازهري العقيمة على أن

تغاب عليه نظراته الزكية، ومن آيات ذلك انه كان راضيا عن المنار معجبا به كثير الثناء عليه، وقد اقتنى جميع مجلداته السابقة على الحرب العامة الكبرى التي قطعت الصلة بيننا وبينه، ولما عادت في هذا العام جدد الاشتراك فيه، وكنا على وشك بارسال بقية المجلدات التي تجددت لاكمال مجموعته عنده، رغبنا انه عقد اتفاقا رسميا مع سلطان نجد كان ن وسائله انه هو على مذهب السلف في عقيدته وقد هدم القبة التي كانت مبنية على قبر جده معترفا بأنها من البدع المخالفة للاحاديث الصحيحة ذهب الفقير الى بلاد عسير بعد ما كان من طلبه للعلم بقصد الارشاد والتعليم، ولم يبلغنا عنه انه كان مستشرفا للامارة والحكم، فكان إقبال الناس عليه عظيما، وكانوا يتحاضرون اليه حيث لا حكم للدولة العثمانية في داخلية البلاد فيحكم بينهم بالشرع على مذهب الامام الشافعي الذي ينتمي اليه اكثر الناس هنالك، فارتابت فيه الدولة العثمانية، فكان رجالها يكيدون له، ويذيعون عنه انه يغش الناس بالدجل والتبليس واظهار الكرامات المصنوعة، كزعمهم انه يظهر للناس في بعض الليالي انوارا كهربائية من أدوات يخفيها عنهم فيوهمهم أنها تفيض من صدره على وجهه، وامثال ذلك، والمعروف عنه انه لم يكن يخطر بباله أن يخرج الدولة من البلاد ليؤسس له ملكا فيها، بل كان يريد مساعدتها على ادارتها واصلاح شؤونها بنفوذ الدين بشروط أن تكون أحكامها فيها شرعية محضة، وأن يلتزم حكمها الاداريون والقضاة شعائر الدين، لا كذلك الباشا الذي أرسلوه اليه ليقاوضه فذهب مخاضرا لامرأة افرنجية بملابسها المعتادة ومعها كلب لها فدخلت المسجد مع الباشا وتبعها الكلب...

وقد أرسل الاتحاديون اليه بعد اعلان الدستور الشيخ توفيق خوجه العالم السائح المشهور ليكشف لهم حقيقةه وكان يعرف شخصه اذ كانا مجاورين في الازهر، فكتب اليهم بما وقف عليه من حسن نيته وكذب الطاعنين فيه، واخبروني بذلك في نادي نور عثمانية بالاستانة فذكرته للصدر الاعظم حسين حلمي باشا فرمى الشيخ توفيقا بالبلاهة والغفلة، والسكن التهمة اغراء، وفي الحكم النبوية « إن الامير اذا ابتنى

الريبة في الناس أفسدهم» رواه أبو داود والحاكم عن أربعة من الصحابة (رض) وقف الرجل على كيد رجال الدولة له فاخذ حذره وأجمع امره على المقاومة ، وانتهى ذلك بالحرب ، فقتل في معركة واحدة من عسكر الدولة بعدد جميع رجاله ، وعجزت الدولة مع امام اليمن وشريف مكة عن القضاء عليه ، بل كان ذلك هو السبب لرسوخ قدمه وتوطيد سلطانه

وقد انكر المسلمون عليه في كل قطر مصافاته للحكومة الايطالية في أثناء حربها لطارابلس واستمداده للسلاح والمال منها. وكان بعض الدقلاء يجيب هؤلاء المنكرين بأنه لا حرج على من يأخذ من الاجنبي. وإنما الحرج على من يعطيه ، وهو لم يعط أحدا شيئا ولم يساعد ايطالية على أهل طارابلس ولا على الترك بشي . ثم انكروا عليه موالاته للدولة البريطانية في أثناء الحرب الكبرى واخذوا منها السلاح والمال ، ولذلك كافأته باعطائه ثغر الحديدية ، وأجاب عنه المحبون له بان اتفاهه مع الانكليز لم يكن الا بكاتفاهه مع الطليان من قبل ، وهو أن يأخذ ولا يعطي ، فلم يرض أن يقاتل الترك وإنما التزم للانكليز أن لا يساعدهم ايضا ، وقيل انه كان يسمح للاهالي بامدادهم بالقوت وأن الانكليز عاتبوه على ذلك فاجاب بانه لم يساعدهم بنفسه ، ولم يدخل في مواد الاتفاق أن يمنح الاهالي من الاتجار معهم ، ولكن يقال ان في اتفاهه معهم الاعتراف لهم بحماية سواحله

وقد نقل الينا عنه انه قال: انه لا يستعمل أن يبدأ أحدا من المسلمين بقتال وإنما يقاتل من يقاتله ، فحكم الاقوام والشعوب عنده كحكم الافراد ، فاعتداء بعضها على بعض كاعتداء الصائل اذا لم يمكن دفعه الا بالقتل ابيح قتله كما هو مقرر في الفقه . ولكن لا ندري أكان يلتزم الدفاع في حربه لامام اليمن ويقف فيه عند حد الضرورة ؟ كيف وقد روي أنه استولى على عدة مواقع من مملكة الامام ؟ وانه كان يطمع في أخذ سائر البلاد التي يقطنها الشافعية . ولو كان يعتد صحة امامة الامام يحيى أو السلطان التركي لما كان لاجتهاده هذا وجه شرعي لان الامام الحق هو صاحب السلطان فلا يعد إخضاعه البلاد صيالا

كانت الروايات التي تصل إلينا في التنازع والتمقاتل بينه وبين الامام متعارضة وقد سعينا للتأليف والاتفاق بينهما قبل الحرب العامة وبعدها ، وكنا نرجو أن نبلغ هذه الغاية بالرغم من أولي الدسائس بينهما الذين كانوا يمتنون كلا منهما بمساعدته على الآخر اذا هو واتاهما ، ولكن الله توفاه اليه قبل ذلك ، وقد بايع زعماء البلاد نجله السيد علي على أن يكون اماما لهم من بعده ، وسنظر ما يكون من امره ، ورجو أن يوفقه الله تعالى الى ما فيه السلام والخير لقومه ، والمرضاة لربه بالتابع شرعه ، وقد ذكرنا عن نجله هذا أنه شاب مهذب في الثانية والعشرين . وانه مشغول بطلب العلم ، وله من أبناء عمومته مستشارون أولو تجربة واختبار ، وبصيرة في أحوال تلك البلاد ، فسي أن ينصحوا له بمكاتبة الامام ، والاتفاق معه على الاتحاد الباني العام ، ومنه أن يكونوا مستقلين في ادارة منطقتهم ، ومرتبطين بمجلس الاتحاد في سياستهم ، فذلك خير من استمرار القتال ، وأحسن ما لامن أماني الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس

﴿ تقريظ المطبوعات الجديدة ﴾

(الجامعة) « مجلة ادبية علمية اجتماعية تدعو الى الجامعة الاسلامية والشرقية ، تحت رعاية الاستاذ الشيخ احمد السكني بابي الكلام » وهي تصدر في كالكتا (الهند) باللغة العربية ومديرها ومحررها المسؤول الشيخ عبد الرزاق الاسكنوي . ومن مقاصدها توثيق عرى التعارف والتعاون بين جميع البلاد الاسلامية والشرقية ، ولا سيما القطر الهندي والعالم الاسلامي والعربي ، ومنها توحيد مساعي الامم الشرقية في عهد هذا الانقلاب الجديد ، وتبادل الآراء بين المفكرين في مسألة الاصلاح لاسلامي (ومنها) « ترقية اللغة العربية ونشرها في البلدان الاسلامية العجمية ولا سيما الهند وافغانستان لأنها اللغة الملية العلمية المشتركة بين سائر العالم الاسلامي ، وعلمها يترقف ازبعاث روح الحياة الاجتماعية »

(وإنها) أحياء العلوم الإسلامية بالبحث والمذاكرة ونشر المقالات العلمية وجمع الأفكار والمباحث لمحققي العصر» فنعمت المناسد ونسأل الله أن يحققها، وأن ينجح سعي الجامعة لها، ويسخر لها من يشد أزرها، ويقيها كيد السياسة وشرها، فما أخوفنا عليها منها وكان مدير هذه المجلة قد كاشفنا بالعزم عليها ورغب إلينا أن نكتب لها مقالة يحفلها في فاتحة الجزء الأول منها، فكتبنا له مقالة تناسب مشربها لم ندرك الجزء الأول فنشرت في الثاني، ومرضوعها التعارض بين الجامعة الإسلامية والجامعة الجنسية ذات السلطان العظيم في هذا العصر، وما ينبغي للمسلمين من دفعه، وقد كنا نعلم عند كتابتها أن سيتقل على أجمع كثير من أخواننا مسلمي الهند، ما فيها من ذكر فشو العصبية الجنسية في متفرجة الترك، ولكن الحق يجب أن يعلم وأن ضرب الناس المثل في ثقله، رضل أكثرهم بحسن العلماء عن التصريح به، وأجدر الناس بهذا التصريح من مرن على الكتابة مدة ربع قرن فيما يؤلم ملوك أمتهم وأمرأهم، والسواد الأعظم من رؤسائها وزعمائها، ومرشديها وعلمائها، وناثر طبقات دهمائها، ولماذا؟ لأنه قام بما يجب عليه من فريضة الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان مافشا في المسلمين من المفاسد والبدع التي أضاعت دينهم ودنياهم، بقصد الإصلاح ابتغاء لوجه الله تعالى، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يرجو من أحد من الناس على ذلك نفعا ولا يهاب ضرراً، وقد أودى كثيراً، ولم ينل من الفائزة الدنيوية من كل عمله إن، لك يتنا يسكنه، وهو لو شاء أن تتبع الأهواء أو أن يحجب في الحق لكان من كبار الأغنياء

نشر المدير المقالة خائفا وجلا فقدم لها مقدمة تشبه الاعتذار للقراء، والدفاع لما توقعه من الانتقاد، وقد انتقدها من لم يفهمها، ولا عرف من تاريخ كاتبها شيئا، فرمانا بما ننهي عنه من العصبية الجنسية التي انفردنا دون جميع كتاب المسلمين وعلمائهم بتكرار الصدها في جميع مجلدات المنار، ونحن أشد حبا للترك وأكثر خدمة لهم من هذا المنتقد أمثاله، ولكن حبنا حب علم وعقل وعمل وإيمان، لا مجرد عاطفة وجدان، وكثيرا ما كان ض. هذه المحبة أكبر من نفعا

وأن من أشد الجهل المظلم أن يرى، أحد شعبا برمته في هذا العصر من العصبية الجنسية . ولا سيما شعب فشت فيه التريبة والتعاليم الاوربية، وسيعلم هو وأمثاله أن كل ما قلناه في تلك المقالة هو الحق المبرح ، ويلم مدير الجامعة والاستاذ ابوالكلام اننا لم نبري، متفرنجة العرب مما أنكرناه على . متفرنجة الترك لاطلاعهما على كثير مما كتبنا في تحذير الجميع من ذلك واننا بدأنا بانتقاد الجنسية الوطنية المصرية مما جعلها معارضة للجامعة الاسلامية ، أيام كانت عصبية الجنسية اللغوية خفية في الشعوب العثمانية بضغط السلطان عبد الحميد . وطالما بينا وجه التوفيق بين الرابطتين الاسلامية والوطنية واتقاء جنانية العصبية على الدين، وهذا ما نحاوله الآن . هذا وان قيمة الاشتراك في الجامعة ٨٠ قرشا مصر يارهي تغلب من مكتبة لمنازع مصر (قيص من نار) قصة وطنية في نهضة الترك في الاناضول بعد الحرب العامة وضعتها بالتركية (خالدة أديب) التي كانت ناظرة المعارف العامة للحكومة الوطنية في أنقرة وترجمها بالعربية بحسب الدين افندي الخطيب وطبعه بمطبعته السلفية . ليري قراء الامة العربية كيف تأسست هذه النهضة القومية . فأنقذت أهلها من براثن المنية . بل مكنتهم من الامنية التي تتوقف عليها كل أمنية . وهي تطلب من المكتبة السلفية ومن سائر المكتبات

(سيرة مصطفى كمال باشا . وتاريخ الحركة التركية في الاناضول) كتاب تناهز صفحاته السبعين مزين بالصور والرسوم اشترك في تأليفه وجمع مواده من اللغة التركية وبعض اللغات الاجنبية أمين افندي سعيد وكریم افندي خليل ثابت من محرري المقطم أودعاه . ترجمة بطل الترك في هذا العصر وتاريخ الحركة الوطنية في الاناضول الادارية والحربية وما يتعلق بها من الامور السياسية كعاهدة سيفر وعاهدة باريس الاخيرة . ونجاح الحركة باخراج الفرنسيين من كايكية واستعادة الترك لها مع جزء من سورية بالاتفاق الذي عقده مع فرنسا — ثم التنكيل بالجيش اليوناني وسحقه وتطهير الاناضول من عيشه وفساده . وفي هذا التاريخ الوجيز ما يجب أن يعتبر به كل شرقي . وثمنه خمسة قروش

(تقريظ للمنار)

(ننشره قبولاً لمودة صديق جديد، من أهل الفضل الطريف والنبيل التليد)

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي العلامة صاحب الفضل والفضيلة الامام الاجل السيد محمد رشيد رضا حفظه الله آمين: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام .

أنا - أعز الله السيد - أنزع الى محرراتكم ، وأميل الى منهاجكم ، وعني مألدي من ضعف الاحساسات ، وقلة الادراكات ، والبضائع المزجاة ، أتطفل في محبتكم ، وأباهي بعملكم ، لافوز يحظ من علمكم ، وأتشرف بأن أعد من جملة تلامذتكم ، وكما قد من الله علينا بالاشتراك في مجلتكم المنار الغراء في المجلد ٢٣ أصبحت النفس فائزة بتمثيل شخصكم الكريم ، من ثانياً سطور قلمكم البليغ ، كذلك أتمنى ما تنزع اليه النفس والعين معا من الفوز باللقيا والظفر بالاجتماع ، ولا غرو فان وجه الاسلام متهلل لما تفعلون ، وقلوب المؤمنين صادية الى ما تنزعون ، وهم فيه شرع : الاجتماعي والعمرائي والسياسي والمتدين والفيلسوف ، فكل من مناركم يرد مشربه ، ويعود وقد قضى أربه ، والسيد يملأ الدلو الى عقد السرب ، ويزود عن حوض الاسلام (والحكم لمن غلب)

يا أيها الساري المالحج في العبي
أترى المنار (بدت) أمامك فانتبهج
وانشد هناك علاج دائك إنها
واستطلع الارشاد من صفحاتها
فهناك ارشاد الرشيد وعلمه
وهناك عين الطيبين قريره
تفضلوا اقبلوا عني تقريظي لمجلتكم الغراء ، وان كنت قايلاً بالبضاعة ، ضعيف
العبارة ، ركيك الالفاظ ، فاتم أهل السماح . وهذا أول حرف كتبته الى مجلتكم ،
اقبلوا فائق احترامي ، وجزيل سلامي ، ودمتم في خير محبتكم الحقيق
صالح بن سعد بن سالم الامير بدار سمد (الحج)



قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام ضربي « ومناجاة » كتاب الطبري

٣٠ شوال ١٣٤١ - ٢٣ الجوزاء (٣) سنة ١٣٠١ هـ ١٥ يونيه ١٩٢٣

فتاوى المنار

﴿ الحلف بالطلاق — وأنواط النقود ﴾

(س ١٩ و ٢٠) * من الاستاذ السيد طالحة المدرس في الكلية الشرقية في
لاهور بنجاب (الهند)

الى حضرة الفاضل الجليل منشيء المنار الاغر متع الله المسلمين بطول حياته
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أما بعد فان صيت علمكم رحمكم الله وخدمانكم
الدينية حملنا على أن نكلفكم بالافتاء في حادثة ونرجو من فضلكم أن تمنوا علينا
بجواب هذا المكتوب

صورة المسألة

استحلف زيد عمرا بأنك لا تقاطعني ولا تهجرني طول حياتك ولا تؤثر
أحدا علي وقل: لو فعلت ذلك فكنا تزوجب امرأة فهي طالق — فحلف عمرو
ثم حنث: اهل جنابكم تستدلون بحديث الترمذي رحمه الله « لا طلاق فيما لا
* (الفتوى الاولى من الجزء السابق (الخامس) مشتملة على سبع مسائل وقد
عدت واحدة سهواً فاعاد العدد للمعنائيل ومجموع ما سبق منها ١٨

بملك « الخ . فالحديث حسن ليس بصحيح ومع هذا فان ابن الهمام نقل في فتح القدير أن الشعبي وسالما والزهري قالوا : ان معنى الحديث في التنجيز لا في التعليق — وبمض الروايات التي تدل على التعليق فكها مجروحة — كروايات الدارقطني في الباب ونقل الترمذي قول البخاري ان الحديث المذكور أصح شيء في هذا الباب . فان المبتلي بهذه المسألة في غاية الضيق والشدة فالمرجو من جنابكم أن تمنوا علينا بجواب شاف كاف بالاحاديث الصحاح . فان كتب الحديث في الهند قليلة ليس يوجد الا الكتب المتداولة . وفي مصر لم تزل كتب الحديث كثيرة منذ زمن قديم والمسألة الثانية مسألة النوط Note هل تكلم فيه استاذكم الامام ؟ أو أحد

من العلماء الافاضل ؟ أو سنع لكم شيء فيه والسلام

الجواب عن مسألة الخلف بالطلاق

ان امهات كتب الحديث موجودة في الهند ، ومنها ما طبع فيها ولم يطبع في مصر ، وقيل يوجد في غير الامهات وشروحها ما يثبت به حكم بالنص وقد ورد في هذه المسألة عدة احاديث وآثار في الكتب المشهورة لمجموعها من القوة ما ليس لآحادها مع ضعف القياس المعارض بها ، فأما حديث الترمذي الذي ذكره السائل فقد رواه احمد وسائر أصحاب السنن والبخاري والبيهقي من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا بلفظ « لا تذر لابن آدم فيما لا يملك ولا عتق له فيما لا يملك ولا طلاق له فيما لا يملك » وقال البيهقي كالبخاري هو أصح شيء في هذا الباب وأشهر . ولا يخفى على السائل أن سبب اسقاطهم لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن مرتبة الصحة أن جل حديثه عنه كتاب لا سماع قال ابن معين ومن هنا جاء ضعفه . وتضعيفهم لما روي كتابة من المسائل الفنية التي لا تؤخذ على اطلاقها فن وثق بالمكتوب ولم يكن عنده فيه شبهة فله أن يفضل على المسموع لأنه يأمن فيه من الخطأ . والتحقيق فيه ما قاله الحافظ ابن حجر وهو ضعفه ناس مطلقا ووثقه الجمهور وضعف بعضهم روايته عن أبيه عن جده ، ومن ضعفه مطلقا فمحمول على روايته عن أبيه عن أبيه عن جده ، فأما روايته عن

أبيه فر بما دلس ما في الصحيفة باط عن، فاذا قال حدثني أبي فلا ريب في صحتها كما يقتضيه كلام أبي زرعة النخ وقد قال الترمذي في مضمون هذا الحديث انه قول أكثر أهل العلم من أصحاب النبي (ص) وغيرهم . وقال الخطابي وأسعد الناس بهذا الحديث من قال بظاهره وأجراه على عمومته اه أي في التنجيز والتعليق . وروى ابن ماجه عن المسور بن مخرمة مرفوعا « لا طلاق قبل نكاح ولا عتق قبل ملك » وقد حسنه الحافظ ابن حجر في تلخيص الخبير ، ورواية الزهري اياه عن عروة عن المسور وعنه عن عائشة ليس من المال التي تقتضي رده . وروى الحاكم في المستدرک عن جابر مرفوعا « لا طلاق الا بعد نكاح ولا عتق الا بعد ملك » صححه وقال : وأنا متعجب من الشيخين كيف أهملاه وقد صح على شرطهما من حديث ابن عمر وعائشة وعبد الله بن عباس وجابر اه وقد نقل القلخي الشوكاني ما قيل في مال هذه الروايات ثم قال : « ولا يخفى عليك أن مثل هذه الروايات التي سقناها في الباب من طريق أولئك الجماعة من الصحابة مما لا يشك منصف أنها صالحة بمجموعها للاحتجاج وقد وقع الاجماع على أنه لا يقع الطلاق الناجز على الاجنبية، وأما التعليق نحو أن يقول : ان تزوجت فلانة فهي طالق — فذهب جمهور الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى أنه لا يقع، وحكي عن أبي حنيفة وأصحابه والمؤيد بالله في أحد قولي أنه يصح التعليق مطلقا، وذهب مالك في المشهور عنه وربيعة والثوري والليث والاوزاعي وابن أبي ليلى الى التفصيل وهو أنه إن جاء بمحاصر نحو أن يقول : كل امرأة أتزوجها من بني فلان أو بلد كذا فهي طالق صحح الطلاق ووقع ، وإن عمم لم يقع شيء . وهذا التفصيل لا وجه له الا مجرد الاستحسان كما أنه لا وجه للقول باطلاق الصحة . والحق أنه لا يصح الطلاق قبل النكاح مطلقا للاحاديث المذكورة في الباب . وكذا العتق قبل الملك ، والنذر بغير الملك اه .

فتبين بهذا أن جمهور علماء الصحابة وغيرهم من السلف على القول بأن الطلاق لا يقع تنجيزاً ولا تعليقا الا على زوجة يملك المطلق عصمتها ويختار أن

يحل هذه العصمة ترجيحه الفراق عليها . ولو لم يكن للجمهور ما ذكره من الاحاديث التي يحتجون بمجموعها ويحتج بعض الاثمة بما دونها مما لا يعارضه أقوى منه لكفى أن يأخذ بها السائل المتحير وأمثاله ولا سيما إذا علم أن سبب فشو القول بايقاع الطلاق المعلق في مثل النازلة المسؤول عنها هو ما جرى عليه الخلفاء في إيمان البيعة لهم فقد كانوا لا يولون القضاء ولافتاء ان لا يجيز تلك الايمان وإذا كان أقل علماء السلف من قال بوقوع الطلاق المعلق قبل الزواج في غير اليمين وأنه ضعيف لا وجه من النقل ولا من القياس كما قال الشوكاني — فالخلاف في وقوع ذلك في اليمين أقوى والقول بالوقوع فيه أضعف

ذلك بأن الذي يحلف بالطلاق على فعل شيء أو تركه تنجيذا أو تعليقا لا يقصد بحلفه الا الامتناع مما حلف عليه كما اذا حلف بالله تعالى أو علق بالكفر أو البراءة من دين الاسلام — هو لا يقصد أنه إن فعل ذلك يرتد عن الاسلام فيكون معطلا أو وثنيا أو يهوديا مثلاً، وإنما يقصدنا كيد الامتناع عن ذلك الشيء الذي حلف عليه . فان فعل ما علقه بالكفر — وهو يكره الكفر ولا يريد — لا يكفر ، ومثله الحلف بالطلاق من غير فارق

وقد فرض الله للمؤمنين تحلة أيمانهم بالكفارة فقال (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وقال (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين) الآية . وقد أطلق اليمين فدخل فيه كل ما يحلف به الانسان مما يصح به الحلف ، وأما ما لا يصح به الحلف شرعا كالحلف بالخلوقات فلا ينعقد ولا يجب به شيء . وقد روى احمد ومسلم والترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعا «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ولا يكفر عن يمينه »

وللعلماء المجتهدين في إيمان الطلاق والعق والنذر والكفر ثلاثة أقوال (أحدها) أنه اذا حنث لزمه ما حلف به . وهذا الذي غلب واشتهر عند المقلدين بسبب حكم الحكم به ارضاء للخلفاء في إيمان البيعة

(ثانيا) لا يلزمه شيء لانه لم يقصد الايقاع ، وإنما قصد الامتناع ، واليمين
صورة لا حقيقية

(ثالثا) أنه يجب عليه كفارة بيمين لانه يدخل في عموم الايمان الواردة
في اطلاق القرآن، وهذا ارجح الاقوال دايلا ، واقومها قايلا ، واهداها سبيلا ،
لدلالة ما تقدم من الاحاديث عليها ، وأخذ جمهور السلف بها ، وقد ايده شيخ
الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم بتفصيل بينا فيه دلائله واختلاف
الاقوال فيه عن السلف وفي المذاهب الاربعة وبيان انه مقتضى القياس الصحيح ،
ولا بن تيمية فيه مصنفات مخصوصة وفتاوي متعددة وقواعد ممهدة وفي أول المجلد
الثالث من مجموع الفتاوي المطبوعة بمصر وفي آخره بعض ذلك فليراجعه السائل
فامله يجد فيه ما يطمئن له قلبه، واملنا نفصل المسألة في مقال مستقل بعد

الجواب عن مسألة الانواط

سبق لنا عدة فتاوي في مسألة الانواط كوجوب الزكاة وجريان الربا فيها

﴿ ليلة نصف شعبان ، والاكتساب بالقرآن ﴾

(س ٢١ - ٢٤) من الاستاذ صاحب الامضاء

حضرة صاحب الفضيلة مابجا الحيران الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا
السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فأرجو من فضيلتكم إبداء رأيكم (من جهة
الدين) في ليلة نصف شعبان . وفي قراءة القرآن في رمضان وغيره على الاموات
والاحياء وأخذ الاجرة على ذلك وفي استعماله تمنائم (وحجب) وغير ذلك مما لا
يخفى على فضيلتكم وما رأي حضرتكم في حديث « أحق ما أخذتم عليه أجرا
كتاب الله » ؟ أرجوك ياسيدي وأنت ملجئي وملاجئ كل حيران في هذا الزمان الذي
اختلفت فيه العادات (بالدين) اجابتي وعدم احالي على اعداد المنار السابقة
لاني حديث عهد بالاشتراك في مجاتكم الغراء (المنار) ولا توجد جميع أعدادها
عندي وتقبل ياسيدي فائق احترامي

توفيق عبد الجليل

ناظر مدرسة العرابة المدفونة بالبليانة

الجواب عن مسألة ليلة نصف شعبان

وضع الوضاعون عدة أحاديث في فضائل ليلة نصف شعبان والعبادة فيها وصيام نهارها مهدت للملوك والأمراء المبتدعين للمواسم الدينية سبيل جعلها موسما من هذه المواسم كالموالد ووافقهم عليه علماء السوء كما وافقوهم على أمثاله . وقد بينا في المجلد الثالث من المنار بدع هذه الليلة ومنكراتها وهي ١٦ بدعة منها للدعاء المعروف ثم سئلنا هل ورد فيها أحاديث صحيحة يعمل بها فأجبنا عن ذلك في المجلد السادس جوابا مختصرا لا يزيد على صفحتين قلنا فيه: إن أمثلا ما ورد فيها حديث ابن ماجه عن علي كرم الله وجهه مرفوعا: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول . ألا من مستغفر فأغفر له ؟ ألا من مسترزق فأرزقه ؟ حتى يطلع الفجر» ورواه عبد الرزاق في مصنفه وقد قالوا: إنه ضعيف واكتفينا بنقل ذلك عنهم في المنار وقتئذ والصواب أنه موضوع فإن في اسناده أبا بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي بسرة قال فيه الامام احمد ويحيى بن معين انه كان يضع الحديث . ولا ترمذي وابن ماجه في نزول الرب في هذه الليلة حديث آخر عن عائشة ضعفه البخاري والبيهقي ولا ابن ماجه حديث آخر عن أبي موسى الغطفاني «ان الله ليطلع من ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك أو مشاحن» وهو من رواية الوليد بن مسلم المدلس عن ابن لهيعة وهو ضعيف ، والتابعي فيه عبد الرحمن بن عزرب وهو لم يلق أبا موسى .

الجواب عن مسألة الاكتساب بالقرآن

من المسائل المجمع عليها في دين الله على السنة جميع رسله أن العبادة لا تكون عبادة الا بالاخلاص فيها لله تعالى لقوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وان العبادة المحضة لا تصح بالاجرة، ولا يجوز أخذ الاجرة عليها من الناس . ومن قرأ القرآن بالاجرة ليحصل ثواب قراءته للموتى فلا ثواب له بل

هو آثم فأي شيء ينال الموتى من قراءته التي هي معصية ؟ هذا اذا صح ان الانسان يمكنه ان يجعل ثواب عبادته لغيره كما قال بعض العلماء ، وقد بينا ضعفه في آخر تفسير سورة الانعام بالاسهاب وكشف شبهات القائلين به ، الا موضح من انتفاع الوالدين بعمل اولادهم لانهم ملحقون بهم فيراجع هنالك ، ونحن مضطرون الى الاجال فيما نسئل عنه مما سبق فيه التفصيل كالمسألة السابقة على اننا نزيد على ما سبق بعض الفوائد مما تيسر لنا لافادة من قرؤا ما سبق شيئا جديداً

روى احمد وابو داود من حديث جابر (رض) مرفوعا « اقرؤا القرآن وابتغوا به الله تعالى من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه » وله ألفاظ أخرى ومعناه أنهم يقيمون ألفاظه ويضيعون أحكامه ، ويتعجلون أجره في الدنيا ولا يدخرون ثوابه الآجل عند الله في الآخرة. والقدح بالكسر عود السهم قبل أن يراش ويركب فيه النصل . وفي معناه حديث عمران بن حصين (رض) عند الترمذي وحسنه « من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجبي أقوام يقرؤن القرآن يسألون به الناس » رواه احمد أيضا وأقوى منه ما رواه احمد بسند رجاله ثقات من حديث عبد الرحمن بن شبل مرفوعا « اقرؤا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تهفوا عنه ، ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به »

وفي معنى ذلك أحاديث أخرى بعضها في وقائع ونوازل حدثت وفي أسانيد كل ما روي في هذا الباب بعض العال ولكن بعضها يقوي بعضها وهي واردة في اصل صحيح . وقد ورد في مقابلها ما يدل على جواز الانتفاع بالقرآن في مصالح الدنيا كحديث الصحيحين فيمن زوجه النبي (ص) امرأة على أن يعلمها مامعه من القرآن بدل المهر . وفي رواية لابي داود « علمها عشرين آية وهي امرأتك »

الجواب عن الحديث

ومنها الحديث الوارد في السؤال وسببه ان نفرا من الصحابة (رض) مروا بحبي من احياء العرب فاستضافوهم فأبوا ان يضيفوهم فلدغ سيد الحبي فسمعوا له بكل ما علموا فلم ينفعه فسألوا اولئك النفر هل عندهم من شيء فقال احدهم انه يرقى (المنار : ج ٦) (٥٤) (المجلد الرابع والعشرون)

وطلب الجعل على الرقية لأنهم لم يضيفوهم فجعلوا له قطيعا من الغنم فرقاه بفاتحة الكتاب فشفي فأعطوهم القطيع فذكروا ذلك للنبي (ص) فأقرهم عليه وقال « ان أحق ما أخذتم عليه اجرا كتاب الله » روى البخاري هذا اللفظ للحديث المرفوع عن ابن عباس وروى الجماعة الا النسائي القصة من حديث أبي سعيد الخدري وفيه انه (ص) قال « وما يدريك أنها رقية » أي الفاتحة ثم قال « اقتسموا واضربوا لي معكم سهما » أي قاله تطييبا لقلوبهم لأنهم شكوا في جواز أكلها كما قيل .

وقد استدل بعض العلماء بهذه الاحاديث على جواز أخذ الاجرة على تعليم القرآن دون التعبد بتلاوته ومنع ذلك آخرون وأجابوا عن الحديتين بأجوبة أظهرها أن ما وردت فيه أخص من المدعى . وحديث الرقية يدل على حوازا وجواز أخذ الاجرة عليها اذا لم يكن فيها شيء من الباطل كما ورد في حديث راق آخر بالفاتحة قال له النبي (ص) حين سأله عما أعطي عليها « خذها فلمعري من أكل برقية باطل فقد أكلت برقية حق » رواه احمد وأبو داود عن خارجة بن الصلت عن عمه ورجاله رجال الصحيح الا خارجة وقد وثقه ابن حبان وقال الحافظ في التقریب مقبول من الثالثة والرقية بالقرآن لا يقصد بها التعبد به لاجل الثواب والقربة وانما يقصد بها تقوية روحانية الراقى لاجل أن تؤثر روحه و ارادته في نفس المارقي تأثيرا يغلب أثر الالم فلا يقاس عليها التعبد به لاجل الثواب ثم اهداء الثواب الى من لم يقرأ لينتفع بعبادة غيره

(فان قيل) قد ثبت في حديث الذين يدخلون الجنة بغير حساب في الصحيح أنهم « الذين لا يرقون ولا يسترقون » فالجواب أن الرقية ليست دواء يشفي من الالم أو المرض باطراد بل الغالب فيها تأثير الاعتقاد أو تأثير نفس ذات إرادة قوية روحانية في نفس أخرى بحسب سنة الله في البشر لذلك كانت تنافي التوكل الذي هو الاخذ بسنن الله الثابتة في الاسباب والمسببات الصحيحة وتفويض الامر الى الله وحده فيما لا يعرف له سبب صحيح . وقد فصلنا هذه المسألة من قبل في المنار (ص ٣٩٠ — ٣٩٣ من المجلد السابع) وفيه ان النبي (ص) لدغ مرة فغشي عليه

فرقاه ناس فلما أفاق قال « ان الله شفاني وليس برقيتم » رواه البخاري في التاريخ وابن سعد والبيهقي والطبراني والدارقطني وغيرهم، وذلك ان النفس لا تؤثر الا في نفس اضعف منها وروحه (ص) اقوى من جميع الارواح، وهذا المدرك يؤيد القول ببطالان ماورد من أنه (ص) سحر وأثر السحرفيه كما بينه الاستاذ الامام، وسبقه اليه أبو بكر الجصاص من أئمة الحنفية في كتابه أحكام القرآن وفي ص ٨٥٥ من ذلك المجلد (السابع) سؤال عن اخذ الاجرة على القرآن استشكالا على عد الاستاذ الامام اياه من اكل اموال الناس بالباطل ويعني به ما بيناه في تفسير (١٨٨: ٢) ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) والاحتجاج عليه بحديث الرقية مع الجواب عنه

الجواب عن مسألة التائم ونحوها

ورد في حظر التائم وما في معناها احاديث مرفوعة منها «من علق تميمة فقد اشرك» رواه احمد والحاكم عن عقبة بن عامر ومنها — «ان الرقي والتائم والتولة شرك» رواه احمد وابو داود وابن ماجه — ومنها — «ثلاث من السحر: الرقي والتولة والتائم» رواه الحاكم. والمراد بها رقي الطلسمات الخرافية

وذا أراد السائل مزيد بيان لهذه المسألة فليراجع ما ذكرناه من المواضع في المجلد السابع، وكذا ما نقلناه عن الدر المنصيد في (ص ٥٨٤) من المجلد الثاني والعشرين من الاحاديث في النهي عن تعليق التائم والودع والمظام ووضع الخيط في اليد للحمى وقلادة الوتر في عنق البعير لاجل وقايته . وكل هذا داخل في مفهوم كلمة الجبت ففي حديث قطن بن قبيصة مرفوعا عند أبي داود «العيافة والطيرة والطرق من الجبت » وفسر العيافة بالخط وهو ضرب الرمل وهو من تفسير العام ببعض أفرادها فالجبت يشمل كل الخرافات كالطرق وهو الضرب بالحمى والودع أو حب الفول لمعرفة البخت وغيره من أمر الغيب

المعاهدة البريطانية الحجازية

ونخدة الوحدة العربية

بلغنا منذ بضعة اشهر أن الدكتور ناجي الاصيل الموصلي ذهب الى مكة وأخذ تفويضا من ملك الحجاز بالسمي لدى أرباب الاموال من الانكليز بعقد امتيازات في الحجاز باستخراج المعادن و بغير ذلك ثم سافر منها الى (لندن) مارا بمصر ، ثم شاع أن الدكتور وكيل سياسي لملك الحجاز ، ثم جاءتنا أخبار أوربة العامة والخاصة بانه ذهب الى لوزان لحضور مؤتمر الصلح فيها بالوكالة عن ملك الحجاز ، وانه كان هنالك مع جعفر باشا العسكري البغدادي مندوب الملك فيصل ملحقين أوتابيين للوفد البريطاني ، ولنا من أخبارهما التفصيلية الفاضحة هنالك ما ليس من موضوع هذا المقال

ثم إن برقيات روتر الانكليزية وجرائد لندن اذاعت في العالم كله نبأ عقد مؤتمر عربي يمثل الشعوب العربية كلها لاجل حل المسألة العربية ووضع أساس الاتحاد العربي ، ثم علمنا أن أعضاء هذا المؤتمر خمسة نفر من صنائع أمراء الحجاز ووسائلهم لدى الانكليز وهم جعفر باشا العسكري وناجي بك السويدي والدكتور ناجي الاصيل وأمين بك التميمي واحسان بك الجباري . فتذكرنا بذلك ما كانت البرقيات والجرائد الانكليزية بلغتنا اياه عند إعلان (اتفاق سايكس بيكو) على قسمة البلاد العراقية والسورية بين انكلترة وفرنسة اذ زعمت أن الامة العربية قد اشتركت في الاحتفال باعلان هذا الاتفاق في لندن بحضور ممثلها فيه . ثم علمنا أن المراد بهؤلاء الممثلين تاجر سوري مسيحي مقيم بلندن ومتجنس بالجنسية الانكليزية وأسير مسلم من عكا اسمه اسماعيل !! وهذا شأن الاجانب في العبث واللعب بالشعوب والامم والكذب والازوير : رجلان مجهولان يمثلان أمة بدون علمها ولا اذنها ، ويقرران ابدال بلادها واستعبادها ، أو ينسب ذلك اليهم ، وخمسة نفر يعقدون مؤتمراً باسم

الامة العربية بدون توكيل ولا اذن ولا علم منها، وذلك أنهم يعملون بأمر الاجنبي في بلده ، وأما المؤتمر السوري الفلسطيني الذي عقد في جنيف ممثلاً للأحزاب الاستقلالية في الوطن والمهاجر ، والمؤتمر السوري العام المنتخب من جميع المناطق السورية، والمؤتمرات الفلسطينية العامة المنتخب أعضاؤها من جميع بلاد فلسطين — فهي لا تمثل من تتكلم باسمهم في عرف الاجانب المغتصبين للبلاد

ثم أذاعت البرقيات والجرائد الانكليزية في أقطار العالم أن ناجي الاصيل قد اتفق مع الحكومة البريطانية على عقد معاهدة بريطانية عربية تقرر فيها اتحاد الممالك العربية واستقلالها فكانت الجرائد العربية تعنى بنقل هذه الاخبار والتعليق عليها في مصر وفلسطين وسائر سورية وفي مهاجر السوريين واغتر بذلك كثير من الناس وصدقوها ، واتسع مجال الابهام والتغريب لجرائد الدعاية (ابو بغندة) الحجازية في سورية وفلسطين بها فصورت للبسطاء تأليف سلطنة (امبراطورية) عربية مؤلفة من جزيرة العرب برمتها ومن ممالك فلسطين وشرق الاردن والعراق والدويلات السورية ، وصدق احداث السياسة والعوام في سورية أن بلادهم داخله في هذه الامبراطورية الجديدة ، وروج هذه الخدعة الخيالية فيهم ما نقلته اليهم الجرائد من تودد الامير عبد الله الحجازي لفرنسة فحسن عندهم هذا لتحفيقه الغاية التي أذاعوها منذ حلول ركابه في شرق الاردن وهي انه ما جاء الا لانقاذ سورية من فرنسة ، ومن البديهي أن انقاذه إياها بالدهاء السياسي أولى واسلم من انقاذه بالحرب . وكل ذلك غش وخداع لم يتقن هؤلاء الامراء الحجازيون من أمور السياسة العصرية شيئا ، وهو إنما يقوم بأبذل

كان بعض الاخوان يسألوني عن رأيي في هذه الاخبار كلما حمت الجوائب شيئاً منها فاقول انني أتمنى لو يكون فيها خير ولكنني أعتقد أنها خداع وتضليل فلو كان الانكليزي يدون للعرب الاستقلال والاتحاد لما احتاجوا الى الدكتور ناجي الاصيل في وضع الخطط لذلك، وإنما يريدون من وكيل الملك حسين الاتفاق على خدعة ينالون بها ما يريدون منه ، وهو موافقته الرسمية على ماقرروه

ونفذوه في البلاد العربية، وقد سألتني بعض هؤلاء الاخوان ان أكتب رأي في ذلك وانشره في الجرائد لكشف الغش والنيليس للامة العربية فكنت أقول أرى أن نصبر الى أن تظهر نتيجة هذه الاخدوة الجديدة فنكون علي بيئة فيما نقول ، ولا نرمى من أعوان الخادعين باتباع الهوى أو الفضول ، واني على سوء ظني المبني على طول التجربة والاختبار أتمنى لو أكون مخطئا في هذه المرة ، وإذا أكون في طليعة أنصار ما يأتي من كل مشروع أو عمل لاستقلال العرب واتحادهم .

صبرت الى أن انكشف الستر ، وظهر ما بولغ في اخفائه من الامر ، وتركت السبق لغيري في اذكار ذلك فكان أول المنكرين له من كانوا أول المحسنين للظن ، بالملك حسين والامير عبد الله وهم أهل فلسطين . ولما زالت ثقهم بالثاني ظلوا واثقين بالاول ، حتى كادوا يكابرون أنفسهم . ، ويكذبون الاخبار الرسمية البريطانية الجلية ، اغترارا ببرقيات الحجاز المبهمة الموهمة

ألم تر أن ناجي الاصيل عاد من لندن الى مصر فسبقه اليها كل من الشيخ عبد القادر المظفر وأمين بك التميمي من دعاة ملك الحجاز في فلسطين فاستقبلاه في الاسكندرية فاستنطقاه ليسبقا بالبشائر الى قومهما فلم يفهما منه شيئا جليا ! ألم تر أنه سافر الى الحجاز في بارجة بريطانية فسابقه اليها الشيخ عبد القادر المظفر ثم سبقه بالعودة الى مصر مبشرا بتأويل حلم الاتحاد العربي ، وبأن عهد بلفور قد ألغي ، أخبرني بذلك فلم أصدق ، ولكنني قلت له : إني أصبر فان صح هذا كنت أول مؤيد له ومنوه به ، وان كوفئت على ذلك بالأيذاء ، واعراض هؤلاء الزعماء ، وقد استنبط الشيخ بشائره من فرح الملك بهذه المعاهدة واحتماله بالدكتور ناجي الاصيل كاحتفال الامم بالقواد الفاتحين ، ولم يطلعه أحد على شيء من مواد المعاهدة كدأب الملك حسين في السكتان وعدم استشارة أحد في شيء من أمور الامة ، ولكنه روى لنا عن فؤاد الخطيب وكيل الخارجية عن الملك الجزم بالغاء وعد بلفور ، فجزمت بعدم صحة متن هذه الرواية جزما لا تردد فيه وتركت الكلام في سندها ، ثم أيدت الحوادث كذب المتن بما لا يعد طعنا في سنده ، إذ علم

أن الملك فهم ذلك من المعاهدة وهي نص في ضده كما ثبت في النصوص الرسمية الآتية بناء على هذا الفهم الملكي اعلان المعاهدة بمكة يوم عيد الفطر باحتفال رسمي حافل ، وتضمن الاعلان الملكي الامر بجعل هذا اليوم عيداً . وهاك نص الاعلان منقولاً عن العدد ٦٨٨ من جريدة القبلة الرسمية المؤرخ في ٥ شوال الحال بعد ذكر الاحتفال بعيد الفطر :

عيد على عيد

﴿ اعلان استقلال العرب ووحدتهم في جميع الجزيرة العربية ﴾

ولما استقر بجلالة المنقذ المقام، في بهو الاستقبال العام مثل بين يدي جلالته الاشراف والسادة العلماء والاعيان والوجهاء وأماثل الأمة على اختلاف طبقاتها حاضرها وباديها ، وحينذاك تفضل جلالته فقاه بخطاب ملوكي سام حمد الله فيه وأثنى عليه ثم أشار الى أن هذا العيد المبارك لاشك في تضاعف يمنه حيث صادف قبول المراجع الايجابية (١) لجميع المطالب العربية فلاريب في أنه يوم اجتمع فيه عيدان ؟ عيد الفطر السعيد وعيد الاعتراف باستقلال العرب ووحدتهم وعليه بجلالاته يعان ذلك للامة العربية حاضرها وباديها ، وعلى أثر ذلك أمر جلالته صاحب الاقبال رئيس الديوان العالي أن يلقي في ذلك المحفل الجليل الخطاب الملوكي الهاشمي الآتي وهذا نصه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ نصح في هذا العيد المبارك بمآل المعاهدة العربية البريطانية ﴾

(١) هذه الكلمة من الاصطلاحات التركية وهي بمعنى أولي الامر والمراد هنا الحكومة الانكليزية لأنها في عرف ملك الحجاز ولى أمر العرب والوصية عليهم كما سيأتي

﴿ المؤسسة على مقرراتنا الاساسية والتي يعترف بها صاحب الجلالة ﴾
 ﴿ البريطانية لنا باستقلال العرب بجزيرتهم وسائر بلادهم ، ويتعهد لنا ﴾
 ﴿ حشته الملوكية بالمعاوضة الفعلية لتأسيس الوحدة العامة الشاملة ﴾
 ﴿ لكل هذه البلاد بما فيها العراق وفلسطين وشرق الاردن وسائر البلاد ﴾
 ﴿ العربية في جزيرة العرب (ما خلا عدن) فنامر أن يعتبر هذا اليوم ﴾
 ﴿ المبارك عيد الاعتراف باستقلال الامة العربية والله ولي التوفيق ﴾ انتهى

وعقبه خطاب مندوب الحكومة بلندن وهذا نصه أخذناه منه بخط يده :

مولاي :

« أحمدته تعالى وأذكركه على هذه الوقفة الفريدة التي منتم يا مولاي علي بها
 لاقت بين يدي جلالكم في هذا اليوم العظيم لا قول كلمتي عن المعاهدة العربية
 البريطانية التي انتهت والحمد لله باعتراف بريطانيا باستقلال العرب في جزيرتهم
 وسائر بلادهم ، وبتعهداتها لجلالكم بالمعاوضة الفعلية لتأسيس الوحدة العربية العامة ،
 « ان بداية هذا الانقلاب الكبير في تاريخ الامة العربية ظهر يوم نادى
 جلالكم بأمتهم مستعمرها اياها بالنهوض وفك القيود لاعادة حريتها القديمة
 واستقلالها المنصوب ، فإلها من نهضة مباركة قامت فخطمت سلاسل الذل
 والاستعباد ، وجاءت اليوم بالاستقلال والائحاد ، لامة عرفها التاريخ بفتوحاتها العظيمة
 ومجدها المشيد . فالامة العربية مديونة لكم (يا مولاي) في نهضتها ، مديونة
 لكم في العهود التي قطعتموها لحفظها وصيانتها من مصائب الحرب وتناجها ،
 مديونة لكم في هذا الاعتراف باستقلالها ووحدتها ، فكما أني ماقت الابطاحي
 الوطني يوم لبست الدعوة فتركت الجيش التركي واتمحت بمجبوش جلالكم
 لاشارك بالدفاع عن استقلال بلاد العربية في تلك المعركة الكبرى ، أيضاً
 يا مولاي بذهابي الى لوزان حسب تنصيب جلالكم للدفاع عن القضية العربية
 أمام المؤتمر ، ونم الى عاصمة بريطانيا لمطالبتها بإبقاء العهد لم أقم الا بنفس ذلك

الواجب السامي الذي يفديه كل عربي صميم بروحه وماله وما تملك يده
«أسأله تعالى أن يؤيد جلالة مولاي المنقذ الأكبر ويبقيه ذخرا للأمة العربية
وأن يجعل هذا اليوم بدء كل خير لصالح الأمة العربية» انتهى
وقد جاء في رسالة أرسلت من جدة الى الاهرام نبأ الاحتفال بالمعاهدة فيها
بالنص الذي أرسله الملك الى حاكمها الاداري (قائم مقام جدة) وان هذا قال
بعد تلاوة أمر الملك في الحفلة «وقريبا سنتفق مع فرانسة على سوية اتفاقا مرضيا».
ولقب ملك الحجاز بملك البلاد العربية ومؤسسها

مضمون الاعلان الملكي وما ترتب عليه

دل هذا الاحتفال وما قيل فيه دلالة قوية فعلية على الامور التالية :
(١) أن المعاهدة التي حمها الدكتور ناجي الاصيل من لندن قد اشتملت
على اعتراف صاحب الجلالة البريطانية باستقلال العرب في جزيرتهم وجميع بلادهم .
(٢) أنها مبنية على المقررات السابقة وهي التي عرضها أمير مكة حسين
ابن علي على الدولة البريطانية في بيان شروط قيامه بالثورة العربية فقبلتها مع
تخفيضات مبنية في كتب السر هنري مكماهون له وقد نشرنا ذلك كله في الجزء
الثامن من مجلة المنار م ٢٣ الذي صدر في سلخ صفر من هذا العام (الموافق ٢٠
اكتوبر سنة ١٩٢٢)

ولعل القراء يتذكرون أن المادة الاولى من تلك المقررات أن الحكومة
البريطانية تتعهد بتشكيل حكومة عربية مستقلة الخ وأن المادة الثانية نص صريح
في محافظة الدولة البريطانية وصيانتها لهذه الحكومة بأي صورة كانت في داخليتها
وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعد في أي شكل يكون ، حتى الدسائس
والفتن الداخلية « وأن المادة الثالثة تصرح بان هذه الحكومة العربية يحكمها
حكم انقاصر في حضن الدولة البريطانية

وبناء على هذا يكون الاستقلال المعترف به نوعا من انواع استقلال بعض
(المنازل: ج ٦) (٥٥) (المجلد الرابع والعشرون)

المستعمرات البريطانية لا الاستقلال المطلق من كل قيد

(٣) ان الملك قد فهم أن فلسطين داخله في مملكته الجديدة ومن لوازمه أن عهد بلفور بإنشاء وطن قومي فيها لليهود قد ألغى كما لقن الشيخ عبد القادر المظفر قبل الاحتفال بإعلان المعاهدة عند سفره من الحجاز وكان من لوازم هذا الفهم أن « ملك البلاد العربية ومؤسسها » أرسل برقية الى كاظم باشا الحسيني رئيس الوفد الفلسطيني — وهو في القدس — بلغه فيها خبر المعاهدة وأمره لرعيته أهل فلسطين بالالتزام الهدوء والسكينة أي الى أن تتسلم جلالة إدارة البلاد بالفعل ، حتى أنه قال له في البرقية « وأنتم المسؤولون عن كل ما يحدث » وظاهر هذا أنه يرى أن حكومة فلسطين البريطانية الصهيونية تافى بمجرد وصول برقيته

لهذا بادرت هذه الحكومة الى نشر بلاغ رسمي صرحت فيه بأن المعاهدة الجديدة لا تتضمن أدنى تغيير في حكومة فلسطين ، فهاج ذلك أهل فلسطين وبلغوا الملك حسيننا خبره فكذب بلاغ الحكومة الفلسطينية اذ صرح بأنه مخالف لنص المعاهدة الواردة من وزارة الخارجية البريطانية. فنشرت هذه الحكومة خلاصة نص المعاهدة ومنها التصريح بان فلسطين غير داخله في البلاد التي اعترفت الحكومة البريطانية باستقلالها اذ سبق بيان ما تقرر بشأنها ، وتضمن هذا بقاء عهد بلفور وأنه لم يبلغ ولم يعدل كما سيأتي

لا يتوهم أحد اننا سررنا بخطأ الملك حسين في فهمه وبخية أمه ، فوالله ! اننا نتمنى لو تستقل فلسطين استقلالاً صحيحاً ولو بسعيه ودخولها في حدود مملكه ، فان لم يكن أهلاً لإدارتها فما هو بخالد فيها ، على أننا نعلم أنه لا يستطيع أن يستبد فيها كما يستبد في مكة وجدة ، وإنما نحن ندوّن أهم أحداث تاريخنا الحديث بما فيه العبرة لأهل العصر ولمن بعدهم

وأهم ما نذكر به من العبرة في هذه المسألة انتفاكر في سبب خطأ الملك في فهم الذي كان سبباً لا قببح الحزبي المحزن ، ونحن نرى أن الذنب في هذا على الدكتور ناجي الاصيل وقواد افندي الخطيب وزير خارجية الملك الذي اشترك مع

الدكتور في ترجمة المعاهدة

ذلك بان صيغة المعاهدة قد وضعت باللغة الانكليزية قطعاً ومن دأب الملك حسين عدم إطلاع أحد على شيء من أسرار سياسته الا من يضطر الى استخدامه فيها . ولا نرى منجاة للدكتور ناجي الاصيل ولفؤاد افندي الخطيب من تبعة غش الملك في الترجمة الا اذا كانت الترجمة صحيحة والقيت الى الملك مكتوبة فلم يفهمها ولم يجعلها هو والمترجمين لها موضع البحث بل بلغ فلسطين ما بلغها قبل أن يبحث مع وكيله ووزير خارجيته فيها، ولكن هذا بعيد وخلاف الظاهر . وإن كان الملك لا يفهم اللغة العربية المصرية ولا القديمة فهما صحيحا بدليل أن كتابته كثيرة الغلط والعلل فلاتفهم الا بالقرائن . فان ناجي الاصيل حضر اعلان الاستقلال ووافق عليه ببيان منه بخطه ، فان قيل انه تعذر عليه أن يصحح خطأ الملك عقب إلقاء خطابه فكيف لم يبينه له بعد ذلك وتركه على غلطه حتى تجرأ على تخطئة حكومة فلسطين الانكليزية في فهمها للمعاهدة وعلى مخاطبته للفلسطينيين بعد مراجعتهم اياه في المسألة بما يدل على أنه لا يزال على فهمه الاول وكذا رده على الجرائد المصرية فانه يدل على ذلك أيضا

وأما احتمال عدم فهم ناجي الاصيل للنص الانكليزي الذي لم يوضع الا بعد طول البحث مع وزارتي الخارجية والمستعمرات الانكليزيتين فيه فتعير معقول ، وقد جرى له حديث مع مكاتب الاهرام في الاسكندرية اثر وصوله اليها عائداً من لندن يدل على أنه واقف على دقائق المعاهدة وعلى أن المناقشة في مسألة فلسطين معه كانت شديدة وقد علم أن فؤاد الخطيب قد ساعده على ترجمة المعاهدة فهل يتفقان على الخطأ في جعل المنفي مثبتاً ؟

على أن البلية في عدم فهمها للمعاهدة حينئذ أعظم من البلية في غشها للملك ، فما أعظم مصاب العرب فيمن يقيدونهم بمعاهدات لا يفهمون معناها مع دولة يحتاج من يعقد معها أي معاهدة أو اتفاق أن يكون من أدق الناس فهما وأقدرهم على تحديد المعاني بحيث لا تحتمل التأويل بضرب من ضروب الاشتراك او المجاز أو الكناية

لان رجالها أبرع الناس في التفصي من المعاهدات بالتأويل كما قال البرنس بسمارك وما طرقت باب هذا المبحث الا لاني قد عز علي أن أوافق من يظنون أن الملك حسين قد خدع الفلسطينيين ليؤيدوه فيما رضىه للبلاد كلها من الوصاية البريطانية ولفلسطين منها من عهد بلفور الى أن ينفذ السهم ، وانما أوافقهم بسهولة اذا جعلته الحكومة البريطانية هو القوس الذي ترمي سهمها منه . على أنه خدع الامة العربية منذ بدء الثورة فانه اتفق مع حلفائه على استقلالها ولا يزال يدعي ذلك بعد علم الناس بمقررات النهضة ومع أخذ البلاد باسم الانتداب الذي وافقهم عليه في هذه المعاهدة

سوء تأثير هذه المعاهدة

احتفل الملك حسين بهذه المعاهدة احتفالا رسميا في مكة المكرمة وغيرها من بلاد الحجاز وجعل يوم هذا الاحتفال عيداً وطنياً دائماً كما تقدم، وقدم له أركان حكومته وكبار الدولة التهانى على هذه النعمة التي أصابت الامة العربية بسعيه ، واحتفل مثل هذا الاحتفال في شرق الاردن عاصمة احدى اركان هذه الدول العربية المستقلة المتحدة (?) ولقب الملك حسين في هذه الاحتفالات بملك البلاد العربية ومؤسسها، وبأمر المؤمنين، ومدح هو ونجده الأمير عبد الله بالخطب والقصائد، ورجعت صدى ذلك كله الجرائد ، وأظهرت المستأجرة والمغرورة منها غاية الحبور والابتهاج في أثناء هذا نشرت حكومة فلسطين خلاصة المعاهدة مترجمة باللغة العربية ففهم منها جميع الناس في كل مكان أنها أعظم نكبة على الامة العربية والاسلام، واجتمع المؤتمر الفلسطيني العام للنظر فيها فقرر رفضها والاحتجاج عايتها، وقامت قيامة الصحف المصرية وانبرت جميعها للرد والاحتجاج والتشجيع على ملك الحجاز . وستفعل ذلك سائر جرائد العالم الاسلامي وهذا ترجمة خلاصة المعاهدة

﴿ خلاصة المعاهدة البريطانية العربية ﴾

نشرت حكومة فلسطين بلاغاً رسمياً قالت فيه :
فيما يلي خلاصة المعاهدة التي جرت المفاوضة بشأنها بين حكومة جلالة ملك

بريطانيا و جلالة ملك الحجاز أما المعاهدة فلم تبرم نهائياً حتى الآن وقد اقترح جلالة الملك حسين تعديلات صغيرة لم تعرف تفاصيلها تماماً والبحث جار فيها .
المادة ١ — تنص على وجود سلم بين الحكومتين وعلى منع استعمال بلاد الحكومة الواحدة قاعدة لأعمال موجهة ضد الحكومة الأخرى
وهذا نص المادة الثانية :

يتعهد جلالة ملك بريطانيا بأن يعترف باستقلال العرب في العراق وشرقي الأردن والدول العربية في شبه جزيرة العرب ما خلا عدن وأن يعضد هذا الاستقلال . وأما فيما يتعلق بفلسطين فتعهد صاحب الجلالة البريطانية بأن لا يجري شيء في هذه البلاد مما يمكن أن يمحىف بمقوق الأهالي العرب المدنية أو الدينية . وأما اذا أبدت إحدى هاته الحكومات أو كلها رغبة في الاشتراك في الجمارك أو خلاف ذلك بقصد إيجاد حلف في ما بعد فان صاحب الجلالة البريطانية يسعى لترويج رغبتهم اذا طلب اليه ذلك المتعاقدون ذور الشأن .
ويعترف صاحب الجلالة الهاشمية بالمركز الخاص الذي لجلالته البريطانية في العراق وشرقي الأردن وفلسطين ويتعهد بان يبذل غاية جهده في التعاون مع جلالته البريطانية على القيام بمهداته في المسائل التي تقع ضمن نفوذ جلالته الهاشمية بشأن هذه البلاد .

في المادة الثالثة يتعهد جلالة ملك الحجاز بالمحافظة على العلاقات الودية التي وجدت قبل الحرب بين جلالته وبين حاكم العسير وحاكم نجد .
في المادة الرابعة يتعهد صاحب الجلالة الهاشمية بان يسعى في تسوية المنازعات بشأن الحدود بين بلاده وبلاد حاكمي العسير ونجد بمخبرات ودية ويتعهد صاحب الجلالة البريطانية بان يسعى في المساعدة بتسوية منازعات كهذه عندما يرغب في ذلك .
وفي المادة الخامسة يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بان يصعد بجميع الوسائل السلمية والممكنة أي اعتداء يقع على بلاد جلالته الهاشمية ضمن الحدود التي قد تقرر نهائياً .
المادة ٦ — تنص على تعيين وكيل من قبل جلالته الهاشمية في لندن

وعلى تعيين وكيل من قبل جلالته البريطانية في جدة أو أي مدينة ساحلية أخرى . ويجوز لجلالته الهاشمية أن يعين أيضاً قناصل من قبله في انكلترا والهند وكذلك يحق لجلالته البريطانية أن يعين قناصل في جدة وغيرها من المدن الساحلية كما يرى جلالته موافقا ويتمتع هؤلاء الوكلاء والقناصل بالامتيازات السياسية والقنصلية العادية .

في المادة السابعة — يعترف صاحب الجلالة الهاشمية بالترتيبات الصحية (الكورنتينات) الموضوعة . وقتا من قبل صاحب الجلالة البريطانية في (قران) قياماً بنصوص الاتفاق الصحي الدولي الموضوع في سنة ١٩١٢

ويتعهد صاحب الجلالة البريطانية بأن يعترف بالتدابير المتبعة التي قد تتخذ في جدة أو غيرها من المرافئ الواقعة في بلاد جلالته الهاشمية وفقاً لائحة يصدرها صاحب الجلالة الهاشمية .

في المادة الثامنة — يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بأن لا يتدخل في التدابير التي يتخذها صاحب الجلالة الهاشمية للاعتناء بالحجاج ويتعهد صاحب الجلالة الهاشمية أن يعضد المساعي التي يبذلها الرعايا البريطانيون المسلمون لمساعدة الحجاج في الحجاز

المادة التاسعة — تنص على تعيين مبلغ محدود كي يدفعه كل حاج وعلى نشر المبلغ المعين سنوياً

وتنص المادة العاشرة أيضاً على الاعتراف بالصفة الهاشمية التي لرعايا جلالته الهاشمية في بلاد جلالته البريطانية وكذلك تنص على الاعتراف من قبل جلالته الهاشمية بالصفة البريطانية التي لرعايا جلالته البريطانية في بلاد جلالته الهاشمية

المادة ١١ تنص على تسليم أموال الرعايا البريطانيين ممن يموتون في بلاد جلالته الهاشمية إلى المعتمدين البريطانيين في تلك البلاد ويصير التصرف بأموال كهذه وفقاً للقانون الساري على ظروف كهذه

المادة ١٢ — تنص على حضور قنصل بريطاني في محاكم جلالته الهاشمية

عند ما تنظر هذه المحاكم في قضية يكون فيها أحد الرعايا البريطانيين مدعيا أو مدعى عليه وعلى تأجيل أي حكم إذا رغب المعتمد البريطاني في إجراء المخابرات طلبا للعدالة ولا تسري نصوص هذه المادة في حالة الرعايا البريطانيين أو الأشخاص الذين يتمتعون بحماية جلالته البريطانية القاطنين في بلاد جلالته الهاشمية بصورة دائمة المادة ١٣ — تنص على تسليم صاحب الجلالة الهاشمية الرعايا البريطانيين الذين يلقي عليهم القبض من قبل السلطات الهاشمية الى القناصل البريطانيين بشرط أن يوطى هؤلاء ضمانا لاحتضارهم عند الاقتضاء

ولا تسري نصوص هذه المادة على الرعايا المقيمين بصورة دائمة في بلاد الحكومة الهاشمية خارج جده وغيرها من المرافق التي قد يعين لصاحب الجلالة البريطانية قناصل فيها

المادة ١٤ — تنص على رؤية دعاوي الرعايا البريطانيين التي لا تمس فيها مصالح رعايا الحكومة الهاشمية من قبل القناصل البريطانيين

المادة ١٥ — تنص على التنازل من قبل جلالته البريطانية عن جميع الامتيازات والاستثناءات خلاف المنصوص عليها في هذه المعاهدة التي كان يتمتع بها الرعايا البريطانيون بمقتضى الامتيازات بين بريطانيا العظمى وتركيا المادة ١٦ — تنص على إعلام جلالته الهاشمية المعتمد البريطاني عند ما يرغب جلالته في ابعاد أحد الرعايا البريطانيين

المادة ١٧ — تعالج الشروط التي بموجبها يعترف صاحب الجلالة البريطانية بعلم جلالته الهاشمية

المادة ١٨ — تصرح بأنه لا يجوز لأي الفريقين المتعاقدين الساميين أن يعقد أية معاهدة أو اتفاق مع فريق ثالث ضد مصالح الفريق المتعاقد السامي الآخر المادة ١٩ — تنص على أن لا شيء في هذه المعاهدة يبطل أي تعهد قد تعهد به أو قد يتعهد به في المستقبل أحد الفريقين المتعاقدين الساميين بمقتضى عهد جمعية الأمم المادة ٢٠ — تنص على تصديق هذه المعاهدة وأنها نافذة الفعل لمدة ٧

سنوات اعتباراً من اليوم الذي توضع فيه موضع العمل
 هذه خلاصة المعاهدة التي نشرتها حكومة فلسطين البريطانية . فهم الناس
 منها في فلسطين ومصر وفي كل مكان أنها تستثني فلسطين من البلاد العربية
 التي يعترف ملك الانكليز لها بالاستقلال — على ما فيه — معللة ذلك بأنه
 قد سبق للحكومة البريطانية تقرير أمرها وانها تضمن للعرب في حكمها اياها
 حريتهم المدنية والدينية أي لا يمنعون من البيع والشراء ورفع القضايا الى
 حكمهم من الانكليز واليهود ، ولا يمنعون من الصلاة والصيام — مثلاً —
 وجميع الناس يعلمون أن المراد بذلك هو ما يسمونه الانتداب المتضمن لعهد بلفور
 بالوطن القومي لليهود ، وهذه العبارة الضمانية مأخوذة من صك الانتداب المذكور
 هذا ما فهمه الناس كافة وهو خلاف ما فهمه الملك حسين أو أراد أن
 يفهمه الناس في فلسطين وغيرها .

ولهذا قامت قيامة المسلمين في مصر وشايعتهم الجرائد كلها على الطعن في هذه
 المعاهدة باسم الاسلام فعسى أن يكون في هذا وفي رفض أهل فلسطين لها ما يحمل
 الملك حسيناً على ترك عناده واصراره على عقدها ، أو يحمل الحكومة الانكليزية .
 وسنشرح مواد خلاصة المعاهدة في الجزء التالي ، ونعجل في هذا الجزء باعلام الشعب
 البريطاني الحكيم بشعور العالم الاسلامي وشعور الأمة العربية بهذه المعاهدة لعله
 يتدارك الامر ويحول دون عقدها ، ويتلافى شر ما نكرهه من جعل العداء بين
 الانكليز والاسلام امراً واقعاً نهائياً لا مفرّ منه . فانا نعلم ما في تفاقم هذا العداء
 من الضرر والفساد ، وما في استبدال الصداقة به — ان امكن من الخير الخاص
 العام . ولهذا القصد ننشر الخطاب التالي ، على أن نقفي عليه بخطاب آخر يبين
 للشعب الانكليزي الطريقة المثلى لصداقة الاسلام والعرب كما بينها لحكومته
 من قبل :

خطاب مفتوح من روح الاسلام

والجامعة العربية

الى الشعب الانكليزي والحكومة البريطانية

فلمتم ما فعلتم في الدولتين العثمانية والایرانية ، وكدم ما كدم
للشعوب العربية ، فتركوا لنا قبلة صلاتنا ، ومشار حجننا ، وأمها
مساجدنا ، وقبر نبينا ، ولا تحسبوا أن الفرصة قد سنحت لكم للقضاء
على ديننا ، كما حسبتم حين أردتم القضاء على دولنا ، اغتراراً بقوتكم
وضعفنا ، واجتماعكم وتفرقنا ، قرب قوة أحاطها الغرور ضعفاً ، ورب ضعف
أعطاه اليأس قوة وبأساً

أردتم استعباد الشعب الافغاني بفرصة زوال المعارضة الروسية ،
فخرتموه وأنتم كارهون ، وأردتم استعمار بلاد الشعب الفارسي بفرصة
الحرب العظمى فغادرتموه وأنتم عاجزون ، وأردتم إماتة الشعب التركي
بفرصة انكسار دولته فأحييتموه وأنتم مرغمون ، وخذعتم أكثر رؤساء
الشعب العربي بالاموال ، والتغريب بالوعود والآمال ، فسترون سوء
العاقبة والآل ، وأنتم الغارمون الراغمون ، الا ان ترجعوا عن سياستكم
فيهم ، قبل أن يخرج الامر من يديكم ، وأنتم بذلك جديرون .

اغتر العرب بوعودكم ، ووثقوا بعودكم ، ووالاكم بعضهم على أهل دينهم ،
وساعدوكم على احتلال أخصب بلادهم ، فكان جزاؤهم منكم ، شراً من جزاء
من قاتلوكم بسيفهم ومدا فعمهم ، ولم تقفوا عند حد في النكاية بهم ، واتخاذ

الوسائل للاستيلاء على جزيرتهم، بعقد المعاهدات السياسية والامتيازات في بلادهم، وإلقاء العداوة والشحناء بين الشافعية والزيدية في اليمن، وبين السنية والشيعة في العراق ونجد، وبتجديد شعوب آشورية وكلدانية في العراق، لعدم نجاح إلقاء الشقاق بين العرب والاكراذ، وبايجاد شعب يهودي في فلسطين، يعادي أهلها في أمري الدنيا والدين، وأنتم مع هذا تمشون على العرب بتحريرهم من الرق، وانقاذهم من الترك، وتطالبونهم بالحمد والشكر، لأنهم في نظركم قوم لا يعقلون، (كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون)

ولم أر ظملاً مثل هضم ينالنا يساء الينائم تؤمر بالشكر لقد جئت ايتها الحكومة البريطانية في فلسطين، بمشار شرور لم يأت بمثله احد من الظالمين، الا وهو محاولة انزعاع شعب من وطنه او وطن من اهله، وإحلال شعب آخر في محله، وإيقاد نار العصية الدينية بين اليهود والعرب وسائر الامة الاسلامية، ومن يشايعها من الشعوب المسيحية، فان غرض اليهود من تجديد ملكهم في هذه البلاد، لا يتم الا بالاستيلاء على المسجد الأقصى لاعادة هيكل سليمان، واذا تمت لهم القوة لا يأمن المسلمون أن ينسفوه نسفاً، فيذروا أرضه قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عرجاً ولا أمتاً، ثم يبنوا بأنقاضه هيكلهم، ويذبحوا لدى صخرته قرايينهم، فاذا عجز أهل فلسطين عنهم، بنصركم أيهم وحمايتكم لهم، فماذا يفعل سائر العرب والعالم الاسلامي بقوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى)؟ ثم ماذا يفعلون بما ورد في الاحاديث النبوية التي لا أذكرها لكم، لئلا ندعوا أنني أريد بها الاغراء الذي تطرق

سياستكم أبوابه ، وتمهدله أسبابه ، على أنها مشهورة في كتب السنة ، التي يتداولها جميع علماء الملة ؟

أما يكفيكم رفع علمكم وعلم اليهود حيث ثالث الحرمين ، وأولى القبلتين ، حتى عمدتم الى جعل الحرمين الشريفين تحت سيادتكم ، ومهانين بالعدول عن تأمين الله لهما الى تأمينكم وحمايتكم ؟

أما ترجمون هذا الشيخ الكبير المستبد برأيه ، المغرور بنفسه ، المحتقر لقومه وأهل ملته بالافتيات عليهم ، بالتصرف بمهد دينهم وقبلة صلاتهم بدون اذنتهم ، الذي ضحى نفسه في سبيلكم ، غرورا بوعودكم وعهودكم ، فأصبح عدوا لأمراء الجزيرة ، ومضغة في أفواه مسلمي المعمورة ، تنبزه أفواههم وأقلامهم باللقاب ، ويكيلون له الذم والتريب بغير حساب ، بما والاكم ونصركم ، وجعل ما لا يملك من بيت الله تعالى وقبر رسوله (ص) تحت وصايتكم ؟ وتمهده ببذل ما جعلتم له من النفوذ الصوري على تأييد نفوذكم في الحرم الثالث (الاقصى) وفي العراق ، حيث مشاهد آل بيت الرسول عليه وآله وعليهم السلام ، وإقراركم على الوفاء لا خلافتكم الفرنسيين في استعمار سورية ؟ وهل يكفيهم من جزائكم على ذلك اعترافكم له بتسميته لنفسه بملك العرب ، وقد جعلتموه به عدوا لمسلمي العرب والعجم ؟ وهل العرب من رعاياكم ، حتى تولوا عليهم من شتم من صنائعكم ؟

أيها الشعب الانكليزي الحكيم ! اعلم أن حكومتك الحاضرة ، إنما تضم الالغام لذسف ماشيدته لك حكوماتك الغابرة ، اعلم أنها تصطنع ثلاثة رجال تعادي بهم ثلاثمائة مليون ، اعلم أن نصبها حسين بن علي

ملكاً على الحجاز لا يعطيه من السلطة الشرعية المطلقة ما يجعل له أدنى حق أو امتياز فيه ، اعلم أن سيد العرب والعجم ، وخاتم رسل الله الى جميع الامم ، لم يجعل لنفسه حقاً بأن يحتجر مكاناً صغيراً في (منى) من أرض الحرم ، يتخذ فيه مظلة تقيه حر الشمس ، ولما سئل ذلك قال « منى مناخ من سبق » ، ومقتضاه أنه اذا جاء تهر من حجاج الصين وسبقوا الى النزول في المكان الذي ينصب فيه أمير مكة - أو ملك الحجاز - خيامه فليس له أن يخرجهم منه ، أفيملك أن يجعل لغير المسلمين حق حمايته أو أدنى امتياز فيه ؟ كلا إن كل ما تقدمونه معه في ذلك سيكون قصاصة ورق ، لا يملك تنفيذه أحد

بل اعلم أيها الشعب الحكيم وأعلم حكومتك بما لا يمكن ان تعلمه حق العلم الا منك ، لانها تحتقر جميع البشر من دونك : لا أقول أعلمها بأنه لا يوجد مسلم قوي الاسلام ولا ضعيفه يرضى بأن يكون لاي دولة غير مسلمة أدنى سلطة أو نفوذ أو امتياز في الحجاز ، أو يجوز لمن نصبتموه ملكاً عليه أن يعقد معكم أي عهد أو اتفاق على شيء من تلك البلاد ، أو يسكت له على ذلك أو على فرض الضرائب على الحجاج ، أو على جعل حكومته دولة حرية تعاوي من تشاء وتوالي من تشاء

لا أقول لك أيها الشعب الحكيم أعلمها بذلك ، فانها تعلمه ، ولكنها لا تبالي بعاقبته - بل أقول لك أعلم وأعلم حكومتك بالحقيقة التي لعلمها لم تعلمها ولم تسمع بها قبل هذا الخطاب

اقول لك أعلم وأعلم حكومتك ان العالم الاسلامي لا يرضى لمهد دينه وموضع إقامة شعائره الا أحد أمرين لاثالث لهما

(احدى) أن يكون الحجاز في كفالة خليفة المسلمين عند ما تتجدد الخلافة الاسلامية على وجهها الشرعي ويبايع الخليفة أهل الحل والعقد من أمراء المسلمين الحاكمين وزعماء بلادهم في جزيرة العرب وغيرها من البلاد الاسلامية الحرة على السمع والطاعة بشروطها الشرعية ، ويكون له دولة قوية تستطيع حماية الحجاز وغيره بقوتها الذاتية ، وهذا ما يجب على المسلمين السعي اليه وقد شرعوا فيه ، ولا يعلم غير الله متى يدركونه ، وانما نعلم كما تعلم الحكومة البريطانية أنه لن يرضى شعب من الشعوب الاسلامية ان يكون حسين بن علي بن عون خليفة للمسلمين ، وإن لقبه ابنه عبد الله او جميع أولاده وصنائعهم بأمر المؤمنين

(الثاني) أن يكون الحجاز قطرا سلميا على الحياد باعتراف جميع الدول الاسلامية وغير الاسلامية : لا يعتدي ولا يعتدى عليه ، ولا يقاتل ولا يقاتل ، ولا يكون لفرد من الافراد ولا لشعب من الشعوب ولا لدولة من الدول امتياز فيه . وان تكون له حكومة اسلامية شورية لحفظ الامن ، وإقامة العدل ، وتسهيل سبل الحج ، وتعمير البلاد ، وتنفيذ مضمون قوله تعالى (سواء العاكف فيه والباد) . وأن يكون لهذه الحكومة مجلس شوري مؤلف من أشراف الحجاز وعلمائها بالانتخاب ، ومن أعضاء مختارين من علماء جميع الشعوب والاقطار التي تحج بيت الله الحرام ، وتزور حرم رسوله عليه وآله الصلاة والسلام ، — كاليمن وعسير ونجد وسورية والعراق ومصر وسائر اقطار افريقية والترك والفرس والافغان والهند وجاوه والصين — وان يكون لهذه الحكومة حرس مؤلف من الحجازيين ومن جند الحكومات الاسلامية المستقلة ، التي لاسيطرة فعلية

عليها لدولة أجنبية، كحكومات جزيرة العرب والترك والفرس والافغان ومصر (التي سيتم استقلالها في هذا العام بمشيئة الله)

وهذا هو الممكن الآن الذي يجب على العالم الاسلامي ان يبادر الى السعي اليه ، ووضع النظام له والسمي لتنفيذه ، وهو فاعل ان شاء الله تعالى ، وحينئذ تعلم الدولة البريطانية ان لم تعلم اليوم ان سمسارا اسمه (ناجي الاصيل) لا يستطيع ان يضع معاهدة بين حسين بن علي موكا و بين وزارتي المستعمرات والخارجية البريطانيتين في شأن الحجاز وبلاد العرب بحيث تنفذ على الامة العربية والشعوب الاسلامية كلها ، وتذل رقاب ٣٠٠ مليون من المسلمين لها

لقد أسرفت الحكومة البريطانية في احتقار العالم الاسلامي اذ ظنت ان خضوع هذا الرجل وأولاده لها يجعلها قيمة ووصية على البلاد الحجازية ، وسيدة للامة العربية ، وستعلم وتعلمون ان هذا الاحتقار ، وما يبنى عليه من الاعمال ، لن يفيدها الا اسراف العالم الاسلامي كله في عداوتها ، ويضل سعيها في حمل ناجي الاصيل على بوارجها الحربية وغير الحربية ، في سبيل استخدامها لياه بين لندن ومكة ،

سيعقد مؤتمر اسلامي حر يقرر أمر الحجاز وحكومته وحرسه على القاعدة التي أشرنا اليها ، اذ لا سبيل الى انقاذه وحرите بدونها ، وسيبلغ قراره لحكومة الحجاز الحاضرة ولجميع الدول ولا سيما ذوات الرعايا من المسلمين . ولا يسمع الدولة البريطانية حينئذ الا احد أمرين : اما نصر صنيعتها حسين بن علي بن عون ، الذي تهدت بحماية الحجاز له لتكون لها السيادة على الحرمين الشريفين ، ان لم يكن بابرام المعاهدة الجديدة ، فبما يسميه

هو مقررات النهضة المعروفة (١) — ولما النزول على ارادة العالم الاسلامي وانتظار حكمه، تفاديا من اظهار عداوتها له ولدينه. أفليس الخير لها أن تنفض يدها من هذه المعاهدة وامثالها اختيارا ، قبل ان تضطر الى اقرار إحدى الخطتين اضطرارا ؟

ثم اعلم أيها الشعب الانكليزي الحكيم أن كل ما تنفقه حكومتك الحاضرة من اموالك لاجل السيطرة على بلاد العرب واحتكار خيراتها ستضيع كما ضاعت الاموال التي بذلتها في سبيل الحجاز ، فياكم أن تتبعوها فتبدلوا اموالكم في تأليف الشركات ، لما عقدته أو تعقده لكم في جزيرة العرب من الامتيازات ، فانكم لن تنالوا من هذه الامتيازات — والحالة هذه — الا الخسار أيها الشعب الانكليزي العاقل ؟ إن حكومتك تعلم أن صاحب هذا الخطاب صدوق لا يكذب ، وصريح لا يخدع ولا يختل ، فانه بين لرجالها خطاأهم في المسألتين العربية والاسلامية قولا وكتابة ، وظهر لها صدق اقواله ، وصواب آرائه ، ولكن لم تعمل بها ، لمخالفتها لاهوائها ومطامعها ، فاذا رأيت تأثير هذا الخطاب في شعبها ، فستقول له انه خطاب عدو لها ، وما هو بعدو لا احد ولكنه صديق لامته وملكته ، ويرى ان من الممكن ان يكون الشعب الانكليزي (ودولته من ورائه) صديقا لها أيضا ، ويرغب كغيره من عقلاء الامة في ذلك ، ويعلم أن رجال هذه الدولة يعرفون الوسيلة المثلى لتحقيق هذه الصداقة ولا يتغونها ، وان كانوا يدعونها ، لانهم ألفوا سياسة قديمة لا يتركونها ، ولكن الشعب الانكليزي اذا

(١) ان من مواد مقررات النهضة التي بني عليها أمير مكة ثورته أن تكون البلاد العربية وفي مقدمتها الحجاز بمنزلة القاصر في حجر الدولة البريطانية وأن على هذه الامة حيازة الداخل والخارج حتى في قمع الفتن والثورات الداخلية والاهلية

عرفها ، فلا يعز عليه أن يوجد لها ، لأن من عاداته أن يساير طبيعة الاجتماع
لا أن يعاندها ، وسأبينها له في خطاب آخر كما بينتها لحكومته من قبل
في مذكرات آخرها (مذكورة في بيان رغائب العرب والمسلمين السياسية)
أرسلتها الى الوزير لويد جورج في يونيو سنة ١٩١٩ وحماتها اليه رجل
من كبار الانكليز : وسأذكر خلاصتها اسك ، فاما أن نجد فيكم من يقدر
أن يجمع بين مصلحتنا ومصلحتكم ، وأما نياش منكم كما يشنا من
حكومتكم ، والياش احدى الراحتين : والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان
الا على الظالمين

صاحب المنار الاسلامي

محمد رشيد رضا

دعوة عامة

من المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى في فلسطين

لمبارة الحرم القدسي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

هو سبحانه الذي أمرى بعبده ايلا من المسجد الحرام الى المسجد

الاقصى الذي باركنا حوله ، انريه من آياتنا انه هو السميع البصير ﴿

سورة الاسراء

الى اخواننا المسلمين في اقطار الارض عامة تقدم هذه الدعوة الشاملة

بلفت أنظارهم الى أولى تبتلين ، وثالث الحرمين الشريفين ، المسجد الاقصى الذي

بارك الله تعالى حوله وجعله آية من آياته الكبرى

وبعد . فان الحرم الشريف المشتمل على مسجد ذي الاقصى المبارك، والصخرة الشريفة وما يحتويان من المباني البديعة ، والكنوز الفنية القيمة النادرة المثال هو عرضة لكارثة عظيمة قد تأتي عليه اليوم أو غداً فلا يبقى منه الا أثره (لا سمح الله) وذلك أن بنيانه المتين قد تصدع في بعض أقسامه المهمة كقبة الاقصى التي لم يخلق مثلها في البلاد نفاسة وبهاء واتقاناً فانها آيلة للسقوط من جراء تأثير العوامل الطبيعية عليها كالمطر والشمس والثلج والاعاصير الشديدة التي تقبت ما يكتننها من صنائع الرصاص، ونخرت ما قامت عليه من الاخشاب منذ زمن بعيد. وكذا قبة الصخرة الشريفة وأعمدتها وما يستر جوانبها من القاشاني الفاخر. وما يزينها من الفصوص المذهبة المنقطعة النظير الى غير ذلك مما يوشك أن ينهار من هذين المعبدتين الجليلين اللذين تشد اليهما الرحال من أقصى المعمورة واستنزال روحانية الله تعالى ونبيه الكريم (١) صلى الله عليه وسلم في ظلها (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)

أما قيمته الفنية فحدث عنها ولا حرج ويكفيك في بيان عظمتها تقاطر الناس لمشاهدتها من كل فج عميق قترى المشاركة والمعاربة والمسلمين وغير المسلمين يؤمنونها زرافات ووحداً للتمتع برؤية أبداع ما وصل اليه السلف الصالح من الفنانين المسلمين في هندسة المباني وقدره حق قدره

ولقد أحس القائمون على الحرم الشريف بتصدع مبانيه قبيل الحرب الكبرى فقدر الخبيرون من المهندسين اترميمه بعد الكشف عليه نحو خمسة وثلاثين ألف

(١) المنار : هذه العبارة منتقدة لفظاً ومعنى ولعله وقع فيها تحريف كما وقع في الآية التي افتتح بها الكلام وصححناه . فالروحانية لا تضاف الى الله تعالى ولعل أصلها لاستنزال رحمة الله تعالى وروحانية نبيه بمعنى دعاء الله بانزال رحمته وامداد الداعي بروح الحق النبوية . والظاهر أن المفتي الفاضل كتب الأصل ولم يصححه عند الطبع

جنيه فخالت الظروف السيئة دون الشروع بذلك، وازداد التصديع ابان الحرب
فقدر ما يلزم لعمارته اذ ذاك بنحو خمسة وسبعين ألف جنيه . ولما وضعت الحرب
أوزارها وتألف المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى كشف على البناء ثلاثة فاذا به يحتاج
نحو مئة وخمسين ألف جنيه على أقل تعديل . فصرف المجلس همهته للشروع في
الترميم حالا خوفا من اتساع الخرق، وتفاقم الخطر ، ودعا لك الغرض أكبر رجال
الفن لدرس الموضوع والمباشرة في العمارة فألف هيئة تحت رئاسة الاستاذ المعماري
القدير كمال الدين بك الذي استدعي حالا من دار الخلافة للقيام به . هذا العمل
الخطير، فلبى الطلاب وشرع مع أعضاء هيئته بوضع الخطط اللازمة ووفق المجلس
الاسلامي الاعلى بمده بما تصل اليه يده من فضلة أموال الاوقاف المحلية غير أن
مال الاوقاف في فلسطين قليل لا يكاد يكفي لعشر معشار ما يقتضيه مثل هذه
العمارة العظيمة فرأى المجلس الاسلامي أن يستصرخ جميع الامم الاسلامية جماعات
وأفرادا لم يد المعونة والاشتراك في حفظ هذا المكان المقدس الذي يعطف
عليه ثلاثمائة مليون من البشر كاهم متساوون في احترامه وتقديسه والغيرة عليه
من أن تصل اليه يد البلى والاندثار

فالبدار البدار معاشر اخواننا المسلمين الى هذا العمل الصالح والمأثرة الحسنة
ولتجد كل نفس بما تقدر عليه عاجلا اذ خير البر عاجله واذكروا قوله تعالى (انما
يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) وفقنا الله واياكم جميعا لعمل الخير
وخير العمل انه سميع مجيب .
الفقير اليه تعالى

مفتي الديار المقدسية ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى

محمد أمين الحسيني

(المنار) المسجد الاقصي الذي شرفه الله بذكره في كتابه كما شرفه بمجمله
البيت الثاني من بيوت عبادته التي سخر لوضهها ورفع قواعدها لاول مرة رسله
الكرام ، وجعلها ارثا باقيا لاقامة الاسلام ، وقد بذل ملوك المسلمين في بنائه
وتشييده الوف الالوف من الدنانير وأهرقوا في سبيل حفظه وحمايته دماء مئات

الالوف من مجاهديهم ، وقد أمسى الآن عرضة للخراب كالذهب من ايديهم ، اذا لم يتداركوا أمره بالتعاون بينهم ، ولا يخفى أن كل مساعد علي تجريد بنائه وحفظه يكون شريكاً في الاجر لمن سبقهم في ذلك من رسل الله تعالى والمجاهدين في سبيله من المؤمنين ، وجديراً بحسن الذكر بالحق في الآخرين ، واولى الناس بالسبق الى ذلك امراء المسلمين وملوكهم وكبار زعمائهم ، وقد سبق ملك مصر الى العطف على هذا العمل ووعد بمساعدته ومساعدة حكومته له ولا غرو فمدر اولى بالسبق لما لهذا المسجد الشريف عليها من حق الجوار ، ولما لها فيه من تالذ الاثار ، وكيف وهذا الاثر العظيم الذي تفتخر به المدينة العربية الاسلامية قد بني بمال مصر اذا أرصد له خراجها سبع سنين كما هو مبين في الخلاصة التاريخية التالية وستؤلف في مصر لجنة لجمع الاعانة تحت رعاية الملك . ومن بلغت هذه الدعوي في أي قطر من الاقطار ووقفه الله تعالى لاجابئها فليرسل ما تجود به نفسه حواله على احدى المصارف المشهورة في القدس الشريف (فلسطين) أو في لندن باسم رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في القدس محمد امين الحسيني

صفة المسجد الاقصى الشريف

وخلاصة تاريخية له (١)

(١)

جمال الحرم وجمال مبانيه الفنية

للمباني التي يتألف منها الحرم الشريف جمال وجلال يشعر بهما حالا كل من يتاح له التمتع بمشاهدته أيا كان سواء في ذلك العالم والجاهل ، الكبير

«١» من الرسالة التي نشرها المجلس الإسلامي الاعلى مع الدعوة

والصغير ، المسلم وغير المسلم . فاذا سرح الطرف متأملاً في عجائب صنعها ازداد تأثره ، واتسع شعوره وحلق وجدانه مرتقياً من الحسن الى الاحسن ومن السامي الى الالهي ، فيخشع قلبه وتحل عليه روحانية لطيفة تسمو بنفسه الى ادراك حقائق الدين ودقائق معانيه ونيل مقاصده ، الى غير ذلك مما يدل على بلوغ فنائي العرب والمسلمين الغاية القصوى في الاتقان والابداع

فالدخول الى الحرم المكرم من أي باب من أبوابه المباركة تأخذه روعة المقام الشريف اذ ينبسط أمامه مشهد من مشاهد السعة والصفاء رحب فسيح ينشرح له الصدر ، وينجلي بمرآة الدهن فلا يلبث النظر أن يرسل رائده الى ماحوله من المباني الفخمة المتنوعة بتناسب تام من مربع الى مسدس الى مشمن الى مستطيل الى كروي الى اسطواني . . . على أشكال وأوضاع متلازمة آخذ بعضها برقاب بعض تسر الناظرين ، وتسبح بحمد رب العالمين

وترى أروقة ممتدة على جوانب الساحة يتخللها النور والهواء فتزل على النفس السكينة والهناء ، وقبها عظيمة تحنو على ما تحتها من المعابد ولا حنو الام على فطيمها ، وأساطين شاهقة ترفع مافوقها بقوة ومثانة ، وأعمدة هيفاء مختلفة الاشكال والالوان ، قامت صفوفا متزاوجة توحى الى القلوب الاحترام وحب النظام ، وما آذن تخترق الفضاء ، وتمعن في العلاء ، لتكون رسولا بين الارض والسماء ، ومناديا ينادي الناس كل يوم خمس مرات « بحى على الصلاة ، حي على الفلاح » ومقاصير وفساقي ، وادراجا ومراقى ، ومنابر خاشعة ، تنلى عليها المواعظ الحسنة ومحاريب ساكنة يستقبل فيها المصلون وجه ربك ذي الجلال والاكرام ، ويذكرون فيها اسمه تبارك وتعالى في الغدو والآصال

وكل ذلك قد أحكم بناؤه من حجر منقوش ، أو مرمر مسنون ، أو خزف مصقول ، أو خشب منجور ، أو صفر مطلي بالفضة أو مكسو بالتبر ، أو فص مذهب يعلوه التزيين والتلوين ، والتشجير والتزهير ، والتذهيب والترصيع ، والوشي والزخرفة والتنميق . . . فاذا أشرقت الشمس وامتزج نورها بتلك

الترا كيب الهندسية البديعة رأيت لها لا لاء يأخذ الابصار ويملا الجوانح وينقل
النفوس الى نعيم قدسي لا يدرك كنهه ، ولا يعرف سره ،
فتبارك الله أحسن الخالقين

المساحة — السور — الابواب

يقع الحرم القدسي الشريف على مساحة مربعة طول الجهة الغربية منها (٤٩٠)
مترا والشرقية (٤٧٤) مترا والشمالية (٣٢١) مترا والجنوبية (٢٨٣) مترا يحيط بها
سور يتراوح ارتفاعه بين (٣٠) مترا (عند الزاوية الشمالية الشرقية) و (٤٠) مترا
(في الجنوب الشرقي) ويبلغ بعض الحجارة فيه نحوه أمتار طولها في أربعة أمتار عرضا
وحول السور من جهة الغرب والشمال أروقة فسيحة معقودة يتخللها بعض
أبواب الحرم وهي ١٤ بابا الم شروع منها احد عشر وهي :

١ — في الجهة الشمالية : باب الاسباط ، وباب حطة ، وباب شرف الانبياء
أو الدويدار (العثم)

٢ — في الجهة الغربية : باب الغوانمة (وكان يسمى قديما باب الحليل)
وباب الناظر أو البصير (كان يسمى قديما بباب ميكائيل) وباب الحديد ، وباب
القطانين ، وباب المتوضأ ؟ وبابا السلسلة والسكينة (وهما متلاصقان) وكان باب
السلسلة يعرف قديما بباب داود ، وباب المغاربة (وكان يسمى بباب النبي)
ومن الابواب غير المشروعة بابا الرحمة والتوبة المعروفان بباب الذهب
وهما في السور الشرقي للحرم الشريف ، وباب آخر في السور القبلي

قبة الصخرة

شيد جامع الصخرة الشريفة على صحن مربع مفروش بالبلاط المصقول
طوله من القبلة الى الشمال اكثر من عرضه من المشرق الى المغرب وارتفاعه
٣ أمتار يصعد اليه بادرأج من الجهات الاربع : اثنان منها في الجهة الشمالية ،
رواحد في الجهة الشرقية ، واثنان آخران في الجهة الجنوبية ، وثلاثة في الجهة

الغربية ، وقد عقد على كل درج من أعلاه قناطر هيفاء، محمولة على أعمدة من رخام وأركان من البناء، فكان كل قنطرة منها إطار يبدو منه للرائي عن كثب منظر جامع للقبّة و بدائعها الرائعة

والقبّة قائمة على بناء فخم مشن الشكل ذرع كل تهيئة منه (٢٩) ذراعا وثلاث ذراع أو ٢٠ مترا و ٤٠ سنتيمترا ، وقد كسي القسم السفلي من ظاهره بالرخام الابيض المشجر والقاشاني البديع الذي يتفرق فيه ماء الالوان المتزاوجة من لازوردي صاف، وأخضر قاتم، وأبيض ناصع، يغلو ذلك شبه أفريز رسمت عليه آي القرآن الكريم بخط جميل ، وقد صنع هذا القاشاني العجيب في أيام السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٩ للهجرة

والقبّة سقفتان من خشب (التوب) أحدهما فوق الآخر بينهما خلاء متسع فالما الخارجي منهما فمكسو بشقائق الرصاص من الخارج وأما الداخلي فمدهون مذهب ، وسيأتي وصف ذلك

وتحتوي كل تهيئة من البناء على سبع طاقات التي لا باب فيها وعلى ست التي لها باب والطاقات المحاذية لأطراف التهيئات مسدودة كلها والآخرى مركب عليها الزجاج والشبابيك الحديد وشكلها الحاضر يدل على أنها جددت في القرن العاشر الهجري (أي في القرن السادس عشر للميلاد)

ولجامع الصخرة أربعة أبواب مزدوجة داخلا وخارجا مربعة الشكل بعقود مقوسة وهي : —

باب الجنة في الشمال ، وباب النساء في الغرب ، وباب داود أو باب السلسلة في الشرق ، وباب القبلة في الجنوب ، وأمام هذا الباب الأخير من الخارج رواق مفروش بالرخام عليه سقف مكسو بالقاشاني في وسطه قنطرة معقودة والسقف محمول على ثمانية أعمدة من الرخام مختلفات في النوع واللون ، وللباب المذكور مصراعان ملبسان بالنحاس الأصفر المنقوش، عليها أقفال نفيسة متقنة الصنع وأما الابواب الثلاثة الأخرى فيرجح أنها كانت مثل الباب القبلي وهي الآن لأروقة لها

ويبلغ دور البناء من الداخل ٥٣ متراً ، وهو مقسم الى ثلاث دوائر يفصل بعضها عن بعض صفان مستديران من الاعمدة والاركان يتألف الاول منهما من ثمانين سوارى مسدسة الاضلاع و ١٦ عموداً منها (أبيض وأزرق) عشرة ، و (أخضر مرسيني) ثلاثة ، و (شحم ولحم) (١) ثلاثة ، والصف الثاني مؤلف من أربع سوارى مربعة الاضلاع ، واثنى عشر عموداً ، منها سبعة (أخضر مرسيني) وخمسة (شحم ولحم)

والسوارى ملبسة بالرخام المشجر والملون البديع ، والاعمدة قديمة جداً واكثر تيجانها تدل على أنها من الطراز الروماني أو البيزنطي القديم ، ويربط أعمدة الصف الاول بعضها ببعض وبالسوارى (بساتل) « ٢ » ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش المذهب. وتحمل هذه الاعمدة مع جدار الجامع سقفاً مائلاً بعض الميل مدهونا بأنواع الدهان قائماً على قناطر مرصعة بالفص المذهب متصل طرفة الاعلى بكرسي القبة

وبزین باطن القبة مجموعة لا نظير لها من الفصوص الملونة تمثل ٦٤ شكلاً من الزخارف على نحو ما كان يصنعه فنانون البيزنطيين وهي مركبة على سطح موشي بالذهب يأخذ بعصر الناظر ولبه . وفي كرسي القبة ست عشر طاقة زجاج مذهبة يعلو كل منها طبقة من الجبس مقسمة عيوناً ، طاقة بقطع الزجاج المختلفة الالوان والاشكال تنفذ منها أشعة الشمس صافية ملطفة بفضل الواح الزجاج الخارجية والمشبكات المصنوعة من القاشاني . وعلى هذه الطاقات نقوش تدل على أنها صنعت في زمن السلطان سليمان سنة ٩٤٥ هجرية كما أن المرمر الذي يكسوها انما ركب في زمن (السلطان) صلاح الدين وجدد في أيام السلطان سليمان المذكور

« ١ » جمع (بسلة) وهي عارضة من حديد تصل ما بين الاعمدة ولعلها فارسية وقد وردت في كتاب « مسالك الأبصار في الممالك والأمصار » لابن فضل الله العمري « ٢ » المنار: المراد بالشحم واللحم ما كان حجيرها ذا بقع بيض وحمراً على هيئة الشحم مع اللحم

والصخرة الشريفة واقعة داخل درابزين (١) من خشب منقوش مدهون بأنواع الدهان طولها ١٧،٧٠ مترا وعرضها ١٣،٥٠ مترا وارتفاعها عن الارض يبلغ نحو ١،٢٥ متر الى مترين وينزل الى المغارة التي تحتها باحدى عشرة درجة من جهة القبلة ، وعند باب المغارة قنطرة معلقة بالرخام العجيب على عمودين وباطنها محرابان كل محراب على عمود رخام لطيفين وامام المحراب اليمين صفة تسمى مقام الخضر يواجهها عمود رخام قائم للسقف وآخر راقد ، وفي الركن الشمالي منها صفة تسمى مقام الخليل

وجميع باطن أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام وفي وسط المغارة بلاطة مستديرة ينبعث عنها اذا تقرر عليها رنين تنجاوب اصداؤه وهذا يدل على خلو ما تحتها . وحول الدرابزين الخشبي مصلى النساء وهو محاط بالقضب الحديدية من جميع جهاته وله أبواب أربعة لا يفتح منها عادة الا الباب الغربي الموازي لباب النساء وهو من عمل الصليبيين ابان احتلالهم بيت المقدس

صفة المسجد الاقصى

يقع المسجد الاقصى جنوبي جامع الصخرة وطوله ٨٠ مترا وعرضه ٥٥ مترا ما عدا ما أضيف اليه من الابنية

وأول ما يقابلك من المسجد الاقصى عند الدخول اليه من الجهة الشمالية رواق كبير أنشأه الملك المعظم عيسى بن أبي نكر بن أيوب صاحب دمشق سنة ٦٣٤ هجرية وجدد من بعده وهو مؤلف من سبع قناطر عقدت على ممشى ينتهي الى سبعة أبواب كل باب يؤدي الى (كور) من (أكوار) المسجد السبعة ، وللمسجد عدا هذه الابواب باب في جهة الشرق ، وآخر في جهة الغرب ، ومدخل الى المكان المعروف بجامع النساء ، فيكون مجموع ما للمسجد من الابواب عشرة والبناء قائم على خمسة وأربعين عمودا منها ثلاثة وثلاثون من (١) الدرابزين كلمة اعجمية يمكن أن يجعل محلها كلمة كفاف بالكسر

الرخام واثنى عشر مبنية بالإحجار وهي تحت (الجملون «١») والعمود الاخير مبني بالحجارة أيضا وموضعه عند الباب الشرقي تجاه محراب ذكريا ، وهذه الاعمدة قديمة نقلت في الغالب من انتقاض أبنية متنوعة اقدم عهدا من الحرم ، وفوق الاعمدة قناطر عريضة حديثة العهد تربط بعضها ببعض أخشاب ضخمة مستطيلة وفوق القناطر صفان من الطاقات ، الدلوية منها تفتح على الخارج والسفلية على (الاكوار) داخل المسجد وباطن السقف مكون من عوارض كلها من الخشب

وعدة ما في المسجد من السواري أربعون وهي ضخمة مربعة الشكل مبنية بالحجارة

وباقصى البناء من جهة الجنوب قبة مرتفعة مزينة بالفصوص الملونة المذهبة وهي مما رمه صلاح الدين الايوبي. وذلك في سنة ٥٨٤ هجرية كما أنه رمم أكبر جناحي المسجد. والقبة والجناح على الغالب انما صنعوا في خلافة المهدي بعد تهدم المسجد بفعل الزلازل. وهي كقبة الصخرة من خشب مكسوة بصفائح الرصاص من ظاهرها وبالفص المذهب من باطنها. ومجدد هذه التزيينات هو الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٨ للهجرة كما يفهم ذلك من الكتابة التي عليها وهناك آيات قرآنية كتبت بخط كوفي على جانبي المحراب. والمحراب قائم على أعمدة لطاف من المرمر وبجانبه المنبر وهو من الخشب المرصع بالعاج والآبنوس أمر بصنعه خصيصاً لبيت المقدس الملك العادل نور الدين الشهيد وهو بحلب سنة ٥٦٤ هـ فلما فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين أمر باحضاره ونصبه في المكان الموجود به حالا

ويقابل المنبر دكة المؤذنين وهي على عمد من رخام في غاية الحسن وبداخل المسجد من جهة الغرب جامع النساء او الجامع الابيض وهو عبارة عن عشر قناطر على تسع سواري في غاية الاحكام بناه الفاطميون. ومن

« ١ » الجملون من اوضاع العامة وهي تعني السقف المحدث

(المنار : ج ٦) (٥٨) (المجلد الرابع والعشرون)

جهة الشرق جامع عمر وهو معقود بالحجر والجير سمي بذلك لانه بقية من الجامع الذي بناه عمر رضي الله عنه حين الفتح . والى جانب هذا البناء ايوان كبير معقود يسمى مقام عزيز وبه باب يتوصل منه الى جامع عمر وبجوار هذا الايوان من جهة الشمال ايوان لطيف به يسمى محراب زكريا عليه السلام وهو بجوار الباب الشرقي

وفي صحن المسجد الاقصى شمالا بركة مستديرة من رخام سورت بالقضب الحديدية يقال لها الكاس ياتيها الماء بانابيب خاصة من عبون جارية بالقرب من برك المرجع المسماة ببرك سايمان أهمها عين عطاب ووادي الآبار وغيرها . ومنها يتوضأ المصلون

ومن الآثار المهمة في الحرم الشريف : البناء السفلي المعقود بالحجر والجير المعروف عند الافرنج باصطبل سليمان عليه السلام وهو عبارة عن مهد عيسى ومحراب مريم والمعقود الواسعة التي يقوم عليها المسجد الاقصى . وكذا البراق الشريف وهو في السور الغربي وجامع المغاربة ، والمدرسة النحوية (المعظمية) وفيها اليوم دار كتب المسجد الاقصى وهي من ابناء الملك المعظم (سنة ٨٣٠٤هـ) ومنبر القاضي برهان الدين بن جماعة ومحرابه وقبة السلسلة وهي شرقي قبة الصخرة وعلى شكلها . صنعت في أيام عبد الملك بن مروان . وقبة المعراج (سنة ٥٩٧ هـ) وسبيل قايتباي (سنة ٨٨٧ هـ) وما يحيط بالحرم الشريف من المدارس القديمة كالمدرسة التنكزية وفيها اليوم المحكمة الشرعية والمدرسة المنجكية وفيها المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى والرباط المنصوري في باب علاء الدين وغير ذلك من الآثار الاسلامية والاماكن التاريخية

(لالكلام بقية)

فاتحة كتاب الخلافة — أو الامامة العظمى

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ
إِمَامًا، قَالَ : وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ، قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (٢: ١٢٣)
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي
ارْتَضَىٰ لَهُمْ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ
بِي شَيْئًا، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٢٤: ٣٥)
وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ
دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ، أَذَرَبُكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ
رَحِيمٌ (٦: ١٦٧)

هدانا الكتاب الحق، والنظر في تاريخ الخلق، الى الاعتبار بخلافة
الشعوب بعضها لبعض، في السيادة والحكم في الارض، وبخلافة الافراد
والبيوت في الشعوب، وما فيها من حق مشروع وتراث منصوب،
والى ما للرب تعالى في ذلك من الحكم والسنن الاجتماعية، والاحكام
والسنن الشرعية، ومن العهد بالامامة العامة لبعض المرسلين، والوعد
بالاستخلاف وارث الارض لعباده الصالحين

ومن تلك السنن العامة ابتلاء بعض الشعوب ببعض، ليظهر أيها أقوم
وأقرب الى العدل والحق، فيكون حجة له على الخلق، ولينتقم من

الظالمين، تارة بأمثالهم من المفسدين، وتارة باضدادهم من المصلحين، وتكون عاقبة التنازع للمتقين، فالمتقون هم الذين يتقون باب الخيبة والفشل، ويسرون على سنن الله الشرعية والكونية في العمل، والصالحون هم الذين يمتنبون الفساد، ويسلكون سبيل الرشاد، ويقومون بما عوج من أمر العباد عهد الله تعالى بالامامة العامة لنبيه وخليفه ابراهيم، وللعادلين من ذريته غير الظالمين، (١) فوعد بها قوم موسى من بني اسرائيل، وقوم محمد من بني اسماعيل، قال تعالى في الوعد الاول (٢٨ : ٤) ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) وقال في الوفاء به (١٣٦ : ٧) وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا) الآية وقال في الوعد الثاني (٢٤ : ٣٥) وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذين ارتضى لهم) الخ وقد صدق الله هذه الامة وعده ووفى لها،

(١) ذكر أبو بكر الجصاص من أئمة الحنفية في القرن الرابع في كتابه (احكام القرآن) ان في قوله تعالى لا ابراهيم (لا ينال عهدي الظالمين) إجابة لسؤاله أن يجعل من ذريته أئمة وتعرفنا له بذلك، وبأن الظالمين منهم لا يكونون أئمة. ثم قال فلا يجوز أن يكون الظالم نبيا ولا خليفة انبي ولا قاضيا ولا من يلزم الناس قبول قوله في امور الدين من مفت أو شاهد أو مخبر عن النبي (ص) خيرا فقد افادت الآية ان شرط جميع من كان في محل الائتمام به في أمر الدين العدالة والصلاح الخ وذكر القاضي البيضاوي ان الجملة تفيد اجابة ابراهيم الى ما تمسه وان الظالمين من ذريته لا ينالون الامامة لأنها امانة من الله وعهد. وان الفاسق لا يصلح للامامة هـ مالم خصا والمراد ان امامة غير العدل لا تصح فلا يكون اماما شرعيا لانها لا تقع. وقد نقل الجصاص وغيره عن ابن عباس (رض) انه قال : لا يلزم الوفاء بعهد الظالم فان عقد عليك في ظلم فانه فضه

كما وفى لمن قبلها ، ثم سلبها جل ما أعطاهها ، كما عاقب بذلك سواها ، اذ نقضت عهدها كما نقضوا ، وفسقت عن أمر ربها كما فسقوا ، واغترت بنسبها وبكتابها كما اغتروا ، وإنما ناط تعالى إرث الارض ، بإقامة الحق والعدل ، وبالصلاح والاصلاح لا مور الخلق ، واستثنى من نيل عهده الظالمين ، وتوعد بسلبه من الفاسقين ، وكان الواجب عليها أن تعتبر بذلك فتشوب الى رشدها ، وتتوب الى ربها ، عسى أن يرحمها ، ويتم آخرها ، ما أنجز من عهده لاولها ، ولكنها لما تفعل ، وعسى أن تفعل ان المريض الجاهل بمرضه لا يطلب له علاجاً ، وان من يطلب العلاج من غير الطبيب العارف بمرضه لا يصيب نجاحاً ، وان داء المسلمين ودواءه مبين في كتابهم المنزل ، ولكنهم حرموا على أنفسهم العلم والعمل به ، استغناء عنهم بفقهاء المقلدين وكتبه ، ويمكن العلم بهما مما أرشدهم اليه الكتاب من السير في الارض ، للنظر في أمور الامم والاعتبار بسنن الله في الخلق ، ولكنهم قلما كانوا يسيرون ، واذا ساروا قلما ينظرون ويعتبرون الاسلام هداية روحية ، وسياسة اجتماعية مدنية ، أكمل الله به دين الانبياء ، وما أقام عليه نظام الاجتماع البشري من سنن الارتقاء ، فأما الهداية الدينية المحضة فقد جاء بها تامة أصلاً وفرعاً ، وفرضاً ونقلاً ، اذ مدارها على نصوص الوحي ، وبيان الرسول (ص) لها بالقول والفعل ، ولما طرأ الضعف على المسلمين جهلوا هذا الاصل ، فغلا بعضهم في الدين ، فزاد في أحكام العبادات والمحرمات الدينية ، والمواسم والاحزاب والاوراد الصوفية ، ما الفت فيه المجلدات ، ويستغرق العمل به جميع الاوقات ، ويستلزم جعله من الدين نقصان دين الصحابة والتابعين اذ لم يكن لديهم شيء

منه ، ولو اشتغلوا بمثله لما وجدوا وقتا لفتح البلاد ، واصلاح أمور العباد
وأما السياسة الاجتماعية المدنية فقد وضع الاسلام أساسها وقواعدها ،
وشرع للامة الرأي والاجتهاد فيها ، لأنها تختلف باختلاف الزمان والمكان ،
وترتقي بارتقاء العمران وفنون العرفان ، ومن قواعده فيها أن سلطة الامة
لها ، وأمرها شوري بينها ، وإن حكومتها ضرب من الجمهورية ، وخليفة
الرسول فيها لا يمتاز في أحكامها على أضعف أفراد الرعية ، وإنما هو منفذ
لحكم الشرع ورأي الامة ، وأنها حافظة للدين ومصالح الدنيا ، وجامعة
بين الفضائل الادبية ، والمنافع المادية ، وممهدة لتعميم الاخوة الانسانية ،
بتوحيدمة ومات الامم الصورية والمعنوية . ولما طرأ الضعف على المسلمين
قصرُوا في إقامة القواعد والعمل بالاصول ، ولو أقاموها لوضعوا لكل
عصر ما يليق به من النظم والفروع ،

ظهرت مدنية الاسلام مشرقة من أفق هداية القرآن ، مبنية على
أناس البدء باصلاح الانسان ، ليكون هو المصلح لامور الكون وشؤون
الاجتماع ، فكان جل اصلاح الخلفاء الراشدين إقامة الحق والعدل ،
والمساواة بين الناس في القسط ، ونشر الفضائل ، وقمع الرذائل ، وإبطال
ما أُرهِقَ البشر من استبداد الملوك والامراء ، وسيطرة الكهنة ورؤساء
الدين على العقول والارواح ، فبلغوا بذلك حداً من الكمال ، لم يعرف
له نظير في تاريخ الامم والاجيال ، واستتبع ذلك مدنية سريعة السير ،
جامعة بين الدين والفضيلة ، وبين التمتع بالطيبات والزينة ، ارتقت فيها
العلوم والفنون بسرعة غريبة ، حتى قال الفيلسوف المؤرخ موسيو
غوستاف لوبون في كتابه (تطور الامم) : إن ملكة الفنون لم تستحكم لامة

من الأمم فيما دون الثلاثة الأجيال الطبيعية إلا للعرب ، ويعني بالثلاثة الأجيال : الجيل المقلد ، والجيل المخضرم ، والجيل المستقل
لقد أتى على الناس حين من الدهر وهم يظنون أن المدنية الإسلامية قد ماتت وبليت فلا رجاء في بعثها ، وأن المدنية الأوروبية قد كسبت صفة الخلود فلا مطعم في موتها ، ثم استدار الزمان ، وظهر خطأ الحساب ، وكثر في حكماء أوربة وعلمائها ، من يرتقب اقتراب أجل مدنيتهما ، بما يفتك بها من أوبئة الأفكار المادية ، والروح الحربية ، والمطامع الشعبية ، والاسراف في الشهوات الحيوانية ، وقد كان من أساطين أهل هذا الرأي شيخ فلاسفة العصر هربرت سبنسر الانكليزي مؤسس علم الاجتماع ، وكثر أهله بعد الحرب الكبرى ، لما ترتب عليها من المفاصد التي لا تحصى ، فقد أرثت الاحقاد والاضغان بين الشعوب الأوروبية ، وضاعفت المفاصد والمشاكل المالية والسياسية ، ولكنها قد هزت العالم الإسلامي والشرق كله هزة عنيفة ، وأحدثت في شعوبه ثورات لم تكن مألوفة ، فسئحت له فرصة للعمل ، هي مناط الرجاء وقوة الأمل

إن أعظم مظاهر هذه الفرصة نهضة الشعب التركي من كبوته التي قضت على السلطنة العثمانية ، وتوثيقه عرى الإخاء بين الدولتين الإيرانية والأفغانية ، وبثه دعوة الاعتصام مع سائر الشعوب الإسلامية الأعجمية ، ونجاحه في إلغاء الامتيازات الأجنبية ، والنقص من سائر القيود والأغلال السياسية والمالية ، فرجاؤنا فيه أن يشد أواخي الإخاء مع الأمة العربية ، ويتعاون معها على إحياء المدنية الإسلامية ، بتجديد حكومة الخلافة على القواعد المقررة في الكتب الكلامية والفقهية ، وإن

لا يرضى بما دون ذلك من المظاهر الدنيوية ، ولا يغتر بتحييد عوام المسلمين لما قرره في أمر الخلافة الروحية ، فما أضعاف على المسلمين دنياهم ودينهم ، الاتحييد دهائمهم لكل ما فعله حكوماتهم ودولهم ، وناهيك بشعور المسلمين ، الذين يثبطون من أثقال حكم المستعمرين ، إنه شعور شريف ، وإنما يعوزه الرأي الحصيف ، فقد كان السواد الأعظم من هؤلاء الملايين ، يرمي من يخالف أهواء السلطان عبد الحميد بالخيانة أو المروق من الدين ، وهو السلطان الذي أقنع جمهور ساسة التراك باسقاط سلطة السلاطين ، الذي تحمده اليوم هذه الملايين ، وما لهم بهذا ولا ذاك من علم ولا سلطان مبين أيها الشعب التركي الحي ! ان الاسلام اعظم قوة معنوية في الارض ، وانه هو الذي يمكن أن يحيي مدينة الشرق وينقذ مدينة الغرب ، فان المدينة لا تبقى الا بالفضيلة ، والفضيلة لا تتحقق الا بالدين ، ولا يوجد دين يتفق مع العلم والمدينة الا الاسلام ، وإنما عاشت المدينة الغربية هذه القرون بما كان فيها من التوازن بين بقايا الفضائل المسيحية ، مع التنازع بين العلم الاستقلالي والتعاليم الكنسية ، فان الأمم لا تنسل من فضائل دينها ، بمجرد طروء الشك في عقائده على اذهان الافراد والجماعات منها ، وإنما يكون ذلك بالتدريج في عدة اجيال ، وقد انتهت التنازع ، بفقد ذلك التوازن ، وأصبح الدين والحضارة على خطر الزوال ، واشتدت حاجة البشر الى اصلاح روحي مدني ثابت الاركان ، يزول به استعباد الاقوياء للضعفاء ، واستبدلال الاغنياء للفقراء ، وخطر البلشفية على الاغنياء ، ويبطل به امتياز الاجناس ، لتتحقق الاخوة العامة بين الناس ، ولن يكون ذلك الا بحكومة الاسلام ، التي بيناها بالاجمال في هذا الكتاب ، ونحن مستعدون للمساعدة على تفصيلها ، اذا وفق الله للعمل بها ،

أيها الشعب التركي الباسل : انك اليوم اقدر الشعوب الاسلامية، على ان تحقق للبشر هذه الامنية ، فاعتصم هذه الفرصة لتأسيس مجد انساني خالد ، لا يذكر معه مجدك الحربي التالد ، ولا يجرم منك المتفرنجون على تقليد الافرنج في سيرتهم ، وانت اهل لان تكون اماما لهم بمدينة خير من مدينتهم ، وما تم الا المدينة الاسلامية ، الثابتة قواعدها المعقولة على أساس العقيدة الدينية ، فلا تزلزلها النظريات التي تعبت بالمران ، وتفسد نظم الحياة الاجتماعية على الناس .

أيها الشعب التركي المتروي ! انهض بتجديد حكومة الخلافة الاسلامية ، بقصد الجمع بين هداية الدين والحضارة لخدمة الانسانية ، لا لتأسيس عصبية اسلامية تهدد الدول الغربية ، فان فعلت ذلك واثبت اخلاصك وصحة نيتك فيه ، فانك تجد من علماء الافرنج وفضلاء احرارهم من يشد أزرك ، ويرفع ذكرك ، ويدفع عنك تهمة الساسة المفترين ، واغراء الطامعين المفردين .

أيها الشعب التركي العاقل : لاني أهدي اليك هذه المباحث التي كتبتها في بيان حقيقة الخلافة وأحكامها ، وشيء من تاريخها وعلوم مكانتها ، وبيان حاجة جميع البشر اليها ، وجناية المسلمين على أنفسهم بسوء التصرف فيها ، والخروج بها عن موضوعها ، وما يعترض الآن في سبيل احياؤها ، مع بيان المخرج منها ، بما اشرع السبيل ، وأنازل الدليل ، بمقال وسطيين الاجمال والتفصيل ، جامع لآراء العارفين بمصالح الدنيا وحقيقة الدين ، نخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ، وانما الشكر لها ، بالعمل بها (ولمذا تأذن رؤسكم لئن شكرتم لا زيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)

(المنار : ج ٦) (٥٩) (المجلد الرابع والعشرون)

ذكرى رينان في الجامعة المصرية

محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق في رينان والافغانى

كلمة المنار في المحاضرة (*)

(٣)

﴿ الشاهد السادس ﴾

﴿ من العدد السابع من العروة الوثقى المؤرخ في أول مايو سنة ١٨٨٤ ﴾
موضوع المقالة الاجتماعية لهذا العدد عقيدة (القضاء والقدر) ذكر فيها انها
من أصول عقائد الدين الاسلامي التي ارتقى بها المسلمون وكانوا من أعظم
الفاخرين ، وانه لولا ما طرأ عليها من الالتباس ببدعة الجبر لما حل بالمسلمين من
الضعف والفقر ما حل بهم ، وزعم من زعموا انها هي التي كانت سبب ضعفهم
وتدهورهم . وهالك بعض عباراتها في ذلك

«أما ما زعموه في المسلمين من الانحطاط والتأخر فليس منشؤه هذه العقيدة
ولا غيرها من العقائد الاسلامية ، ونسبته اليها كنسبة التقيض الى تقيضه ، بل
أشبه ما يكون بنسبة الحرارة الى الثلج والبرودة الى النار . نعم حدث للمسلمين
بعد نشأتهم نشوة من الظفر ، وتمل من العز والغلب ، وفاجأهم وهم على تلك الحال
صدمتان قويتان : صدمة من طرف الشرق وهي غارة التتر من جنكيز خان
واحفاده وصدمة من جهة الغرب وهي زحف الامم الاوربية بأسرها على ديارهم .
وان الصدمة في حال النشوة تذهب بالرأي وتوجب الدهشة والسبات بحكم الطبيعة ،
وبعد ذلك تداولتهم حكومات متنوعة ، وسد الامر فيهم الى غير أهله ، وولي على
أمورهم من لا يحسن سياستها ، فكان حكمهم وأمرؤهم من جرائم الفساد في
أخلاقهم وطبائعهم ، وكانوا مجلبة لشقائهم وبلائهم ، فتمكن الضعف من نفوسهم

وقصرت انظار الكثير منهم على ملاحظة الجزئيات التي لا تتجاوز لذته الآتية، وأخذ كل منهم بناصية الآخر يطالب له الضرر ويلتمس له السوء من كل باب، لا لعلة صحيحة ولا داع قوي، وجعلوا هذه ثمرة الحياة قال الامر بهم الى الضعف، والقنوط وأدى الى ما صاروا اليه

«ولسكني أقول وحق ما أقول: ان هذه الملة لن تموت ما دامت هذه العقائد الشريفة آخذة مأخذها من قلوبهم، ورسومها تلوح في أذهانهم، وحقائقها متداولة بين العلماء الراسخين منهم. وكل ما عرض عليهم من الامراض النفسية والاعتلال العقلي فلا بد أن تدفعه قوة العقائد الحقبة ويعود الامر كما بدأ، وينشطوا من عقابهم، وينهضوا مذاهب الحكمة والتبصر في انقاذ بلادهم، وارهاب الامم الطامعة اليهم وايقافها عند حدها» اهـ

الشاهد السابع

﴿ من العدد الثامن المؤرخ في ٢٢ مايو سنة ١٨٨٤ ﴾

موضوع المقالة الاجتماعية في هذا العدد المقابلة بين ماضي المسلمين وحاضرهم في العلم والعرفان، والسيادة والسطان، والقوة الحربية، البرية والبحرية، وبيان سبب ما كان من الارتقاء الماضي، والحدور والضعف التالي، فذكر ان علة علل الضعف تفرق السلطنة وتعدد الملكية، وتنازعهم الذي فرق الكلمة، حتى شغلوا بأنفسهم عن أعدائهم ثم صاروا ينصرون أعداءهم على أنفسهم، استعانة بهم على استبقاء سلطانهم، والتفوق على أقرانهم من اخوانهم،

قال في هذا السياق «أما وعزة الحق ومير العدل، لو ترك المسلمون وأنفسهم بما هم عليه من العقائد مع رعاية العلماء العاميين منهم، لتعارفت أرواحهم، وأثقلت آحاديهم، ولسكنوا أسفاه، وتخللهم أولئك المفسدون الذين يرون كل السعادة في لقب أمير أو ملك ولو على قرية لا أمر له فيها ولا نهى

« هؤلاء هم الذين حولوا أوجه المسلمين عما ولاهم الله وخرجوا على ملوكهم وخلفائهم ، حتى تناكرت الوجوه واختلفت الرغائب
ثم قال في الخاتمة « إن القرآن حي لا يموت ، ومن أصابه نصيب من حمله فهو محمود ، ومن أصيب بسهم من مقتله فهو ممقوت ، كتاب الله لم ينسخ فارجعوا اليه وحكموه في أحوالكم وطبائعكم وما الله بغافل عما تعملون . ولعل أمراء المسلمين قد وعظوا بسوء منة أعمال السالئين ، وهموا بملافة أمرهم ، قبل أن يقضي عليهم ، بما رزى به المفرطون من قبلهم » الخ

الشاهد الثامن

﴿ من العدد التاسع المؤرخ في ٥ يونيه سنة ١٨٨٤ ﴾

موضوع المقالة الاجتماعية لهذا العدد ، ما يجب من التعاون على طالب السيادة والغلب ، واتقاء سوء المنقلب ، وما جاء فيها :
« ان الميل للوحدة والتطلع للسيادة ، وصدق الرغبة في حفظ حوزة الاسلام ، كل هذه صفات كامنة في نفوس المسلمين قاطبة ، ولكن دهمهم ما أشرنا اليه في أعداد ماضية . فألهامهم عما يوحى به الدين في قلوبهم » الخ

الشاهد التاسع

﴿ من العدد العاشر المؤرخ في ١٩ يونيه سنة ١٨٨٤ ﴾

موضوع المقالة الاجتماعية لهذا العدد : الامل الذي يبعث على العمل ، وطالب المجد المؤثل ، والياس المميت لاهمهم ، والقاتل الامم ، وفيها الحجاج من آيات القرآن ومن العقل والوجدان ، على أن اليأس لا يجتمع مع الايمان في قلب إنسان ، وحث المسلمين عامة والتماء خاصة على الرجوع الى هداية الكتاب والعمل بها وهي الضامنة لهم إعادة ملكهم واسترجاع مجدهم .

وفيه مقال آخر عنوانه (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم)
ولا يخلو من شاهد ولكننا نود الاختصار

الشاهد العاشر

﴿ من العدد الخامس عشر المؤرخ في ١١ سبتمبر سنة ١٨٨٤ ﴾

في هذا العدد عدة مقالات اجتماعية اصلاحية اسلامية في كل منها شواهد على
ما نحن بصدد بيانه من حصر السيد جمال الدين كل ما ينبغي المسلمون من عز
ومجد وحضارة وسيادة في هداية دينهم نكتفي منها بالكلمة الآتية التي نجعلها
خاتمة الشواهد وهي :

« لو تدبرنا آيات القرآن واعتبرنا بالحوادث التي ألت بالممالك الاسلامية .
اعلمنا أن فينا من حاد عن أوامر الله وضل عن هديه ، ومنا من مال عن الصراط
المستقيم الذي ضرب به الله لنا وأرشدنا اليه ، وبيننا من اتبع أهواء الانفس وخطوات
الشيطان . (ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
وان الله سميع عليم) فعلى العلماء الراسخين وهم روح الامة وقود الملة المحمدية
أن يهتموا بتنبيه الغافلين عما أوجب الله ، وإيقاظ النائمة قلوبهم عما فرض الدين ،
ويعلموا الجاهل ، ويزعجوا نفس الداهل ، ويدكروا الجميع بما أنعم الله به على
آبائهم ، ويستلفتوهم الى ما أعد الله لهم لو استقاموا ، ويحذروهم سوء العاقبة لو لم
يتداركوا أمرهم بالرجوع الى ما كان عليه النبي وأصحابه ، ورفض كل بدعة ،
والخروج عن كل عادة سيئة لا تنطبق على نصوص الكتاب العزيز ، ويقصوا
عليهم أحوال الامم الماضية وما نزل بها من قضاء الله عند ما حادت عن شرائعه
ونبتت أوامره ، فاذا قم الخزي في الحياة الدنيا - لعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون -
« على العلماء أن يزيلوا اليأس بتذكير وعد الله — ووعد الحق — في قوله
(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين
من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) هذه

وظيفة العلماء الراسخين وما هم بقليل بين المسلمين ولا نظنهم يتهاونون فيما فوض الله اليهم وكل الى ذمتهم، وهم أمناء الدين وحملة الشرع ورافعو لواء الاسلام وأوصياء الله على المؤمنين، أعانهم الله على خير أعمالهم، ونفع المؤمنين بارشادهم»

خلاصة الكلام في السيد جمال الدين

قد علم من هذه الشواهد صحة ما حققناه من أن السيد جمال الدين الافغاني كان يعتقد اعتقاداً راسخاً أن الاسلام هو الذي أحيا الأمة العربية الامية التي كانت بعيدة عن الحضارة وجعلها بارشاد القرآن المنزل، وهدى النبي المرسل، وسيرة السلف الاول، أرقى أمم الارض علماً وحكمة وحضارة، وأن كل ما يذمها به رينان اليوم فسببه محصور في تركها لتلك الهداية، لا من العمل بها، ولا غرو فان بقاء الشيء ببقاء سببه وعلمته، وأن الأمة العربية هي التي أحبت كثيراً من الشعوب الاعجمية وأنقذتهم من الذل والمهانة التي كانوا يساؤونها من ملوكهم وكننتهم، وأن هؤلاء الاعاجم هم الذين تغلبوا على الحضارة العربية بالقوة الوحشية حتى هدموها، وانه لا يمكن أن يعود المسلمين مجددهم وحضارتهم وعلمهم وحكمتهم الا برجوعهم الى هداية دينهم

فسقط بهذا كل ما قاله رينان وعلم به خطأ استنتاج الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق مما فهمه من كلام السيد أنه تطور بعد زيارته لباريس في أواخر سنة ١٨٨٣ وتغير رأيه في الاسلام فصار يعتقد أنه مناف للعالم والحضارة

الرد على رينان

بعد هذا نلخص ما أورده الشيخ مصطفى من طعن رينان في الاسلام نفسه ونبين بطلانه بغاية الإيجاز، من غير خروج عن الموضوع ولا استطراد فنقول (١) «بدأ رينان محاضراته بالنظر فيما عليه المسلمون في هذا العصر من الانحطاط في العلم والمدنية وملاحظة اتصال ذلك بالدين» كما قال صاحب

المحاضرة. ثم تقل عنه أنه زعم أن هذه الدول الإسلامية المنحطة في هذا العصر لا تستقي معارفها وآدابها من غير الدين - وأن الذين زاروا الشرق استرعى نظرهم ما يجعل المؤمن الصادق الايمان لا ينجو من ضيق العقل، وأن الطفل الذكي التنبيه اذا لقي دينه في سن العاشرة أو الثانية عشرة انقلب متعصبا بملؤه زهو طائش بما يزعم أنه الحقيقة المطلقة

والجواب عن هذا أننا لا ننكر أنه يئلب على المسلمين الجهل وضيق العقل في هذا العصر، وإنما ننكر أن سبب هذا ما لقنوه من أصول دينهم وآدابه، بل سببه الحق عدم تلقين عامتهم اياه ولا تربيتهم على ذلك وحمل طلاب العلم منهم على التقليد الذي أجمع أئمة دينهم على أنه ينافي العلم، وعبروا عنه بالجهل، واختلفوا في ايمان المقلد فبعضهم قال أنه لا يعتد به وهم أكثر المتقدمين، وقال بعض آخر إنه يصح اذا اتفق انه لقن الحق وجزم به، واحتج من لا يقول بصحة ايمان المقلد ولا يعتد بدينه بما شنع القرآن على التقليد والمقلدين وجعل التقليد منافيا للعلم والعقل بمثل قوله (٢: ١٦٩) واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون (ون

(٥: ١٠٧) واذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون)

دع الآيات الكثيرة الناطقة بالمطالبة بالبرهان وبالعلم وبعدم الاعتداد بالظن في الحق وسواء كان إيمان المقلد صحيحا أو غير صحيح، فإن الجاهلين من رؤساء المسلمين لم يحجوا عليهم جناية أضر عليهم في دينهم ودنياهم من نسخ ما شرعه الله وفرضه من العلم بالبرهان، واستبداهم اياه التقليد الاعمى الذي ألزمهم قبول كل قول ينتسب صاحبه الى المذهب الذي ينتمي اليه قوم الناشئ أو شيرته، اذ أدى ذلك الى أخذ الاسواد الاعظم من المسلمين وهم الاميون بالرغم من بعثة رسولهم لا بطلال الامية بقول آباؤهم وأمهاتهم وما عليهم من الجهل والخرافات بل غلب عليهم التقليد في علوم الدنيا وفنونها وصنائعها حتى صاروا عالة على غيرهم في كل شيء

ان فلسفة ريتان، وعلمه النزر بالتاريخ وتعاليم الاديان، وجهله المطلق بالقرآن، تحول دون فهمه لهذه الحقيقة حتى بعد تنبيه السيد جمال الدين اياه لها، كما فهمها غوستاف لوبون وسديو من علماء قومه وكثير من علماء الشعوب الغربية الاخرى (٢) شامة للمسلمين وينزهم بالقصاب الزهو والطيش والحق والغرور والتعصب لا اعتقادهم أن دينهم هو « الحقيقة المطلقة » (قال) هذا الغرور الاحق هو اكبر عيوب المسلم وما يلوح من بساطة دينه يلهمه احتقارا لساير الاديان غير وجيه وجوابنا عن هذا : هل جهل الفيلسوف ان كل ذي دين يعتقد أن دينه هو الحقيقة المطلقة ؟ أم بلغ من عقله وفلسفته أن يظن أن المؤمنين بالاديان ينظرون اليها بامين التي ينظره بها امثاله من المعطلة فيرون أنها كالعادات القومية تحترم كلها مجاملة، ويستعجن منها كلها ما يستعجن فلسفة ؟ وإذن يجب أن يكون الناس كلهم فلاسفة مثله ! ولكن من يرى هذا فاجدر به أن يكون جاهلا غيبا لا فيلسوفا وهذا وان المسلمين أعلى أهل المال كلها آدبا في مخاطبة المخالفين لهم في الدين، ومراعاة لشعورهم في التعبير عن دينهم، وأصدقهم في النقل عنهم، فإن كابرنا في هذا أحد قايأنا بانكر ما ينكرونه على علمائنا في الرد على المخالفين لهم عامة، وعلى النصارى منهم خاصة، ونحن فأتبه بامثلة مما كتب أعظم رجال الدين ورجال الدنيا من الاوريين في الكذب والبهتان على الاسلام والايداء لاهله بأشنع المطاعن البذيئة، يعلم بها الفرق

لقد بلغ من علو آدابنا الدينية وتنزهنا عن انتعصب المذموم - دون المحمود - أن أقتى بعض فقهاءنا بتحريم مخاطبة الذمي والمعاهد بلب الكافر اذا كان يتأذى به، لان الله تعالى حرم ايداءهم ولان وصف القرآن اياهم بالكافرين لم يكن سبا ولا شتما بل بيان لعدم ايمانهم بما شرعه من نصديق ورسله (ص) بانزه الالفاظ في اللنة وهو لفظ الكفر المرادف للتعطية والستر، كما سمي الزراع كفارا في قوله تعالى (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) لانهم يكفرون الحب الذي يزرعونه بالتراب، وبطلق لفظ الكافر في لغتنا على الليل وعلى البحر

باب المراسلة والمناظرة

﴿ تهورات أدعياء العلم في الموصل ﴾

لاحد العلماء الاعلام

ولو أني بليت بهاشمي خؤولته بنو عبد المدان

لهان علي ما ألقى ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

ما اكثر الادعياء أدعياء العلم والادب في هذا العالم ، وما أعظم افسادهم
لسنن السكون وتكديروهم صفو الحياة ؟

كل يوم تفرع صفا اسماعنا أخبار الغوائل والبوائق التي تصدر منهم والشُرور التي
يأتونها، والمخازي التي يرتكبونها، والمحارم التي يستحلونها. وهم دائبون في ذلك آناء
الليل واطراف النهار لا يردعهم رادع من دياتهم ، ولا يزعمهم وازع من أنفسهم،
أوائك الذين لا هم لهم في حياتهم الا اصطيا دطائر الرزق من منصب يجلسون على
منصته ويطلبون به الجاه والدنيا . ووظيفة ينالون بها - مطامع أنفسهم الخبيثة .
المطبوعة على الطبع والدنس وارتكاب الرذائل والدنايا

وليس لهم هم بغير رئاسة وما همهم الا صدور المناصب

طرق سمعنا قبل أيام نبأ حادثة صدرت من بعض الادعياء المتقمصين بثياب
أهل العلم، والمترددين باردية أهل الزهد من أهل الموصل . فلم نتثق به ولم نؤمن
لانه نبأ لو تعلمون عظيم، ذلك النبأ هو تكفير أعظم علماء الاسلام واجلهم
قدرا وأرفعهم ذكرا . الا وهو المجدد العظيم والمصلح الكبير محيي الدين
وفليسوف الاسلام الامام تقي الدين أبو العباس احمد ابن تيمية رضي الله عنه
والامر باحراق بعض كتبه ومؤلفاته التي تمزق حجب الاوهام والشكوك ، وتبدد
سحب الضلالة المتلبدة في سماء الافكار ، وتنقي العقائد من الشوائب . وتهدي
لتي هي أقوم . حتى ورد كتاب من ثقة في الموصل الى أديب موصل يذكّر فيه
تلك الحادثة وتلك العثرة التي لا يقال لصاحبها لها . ومما جاء فيه :

من عشرين يوماً وردت الى احد العلماء مجموعة في فلسفة الدين من تأليف الامام ابن تيمية مطبوعة في المنار على نفقة احد التجار الاخيار وفقاً لله تعالى . وقد حصل في الموصل لتوزيعها تأثير شديد خاصة على من لم يوافقهم نبذ الخرافات حتى آل الامر الى اجتماع بعض من يدعي العلم بذلك الفاضل الذي وردت اليه الرسائل (في دار النقيب) والكلام معه بجمعها واحراقها وتكفير صاحبها واعنه على المنابر . وبعد القرار قصر واعن جمعها واحراقها خوفاً من الفتن والقلاقل لان بعض الاهالي المذهبيين ، والشبان المتنورين . كانوا مناصرين لنشرها ومعارضة من يمد يده اليها بسوء » الخ . فانظر رعاك الله الى هذه الفعلة الهمجية هل رأيت أو سمعت عن البربر باتيان مثلها بل بارتكاب امر أقل منها خطراً ؟

متى كانت كتب الدين وفلسفته التي تأمر باتباع الكتاب والسنة وتنهى عن البدع والمنكرات تحرق ويلعن اصحابها فوق المنابر ؟ ولا سيما مثل كتب المجدد الاعظم امام الائمة تقي الدين احمد بن تيمية الذي أحيا الدين ونشر أعلامه على ربوع الاسلام ، وتلقت أقواله الناس بالقبول وأخذت بها ورجعت اليها في كل عصر ومصر . وأكبر دليل على ذلك وأعظم برهان هو اقبال الناس على طبع كتبه في مصر والهند والعراق وسورية وقازان وغيرها (وأهل قازان اليوم يتبعونه بدلاً من اتباع الامامين الاشعري والماتريدي كما يعلم من الكتاب الذي ألفه أحد علمائهم الاعلام بلغة (الجاغثاني) وقد سماه بابن تيمية حتى إن بعضها نفذ وأعيد طبعه ومنها هذه الرسائل التي يأمر الادعياء بحرقها . طبعها بعض كرام المصريين وأفاضلهم فنفذت بمدة وجيزة فازداد اشتياق المذهبيين الذين هداهم الله الى نبذ التقاليد القديمة التي وجدوا عليها آباءهم وتمسكوا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها . فطبعها بعض التجار الابرار مع رسائل أخرى في التوحيد والاصلاح وفقاً لله تعالى باشر مطبعة اسلامية ألا وهي مطبعة المنار ، لأعظم رجل مصاحح الا وهو العلامة رحلة أهل الآفاق السيد محمد رشيد رضا في أعظم بلدة اسلامية وفي منبع العلوم والعرفان ومحط الاجلة الاعلام وفطاحل الاسلام ، ألا وهي مصر ، ولم نر أحداً رأى فيها ما يضر

بالدين أوقام بمعارضتهم، والرد عليها وحكم بكفر صاحبها، ولعنه على المنابر، ولو كان فيها شيء من ذلك لكان الأستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي أولى بالمعارضة والرد، وهو الذي وقف محياه ومماته لله رب العالمين، في سبيل اصلاح المسلمين، والذب عن الاسلام ورد أباطيل المقترين على الدين المبين

عجيب وأيم الحق، يرتضيها الائمة الاعلام، وجهابذة الاسلام. ويتقبلونها قبولاً حسناً، يأخذون بها ويرجعون اليها في كل عصر ومصر، وتتذمر منها شرذمة جاهلية تدعي العلم، وليست منه ولا قلامة ظفر، فتقوم لها وتقعدها، وتبرق وترعدها وتهذي وتعموي، وتصرخ وتهرج

غيرة عظيمة منكم أيها الادعياء على الدين: تتذمرون من كتب التوحيد والاصلاح وتنهون عن مطالعتها، وتأمرون بحرقها، وتكفرون أصحابها على المنابر، والمبشرون اليوم أخذوا بنشرون رسائل بيدهم يظهرانيكم ويدعون شبانكم الى دين النصرانية، ويثيرون الدعوة الى دين التثليث، ونشروا منها ما نشروا في المدارس الابتدائية والكتاتيب قبل بضعة أيام، وأتم غاضون راضون، صم بكم عي لا تتكلمون، ولا نرى أحداً منكم ينبس ببنت شفة امامهم ويرد مطاعنهم ويذب عن الدين الحنيف وينتصر له

وهم يشهدون الطمن في دين أحمد
وتنظرهم ما بين كأس وطعام
فمن كان منهم غائباً مثل حاضر
وليس لهم هم بغير رئاسة
وما منهم من غاضب أو معاتب
وتشهدهم ما بين لاه ولاعب
ومن كان منهم حاضر أمثل غائب
وما همهم الا صدور المناصب

اذا كنتم أيها الادعياء تزعمون أنكم من خيل حلبة الفضل، وكعاة ميدان العلم والاصلاح، فاكتبوا رداً عليها وادعوه بما عندكم من الدلائل — ولا أراكم قادرين — فانا نجيبكم ان شاء الله تعالى على كل ما ترونها في نظركم القاصر مضراً ونبيين لكم خطأكم وجهلكم بالدليل والبرهان، فأني حاجة بعد الى الصراخ والعواء، والارعاد والابراق والسب والشتم، ومجاورة الحد في سوء الادب، وتويع الدائرة

في لعن العلماء الذين أحبوا الدين وجددوه، وتحريق كتبهم الهاذية الى سواء السبيل؟
فهل يعمد الى السب والشتم والافتراء والهدر إلا عاجز جاهل عيى أو صاحب
هوى يريد أن يفرق كلمة المسلمين ويشتت شملهم ويضعف قواهم في هذا اليوم
الا يوم؟ اليوم الذي نحن في حاجة كبيرة فيه الى جمع الكلمة واتة أليف بين المسلمين
الذين فرقهم أهل الأهواء والمطامع، وعبداء الدينار والدرهم، وعباد الملوك والسلطين
الجائرين « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم
اعداً فالق بين قلوبكم فاصبحتم بنعمة اخوانا » (بغدادى)

(المنار) ان محاولة بعض الموصوفين بالعلم جمع بعض الكتب التى لا توضيهم
من أيدي أهلها وإحراقها ولعن مؤلفيها - فضيحة من أقبح فضائح الجهل والغبوة
والعصبية العمياء ، وأمثال هؤلاء هم حجة رينان وأمثاله على الاسلام والمسلمين،
وهم الفئة التى كانت سبب ارتداد كثير من المتعلمين عن الدين ، ومن لطائف
المصادفات ان اضطررنا الى تأخير نشر هذه الرسالة حتى اتفق وضعها في اثر الرد
على الفيلسوف رينان ومن شبهائه ما لم يبين تحقيق الحق ومفاسد التابيس فيه أحد
من أئمة المسلمين كما بينها شيخ الاسلام ابن تيمية كسالة القدر التكويني والنشرى بهي
وما يجب الرضى به من الاول وما يجب كرهه ومقاومته (وسياتي في الجزء الآتي) فذمن
لا نقول هؤلاء الذين كادوا يجعلون اسم الموصل سبة في التاريخ لو نفذ رأيهم الافين:-
إنكم أخطأتم لان هذه الكتب من الكتب النافعة ، بل نقول لهم إنكم في بلاد
فيها اديان ومذاهب مختلفة وآراء متباينة ، فاذا ساغ لكل من أهلها أن يحرق
ما يخالف اعتقاده أو رأيهم كتبها لم يبق فيها كتاب ديني ولا علمي ولا أدبي ولا تاريخي
واذا ساغ لكم هذا وحدكم فن أنتم؟ وبأي سلطان استبدادي تحكمون، وحكومتكم
أباحث الطعن في دينكم وكتابكم ونبيلكم وأنتم راضون ساكتون؟ ان ما حاولتم
لايتم الا لحكومة شخصية مستبدة كحكومة اسبانية في القرون الوسطى وحكومة
الحجاز في هذا العصر . فانها هي التي تمنع أمثال هذه الكتب النافعة ، واما بلادكم
فلا يفوز فيها بعد اليوم الا ذو العلم الصحيح فتعلموا والا ضاع دينكم ودنياكم.

﴿ تظاهر العقل والشرع ﴾

اعلم ان العقل ان يهتدي إلا بالشرع والشرع ان يتبين إلا بالعقل والعقل كالاس والشرع كالبنية ولم يثبت بناء ما لم يكن اس ولم يغن اس ما لم يكن بناء. وأيضاً العقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن ينعم البصر ما لم يكن شعاع من خارج وان يغني الشعاع ما لم يكن بصر. فلهذا قال الله تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه) وأيضاً فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمدّه فما لم يكن زيت لم يشعل السراج وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت وعلى هذا نبه بقوله تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره الى - قوله - نور على نور) وأيضاً فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل وهما يتعاضدان بل يتجددان وليكون الشرع عقلاً من خارج سلب الله اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن نحو (صم بكم عمي فهم لا يعقلون) وليكون العقل شرعاً من داخل قال تعالى في صفة العقل (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل خلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فسمى العقل ديناً وليكونهما متحدين قال (نور على نور) أي نور العقل ونور الشرع ثم قال (يهدي الله لنوره من يشاء) فجعلهما نوراً واحداً ، فالعقل اذا فقد الشرع عجز عن أكثر الامور كما تعجز العين عند فقد النور واعلم ان العقل بنفسه قليل الغناء لا يكاد يتوصل الى معرفة كليات الشيء دون جزئياته نحو انه يعلم جملة حسن اعتقاد العقل (?) وقول الصدق وتعاطي الجليل وحسن استعمال المعدلة وملازمة العفة ونحو ذلك من غير أن يعرف ذلك في شيء شيء ، والشرع يعرف كليات الشيء وجزئياته ويبين ما الذي يجب أن يعتقد في شيء شيء وما الذي هو معدلة في شيء شيء ، ولا يعرف العقل مثلاً ان لحم الخنزير والحمر محرمان وانه يجب أن يتحاشى من تناول الطعام في وقت معلوم وأن لا ينكح ذوات المحارم وانه لا يجامع المرأة في حال الحيض فان أشباه ذلك لا سبيل اليها إلا بالشرك فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة ، والافعال

المستقيمة والدال على مصالح الدنيا والآخرة من عدل عنه فقد ضل سواء السبيل، ولا جيل أن لا سبيل للعقل الى معرفة ذلك قال تعالى (وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا) وقال (ولو انا اهل كتاب بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى) والى العقل والشرع أشار بالفضل والرحمة بقوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبتم الشيطان الا قليلا) وعني بالقبيل المصنطين الاخيار وبصدقه ما روى عنه الامام عليه افضل السلام: العقل عقلا ن، مطبوع ومسموع ، ولا ينفع المسموع مالم يكن مطبوع كما لا ينفع نور الشمس ونور العين ممنوع وقد ظهر مما ذكر ان أصحاب العقل قليل جدا وان من لم يهتد لنور الشرع ولم يطابقه عقله فليس من ذوي العقول في شيء، وان العقل فضل من الله ونور كما ان الشرع رحمة من الله وهدى ، وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ويهدي الله لنوره من يشاء (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور * والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

النجف (عبد المولى آل طريح قدس سره)

﴿ تقريظ المطبوعات الجديدة ﴾

﴿ مختصر شعب الايمان ﴾ — كتاب شعب الايمان للحافظ أبي بكر احمد البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ من أجل كتب السنة قدرا ، وأشهرها ذكرها ، وهو كبير يتألف من ستة مجلدات ، ولكن شعب الايمان التي صرح الحديث بأنها بضع وسبعون متفرقة في ذلك الكتاب الكبير ، غير مجموعة في مكان منه محصية بالعدد ، ليتمكن من حفظها أو الاحاطة بها كل أحد ، من غير تكلف ولا بذل جهد ، فاستخرجها منه الشيخ أبو جعفر عمر القزويني المتوفى سنة ٦٩٩ وجمعها في كتاب وجيز معدودة عدا ، مكتفيا بالاستدلال أو الاستشهاد على كل منها بآية من كتاب الله ، أو بحديث من أصح ما روي فيه على الأقل ، وربما زاد في بعض الشعب آية أو آيات ، أو حديثا أو كلمات ، أو حكاية أو حكايات ، أو بيتا أو

آيات ، كما قال . ومما مختصر شعب الإيمان .

طبع هذا المختصر بمطبعة السعادة على ورق جيد بقطع المنار مع تعليق عليه
لاخينا السلفي الشهير الشيخ محمد . نير أحد علماء الازهر الشريف فبلغت صفحاته
٩١ صفحة وهو يطلب منه ومن مكتبة المنار وثمن النسخة منه ستة قروش صحيحة
فبحث كل قارىء على اقتنائه ومطالعة

﴿ تلبس إبليس ﴾ كتاب جليل القدر كبير الفائدة للحافظ أبي الفرج عبد
الرحمن بن الجوزي في الارشاد الى التزام هداية لشرع باتباع أهل السنة والجماعة،
والتنفير عن البدعة والضلالة. وبيان ناشئ الباطل والضلال ، بما يلبس به الشيطان
على الناس ، حتى يوم كل فريق منهم بأنهم على الحق . أو بأن الخير والنفع لهم
فيما هم عليه دون غيره . ومباحثه تدخل في ١٣ بابا (١) في الامر بلزوم السنة
والجماعة (٢) في ذم البدع والمبتدعين (٣) في التحذير من فتن إبليس ومكائده
(٤) في معنى التلبس والفروور (٥) في تلبسه في العقائد والديانات وفيه الكلام
على الملل والنحل والمذاهب والفرق (٦) في تلبسه على العلماء في فنون العلم
ويدخل في العلماء المحدثون والمتكلمون والفقهاء والوعاظ والادباء وغيرهم (٧) في
تلبسه على الولاة والسلاطين (٨) في تلبسه على العباد في فنون العبادات (٩)
في تلبسه على الزهاد (١٠) في تلبسه على الصوفية (١١) في تلبسه على المتدينين بما
يشبه الكرامات (١٢) في تلبسه على العوام (١٣) في تلبسه على جميع الناس بطول الامل
طبع الكتاب في مطبعة السعادة بقطع المنار ونوع حر وفه فبلغت صفحاته
٤٤٠ مع الفهرس وجعل الاسم الاول له (نقد العلم والعلماء) وعني بتصحيحه أخونا
الشيخ محمد منير الدمشقي السلفي من علماء الازهر وهو يطلب منه ومن مكتبة
المنار وغيرها وثمن النسخة منه ١٦ قرشا صحيحا . فنصح لكل قارىء بمطالعة
﴿ هدي الرسول ﴾ مختصر وجيز لكتاب (زاد الماد ، في هدي خير
العباد) الذي هو اشهر كتب المحقق ابن القيم الممتازة بين كتب اكبر علماء
الاسلام في بيان ما صح في السنة ومع حكمته وموافقه لمصالح البشر . وهو
مجلدان كبيران في السيرة النبوية وحكمها وأحكامها وهدي الرسول (ص) في

العبادات والمعاملات والآداب ينبغي لكل مسلم ولكل من يحب أن يعرف الإسلام أن يقرأه كله ، وهو مطبوع في مصر وفي الهند ، فاحب الشيخ محمد أبو زيد أن يختصره لرغبة أكثر الناس في هذا العصر عن قراءة المطولات من كتب الدين ولا سيما إذا كان طبعها غير حسن وورقها غير جيد فاختصره اختصارا موجزا في مائتي صفحة ونيف من قطع المنار مع تعليقه ببعض الحواشي المناسبة لحال العصر في مواضع منه ، وافتتحه بخطبة بين فيها مكانة الأصل ووجه الحاجة إلى اختصاره والحث على إثاره على كتب الفقه المتداولة وذم هذه الكتب وطرق تعليمها وتعلمها في الأزهر وما يتبعه من معاهد التعليم الديني ، وبالغ في ذلك بما انتقدنا عليه بعضه وبعض تعليقه — وإن كان متبعا فيه للمنار لا مبتدئا — بأنه لم يراع فيه الحكمة والموعظة الحسنة في الكلام مع علماء هذه المعاهد وهو يطلب منهم تدريس مختصره فيها ، فهل هو يرجو منهم اجابة طالبه بهذه الصفة ، أم لا يقصد به الا اقامة الحجة عليهم ؟ على 'ن' في كلامه انكار ما ليس بمنكر كتقسيم الفقهاء ألفاظ الطلاق إلى صريح وكناية فقد جعله مما لا يكلف الله أحدا من الناس اتباعه. فهل ينكر أن في اللفظ صريحا وكناية أم يقول أن حكمهما واحد ؟ فإذا قال الرجل لامرأته أنت طالق ، أو قال امرأتي طالق ، ايفتي بوقوع الطلاق عليه أم لا ، وإذا كان قاضيا وثبت ذلك عنده بالاقرار أو البيعة في دعوى رفعتها المرأة ابحكم بالطلاق أم يقبل قول الزوج إنه لم ينوبه طلاقا ؟ وإذا قال الرجل لامرأته : الخني بأهلك — أو اذهبي إلى بيت أيك — وقال لم أنوبه الطلاق بل نويت ارسالها للزيارة أو لتكون هنالك مدة اعساري أو سفري مثلا — ايفتي وبحكم بوقوع الطلاق عليه والحالة هذه ؟ أم لا يفتي ولا يحكم بذلك وإن قال نويت به الطلاق ؟ الصواب أن هذا التقسيم مما يتوقف عليه العمل بأحكام الطلاق الثابتة في الكتاب والسنة والاجتهاد في بعض مسائله من قبيل الاجتهاد في معرفة القبلة

وقد عني جماعة من العلماء بطبع الكتاب في مطبعة المنار طبعًا حسنًا على ورق حسن. فنحث القراء على مطالعته وعسى أن يبعث ذلك همهم على مطالعة أصله . وهو يطالب من مكتبة المنار بمصر وعن النسخة منه ١٠ قرش .

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ
وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ

الْحِكْمَةُ

يُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَبِحَمْدِ
الْعَزِيزِ الْمُتَعَبِّدِ
أُولَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ هُمْ
وَأُولَ الْأَلْبَابِ

قال عباد الصلوة والسلام ان لا سلام صوري « وما » كذا الطبري

٢٩ ذي القعدة ١٣٤١ — ٢١ السرطان (ص ٢) سنة ١٣٠٢ هـ ١٤ يولية ١٩٢٣

فتاوى المنار

التصرف في الكون

(وحكم من ادعى ان الله اعطى حق التصرف في ملكه للسيد البدوي)

(س ٢١)

جاء في عدد جريدة الاهرام التي صدرت في ٢٤ ذى القعدة و٩ يوليو تحت عنوان « افتونا برأيكم » رسالة من مراسلها في بركة السبع هذا نصها « حدث أمس في جامع الدبابة نزاع بين المصلين سببه أن امام البلدة عند الصلاة في خطبة الجمعة قال : ان الله سبحانه وتعالى اعطى السيد احمد البدوي حق التصرف بملكه العزيز

» فقاطعه استاذ آخر وقال له انه كاذب اذ انه طبقا لشرعية الاسلام لا يكون لله شريك

« فترتب على ذلك قطع الصلاة بضع دقائق حصل في قترها نزاع بين المصلين ولما وصل ضابط بوليس بركة السبع افهمهم ان المسألة دينية لا تستلزم الاستفتاء وتمكن من اصلاح ذات الين بين الاستاذين فاستحق حضرته ثناء الحاضرين : فمارأي اصحاب الفضيلة العلماء في هذا الخلاف في الرأي اه وقد طلب منا بعض علماء الازهر وغيرهم أن نجيب عن هذا السؤال فنقول وبالله التوفيق ونسأله الهداية للصواب

الجواب

المراد بالتصرف في الكون ان الله تعالى قد وكل أمور العالم الى بعض (المنار : ج ٧) (٦٢) (المجلد الرابع والعشرون)

الصالحين، من الاحياء والميتين فهم يفعلون في الكون ماشاؤا بالخوارق لا بالاسباب المشتركة العامة من بسط الرزق لبعض الناس وقدره أي تضييقه على بعض . ومن شفاء المرضى، واحياء الموتى وامانة بعض الاصحاء الذين ينكرون عليهم أو الذين يستعديهم عليهم بعض زوارهم ، والمتقربين بالنذور والهدايا لا ضرحتهم . وغير ذلك من أمور الناس وامور الكون كالرياح والبحار والجبال والحيوان والنبات . كما حكى عن بعضهم انه مد رجله مرة وقال : ان سفينة خرقت في البحر واشرفت على الفرق فاستغاث به بعض راكبيها فمد رجله وسد بها ذلك الخرق ، وذكروا ان ذلك المستغيث رأى عقب استغاثته رجل الشيخ قد سدت ذلك الخرق ونجت السفينة

وسمعت مرة امرأة تستعرج المتبولي وتستغيث به بوجد وجوار تستعديه على رجل آذاها « تحمله عليه » لينتقم منه . فقلت لها لماذا لم تطلبي من الرب تعالى ان يجازيه ؟ فقالت ما معناه : ان الله يمهل والمتبولي لا يمهل واستدلت على ذلك بان رجلا سرق فسيخة فأحال عليه صاحبها المتبولي فما عثم ان قيأه اياها وأمثال هذه الحكايات عنهم كثيرة جدا لعله لا يوجد أحد لم يسمع منها ما لم يسمعه غيره ، دع ما يتداوله الكثيرون في كل بلد وكل جيل مما يعدونه متواترا ، وما المتواتر الا نقل الكثيرين عن المقترى الاول الذي اخلق الحكاية أو تخيلها أو توهمها فقصها وتناقلها عنه امثاله

وليست هذه الحكايات كلها من مقتريات العوام الاميين ومن هم على مقربة منهم في قبول الاوهام والخرافات ، بل تجد كتب المتصوفة محشوة بها لانها ادخلت في عقائد الملة من أبواب ما يسمونه كرامات الاولياء، وهي تكثر في المسلمين على نسبة اعراضهم عن الدين علما وعملا ، فالمنقول عن الصحابة (رض) وهم خير هذه الامة باجماع أهلها تبعا للنص على ذلك من النبي (ص) قليل جدا وأقله ما روي باسناد آحادي قوي ، وليس فيه شيء قطعي ، وما روي عن التابعين أكثر ولسكنه لا يعد شيئا يذكر في عرده ولا في نوعه بالنسبة الى ما اخلق

في القرون الوسطى وتسامل الى هذا العصر
ففي بعض كتب الرقاعية أن الشيخ أحمد الرفاعي : كان يققر وينغي ، ويسعد
ويشقي ، ويميت ويحيي — أي وان حصر القرآن مثل هذا في عمل الخالق بقوله
(وانه هو أغنى وأقنى * وانه هو أمات وأحيا) وانه وصل الى درجة صارت
السموات السبع في رجله كالخالخال ، وان الله تعالى وعده بان من لمسه لا
تحرقة النار في الدنيا ولا في الآخرة وان هذا له ولمريديه وأتباعه الى يوم القيامة.
وذكروا أن سبب اخباره اياهم بهذه « الكرامة » أنه كان قد لمس سمكة
حية فوضعوها بعد لمسه اياها على النار لشيها فلم تؤثر فيها النار فسالوه عن سبب
ذلك فذكره

وفي بعض كتب مناقب الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله تعالى ان مريداً
له مات فطلبت امه منه احياءه فطلب روحه من ملك الموت فأجابه بانه لا يعطيه الا
بإذن من الله تعالى وكان ملك الموت جمع الارواح التي قبضها يومئذ في زنبيل
وطار بها الى السماء ليستأذن الرب ما ذا يفعل بها فطار الشيخ عبد القادر في أثره
وجذب الزنبيل منه واخذ روح مريده فتناثرت منه جميع الارواح فذهب كل
روح الى جسده فحيي جميع من مات في ذلك اليوم كرامة للشيخ عبد القادر. ولا
اذكر هنا مقاله مقتري الحكاية في شكوى ملك الموت لربه تعالى من اعتداء الشيخ
عليه « في حال التلبس باداء وظيفته » — كما يقال في اصطلاح اهل هذا العصر — وما
افتروا على الله تعالى في جوابه — لا اذكره أدبا مع الرب عز وجل وتعالى عما
يقول الظالمون علواً كبيراً

وقد شاع بين الناس ان الاقطاب الاربعة المتصرفين أو « المدركين بالكون »
كما يقولون هم السادة الجيلاني والرفاعي والبدوي والسوقي فلا يجري في العالم
العلوي ولا السفلي شيء الا بتصرفهم ، وعلى هذا يكون سائر المنصرفين في الكون
عمالاً أو جنداً لهم

ماذا كان من تأثير فشو هذا الاعتقاد في المسلمين ؟ إن ألوف الألوف منهم

باتوا لا يعنون أقل عناية بشؤون أمتهم العامة، ولا بشؤون أنفسهم الصحية ولا الدينية ولا الاجتماعية الا ما تقتضيه الضرورة والعادة من القيام بضروريات المعاش والقناعة منه بأخسه لان كل ما عدا ذلك موكل الى اولئك الميتين فاذا وقع أحدهم في شدة أو مرض أو حاجة استغاث بأحد المدركين بالكون أو أحد أعوانهم وجندهم من المشايخ الميتين لينقذه من شدته أو يشفيه هو أو ولده من مرضه أو ينتقم له من عدوه أو .. أو .. وإذا عظم الخطب يتقرب اليه بمجمل أو خروف ينذره له ، وإذا أبطأت الاغاثة يشد رحله الى قبره ويستنجده بالقرب منه مع اعتقاده ان القرب عنده كالبعد في إحاطة علمه بالغيوب كحاطة قدرته بالعالم ، ولذلك يقولون للولي عند قبره : « يا سيدي العارف لا يعرف » وقد صرح عندنا ان بعض اصحاب الهائم الكبرى يقولون ذلك ، ومن المروي في الكتب عن الجيلي انه متصرف في اثني عشر عالما احاطيا السموات والارض واحد منها وناهيككم بشد الرحال الى احتفالات الموالد التي تتخذ أعياداً ومواسم دينية لهم ، واجتماع مئات الالوف من الرجال والنساء والاطفال في كل مولد يقام لهؤلاء المتصرفين في الكون الذين يقضون مصالح الناس في الدنيا وينجونهم من عذاب الله في الآخرة مهما يكن جرائمهم وفواحشهم ، ومن المشهور الذي يكاد يبلغ درجة التواتر أن المعسرين منهم يقترضون الاموال بالربا الفاحش لاجل انفاقها في المولد ، على أن الكثيرين من هؤلاء الذين يسخون بالالوف في هذه السبيل وان رهنوا في ضمان قروضها أطيانهم أشعة بخلاء ربما يقتل أحدهم أخاه أو أباه لاجل جاموسة أو مال قليل

هذا تذكير وجيز بمعنى التصرف في الكون وماله من سوء التأثير في افساد الدين والدنيا - وتجد رجال الشرع يشاركون رجال الطرق المنسوبة الى الصوفية في اقامة هذه الموالد وحضور دعواتها، وأكل نذورها، حتى ما كان مسيباً للسيد البدوي من العجول والحرفان ، كالسواثب التي كانت تسبب للاصنام ، ولا يرون في هذا حرجاً ولا افساداً ، لانه داخل عندهم في باب كرامات الاولياء

الواسع الذي لاحد له ، وقد قال صاحب الجوهرة تبعاً لغيره من مؤلفي العقائد رضي الله عنهم وارضاهم

وأثبتن للاوليا الكرامة ومن نفاها فانبذت كلامه

كما أن منكرات القبور التي تعد بالعشرات والمئات في بنائها ووضع السرج عليها واتخاذها مساجد وتشيدها وما فيها من مفاسد اجتماع النساء والرجال والاطفال كل ذلك يقرر ولا ينهي عن شيء منه لانه يدخل في باب ما ورد من استحباب زيارة القبور للرجال لاجل تذكر الموت والآخرة فالامر المستحب الواحد يرتكب لاجله ما لا يعد من كبائر المعاصي التي لعن الشارع مرتكبيها كمتخذي القبور مساجد وواضعي السرج عليها وزيارة النساء لها وغير ذلك مما وردت فيه الاحاديث الصحيحة

اعطاء الله حق التصرف في ملكه للبدوي

بعد هذا أقول كلمتي في موضوع السؤال وأقني عليها بكلمة في الكرامات: موضوع السؤال زعم ذلك الخطيب أن الله تعالى قد أعطى السيد أحمد البدوي الميث صاحب القبر المشهور في طنطا حق التصرف في ملكه العزيز ليست هذه المسألة مسألة جواز الكرامات ووقوعها وما فيها من خلاف لا يعدم من أصول الدين وعقائده ولا من فروعه ، بل هي مسألة تتعلق بأصول عقائد الدين لأنها اسناد شيء الى الله تعالى لا يمكن العلم به إلا منه عز وجل ، وقد انقطع الوحي عنه تعالى بموت خاتم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، ولا طريق للعلم الصحيح عنه تعالى غير الوحي ، وقد قال تعالى في بيان أصول كبرائر الكفر والفسق (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وإن تقولوا على الله ما لا تعلمون) بين بعض المحققين ان هذه المحرمات في دين الله تعالى على السنة جميع رسله قد ذكرت على طريقة الترقى في الحظر من المعاصي القاصرة الى المتعدية

كالبغي على الناس ، ومن الكفر القاصر على صاحبه كالشرك الى المتعدى الضرر كالقول على الله بغير علم ، فانه أصل جميع الفساد في الدين وجميع البدع والقول على الله بغير علم قسمان أحدهما خاص بالعقائد كالكلام في ذاته وصفاته وأفعاله ومنه نازلة الفتوى ، ومثلها القول باتخاذ الولد قال تعالى (١٠: ٦٨) وقالوا اتخذ الرحمن ولدا - سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ، ان عندكم من سلطان بهذا . أتقولون على الله ما لا تعلمون) نفى أن يكون عندكم سلطان — أي برهان قطعي — على هذا القول ووبخهم ان قالوا على الله ما لا يعلمون ، بعد أن بين البرهان على بطلان قولهم بانه هو الغني الكامل غناه المطلق وبأن ما في السموات والارض أي العالم كله ملك له ، وهذا عين البرهان على بطلان اتخاذ اناس يتصرفون في ملكه ، ومن أصول المناظرة أن البينة على المدعي ويكفي المنكر المنع ، ولكن القرآن هداية لا جدل ، ولذلك بين بطلان الدعوى في نفسها بالدليل ، وبين أنه لا دليل عليها ، وان مثلها لا يصح أن يقال بالظن والوهم وإيما يطلب فيه العلم القطعي ، كما قال تعالى (٥٣ : ٢٨) وما لهم به من علم أن يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا)

ومن هذا الباب قوله تعالى (في ١٠ ١٨) ويعبدون من دون الله ما لا يفرم ولا يفهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) فقولهم إنهم شفعاؤهم عند الله من القول على الله بغير علم ، فان العلم بالشفيع المعين للشفوع له المعين خاص به تعالى ، اذ لا يشفع أحد عنده الا باذنه ، وهو لا يأذن بأصل الشفاعة الا لمن ارتضاه شفيعا ، ثم لا يأذن له بان يشفع الا لمن كان سبحانه راضيا عنه ، كما قال في شأن عباده المكرمين (في ٢١ : ٢٧) لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ٢٨ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون)

والقسم الثاني من القول على الله بغير علم خاص بالتشريع كابتداع عبادة لم يشرعها الله تعالى البتة أو شرع أصلها فجيء بها على غير الصفة التي شرعها

كاذكار أهل الطريق بالفاظ لم ترد في الشرع مع الرقص والغناء وغير ذلك مما فصله الشاطبي في كتابه الاعتصام وابن الحاج في المدخل وغيرها من الاعلام - وكتحريم ما لم يحرمه الله تعالى في وحيه . قال تعالى في (٢١: ٤٢) أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقال في (١٦ : ١١٦) ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) الآية فعلم من هذه الآيات وما في معناها أن القول على الله بغير علم أغلظ أنواع الكفر وأشدّها افسادا لدين الناس ولعقولهم وفطرتهم ، وانه يسمى شركا ويتضمن ذلك عد فاعله شريكا لله تعالى ومن قبل تشريعا من غير الله فقد اتخذ ربا وشريكا وقد ورد في تفسير النبي (ص) لقوله تعالى (اتخذوا أحياءهم ورهبانهم أربابا من دون الله) ان معناه انهم كانوا يتبعونهم فيما يحلون لهم ويحرمون عليهم . ومن شرع للناس عقيدة لم يشرعها ربهم لهم فهو أجدر بانتحال الربوبية جعل نفسه شريكا للرب تعالى ممن يشرع لهم تحريم شيء من طعام أو شراب مثلا وهل غنى هذا من قال لخطيب الفتنة المضل ليس لله شريك ، رداً لقوله . إن الله اعطى السيد البدوي حق التصرف في ملكه العزيز ؟ أم غنى أن هذا التصرف يقتضي أن يكون البدوي شريكا لله تعالى في تدبير أمر عباده ؟ اياما غنى فله وجه وجيه

ذلك بان الذين يقولون بهذا التصرف لا يعنون به أنه منتظم في سلسلة الاسباب والمسببات العادية كتصرف البدوي في رعي ماشيته وسوقها حين يربح وحين يسرح ، وتصرف الفلاح في أرضه حين يهـنـذق وحين يزرع ، وانما هو عندهم بسلطة غيبية هي فوق الاسباب العادية والسنن الكونية المعروفة للبشر ، في الاعمال التي يتناولها كسبهم ، وهذه السلطة هي الخاصة بالخالق عز وجل ، بمعنى انه ليس للناس فيها عمل ولا كسب ، وهي التي تمتاز بها العبادات من العادات ، فكل دعاء أو تعظيم قولي أو عملي يوجهه الانسان الى من يؤمن بان له سلطانا غيبيا هو فوق الاسباب المشتركة بين الخلق فهو عبادة له والا فلا ، فالفرق جلي

بين من يدعو ميتا لشفاء مرضه أو مرض ولده مثلاً أو للانتقام من عدوه أو ينذر له لأجل ذلك وبين من يدعو الطبيب للمعالجة أو يشكو إلى الحاكم ظالمه وسواء اعتقد من يدعو الميت أنه يفعل ذلك وحده بقدرته الذاتية أو اعتقد أنه يفعل ذلك بتأثيره في علم الله تعالى وإرادته بأن يكون واسطة وسبباً لأن يفعل سبحانه ما لم يكن ليفعله لولاه ، وذلك يقتضي تأثير الحادث في القديم وتعليل أفعاله تعالى بالحوادث ، وكون هذا الفعل لم يقع إلا باشتراك سلطتين غيبيتين هما فوق سنن الخالق في الأسباب والمسببات هو صورة هذا الوجه في المسألة ولم يكن مشركوا العرب وأمثالهم يقولون بمساواة آلهتهم لرب العالمين في شيء بل كانوا يقولون أنه ربهم وخالقهم وهم شفعاؤه عنده فقط . على أن هذا التحليل لا يخطر في ببال أكثر الذين يدعون هؤلاء الموتى وينذرون لهم ويشدون الرحال إلى قبورهم خاشعين متضرعين ، تاركين للصلاة مقترضين بالربا مرتكبين لكثير من المنكرات ارضاء لهم ، لأجل أن يقضوا لهم حاجتهم . وإنما هو تأويل من تلقوا عن شيوخهم كتباً في العقيدة قررت فيها وحدانية الأفعال لله تعالى بما ينافي ما تلقوه ورسخ في أنفسهم ممن نشؤا بينهم من تصرف بعض هؤلاء الشيوخ الميتين في الكون — فاخترعوا هذه التأويلات للجمع بين العقيدتين

ولئن سألتهم ليقولن أنه ليس لهم أدنى تأثير في إرادة الله تعالى ولا في أفعاله وإنما هم أسباب خفية يخلق الله الأشياء عندها لا بها ، كما يقول أكثرهم في الأسباب الجلية العادية كاحراق النار وارواء الماء ، ولو كان هؤلاء المفتونون بالقبور يعتقدون أنه لا تأثير لأصحابها البتة لما وجد شيء من هذه الخرافات والبدع التي أفسدت الأمة ولوقف الناس في زيارة القبور عند هداية السنة ، يزورونها لتذكرة الآخرة ويدعون لأربابها ولا يدعونهم ، ويشفعون لهم بالدعاء ولا يستشفعون بهم ، لأن هذا هو الوارد في السنة . على أن الأسباب الظاهرة من عالم الشهادة قد علم كونها أسباباً بالمشاهدة والتجربة المطردة . وأما تصرف الموتى فهو امر غيبي لم يثبت بالمشاهدة ولا بالتجربة المطردة ، ولا جاءنا الوحي من عالم الغيب والشهادة

بانه جعلهم أسبابا لشيء من ذلك ، بل كل من التجربة الدقيقة في الامم المختلفة ومن الوحي الصادق يدل على خلاف ذلك

اما التجربة فاننا قد علمنا من تاريخ الامم ان هذا الاعتقاد انما يفسد ويروج فيها في زمن الجهل والانحطاط فتكون به أشقى الامم وأشدّها خسارا في دينها ودنياها وصحتها ومعيشتها، فالمسلمون لم يكونوا كذلك في خير القرون التي فتحوا بها الممالك ودونوا العلوم واسسوا الحضارة فلم يرو لنا أصحاب الصحاح ولا السنن ان الصحابة كانوا يدعون النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره الشريف ولا عند اشتداد الخطوب في الحروب ولا في حالة المرض لاجل النصر والشفاء ولا روى التاريخ لنا ذلك عن التابعين ولا تابعيهم من علماء الامصار كائمة الفقه الاربعة وأئمة آل البيت النبوي رضي الله عنهم أجمعين . بل روى لنا ان النبي (ص) وأصحابه كانوا ينوطون الاشياء بأسبابها وانهم لما قصرُوا فيها يوم أحد انكسروا ونال المشركون منهم حتى ان النبي (ص) شج رأسه الشريف وكسرت سنه . ولما تعجب الصحابة وتساءلوا في ذلك أنزل الله تعالى (او لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم)

وقد فشت هذه البدع في الامم الوثنية فالكتاية من قبلنا فكان فشوها فيهم من أسباب ضعفهم والعون لسلفنا على السيادة عليهم ، فلما ضعفت هذه العقائد الخرافية فيهم بارتقائهم في علوم الكون وشنن الله تعالى في الاسباب والمسببات ، وقل فيهم من يعتمد في اصلاح حال الافراد والجماعات ، على تصرف الاولياء الاحياء والاموات ، بعد أن مرت اليها منهم هذه الخرافات ، دالت لهم الدولة علينا ، وصاروا أحسن منا صحة ، وأشد قوة ، وأعلى سيادة ، وأرفه معيشة

وأما الوحي فانه تعالى قد أمر خاتم رسله الذي أكمل دينه واتمه على لسانه وهديه ان يخاطب من آمن به بقوله عز وجل في (٦ : ٥٠ - قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك) فقد نفى أن تكون عنده خزائن رزق الله يتصرف فيها ويأتي ما اقترحوا عليه من الآيات لا ثبات رسالته

(المنار : ج ٧) (٦٣) (المجلد الرابع والعشرون)

من تفجير الزبوع في مكة وايجاد جنة فيها يفجر الانهار خلاها تفجيراً كما قال الفخر الرازي ، ونفى أن يكون يعلم الغيب وأن يكون ملكاً كما اقترحوا أو يقدر على ما يقدر عليه الملك ، ثم أمره أن يقول بعد ذلك (ان أتبع الا ما يوحى الي) كما قال في الرد على ما اقترحوه عليه من الآيات التي أشرنا اليها (سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا) أي فهو من حيث انه بشر لا يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ومن حيث انه رسول ليس عنده الا ما يوحى الله اليه فيبلغه ويدينه للناس . فاین هذا ممن يدعون أن السموات السبع في رجل أحدهم كالخلخال الخ

وأمره أيضاً أن يخاطب الناس بقوله تعالى (٧ : ١٨٧ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وبقوله (قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) أي ولا نفعاً ولا غياً ففي الآية احتباك . أي وانما الذي يملك ذلك كله الله تعالى . ونفي الاغواء لا يقتضي جواز وقوعه منه (ص) فهو كنفني الظلم عن الرب تعالى بين به الحق الواقع فلا يقتضي انه مظنة الوقوع ، والمراد هنا ان هداية الناس وضلالهم ونفعهم وضررهم كلها بيد الله تعالى من حيث انه هو الخالق المدبر الواضع للسنن والاسباب لكل من ذلك فليس وراء هذه الاسباب تصرف لغيره

هذا نوع من انواع دلالة الوحي على بطلان تلك الدعوى أعني نفي علم الغيب ونفي القدرة على التصرف في ملك الله وخزائن رزقه عن الرسل عليهم السلام . ويتصل به نوع آخر وهو كون الآيات (المعجزات) التي يؤيدهم الله تعالى بها لا تتعلق بقدرتهم وانما هي لله وعند الله وبيد الله عز وجل ، والآيات فيها معروفة ، وهناك نوع ايجابي أقوى من هذا ويجمع ما قبله وهو دلائل وحدانية الافعال التي فسرناها الاشعرية بانه لا فعل لغير الله وأن الله تعالى يخلق المسببات عند الاسباب لا بها ، وهل يمكن أن يطلب المؤمن بهذه الوحدانية شيئاً من الموت

وهم لم يصح شرعا ولا علما أن الله جعلهم أسبابا ؟
كرامات الاولياء

علم مما مر أن فتنة الغلو في كرامات الاولياء قد هدمت من عقول الالوف وألوف الالوف من الناس عقيدة تجريد التوحيد وهو أساس الدين الذي بُني عليه غيره منه ، وأعلى علوم البشر ومعارفهم التي يتحقق بها تكريم الله تعالى لهم باعتاقهم من الذل والعبودية لغيره عز وجل . ونسخت من أذهانهم وقلوبهم الآيات المحكمة في العقائد الإلهية ومعنى الرسالة ووظائف الرسل ، ووضعت في مكانها ما لا يحصى من الخرافات والالوهام التي أفسدت عليهم أمري الدين والدنيا ، ويزعم كثير من أنصار هذه الخرافات المغممين أن تشكيك العوام فيها يفضي الى شكهم في الرسالة وفي سائر أصول الدين ، وقد جهلوا أن هذا الغلو فيها هو الذي أفسد عقائد جماهير العوام وأعمالهم ونفرجاهير الخواص الذين تلقوا العلوم العقلية والكونية والاجتماعية من الاسلام نفسه ، اذ حسبوا أنه مجموعة خرافات لا تليق الا بامثال هؤلاء العوام

ولو صح أن بعض هؤلاء لا يقنعه بأصل الاسلام الا هذه الكرامات لكان ذلك مفسدة أخرى يطلب من العلماء ازالتها وبناء العقيدة على البراهين العقلية والنقلية القطعية وهو الواجب الذي قرره جميع العلماء والا فان التشكيك في هذه الكرامات من أسهل الامور وقلة ترى أحداً من المتعلمين المتدينين يصدق شيئاً مما يرويه هؤلاء العوام منها دع غير المتدينين الذين لا شبهة لاكثرهم على الدين الا جعلها من أركانها وأسس بنيانه

ما هذه الكرامات ؟ انها ليست من عقائد الدين وانما تذكر في كتب الكلام بالتبع لبحث معجزات الرسل كما يذكر السحر وغيره مما عدوا من خوارق العادات. وقد اختلف نظار العلماء في جوازها ، واختلاف المجوزون لها في وقوعها ، واختلف القائلون بوقوعها هل تقع في جميع خوارق العادات التي يؤيد الله تعالى بمثلها الرسل أم لا تقع الا في أمور محدودة ؟ وهل تكون بقصد

من الولي واختيار أم بغيرها ؟ وهل تتكرر أم لا وكيف يكون المكرر من الخوارق جاء في المواقف وشرحه ما نصه : (المقصد التاسع) في كرامات الاولياء وأنها جائزة عندنا خلافا لمن منع جواز الخوارق ، واقعة خلافا للاستاذ أبي اسحق والحايمي مناه ، وغير أبي الحسين من المعتزلة اه فهذان امامان من اكبر أئمة الاشعرية ينكران وقوع الكرامات ، ولم يكن ذلك مطعنا في دينها ولا مسقطا من مكانتهما من أئمة اهل السنة ، بل ظلا في الذروة وكان أبو اسحق الاسفرايني هذا امام الائمة في عصره ، ولا يزال يعبر عنه في كتب العقائد والاصول بالاستاذ فاذا أطلق لا ينصرف الى سواه

لا تتسع هذه الفتوى لتحصيل القول في مسألة الكرامات وقد كتبنا من قبل مقالات كثيرة فيها خاصة ، وألمنا ببعض مسائلها في مقالات أخرى نشرت في مجلدات المنار المتفرقة . منها بضع مقالات بعنوان الكرامات في المجلد الثاني لخصنا فيها ما أورده التاج السبكي في طبقات الشافعية من الخلاف فيها ، وحجج منكريها ومثبتيها ، والمأثور منها ، ومنها احدى عشرة مقالة بهذا العنوان في المجلد السادس ذكرنا فيها ما أورده السبكي من أنواعها ، وتأويل ما ورد منها على تقدير صحة الرواية فيه . ومنها مقالات أخرى بعنوان الخوارق والتصرف في الكون والموالد وغير ذلك

وفي هذه المقالات فوائد كثيرة من المنقول والمعقول تعطي المطلع عليها بصيرة في الدين والدنيا تشير الى بعضها بالارقام

(١) ان ما ينقل اليه من الوقائع المخالفة لسنن الله تعالى في الخلق وفي سير الاجتماع البشري يجب أن لا يقبل فيجمل محلا للبحث فيه الا اذا ثبت برهان يقيني لانه جاء على خلاف الاصل من المعقول والمنقول ، وأعني بالمنقول ما ثبت في نص القرآن من أن سنن الله تعالى في نظام الخلق وشؤون الامم لا تتبدل ولا تتحول

(٢) إن كثيرا مما يظهر بادي الرأي أنه من خوارق العادات لا يكون

كذلك في الواقع ونفس الامر ، بل منه شعوذة وتخييل ، ومنه ماله أسباب خفية من طيمنية وصناعية ، كقوله تعالى في الحبال والعصي التي ألقاها سحرة فرعون (يخيّل اليه من سحرهم أنها تسعى) وقد أثبت صاحب جامع التواريخ أو (نشوار المحاضرة) عن معاصري الحلاج وكذا الحافظ ابن الجوزي أن كراماته كلها كانت من قبيل الحيل وقد اكتشفوا حيله في عصره كالذي عرف الدار والبستان الخفين اللذين كان يحفظ فيهما السمك الحي والفاكهة والاطعمة فيأتي بها عند الحاجة وانهذه الحلاج القتل اذا هو فضحه وقد ذكرنا في مقالات المنار شواهد كثيرة للحيل ولما في معناها من الخواص الكونية

(٣) ان روايات الكرامات مأثورة عن جميع الامم الوثنية والكتائية وان دعواها تكثر في العصور التي يضعف فيها العلم والدين في الامم ويكثر الكذب والدجل ، ويقل في عصر العلم وعهد التقوى ، ولذلك ترى المروي عن الصحابة والتابعين منها قليلا ، وقد زعم بعض الناس أن سبب هذا حاجة الناس في زمن الجهل والفسق الى ما يقوى به إيمانهم . ولكتنا نرى أنها لا تزيد الناس في هذه الحال الا فسقا وجهلا ودجلا وغرورا وضعفا في الدين والدنيا ، وخضوعا للدجالين الذين يعبثون بأموال الناس وأعراضهم ، كما أشرنا اليه في أوائل الفتوى (٤) أن الاصل في الكرامات أن تكون خفية وان الاولياء لا يدعونها ولا يظهرونها الا لضرورة حتى قال السبكي انه « لا يجوز اظهارها الا بسبب ملزم ، وأمر مهم » ، فإين هذا وذاك من معمل الكرامات الكبير بل معاملها (فبريكاتها) الكثيرة المبر عن صناعاتها الدائمة بالتصرف في الكون ؟ الذي ينقلون عن كل قبر من قبور عماله الكثيرين ما لا يحصى من الكرامات لاحقر الاسباب كاصابة زيد من الناس بداء قتال أو مرض عضال أو اماتته فجأة أو اصابته بحائجة في زرعه أو هلاك لبهائمه لاجل استغاثة خصم أو عدو له بولي يستعديه عليه ولو بالباطل ، أولانه قال كلمة اعتراض واساءة أدب مع صاحب القبر ، كأن أولياءهم من الاشرار الذين خلقوا للاذى والضرر . دع قسم المستشفيات من معمل التصرف

في الكون الذي يبرىء كل يوم ألوفا من المرضى الذين لا يذكر مرض أجسامهم في جانب أمراض عقولهم وأديانهم

(٥) كون الكرامات الحقيقية لا تتكرر وعلاه الشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية بان ما يتكرر يكون معتاداً فلا يدخل في خوارق العادات ، ونحن نرى أن ما يدّعون له للمتصرفين في الكون من صادرات المعامل الدائمة يتكرر في كل يوم وفي كل ساعة

(٦) ان أكثر ما فشا وبتناقله الناس من الامور التي يسمونها كرامات والكثير مما يصح نقله من المصادقات التي يكثر وقوعها ، وانما الاعتقاد هو الذي يحمل غير المدقق في معرفة أسبابها على جعلها من الكرامات ، والجاهل بالمنطق لا يفرق بين القضية الشرطية الحقيقية كقولهم : اذا كانت الشمس طالعة فالنهار موجود ، والشرطية الاتفاقية كقولهم : ان كان الانسان ناطقاً فالخمار ناهق . فاذا استعدى أحد شيخاً (ولياً) على عدوه (أو حاله عليه كما يقولون) - أو اذا أنكر منكر على الشيخ - وأصابه عقب هذا أو ذاك مصيبة في نفسه أو أهله أو ماله قال أصحاب العقول الخرافية انه تصرف به ، وقد وقع مثل هذا لنا ولاهل بيتنا كما وقع لغيرنا مراراً ولم نعد من الكرامات . ولو شئنا أن نعد لنفسنا عشرات من الكرامات التي يثبت مثلاً لدجال الشيخ يوسف النبهاني لفعلنا وكنا أصدق منه في النقل ، وأقدر على الاتيان عليه بالشهود العدول من الاحياء

(٧) ان ما يمدبادي الرأي خارقاً لما عسادة يجوز أن يكون له أسباب خفية ، ومنه ما يسميه علماء الكون فئات الطبيعة . ومنه ما هو من خواص الانفس البشرية التي يتفاوت فيها الناس تفاوتاً بعيداً - كالمكاشفة والتأثير النفسي في بعض الناس ولا سيما أصحاب الارادات الضعيفة وناهيك أصحاب الامرجة العصبية من النساء وبعض الرجال الذين يعتقدون أن لز يد من الاموات والاحياء سلطاناً غيبياً يتصرف به في الكون ، فان هؤلاء يكونون سريعي التأثير والانفعال بما يعتقدون تأثيره حتى ان بعض الاطباء يعالجونهم بما للاوهام من السلطان على أنفسهم ،

ولذلك تجد هذه الانواع كثيرة الوقوع

وفد وضحنا هذه المسألة في المنار مرارا ، وشبهنا فيها أرواح البشر وأنفسهم بأجسادهم في تفاوت الافراد في قوتها وضعفها واختلاف استعدادها واستعمالها لهذا الاستعداد .

مثال ذلك أن الروح هو المدرك من الانسان وادراكه غير مقيد لذاته بالحواس التي هي آلات له ما دام محبوساً في الجسد بل يمكن أن يدرك بعض الامور بذاته في نوم أو يقظة ، وقد يدرك بعض الامور قبل وقوعها ، وبيننا أن هذا النوع من الادراك ليس من العلم بالغيب الذي استأثر الله تعالى به ، وانما هو غيب اضافي لا حقيقي ، وان قلة هؤلاء المدركين لهذه الامور لا ينافي ان ادراكها مما أودع في الفطرة البشرية وجعل من متدورها ، على أنها في الغالب تقع بدون ارادة من صاحبها ، ومن غير الغالب أن تكون بتوجيه الارادة الى ادراك الشيء وحصر الهمة في التوجه اليه وصرفها عما عداه حتى اذا انحصر التوجه وصرفت عن الفكر الشواغل ، أدرك الروح ما توجه اليه ادراكاً كاملاً ، وضر بنا له المثل في افراد بعض الافراد بالقوة العضلية النادرة كقوة القيصر الروسي اسكندر الثالث الذي كان يأخذ بيده الريال الروسي فيجوفه باصابعه فيجعله كفنجان القهوة ويضع فيه زهرة يتحنف بها بعض النساء في مجلسه ، وكان الشيخ علي العمري عندنا في طرابلس الشام يلوي باصابعه حديد النوافذ ويمسح القطعة من النقد فيزيل حرشة نقشها ، وله غرائب في قوة العضل كانوا يعدونها من كراماته الكثيرة ولم يعد أحد مثلها من القيصر الروسي كرامات له . ولا غرو فالمتكلمون بجوزون وقوع خوارق العادات من كل أحد حتى الفساق والكفار ووضعوا لها اسماً يختلف باختلاف حال من وقعت لهم أو على أيديهم

هذا وان الروحانيين من المتقدمين ومن فرنجة هذا العصر الذين يقولون إن أرواح الاحياء قد تتجرد من المادة الكثيفة وان أرواح الموتى قد تتجلى في مادة لطيفة أو كثيفة تستمد منها عن عناصر السكون لم تبت أحد منذ انا

٥٠٤ حال المسلمين أسوأ من غيرهم مع خدمة الأولياء لهم المنار : ج ٧ م ٢٤

أعطيت التصرف في أمور العالم ونفع الناس وضرهم بل صرح بعضهم بانها لم تعط هذا ولا تقدر عليه .

وما نقل عن بعض كبار الصالحين العارفين من ادعاء ذلك فأكثره كذب وزور لا تصح به الرواية عنهم ، ومنه ما عدوه من الشطح الذي يصدر عنهم في حال غيبة ثم يتوبون منه ، ومنه ما يقصد به الاسباب الظاهرة كالبيتين المنصورين الى السيد الجيلي قدس الله روحه

على بابنا قف عند ضيق المناهج تفز بعلي القدر من ذي المعارج
ألم تر أن الله أسبغ نعمة علينا وولانا قضاء الحوائج
فقد كان رحمه الله تعالى ذا مقام رفيع عند الخلفاء وكبار الحكماء فاذا أوصى
بكشف ظلامه لا ترد وصيته ، وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ممن
يصدق عليه معنى هذين البيتين ، على أن علماء النقل قد قالوا ان الجيلي كان ذا
كرامات صحيحة ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية ولكن أكثر ما في كتب مناقبه
كذب وبعضها ليس من الكرامة في شيء

وهنا مسألة يغفل الناس عنها بينها في المنار مرارا وهي كيف يصح أن
يكون اولياء الله الاحياء والاموات يتولون قضاء حاج المسلمين ودفن المضار عنهم
وجلب المنافع لهم بما أوتوا من التصرف في ملك الله الواسع بخوارق العادات
ونحن نرى المسلمين أسوأ حالا من سائر الامم ولا سيما الافرنج في صحتهم وسعة
عيشهم وعزم وعظمة ملكهم وسائر ما يطالبه الناس من هؤلاء الاولياء من أمور
دنياهم فلماذا لا يتصرفون في الاسطول البريطاني مثلا؟ ونرى الذين لا يصدقون
بقدره هؤلاء الاولياء على التصرف في أمور الكون من المسلمين أنفسهم أحسن
حالا في ذلك كله من المصدقين الذين وصفنا حالهم من قبل ، سواء كان سبب
انكار هذا التصرف كمال التوحيد والعلم الصحيح بالكتاب والسنة والاعتصام
بهما ، أو العلم بسنن الكون ونواميسه وتواريخ الملل وكون هذه الخرافات قد
انتقلت من الوثنيين الى أهل الكتاب ومنهم الى المسلمين ، فكانت مصداقا لقول

النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم - أو - لدخلتموه » رواه الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد وغيره

تفاوت الارواح وما تسعد به وتشقى

هذا وان ما ذكرناه من تفاوت ارواح البشر في أصل الخلق له أصل في الكتاب والسنة يجب أن نعتبر به ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « الناس معادن كمعادن الفضة والذهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا ، والارواح جنود مجنده ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » رواه مسلم هكذا حديثاً واحداً بهذا اللفظ عن أبي هريرة وروايه حديثين في كل من الصحيحين وفي بعض الفاظ الحديث الاول « الناس معادن في الخير والشر » أي إن أنفسهم في أصل فطرتها التي تؤثر فيها الوراثة كمعادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير وغيرهن

وقال الله تعالى (ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها) قد أفلح من زكاه « وقد خاب من دساها » فالنفس الانسانية مستعدة في أصل الفطرة للخير والشر والفجور والتقوى ، على تفاوت في الاستعداد ، ولكن الفلاح والفوز بالسعادة منوط بنزكيتها بالعلم الصحيح وما يترتب عليه من العمل الصالح وهو المراد بقوله (ص) « خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » والخيبة والشقاء منوطان بتدسيتها أي اهمال صقلها وتزكيتها بالعلم الصحيح والعمل الصالح وهو من دس الشيء في التراب مثلاً . ولذلك قال البيضاوي في تفسير « دساها » أخفأها ونقصها بالجهالة والفسوق

فمدار السعادة والشقاء في الاسلام على صقل معدن النفس بالعلم والفضيلة أو دسه فيما يفسد جوهره من الجهالات والخرافات والردائل ، ومن المعروف عند الناس كافة أن الجوهر الأدنى يكون بجودة صقله اجمل وأنفع من الجوهر الاعلى الذي دس في الارض ولا سيما الرطبة ذات المواد الملحية ، ألم تر أن الذهب والفضة

يفسد جوهرهما بهذا الدس والاهمال ، حتى اذا اثر عليهما الناس لا يكادون يعرفونهما من حيث ترى الصفر المجلو والحديد المصقول يتالآن كالمرآة فيكونان أجمل منظرا وأحسن مرتفقا وفائدة للناس من الذهب والفضة المدسيان في السبخة ؟ ولكن المعدن الاعلى اذا صقل كما يصقل المعدن الادنى فانه يكون أبهج منه منظرا وأكرم عند الناس استعمالا

فيجب ان نجعل هذه الحقيقة هي الاصل في تربية المسلمين وتعليمهم ، وهي ان سعادة كل فرد من الافراد محصورة في تزكيتة لنفسه بالعالم والفضيلة والعمل الصالح وشقاؤه بضد ذلك ، وان من فسدت نفسه وخبثت لا ينفعه زكاة نفس غيره لا من الاحياء ولا من الموتى لا في الدنيا ولا في الآخرة ، حتى لو اعطي هؤلاء تصرفا في الكون لما بالوا بمن دسوا أنفسهم وتركوا هداية ربهم اتكالا على أن يعمل لهم بعض خلقه ما كافهم ان يعملوه هم لانفسهم . ومصادق هذا الاصل ظاهر في الامم كلها من سار في الارض أو قرأ التاريخ قراءة عبرة

ولذلك كان فيما وعظ النبي صلى الله عليه وسلم أقرب الناس منه قرابة حين انزل الله تعالى عليه (وانذر عشيرتك الاقربين) ان دعا بطون قريش وعم وخص قال « يا معشر قريش اتقذوا أنفسكم من النار فاني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا — الى ان قال — يا فاطمة بنت محمد اتقذي نفسك من النار فاني لا أملك لك ضرا ولا نفعا » رواه احمد والشيخان في الصحيحين وغيرهم من حديث أبي هريرة . وفي رواية لاحمد ومسلم وغيرهما من حديث عائشة انه قال يومئذ « يا فاطمة ابنة محمد يا صفية ابنة عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئا ، سلوني من مالي ما شئتم »

مدار النجاة في الاسلام وفي الوثنية

وجملة القول أن مدار دين التوحيد على أن النجاة في الآخرة بالايان والعمل الصالح ومدار أديان الوثنية على أن النجاة فيها بتأثير الصالحين عند الله في نجاه الضالين ، وحسبنا قول الله عز وجل في وصف اليوم (يوم لا تملك نفس

لنفس شيئا والامر يومئذ لله) وحكم الله في ذلك اليوم مبين في كتابه كقوله الذي أنزله يوم تفاخر بعض الصحابة مع بعض أهل الكتاب (ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب : من يعمل سوءا يجز به ولا يجده من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن - فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون تقيرا) والعبرة عند جمهور أهل السنة بالخاتمة فهم لا يقطعون بولاية شخص معين كالبدوي ولا بدخوله الجنة لان القطع يختص من ورد النص بأنهم أهلها كالسبطين سيدي شباب أهل الجنة والعشرة (ض) أجمعين فيا أيها العلماء حسبكم إهمالا لامر عامة هذه الامة بينوا لها حقيقة دينها ، وأنذروها عاقبة هذه الخرافات التي أفستت عليها دينها ودنياها ، أما ترونها تتسأل من الدين لو اذا ، وتعلم الكفر والفسوق ثبات وافذاذا ، حتى صاروا يدعون الى الاتحاد جهارا ، والى ترك الشريعة احتقارا لها واستكبارا ، زاعمين أن الاسلام دين خرافات وأوهام ، لا يمكن أن ترتقي به الامة في هذا الزمان ، ويستدلون على هذا بما أشرنا اليه من الضلالات والخرافات الفاشية في الامة ، ومشاركة الكثير من علمائها لها فيها بحضور هذه الموالد معها ، وترك اقامة شعائر الدين والدروس في المساجد لاجلها ، وبتأويل البدع والخرافات لها ، واضطهاد من تصدى من العلماء وطلاب المعاهد الدينية لانكارها كما وقع في دمياط وطنطا والاسكندرية وغيرها . فاتقوا الله وتداركوها قبل أن يخرج الامر من يديكم ، ولا عذر لكم بعد اليوم بما كنتم تعتذرون به من سلب الحكم لحريتكم ، فإن الدستور الذي كرهه بعضكم قد أعطاكم من الحرية ما لم يكن لكم ، وهو لم يعط الملاحدة والفساق شيئا لم يكن لهم ، فقد كانت حرية الكفر والفسق تامة ، وحرية الاسلام صورية ناقصة ، على أن نقصها في مصر كان خاصا بالانكار على الحكم والاحكام ، دون ما يتعلق بارشاد العوام

ملخص الفتوى :

إن ذلك الخطيب قد قال على الله تعالى ما ليس له به علم ، فدخل فيمن

شرعوا للناس ما لم يأذن به الله، وقد دل القرآن والسنة على أن هذا من الشرك، فانكار المنكر عليه صحيح، فان كان متأولا أو معذورا بجهله عذرا يدرأ عنه الردة، فعليه بعد العلم أن يتوب توبة صحيحة، وأنا لا أكفر شخصاً معيناً لم أختبر حاله اختباراً تاماً. واعلم ان أكثر مسلمي هذا العصر لم يلقنوا عقائد الاسلام كما أنزلها الله تعالى. فأكثروا يحبون ولا يعرفونه، والواجب على العالم أن يبين الحق وعلى من بلغه أن يحاسب نفسه، والقاعدة عند العلماء ان الجهل ليس بعذر في دار الاسلام الا لحديث العهد به، ولها فروع وجزئيات في باب الردة وغيرها دقيقة قد حققناها في مواضع من المنار، والله أعلم

أهل الصفة

(وأباطيل بعض المتصوفة فيهم وفي الاولياء وأصنافهم والدعوى فيهم)

لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية قدس سره

تابع لما قبله

﴿فصل﴾ وأما الحديث المروي «امن جماعة يجتمعون الا وفيهم ولي الله» (١) فمن الاكاذيب ليس في دواوين الاسلام وكيف والجماعة قد تكون كفارا وفساقا يموتون على ذلك

﴿فصل﴾ وأولياء الله تعالى هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما ذكر الله ذلك في كتابه وهم قسيمان المقتصدون اصحاب اليقين والمقربون السابقون قولي الله ضد عدو الله قال الله تعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقال الله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا — الى قوله — ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) وقال (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) وقال (وبوم يحشر اعداء الله الى النار فهم

(١) زاد بعضهم فيه : لا هم يدرون به ولا هو يدري بنفسه . قال علي القاري في موضوعاته وهو كلام باطل

يوزعون) وقال (افتنخذونه وذريته اواياه من دوني وهم لكم عدو)
وقد روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى من عادي لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة، وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن
يكره الموت واكره مساوته ولا بد له منه، وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما
اقترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي
يمشي بها فبي يسمع وبني يبصر وبني يبطش وبني يسعى »

والولي: من الولي (١) وهو التقرب، كما ان العدو من العدو وهو البعد، فولي الله
من والاه بالموافقة له في محبوباته ومريضاته، وتقرب اليه بما امر به من طاعاته وقد ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحيح الصنفين: المقتصدون (٢) اصحاب
اليمين وهم المتقربون الى الله تعالى بالواجبات والساقون المقربون وهم المتقربون
بالنوافل بعد الواجبات. وذكرهم الله في سورة فاطر والواقعة والانسان والمطففين
وأخبر ان الشراب الذي يروى به المقربون بشربهم اياه يمزج لاصحاب اليمين.
والولي المطلق هو من مات على ذلك فاما ان قام به الايمان والتقوى وكان في علم
الله تعالى انه يرتد عن ذلك فهل يكون في حال ايمانه وتقواه وليا لله أو يقال لم يكن
وليا لله قط لعلم الله بعاقبة هدايته؟ قولان للعلماء

وكذلك عندهم الايمان الذي يعقبه الكفر هل هو ايمان صحيح ثم يبطل
بمنزلة ما يحبط من الاعمال بعد كماله؟ أو هو ايمان باطل بمنزلة من أفطر قبل
غروب الشمس في صيامه ومن أحدث قبل السلام في صلاته ايضا؟ فيه قولان
للفقهاء المتكلمين والصوفية والنزاع في ذلك بين أهل السنة والحديث من اصحاب
الامام احمد وغيرهم،

وكذلك يوجد النزاع فيه بين اصحاب مالك والشافعي وغيرهم. لكن

(١) الولي بوزن فاس التقرب قاله في المصباح (٢) أي وهم المقتصدون الخ

أكثر أصحاب أبي حنيفة لا يشترطون سلامة العاقبة، وكثير من أصحاب مالك والشافعي شرط سلامة العاقبة، وهو قول كثير من متكلمي أهل الحديث كالأشعري ومن متكلمي الشيعة ويبنون على هذا النزاع هل ولي الله يصير عدو الله؟ وبالعكس؟ ومن أحبه الله ورضي عنه هل أبغضه الله وسخط عليه في وقت ما؟ وبالعكس؟ ومن أبغضه الله وسخط عليه هل أحبه الله ورضي عنه في وقت ما على القولين والتحقيق وهو الجمع بين القولين فإن علم الله القديم الأزلي وما يتبعه من محبته ورضاه وبغضه وسخطه وولايته وعداوته لا يتغير، فمن علم الله منه أنه يوافي حين موته بالإيمان والتقوى فقد تعلق به محبة الله وولايته ورضاه عنه أزلا وأبداً

وكذلك من علم الله منه أنه يوافي حين موته بالكفر فقد تعلق به بغض الله وعداوته وسخطه أزلا وأبداً لكن مع ذلك فإن الله يبغض ما قام بالاول من كفر وفسوق قبل موته، وقد يقال أنه يبغضه وبغضه على ذلك كما ينهيه عن ذلك وهو سبحانه وتعالى يأمر بما فعله الثاني من الإيمان والتقوى ويحب ما يأمر به ويرضاه. وقد يقال أنه يولييه حينئذ على ذلك

والدليل على ذلك اتفاق الامة على أن من كان مؤمناً ثم ارتد فإنه لا يحكم بان إيمانه الاول كان فاسداً بمنزلة من أفسد الصلاة والصيام والحج قبل الاكمال وإنما يقال كما قال الله تعالى (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) وقال (لئن أشركت ليحبطن عملك) وقال (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) ولو كان فاسداً في نفسه لوجب أن يحكم بفساد انكحته المتقدمة وتحريم ذبائحه وبطلان عباداته جميعها حتى لو كان قد حج عن غيره كان حجه باطلاً، ولو صلى مدة بقوم ثم ارتد كان لهم أن يعيدوا صلاتهم خلفه، ولو شهد أو حكم ثم ارتد أو فسد شهادته وحكمه ونحو ذلك. وكذلك أيضاً الكافر إذا تاب من كفره ولو كان محبوباً لله ولياً له في حال كفره لوجب أن يقضى بعدم احكام ذلك الكافر وهذه كلها خلاف ما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع

والكلام في هذه المسألة نظير الكلام في الآجال والارزاق ونحو ذلك وهي أيضاً

على قاعدة الصفات الفعلية وهي قاعدة كبيرة وعلى هذا يخرج جواب السائل .
فمن قال ان ولي الله لا يكون الا من وافاه حين الموت بالايمان والتقوى فالعلم
بذلك أصعب عليه وعلى غيره . ومن قال قد يكون ولي الله من كان مؤمنا تقيا
وان يعلم عاقبته فالعلم بذلك أسهل ومع هذا يمكن العلم بذلك للولي نفسه واغيره
ولكنه قليل ولا يجوز التهميم بالقطع على ذلك . فمن ثبتت ولايته لله بالنص وانه
من أهل الجنة كالعشرة وغيرهم فعامة أهل السنة يشهدون له بما شهد له به النص . واما
من شاع له لسان صدق من الامة بحيث اتفقت الامة على الثناء عليه فهل يشهد
له بذلك ؟ هذا فيه نزاع بين أهل السنة والاشبه ان يشهد له بذلك ، هذا في
الامر العام

وأما خواص الناس فقد يعلمون عواقب اقوام بما يكشفه الله لهم . لكن
ليس هذا مما يجب التصديق العام به فان كثيرا مما يظن به انه حصل له هذا
الكشف يكون ظانا في ذلك ظنا لا يعني من الحق شيئا ، واهل المكاشفات
والمخاطبات يصيبون تارة ويخطئون أخرى كاهل النظر والاستدلال في موارد
الاجتهاد ولهذا وجب عليهم جميعهم ان يعصموا بكتاب الله وسنة رسوله وان
يزنوا مواجيدهم ومشاهداتهم وآراءهم ومعقولاتهم بكتاب الله وسنة رسوله لا
يكتفوا بمجرد ذلك ، فان سيد المحدثين المخاطبين الملمهين من هذه الامة هو عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ، وقد كان تقع له وقائع يردها عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصديقه التابع له الآخذ عنه الذي هو اكل من المحدث الذي يحدث
نفسه عن ربه ولهذا اوجب على جميع الخلق اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
وطاعته في جميع امورهم الباطنة والظاهرة ، ولو كان احد يأتيه من الله ما لا يحتاج
الى عرضه على الكتاب والسنة لكان مستغنيا عن الرسول في بعض دينه ، وهذا
من اقوال المارقين الذين يظنون ان من الناس من يكون مع الرسول كالخضر مع موسى
ومن قال هذا فهو كافر . وقد قال تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا
اذا تمنى ألقى الشيطان في امنيه فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته

والله اعلم حكيم) فقد ضمن الله للرسول ولانبي ان ينسخ ما يلقي الشيطان في امنيته ولم يضمن ذلك للمحدث ولهذا كان في الحرف الآخر الذي كان يقرأ به ابن عباس وغيره: وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث الا اذا تمىلقى الشيطان في امنيته

ويحتمل والله أعلم أن يكون هذا الحرف متلوا حيث لم يضمن نسخ ما القى الشيطان فاما نسخ ما القى الشيطان فليس الا للانبياء والمرسلين اذ هم معصومون فيما يبلغون عن الله تعالى أن يستقر فيه شيء من القاء الشيطان، وغيرهم لا يجب عصمته من ذلك وان كان من أولياء الله المتقين، فليس من شرط أولياء الله المتقين أن لا يكونوا مخطئين في بعض الاشياء خطأ مغفورا لهم بل ولا من شرطهم ترك الصغائر مطلقا بل ولا من شرطهم ترك الكبائر أو الكفر الذي تعقبه التوبة وقد قال الله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون * لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين * ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) فقد وصفهم الله تعالى بانهم هم المتقون والمتقون هم أولياء الله ومع هذا باجزائه ويكفر عنهم أسوأ الذي عملوا (١) وهذا أمر متفق عليه بين أهل العلم والايان ، وانا بخالف في ذلك الغالية من الرافضة واشباه الرافضة من الغالية في بعض المشايخ ومن يعتقدون انه من الاولياء ، فالرافضة تزعم أن الاثنى عشر معصومون من الخطأ والذنب ، ويرون هذا من أصول دينهم ، والغالية في المشايخ قد يقولون إن الولي محفوظ والنبي معصوم ، وكثير منهم لم يقل ذلك بلسانه فحاله حال من يرى أن الشيخ أو الولي لا يخطيء ولا يذنب ، وقد يبالغ الغلو بالطائفتين الى أن يجعلوا بعض من غلوا فيه بمنزلة النبي أو أفضل منه ، وان زادوا الامر جعلوا له نوعا من الالهية ، وكل هذا من الضلالات الجاهلية المضاهة للضلالات النصرانية فان في النصرانية من الغلو في المسيح والرهبان والاحبار ما ذمهم الله عليه في القرآن وجعل ذلك عبرة (١) كذا في الاصل وهو محرف والمعنى الذي يدل عليه السياق أنهم مع هذا يسيئون ولكن الله يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا أي لغلبة احسانهم على سيئاتهم

لنا لئلا نسلك سبيلهم ولهذا قال سيد ولد آدم « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »

﴿ فصل ﴾ وأما الفقراء الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه فهم صنفان مستحقو الصدقات ومستحقو الفىء أما المستحقون للصدقات فقد ذكرهم الله في قوله (ان تبادوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) وفي قوله (انما الصدقات للفقراء والمساكين) واذا ذكر في القرآن اسم المسكين وحده أو الفقير وحده كقوله (أو اطعام عشرة مساكين) فهما شيء واحد واذا ذكر جميعا فهما صنفان

والمقصود بهما أهل الحاجة وهم الذين لا يجدون كفايتهم لا من مسألة ولا من كسب يقدرون عليه ، فمن كان كذلك من المسلمين استحق الاخذ من صدقات المسلمين المفروضة والموقوفة والمنذورة والموصى بها ، وبين الفقهاء نزاع في بعض فروع هذه المسائل معروفة عند أهل العلم

و ضد هؤلاء — الاغنياء الذين تحرم عليهم الصدقة ثم هم نوعان نوع نجب عليه الزكاة وان كانت الزكاة تجب على من قبله تباح له عند جمهور العلماء ، ونوع لا تجب عليه ، وكل منهما قد يكون له فضل عن نفقاته الواجبة وهم الذين قال الله فيهم (ويسألوك ماذا ينفقون قل العفو) وقد لا يكون له فضل . وهؤلاء الذين رزقهم قوت وكفاف فهم اغنياء باعتبار غناهم عن الناس ، وهم فقراء باعتبار انه ليس لهم فضول يتصدقون بهاء وانما يسبقوا افتراء الاغنياء الى الجنة بنصف يوم لعدم فضول الاموال التي يحاسبون على مخرجها ومصارفها فمن لم يكن له فضل كان من هؤلاء وان لم يكن من اهل زكاة

ثم ار باب الفضول ان كانوا محسنين في فضول اموالهم فقد يكونون بعد دخول الجنة ارفع درجة من كثير من الفقراء الذين سبقوهم كما يقدم اغنياء الانبياء والصديقين عن السابقين وغيرهم على الفقراء الذين دونهم . ومن هنا قال الفقهاء : ذهب اهل الدثور بالاجور ، وقيل لما ساواهم الاغنياء في العبادات (المنار: ٧٠٠) (٦٥) (المجلد الرابع والعشرون)

البدنية وامتازوا عنهم بالعبادات المالية ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، فهذا هو الفقير في عرف الكتاب والسنة

وقد يكون الفقراء سابقين ، وقد يكونون مقتصدين ويكونون ظالمين أنفسهم كالاغنياء . وفي كلا الطائفتين المؤمن الصديق ، والمنافق الزنديق
وأما المستأخرون فالفقير في عرفهم عبارة عن السالك الى الله تعالى كما هو الصوفي في عرفهم أيضا ، ثم منهم من يرجح مسمى الصوفي لانه عنده الذي قطع العلائق كلها ولم يتقيد في الظاهر بغير الامور الواجبة ، وهذه منازعات لفظية اصطلاحية ، والتحقيق ان المراد المحمود بهذين الاسمين داخل في مسمى الصديق او الولي والصالح ونحو ذلك من الاسماء التي جاء بها الكتاب والسنة فمن حيث دخل في الاسماء النبوية يترتب عليه من الحكم ما جاءت به الرسالة

وأما ما تميز به مما يعده صاحبه فضلا وليس بفضل أو مما يوالي عليه صاحبه غيره ونحو ذلك من الامور التي يترتب عليها زيادة الدرجة في الدنيا فهي أمور مهدرة في الشريعة الا اذا جعلت من المباحات من الامور المستحبات ، (١) وأما ما يقترن بذلك من الامور المكروهة في دين الله من أنواع البدع والفجور فيجب النهي عنه كما جاءت به الشريعة

(فصل ١٠) وأما الاسماء الدائرة على السنة كثير من النساك والعامه مثل الفوثن الذي يكون بمكة والاوتاد الاربعة والاقطاب السبعة والابدال الاربعة والنجباء الثلاثمائة فهذه الاسماء ليست موجودة في كتاب الله ولا هي أيضا مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا باسناد صحيح ولا ضعيف محتمل الا لفظ الابدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الاسناد عن علي بن أبي طالب

« ١ » كذا في نسختنا ولا يظهر له معنى جلي بغير تكلف ولعل اصله اذا جعلت المباحات مما ذكر من المستحبات بالنية الصالحة كالسياحة الاصل فيها الاباحية وقه تكون مستحبة اذا نوي بها امر مستحب شرعا كتحصيل العلوم والفنون النافعة غير الواجبة شرعا كما تكون واجبة وفنون العبثات التي تتوقف عليها المصالح المعاشية والحربية من فروض الكفايات

مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان فيهم — يعني أهل الشام — الابدال
 أربعين رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا» ولا توجد هذه الاسماء في
 كلام السلف كما هي على هذا الترتيب، ولا هي مأثورة على هذا الترتيب والمعاني
 عن المشايخ المقبولين عند الامة قبولا عاما وانما توجد على هذه الصورة عن بعض
 المتوسطين من المشايخ وقد قالها اما أثرا لها عن غيره أو ذكرا . وهذا الجنس ونحوه
 من العلم الذي قد التبس على أكثر المتأخرين حقه بباطله ، فصار فيه من الحق ما
 يوجب قبوله ومن الباطل ما يوجب رده . وصار كثير من الناس فيه على طرفي نقيض
 قوم كذبوا به كله لما وجدوا فيه من الباطل ، وقوم صدقوا به كله لما وجدوا فيه
 من الحق ، وانما الصواب التصديق بالحق والتكذيب بالباطل ، وهذا تحقيق
 بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من ركوب هذه الامة سنن من كان قبلها
 حذو القذة بالقذة ، فان أهل الكتابين ايسوا الحق بالباطل ، وهذا هو التبديل
 والتحريف الذي وقع في دينهم ، ولهذا يعتبر (١) الدين بالتبديل تارة وبالنسخ أخرى
 وهذا الدين لا ينسخ أبدا لكن يكون فيه من يدخل فيه من التحريف
 والتبديل والكذب والسكران ما يلبس به الحق بالباطل ، ولا بد أن يقيم الله فيه من
 تقوم به الحجة خلفا عن الرسل ، فينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ،
 وتأويل الجاهلين (٢) ، ليعحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون . فبالكتب
 المنزلة من السماء والآثار من العلوم الماثورة عن الانبياء يميز الله الحق من الباطل
 ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ،

وبذلك يتبين ان هذه الاسماء على هذا العدد والترتيب والطبقات ليست حقا في
 كل زمان بل يجب القطع بأن هذا على عموميه واطلاقه باطل ، فان المؤمنين يقلون
 تارة ويكثرون أخرى ويقل فيهم السابقون المقربون تارة ويكثرون أخرى
 وينتقلون في الامكنة ، ليس من شرط أولياء الله أهل الايمان والتقوى ومن

« ١ » المنازل : لعل الاصل : يتغير — بدل : يعتبر .

« ٢ » هذا حديث أوله « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله يبعثون عنه الخ

يدخل منهم في السابقين المقربين لزوم مكان واحد في جميع الأزمنة ،
وقد بعث الله رسوله بالحق وآمن معه بمكة نفر قبائل كانوا أقل من سبعة ثم أقل من
أربعين ثم أقل من سبعين ثم أقل من ثلاثمائة فيعلم أنه لم يكن فيهم هذه الأعداد ،
ومن الممتنع أن يكون منهم من كان في الكفار

ثم هاجر هو وأصحابه إلى المدينة وكانت هي دار الهجرة والسنة والنصرة ،
ومستقر النبوة وموضع خلافة النبوة ، وبها اندقت بيعة الخلفاء الراشدين أبي بكر
وعثمان وعمر وعلي وان كان (علي) قد خرج منها بعد أن بوبع له فيها . ومن
المتنع أنه قد كان بمكة في زمنهم من يكون أفضل منهم

ثم ان الاسلام انتشر في مشارق الارض ومغاربها وكان في المؤمنين في كل
وقت من أولياء الله المتقين بل من الصديقين السابقين المقربين من لا يحصي
عدده الارب العالمين لا يحصون بثلاثمائة ولا بثلاثة آلاف ، ولما انقرضت القرون
الثلاثة الفاضلة كان ايضا في القرون الحالية من اولياء الله المتقين بل من السابقين
من جعل لهم عددا محصورا لازما فهو من المظالمين (؟) عمدا أو خطأ

وأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقة الا الله تعالى فهو غياث المستغيثين
لا يجوز لاحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ، ولا نبي مرسل . ومن زعم أن أهل
الارض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ، ونزول الرحمة بهم ،
إلى الثلاثمائة والثلاثمائة إلى السبعين ، والسبعين إلى الأربعين والأربعين إلى السبعة
والسبعة إلى الأربعة والأربعة إلى الغوث فهو كاذب ضال مشرك وقد كان
المشركون كما أخبر الله عنهم بقوله (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون
إلا إياه) وقال (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) فكيف يكون المؤمنون يرفعون إليه
حوائجهم بعدة وسائط من الحجاب وهو القائل تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني
قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)
وقال الخليل عليه السلام داعياً لأهل مكة (ربنا اني أسكنت من ذريتي
بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا اقم صلاتنا فاجعل أفئدة من الناس

يهوي اليهم وارزقهم من الثمرات اللهم يشكرون ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء، الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء (وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه لما رفا وأصواتهم بالتلبية « أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا وانما تدعون سميعا قريبا ان الذي تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحته »

وهذا باب واسع وقد علم المسلمون كلهم انه لم يكن عامة المسلمين ولا مشايخهم المعروفون يرفعون الى الله حوائجهم لا ظاهرا ولا باطنا بهذه الوسائط والمجباب فتعالى الله عن تشبيهه بالخلق من الملوك وسائر ما يقرله الظالمون علوا كبيرا وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لا بد في كل زمان من امام موصوم يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الايمان الا به ثم مع هذا يقولون انه كان صبيا دخل المرداب من أكثر من اربعائة وأربعين سنة ولا يعرف له عين ولا أثر ولا يدرك له حس ولا خبر . .

وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم معناها للرافضة من بعض الوجوه بل هذا الترتيب والاعتداد يشبه من بعض الوجوه ترتيب الاسماعيلية والنصيرية ونحوهم في السابق والثاني والناطق والاساس والجسد وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل الله به من سلطان ، واما الاوتاد فقد يوجد في كلام بعضهم أنه يقول فلان من الاوتاد ومعنى ذلك أن الله ثبت به من الدين والايمان في قلوب من يهديهم الله به كما ثبتت الارض باوتادها وهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة فكل من حصل به تثبيت العلم والايمان في جمهور الناس كان بمنزلة الاوتاد العظيمة والجبال الكبيرة ، ومن كان دونه كان بحسبه وليس ذلك محصورا في أربعة ولا أقل ولا أكثر بل جعل هؤلاء أربعة مضاهاة لقول المنجمين في أوتاد الارض

﴿ فصل ﴾ وأما التباين فيوجد في كلامهم أيضا: فلان من الاقطاب وفلان

قطب، فكل من دار عليه أمر من أمور الدين والدنيا باطنا أو ظاهرا فهو قطب ذلك الأمر ومداره سواء كان الدائر عليه أمر داره أو قرية أو مدينة أمر دينها أو دنياها باطنا أو ظاهرا ، ولا اختصاص لهذا المعنى بسبعة ولا أقل ولا أكثر لكن الممدوح من ذلك من كان مداراً لصالح الدين دون مجرد صلاح الدنيا وهذا هو القطب في عرفهم ، وقد يتفق في عصر آخر أن تكافأ اثنان أو ثلاثة في الفضل عند الله ولا يجب أن يكون في كل زمان شخص واحد هو أفضل الخلق عند الله مطلقا

وكذلك لفظ البذل جاء في كلام كثير منهم فاما الحديث المرفوع فلا شبه أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم فإن الإيمان كان بالمجاز واليمن قبل فتوح الشام وكانت الشام والعراق دار كفر ثم في خلافة علي قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « تشرق مارقة على خير فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق » فكان علي وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام ومعلوم أن الذين كانوا مع علي من الصحابة مثل عمار وسهل بن حنيف ونحوهما كانوا أفضل من الذين مع معاوية وإن كان سعد بن أبي وقاص ونحوه من القاعدين أفضل ممن كان معهم، فكيف يعتقد مع هذا أن الابدال جميعهم الذين هم أفضل الخلق كانوا في أهل الشام؟ هذا باطل قطعا، وإن كان قد ورد في الشام وأهله فضائل معروفة فتد جعل الله لكل شيء قدرا

والكلام يجب أن يكون بالعلم وبالقسط فمن تكلم في لدين بغير علم دخل في قوله (ولا تقف ما ليس لك به علم) وفي قوله (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ومن لم يتكلم بقسط وعادل خرج من توا (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله) ومن قوله (وإذا قلتم فاعدلوا) ومن قوله (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) والذين تكلموا باسم البذل فردوه بمعان منها أنهم ابدال ومنها أنهم كلما مات منهم رجل ابدل الله مكانه رجلا ، ومنها أنهم ابدلوا السيئات من

أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بالحسنات ، وهذه الصفات كلها لا تخص بأربعين ولا بأقل ولا أكثر ، ولا يحرص باهل بقعة من الارض ، وبهذا التحريز يظهر المعنى باسم النجباء . فالغرض ان هذه الاسماء نارة تفسر بمعان باطلة بالكتاب والسنة واجماع السلف مثل تفسير بعضهم بان القوث هو الذي يغيب الله به أهل الارض من رزقهم ونصرهم . فان هذا نظير ما تقوله النصارى في الباب ، وهو معدوم العين والاثر ، وتشبيه بحال المنتظر الذي دخل السرداب من نحو اربعمائة وأربعين سنة ، وكذلك من فسر الاربعين الابدال بان الناس انما ينصرون ويرزقون بهم فذلك باطل بل النصر والرزق يحصل باسباب من اوكدها دعاء المسلمين المؤمنين وصلاتهم واخلاصهم ولا ينقيد ذلك لا بأربعين ولا بأقل ولا أكثر كما في الحديث المعروف ان سعد بن ابي وقاص قال يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم ايسهم له مثل ما يسهم اضعفتهم ؟ فقال « يا سعد وهل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم واخلاصهم » وقد يكون للنصر والرزق أسباب آخر فان الكفار ايضا والفجار ينصرون ويرزقون . وقد يجذب الله الارض على المؤمنين ويخيفهم من عدوهم ، لينيبوا اليه ويتوبوا من ذنوبهم ، فيجمع لهم بين غفران الذنوب ، وتفريج الكروب ، وقد يملي للكفار ويرسل السماء عليهم مدرارا ويمدهم بأموال وبنين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ، إما ليأخذهم في الدنيا أخذ عزيز مقتدر وإما ليضعف عليهم العذاب في الآخرة فليس كل انعام كرامة ولا كل امتحان عقوبة قال الله تعالى (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول رب اكرمني * وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول رب اهانني * كلا)

(للكلام بقية)

الخطاب

الذي خاطب به المحكمة الانكليزية العالم العلامة الاستاذ أبو الكلام
(٣)

وظيفة المسلمين اذا ظلموا

إن الشريعة الاسلامية رسمت للمسلمين خطتين اذا ظلموا ، خطة ضد استبداد الحكومة الاسلامية ، وخطة ضد استبداد الحكومة الاجنبية - والاولى تنحصر في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واعلان الحق وتقبيح الظلم من استطاع اليه سبيلا - أما الثانية فليست الا السيف والحرب العوان وقرب الرقاب وفي كليهما أمر المسلمون بأن يضحوا نفوسهم ويرحبوا بالموت صابرين ثابتين شاكرين ، راجين رحمة ربهم وفلاح الدنيا والآخرة . ولذا تجدهم كما تجمعون كؤوس المنايا بين الولاة الظالمة من أنفسهم في سبيل الحق ، كذلك باعوا رؤوسهم بيد الاجانب في إعلاء كلمة الحق ، وقد سبقوا سائر الامم في هذا المضمار ، فلا يوجد « لسعيهم الحربي » مثال ، ولا يوجد « لسعيهم المدني » مثال

ولقد كان يجب على مسلمي الهند الآن أن يتخذوا الخطة الثانية فيحاربوا الحكومة الانكليزية بالسلاح ويتفانوا في جهادها ، غير أنهم آثروا الاولى ، واعانوا أنهم لا يرفعون عليها السلاح ، ولا يسفكون الدماء ، بل يظنون متمسكين بعري الامن والسلم ، وانما يقاطعونها ، وينفضون أيديهم من التعارن معها ويشهرون سوءاتها ، ويطلبون تغييرها « بالسعي المدني » اي يعاملونها كما كانوا يعاملون الحكومات الاسلامية الجائرة

أجل ان فيهم ضعفا وهنا ، ولا يستطيعون محاربة الدولة البريطانية القوية ، الا أنهم لم يكونوا عاجزين عن إلقاء أنفسهم في أفواه مدافعها وسد طريقها بجيشهم الممزقة ، ولكنهم مع قدرتهم عليه اختاروا الخطة الاولى ، ولم يضيقوا عليها السيل

فهل كان يجب عليها أن تفكر في صنيعهم وتسامحهم معها ؟ فحسبها أنهم يعاملونها
كمملاتهم لحكوماتهم الاسلامية ا
انقلاب الحال

وإني أقول حقاً إنه لا يؤلني أن أرى الحكومة عازمة على معاقبتي ، وأنها لا
تحاكمي إلا لأن تزيجني في السجون ، اذ هذا أمر لا بد منه ، وإنما الذي يؤلني
فيقتت كبدي هو أن أرى الحالة تنقلب انقلاباً تاماً ، فبدلاً من أن ينتظر من
المسلم صدق اللهجة والقول الحق ، يطلب منه السكوت عنه وكتمان الشهادة ،
وأن لا يقول للظالم « انك ظالم ا » لان قانون ١٢٤ يعاقب عليه ا

ولقد كان المسلم في العهد الاول يوقف بين يدي ملك جبار لقوله له « انك
ظالم » فيصب عليه العذاب الى ان تتشقق له القصب ، ثم يمدون قصبة قصبة
حتى يذهب لحمه كله ، فلا يسمعون له يستغيث أو يندم أو يتألم ، بل لا ينفك
لسانه يقول ما قاله أولاً (١) ا فوازنوا بين هذا وبين قانونكم (١٢٤)

واست أنكر أن الحقيقة المحزنة هي أن المسلمين أنفسهم مسئولون عن هذا
الانقلاب المخزي وتسلط الاجانب عليهم ، لانهم قد فقدوا خصائص الحياة
الاسلامية ، وكسبوا جميع رذائل العبودية ، حتى أصبحوا بحالتهم الحاضرة
أكبر فتنة للاسلام - أقول هذا رقلي يذوب حزناً وكداً على وجود أناس من
المسلمين في هذه البلاد يتخذون أرباباً من دون الله ويعبدون الظلم والظلمة جهراً
وعلى ، فالى الله المشتكى ثم الى الله المشتكى ا

الحرية أو الموت

والكن سوء حال المسلمين لا يسود ناصية تعاليم الاسلام الحق البيضاء
المصونة بين دفتي الكتاب الحكيم - وهي لا تبيح للمسلمين في حال من الاحوال
١ « وقد قبل هذا الحجاج بن يوسف الثقفي مع حطيط الزيات الذي مرت
حكايته آنفاً - » المترجم »

أن يعيشوا عبيدا وخولا للأجانب والمستبدن بل توجب عليهم أن يحيا أحرارا ،
أو يموتوا كراما ، وليس بينهما سبيل -

وهذا الذي حماني قبل اليوم باثنتي عشرة سنة على أن أذكر المسلمين في
الهلال (١) بأن الجهاد في سبيل الحرية ، وبيع الرؤوس لأعلاء كلمة الحق
هو ارثهم الاسلامي القديم الذي ورثوه عن أجدادهم العظام ، وأنه يجب أن
يحافظوا عليها بكل قوة ، وأن دينهم يحتم عليهم أن يسبقوا جميع أبناء وطنهم
في الجهاد الوطني ، فلا يكونوا فيه أذنانا ، بل رؤوسا وأعلاما يهتدى بهم - ولقد
كان من فضل الله أن دعوتي لم تذهب أدراج الرياح ، بل لقيت القبول والاجابة
منهم ، وهما نحن اولاء نراهم اليوم قد شمروا عن ساعديهم وعزموا أكيدا
على السعي والعمل مع اخوانهم الوطنيين من الهندوس والنصارى والمجوس
لتحرير وطنهم من ربة العبودية الاجنبية ، ولا يقر لهم قرار الا بعد نيل المرام
مسألة الخلافة

وإني لا أذكر هنا مظالم الحكومة حيال الخلافة الاسلامية لأنها أشهر من
أن تذكر ، ولكن الذي أريد التصريح به هو أنه لم يمض علي يوم ولا ليلة في
خلال السنتين الماضيتين الا وأعلنت تلك المظالم على رؤوس الاشهاد ، وصرخت
بأعلى صوتي قائلا « إن الدولة التي تدوس الخلافة الاسلامية تحت اقدامها ولا
تندم على ما اقترفته في الهند من الفظائع والمنكرات لا تستحق أن يخلص لها
أحد من أبناء هذه البلاد ، لأنها بأعمالها قد أصبحت عدوا للدلاسلام والمسلمين
ولسكان هذا القطر ا »

ولا تلوم الحكومة أحداً غير نفسها على سقوطها في هذا المأزق الذي يصعب
عليها الخروج منه ، لأنني قد نبهتها سنة ١٩١٨ من مهتلي في كتاب مني الى (اللورد
جيمسفورد) الوالي السابق فصلت لها فيه الاحكام الاسلامية التي تتعلق بالخلافة
وجزيرة العرب ، وصرحتها بان الدولة البريطانية اذا نقضت عهودها ، واستولت

على الخلافة والبلاد الاسلامية ، توقع المسلمين في حالة حرجة جدا ولا يبقى لهم اذ ذاك الا أن يكونوا مع الاسلام أومع البريطانية ، ومعلوم أنهم يؤثرون الاسلام عليها

ولسكنها اكبرها وعجرفتها لم تبال بما كتبت ، فألقت كتابي ظهريا، ونكشت أيمانها من بعد توكيدها ، فاحتلت دار الخلافة الاسلامية واستولت على العراق والشام وفلسطين ، وبسطت نفوذها على جزيرة العرب ، فمادت الاسلام والمسلمين علنا ، واضطرتهم الى مقاطعتها ونبتد معونتها والتبري من طاعتها (وهو أقل ما توحيه الشريعة في مثل هذه الحالة كما مر) ثم إنها باصرارها على غيها واعراضها عنهم واستنكافها من الانصت اليهم ، أيأستهم من نفسها ، حتى أيقنوا أن لا سبيل الى الحياة ونيل حقوقهم المنصوبة الا باسقاط هذه الحكومة واقامة حكومة وطنية بحثة ، وهي التي يسمونها في لغتهم « بالسوارج »
أعدل هذا أم ظلم ؟

والحاصل أن اعترافاتي في هذا الباب جلية وصريحة ، فاني لا أعد الحكومة الحاضرة الا (بيو وكر يسيا) غير شرعي وعد ما محضا في عين الحق والقانون ولرضا مثات (؟) الملايين من أبناء البلاد، فهم يمقتونها أشد المقت ، ويطلبون زوالها وسقوطها بأسرع ما يمكن ، لانهم ألفوها دائما تؤثر الرهبة والشدة في أعمالها على العدل والحق ، وتبيح سفك الدماء البريئة بدون رحمة ولا شفقة في (جليانوا لا باغ ^(١)) وتجلد الصبيان الذين ما عرفوا الذنوب بعد لان ينحنوا أمام العلم البريطاني المثلث — ثم أهم وجدوها لا ترتدع عن دوس الخلافة الاسلامية ، ولا تسمع الصيحات المتوالية التي تلو من أفواه المسلمين وغيرهم ، وتسلم أزمير وتراقية الى اليونان ظلما وجورا ، وتسمح لهم باراقة دماء المسلمين

« ١ » هو ميدان محيط بالجدران بمدينة امر تسر من مقاطعة بنجاب، قتلت فيه الجيوش الانكليزية مثات من الوطنيين ، رجالا وشيوخا وأطفالا ، كانوا اجتمعوا فيه لينشاورا في بعض القوانين الجائرة « المترجم »

أنهارا في سهول الاناضول .

ولقد رأوا جرأتها في سحق الحق غير قليلة ، وهمتها في لبس الصدق بالافك غير كيلة ، ولسانها في تكذيب الحقائق غير عبي ولا متلعثم ، فمع أنه يوجد في ولاية أزمير ٧٠ في المائة من المسلمين ، يعلن رئيس وزرائها بدون أدنى لكنة أن الاكثريّة للنصارى ، ولقد وضع اليونانيون السيف في رقاب المسلمين وذبحوهم ذبح الانعام . هو يقلب الحقيقة فيتهم الثمانيين بالقتل وسفك الدماء ، ويشهر المظالم التركية المخترعة في العالم بلا مبالاة ، ويخفى بكل وقاحة تقرير لجنة التفتيش الامريكية التي نددتها حكومته بنفسها ، ويؤايب على الاحرار الثمانيين الدول الغربية كلها ، ويدعوها الى محاربتهم واستئصالهم .

ثم انهم وجدوها لا تخجل ولا تندم على هذه الفضائح والمنكرات ، ولا ترغب في تلافيتها واصلاح عوجها ، بل تعود ، فتستبد أكثر من قبل ، وتقهّر البلاد وتكبح سعيها الشرعي السامي ، وتعمل كل ما عملته في السنة الماضية ، ومات عمله منذ ١٨ نوفمبر الى الآن ، من الاعمال الشنيعة التي تشمئز منها الانسانية وتعافها —
فيا ليت شعري ان لم أقل لمثل هذه الحكومة « انك ظالمة ، فاما أن تتوبني وإما أن تزولي — فماذا أقوله ؟ أفأ كذب وأقول لها : لا بل انك عادلة فلا تتوبني ولا تزولي ؟ لعمر الله أن هذا لا يكون أبداً !

وهل يستحق الظالم أن يبدل اسمه ويسمى بغير اسمه لانه يملك القوة والسجون والمشائق ؟ كلا بل أقول كما قال صالح ايطالية وبطل الحرية (ميرزي) اننا لا نسكت عن سيئاتكم لانكم تملكون قوة عما قليل تزول !

قرة عيني في ذو هذه الجناية ،

اني لا عجب كيف تقدم الحكومة هاتين الخطبتين الناقصتين ضدي ؟
أفما كانت نجد غيرها ؟ أفلا توجد هذه الاقوال بعينها وأكثر منها في الآلاف المؤلفة من الصحائف التي حبرتها ، وفي جميع خطبي التي خطبتها في

سائر أنحاء الهند ؟ فلو أنها رجعت إليها لوجدتها ممتلئة من هذه الأفكار الثورية

الحكومة تعلم أنني لست حديث عهد «بمبادئ الثورة» كما سمعتها فلقد مارسناها وأنا صغير، وباشرت الخطابة والكتابة فيها وأنا ابن ثماني عشرة سنة وأفانيت شبابي في عشقها والهيان بها ودعوت أمتي إليها جهرًا على مسمع من الحكومة وعرضتها على المطالبة بحقوقها منها ولذا اعتقلتني أربع سنوات ولكن الاعتقال لم يكن ليمنعني من أداء واجبي - إني فظلت تحت المراقبة الشديدة أرفع صوتي بها وأدعو الناس إليها ، لا مراً بل علناً في رابعة النهار - وكيف لا ، وفيها قرعة عيني ، وهي مقصدي من الحياة ، إن أعش أعش لاجلها وإن أمت أمت عليها (ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)

الحركة الإسلامية الأخيرة

كيف استطاع التبري من هذه « الجناية » وأنا الذي قمت بهذه « الحركة الإسلامية » التي أحدثت انقلاباً عظيماً في أفكار المسلمين السياسية وأوصلتهم إلى حيث نراهم الآن ، فأنهم بقبولهم أفكارني أصبحوا شركائني في الجريمة واستحقوا العقاب الذي تشرفني به الحكومة — ولقد أصدرت سنة ١٩١٢ صحيفة باسم « الهلال » بثت بها جرائم هذا الذنب في المسلمين ، فعلقت بقلوبهم وسمعت أفكارهم ، فبعد ان كانوا أعداء لآخوانهم الهندوس وعقبة كؤدا في جهادهم الوطني ، وآلة صماء بيد الحكومة ، يعتقدون أن البلاد إذا استقلت ، تغلب عليهم الهندوس وأسسوا دولتهم لأنهم أكثر عدداً منهم — أصبحوا بدعوة « الهلال » يرجحون قوة الإيمان والحق على قوة العدد والعدد ، ودعوتهم إلى مساهمة الهندوس في الجهاد الوطني ، فأصبحوا متحدين معهم وقاموا جميعاً بالحركة الحاضرة . وغني عن البيان أن الحكومة لم تكن لتتحمل الحركة التي أحدثتها « الهلال » فعمدت إلى منعها واقتلها طبعها ثم لما انشأت جريدة أخرى باسم « البلاغ » اعتقلتني وأنا صريح هنا بأن « الهلال » لم تكن إلا دعوة للحرية أو الموت » وإن

ما يعمله الآن (مهاتما غاندهي) من بث الروح الدينية في الهندوس ، كانت « الهلال » قد فرغت منه سنة ١٩١٤ — وإن من المصادفات العجيبة أن المسلمين والهندوس ما قاموا بالحركة الجديدة القوية إلا بعد أن حلت فيهم الروحانية الدينية محل المدنية الغربية المادية —

مؤتمر الخلافة بـكلكتا

ثم أني منذ خرجت من الاعتقال الطويل ما برحت أنشر هذه المبادئ بين الناس وأدعهم إليها — ففي مؤتمر الخلافة الذي انعقد في ٢٨ و ٢٩ فبراير بـكلكتا نفسها والذي رأست جلساته ، حملت المسلمين على أن يعلنوا القرار الآتي « ان أصرت الحكومة على غوايتها ، ولم تصنع لمطالبنا في مسألة الخلافة ، يضطر المسلمون بأوامر دينهم أن يصرموا جميع أواصر الولاء التي تربطهم بها » وألقيت في هذا المؤتمر خطبة طويلة بينت فيها جميع تلك الأمور بيانا تاما وهي توجد في هاتين الخطبتين ناقصة —

التعاون والخدمة العسكرية

ولقد شرحت في هذه الخطبة أن الشرية توجب على المسلمين في الحالة الحاضرة أن يكفوا عن التعاون مع الحكومة وأن يقاطعوها مقاطعة تامة — وهذا هو « اللا تعاون » الذي أطلق عليه بعد اسم Non cooperation وتولى (مهاتما غاندهي) قيادته —

وفي نفس هذا المؤتمر أعلن : أنه لا يحل للمسلمين أن ينسلخوا في الخدمة العسكرية لهذه الحكومة ، لأنها تحارب الخلافة والدولة الإسلامية : « وإن من أعجب العجب أن تؤخذ الحكومة (١) وتماقبيهم لإعلانهم هذا الحكم في مدينة كراچی ولا تؤاخذني به ، مع أنني صرحت مراراً على صفحات الجرائد

(١) سجنّت الحكومة الاخوين الشيرين محمد علي وشوكت علي وتقرأ غيرهما سنتين لإعلانهم هذا في كراچی من مقاطعة السند (المترجم)

وفي خطبي ان أول من قدم هذا الاقتراح وأعلن هذا الحكم الديني ، هو أنا بعيني ، فقد قرر وصدق عليه في ثلاثة مؤتمرات تحت رياستي : أولاً في كلكتا ، ثم في بريلي ، ثم في لاهور — وقد أعلنته مرارا في غير هذه المؤتمرات ، ودعوت الحكومة الى معاقبتي فلم تجبني ، مع أنني كنت أحق الناس وأولاهم بالعقاب عليه وقد طبعت خطبة مؤتمر كلكتا بعد زيادات فيها ، ونشرت مع الترجمة الانكليزية مرارا ، وهي بمثابة جدول مكتوب لجرائمى وذنوبى —

حياتي كلها « جنائية »

انني قد طفت البلاد الهندية كلها عدة مرات في خلال السنتين الماضيتين ، وحدي ومع (مهاتما غاندهي) ولا توجد بلدة الا وقد خطبت فيها على مسألة الخلافة وبنجاب « وسوراج » والائتلاف — وبينت جميع تلك الامور التي تحتوي عليها هاتان الخطبتان

ولقد انعقدت جمعية الخلافة الكبرى في ديسمبر سنة ١٩٢٠ مع الجمعية الوطنية العامة (بناغبور) وجمعية العلماء في ابريل سنة ١٩٢١ (بريلي) وجمعية الخلافة لمقاطعة (اورهر) في اكتوبر (باغره) وجمعية العلماء العامة في نوفمبر (لاهور) وقد رأست هذه الجمعيات كلها ، وخطبت فيها خطبا طويلة ، قلت فيها ما قلت في هاتين الخطبتين ، بل أكثر منه وأشد

فان كانت مطالب هاتين الخطبتين لا تلئم الحكومة ، وتراني أستحق العقاب لاجلها تحت قانون ١٢٤ ، فلم لا تعاقبني على جميع خطبي وهي كلها مثلهما ، بل أشد ومائة على الاستبداد منهما ؛ بل إنى مضطر الى التهرب بآني ارتكبت هذه الجناية مرارا يستحيل عدها ، بل ما عملت في السنتين الماضيتين غير هذه الجناية ؛

الائتلاف السلمي

اننا قد وضعنا لجهادنا الحق خطة « الائتلاف السلمي » أجل ، إن القوات

المادية واقفة امامنا بجميع اسلحتها القتالة : ووادها العظيمة ، تريد أن تسحقنا سحقاً ، وتمحق الحرية والحق محققاً ، ولكن هذا لا يهواننا ، لاننا لاثق بالمادة والاسلحة المادية ، انما تركنا على الله الواحد القهار ، وثقتنا بالضحايا المتوالية التي تقدمها ، والثبات القوي الذي نظهره في هذه المعركة القائمة بين الحق والباطل والحرية والاستبداد — وأنى لا أرى مثل (مهاتما غاندي) أن استعمال السلاح لا يجوز بحال ، فأنى مسلم واعتقد أن استعماله مباح في المواقع التي أباحه الاسلام فيها — ولكنني مع هذا أسلم بجميع دلائل (مهاتما غاندي) في المسئلة الحاضرة واعتقد صحتها وأني لعلى يتقن من ربي في أن الهند ستفوز في قضيتها بنخطة « التعاون السلمي » ويكون فوزها مثالا عظيما لفوز القوة الروحانية والاخلاقية والحق على الباطل والمادة —

الحالة الحاضرة طبيعية

وأني أكرر أخيراً ما قلته أولاً ، وهو أن ، أتعمله الحكومة معنا ليس بامر عجيب ولا غير منتظر فنلومها عليه أو نتبرم منه ، فان القهر والعنف لقمع الحرية والحق دأب الحكومات الجائرة ، وطبعها منذ الأيام الخالية الى اليوم ، ولا ينبغي لنا أن ننفي انفسنا بتغير الطبيعة لاجلنا

وهذا الضعف الطبيعي كما يوجد في الآحاد ، يوجد في الجماعات ، فكم من الناس من يرد النزر اليسير المغصوب لانه لاحق له فيه ؟ وكيف ننظر من دولة أن تدخل عن قارة تسلطت عليها ووجدتها تدر كالبقرة الحلوب ؟ والقوة لا تقبل شيئاً لانه حق وعدل ، بل ننظر قوة مقاومة مثلاً ، فاذا تصادمت بها خضعت لكل طالب مهما كان فاحشاً فالحرب التي نشبت الآن بين البلاد والحكومة فلا بد من طولها وامتدادها ، ولا تأتي النتيجة الا بعد شق الانفس . وان هذا الواضح جلي لكل بصير ، بل هو عادي مثل سائر احوالنا العادية ، فلا ينبغي أن نعجب منه أو نضجر —

وأني أسلم بأننا لم يصيبنا ما أصاب الامم قبلنا في هذا السبيل من السيف

والظلم ونقص الاموال والانفس — ولا ادري أهذا لضعف في مطالبتنا بالحقوق
ووهن في سعينا وجهادنا ، أم لان ظلم الحكومة لم يبلغ مثواه بعد ؟ المستقبل
رهين بكشفه وبياناه —

وقد علمنا التاريخ أن هذا الزاحم كما يبتدي في كل رمن متشابها ، كذلك ينتهي دائما متشابها ، فالحرية والحق ينتصران و يغلبان ، والاستبداد والباطل يخذلان و يسقطان ، فإذا كنا صادقين في قضيتنا ، وصابرين في ابتلائنا ، ننجح ونفوز بلا ريب ، وتضطرب هذه الحكومة التي تعاملنا اليوم كالمجرمين ، الى أن ترحب بنا غدا كالأبطال والفاحين !

الشورة

أني قد اتهمت « بالثورة » مهلاً ، ذروني افهم معنى « الثورة » أهى ذلك السعي الذي لم ينجح بعد ؟ ان كان هذا هو الثورة ، فنعم اني « لثائر » وممثل بين يديكم ، عاقبوني بأي عقاب شئتم ؛ ولكن اعلّموا أن هذا السعي اذا تكال بالانجاح فانه يسمى « بحب الوطن » « وجهاد الحرية » فقد كنتم بالامس تسمون قادة ايرانية « ثواراً وعصاة » ولكن أي اسم تختاره اليوم الدولة البريطانية لـديوايرا وغربفت ؟ أهم ثوار الآن أم ابطال الحرية ؟

ولقد قال مرة قائد ايراندة بارنل : مازال عملنا هذا يسمى في البداية «ثورة»
وفي النهاية «جهادا وحربا مقدسة للحرية والوطن !»

ناموس القضاء بالحق

اتني مسلم وحسب المسلم يقينا كتابه لذي يؤمن به ، فالقرآن يدل على أن
ناموس « انتخاب الطيبة وبقاء الاصلح » ناموس عام ، كما يعمل عمله في
الاجسام والمادة ، فيبقى منها الاصح والاصح للبقاء كذلك يعمل في العقائد
والاعمال ، فالاعمال الصالحة تتخذ وتثمر ، والاعمال السيئة تفتي وتصير هباء منثورا
واذا وقع بينهما نزاع غلبت الاولى وحلت محل الثانية : (فاما الزبد فيذهب جفاء
وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال) (١٨ : ١٣)
(المائدة : ١٧) (المجلد الرابع والعشرون)

ولذا يسمي القرآن العمل الصالح « بالحق » الذي معناه الثبوت والقيام ، ويسمي الشر والسوء « بالباطل » الذي من شأنه أن يزول — (ان الباطل كان زهوقا)

فالتدافع الذي نراه قائما بين الحزبين سينتهي غدا بفوز الحق والصدق ، وبخسران الباطل والظلم — تلك سنة الله (ولن نجد لسنة الله تبديلا وان تجد لسنة الله تحويلا)

واني لا أدري اقريب يوم الفصل أم بعيد ؟ ولكنني أرى الجو قد اكفر وتلبد بالغيوم ، واجتمعت الآيات على سقوط الامطار ، والويل كل الويل لمن يرى الآيات والنذر ، ثم لا يأخذ أهبتها ، ولا يرتق فتقه ، ولا يسد ثغره ، وإني لأرى الحكومة من اولئك الذين لا تفنيهم الآيات والنذر فانها لا تزال متمادية في تيهها وخنزوانتها

وقد قلت في هاتين الخطبتين : ان الحرية لا ينبت نبتها ولا تستوي على سوقها الا اذا سقيت بماء الظلم والقهر . فما هي ذي الحكومة قد أخذت تسقيها بظلمها وقهرها !

وكذلك قلت فيهما : اخواني ! لا تحزنوا على من حبس منكم ، بل ان كنتم تطلبون الحق والحرية حقا ، فهلموا الى السجون واملاؤها — فما نحن أولاء نرى السجون قد ازدحمت وامتلأت حبرها حتى لم يبق فيها محل للصوف والقتلة — واضطرت الحكومة الى تشييد سجون جديدة ؟

وكيل الدعوى ، البوليس ، والقاضي

وفي الختام أريد أن أسوق كلمة الى هذا الفر من بني جلدتي الذين يعملون ضدي في هذه القضية فأقول : أصحابي ثقوا بانى لا أغضب ولا أحقد عليكم ، بل لا أنهمكم بالكذب والزور على ، لان كل ما قتموه في الشهادة حق وصدق ، ولكنى أراكم قد عصيتم الله ربكم بمساعدة الحكومة في استبدادها وظلمها ومخارتها للاسلام والانسانية — إني أعلم أن صوت الضمير يوبخكم في أعماق سرائركم ،

على ما تعملونه ، ولكنكم إنما اضطررتم اليه اضطراراً ، لانكم لا تملكون ما تسدون به عوزكم ، وترزقون به أهليكم ، وليس فيكم قوة لتحمل البأساء والضراء في سبيل الحق ، فلذا لا أحق عليكم ولا أعذلكم بل أعفوا عنكم واستغفر لكم الله »
وأما وكيل الدعوى فهو أيضاً أحد أبناء وطني ، ولا علم لي بسريرته وإنما أرى علانيته ، وهي تشهد أنه لا حظ له في هذه القضية غير ما ينقده من النقود ، فانه أجبر يعمل لاجرته فلذا لا أسخط ولا أحتمي عليه ، بل أدعو لجميع هؤلاء بدعوة نبي الاسلام (ص) لقومه : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون »
فاقض ما أنت قاض !

وأنت أيها القاضي ماذا عسى أن أقول لك ؟ ان أقول الا ما قاله المؤمنون قبلي في مثل موقعي هذا : (فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) فاني لا أحس بأدنى هم ولا ألم مهما تبالغ في العقاب ، لان خطابي مع الحكومة لا مع شخص واحد — وما دامت الحكومة فاسدة فلا رجاء في اصلاح أعمالها واني لا ختم خطابي بكلمات لفقيد ايطاليا وشهيد الحق « غاردينيو برونو » الذي كان اوقف مثلي أمام المحاكم فقال : « عاقبوني بأكثر ما يمكنكم أن تعاقبوني به فاني اؤكد لكم أن ما يشعر به قلبكم من العطف والعنان عند كتابتكم الجزاء لا يشعر قلبي في مقابله بذرة من الفزع والهلع عند سماعي هذا الجزاء »

الخاتمة

أيها القاضي ، لقد طال الحديث وآن أوان الوداع ، فليودع كل منا صاحبه وان ما يدور الآن بيننا سيسجله التاريخ بين دفائره ويتهرب به المعتبرون ، ولقد تشاركنا في ترتيبه على سواء ، أنا من هذا القفص للجنة ، وأنت من ذاك الكرسي للقضاة ، واني عالم بأنه لا بد من هذا الكرسي ، وكذلك لا بد من

هذا القفص ، فلم يبننا نفرغ من هذا العمل الذي سيكون عبءاً وتذكراً للآتين ،
فالمرح ينفذنا ، والمستقبل يترقب فراغنا ، لتسرع في المجيء اليك ولتسرع أنت
في القضاء علينا . وإن هذا العمل لا يطول قليلاً حتى يفتح باب المحكمة أخرى ،
وتلك المحكمة محكمة قانون الله الحق ، الزمان يقضي فيها ، ويكون قضاؤه حقاً
وحكمه نافذاً اهـ —

المعاهدة البريطانية الحجازية

وخدعة الوحدة العربية

— ٢ —

تعليق وجيز على خلاصة المعاهدة

لم يظهر لنا أدنى وجه لجعل المسيطر على الحجاز هذه المعاهدة عيداً للامة
العربية ، فما أبعد الفرق بين معاهدة لوزان التي جعلت الحكومة التركية عيد النحر
وهو يوم اعلانها عيداً وطنياً للترك ، وبين هذه المعاهدة التي جعل الملك حسين
يوم اعلانها بمكة عيداً وطنياً للعرب ؟

معاهدة لوزان قررت استقلال الترك استقلالاً مطلقاً من كل قيد سياسي
واقتصادي واجتماعي ، والمعاهدة البريطانية الحجازية قررت استعباد بلاد العراق
وفلسطين وشرق الاردن بالوصاية البريطانية ، وبلاد الحجاز بالحماية الانكليزية ،
فتلك جديرة بأن تجعل ذكرها عيداً وموسماً ، وهذه جديرة ان امضيت بأن تجعل
ذكرى خزيها مناحة ومآتماً

بينت الجرائد المصرية ما في هذه المعاهدة من قيود استعباد العرب والحجاز —
وبين المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس ما فيها من استعباد فلسطين والاعتراف
بالحال الحاضرة فيها وما هي الا الاستعمار الانكليزي بالانتداب المتضمن للوطن
القومي لليهود — وبينت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني هذا أيضاً

وزادت عليه ما فيها من اقرار الانتداب في سورية الشمالية ايضا . واننا نسجل في المنار أهم ما ظهر لنا من غوائل هذه المعاهدة المشئومة بما لانعلم ان احدا سبقنا الى مثله ، ونسأل الله ان يقضي عايبها بالفشل ، وحسبنا من اعياد ملك الحجاز (عيد النهضة) التي هي علة كل هذا الشقاء

(المادة الاولى) « تنص على منع استعمال بلاد كل من الحكومتين المتعاهدتين قاعدة لاعمال موجهة ضد الحكومة الاخرى »

ليس في هذا النص أدنى فائدة للعرب بل فيه من الضرر انه يحظر عليهم وعلى جميع مسلمي الارض أن يتواطئوا في الحجاز أو يتشاوروا في أي أمر ينكرونه على الانكليز من ظلم شعوبهم أو استعباد بعض بلادهم ، والاعتداء على حكوماتهم ، وكل ذلك واقع . وساب المسلمين لهذه الحرية في مهد دينهم ليس مما أعطاه الله لهذا الرجل الذي نصبه الانكليز ملكا على بلادهم المقدسة التي جعل كتاب الله لكل مسلم من الامن والحرية فيه مثل ما لهذا الملك وأولاده ورجال حكومته سواء . وأما حكومته فلن تنال في مقابل ذلك شيئا فان الانكليز ان يمنحوا مسلمي الهند من الاعمال الموجهة الى الانكار على ملك الحجاز وحكومته وعليهم ايضا في سياستهم الحجازية والعربية لافي الهند ولا في اسكترة نفسها واما (المادة الثانية) فهي مشتملة على ست قضايا بعضها خداع وبعضها خزي ونكال (١) تعهد عاهل بريطانيا بأن يعترف باستقلال العرب في العراق وشرق الاردن والدول العربية في شبه جزيرة العرب ما عدا (عدنا)

نريد قبل كل شيء أن نفهم معنى هذا الاستقلال - فان عند الانكليز ممالك وولايات تسمى مستقلة وهي ذات نظم مختلفة ، فترى هنا أن الانكليز لا يزالون من مسكين بما يسمونه الانتداب - اي الوصاية - على العراق وفلسطين وشرق الاردن فكيف تكون مستقلة اذا؟ وهنالك حكومات عربية كانوا جعلوها تحت حمايتهم كالحج وحضرموت ولا نرى دليلا يدل على رفع هذه الحماية عنها ، والحجاز قد قيدها (موبقها) بمقررات النهضة من قبل ، وقيدتها هذه المعاهدة بما يأتي بعد،

فما معنى استقلال هذه الممالك اذا ؟ واما حكومات اليمن وتهامة ونجد فهي مستقلة ولم ينكر الانكليز عليها استقلالها وإنما كل همهم تقييدها بعهود واتفاقيات وامتيازات خادعة، تمهد لهم السبيل للعبث باستقلالها عند سنوح الفرص المناسبة. فاذا لم يكن هذا الاستقلال لفظا خادعا فليصرحوا في المعاهدة بالغاء الانتداب والحماية... كيف وهي لم تعقد الا لتثبيت ذلك وتوكيده كالممياي في القضية الخامسة أفصح ان تعد هذه نعمة على العرب يأمرهم من سعى نفسه ملكهم بان يتخذوا ذكرى إعلانه عيداً لهم ؟

(٢) تعهد الماهل البريطاني بتعريض هذا الاستقلال . هذه قضية مبهمه تخشى عواقبها ولا ترجى أوائلها، فانها باب مفتوح للتدخل في شؤون البلاد الداخلية بحجة تعريض الاستقلال كما تدخل الانكليز والفرنسيين في شؤون بلاد اليونان في أيام الحرب فعزلوا ملكها انما له بانه يعرث باستقلالها وقد كانوا صرحوا بانهم ضامنون له ! فهل تعد هذه سعادة للعرب يجعلون بها يوم اعلانها عيداً ؟

(٣) التصريح بان، لا حظ لعرب فلسطين أصحاب البلاد الا ما ضمنته لهم به الحكومة البريطانية في صك الانتداب المرتبط بعهود بالفور لليهود وهو انه لا يجري في البلاد شيء يجهف بحقوقهم الدينية والمدنية ، وهو حق سابي محض معناه ان الحكومة البريطانية صاحبة السيادة على البلاد لا تمنعهم ولا تدع اليهود الذين تجميل هذه البلاد وطناً قومياً لهم ان يمنعهم من الصلاة والصيام ، ولا البيع والشراء أو من التقاضي الى المحاكم مثلاً ، — على اننا علمنا بالتجارب أن كل ضمان وعهد من قوي اضعيف لا ينفذ منه الا ما فيه مصلحة القوي، وقد ضمن ملك الانكليز لمصر أن يدافع عنها في الحرب الكبرى ولا يكلفها شيئاً في مقابلة ذلك — فكان من أمر سلطة جيشه العسكرية ان جعلت جميع ممتلكات الحكومة المصرية والشعب المصري رهن تصرف الجيش ويقدر ما استفاده الجيش من مصر بمئات الملايين من الجنيهات دع نجنيده لزهاء مليون مصري استعان بهم على فتح فلسطين والعراق .. فهل يصح — والحالة هذه — ان يتخذ يوم اعلان تسجيل

هذه الرزية العظمى عبدا للعرب ؟

(٤) اذا رغبت هذه الحكومات كلها أو بعضها في الاشتراك في الجمارك أو غير الجمارك بقصد التوصل به الى عقد حلف بينها فيما بعد وطلبت من العاهل البريطاني أن يروج رغبتهم فإنه يسمى لذلك

ونقول ان كانت هذه الحكومات مستقلة استقلالاً صحيحاً فأني حابة الى طلبها من ملك أجنبي ان يروج ما تريد تنفيذه في بلادها من تلقاء نفسها ؟ وهل وعد هذا الملك لهم بالسعي لذلك يصح ان يعد نعمة له عليهم يتخذون يوم اعلانها عيداً لهم ؟

(٥) يعترف « صاحب الجلالة الهاشمية بالمركز الخاص الذي للجلالة البريطانية في العراق وشرق الاردن »

ونقول ان هذا المركز الخاص المذكور بصيغة المعرفة - اي بلام العهد - لا يمكن تفسيره لغة ولا عرفاً سواء كان العهد ذهنياً أو خارجياً الا بالحال الحاضرة التي سموها الانتداب في هذه البلاد التي اختاروا في تنفيذه ان تكون كل حكومة فيها على الوضع الذي هي عليه الآن ومنه حكم فلسطين بما يستفيث اهلها منه من الادارة اليهودية والسيادة البريطانية

ثم نقول على سبيل الانذار والتحذير : إن استئصال ملك الحجاز لا اقرار الانكليز على هذا ورضاه به يعد ارتداداً عن الاسلام باجماع المسلمين ، ولا يوجد عالم مسلم يمكن أن ينازعنا في هذا بعد العلم به ، فهل يصح أن يستبدل بهذا جملة نعمة يمنها ملك الانكليز على « ملك العرب » يأمر هذا بجعل اعلانها عيداً الامة العربية ؟

(٦) يتعهد (صاحب الجلالة الهاشمية) بان يبذل غاية جهده في التعاون مع جلالاته البريطانية على القيام بتعهداته في المسائل التي تقع ضمن نفوذ جلالاته الهاشمية بشأن هذه البلاد

ونقول يا الله العجب كيف لم يكتف الانكليز من هذا الرجل بمطالبتة أن يبذل في سبيلهم دينه وشرفه بان يعترف لهم بالاستيلاء على بلاد الاسلام المقدسة والتصرف

في رقبتها كيفما ارادوا حتي حملوه على التعهد لهم ببذل منتهى جهده على القيام بتعهداتهم في المسائل التي تقع ضمن نفوذ جلالته أي في الحجاز وغيره من البلاد العربية - ثم يا الله العجب كيف يفرح هو بهذا وذاك ويعلن في بيت الله انه يجب على العرب اتخاذ يوم اعلانه عيداً وطنياً ؟

(المادتان ٣ و ٤) يفرض فيهما على ملك الحجاز المحافظة على العلاقات الودية بينه وبين حاكمي عسير ونجد وان يسعى لتسوية المنازعات على الحدود بينه وبينهما بالمفاوضات الودية ، ويتعهد ملك الانكليز في الثالثة بالسعي لتسوية أمثال هذه المنازعات اذا رغب اليه في ذلك

ونقول أما الاول فحسن في نفسه و يغلب على ظننا ان الملك حسين لم يرض به وانه أهم ما أعاد الدكتور ناجي الاصيل الى لندن لاجل تعديله ، ودأبنا على هذا أنه في أثناء المفاوضات في عقد هذه المعاهدة قد اعتدى على نجد وعسير فارسل جيشاً احتل (امها) عاصمة العسير التي كان نزل عنها المرحوم السيد الادريسي لصديقه سلطان نجد عند عقد المعاهدة بينهما ، كما انه اعتدى على بعض القبائل التابعة لنجد ، ولكنه باء بالخيبة والخسران في كلتا الحملتين

(المادة الخامسة) فيها « يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بان يصد بجميع الوسائل السلمية والممكنة أي اعتداء يقع على بلاد جلالته الهاشمية ضمن الحدود التي تقرر نهائياً »

هذه هي الطامة الكبرى والصاخة العظمى التي صغت مسامع العالم الاسلامي فعلا صراخه في جميع الاقطار وهي اهانة حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم بجعلها تحت حماية دولة لا تدين الله بدينهما بل هي طامعة في محوه وتنصير أهله . وتداولت الجرائد المصرية والسورية التي ترجمت خلاصة المعاهدة الرسمية على التعبير بعطف الممكنة على السلمية — وعبر بعضها بالفعلية بدل السلمية — والعطف يقتضي المغايرة فيكون معناها والوسائل الحربية الممكنة اي من برية وبحرية وجوية واحتلال وغير ذلك . وهذا عين ما صرح به فيما يسميه

ملك الحجاز بمقررات النهضة فهو قد اشترط فيها على الانكليز حماية البلاد في الداخل والخارج حتى حال الفتن الداخلية واعتماد الامراء الحاسدين ! !

(المادة السادسة) تنص على تعيين وكيل سياسي بريطاني في جدة ووكيل سياسي حجازي في لندن — وعلى قناصل حجازيين في انكابترة والهند — وقناصل بريطانيين في جميع سواحل الحجاز

ونقول ان لذة صاحب الجلالة الهاشمية في هذه المادة انها من مظاهر فخفة الملك الصوري، والا فآين المصالح السياسية والتجارية للحجازيين في بلاد الانكليز ومستعمراتهم التي تقتضي بذل النفقات العظيمة لتأسيس الوكالات السياسية والقنصلية في هذه الممالك الواسعة وأين المال الذي ينفق في هذه السبيل؟ أيؤخذ من الضرائب والمكوس على أداء فريضة الحج؟

واما الانكليز فلهم مصالح كثيرة في تطويق سواحل الحجاز برجالهم السياسيين والبحريين الحريين لمراقبة كل ما يدخل في هذه البلاد المقدسة وما يخرج منها، واسبر غور هذه السواحل ومعرفة ما يكفي من القوة البرية والبحرية للاحاطة بها عند الحاجة التي يتوسلون اليها عند سئوح الفرصة باسم الحماية الممنوحة لهم من الجلالة الهاشمية الماسكة المتصرفة بالدين ومعاهده أو باسم المحافظة على معاهدهم هذه وعلى رجالهم اذا اعتدى عليها أحد من أعراب البلاد — ولو بدسيسة منهم — وقد عهد في تاريخ الاستعمار البريطاني ان يكون دخول بريطاني واحد في قطر عظيم مقدمة لسلب استقلاله واذلال أهله لعظمتهم وآخر الامثلة لهذا قنصلهم في جزيرة البحرين فقد سلب سلطة حكومتها وافرد بالتصرف فيها وجعل حاكمها الصالح التقي الجاهل أذل من غير الحي والوتد

ومن دواعي الاسي والحزن أن هذه الحقيقة قد عرفت مثلاً ملكة سبأ العربية منذ ألوف السنين وبجهاها صاحب «الجلالة الهاشمية» الذي يظن في نفسه أنه أرقى الخلق علماً وخبرة وسياسة وكياسة حتى إن جر بدته (القبلة) كانت تدعي انها تعلم دول أوربة الخطط الحربية بما ينشره من آرائه فيها — والذي (المنار : ج ٧) (٦٨) (المجلد الرابع والعشرون)

يدعي أن حكومته شرعية ويقرأ في القرآن قوله تعالى حكاية عن ملكة سبا (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) وقد بلغت وصية النبي (ص) في أمر جزيرة العرب وأهم المراد منها أن لا يقيم في بلاد الحجاز غير المسلمين ، ولا سبا الطامعين . وإن دخول تاجر انكليزي في بلاد شرقية ضعيفة واقامته فيها يعد أعظم خطر عليها من دخول ملك فاتح من المتقدمين . فكيف بدخول الرجال السياسيين والحريين ، اذا أعطوا صفات الجملة المحافظين ؟ فاذا كان صاحب الجلالة الهاشمية يجهل تاريخ تأسيس امبراطورية الهندبسي شركة الجبل البريطانية فان له في سودان مصر وجزيرة البحرين ابرة ماثلة ان كان من المتهربين . وقد بينا من قبل ان الانكليز قد أسسوا لادارة سواحل الحجاز وغيره من بلاد العرب محافظة جديدة سموها محافظة البحر الاحمر شرعت في أعمالها بهدوء وخفاء

(المادة السابعة) - يعترف فيها ملك الحجاز بنظام الحجر الصحي الذي اتخذته الانجليز في جزيرة قمران لاجل الحجر فيها على - حجاج الشرق والجنوب - كما يعترف له ملك الانكليز « بالتدابير المتبعة التي قد تتخذ في جرة أو غيرها من مرافق بلاد جلالاته »

ونقول إن هذه المادة تعترف الانكليز بما لا تعترف بمثله لدولة مصر الاسلامية ، وموضوع هذه المادة ان يكون عملها في مسألة الحجر على الحججاج متممًا لعمل الانكليز في (قران) لا مستقلا ، ولا ندرى كيف يكون تنفيذ ذلك وانما ظاهره يدل على ترجيح ملك الحجاز رفض قبول الحججاج الذين يحجر عليهم في الطور (محجر الحكومة المصرية الاسلامية وحتم ان يحجر عليهم ولو مرة ثانية في محجره بجزيرة (أبي سعد) مع ان هذا تضيق على الحججاج ليس له مسوغ شرعي ولا فني ، (المادة الثامنة) - يتعهد فيها ملك الانكليز بأن لا يتدخل في التدابير التي يتخذها ملك الحجاز للاعتناء بالحججاج - ويتعهد ملك الحجاز بان يعضد المساعي التي يبذلها الرعايا البريطانيون المسلمون لمساعدة الحججاج في الحجاز ونقول لماذا جعل ملك الحجاز لملك الانكليز حقًا في الاعتراف له بالاعتناء

بالحججاج اذا لم يكن هذا مبنيا على ان الحجاز داخل في دائرة الامبراطورية .
ثم ما هذا الاعتناء الذي يريد ويرى انه لا يتم له الا باجازه ملك الانكليز ؟ ان
الذي يتبادر الى الذهن ان العناية بالحججاج انما تكون بتأمين البلاد وتسهيل الطرق
وتوفير المياه والعناية بمواد الغذاء والنظافة وتحسين الاعتدال في أجور الجمال
والمساكن - فهل يحتاج شيء من هذا الى اجازة ملك الانكليز وهو من أمور
الادارة الداخلية المحضة ؟ ام لهذه الكلمة معنى سياسي خفي يراد به التحكم في
الحججاج بمصادرة أموالهم وضرب المكوس عليهم ، واذا كان هذا أو ذاك يتوقف
على اجازة ملك الانكليز لان له رعايا من الحججاج فلماذا لا يتوقف على اجازة
سائر الدول والحكومات التي لها رعايا يحجون كمسلمي الدولة البريطانية ، وما
وجه تخصيص هذه الدولة بهذا الحق اذا لم يكن منقذ الحجاز والعرب قد جعل
كل ما يدخل في ملكه تابعا لمستعمراتها ؟

ثم إن تعهد ملك الحجاز في هذه المادة بتعريض مساعي الرعايا البريطانيين
لمساعدة الحججاج في نفس الحجاز يقتضي ان يقبل منهم بعد امضاء هذه المعاهدة
ما منع منه الحكومة المصرية في هذا العام من البعثة الطبية المرافقة لركب المحمل
المصري مع اننا رأينا في الاعتذار له عن قبولها أنه بفتح الباب لغير دولة مصر من
الدول غير الاسلامية لارسال بعثات طبية - فما الذي أباح للبريطانيين ما حرم
على المصريين ؟ أليست الدولة المصرية الاسلامية ، أولى بهذا من الدولة البريطانية ؟
اذا لم يكن الحجاز كله تابعا لهذه الامبراطورية ؟

(المادة التاسعة) « تص على تبين مبالغ محدود كي يدفعه كل حاج »
وتقول هذا نص صريح في ضرب المكوس على الحججاج باطلاق . ولا شك
في أن هذا محرم باجماع المسلمين ولا سيما اذا جعل شرطا لدخول الحجاز لاجل النسك
كضريبة جواز السفر ومن يستحلّه يكون مرتداعن الاسلام - هذا حكمه الشرعي ،
أما حكمه السياسي فيقال فيه ما قيل فيما قبله لماذا جعل منوطا باجازه ملك الانكليز له
دون غيره من ملوك المسلمين وغيرهم الذين تضرب هذه المكوس على رعاياهم ؟ وليس

الواجب أن لا يكون في الحجاز نفوذ ولا وجود لاجنبي غير مسلم ؟
وماذا يقول ملك الميجاز اذا خاطبته هذه الحكومات بأنه ليس له حق أن يتقاضى من رعاياهن مكوسا بغير اتفاق معهن عليها كما اتفق مع الانكليز ؟ أيجتج بالحياة والوصاية ؟ أم يعاملها كما عاملت الحكومة المصرية ؟

(المادة العاشرة) - في الاعتراف بما لرعايا كل من الحكومتين في بلاد الأخرى من الصفة وهي جملة لا يمكن العلم بما فيها من ضر أو نفع الا بعد بيان صفة كل منها وهو لا بد ان يكون مبينا في اصل المعاهدة

(المادة الحادية عشرة) وما بعدها الى (السادسة عشرة) في تفصيل الامتيازات القضائية للانكليز في بلاد الحجاز وكل ما يتوقعون أن يدخل في ملك حسين بن علي وكلها تنافي الاستقلال التام وتنفيذ الشرع الاسلامي في الحجاز في المسلمين التابعين للدولة البريطانية، وهذه المسألة قد رفض المصريون مثلها في مفاوضة الانكليز، وقد رفضها الترك وما زالوا يجادلون ويناضلون في مؤتمر الصلح حتي انقذوا دوائهم من رقها، وملك الحجاز يقبلها في الحرمين الشريفين من تلقاء نفسه بلا موجب ولا مقتض ولا مقابلة لها بمثلا ، فما اذل هذا الرجل للبريطانيين ، وما أعزه وأعظم جبروته وكبرياءه على المسلمين !!

(المادة السابعة عشرة) « تعالج الشروط التي بموجبها يعترف صاحب الجلالة البريطانية بعلم الجلالة الهاشمية » وهي جملة لا يمكن بيان الرأي فيها الا بعد بيان الشروط المشار اليها فيها وستعلم متى نشرت المعاهدة بنصها

(المادة الثامنة عشرة) تصرح بأنه لا يجوز لاي الفريقين المتعاقدين الساميين أن يعقد أية معاهدة أو اتفاق مع فريق ثالث ضد مصالح الفريق المتعاقد السامي الآخر» ونقول إن هذه مادة عادلة في صورتها لما فيها من التساوي وانما يقال فيها ما يقال في المعاهدة بجملة ما هو ان الانكليز يقيدون فيها الحجاز ولا يرتقيدون معه في شيء بالفعل، كما فعلوا فيما اتفقوا عليه عند حمله على الخروج على الدولة العثمانية، وذلك ان المعاهدات عند اوروبا تحجة القوي على الضعيف، والانكليز أبرع لام في

التفصي من الوفاء بها بالتأويل، كما قال البرنس بسمارك، اوهي عبارة عن عقد شركة بين طرفين متكافئين في القوة كما قال لويد جورج، وقد لدغ الملك حسين من هذا الجرح المرة بعد المرة ولا يزال لاصقا به متعرضا لتوالي لدغه، فلم يكن له حظ من حديث « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »

(المادة التاسعة عشرة) « تنص على ان لا شيء في هذه المعاهدة يبطل ما قد تعهد به او قد يتعهد به احد الفريقين المتعاقدين الساميين بمقتضى عهد جمعية الامم » وتقول ان ذكر الفريقين الساميين هنا كغيره من المخدرات التي تخدر أعصاب الملك حسين وتشغله بنشوة توهم مساواته بما يسميه « العظمة البريطانية » فهو ما تعهد بمقتضى عهد عصبة الامم بشيء وانما تعهد الطرف الآخر بالانتداب على أعظم بلاد العرب عمرانا وخصبا بالاشتراك بينه وبين فرنسا فامضاء الملك حسين لهذه المعاهدة يسلبه حق مطالبة الانكليز بتركها هذا الانتداب على العراق وفلسطين وشرق الاردن أو الغاء وعد بلفور الداخلى في صك الانتداب والوصاية على فلسطين بمقتضى عهد جمعية الامم

(المادة العشرون) في تحديد مدة العمل بهذه المعاهدة رجعله سبع سنين ، وهى المدة التي يقدرها الانكليز لفض المشاكل وحل المعضلات السياسية والاقتصادية التي خلفتها الحرب الكبرى ، وتأسيس قوى الطيران والمواصلات الجوية والحربية في شرق الاردن والعراق ومصر والقوة البحرية ومرا كز الدسائس في سواحل الحجاز وغيرها من البحر الاحمر ، وهم يعتقدون ان « ملك البلاد العربية » سيضطر بعد هذا كله الى تجديد ما هو خيرا لهم وشر له ولبلائه وقومه منها. فهذه كامتنا الجملة المختصرة في النص الرسمي الذي نشر لخلاصتها وقد كان من المعقول المتوقع ان يضطرب العالم الاسلامي كله لها ويستنكر ما فيها من تدخل دولة غير مسلمة في مهد الاسلام المقدس بالحماية والامتيازات السياسية والقضائية والحماية وما تقتضيه من الخزي والنكال ،

ولكن العجب العجيب ان يشذ مسلمو سورية وفلسطين وخدم عن سائر

المسلمين اذ لم نر لهم قولا ولا احتجاجا في استنكار شيء منها الا ما انكره أهل فلسطين وهو ما يخصهم من تضمن المعاهدة لا قرارا لانداب وما فيه من عهد بلفور ، كان حرم الله تعالى وحرم خاتم رساله (ص) لاقية لها عند احد من مسلمي تلك البلاد ؟ ولماذا يطالبون العالم الاسلامي ان يهتم بأمرهم لما كان المسجد الاقصى منه وهو في المرتبة الثالثة ؟

فيا ليت شعري هل جهل علماءهم ومديرو جرائدهم ومحروها ورجال الشرع والقوانين فيها ما فهمه المصريون وغيرهم من معناها أم هم يرون ان للملك حسين ان يتصرف في دين الله ومعاهدته المقدسة بما شاء وان خالف احكام الشرع المجمع عليها وكرامة الاسلام ومشاعره العظام بشرط أن لا يقر وعد بلفور عند بعضهم ؟ فاذا كانوا لا يرون في هذه المعاهدة منكرا شرعيا ولا خطرا سياسيا الا تضمنها لوعده بلفور فليدينوا لنا خطانا فيما فهمناه نحن وغيرنا من المسلمين ، والا فليرفعوا اصواتهم في انكار هذا المنكر ، ولهم ان يسلكوا في التعبير الطريق الذي يفضله ، والاسلوب الذي يرجحونه ، ولا يغفلوا عن كون سكوتهم عارا عظيما عليهم ، وتأيدا لمرتكب المنكر وتجريئة له على الاصرار عليه ، بل الامر أعظم من ذلك هو اقراره مع أولاده على القضاء على استقلال بقية البلاد العربية ، حتى الجزيرة التي عزت على جميع الفاتحين من قبل . ولقد كان استعبادهم لمصر والسودان وحماية فرنسة لبلماكة مرا كش وسلاطينها أولاد عم شرفاء مكة بما هو دون تداخل الانكباب في البلاد العربية الآن بمعاونة هؤلاء الاشراف والزعماء فليتدبر العقلاء أصحاب الغيرة على أمتهم ودينهم .

(نص البيان الذي اصدره المؤتمر الفلسطيني السادس عن المعاهدة)

« يعلن المؤتمر العربي الفلسطيني السادس المنعقد في يافا رفض مشروع المعاهدة التي نشرت حكومة فلسطين خلاصتها رسميا بتاريخ ٥ حزيران سنة ١٩٢٣ وفيها أن المعاهدة لم تبرم نهائيا وان المفاوضات بشأنها بين جلالة الملك

حسين وحكومة بريطانيا الاعطى جارية حول تعديلات طغيفة لا تزال مجهولة وان هذا المؤتمر الممثل للامة العربية الفلسطينية يرفض كل مشروع لا يضمن لها في وطنها المقدس مطالبها العادلة المدلومة التي ذكرت تأييدها المؤتمرات السابقة من استقلال البلاد والغاء السياسة الصهيونية الفاضحة وقد أبرق المؤتمر بذلك الى صاحب الجلالة الهاشمية

قبل هذا النص بمد حوار قليل وبعد ان زيد في آخره ما اقترحه السيد عمر البيطار من ذكر البرقية التي ارسلت لجلالة الملك حسين

(صورة البرقية التي اقترح هذا المؤتمر ارسالها الى الملك حسين)

«حاوات حكومة فلسطين محو السرور الذي احداثته برقية جلالتهكم التبشيرية بنشرها مشروع المعاهدة الانكليزي المناقض للبرقية فاغتم الاهالي ودعت الحالة لجمع مؤتمر عام بيافا فقرر عرض الشكوى لاعتابكم التي لا يمكن ان تقبل مثل هذا المشروع وان يقبله فلسطيني ما دم فيه رمق حياة واسترحام التفضل على أهل البلاد باطلاع ممثلها على ما يتعلق بهم في المعاهدة قبل ابرامها ثانيا لزاما للقضية العربية بجميع وجوها وقبة اجلال الرب واحترامهم»

فجرت مناقشة طويلة في نص البرقية وأخيرا تقرر قبولها بعد ان اقترح السيد عيسى العيسى زيادة « سيما فيما يتعلق بفلسطين » بعد جملة مشروع المعاهدة الانكليزي المناقض للبرقية وزيادة كلمة « الاسراع » بعد الاسترحام وقد أجاب الملك حسين عن هذه البرقية ببرقية هذا نصها « حسنوا الظن » وكيف يحسن العاقل الظن بالامر المعلوم ضرره وفساده بالقطع ؟

(صورة البرقية التي ارسلها المؤتمر)

الى رئاسة الوزارة. وزارة الخارجية. وزارة المستعمرات. رئاسة مجالس الاعيان
رئاسة مجلس النواب والجمعية الوطنية السياسية بالنندن

« قرار مؤتمر العربي الفلسطيني السادس المنعقد في يافا والممثل للامة
رفض مشروع المعاهدة الانكليزي المقدم لجلالة الملك حسين والذي نشرت
حكومة فلسطين خلاصته لانه يخالف لاهود المقطوعة للعرب ولحقوق الشعب
الفلسطيني ومطالبه بالقاء السياسة الصهيونية وبتأسيس حكومة وطنية نيابية
مستقلة . والامة ترفض كل مشروع لا يضمن جميع مطالبها وقد أبرقنا بهذا
جلالة الملك حسين »

﴿ بيان اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني بمصر ﴾

في شأن المعاهدة الذي نشرته في الجرائد

« عقدت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني جلسة فوق
العادة في ٢٠ يونيه ١٩٢٣ للبحث في حظ الوطن السوري من المعاهدة البريطانية
المرية التي قررت مبدئيا ولا تزال موضوع المفاوضات النهائية بين مكة ولندن .
وبعد البحث والمناقشة في الخلاصة الرسمية التي نشرتها حكومة فلسطين أخيرا
لهذه المعاهدة تقرر بالاجماع اصدار البيان الآتي : —

ان المادة الثانية من هذه المعاهدة تنص على اصرار الحكومة البريطانية
على موقفها الحاضر في فلسطين . ولم تعترف لاهابا العرب فيها بحق من الحقوق
السياسية والقومية غير ما تضمنه صك الانتداب وعهد بلفور من الحق السليبي
وهو أن لا يجري في البلاد ما يحجب بحقوقهم المدنية والدينية

وتنص أيضاً « على اعتراف صاحب الجلالة الهاشمية بالمركز الخاص الذي
لصاحب الجلالة البريطانية في العراق وشرق الاردن وقلسطين »

« ثم ان المادة التاسعة عشرة تنص على ان لا شيء في المعاهدة يبطل أي
عهد تعهد أو قد يتعهد به في المستقبل أحد الفريقين المتعاقدين بمقتضى عهد جمعية الامم
« ولا يخفى أن المركز الخاص المشار اليه هو ما يسمونه الانتداب الذي
كان صاحب الجلالة الهاشمية يأبى الاعتراف به قبل هذه المعاهدة فنصت على

اعترافه به فيها بأسلوب سياسي في كل من العراق وشرق الاردن وفلسطين كما انطوت على الاعتراف ضمناً بتجزئة سورية وبوعد بلفور في الوطن القومي لليهود « ومن المعلوم أن مجلس جمعية الامم قررا انتداب فرنسا على سورية الشمالية (سورية ولبنان) وانتداب انجلترا على سورية الجنوبية (فلسطين وشرق الاردن) فالانتداب باق اذن على حاله لا تنقض هذه المعاهدة شيئاً منه

« فاللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني الامينة على ما قرره مؤتمر جنيف من طلب الاعتراف باستقلال البلاد واطلاق إلغاء الانتداب تصرح بأن كل اتفاق وكل معاهدة تتضمن ما يخالف هذه القرارات في الوطن السوري هي باطلة في نظر أهله الذين لا يقبلون شيئاً يخالف حقوقهم الطبيعية والشرعية في تقرير مصيرهم

« فبناء على هذا لا تكون هذه المعاهدة متيدة أهل سورية وفلسطين ولبنان بحق لاحد فيها، ولا بقيد تنقيد به الامة، ولا بمخيلة للطرفين المتعاقدين ولا للحكام ولا للولايات المتحدة مما كانوا صرحوا به لاهل هذه البلاد في ضمن البلاد العربية المنفصلة عن تركيا من حق الاستقلال وتقرير المصير

« لتحميا سورية حرة مستقلة »

(المنار) اتفقت الاحزاب والجماعات والصحف العربية على ان المادة الثانية من هذه المعاهدة صريحة في استثناء فلسطين من الاستقلال الخادع المذكور في المادة الاولى وجاءت البرقية الانكليزية من لندن مصرحة بهذا ولكن الملك حسين لا يزال يصرح في قبلته بما أراد أن يقنع به أهل فلسطين وغيرهم بخلاف ذلك . وهذا الاصرار من أغرب وقائع عناده المعهود ، وأغرب منه أصرار دعاة المأجورين في فلسطين على وجوب الاعتصام بميله غير المتين ، بغير حياء ولا خجل من العالمين ، وحجة بعضهم أن نيته حسنة في هذا كما كانت حسنة في مساعدة الانكليزية لي فتح بلادهم وتنهت بهم به ، فليهنئوا بسياسة حسن النية ، وسياسة الصوفية ؟ !

(المنار : ج ٧) (٦٩) (المجلد الرابع والعشرون)

ذكرى رينان في الجامعة المصرية

محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق في رينان والافغاني

كلمة المنار في المحاضرة

(٤)

(٤) قال رينان «إن المسلم يؤمن بأن الله يهب الرزق والسايطان لمن يشاء من غير نظر الى تهذيب أو استحقاق خاص وهو بايمانه هذا يزدرى أشد الازدراء العلم والتهذيب وكل ما يدخل في تكوين الروح الاوربي

واننا نجيب عن هذا جوابا موجزا يظهر جهل رينان بالاسلام والمسلمين ويحبط عمله ، ويؤيد ما حققناه في معنى رد السيد جمال الدين عليه فنقول :

ان عقيدة المسلمين في المشيئة الالهية أعلى وأرقى من فلسفته ومن علم جميع فلاسفة الارض وان زعم ان عقول العرب ولغتهم لاتسع شيئا من علم ما وراء الطبيعة . فهم على موافقتهم لغيرهم من المؤمنين بالله في إثبات المشيئة والارادة له تعالى يقولون: ان متعلقات هذه المشيئة قسمان : قسم قدرى تكوينى ، وقسم دينى تشريعى ، وبين القسمين العموم والخصوص المطلق فيجتمعان في بعض الامور وينفرد أحدهما ببعض .

فأما ما يجتمعان فيه فمثاله كسب الرزق من الحلال وانفاقه في سبيل البر والخير، ونيل الرجل العالم العادل السلطان باختيار الامة واقامته ميزان العدل فيها .

وأما ما ينفرد به أحدهما عن الآخر فمثاله كسب الرزق من الطرق المحرمة كالنفس والجيانة ، ونيل الامارة والسلطان بالتغلب والقهر ، فهذا يخالف لدين الله وشرعه ، ولكنه لا يقع الا بمشيئته التكوينية وقدره ، ومعنى هذا انه سبحانه جعل نظام هذا العالم مبنيا على الاسباب والمسببات وجعل لذلك سننا عامة وهي مايعبر عنه في عرف العصر بالتواמים الطبيعية والاجتماعية ، وفي عرف القرآن بالاقدار

والمقادير و بالسنن قال تعالى (قد جعل الله لكل شيء قدرا) ونال (الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تفيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) أي فلا شيء منها بجفاف ولا بخارج عن النظام ، فمن راعى هذه السنن في الكسب وفي الاستيلاء على البلاد والعباد قد ينال ماسعى اليه بمشيئة الله التكوينية وقدره في نظام العالم ، وان لم يراع شرعه وهداية دينه في أسباب ذلك ولا في نتائجه كاستيلاء المستعمرين من قومه وغيرهم باتقان أسباب القوة على المستضعفين المهمين لها .

ولما كان المسلمون يفهمون أصول دينهم حق الفهم كانوا يتحرون الجمع بين أحكام الشريعة الدينية الآمرة بالحق والعدل والفضيلة والاحسان ، وبين مراعاة سنن الله في غيرهم ، فاجتمع لهم بهداية دينهم الحضارة والسيادة ، والغنى والنعمة ، والعدل والفضيلة والتقوى .

ولما استحوذ عليهم الجهل والضعف بتوسيد أمور حكومتهم الى غير أهلها وتغلب همج الاعاجم عليهم بالقوة القاهرة أعرضوا عن النظر في سنن الله الاجتماعية وعن هدايته الدينية معا ، وكان مما أدخله جهلة الصوفية وبتدعة الجبرية في عقائدهم بدسائس حكمهم ان المالك والرزق والظلم والفسق كلها من قدر الله تعالى فيجب الرضى بها وعدم الاعتراض عليها ، وكذا عدم مقاومتها بالاولى ، وبشر هذه السموم طال ملك أولئك الظالمين ، وتمتع أولئك الفاسقون ، حتى سلبه منهم من هم أشد مراعاة لسنن السكون والاجتماع ، وكل هذا مخالف لنصوص القرآن والسنة ولما قرره الانمة الراسخون في العلم من المتكلمين والصوفية أيضا كالشيخ عبد القادر الجيلاني الذي صرح بوجوب مقاومة الاقدار بالاقدار ، أخذنا من قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي وافقه عليه جمهور الصحابة : نفر من قدر الله الى قدر الله . قل هذا حينما قرر بعد مشاورة جميع شيوخهم وشيوخهم عدم دخول الشام والوباء فيها . ومثل ذلك وجوب مقاومة الظلم وأهلها فليس في الاسلام مثل ما في الانجيل من وجوب الخضوع لكل ساطة لأنها من الله بل فيه ضده

كما سيأتي وإنما ذلك من خرافات المتصوفة

وأنه يحق لرينان أن يسخر من جميع المسلمين بما علمه هو وقومه من فشو هذه الضلالة بين مسلمي الجزائر وسائر افريقية حتى تسنى لمن تلبس بالاسلام وتعم بهائم شيوخ الطريقة من قومه أن يبتشوا فيهم وجوب الرضى بسلطتهم وتحريم التبرم بهم والكراهة لشيء من أحكامهم وأعمالهم بشبهة أنه يتضمن الاعتراض على الله والكراهة لقضائه وقدره بزعمهم ! وأني لاولئك المحرومين من علوم الدين والدنيا ان يميزوا بين الرضا من الله تعالى وعدم الاعتراض عليه ، وبين ما أوجبه من عدم الرضا بالمقضي والمقدور نفسه اذا كان ضاراً أو مخالفاً للشرع ، ومن وجوب مقاومته بما يعلم من سنن الله تعالى واقداره ؟ ومثاله المرض : لا نعترض على الله تعالى اذا مرضنا ولا نسيخط على تقديره اصابة من يتعرض لاسباب الامراض فيها ، ولكن يجب ان نكره المرض وان نقاومه بالدواء والمعالجة بعد وقوعه ، وباتقائه قبل وقوعه ، كما فر جمهور الصحابة من الشام . ولم يدخلوا البلد الذي وقع فيه الوباء عنها بالاجماع فثبت بهذا ان ما ينكره على مسلمي افريقية وأمثالهم انما هو مخالفة قواعد الاسلام لا الاهتداء بها

واننا نذكر للمفتونين بفلسفة رينان والمشيدين بفلسفته من قومنا بعض الشواهد من نصوص القرآن على ان مشيئة الله التشريعية لا تقضي بأن يكون السلطان في الدنيا لمن لا أهلية له ولا استحقاق ولا مزية في الفضل ، بل الامر بالضد (١) أخبرنا الله تعالى في سورة البقرة انه وعد نبيه وخليفه ابراهيم (ص) بانه يجعله اماما للناس فسأله ابراهيم أن يجعل من ذريته أئمة مثله فاجابه تعالى بقوله (لا ينال عهدي الظالمين) أفليس هذا نصا صريحاً في أن الامامة والسلطان في الناس لا يكونان عهداً من الله تعالى لاحد من الظالمين ، وان كانوا من ذرية الانبياء المرسلين ؟ بلى وقد فهم هذا الحكم من الآية ائمة المفسرين ، فقالوا أن الآية تدل على أن الظالم لا يصح في دين الله أن يكون اماماً للناس في أمور دينهم ولا أمور دنياهم أي لا يكون خليفة ولا سلطاناً ولا أميراً ، وقد ذكرنا بعض

أقوالهم في فاتحة كتاب الخلافة وفصلنا المسألة فيه

(ب) قال تعالى في الآيات التي أذن فيها للمسلمين بأن يقاتلوا من قاتلهم من أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم بغير حق، بل لأجل توحيدهم لله عز وجل، (الذين ان مكناهم في الارض بأقلاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فالدين الذي يشترط على أهله في المدافعة عن أنفسهم واعطائهم السلطان في الارض أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر هل يقال انه يعطي السلطان لمن شاء بدون تهذيب ولا استحقاق ؟ والآيات ولا حديث في هذا المعنى كثيرة

(ج) قال الله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) ومعلوم أن الصلاح ضد الفساد . وقد ذم الفساد والافساد في الارض من الملوك وغيرهم وتوعدهم في عشرات من الآيات في سور كثيرة . قال (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار ؟) وهذا دليل على أن المراد بالصالحات أم من العبادات البدنية لانه مقابل لكل ما فيه إفساد في الارض، وهو يشمل افساد النبات والحيوان والانسان ، بأي طريق وأي وسيلة وكل شكل من أشكال الفساد ، كما أن إرث الارض فيها عام يشمل الدنيا والآخرة، فلا يرث الارض في حكم الله ومقتضى دينه الا الصالح، وخص الارض ببعض المفسرين هنا بالمقدسة وبعضهم بالجنة ، ويدل على إرث الملك والسلطان في الارض المقدسة أو مطلقا آية الشاهد التالي وهو

(د) قال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) الآية

(هـ) قال تعالى (وما كان ربك ليهلك القري بظلم وأهلها مصلحون) فسر بعضهم الظلم هنا بالشرك أخذنا من قوله تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) ومن غيره . والمعنى عليه أنه ليس من سنة الله أن يهلك الامم بسبب الشرك به . اذا كان أهلها مصلحين في الارض بالعدل والعمران . وقال بعضهم ان المعنى وما

كان من شأن ربك ولا مما مضت به سنته في العمران أن يهلك الامم بظلم منه وهم مصلحون في أعمالهم — أي اذا أهلكهم وهم مصلحون يكون ظالما لهم وهو منزّه عن الظلم . ويؤيده ما ورد من الآيات الكثيرة في إهلاك الظالمين ، وإدالة الدولة للعاديين المصلحين ، ونكتفي منها بالشواهد الثلاثة الآتية

(و . ز . ح) قال تعالى (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة أن أخذه اليهم شديد) وقال (فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، وانسكنكم الارض من بعدهم) وقال (فبكان من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطاة وقصر مشيد) وحث بدها على السير في الارض والاعتبار بآثار الامم هذا قليل من كثير من شواهد القرآن على أن الله تعالى لا يعطي السلطان في الارض لمن شاء من غير أهلية ولا استحقاق ، طلقا كما زعم رينان بل هو يعطيها لمن شاء من أهل العدل والاصلاح ، ولو بالنسبة الى غيرهم وان لم يكونوا عاديين ومصلحين مطلقا ، وأما مسألة الرزق فليس من سنة الله في الاجتماع البشري أن ينخص الله بالرزق الصالحين المصلحين ولا يفسدين بل قال (كلا نعم هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) ولكنه على هذه السنة قد خص أهل التقوى والاستقامة بما يؤخذ من الشواهد الآتية :

(ط) قال تعالى (وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا)
(ي) قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)
ولكنه قرن الرزق بالسعي بما يدل عليه

(ك) قوله تعالى (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه)
(ل) قال تعالى (وذناذن ربكم اثن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) قال الربيع رضي الله عنه أي انهم اذا شكروا النعمة زادهم من فضله وأوسع لهم في الرزق . ومن شكر النعمة عند علماء الاسلام حفظها وحسن التصرف فيها بوضعها في مواضعها من غير إسراف ولا تبذير — واما نوط الرزق وغيره بالكسب العملي فالشواهد عليه من الكتاب والسنة وأقول السلف الصالح كثرة

منشور للامام يحيى حميد الدين

جاءنا من اليمن المنشور الاتي مطوعا في مطبعة (المقام الشريف) بصنعاء، متوجا بعد البسملة بختم الامام يحيى حميد الدين الرسمي الملقب فيه بامير المؤمنين، المتوكل على الله رب العالمين، وهو في دعوة المسلمين الى جمع الكلمة، والاعتصام بالكتاب والسنة، والاستمسك بالعترة الطاهرة، وترك الخلاف والفرقة،

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) * (وتتمكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

الحمد لله الهادي الى السنن القويم، وكل خير عميم، بقوله عز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم * ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين * وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون *) والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ذي الخلق العظيم، المبعوث رحمة للعالمين من رب العرش الكريم، بالشرعية السمحة الكافلة بخيري الآخرة والاولى، القائل « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا - المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى رأسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى كله - يد الله على الجماعة - لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض - المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه - لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » وعلى آله الخصوصين برعاية التقديم والتكريم، قرناء الذكر الحكيم، الذين ورد فيهم « اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وعترتي اهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني انهما لن يفترقا حتى يرذا علي الحوض - اهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوي - احبوا الله لما يفتدوكم به من نعمة وأحبوني لحب الله وأحبوا اهل بيتي لحبي » وغير ذلك

من الاحاديث الكثيرة ، والاخبار الشهيرة ، وعلى اصحابه الذين قاموا بنصرته وبايضاح طريقه المستقيم ، وبذلوا انفسهم وتقيسهم في مرضاة الرب العليم .
أما بعد فهذا بلاغ واف ، وبيان شاف ، أردنا به نصيح اخوان الدين ، وايقاظ هم المسلمين ، وحررناهم الى كل مطلع عليه من العلماء العاملين ، واخواننا أهل الدين ، وفقهم الله لصالح القول والعمل ، وحرسهم بطاعته عن مزالق الزلل .
وحياهم بشريف السلام ، ورحمة الله وبركاته على الدوام

انه قد علم مادهي الاسلام والمسلمين من داء التفرق والاختلاف ، والمخاضات التي أغلقت بها ابواب الوفاق والاتلاف ، حتى فشل المسلمون وذهبت ريحهم وصاروا كأنهم أدنى عنصر في العالم غير مهاب الجناح ، ولا مصون من الاغتصاب ، الى أن طمعت في استئصالهم واخضاعهم الدول الاجنبية ، وخصوصا العرب الذين هم منشأ هذا الدين ومبدأ ظهوره ، وأفق تجليات نوره ، وهم الذين أعز الله بهم الاسلام ، وملكوا اكثر العالم واتفتحت لهم قاراته وحصين قصوره ، لما كانوا عليه من التوحيد ديانة وسياسة وعلم وعملا ، والتعاقد والتعاون لا يبنفون عنه حولا ، ولا يرضون بسواه بدلا ، حتى خضعت لهم الرقاب ، وذلت لهم الصعاب ، وضربت بعزهم الامثال ، وسعدت بصولتهم الاجيال ، وقد استبان في هذا القرن شؤم التفرق والاختلاف ، وانه السبب الوحيد لتمزيق الاجانب بلاد المسلمين ثم الاخذ والاختطاف ، وانه دمار ذلك المجد الشامخ ، والعز الباذخ ، وحل بكثير من المسلمين ذوي العقول عظيم التأسف والندم ، ولكن بعد أن صاروا في أشراك الاقتناص وبعد زلة القدم ،

وقد آن لنا معشر المسلمين أن ننظر لا تقسنا بعيون الاستبصار ، وأن نجيد آراءنا لما يكون به عزنا وشرفنا ورجوع ايماننا التي ارتقينافيها صهوة كل عز وانتصار ، وليس لنا الى ذلك من سبيل ، الا بانواع ما أرشدنا اليه الرب الجليل ، من الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق والتنازع واتباع صراط الله المستقيم .
وترك اتباع السبل المتفرقة المضلة عن سبيله كما جاء في الذكر الحكيم .
وادارة كل شئوننا على منهاج شريعة الله عبادة ومعاملة ودفاعا . وكفى بهدي الله لنا وسيلة الى نيل كل مطلوب ، ودفع كل مخوف مرهوب ، ولقد قننا بمقامنا هذا الحرج طلبا لخدمة الله باصلاح ما تقدر عليه من أحوال المسلمين والدعاء الي الله وطاعته ، بامثال أوامره ونواهيه والانقياد لشريعته ، وقد حصل

لما في اكثر هذه البلاد المرام ، وترتبت الاعمال على مرضي الرب العلام ، ولم نزل نجد الارشاد ، الى كثير من البلاد ، راجين الله تعالى أن يجمع كلمة المسلمين لما به حفظ دينهم وبلادهم ، وحوزتهم وعزهم وكيانهم ، ولما كانت بلاد اليمن قطعة واحدة وأهلها متحدو العنصر والديانة متفقو اللغة متقاربو الانساب من الاشراف والقبائل ، لا اختلاف بينهم في شيء . فرمهم واحد ونبىهم واحد ، وكتابهم واحد ، ودينهم واحد ، بلا اختلاف يعول عليه الامن لا معرفة له بالشريعة ، ولا بواضح منها هجها الوسيعة ، وأما أهل الديانة والعرفان ، واولو العقول التي بها تعرف طرائق الاحسان . فهم يعرفون أن أهل القطعة المباركة اليمنية كاهل مدينة واحدة ، ومع هذا فالواجب علينا جمع الكلمة ، واتحاد الرأي وتوحيد الطريقة ، وعقد الولاء على الحقيقة ، حتى نكون كالجسم الواحد كالبنان أو كالبنيان ، كما وصف به الرسول صلى الله وسلم عليه وآله وصحبه اهل الايمان .

وقد عممنا دعوتنا هذه التي هي دعوة حق الى كل من بلغته ، وحررنا هذا الكتاب مع غيره الى أهل جهاتكم وما والاها من العلماء الاعلام ، والرؤساء الفخام ، والمشايخ والافراد ، ندعوكم بدعوة الحق الى ما أسلفناه في هذا الكتاب ، ونقول هلموا أيها الاخوان الى ما به عز الدنيا والدين ، والوصول الى الخير المستبين ، لنعمر أمور ديننا ودنيانا ، على طريقة الاسلاف الذين هم اسوتنا ومقتدانا ، وليس المراد ملكا لشيده ، ولا مالا نستزيده ، ولا جاها نستفيده ، وإنما المراد اجتماع المسلمين بالحجة البيضاء والصراط المستقيم ، وسنقر كل بلاد بيد رؤسائها ، ونحيل اليهم مجرى أعمالها ومراسها ، هلموا الينا للعمل بكتاب الله وسنة رسول الله والسلف الصالح : نحى ما أحيا الله ، ونميت ما أمات الله ، نأمر بالمعروف ، وننهي عن المنكر المخوف ، وننعم النظام ، ونأخذ على يد الظالم ، ونحقن الدماء ، ونعمل بشريعة خالق الارض والسماء ، ونجري الاعمال ، على محور ارشادات ذي الجلال ، فكل ما خالفها فهو الباطل المضمحل ، وما وافقها فهو الحق المستفحل ، بارشادات الشريعة صلاح الدين والدنيا وقد خاب من عدل عنها . ولم يتم للسلف الصالح نصره الدين وفتح الاقطار الشاسعة إلا بالعمل بارشادات شريعة الله

ونقول أيضاً أيها العلماء الاعلام ، أنتم المكلفون ببيت ما علمكم الله
(المنار : ج ٧) (٧٠) (المجلد الرابع والعشرون)

ونشره للناس ، وثمرة العلم انما هي العمل والارشاد الى ما به ذهاب
الباس ، فقد أخذ الله عليكم ميثاقه الا كيد ، وألزمكم القيام بالتعليم
والوعظ والنصيحة للعامة وارشادهم الى الخير والمزيد ، والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، والتخويف من عقاب الله ، والانذار بسخطه ومقته على
من أعرض عما أوجبه الله عليه ، ولم يوجب الله على العامة السؤال بقوله
سبحانه (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) حتى أوجب عليهم
البيان بقوله (واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)
وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم « لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر
أو ليسا بدين الله عليكم (١) عهد الله أحق ما أدي (٢) فشمروا كثر الله سوادكم عن ساق
الهمة في هذا السبيل ، وبينوا وعظوا وانصحووا وتفوزوا بالاجر الجزيل ، واحيوا
سنة السلف الصالح في هذا الجيل ، فقد قام بالدعوة الى آل محمد من السلف
الصالح من به يقتدى ، ويقتنى أثره وبنور ارشاده يهتدى ؛ منهم الامام
الشافعي والامام أبو حنيفة رضي الله عنهما .

واعلموا أن هذا الذي ندعوكم اليه هو أمر محبوب عند كل بني الانسان ،
خصوصاً عند الدول المتقدمة فانها تعتبر هذا من الامور الواجبة على الامم ،
وخصوصاً الحكومة البريطانية ، وانا نؤمل منها غاية المساعدة (٣) لامور
مهمة ، مما تتقوى به هذه الدعوة المبنية على أساس متين ، فهي الدولة المفتخرة
بمحبتها للعرب ، واعانتها لهم في كل ما يتم به الارب ، خدمة للانسانية ورعاية
لحقوقها التي ترشد اليها الضمائر الوجدانية ،

وقد وصل الينا رؤساء البيضا (٤) في هذه الآونة واعلمناهم ما ندعوا اليه ،

(١) المنار : تمة الحديث « شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم »

(٢) المنار هذا حديث آخر

(٣) يعني بهذه المساعدة — والله أعلم — تمكينه من نشر دعوته ورفع لواء امامته
في البلاد المجاورة التي كانت قد قيدتها بالحماية وامل سبب هذا الامل انه قد تم الاتفاق بينه
وبين الدولة البريطانية وقد بلغنا اهم قد حدثوا من مواده كل القيود التي تنافي الاستقلال
المطلق الا تقدمهم على غيرهم من الاجانب في كل مشروع او امتياز اقتصادي عند
تساوي الشروط وان يمنح الامام البلاد التي كانت محمية الاستقلال الاداري تحت
سيادته كحضر موت ولنج ، وسنشر نص الاتفاق متى جاءنا بعد العلم الصحيح
بالتوقيع عليه ووضع موضع التنفيذ (٤) البيضا من بلاد اليمن بالقرب من حضر موت

وما نعرض الناس عليه ، وضربنا لهم الامثال ، باحوال الجهات التي تقذت فيها احكام ذي الجلال ، وما ضرب فيها من العدل والاحسان والامان ، وما ارتفع عنها من الفحشاء والمنكر والبغي والعدوان ، ثم كان عزهم من لدينا متقلدين الطاعة ، منخرطين في سلك الجماعة ، ونحن ان شاء الله على أهبة ارسال شزيمة من الاجناد ، الى هاتيك البلاد ، لصلاح احوالها ، ومحقق احوالها ، ونسأل الله تعالى أن يأخذ بنواصي الجميع الى مرضيه ، ويوفقنا الى سلوك السبيل الاقوم واجتناب معاصيه ، ويفتح لسمع نصيحتنا وارشاداتنا اسماع كافة الاخوان ، انه الكريم المنان ، فهذا ما ندعوكم اليه ، ونأمركم به ، وهو معذرة الى الله ، وحجة عليكم عند الله (ان أريد إلا الإصلاح ما استطعت وماتوفاقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب) والسلام عليكم . بتاريخه في ٤ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤١ هـ

اللورد فاروق هدي وخوجه كمال الدين

ذكرنا في المجلد السادس عشر شيئاً من خبر اهتداء هذا اللورد الانكليزي الى الاسلام وما نشره في بعض الجرائد الانكليزية عن اسلامه وأما خوجه كمال الدين فهو رئيس جمعية هندية تدعو الى الاسلام في لندن ولها مجلة هناك ويقال انه من المعتدلين من شيعة ميرزا غلام احمد القادياني الذي ادعى انه المسيح المنتظر وأن الوحي ينزل عليه بذلك . وقد ردونا عليه في حياته ورد علينا في بعض كتبه واتباعه الآن فريقان غلاة ومعتدلون وسنتكلم عنهم في جزء آخر وجمعية خوجه كمال الدين أنصار في القطر المصري ينكرون أنه من مسيحية القادياني وجرى لنا مع بعض اصدقائنا منهم حديث اتفقنا فيه على أن نسأل الاستاذ كمال الدين نفسه عن ذلك ونعتمد ما يقوله وننشره ولم يتيسر لنا ذلك قبل سفره الى الحجاز . وهو قد كان كتب اليهم بأنه يريد الحج بصحبة اللورد هدي ويعرضه فدعوا الناس الى الاحتفال باللورد وصاحبه ، وألفت لذلك جمعية خاصة في القاهرة واخرى في الاسكندرية اشترك فيها كثيرون من جميع الطبقات العليا والوسطى واستقبلوا الضيفين أحسن استقبال وأدبوا لها المآدب اللائقة بكرامة الضيف وكرم المضيف . واحسن ما نشر في الجرائد بهذا الشأن وأقر به الى الفائدة ما كتبه أحد محرري جريدة السياسة وهذا نصه :

(حديث مع رحمة الله فاروق جناب اللورد هدي)

لم تستقبل مصر رجلا منذ رجوع سعد باشا زغلول كما استقبلت بالأمس حضرة المستر (جورج رولان السن دن) المشهور المعروف باسم اللورد هدي والمعتنق لديانة الاسلامية تحت اسم رحمة الله فاروق

لقد غصت المحطات بالمستقبائين — من بورسعيد الى مصر والشعب يهتف مرحبا مستقبلا هذا الضيف الكريم . وهذا ما دعا كاتب هذه السطور لزيارة جناب اللورد الكريم زيارة افرادية خاصة في منشية البكري حيث حل ضيفا عزيزا مع رفيقيه المحترمين خوجه كمال الدين مدير المجلة الاسلامية في لندن والمبشر المشهور المقيم في بلاد الانكليز يدعو الناس للدخول في دين الاسلام ، وجناب عبد المحيي مهني الديار الانكليزية وشيخ جامع وكنج في ضواحي لندن استقبلني جناب اللورد بلطفه وأدبه الكبيرين ، على رأسه الطربوش المصري الموضوع فوق شعره المسكال بالبياض فينعكس من احمراره لون وردي جميل على وجهه الابيض وعلى عيني الزرقاوين المتحركتين كثيرا ثم نزلنا الى جنيحة المنشية الواسعة وجلسنا نتحدث .

كنت أصغى الى حديثه وأنا أقول في نفسي ما السبب الحقيقي الذي دعا هذا الرجل الانكليزي المنحدر بنسبه من ملوك نورث وايلس — ما الذي دعا هذا الرجل الذي وقف شارل الثاني سنة ١٦٦٠ بعلق على صدر اجداده شارات البارونية ؟ ما الذي دعا هذا اللورد لاعتناق دين الاسلام ؟ لقد اجتهدت كثيرا أن أتغلغل الى داخلية نفسه لعلني استكشف العاطفة النفسية التي دفعت الى الاسلام . لقد حادثته مليا ساعتين كاملتين فلم أشك بعدها في أن الرجل اعتنق الاسلام نهائيا

ان اللورد هدي لم يكن في حياته مسيحيا قط كما قال لي هو بنفسه وقد كان على مذهب الموحدين الذين يؤمنون بالله واحد ويعتقدون ان المسيح نبي وهؤلاء

شعبة كبيرة في إنجلترا وأميركا وهم الموحدون المشهورون

واللورد هدي مهندس معروف وقد قص علي من حديثه ما يأتي قال :
 « أنا مسلم منذ خمسين سنة ولكني لم اعتنق الاسلام رسميا الا في ١٧ نوفمبر
 سنة ١٩١٣ وذلك لا سباب عائلية سنائي علي ذكرها . وقد كنت في صغري
 أشك في أمور كثيرة في الدين المسيحي وكنت لا أعرف كيف أستطيع أن
 أؤمن بالمبدأ المسيحي القائل - اذا كنت لا تؤمن بألوهية المسيح فلا تنجو من
 عذاب جهنم الابدي - واذا لم تأكل جسد المسيح وتشرب دمه فلن تنجوا أيضا،
 لذلك كنت في دخيلة نفسي ثائرا على الديانة المسيحية من السادسة عشرة من العمر
 » وفي سنة ١٨٨٣ سافرت الى الهند الى مقاطعة كشمير لمشاريع هندسية
 وانشاء طرق وتعمير تلك الولايات على الطرق الحديثة الهنية . وهناك اجتمعت
 بصديقي الكولونيل .. (وطلب الي ان لا أذكر اسمه) الذي اهداني نسخة من
 القرآن الكريم . وكنت أجد في هذا الكتاب الشرف من بساطة الدين الاسلامي
 المبني على الفطرة الطبيعية الصادقة التي تدفع الانسان الى الخير وتنهاه عن المذكر
 ما يوافق طبيعة نفسي ويلآئم روعي . وكنت كلما قرأت في ذلك المصحف الكريم
 اكتشفت بنفسي انني مسلم دون أن يبشرني أحد بالاسلام ودون أن يدعوني أحد
 الى الاسلام . لذلك أحب أن يترك الانسان في مسألة الاديان الى نفسه ليختار الدين
 الذي يريده أو يوفقه وأنا أعتقد أن ثلاثة أرباع الناس في انكلترا هم مسلمون دون
 أن يشعروا أو يعرفوا ذلك . واذا سألت احدا ما هو دينك؟ فيقول لك أنا مسيحي واذا قلت
 له كلا فأنت مسلم بحسب اعتقادك يضحك منك قائلا كلا فانا علي دين المسيح
 « أنا أؤمن أن لا اله الا الله وأؤمن أن محمدا وموسى وعيسى انبياء الله لا نفرق
 بينهم بحسب تعاليم القرآن . وأجد الدين الاسلامي ديننا بسيطا يفهمه قلبي ويتفق
 معه عقلي ، لاني لا أستطيع أن أؤمن بما لا يفهمه القلب ولا يتفق مع العقل وقد
 خطر لي أن اعلن اسلامي منذ صغري لكنني كنت مضطرا الى مراعاة عواطف
 انسابائي المتقدمين في العمر الذين كنت من غير شك سأجرح عواطفهم ، واكسر

قلوبهم اذا اعلنت اني خرجت عن دينهم الذي يعتقدونه ويعتقدون أن لا خلاص لمن لا يؤمن به . لكن في السنوات الاخيرة قبل الحرب مات جميع المتقدمين في السن من اقربائي . وفي ذلك الحين تعرفت بصديقي خوجه كمال الدين فكنا نتحدث ونتباحث كثيرا في امور الدين الاسلامي . ولا انكر أن له الفضل الا كبر في مساعدتي وارشادي لاعلاني الانضمام الى حظيرة الدين الاسلامي . أما زوجي فقد توفيت منذ زمن طويل ولي أربعة اولاد لهم الخيار في اعتناق أي مذهب يشاءون .

« وقد كنت اعجب دائما بما كنت أقرأه عن ابطال الاسلام، وعن اولئك الافراد الذين خرجوا من الصحراء حفاة الاقدام فاستطاعوا أن يكونوا أعظم قواد العالم وأعدل قضاة الارض وأشهر المتشرعين على الاطلاق . »
« واني أفتخر بديني الجديد وأشكر الله عليه فهو دين بسيط جدا مفهوم تماما، أعرفه كما هو وأعيش بموجبه مسترشدا بما يوحيه الي ضميري ووجداني .

وقد كنت عقدت النية على اداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي المصطفى في أوائل اعتناقي الاسلام لكن الحرب العالمية السكبرى جاءت فجأة فاضطرت الى تأجيل زيارتي هذه الى هذه السنة »

وقد ذكر لي أنه هو أول من اعتنق الاسلام بين الانجليز وهو الآن رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في انجلترا وأنه قد دخل الى حظيرة الاسلام منذ دخوله اليها نحو اربع مائة شخص من رجال ونساء من الانجليز ، أما هو نفسه فيعتقد اعتقادا ثابتا راسخا أن ثلاثة ارباع الناس في انجلترا هم مسلمون بأفكارهم ومبادئهم لكنهم لا يدركون ذلك ، ولا جل هذا هم لا يريدون ان يعترفوا به .

هذا هو خلاصة حديث اللورد هدلي . وقد اجتمعت بحضرته مرة أخرى فوجدت أنه لا يستطيع ان يزيد شيئا على ما قال . فالرجل مفكر حر تعبت نفسه من تقاليد الديانة التي ربي فيها وتناقت نفسه الى مبدأ بسيط يوافق طبيعة روحه فوجد في بساطة الدين الاسلامي القائم على توحيد الله ضالته المذشودة فاعتنق

الاسلام وهو الآن ساث في طريقه الى بيت الله الحرام ، هـ
 (المنار) لا يقرأ هذا الحديث أحد له قلب إلا ويشعر بأنه من املاء الصدق
 والاخلاص ، ولم نر خطأ فيه إلا قوله انه اول من اسلم في انكلترة . وقد
 يشك الملاحدة والنصارى الواقفون بدينهم في قول اللورد انه يعتقد أن ثلاثة
 ارباع الشعب الانكليزي مسلمون بفطرتهم كما يشك بعض المسلمين في صحة اسلامه
 هو — وعندنا أن هذا هو الحق اليقين من حيث ان الاسلام دين الفطرة
 وفي الحديث الصحيح « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه
 فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » وإذا كانت التربية الانكليزية مبنية
 على مراعاة الفطرة ومنها استقلال الفكر فلا غرو اذا كانت ثلاثة ارباعهم
 لا يصدقون تقاليد الكنيسة المبتدعة بعد المسيح عليه السلام بل يؤمنون
 بتوحيد الله وكون المسيح رسولا كسائر رسل الله كما قال عليه السلام « وهذه
 هي الحياة الابدية أن يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح
 الذي ارسلته » وهذا عين اصلاح الاسلام للنصرانية ، ولو تولى الدعوة الى
 الاسلام في انكلترة والولايات المتحدة الاميركانية من يعرفون الاسلام معرفة
 صحيحة برهانية عمرانية وامكنهم بيانه وبيان غش رجال السياسة والمبشرين
 المضلين الذين اوقعوا العداوة والبغضاء بين الاسلام وأوربة لدخل هذان الشعبان
 في دين الله افواجا . وكنا نشرعنا في الاستعداد لذلك بمشروع الدعوة والارشاد ،
 والتزم العزيز عباس حلمي أعقل امراء الاسلام واعلاهم مهمة مساعدتنا على عملنا من
 حيث قاومنا بعض المسلمين الحاسدين ومقلداتهم حتى اذا ما ذهب بنفوذه اوقفت
 مدرسة دار الدعوة والارشاد بدسائس الانكليز واغراء بعض البهائية والانكليز

وفاة رجل كبير، ومحسن شهير، هو الحاج مقبل الذكير

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الاستاذ الامام والفاضل التكامل الهمام العلامة النحرير والبدر
 المنير السيد محمد رشيد آل رضا رضي الله عنه وارضاه
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأزكا واشرف تحياته (أما بعد) فاني
 أعزيك باخيك الطاهر النقي ، والعابد التقى ، الناسك البر الاواه ، الباذل
 امواله في سبيل الله ، طلبا لرضاه ، الحاج مقبل بن عبد الرحمن الذكير طيب الله

ثراه ، وجعل جنة الفردوس مشواه ، فقد أجاب الداعي ، ولبي المنادي ، في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٤١ فأول ليلة قدم فيها على ربه هي ليلة سبع وعشرين من رمضان وهي ليلة القدر على أصح الأقوال وأشهرها وقد ناهز عمره ثمانين عاما ، وبارك الله في حياته ، فلم تلهه دنياه مما فيه رضى الله ، فكم ضعيف أعانه ، وملهوف أغاثه ، ومعسر يسر عليه ، وكان رحمه الله وصولا لأرحامه ، برّا بأصحابه ، وله الآثار الجميلة الجليلة في البحرين وغيرها من صمارة المساجد ، وحفر الآبار ، والصدقات الجارية ، وله من الصدقات على عموم المسلمين ما يعجز عن القيام بمثله غالب الناس ، فقد اتفق كثير من أمواله على طبعم الكتب العلمية وجعلها وقفاً لوجه الله تعالى فمنها (اعلام الموقعين وحادي الأرواح) لابن القيم في ثلاثة مجلدات (وفتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية) وبعض كتبه في خمسة مجلدات ، والتدمرية والخيدية والصابونية واثبات صفة العلو للإمام الموفق ، ومنها شرح الاقناع وشرح المنتهى في أربعة اجزاء كبار وكلاهما في فقه الحنابلة وهذه طبعمها ووقفها لما كان في جزيرة البحرين

عاد قبل وفاته بسنوات قليلة الى مسقط رأسه وبلد اسلافه عزيزة أم بلدان القصيم ولم يثن عزمه عن عمل الصالحات والمسابقة الى الخيرات ما كان يكابده من آلام الكبر وضعف الخواس فبنى في بلده مدرسة ودارا لمن يكون مدرسا في تلك المدرسة وأمر أن يطعم على نفقته كتاب (اللطائف) لابن رجب (والبحر الزاخرة) للسفاريين وقد بوشر بطبعمها في الهند ، فجاءت المنية قبل تمام الامنية ، ولنا في ذريته وأقاربه عظيم الامل أن يسيروا على منهاجهم لانهم أهل بيت راسخ في المجد ، عريق في الكرم ، وكان رحمه الله سلفي الاعتقاد محبا لأشر السنة ، وقد قرأ طرفا من فقه الامام احمد بن حنبل رحمه الله في أوائل عمره فرحمه الله تعالى برحمته الواسعة واعظم فيه لاجر (إنا لله وإنا اليه راجعون) تسليما لأمر الله ورضى بقضائه ، وحسبنا الله وكفى . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ٢٤ شوال سنة ١٣٤١ كتبه

محمد بن عبد العزيز المائم

(المنار) نسأل الله تعالى أن يبارك في عمر أخينا الناعي قاضي قطر العادل وأن يتغمده أخانا المنعي برحمته ورضوانه ويجمعنا به (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وأن يحسن عزاء اهله وولده ، ويوفقهم لاقتفاء أثره

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ
وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يُنْكَرُونَ أُولَئِكَ أَبْوابُ

الْحِكْمَةِ

فَتَرْجَاهُ الَّذِينَ يَشَاءُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَفْعَةً
أُولَئِكَ الَّذِينَ هُوَ اللَّهُ
وَأُولَئِكَ هُمُ أُولَئِكَ أَبْوابُ

قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام ضربي « وضار » كثر الطرير

٣٠ ذي الحجة ١٣٤١ — ٢٠ الاسد (٣ ص) سنة ١٣٠٢ هـ ش ١٣ أغسطس ١٩٢٣

فتاوى المنار

(الراتبة قبلية للجمعة ، القياس في العبادات ، والتردد في نية الصلاة ، ومن صلى غير ما نوى) *

(م ٢٢ — ٢٤)

رفع أستاذ من المدارس العليا أسئلة أو «سؤالا ذا شعب» — الى العلماء كافة وخصني بالذكر مع ثلاثة منهم فأقول : سائلا من الله تعالى أن يلهمني الصواب ، ويؤتيني الحكمة وفصل الخطاب (*)
(نص السؤال الاول)

هل ثبت من طريق شرعي — غير ما رواه ابن ماجه رقه ضعفه . وجرحه أهل الحديث — أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى قبل الجمعة ركعتين أو أربعاً بنية سنة الجمعة أو أمر بذلك أو أقره ؟

(الجواب) يعني السائل بمحدث ابن ماجه مارواه عن ابن عباس (رض) قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يركع قبل الجمعة أربعاً لا يفصل في شيء منهن .

(*) نشر السؤال ثم الجواب في الاهرام

وفي إسناده مبشر بن عبيد كذاب وضع بل قال صاحب الزوائد إسناده مسلسل بالضعفاء : عطية متفق على ضعفه وحجاج مدلس ومبشر بن عبيد كذاب وبقية ابن الوليد مدلس اه أقول وقد عنعن كل من الحجاج وبقية وكذا مبشر فالحديث موضوع وقال النووي في الخلاصة إنه حديث باطل وقد ورد في هذا المعنى عدة أحاديث أمثل من حديث ابن ماجه ولكنها ضعيفة (منها) حديث أبي هريرة عن البزار : كان يصلي قبل الجمعة أربعاً وبعدها أربعاً — ومثلاً عن علي رواه الاثرم وقال انه واه والطبراني في الاوسط ، وروى الطبراني مثله عن أبي مسعود وفي إسناده ضعف وانقطاع ، والصواب أنه موقوف كما رواه عبد الرزاق . ومثله عن ابن سعد عن صفية زوج النبي (ص) وهو موقوف أيضاً أفاد ذلك كله الحافظ ابن حجر . ولم نطلع في كتب السنة ولا فيما احتج به من قال بأن للجمعة سنة قبلية على حديث صحيح صريح في ذلك بل الثابت الذي لا خلاف فيه أن النبي (ص) كان يخرج من بيته الى المسجد اذا زالت الشمس فيؤذن بين يديه فيخطب فيصلّي بالناس فربضة الجمعة فينصرف الى بيته فيصلّي فيه ركعتين

ولكن ورد أحاديث في الصحاح وغيرها استدلت بها القائلون بسنية الصلاة قبل الجمعة ورد عليهم المانعون استدلالهم (منها) ما رواه أبو داود وابن حبان من طريق أبيوب عن نافع قال : كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته ويحدث أن رسول الله (ص) كان يفعل ذلك . قال الحافظ : احتج به النووي في الخلاصة على إثبات سنة الجمعة التي قبلها . وتعقب بأن قوله « كان يفعل ذلك » عائد على قوله : ويصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته — وبدل عليه رواية الليث عن نافع عن عبد الله أنه كان اذا صلى الجمعة انصرف فسجد سجدتين في بيته ثم قال : كان رسول الله (ص) يصنع ذلك . أخرجه مسلم ، وأما قوله كان يطيل الصلاة قبل الجمعة فان كان المراد بعد دخول الوقت فلا يصح أن يكون مرفوعاً لانه (ص) كان يخرج اذا زالت الشمس فيشتغل

بالخطبة ثم بصلاة الجمعة ، وإذا كان المراد قبل دخول الوقت فذلك مطلق نافلة لا صلاة راتبة ، فلا حجة فيه لسنة الجمعة التي قبلها بل هو تنفل مطلق وقد ورد الترغيب فيه اهـ

أقول وروى أحمد عن عطاء الخراساني عن نبیثة الهذلي عن النبي (ص) قال « ان المسلم اذا اغتسل يوم الجمعة ثم أقبل الى المسجد لا يؤذي أحداً فان لم يجد الامام خرج صلى ما بدا له ، وان وجد الامام قد خرج جالس فاستمع حتى يقضي الامام جمعة وكلامه ان لم يغفر لاني جمعة تلك ذنوبه كلها ارجو أن تكون كفارة للجمعة التي تليها »

وعطاء الخراساني فيه خلاف وثقه بعضهم وضفه البخاري وذكر باسنادله عن سعيد بن المسيب أنه قال : كذب علي عطاء ما حدثته هكذا ، وقال ابن حبان كان رديء الحفظ يخطيء ولا يعلم فبطل الاحتجاج به . وهو لم يسمع من نبیثة بل قال الطبراني انه لم يسمع من أحد من الصحابة الا من أنس . على أن الحديث كما يتبادر من لفظه في النفل المطلق ولا خلاف في جوازه قبل الصلاة وظاهره منع تحية المسجد اذا كان الامام قد خرج وهو معارض بحديث « اذا جاء أحدكم والامام بخطاب يوم الجمعة فايركع ركعتين ولا يتجاوز فيهما » رواه احمد ومسلم وابو داود عن جابر بن عبد الله وفي رواية « اذا جاء أحدكم والامام بخطب — أو قد خرج — فليصل ركعتين » وسببه ما رواه الجماعة عنه قال : « دخل رجل يوم الجمعة ورسول الله (ص) يخطب فقال « صليت » ؟ قال لا . قال « فصل ركعتين » وهو مفصل في رواية أخرى وقد حقق الجمهور أن هاتين الركعتين هما ركعتا تحية المسجد ، وإن كانت سنة قباية للجمعة لأمر الناس كلهم بها قبل الخطبة التي كان يتدبر المنبر بها عند لزوال

وروى الجماعة كلهم (احمد والشيخان واصحاب السنن) عن ابن عمر أن النبي (ص) كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته . ولم يذكر قياما شيئا . وورد في معناه أحاديث أخرى ، وروى الجماعة ما عدا البخاري من حديث أبي

هريرة أن النبي (ص) قال « إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربع ركعات »
وفي رواية لمسلم « من كان منكم مصلياً بعد الجمعة فليصل أربعاً » وهو لفظ أبي
داود والترمذي . ولكن لم يصح أنه (ص) صلى بعدها أربعاً ولا قبلها شيئاً
(ومنها) ما استدلوا به من عموم ما ورد في الرواتب . قال الحافظ وأقوى ما
يتمسك به في مشروعية ركعتين قبل الجمعة ما صححه ابن حبان من حديث عبد
الله بن الزبير مرفوعاً « ما من صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان » ومثله
حديث عبد الله بن مغفل « بين كل أذانين صلاة لمن شاء » اهـ أقول وقد
راوه الجماعة كلهم ، والمراد بالأذانين الأذان والإقامة . والممانعون يقولون إن
هذا العموم مخصوص بغير الجمعة إذ ثبت بل تواتر بالجماع الاجماعي أنه ليس
بين أذانها وإقامتها إلا الخطبة — ولا يعارضه ما صح من صلاة ركعتي تحية
المسجد في وقت الخطبة — وهذا أقوى من تخصيص بعضهم له بغير صلاة
المغرب لما ورد من أنهم لم يكونوا يصلون بين أذانها وإقامتها شيئاً بل كانوا يشرعون
في الصلاة في أثناء الأذان ، ولما ورد من حديث بريدة عند الغزار من استثناء صلاة
المغرب في مثل حديث عبد الله بن مغفل مع أن هذا ضعيف وما قبله معارض
بما روي من صلاة بعضهم لها في الصحيح

السؤال الثاني

أصبح القياس في تشريع الصلوات فنصلي سنة قبلية للجمعة قياساً على الظهر
أو نصلي قبلية لا يمد قياساً على الجمعة ؟
(ج) الأصل في القياس الصحيح أن يكون فيما لا نص فيه من كتاب ولا سنة
وهو ما ورد النص على علمته مع نفي الفارق فيما يشاركه في العلة ، والأصل في
جميع الأحكام التعبدية أن تثبت بالنص ولو لا ذلك لم يثبت اكمال الدين ولا
أن النبي (ص) وأصحابه كانوا اكمل المؤمنين ديناً وعبادة ، وكل منهما قطعي .
وهذا أساس مذهب الامام مالك كما بينه الشاطبي في الاعتصام (راجع ص ١٢٣
من الجزء الثاني ، وقد فصلنا هذه المسألة في المنار مراراً وفي تفسير قوله تعالى (١٠٤:٥)

يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم (من جزء تفسير السابع وفيه تفصيل لمسألة تقياس الصحيح والباطل . والتحقيق أنه لا يمكن إثبات عبادة عمالية محضة مستقلة بالقياس المحض لأنحوائية ، وما كان من تحقيق المناط وما ثبت بفحوى الخطاب أو لمنه ، ولا يتسع هذا الجواب لبط هذه المسألة ولا هي من موضوعه . وقد غلط من جوز إثبات سنة قبلية للجمعة بالقياس على الظهر ، ويغني عنه القول بأن كون الجمعة بدلا من الظهر يقتضي أن يصلي قبلها وبعدها من الراتبة ما يصلي قبله وبعده ، وهذا ليس بقياس . ولما نعين أن يردوه بما دلت عليه النصوص في الجمعة ، وليس من موضوعنا هنا الترجيح بين الأقوال في المسألة ، ووجد من العلماء من قاس راتبة العيد على راتبة الجمعة وهو شاذ . وقد اختلف العلماء في الصلاة قبل صلاة العيد وبعدها بسبب اختلاف الأخبار والآثار . والتحقيق أنه لم تثبت لها سنة قبلية ولا بعدها ولم يثبت منع خاص للتنفل قبلها أو بعدها كما قال الحافظ في الفتح

السؤال الثالث

« أتجوز نية الصلاة مع التردد في كون لمنوي فرضاً أو نفلاً ؟ وهل يجوز المصلي أن ينوي فرضاً معيناً وركعات معدودات ثم يفعل غير ما نواه ؟ »
(ج) لا تتحقق النية إلا بالعزم القاطع ومن شروطها العلم بالمنوي وعدم الصارف عنه بأن يستصحبها حكماً من أول الصلاة إلى آخرها فلا يأتي بشيء ينافيها كما مر حوا به ولكن بعض الفقهاء جوزوا تحويل الفرض نفلاً لعذر وتحويل الجمعة إلى الظهر إذا خرج الوقت إذ عدوه شرطاً لمصحبتها

قال الشيخ موفق الدين الحنبلي في المنى : وإذا دخل في الصلاة بنية مترددة بين اتتمامها وقطعها لم تصح لأن النية عزم جازم ومع التردد لا يحصل الجزم ، وإن تلبس بها بنية صحيحة ثم نوى قطعها والخروج منها بطلت وبهذا قال الشافعي . وقال أبو حنيفة لا تبطل بذلك لأنها عبادة صحح دخولها فيها فلم تفسد بنية الخروج منها كالخرج الخ (ثم قال) وإذا أحرم بفريضة ثم نوى نقلها إلى فريضة أخرى

بطلت الاولى لانه قطع نيتهما ، ولم تصح الثانية لانه لم ينوها من اولها . اه
ثم ذكر خلافا عن الحنابلة في نقلها الى نفل لعذر أو لغرض صحيح أو بدونه ،
والراجح عندهم جوازه لغرض صحيح كالشافعية الذين توسعوا في العذر ومثلوا
له بقول الشمس الرملي الشافعي في شرحه للنهاج : ولو قلب المصلي صلاته
التي هو فيها صلاة أخرى عالماً عامداً بطلت أو أتى بمنافي الفرض لا النفل كأن
أحرم القادر بالفرض قاعداً أو أحرم به قبل وقته عامداً عالماً لم تنعقد صلاته
لتلأبه فان كان له عذر كظنه دخول الوقت فأحرم بالفرض أو قلبه نفلاً لا إدراك
جماعة مشروعة وهو منفرد فسلم من ركعتين ليدركها أو ركع مسبقاً قبل تمام
التكبيرة جاهلاً — انقلبت نفلاً لعذره ، ذلاً يلزم من بطلان الخصوص بطلان
العموم — ولو قلبها نفلاً معيناً كركعتي الضحى لم تصح لا فتقاربه الى تعيين اه . والمراد
بالخصوص في كلامه هنا الفرض وبالعموم النفل

وأما قلب الجمعة ظهراً فقد جزم به الشافعية في حال خروج الوقت بناءً أو
استئناً والمراد بالبناء ما بدأوا به من صلاة الجمعة أربع ركعات وبلاستئناف
قلب ما بدأوا به من فريضة الجمعة نفلاً كما تقدم في المصلى المنفرد واستئناف
صلاة الظهر بنيته بعد السلام منها . ومذهب الحنابلة أظهر بل هو الظاهر في المسألة
وهو أن يتموها جمعة وإن خرج الوقت في أثناءها كسائر الصلوات . قال صاحب
الفروع منهم : فإن خرج (أي وقت الجمعة) صلوا ظهراً فإن كانوا فيها أتموا
جمعة قال بعضهم نص عليه وهو ظاهر المذهب وفقاً للمالك . وعنه قيل ركعة لا .
اختاره الخرقى والشيخ . ثم هل يتمونها ظهراً وفاق للشافعي أو يستأنفونها وفاقاً
لابي حنيفة ؟ فيه وجهان . اه وذكر مصحح الفروع أن الصحيح من الوجهين أن
يتموها ظهراً إن كان قد نوى الظهر والا استأنفها . فهذه مدارك المجتهدين في المسألة
والختار عندنا منها عدم صحة تحويل صلاة الجمعة الى الظهر وأمثاله والله أعلم

المسيحية الاسلامية القاديانية

الملقبة بالاحمدية

نجم بمصر هذه الايام قرن بدعة (ميرزا غلام احمد القادياني) بعد أن كانت محصورة في الهند ثم بثت دعوتها في أوربة والبلاد الاميريكية فصارت كالبهائية ذات دعاة واتباع يثبون تعاليمهم في رسائل يطبعونها ويوزعونها ، ومقالات ينشرونها كانت مسألة الاعتقاد بالمهدي المنتظر مثار فتن كثيرة ، وبدع كبيرة ، وسفك دماء غزيرة ، كان آخر مظاهرها في البلاد الافريقية مهدي السودان ، وفي آسية (الباب) الذي ظهر في ايران ، وكان أمثال هؤلاء المبتدعين غافلين عن مسألة الاعتقاد بنزول المسيح على الارض في آخر الزمان حتى قام بها البهائية ونظموا دعوتها وجعلوها قاعدة دعوتهم للنصارى ، كما كانوا جعلوا قاعدة دعوتهم للمسلمين مسألة المهدي المنتظر ، ولكل من الدعوتين عندهم درجات كـ درجات سلفهم من باطنية الاسماعيلية ، ولكنها مناسبة لحال هذا الزمان ، وآخر درجاتها دعوى الألوهية والربوبية لزعيمهم البهاء

ثم ظهر ميرزا غلام احمد القادياني في الهند فادعى أنه هو المسيح المنتظر وأن الوحي نزل عليه بذلك ، وقد رددنا عليه في عصره ، ورد علينا وهجانا في مصنف خاص أملاه عليه وحيه الشيطاني ، وكان من وحيه هذا أن صاحب المنار « سيهزم فلا يرى » ولو نزل بنا قضاء الله تعالى بموت أو نكبة يطل بها المنار ، لمكان ذلك من اكبر فتن أتباعه الاغرار ، ولكن ظهور الكذب والخذلان مما ينسأه اولاً براه امثال هؤلاء العميان

ضل كثير من المسلمين بدعوتي البهائية والقاديانية فلهذا كانت الدولة البريطانية مؤيدة ومساعدة لهما في الهند وايران وفلسطين ومصر ، وكلهم مخلصون لها ، مؤيدون لسياستها ، وقد كان حسين روعي افندي البهائي أمين معتمدها في الحجاز منذ بدء الثورة الحجازية ، وقد كنا نظن أن بدعة القادياني لا تتجاوز بعد موته

ما نسخته من أحكام الشريعة وأهمها وجوب الجهاد ثم علمنا أنهم يدعون استمرار الوحي والنبوة في أتباعه ، وقد نشروا في هذه الايام رسالة مطبوعة في الدعوة الى دينهم المسيحي الاسلامي « وضعها بالانكليزية (ميرزا بشير الدين محمود احمد) زعيم الحركة الاحمدية من قاديان — بنجاب بلاد الهند » وترجمها بالعربية (الرحالة عبد المجيد كامل) صاحب (رحلة في بلاد الناس) « وطبع على نفقة الحركة الاحمدية بمصر »

موضوع الرسالة « الصلاة عند الاسلام » وصلااتهم صلاة المسلمين في الصورة وانما تخالفها في المعنى والعقيدة ، فقد علق واضع الرسالة على تفسير (صراط الذين أنعمت عليهم) تعليقا صرح فيه بأصل ارتدادهم عن الاسلام وهذا نصه :
« ملاحظة — لقد وضع كل دين من الاديان المتبعية نموذجا خاصا ، ولا شك أن أفضل تلك النماذج هو ما وضعه الاسلام . ان في هذا الدعاء — لارشاد المسلم بأن يتوسل الى الله بأن يهديه صراط الذين أنعم عليهم ، أو بعبارة أخرى — يتوسل الى الله أن ينعم عليه بمثل ما أنعم به على أولئك المنعم عليهم — الذين قيل عنهم في موضع آخر من القرآن ما يفهم منه أنهم اصحاب النبي والصديقون والشهداء والصالحون وقيل في موضع آخر :

﴿ واذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ﴾
وجاء في آية أخرى ان الذين انعم الله عليهم — انما هم الانبياء (١)
فالنبوة اذاً هي أسمى المراتب التي يتطلع اليها المسلم لذلك ابتدل الى الله سبحانه

(١) المنار : يعني بهذه الآية قوله تعالى في سورة مريم (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) الخ وهي لا تدل لغة على ما ذكره من حصر المنعم عليهم في الانبياء ولو دلت على ذلك لكانت معارضة لغيرها من الآيات التي ذكرها او المشار اليها ، ولكن هؤلاء اعاجم لم يتقنوا اللغة العربية فجعلهم بها كجمل مسيحيهم

وتعالى أن يحشره في زمرة الانبياء ، وهو نموذج لم ينسج على منواله دين من
الاديان على الاطلاق ، بل جميعها سدت طريق الوحي الالهي في وجوه العالم ،
فالدين الاسلامي وحده هو الذي يرشد تابعيه الى أن طريق الوحي لا يمكن أن
يسد في وجوه الناس ، اذ أن الله الذي خاطب الناس وقتاً ما — ان يكف عن
هداية شعبه ومخاطبته

« ان هذا النموذج فضلا عن كونه ناف (؟) للاستحالة — فانه يفتح أمام ذوي
القلوب الطاهرة طرق النجاح التي لا نهاية لها ، ويرسم لهم طريق السعي للاتصال
بالله خالق الكوان ومنبع كل قوة ومحبة

« لقد أنبا النبي الاقدس صلى الله عليه وسلم بظهور أحد أعظم أوائلك الذين
أنعم الله عليهم واسمه « المهدي والمسيح » فويدهى « المهدي » لانه يهدي مسلمي
وقته الذين انعمسوا في الخطايا ونسوا أوامر الدين الاسلامي حتى لم يعد في أقوالهم
وأفعالهم أثر لجمال الايمان ، ويسمى « المسيح » لانه يقوم النبوات المختصة بعودة
يسوع المسيح الى الارض ، وهداية العالم المسيحي الذي خالف التعاليم المسيحية
كل المخالفة

« ولقد ظهر ذلك الذات في « الهند » بمحل يقال له « قاديان » وفي ظرف
ثلاثين عاما من حياته الرسولية — قوى دعائم الاسلام بمعجزات جديدة من
عند الله ، وقد يوجد الآن آلاف من حواريه يستمعون الوحي الالهي

« ولقد عاش عبشة ملؤها الهداية الروحية بين أشياعه الذين فازوا فوزا مبينا
بأتجاه العالم اليهم ، فهناك الشيخ « فاتح محمد سيال » وحضرة « عبد الرحيم نيار »
يدشران بالاسلام في أنجائهما ، ومفتي « محمد صادق » في أمريكا ، فلا غرو أن
اعلام الناس بأنه من الممكن الحصول على الوحي في أي وقت — قد كان من
الاخبار السارة التي تدعو الى تشجيع المسلم الحقيقي في كل آن ، وتهد قياسا
للحكم بين الاديان المختلفة

« ان الدين الصحيح الحي — هو الذي لا يخلو من الثمر أبدا ، ولا ثمرة للدين

الا الاتصال بالله ، وهذا لا يمكن أن يكون الا بواسطة الوحي
 « ليس الاسلام كغيره من الاديان التي تتمشى باتباعها الى أحط الدرجات
 بل هو يسمو بتابعيه الى أعلا ذروة الخيال الذي يمكن أن يصل اليه فكر الانسان،
 وعلى ذلك فهو أوحى الاديان الذي يشفي غلة الطبيعة البشرية ، وان ا كبر حجة
 يتمسك بها المالحد ضد جميع الاديان — انما هي قوله انه اذا كان هناك آله
 كما يدعون — فلما ذا لا يظهر بنفسه للناس ؟ أما هذا الاعتراض فلا يمكن أن
 يوجه الى الاسلام الذي لا يعتمد في براهينه على القصص الماضية — بل يعلن بأن
 هناك رجال (?) حتى الآن يوحى اليهم علمهم «الزعيم الروحي» ومهدي هذا الزمن» اه
 (رد المنار) ان بين مسيح الهند الدجال وبين باب ايران شبا في أن كلا
 منهما كان مصابا بجنون الهوس الديني حتي لا يبعد أن يكون معتقدا لما ادعاه وفي
 أن تأثيره كان محصورا في الاعاجم ، اذ تصدى كل منهما التأويل القرآن والاحاديث
 بجرأة وجهل واسراف في الكلام ، فافتن بهما بعض جهلة الاعاجم اذ صدقوا انهما
 بالالهام والوحي امكنهما أن يجولا تلك الجولات الواسعة في كيان الله عز وجل ،
 ولو كانوا يفهمون العربية لسخروا من هوسهما ووصيهما الشيطاني

وكان القادياني أعلم بالعربية وآدابها من الباب فهو قد غني بفنونها وآدابها كل
 العناية فكان يحفظ مقامات الحريري والمعلقات السبع وكثيرا من المنظوم والمنثور
 ولكنه على هذا كله لم يحصل ملكة الاعراب ولا ذوق الاداب فيها فكان كثير
 اللحن والغلط فيما يقول ويكتب، وكثير الخطأ والشطط فيما يفسر به الكلام ،
 وكان لصا جريئا على السرقة يمزج شعره ونثره بما يحفظه بعينه أو بتغيير ما فيه ،
 فكان اتباعه يخذعون الاعاجم بذلك وتجراهم على دعوى اعجاز كلامه كالقرآن
 العزيز ولذلك عظم عليه الامر عند ما قلت في ردي على كتابه (اعجاز احمدي)
 انه كثير اللحن والغلط ، واللغو الذي لا يفهم له معنى صحيح في هذه اللغة ، وألف
 كتابا خاصا في الشكوى والتبرم من ردي ظهر فيه من ضعف نفسه ، واضطراب
 حدسه ، ما يدل على انه مخذول لا مؤيد من الله تعالى ، ولولا تناقض هؤلاء

الموسوسين لعددت هذا دليلا على انه متعمد لقول الزور ، غير مخدوع بنفسه ولا مغرور ، فقد عهد مثل هذا التناقض من امثاله :

ادعى رجل سوري النبوة وجاء ليظهر نبوته في مصر ، فلما بلغ بورسعيد أرسل منها برقيات الى الخديو ولورد كرومر ورئيس النظار ورئيس تحرير الاهرام وصاحب المنار يبشرهم بوقت تشریفه لعاصمة ملكه ، وكان يتردد علي ويقول لي انك ستكون مني كأبي بكر من النبي (ص) ثم كان يقبل يدي احيانا ويتذال لي لاساعده على اظهار دعوته ، مثال ذلك انه ترجح عنده أن يستبدل الاستانة بالقاهرة ، فكلفتي أن أكلم رؤف باشا المعتمد العثماني بأن يطلب له من الدولة أسطولا أو بارجة حربية لاجل نقله الى الاستانة ، قلت له اني إن اطلب هذا من رؤف باشا يعتقد اننى سلبت عقلي ولو طالب هو هذا من الاستانة يعتقدون انه جن ويستبدلون به غيره ، وأما انت فيمكنك أن تدفع تهمة الجنون عن نفسك بمعجزة تظهرها للبasha ان كنت نبيا كما تقول ...

قلت ان هؤلاء قد ضلوا بجهل العربية وهذا شاهد قطعي على وجوب هذه اللغة على كل مسلم ، فاذا كان من ادعى انه المسيح المؤيد بالاعجاز في كتبه يزعم أن البسملة تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى مسيحيتة هو فلا عجب اذا ادعى هو واتباعه أن قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم) يدل على طلب النبوة بدليل أن المنعم عليهم « أنما هم الانبياء » فعلى هذا يكون المفروض على كل مسلم أن يطلب من الله تعالى في كل ركعة من صلاته أن يجعله نبيا يوحى اليه ١١

هذا الفهم الذي جاءنا به هؤلاء الاعاجم قدقات الصحابة والتابعين من العرب الخالص ومواليهم ، وفات جميع واضعي فنون هذه اللغة لضبط الفاظها ومعانيها وفلسفتها وآدابها وامرار بلاغتها ، وجميع من فسر القرآن من السلف والخلف — حتي قام بعض أعاجم الهند في القرن الرابع عشر يزعمون انه أصل الاسلام وركنه الاعظم الذي امتاز به على جميع الاديان ١١١

لقد كنت اظن أن ضلالة هؤلاء المسيحيين القاديانيين قد وقفت عند حد لا تتجاوزه هو دعوى ظهور المسيح والمهدي المنتظرين ، وأن هذه الدعوى ستموت ويخجل أهلها منها بظهور كذب مسيحهم في دعواه أنه أبطال الحرب والجهاد من الأرض ، واستبدل بهما السلم العام ، وقد ادعى البهائية عين هذه الدعوى ، اذ كان كل منهما يتوهم أن أوربة تريد ذلك ، ثم كذبت أوربة الدينان الجديدان ، بحرب طرابلس الغرب وحرب البلقان ، ثم بالحرب العامة التي لم يسبق لها نظير في تاريخ العالم باتساع شرها ، وعظائم ضررها ، ولسكن ظهور كذب دعوى البهاء والقادياني لا يرجع زعماء أديانها عنها ، وترك هذه الرياسة ونعيمها وثروتها ، ولا يرجع من قلدوم تقليدا أصم أعمى ، كما أن رد السواد الأعظم من المسلمين والنصارى لدعواهما لم يمنعهما من الاصرار على ادعاء هداية أهل الدينين وتغيير حال الأرض ١١١

واذ قد ظهر لي أن القاديانية قد ازدادوا ضلالا ، وأنهم نظموا دعوتهم وحاولوا تعميمها كإخوانهم مسيحيي البهائية ، فسأجد الرد عليهم وتفنيد مزاعمهم في مقالات تترى في الأجزاء الآتية إن شاء الله تعالى

الاستاذ الخوجه كمال الدين

أشرنا في الجزء الماضي الى ما كان يقال من أن الرجل من شيعة المسيحية القاديانية وانما سنعتمد في استبانة الحق في ذلك على سؤاله عنه بعد عودته من الحجاز ، وقد اتفق ان كتب بعض الجرائد اليومية كلام جازم في هذا المعنى فلما عاد الاستاذ كمال الدين من الحجاز اطلع عليه وسئل عنه فنشر في الجرائد بيانا صرح فيه بأنه مسلم سني حنفي وأنه لا يدين بدين القاديانية ولا هو من شيعة مسيحهم الكذاب ، فنهته ونهنيء اصدقاءه من المسلمين بذلك حامدين لله عز وجل

حقيقة الوهابية ومنشأ الطعن فيها

إن سبب قذف الوهابية بالابتداع والكفر سيامي محض — كان أولاً لتكفير المسلمين منهم لاستيلائهم على الحجاز وخوف الترك أن يقيموا دولة عربية الخ ولذلك كان الناس يهيجون عليهم تباعاً لسخط الدولة ، ويسكتون عنهم إذا سكنت ربح السياسة ، الى أن جدد لها الملك حسين في الحجاز وولده الملك فيصل في العراق وولده الامير عبدالله في سورية وفلسطين بعد توليتهم لامور هذه البلاد أصدر الملك حسين عدة منشورات في جريدته (القبلة) في ٩ شوال سنة ١٣٣٦ وغرة ربيع الاول سنة ١٣٣٧ و ٨ جمادى الاولى منها رمام فيها بالكفر وتكفير أهل السنة والطعن في الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ... وقد صرح في الثاني منها بأن حكومته رأت أن تمحو بدعتهم بالاصالة عن نفسها وبالنيابة عن سائر المسلمين ... وفي الثالث « أنه لا بد للسلطان من قتالهم بكل موجوديته » اذا لم ينفع ما بدأ به من الدفاع لمحو بدعتهم وكفرهم . ويعني بالسلطان نفسه فانه يرى أنه امام المسلمين وسلطانهم . وفعل الملك فيصل ما فعل في العراق وكان من مؤتمر الشيعة في كربلاء ما كان ثم رأينا بعض أهل دمشق وبيروت يتقربون اليه والى ولده الامير عبد الله بطبع الرسائل في تكفيرهم ورميهم بما يرميهم هو به وما بهتوا عند ظهور أمرهم ، ويزيدون حتى قال بعضهم ان محمد عبد الوهاب كان يخض النبي (ص) ويريد ان يدعي النبوة !! دع أقوال من يزعمون انهم ينكرون الشفاعة والكرامات كالمعتزلة وقد اشتهر ان هذا كله باغراء الامير عبدالله . ثم سرى ذلك الى مصر وظهر له أثر في بعض الجرائد من حيث لا يدري أصحابها من أين جاء . وقد رد على هذه الرسائل بعض علماء الشام ووصل الاصل والرد الى نجد فجمع بعض علمائها عدة رسائل لتقديمي علمائهم وهدأ خبرهم طبع في مطبعتنا فرأينا أن نقبس منها ما يأتي ليعلم المطلعون عليه حقيقة أمرهم ومنشأ بهتهم والاقتراء عليهم ، وهو :-

نموذج

من مناظرة الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد عبد الوهاب لعلماء مكة

وكان فيمن حضر مع علماء مكة وشاهد غالب ماصار - حسين بن محمد بن الحسين الابرقي الحضرمي ثم الحياتي ولم يزل يتردد علينا ويجتمع بسمود وخاصة من أهل المعرفة ويسأل عن مسألة الشفاعة التي جرد السيف بسببها من دون حياة ولا خجل لعدم سابقة جرم له

فأخبرناه بأن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الاسلامي ، والاعلم والاحكم ، خلافا لمن قال: طريقة الخلف أعلم ، وهي انا نقرأ آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ونكل عليها الى الله مع اعتقاد حقائقها ، فان مالكا وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة

ونعتقد أن الخير والشر كما بمشيئة الله تعالى ولا يكون في ملكه الا ما أراد ، فان العبد لا يقدر على خلق أفعاله ، بل له كسب رتب عليه الثواب فضلا ، والعقاب عدلا ، لا يجب على الله لعبده شيء ، وأن يراه المؤمنون في الآخرة بلا كيف ولا إحاطة ونحن أيضا في الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل ولا ننكر على من قلده أحد الأئمة الاربعة دون غيرهم اعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية (١) ونحوم

(١) ان كلمة الرافضة التي وضعت لغلاة الشيعة تشمل الباطنية وآخرين دون الزيدية ومعتدلي الامامية . والظاهر أن صاحب هذه الرسالة ووالده لم يطلعوا على كتب الزيدية في الفقه ولو اطلعوا عليها لعلموا أن فقههم مدون وكذلك الامامية وان الفرق بينه وبين فقه الاربعة قليل قلما قال احد مجتهديه قولا انفرد به وخالف الاجماع قبله وكيف وهم يحتجون بالاجماع وبعمل السلف؟ وكذا باحاديث دواوين السنة المشهورة كالكتب الستة . وقد كان مشايخنا يقولون كما قال مشايخ نجد أن سبب حصر التقليد في فقه الاربعة دون سائر مجتهدى الامة هو تدوين مذاهبهم دون

(المناظر: ج ٨) (٧٤) (المجلد الرابع والعشرون)

لا نقرهم ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة (٢) بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أخذ منا يدعيها ، الا أنا في بعض المسائل اذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب كارت الجدد والآخره ، فانا تقدم الجدد بالارث وان خالفه مذهب الحنابلة

ولا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض عليه الا اذا اطلعنا على نص جلي يخالف مذهب أحد الأئمة وكانت المسئلة مما يحصل بها شعائر ظاهرة كامام الصلاة فنأمر الحنفي والمالكي مثلاً بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدين لوضوح ذلك ، بخلاف جهر الامام الشافعي بالبسملة فلا نأمره بالاسرار ، وشتان ما بين المسئلتين ، فاذا قوي الدليل أرشدناهم بالنص وان خالف المذهب وذلك يكون نادراً جداً . ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض ، ولا مناقضة لعدم الاجتهاد المطلق . وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة لاختيارات لهم في بعض المسائل مخالفة للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه ثم انا نستعين على فهم كتاب الله بالتفسير المتداولة المعتبرة ومن أجلها لدينا تفسير ابن جرير ومختصره لابن كثير الشافعي ، وكذلك البغوي والبيضاوي والخازن والحداد والجلالين وغيرهم ، وعلى فهم الحديث بشرح الأئمة المبرزين كالعسقلاني والقسطلاني على البخاري والنووي على مسلم والمناوي على الجامع الصغير ، ونحرص على كتب الحديث خصوصاً الامهات الست وشروحها ، وناعتني بسائر الكتب في سائر الفنون أصولاً وفروعاً ، وقواعد وسيراً ونحواً وصرفاً

غيرها . وهذا غلط سببه عدم الاطلاع . وكتبه مصدحه « ٢ » أي لا نقر بصفتنا حكام البلاد اصحاب المذاهب غير المضبوطة أن يظهر واشيئاً من مذاهبهم الفاسدة بالاجماع كاقوال الباطنية بان لا يحكام العبارات معاني غير الظاهر الذي عليه العمل وبوجود امام معصوم في كل عصر يجب اتباعه في كل ما يقول وكسب غلاة الرافضة للشيخين « رض » وبراءة الخوارج من الصهرين « رض » ومقابل قوله ظاهراً انهم لا يحاسبون أحداً علي ما يخفيه من امثال هذه المسائل

وجميع علوم الامة ، ولا تأمر باتلاف شيء من المؤلفات أصلا الا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك كروض الرياحين . وما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق فإنه قد حرمه جمع من العلماء (١) على أنا لا نفحص عن مثل ذلك وكالدلائل (?) الا أن تظاهره صاحبه معانداً أتلف عليه وما اتفق لبعض البدو من إتلاف بعض كتب أهل الطائفة إنما صدر من بعض الجهلة وقد زجرهم وغيره عن مثل ذلك ومما نحن عليه أنا لا نرى سبي العرب ولم نفعله ولم نقاتل غيرهم ، ولا نرى قتل النساء والصبيان

وأما ما يكذب علينا ستر الحق ، وتلبسنا على الخلق ، بأنا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ما وافق أفهامنا ، من دون مراجعة شرح ولا معول على شيخ ، وأنا نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا : النبي رمة في قبره ، وعصا أحدنا أنفع له منه ، وليس له شفاعة ، وإن زيارته غير مندوبة ، وأنه كان لا يعرف معنى لا إله الا الله حتى نزل عليه (فاعلم أنه لا إله الا الله) مع كون الآية مدنية ، وأنا لا نعتمد على أقوال العلماء ، فتتلف مؤلفات أهل المذاهب اسكون فيها الحق والباطل ، وأنا مجسمة ، وأنا نكفر الناس على الاطلاق أهل زماننا ومن بعد الستمائة الا من هو على ما نحن عليه ، ومن فروع ذلك أن لا تقبل بيعة أحد الا بعد التقرر عليه بأنه كان مشركا ، وإن أبويه ماتا على الشرك بالله ، وأنا ننهي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا ، وإن من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون ، وأنا لا نرى حق أهل البيت رضوان الله عليهم ، وأنا نجبرهم على تزويج غير الكف لهم ، وأنا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتتكدح شابا اذا ترافعوا إلينا فلا وجه لذلك فجميع هذه الخرافات وأشباهاها لما استفهمنا عنها - من ذكر (١) إنما حرموا بعض كتب المنطق القديمة الممزوجة بالفلسفة اليونانية الباطلة دون ما ألّفه المسلمون ولم يمزجوه بذلك

أولا وكان جوابنا في كل مسألة من ذلك (سبحانك هذا بهتان عظيم) فمن روى عنا شيئا من ذلك أو نسبنا فقد كذب علينا واقتري، ومن شاهد حالنا، وحضر مجالسنا، وتحقق ما عندنا، علم قطعا أن جميع ذلك وضعه علينا واقتراه أعداء الدين واخوان الشياطين، تنفيرا للناس عن الاذعان باخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص الله عليه بأن الله لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فانا نعتقد أن من فعل أنواعا من الكبائر كقتل المسلم بغير حق والزنا والربا وشرب الخمر وتكرر منه ذلك أنه لا يخرج بفعله ذلك عن دائرة الاسلام، ولا يخلد به في دار الانتقام، اذا مات موحدًا بجميع أنواع العبادة

والذي نعتقد أن رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق وأنه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء للنصوص عليها في التنزيل، أذ هو أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام المسلم عليه، وتسبب زيارته إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزبارة المسجد والصلاة فيه، واذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس، ومن أنفق نفيس أوقانه بالاشتغال بالصلاة عليه - عليه الصلاة والسلام الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين، وكفى هم وغمه كما جاء في الحديث عنه ولا ننكر كرامات الاولياء ونعترف لهم بالحق وانهم على هدى من ربهم، مهما حاروا على الطريقة الشرعية، والقوانين المرعية، إلا أنهم لا يستحقون شيئا من أنواع العبادات لا حال الحياة ولا بعد المات، بل يطلب من أحدم الدعاء في حال حياته بل ومن كل مسلم، فقد جاء في الحديث « دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه » الحديث وأمر (ص) عمرو عليا بسؤال الاستغفار من أويس ففعلا وثبتت الشفاعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة حسب ما ورد وكذا ثبتها لسائر الانبياء والملائكة والاولياء والاطفال حسب ما ورد ايضا، ونسألها من المالك لها والآذن فيها لمن يشاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد، بأن يقول أحدنا متضرعا الى الله تعالى: اللهم شفّع نبينا محمدا صلى الله

عليه وسلم فينا يوم القيامة ، أو اللهم شفّع فينا عبادك الصالحين ، أو ملائكتك ، أو نحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم ، فلا يقال يا رسول الله ، أو يا ولي الله أسألك الشفاعة أو غيرها كادر كني أو اغشي أو اسفني أو انصرني على عدوي ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فإذا طابت تلك مما ذكر في أيام البرزخ كان من أقسام الشرك اذ لم يرد بذلك نص من كتاب أو سنة ولا اثر من السلف الصالح على ذلك ، بل ورد الكتاب والسنة واجماع السلف أن ذلك شرك اكبر قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

فان قلت ما تقول في الحلف بغير الله والتوسل به ؟ قلت ننظر الى حال المقسم ان قصد به التعظيم كتعظيم الله أو أشد كما يقع لبعض غلاة المشركين من أهل زماننا اذا استحلّفه بشيخه أي معبوده الذي يعتمد في جميع أموره عليه لا يرضى أن يحلف اذا كان كاذباً أو شاكاً ، واذا استحلّف بالله فقط رضي - فهو كافر من أقبح المشركين واجهلهم اجماعاً . وان لم يقصد التعظيم بل سبق لسانه اليه فهذا ليس بشرك أكبر - فينهي عنه ويزجر ويؤمر صاحبه بالاستغفار عن تلك الهفوة . وأما التوسل وهو أن يقول القائل : اللهم اني أتوسل اليك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أو بحق نبيك أو بجاه عبادك الصالحين أو بحق عبدك فلان فهذا من أقسام البدعة المذمومة ولم يرد بذلك نص كرفع الصوت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الاذان

وأما أهل البيت فقد ورد سؤال على الدرعية في مثل ذلك وعن جواز نكاح الفاطمية غير الفاطمي وكان الجواب عليه ما نصه : أهل البيت رضوان الله عليهم لا شك في طاب حبيهم ومودتهم لما ورد فيه من كتاب وسنة فيجب حبيهم ومودتهم ، إلا أن الاسلام ساوى بين الخلق فلا فضل لاحد إلا بالتقوى ، ولهم مع ذلك التوقير والتكريم والاجلال ولسائر العلماء مثل ذلك كالجلوس في صدر المجالس والبداية بهم في التكريم ، والتقديم في الطريق الى موضع التكريم ، ونحو ذلك اذا تقارب أحدهم مع غيره في السن أو العلم . وما اعتيد في بعض البلاد

من تقديم صغيرهم وجاملهم على من هو أمثل منه حتى أنه إذا لم يقبل يده كلما صاحفه عاتبه وصارمه أو ضار به أو خاصمه فهذا مما لم يرد به نص ولا دل عليه دليل بل منكر يجب إزالته، ولوقبل يد أحدهم لقدم من سفر أو لمشيخة علم أو في بعض أوقات أو أطول غيبة فلا بأس به، إلا أنه لما ألف في الجاهلية الأخرى أن التقبيل صار علما لمن يعتقد فيه أو في أسلافه أو عادة المتكبرين من غيرهم نهينا عنه مطلقا لا سيما لمن ذكر حسما لذرائع الشرك ما أمكن

وأما هدمنا بيت السيدة خديجة وقبة المولد وبعض الزوايا المنسوبة لبعض الأولياء حسما لتلك الأداة، وتنفيراً عن الأشرار بالله ما أمكن لعظم شأنه فإنه لا يغفر (١)، وهو أقبح من نسبة الولد لله تعالى إذ الولد كمال في حق المخلوق، وأما الشرك فنقص حتى في حق المخلوق لقوله تعالى (ضرب لكم مثلاً من أنفسم هل لكم مما ملكت أيما نكم من شركاء، فيما رزقناكم) الآية

وأما نكاح الفاطمية غير الفاطمي فجائز اجتماعاً بل ولا كراهة في ذلك وقد زوج علي عمر بن الخطاب وكفى بهما قدوة، وتزوجت سكينه بنت الحسين بن علي باربعة ليس فيهم فاطمي بل ولا هاشمي، ولم يزل عمل السلف على ذلك من دون انكار. إلا أنا لا نجبر أحداً على تزويج موليته ما لم تطلب هي وتمتنع من غير الكف، والعرب أكفاء بعضهم لبعض، فما اعتيد في بعض البلاد من

«١» ذكر الإمام الشافعي في الام أن ولاية مكة كانوا يهدمون ما بني في مقبرتها من القبور ولا يعترض عليهم الفقهاء ونقله عنه النووي في شرح مسلم عند شرح ما ورد في هذا المعنى من الأحاديث. وفي الزواجر لابن حجر الهيتمي أن اتخاذ القبور مساجد وانقاد السرج عليها واتخاذها أوثاناً والطواف بها واستلامها والصلاة اليها كلها من كبائر المعاصي «راجع الكبيرة ٩٣ - ٩٨» وبعد أن أورد بعض الأحاديث الصحيحة في ذلك ذكر كلام الفقهاء الشافعية والحنابلة ومنه أنها من أسباب الشرك وآخره قولهم: ويجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور إذ هي أضر من مسجد الضرار لأنها أسست على مصيبة الرسول «ص» لأنه نهى عن ذلك وأمر «ص» بهدم القبور المشرفة ويجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر ولا يصح وقفه انتهى «ص ١٦٣ من الجزء الأول - طبع المطبعة الوهيبية بمصر سنة ١٢٩٢

المنع دايلاً التكبر وطالب التعظيم ، وقد يحصل بسبب ذلك فساد كبير كما ورد (١) بل يجوز الانكاح لغير الكفء ، وقد تزوج زيد وهو من الموالى زينب أم المؤمنين (٢) وهي قرشية ، والمسألة معروفة النقول عند أهل المذهب انتهى (٣) (فإن قال) قائل منفر عن قبول الحق والاذعان له يلزم من تقريركم وقطعكم في أن من قال : يا رسول الله أسألك الشفاعة - أنه مشرك مهدر الدم - أن يقال بكفر غالب الأمة ولا سيما المتأخرين لتصریح علمائهم المعبرين أن ذلك مندوب وشنوا الغارة على من خالف في ذلك (قلت) لا يلزم ذلك لأن لازم المذهب ليس بمذهب كما هو مقرر ، ومثل ذلك لا يلزم أن نكون مجسمة وأن قلنا بجهة العلوك كما ورد الحديث بذلك ، ونحن نقول فيمن مات (تلك أمة قد خلت) ولا نكفر إلا من بلغته دعوتنا للحق ووضحت له المحجة وقامت عليه الحجة واصر مستكبراً ، مانداً كغالب من نقالتهم اليوم يصرون على ذلك الاشراك ، ويمتنعون من فعل الواجبات ، ويتظاهرون بأفعال الكبائر المحرمات ، وغير الغالب إنما نقاتله لمناصرته لمن هذه حاله ورضاه به ، واتكثير مواد من ذكر والتغليب معه فله حينئذ حكمه في حل قتاله ، ونعتذر عن مضي بانهم مخطئون معذورون لعدم عصمتهم من الخطأ ، والاجماع في ذلك ممنوع قطعياً ، ومن شن الغارة فقد غلط ولا بدع أن يغلط فقد غلط من هو خير منه كمثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما نبهته المرأة رجع في مسألة المهر وفي غير ذلك ، يعرف ذلك في سيرته ، بل غلط الصحابة وهم جمع ونبينا صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم سار فيهم نوره فقالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط (فإن قلت) هذا فيمن ذهل فلما نبه اتقه فما القول فيمن حرر الأدلة ، واطلع

«١» اشار الى حديث «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، ان لا تفعلوه تكن فتنه في الارض وفساد كبير» وفي رواية «إذا خطب اليكم وفيه فزوجه بدل فأنكحوه ، وعريض بدل كبير . رواها الترمذي وغيره
«٢» اي قبل ان صارت أم المؤمنين كما هو معلوم «٣» انتهى ما افتي به في الدرعية وهي بلد الشيخ محمد عبد الوهاب والد المؤلف ومركز تلك النهضة وهل الفتوى لوالده في زمنه ام كان هنالك مفت خاص بعد الشيخ اوجاعه ؟ الله اعلم

على كلام الأئمة القدوة ، واستمر مصرًا على ذلك حتى مات ؟
 (قلت) ولا مانع أن نتذر لمن ذكر ولا نقول أنه كافر ولا لما تقدم أنه
 مخطي ، وإن استمر على خطأه ، لعدم من يناضل عن هذه المسألة في وقته بلسانه
 وسيفه وسنانه ، فلم تقم عليه الحججة ، ولا وضحت له الحججة ، بل الغالب على زمن
 المؤلفين المذكورين التواطؤ على هجر كلام أئمة السنة في ذلك رأساً ، ومن اطاع
 عليه أعرض عنه قبل أن يتمكن في قلبه ، ولم يزل أكابرهم تنهى أصاغرهم عن مطلق
 النظر في ذلك ، وصولة الملوك قاهرة لمن وقر في قلبه شيء من ذلك إلا من شاء الله منهم
 هذا وقد رأى معاوية وأصحابه رضي الله عنهم منابذة أمير المؤمنين علي بن أبي
 طالب رضي الله عنه بل وقتاله ومناجزته الحرب وهم في ذلك مخطئون بالاجماع وانتمروا
 في ذلك الخطأ حتى ماتوا ولم يشتهر عن أحد من السلف تكفير أحد منهم اجماعاً ، بل ولا
 تفسيقه بل اثبتوا لهم أجر الاجتهاد وإن كانوا مخطئين كما ذلك مشهور عند أهل السنة
 ونحن كذلك لا نقول بكفر من صحت ديانته وشهر صلاحه ، وعلم ورعه
 وزهده ، وحسنت سيرته ، وبلغ من نصحه الأمة ببذل نفسه لتدريس العلوم
 النافعة والتأليف فيها وإن كان مخطئاً في هذه المسألة أو غيرها ، كابن حجر الهيثمي
 فانا نعرف كلامه في (الدر المنظم) ولا ننكر سعة علمه ولهذا نعني بكتبه كشرح
 الأربعين والزواجر وغيرها ونعتمد على نقله إذا نقل لأنه من جملة علماء المسلمين
 هذا ما نحن عليه مخاطبين به من له عقل أو علم وهو متصف بالانصاف ،
 خال عن الميل إلى التعصب والاعتساف ، ينظر إلى ما يقال لا إلى من قال ،
 وأما من شأنه لزوم مألوفه وعادته سواء كان حقاً أو غير حق فقلد من قال الله
 تعالى فيهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) عادته وجبلته أن
 يعرف الحق بالرجال لا الرجال بالحق ، فلا نخاطبه وأمثاله إلا بالسيف حتى يستقيم
 أوده ، ويصح معوجه ، وجنود التوحيد بحمد الله منصوره ، وراياتهم بالسعد والاقبال
 منشورة (وسيملم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون * وإن حزب الله هم الغالبون) وقال
 تعالى (وإن جندنا لهم الغالبون * وكان حقاً علينا نصر المؤمنين * والعاقبة للمتقين)

الاستفتاء في ملك الحجاز

موقفه الحاضر. سلطته ومحالفته دولة مسيحية على أن تحمي الحجاز وتمتاز فيه على المسلمين ، ضربه الضرائب على الحجاج ، ومصادرة أموالهم ، ومنعه من شاء أن يحج بيت الله . صفات سلطته ، خدعة استقلاله . صفته الحقيقية وحكم الشرع فيها . الوحدة العربية . ما يجب على المسلمين في أمر الحجاز

استفتينا في هذه المسائل قولا وكتابة في الجرائد كما استفتي غيرنا فوجب علينا أن نجيب بما نعلم فيها اذ لم نر أحدا أجاب عنها كلها ، وقلم يوجد من أحاط بما أحطنا به منها ، فنقول :

• موقفه الحاضر •

أسرف حسين بن علي المتغلب على الحجاز في استبداده ، وفي احتقاره للعالم الاسلامي كله كاحتقاره لاهل الحجاز المستضعفين ، وحسب أن حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم ملك له يتصرف فيها كما يشاء ، ويستغها كيفما أراد ، وأنه متى نال تعضيد الدولة البريطانية وحمايتها ، لا يبالي بأحد من دونها ، بل هو يعد الحجاز وسائر بلاد العرب جزءا من امبراطوريته . ورضي أن يكون هو وولده فيصل وعبد الله من عمالها ، بدليل أنه طلب منها مرارا أن تولي غيره ، وتختار له ولاولاده مكانا آخر يقيمون فيه ، ونشر ذلك في جريدته (القبلة) وسيجيء نص عبارته في ذلك (وان سبق نشره في المذر) والاصل في هذا عنده ما يسميه « مقررات النهضة » وهي ما اشترطه على الانكليز للقيام بالثورة والخروج على الدولة ، ومنها حماية الاسكيز للبلاد في داخلها وخارجها ، حتى في حال الفتن الداخلية بين أهلها . ومنها الاعتراف بجعل الامة العربية في حكم القاصر في حجر الدولة البريطانية . وقد كان يكتم هذه المقررات (المنار : ج ٨) (٧٥) (المجلد الرابع والعشرون)

حتى نشرها ولده فيصل في دمشق الشام ، فلما رأى أنه لم ينكرها عليه أحد من المسلمين غير صاحب المنار ، توهم أن العالم الاسلامي لا يهتم بامر الحجاز ، أولا يتجرأ على إنكار شيء تنفق عليه الجلالة الهاشمية مع العظمة البريطانية (هذا تعبيره) حتى بداله في هذه الايام ما لم يكن في الحسبان

تلك « المقررات » كانت قد دارت في شأنها مكاتبات بينه وبين السر هنري مكماهون الذي كان يسجل عليه كل ما اعترف به من الحقوق للدولة البريطانية ويتحفظ من التصريح له بما طلب لنفسه من توليته على جميع البلاد العربية في ظل الوصاية البريطانية ، فاستثنى منها معظم سورية الشمالية وكليكة ، واحتفظ بحقوق بريطانيا في العراق — الى آخر ما هنالك — وقد نشرنا هذه المسمكتوبات بنصها في مجلد المنار الثالث والعشرين ، وسندكر بعضها هنا ونرى أنه لولا السكوت فيها عن استثناء فلسطين من الدخول في المملكة العربية التي وعد بها انفذت تلك المقررات الموبقات ، ولكن رغبة الانكباب في حمل الملك حسين على الاعتراف لهم بفلسطين وما يلزمه من اقرار وعدم لليهود بجعلها وطنا قوميا لهم ، هي التي دعتهم الى وضع معاهدة بينهم وبينه يعترف لهم فيها بفلسطين كالعراق وشرق الاردن ، ويلطفون فيها ما يذكر بشأن حماية البلاد العربية كلها ، فلا يكون صريحا كمقررات النهضة المحتفظ بها

طال أمد المراجعة والمناقشة في هذه المعاهدة اذ كانت توضع بصيغة فاضحة مفضوحة ليس للملك حسين فيها ما يرضاه ثمنا لخزي ما يعترف به ، حتى أتيح للانكليز أن يعضوا مع سمساره الدكتور ناجي الاصيل الصيغة الراضية المرضية عنده التي أقام لها الاحتفالات في بلاده وأعلن الرضى بها واتخذ يوم الاعتراف بها عيداً قوميا وقبل التهاني عليها ، واقب بملك البلاد العربية ومؤسسيها!! واراد خداع أهل فلسطين بأنه أنقذهم بها من اليهود كما انقذ الحجاز وسائر البلاد العربية من الترك لاجل إخماد الحركة الوطنية فيها ، وهددهم بالقاء المساواة عليهم اذا حصل ما يوجبها في البلاد — فتشربت السلطة البريطانية الحاكمة في فلسطين خلاصة

المعاهدة فكان هذا سبباً لاطلاع الناس كافة على سر المعاهدة المكتوم ، فإذا كان من تأثيره ؟

هب أهل فلسطين فمقدوا ، وثمرا عاما احتجوا فيه على المعاهدة وقرروا أنه ليس لملك حسين أن يعقد معاهدة يتقرر فيها شيء في أمر بلادهم بدون رأيهم ولا رضاهم ، وهب مسلمو مصر وغيرها من الاقطار ينكرون على الرجل أن يكون له حق في عقد معاهدة تجعل الحرمين الشريفين تحت حماية دولة نصرانية أو تجعل لرعاياها أدنى امتياز في الحجاز ، فما فعل المعتدي المفتات ؟ كتب الى الفاسطيين يرجوهم أن يحسنوا الظن به ويفوضوا الامر اليه — وهزىء ونهك بانكار المصريين عليه فرد عليهم في جريدته (القبلة) مبراهة بكلمة « اخروثوما و بصلما » فلما اشتد الانكار والاحتجاج منهم بنيرة الدين أصدر منشورا رسميا جمع فيه بين تجهيلهم والتهكم بهم ، وبين التعريض برهيبهم بالكفر بما وضعوا من الدستور لحكومتهم ، كما كفر الترك وحكومتهم من قبل بمثل ذلك . ولكن أكثر المصريين لم يفهموا مراده هذا من منشوره لفساد لغته ، وعدم علمهم برأيه في القوانين والعاملين بها . فاشتغلوا بالتهكم بعبارة كما نهكهم بلاشارة الى قول الشاعر :
سوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك أم حمار

ذلك بأن جريدة القبلة كانت قد نشرت مقالة في تكفير الدولة العثمانية في أول العهد بالثورة الحجازية ، لتكون من حجب أمير مكة العثماني بالخروج على دولته . ثم أعادت نشرها في أوائل هذا العام الهجري عند ما اشتد النزاع بين الحكومة التركية الجديدة والحكومة البريطانية انتصاراً من الملك الحجازي لدولته الحامية له ، واستدلت على كفرانك بوضعهم للقانون الاسامي وبين ايديهم كتاب الله وسنة رسوله (ص) ومن وجوه استدلالها ان القانون الاسامي يوجب الخرج من حكم الرسول (ص) والله تعالى يقول (فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) بل زعمت انه لا يمكن لمن يزعم أنه يؤمن بما انزل على محمد (ص)

التردد في حصول الحرج مما قضاه «في الذين ألفوا القانون الاساسي وسنوا احكامه ورضوه وارتضوه وجملوه دستوراً للاعمال والاحكام . ولا مشاحة والحالة هذه، في أنهم لا غاية ولا قصد لهم من اعتنائهم بجمعه وتنسيقه الادعوي أن هنالك نقصاً او خطأ — والعياذ بالله تعالى — في كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وسلامه فأرادوا إكمالها وتعديها والا فلماذا ؟»

هذا احد نصوص جريدة القبلة في تكفير الترك بوضع الدستور وهو يتضمن تكفير من لم يكفرهم به . ثم استدل أيضاً بعدم اقامتهم لحدود الزنا والسرقة للقصاص الشرعي ومن شاء فليراجع العدد ٦١٧ و٦٢٤ من جريدة القبلة أو المقالات التي رد عليها بها (السيد العلوي) ونشرت في جريدة الاخبار المصرية في شهري صفر و ربيع الاول من هذا العام ومنه يعلم منزى استفتاءهم بحكم بلاغة عسلطته (١) الهاشمية (ويا للأسف) في قوله « تأليف الدستور — وبين أيديهم كتاب الله وسنة رسوله »

وبعد أن بن للمصريين مكانتهم من الدين عنده أراد أن يبين لهم مكانة حكومتهم لدى جلالة ، وقدر استغلاها في جنب استقلاله ، فعارضها في ارسال بعثة طبية مع الحجيج المصري تنقص من استغلاها ، وكان بقدر أنها تخضع لعزة سلطانه كما خضعت في مسألة الحجز الصحي ، ولم يخطر بباله أن تفعل ما فعلت ، أما وقد فعلت فكل شيء أسهل عليه من الرجوع عن قول قاله أو رأي ارتآه وعرفا عنه ، لذلك أقدم على المشاكسة التي أدت الى حرمان ركب المحمل الرسمي مع بعثة الطبي من أداء فريضة الحج وحرمان أهل الحجاز مما كانوا يرجونه منهم بغير مبالاة بسوء العاقبة وقبح الاحدوث .

فهذا ملخص موقف الرجل في الحجاز: اصرار على عقد المحالفة مع الانكليز ، وتعجيل بما اباحت له من ضرب الضرائب على كل من يريد الحج الى بيت الله الحرام قبل دخول الحجاز ، ومصادرة الاموال بعد دخوله ، واستبدال في أمر صحتهم ، ومنع لمن شاء من الحج لاسباب سياسية أو مالية أو وهمية ، كما منع أهل نجد عدة سنين (١) العسلطة الكلام الذي لا نظام له ، وتكرار الاخافات معنا تعرض بأسلوبه

صفات سلطته في الحجاز

وأما سلطته فلها أربع صفات: (الأولى) صفته عند الانكايز ومن اعترف بحكومته من لا فرنج وهو أنه ملك مطلق ذو حكومة شخصية مستبدة فكل ما يعقدونه معه من اتفاق أو عهد أو امتياز يكون نافذاً ، ولهم أن يطالبوا به من بعده وان تغير شكل الحكومة الحجازية ، وهم في هذا مخطئون

(الثانية) : صفته في نظر جمهور العالم الاسلامي وهو أنه خارجي متغاب خرج على سلطانه وخليفته كما يخرج البغاة وسيأتي بيان حكم الشرع في ذلك (الثالثة) : صفته في نظر أهل الحجاز وهو أنه ملك مستبد قاهر أزال سلطة حكومتهم السابقة فاضطروا الى مبايعته ولكنهم اشترطوا فيها شرطاً عاهده عليه فنكت قههم الآن في حل من مبايعته شرعاً ، ولكنه متغاب عليهم بالقهر وان سعى نفسه « منقذا » ويتحنون أن يقيض لهم الله تعالى من ينقذهم من هذا (المنقذ)

وإننا نعيد هنا نص المبايعة الرسمية له كما وضعت في العريضة التي كتبها قاضي القضاة وقرئت في حفلة المبايعة في غرة المحرم سنة ١٣٣٥ منقولة عن جريدة القبلة التي صدرت في ٣ المحرم من ذلك العام وهو

﴿ واننا نبايم سيدنا ومولانا الحسين بن علي ملكا لنا نحن العرب ﴾
 ﴿ يعمل بيننا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ﴾
 ﴿ ونقسم له على ذلك بين الطاعة والاخلاص في السر والعلانية ، كما ﴾
 ﴿ اننا نعتبره مرجعاً دينياً لنا أجمعنا عليه ريثما يقر قرار العالم الاسلامي ﴾
 ﴿ على رأي يجمعون عليه في شأن الخلافة الاسلامية

﴿ نبايمك على هذا يا صاحب الجلالة ونقسم لك بالله العظيم على ﴾
 ﴿ طاعتك والرضا بك والانقياد اليك في السر والعلانية . ولك علينا ﴾
 ﴿ في ذلك عهد الله وميثاقه ما أقت الدين ، واجتهدت فيما فيه صلاح ﴾

﴿ العرب والمسلمين ﴾ فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد ﴿
﴿ عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما ﴾ اهـ ﴾

ومن البديهي أنه ما أقام الدين ولا يستطيع أن يقيمه لأنه جاهل به وبلغته
التي يتوقف فهمه عليها بدليل فساد لغة مكثوباته واشتمالها على الاحاديث التي
لأصل لها وعلى تحريف القرآن — والعمل بتوقف على العلم — ولأنه مستبد والدين
قيد الحكم بالشرع وبالشرع — ولأنه جعل لغير المسلمين في الحجاز نفوذاً
وامتيازات مخالفة لأحكامه ولوصية الرسول (ص) في مرض موته ولأنه ضرب
المكوس على الحجاج بدون مسوغ شرعي كما تقدم — إلى غير ذلك من مظالمه واستبداده
(الرابعة) صفته عند ولد الأمير عبد الله وبعض رجال حكومته وهي أنه
أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ، ولديه هو في هذا صحيفة معاملة في ديوانه الهاشمي
فيها أسماء مشات من أحياء السوريين وأمواتهم قد بايعوه فيها بالخلافة جاء بها
أحد سماسرته في أيام مشاركة الجيش الحجازي لجيوش الحلفاء في احتلال سورية ،
وقد أخبرنا بعض ثقات الدمشقيين الذين رأوها أنها مزورة . على أننا نعلم أن
ولده فيصل كان قد أخذ له البيعة على كثير من أهل سورية في ذلك العهد ،
وأمثال هذه المبايعات لا قيمة لها لأنها ليست من أهل الحل والعقد ، ولا
مراعى فيها سائر أحكام الشرع

مثال ذلك أنهم بايعوه مع وجود خليفة قبله في الاستانة ، وقد قال النبي
(ص) « اذابويع الخلفتين فاقتلوا الآخر » رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري
(يقولون) ان خلافة ذلك التركي غير صحيحة لأنه غير قرشي (ونقول)
إن خلافة صاحبكم غير صحيحة لأنه فاقد لما هو أهم من شرط القرشية كشرط
العلم الاجتهادي والعدالة والمنعة ولعدم مبايعة أهل الحل والعقد له ، ولذلك بني
سلطته على حماية دولة نصرانية يعد ملكها حامي الايمان المسيحي ودعاة النصرانية
(يقولون) ان خليفة الاستانة كانت هذه الدولة وغيرها قد احتلن عاصمته

وقد استقلال والمنعة ، ثم خاضه قومه وأسسوا لانفسهم حكومة جمهورية وسموا أحد أفرادهم خليفة ولكن لم يجعلوا له أمراً ولا نهياً فلا يناط به اقامة أحكام الشرع وحدوده ، ولا حفظ البلاد الاسلامية من الاعداء ، وقد اعترفوا بعد ذلك باستقلال بلاد الحجاز وبالحالة الحاضرة في سائر البلاد العربية حتى المحتلة منها ، فوجب علينا أن لا نعطل حكم الخلافة الاسلامية في مهد الاسلام (ونقول) ان لديكم في البلاد العربية المجاورة لكم إماماً قرشياً علوياً عالماً مجتهداً عادلاً ذا منعة قائل الانكليز مع الترك ولم يتغلب على بلاده أجنبي غير مسلم ، بل أصبحت حكومته الآن أقدم حكومة اسلامية مستقلة تساسلت فيها الامامة الاسلامية من القرن الثالث للهجرة كما رح به شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري في سياق حديث « لا يزال هذا الامر في قرش ما بقي منهم اثنان » وجعلهم مصداقاً للحديث .

فان كنتم صادقين في زعمكم انكم غير طامعين في الملك والرياسة كما أذاع رئيسكم مراراً في جريدة القبلة فلم اذا لم تضحوا الحجاز الى اليمن وتبايعوا إمامها الذي عمدت إمامته منذ عشرات من السنين ، وحينئذ يضطر صاحباً نجد وعسير الى الارتباط بهذه القوة والاتحاد بها ، ولا سيما اذا دعيا الى بناء قواعد الوحدة العربية على أساس الامركزية التي يستحيل جمع الكلمة في هذا العصر بدونها ، ومتى تمت الوحدة في الجزيرة كان ذلك تمهيداً لتحقيقها في غيرها ، مع الاستقلال المطلق من قيود النفوذ الاجنبي به الحماية وخزيتها . ولكنكم أناس لا تطلبون الا الرياسة والعظمة الصورية لانفسكم ، واذا كنتم عاجزين عن الوصول اليها بتوسلتكم اليها بالاجنبي وفضائلكم أن تبيعوه استئلال الامة العربية بتيجان يتوجكم بها في ظل امبراطوريته على حفظ هذا الاستقلال لها بالحق

خدعة الاستقلال

يخدع أهل هذا البيت أقوامهم بأنهم أنقذوهم وجعلوهم أمة مستقلة ولا

يزالون يهدون بكلمة الاستقلال التي ابتدأت وامتنت باطلاقها على شر ضروب الاستعمار والاستعباد ، ولو لم تنشر « مقررات النهضة » التي أشرنا اليها وبعض مكتوبات الملك حسين للانكاز التي صرح فيها بأنه عامل من عاملهم لكان لنا أن ننذرهم بأنه مستقل في بلاد الحجاز ، وان كان الانكاز يعدونها من مستعمراتهم وقد أنشأوا لها محافظة سرية سموها محافظة البحر الاحمر . وانما نعيد في هذا المقال الوجيز نبذة من كتاب الملك المستقل العظيم وبرقية من بوقياته الدالة على كنه استقلاله (وكنا نشرناهما من قبل)

كتب الى نائب ملك الانكاز بمصر كتابا نشرته جريدة القبلة مرارا متبججة به زاعمة « ان الامم تقبأه بالجزئية مما احتواه نجرس مولا المنقذ » ؟ وتمثلت بقول الله عز وجل ، من غير حياء منه تعالى ولا وجل (مثل هذا فليعمل العاملون)

أعني ذلك الكتاب الذي تضمن فيه « صاحب الجلالة الهاشمية » لنائب ملك الانكاز أن لا تعدل حكومته « مقررات النهضة » التي أشرنا اليها آنفا الناطقة بتأسيس الملك العربي له في ظل ذل الوصاية وخزيها ، الذي يقول فيه ، مانصه السقيم :

« فان كان ولا بد (؟) من التبديل فلالي (؟) سوى الاعتزال والانسحاب ولا أشتبه في مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا الا انه أمر (؟) يتعلق بالحياة لا لقصد عرضي ، ولا لفكر غرضي ، وانها لا ترتاب في آني وأولادي أصدقاءها الذين لا تيرهم الدواير والاهواء ، ثم تعينوا (؟) البلاد التي تستحسن اقامتنا فيها بالسفر اليها في أول فرصة (؟)

« وان رأيت ذلك ولكن مشا كل الحرب الحاضرة تقتضي بتأجيله (؟) الى ختامها فحقوق الوفاء والجميل يفرض (؟) علينا الثبات امام ما سيتضاعف علينا من التهمات ونحوه من العموم (؟) مما لا مقاومة لدينا أمامها الا حسن النية — فالامر اليها

« أما عطف الامر وتعليقه بمؤتمر الصلح فالجواب عليه من الآن بأنه لا علاقة لنا به ولا مناسبة بيننا وإياه حتى نتنظر منه سلبا أو ايجابا ، ولو قرر المؤتمر المذكور اضعاف مقرراتنا وكان ذلك من غير وساطتكم وقبائناها فنكن (?) من المطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا اه المراد منه

وقد عزز الملك المتبحر بالاستقلال هذا الطلب الناطق بأنه موظف بريطاني بيرية بمعناه أرسل الى جريدة التيمس وهذا نصها منقولاً عن العدد ٥٥٣ من جريدة القبلة

﴿ المدير العمومي لصحيفة التيمس ﴾

﴿ اطاعت على عددكم المشتمل الرد والقدح باتحاد العرب والتزامكم أحد ﴾
﴿ امرائهم ، ولزيادة اقناع حكومة جلالة الملك وايضاح الحقيقة لعموم الشعب ﴾
﴿ النقيب البريطاني أكرر بهذا طابى بواسطتكم من حكومة جلالته تأكيد تعيين ﴾
﴿ الامير المذكور أو من تراه يستلم البلاد فان غابني الراحة العمومية وخدمتها ﴾
﴿ كما يدلم من أساسات قيامي وشرائطه يؤيده طابى هذا المثبت للحقيقة من ﴾
﴿ سائر وجهاتهما ﴾

الامير المشار اليه في البرقية عدوه سلطان نجد ، وقوله « اساسات قيامي وشرائطه » يعني به « مقررات النهضة » الخس التي سبقت الاشارة اليها

صفته الحقيقية وحكم الشرع فيها

قد صرح بعض علماء الازهر بما قلنا انه صفة ملك الحجاز في نظر جمهور المسلمين، وهو أنه من البغاة المتغلبين، وأحكام البغاة مفصلة في كتب الفقه ، وهي مبنية على وجود دار العدل التي يقيم الشرع فيها امام المسلمين الحق وجماعتهم، والامام الحق هو المستجمع لشروط الخلافة كلها ، المبايع من جماعة أهل الحل والعقد باختيارها، (المنار : ج ٨) (٧٦) (المجلد الرابع والعشرون)

في حال عدم وجود امام آخر قد يبيع قبله بها. ولهم مع الامام والجماعة أجوال أشببها بحال هذا الرجل ما يعلم حكمه من قول العلامة الماوردي في (الاحكام السلطانية) قال « وان امتنعت الطائفة الباغية من طاعة الامام ومنعوا ما عليهم من الحقوق وتفردوا باجتباء الاموال وتنفيذ الاحكام فان فعلوا ذلك ولم ينصبوا لانفسهم إماما ولا قدموا عليهم زعيما — كان ما اجتبهوه من الاموال غصبا لا تبرأ منه ذمة ، وما نفذوه من الاحكام مردودا لا يثبت به حق

» وان فعلوا ذلك وقد نصبوا لانفسهم إماما ما اجتبهوا بقوله الاموال ، ونفذوا بامرهم الاحكام ، لم يتعرض لاحكامهم بالرد الا لما اجتبهوه بالمطالبة ، وحواربوا في الحالين على سواء لينزعوا عن المباينة ، ويفيئوا الى الطاعة » ثم بين أن قتال هؤلاء يخالف قتال المرتدين والمشركين من ثمانية أوجه

فاذا قلنا إن الحال الاخيرة هي عين نازلة متغلب الحجاز وانه يجب قتاله على امام المسلمين الاعظم (الخليفة) المؤيد بجماعتهم ، فهذا الامام هو الذي يجب عليه أن يدعو الى الطاعة ، والاعتصام بالجماعة ، ويقاومه على الاصرار على البغي وعدم الاجابة ، فاین هذا الامام ؟ ولماذا لم يفعل ؟ وأین جماعة أهل الحل والعقد الذين هم أهل الشورى عنده ، والممثلين لسلطة الامة في مراقبته وتأييده اذا استقام على الطريقة ، وتقويمه اذا زاع عنها ، الذين حكمهم الخليفة الاول في ذلك على منبر رسول الله (ص) ؟

قد بينا في مباحث الخلافة تفرق المسلمين ونصب أئمة وسلاطين وأمراء كثيرين لهم في بلاد العرب والعجم ، ولكن لا نرى أحدا منهم يتصدى الآن للقيام باعباء الامامة العظمى ويدعو جميع المسلمين الى مؤازرته على ذلك بنظام يرجى تنفيذه في مهد الاسلام وموطن مشاعره واداء شوائره ، فنطالبه بان يلزم هذا الباغي الملاحد في الحرم الطاعة له ويقاومه على ذلك ان لم يستجب أما خليفة الاستانة فلم يبلغ درجة المتغلب بالقوة اذ لم يعط من حقوق الخلافة شيئا ، فلا حكم له ولا أمر ولا نهى ولا جيش ولا اسطول ، وحكومة جمهورية انقرة

الناصبية له قد أقرت الحالة الحاضرة في الحجاز في مؤتمر الصلح مع الخلفاء فهي لا تبذل في انتقاذ الحجاز درهما ولا دينارا، ولا تجرد له جيشا ولا اسطولا، أعني انها لا تريد، واذا أرادت لا تقدر. ولكن يرجى أن تشترك مع غيرها من الحكومات الاسلامية في تنفيذ ما يقرره مؤتمر اسلامي عام في مسألة الحجاز

واما امام اليمن فهو قادر على انتقاذ الحجاز من هذا المتغلب وكذا سلطان نجد ولا سيما بعد اتفاق هذا مع السيد الادريسي ولكن هؤلاء يعلمون أن تصديقهم لهذا الامر يحمل حسين بن علي على الاستعانة عليهم بمواليه وحلفائه الانكليز الذين بنى « مقررات نهضته » على حمايتهم له في داخل بلاده وخارجها فيكون في التصدي له فتنة يرونها أرجح من مفسدة اقراره على سلطته العارضة، وهي مفسدة احتلال الانكليز لبلاد الحجاز ولو بجيش يسمى مسالما، وقد بينا من قبل ان خوفه من جيرانه هو الذي حمله على جعل الحجاز تحت حماية الانكليز وهاك ما جاء في نص المادة الثانية من « مقررات النهضة » التي أشرنا اليها من قبل :

« تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخلتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تمدد بأي شكل يكون حتى لو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء فهي تساعد الحكومة المذكورة (أي العربية الهاشمية) مائة ومئة على رفع ذلك القيام لحين اندفاعه »

قلنا إن كلا من امام اليمن وسلطان نجد قادر على انتقاذ الحجاز من هذه الرجل فكيف اذا اجتمعا، ولكن الاول لا مطمع له في غير ملك اليمن وكذلك كان سلفه ولذلك لم تتوجه همته الى اتخاذ الوسائل لتعميم سلطة امامتهم، على اعتقادهم ان الامامة الحق محصورة فيهم، ولعمر الحق انهم كانوا أولى بها من العباسيين والعباسيين (الفاطميين) لانهم حافظوا على العلم الاستقلالي والعدالة وسائر الشروط الشرعية على صراحة نسبهم، وسبب ذلك أو أهم أسبابه اعتمادهم

على عصبية لزيدية دون غيرهم ، وما زالت عصبية المذاهب ضارة حتى فيما يظن أصحابها أنها مفيدة فيه

وأما الثاني فالكثير الناس يعتقدون أن المانع له من الاستيلاء على الحجاز اصطناع الانكايير له بالمال وتخويفهم اياده من تأليب الحجاز والعراق وعرب فلسطين عليه اذا خالف رأيهم في ذلك ، ويقولون انهم هم الذين صرفوه عن الاستيلاء على مكة يوم سحق اكبر قوة تمكن للشريف جمعها وسوقها عليه بقيادة ولده الامير عبد الله عقب هدنة الحرب العامة وجلاء اترك عن المدينة المنورة ويقول بعض النجديين من بطانة ساطنهم وثقت رجالة ان المانع الحقيقي له من ذلك حبه للسلم وكرهته القتل ، طاقا ولذلك اخضع آل الرشيد بالحصار الطويل الذي كفه انظم التفتتات في أشد أيام الدسرة وانغلاء وكان قدرا على اخضاعهم بالمناجزة بنفقة قليلة ، وقل بعضهم اننا المحننا عليه عند سحق قوة الشريف في طربة بأن يستولي على مكة المكرمة فلم يقبل وتخرج أن يدخلها فاتحها مع قول النبي (ص) يوم الفتح من الحديث الصحيح المشهور « والله لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة » وأقول أن هذه المسألة تدخل في مسائل الاستفتاء عما يجب على المسلمين من انقاذ الحرمين فيجب أن نبين أقوال أئمة الشرع فيها

قال الحافظ ابن حجر في الكلام على هذا الحديث من شرحه لصحيح البخاري : واستدل به على محريم القتل والقتل في الحرم - وبعد أن ذكر الخلاف في مسألة القتل حتى اقامة الحد الشرعي في الحرم قل :

« وأما القتال فقال المأبردي : من خصائص مكة أن لا يحارب اهليها ، فلو بغوا على أهل العدل فإن امكن ردهم بغير قتال لم يجز (أي قتالهم) وان لم يمكن الا بالقتال فقال الجمهور يقاتلون لان قتال البغاة من حقوق الله تعالى فلا يجوز إضاعتها وقل الآخرون : لا يجوز قتالهم بل يضيق عليهم الى أن يرجعوا الى الطاعة . قال النووي والاول نص عليه الشافعي . وأجاب أصحابه عن الحديث

بجمله على تحريم نصب القتال بما يعم أذاه كالمنجنيق ونحوه بخلاف ما لو تحصن الكفار في بلد فانه يجوز قتالهم على كل وجه . وعن الشافعي قول آخر بالتحريم اختاره القفال وجزم به في شرح التلخيص، وبه قال جماعة من علماء الشافعية والمالكية « قال الطبري : من أتى حدا في الحل واستجار بالحرم فالامام إلجأؤه الى الخروج منه وليس للامام أن ينصب عليه الحرب بل يحاصره ويضيق عليه حتى يذعن للطاعة لقوله (ص) « وإنما حلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس » فعلم أنها لا تحل لاحد بعده بالمعنى الذي حلت له به وهو محاربة أهلها والقتل فيها . ومال ابن العربي الى هذا . وقال ابن المنير قد أكد النبي صلى الله عليه وسلم التحريم بقوله « حرمة الله » ثم قال « فهو حرام بحرمة الله » ثم قال « ولم تحل لي الا ساعة من نهار » وكان اذا أراد التأكيذ ذكر الشيء ثلاثا . قال فهذا نص لا يحتمل التأويل

« وقال القرطبي ظاهر الحديث يقتضي تخصيصه (ص) بالقتال لا اعتذاره عما أيسح له من ذلك . مع أن أهل مكة كانوا اذ ذاك مستحقين للقتل والقتال لصدهم عن المسجد الحرام واخراجهم أهله منه وكفرهم ، وهذا الذي فهمه أبو شريح كما تقدم وقال به غير واحد من أهل العلم . وقال ابن دقيق العيد : يؤكد القول بالتحريم بأن الحديث دال على أن المأذون لابي (ص) فيه لم يؤذن لغيره فيه ، والذي وقع له انما هو مطاق القتال لا القتال الخاص بما يعم المنجنيق فكيف يسوغ التأويل المذكور ؟ وأيضا فسياق الحديث يدل على أن التحريم لاظهار حرمة البقعة بتحريم سفك الدماء فيها وذلك لا يختص بما يستأصل « اهـ ما لخصه الحافظ من اقوال العلماء في المسألة

فعلم منه أن التحقيق أن الحديث على ظاهره فكل من القتل والقتال محرم في أرض الحرم، واذا كان قتل الطير والحيوان والحشرات — ماعدا الفواسق الخمس محرما فيه فهل يكون قتل الانسان مباحا ؟ وما الفرق بينه وبين غيره اذن ؟ ولكن الملاك حشينا قاتل الترك ولا يزال يقتل من يستحل قتله في نفس مكة اذا كان يعد قتله

حدثنا عن عياض بن ربيعة، كما قطع يده من هرب من سجنه ورجله مدعى أنه داخل في حكم
المخاريين لله ولرسوله والساعين في الأرض بالفساد ونحوه، وأمر بصلب رجل في المدينة
لأنه أنكر على الخطيب تعظيمه له بما هو مأمور به من الألقاب والنعوت لهذه الشبهة

فان قيل : ان ترجيح هذا القول يستلزم جواز جعل الحرم الشريف الذي
عظم الله شأنه مأوى للقنلة وللصوص ومرتكبي الفواحش ، وأنه اذا تغلب عليه
الكفار لا يقتلون لاخراجهم منه ، وهو يؤدي الى ضد ما أراد الله تعالى من
تعظيمه وتكريمه وتأمينه لاقامة شعائره وعبادته فيه

فالجواب ان الوسيلة الى ذلك قرينة المزال وهي إلقاء أفراد الجناة أو جماعة
البغاة الى الخروج منه بالاحاطة بهم في شقة الحرم الضيقة ، وبالدخول على جماعة
البغاة بالقوة الكافية من غير قتال فان بدؤا هم بقتال أهل الدل فيه قتلوا كما
يقتل من قتل فيه وانتك حرمة من أفراد المجرمين عملا بقول ابن عباس رضي
الله عنه في تفسير قوله تعالى (ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوك فيه
فان قاتلوك فاقتلواهم)

وجملة القول في هذه المسألة أن القتال الشرعي ليس محرما في كل أرض
الحجاز بل بقية الحرم منها وهي معروفة الحدود فاذا امكن اقوة عسكرية الوصول
اليها فهي لا تصل الا بعد الاحاطة بكل قوة يمكن للحكومة الحجاز تجهيزها للدفاع
عنها . ولكن في تصدي بعض جيران الحجاز لذلك مفسد غير ما أشرنا اليه
من تدخل الاجانب على أن كلا منهم يضمن بهذا المكان أن يدخل في سلطان
الآخر وان كانوا يجمعين على أن كلا منهم خير من هذا الرجل الذي رضي أن
يكون هو وبيت الله وحرم رسوله تحت وصاية دولة طامعة في ازالة ملك الاسلام
واستعباد المسلمين أو تنصيرهم ، وان يرضى أحد منهم بمثل ذلك لاي بلاد اسلامي —
بله الحرمين الشريفين — فليس من المصلحة اذا أن يأخذ أحد منهم الحجاز بالقوة .

الوحدة العربية

لو أن الملك حسين يريد الوحدة العربية التي يدعيها مع الاستقلال الصحيح للعرب لما وجدت هذه المسألة الحجازية التي هي أعظم مشكلة إسلامية ستشغل جميع شعوب المسلمين إلى أن تحمل على وجه يرضيهم أن الطريقة المثلى أو الوحيدة للوحدة العربية هي أن يعقد حلف بين أمراء الجزيرة في الحجاز وعـير واليمن ومجد أسانبه استقلال كل حكومة ثابتة في إدارة بلادها مع اتفاق الجميع على صيانة البلاد كلها من كل عدوان أو نفوذ خارجي والتعاون على انقاذ البلاد العربية التي احتلها الأجانب بالطرق الممكنة . وأن يكون لهم مجلس حلفي تقرر فيه جميع المسائل العامة المتعلقة بحفظ استقلال البلاد وترقيتها ...

اقترحنا نحن وغيرنا هذا على الشريف حسين فأباه لأنه يريد أن يكون ملكا لجميع هذه البلاد وخليفة للمسلمين بقوة الانكليز لا بقوة العرب ولا غيرهم من المسلمين ، ولو قبل ذلك وسعى إليه وتم على يديه وثبت بالعمل أنه يرجح المصلحة العامة للعرب والمسلمين على حب السيادة والملك لرجي أن يكون هو رئيس مجلس الحلف العربي اذ لا يعقل أن يعقد هذا المجلس في غير مكة المكرمة وهذه الرئاسة أفضل وأحسن عاقبة مما هو عليه الآن ولو لم يكن فيه تحت وصاية دولة أجنبية نصرانية ، ولكنه فضل هذه الوصاية وأصر عليها وهو يتوقع أن يسود البلاد العربية كلها بعد استقرار سلطته وساطة ولديه بمقتضى المحالفة الجديدة في العراق وشرق الاردن — بل فلسطين كلها على ما فهم أو زعم — وكذا سائر سورية كما وعد أو أوهم ،

فثبت بهذا أنه الخصم الأكبر للعرب والوحدة العربية واستقلال العرب كما أنه الخصم الأكبر للإسلام بوجوده في الحجاز ، ولكن جريدة مذبذبة لما جور غير مسلم يقول انه لا زعيم للعرب ولا أهل للخلافة الإسلامية الا هذا الرجل ، ولا

يزال في مسلمي سورية من يرضى بهذه الزعامة مهما تكن صفاتها وعواقبه لتألمهم من السلطة الفرنسية وتوهمهم انه مع الانكليز ينقذونهم منها (٢٢)

﴿ ما يجب على المسلمين في امر الحجاز ﴾

مكانة الحجاز والحرم الشريف فيه

ليس شأن الحجاز كشأن غيره من البلاد فيقال ان حكومته التغلب فيها كغيرها - فالحجاز مهد الاسلام الاول ومهبط الوحي الاكمل ، ومحل الشعائر الدينية التي لا يوجد في غيره ، ومهد اقامة الركن الاجتماعي العام من اركان الاسلام ، الممتاز عن غيره من الاركان . وهو مأرزه الذي يأوي اليه وينصوه في آخر الزمان ، وقال أحد الاعلام في صفة مكة : دار النسك ، ومتعبد الخلق ، وحرم الرب تعالى الذي (جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) والمسجد الحرام هذا المراد به الحرم كله . وقوله سبحانه (سبحانه الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) وفي الصحيح انه اسرى به من بيت أم هانئ . ؟

وقال تعالى (ذلك لمن يكن أهله حاضري المسجد الحرام) وايس المراد به حضور موضع الصلاة تفاقا وانما هو حضور الحرم والقرب منه ، وسيأتي آية الحج يدل على ذلك فانه قال (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) وهذا لا يختص بمقام الصلاة قطعا بل المراد به الحرم كله ، والذي جعله للناس كلهم سواء العاكف فيه والباري هو الذي توعد من صد عنه ومن أورد بالحاد بالظلم فيه

« فالحرم ومشاعره كالصفاء والمروة والمسعى ومنى والمزدلفة لا يختص بها أحد دون أحد بل هي مشتركة بين الناس اذ هي محل نسكهم ومتعبدهم — فهي مسجد من الله ووقته وموضع خلقه ، ولهذا امتنع النبي (ص) أن يبني له

بيت بمنى يظله من الشمس وقال « منى مناخ من سبق »

« ولهذا ذهب جمهور الأئمة من السلف والخلف الى انه لا يجوز بيع أراضي مكة ولا إجارة بيوتها . هذا مذهب مجاهد وعطاء من أهل مكة ومالك من أهل المدينة وأبي حنيفة من أهل الدراق وسفيان الثوري والامام احمد ابن حنبل واسحق بن راهويه رحمة الله عليهم

« وروى الامام احمد رحمه الله عن علقمة بن نضلة انه قال كانت رباع مكة تدعى السوائب على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر : من احتاج سكن ومن استثنى أسكن . وروي أيضاً عن عبد الله بن عمر « من أكل أجور بيوت مكة فأنما يأكل في بطنه نار جهنم » رواه الدارقطني مرفوعاً الى النبي (ص) وفيه « إن الله حرم مكة فحرام بيع رباعها وأكل ثمنها »

وبعد أن أطال في أدلة هذا المذهب ذكر أدلة القائلين بجواز بيع بيوت مكة واجارتها كالشافعية الذين أجازوا القتل والقتال الشرعيين في الحرم ، وإن التحقيق الجمع بين القولين وهو أن المباني تملك دون الارض ، كمن يبنى في سائر الاراضي الموقوفة

وقال امام المفسرين ابن عباس (رض) في تفسير (والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) : المسجد الحرام الحرم كله خلق الله فيه سواء . وفي رواية أخرى عنه : « سواء » يعني شرعاً واحداً « العاكف فيه » أي أهل مكة في مكة أيام الحج « والباد » من كان من غير أهلها ممن يعتكف فيه من أهل الآفاق (قال) هم في منازل مكة سواء فينبغي لأهل مكة أن يوسعوا لهم حتى يقضوا مناسكهم . وفي رواية ثالثة : البادي وأهل مكة سواء في الحرم . وقال قتادة : سواء في جواره وأمنه وحرمة العاكف فيه أهل مكة ، والبادي من يعتكفه من أهل الآفاق . فعلى هذا لا يجوز التفرقة هنالك بين المسلمين بأن هذا وطني من رعايا الحكومة الهاشمية ، وهذا غير وطني من مسلمي الممالك الأجنبية . بل لا يمتاز هنالك ملك ولا سوقة فكل المسلمين فيه سواء

هذا وإن الله قد امتن على هذه الامة بتأمين هذا الحرم الشريف في آيات

٦١٠ ضرب الملك حسين المكوس على الحجاج ومنعه الحج... المنار: ج ٨ ص ٢٤

من كتابه كقوله (واذا جعلنا البيت مثابة للناس وامنا) وقوله (ومن دخله كان آمنا) وقوله (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا و يُتخطف الناس من حولهم) فيجب أن يظلّ هذا الحرم الشريف في أكل درجات الامن والحربة لجميع المسلمين في أنفسهم وأموالهم وأقوالهم وأفعالهم ما لم تكن معصية لله تعالى . وهو أحق بهذا من (لندن) عاصمة الانكليز التي يضرب المثل بحرية ساكنيها وان كانوا أعدى أعداء حكومتها واشدهم طعنا فيها . واذا منع الله تعالى فيه تنفير الصيد وترويع الحيوان الاعجم والاعتداء على النبات بقاع أو قطع، فهل يحل أن يكون فيه ملك ذو جبروت يضرب على حجاجه المكوس فلا يبيح لاحد أن يدخل حرم الله تعالى لمبادته الا من اذا اعطاه كذا من النقد باسم التوقيع على جواز السفر أو الحجر الصحي أو بغير ذلك من الاسماء ؟ ثم تصدر أمواله ان كانت من الفضة لان هذا الملك أوجب أن يكون سعر الفضة النسبي دون سعر الذهب، ثم تحيط به الجواسيس فان رأى ظلما أو منكرا من اعمال الملك أو حكومته فانكره لما فرض الله من النهي عن المنكر قبض عليه ووضع في سجن شر من سجن الحجاج وعذب أقبح أنواع العذاب كما هو الواقع الآن ، بل مما يروي الثقات أن من الناس من يعذب في ذلك السجن بمجرد التهمة كالرجل المغربي الذي كان رفيق الشريف شرف عدنان باشا ، ومنهم من يعذب لمذهبه حتى يموت صبرا كالشيخ أبي بكر خوقير السلفي الحنبلي رحمه الله تعالى وقد كان السلف الصالح يعدون شتم الخادم في الحرم من الالحاد فيه ، وفي الحديث « احتكار الطعام بمكة إلهاد » رواه الطبراني في الاوسط ، وقال ابن عباس : تجارة الامير بمكة إلهاد ١١

ذلك وإن النبي (ص) قال « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ » ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » رواه مسلم من حديث ابن عمر ، والترمذي من حديث عمرو بن عوف باللفظ « ان الاسلام ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها ، وليعقن الدين من الحجاز معقل الاروية من الجبل ، ان الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ » ، وقد أوصى النبي (ص) قبيل وفاته

بأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان ، ونص على اخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب على تسامحه مع أهل الكتاب في سائر ما يدخل في ملك أمته من البلاد ، وأكثر ما تساهل به بعض العلماء ان خصوا ذلك بالحجاز ، وحكمة هذه الوصية أن الله تعالى أعلم رسوله بما سيعاقب به أمته على ترك ما شرعه لهم من إقامة العدل والحق من تداعي الأمم عليهم ، والإدالة لهم منهم ، فأوصاهم بأن لا يدعوا لغيرهم سبيلاً الى مهبط دينهم ، ونشأ شريعتهم ، ليبقى ملجأ حراً لهم ، لا يكون لغيرهم فيه نفوذ ولا وجود — ليجدد فيه الدين ، ويكون مصدراً لاصلاح ما أفسد الناس منه — فهل يجوز أن يكون فيه ملك مستبد بالاستناد على سلطة دولة غير مسلمة جعلها وصية عليه وعلى حرم الله ورسوله — على ما يعرف الناس كافة عنها من طمعها في بلاد الاسلام والعناية بتنصير المسلمين — فيسلب المسلمين فيه ما وهب الله تعالى لهم ، ويهب لغيرهم فيه ما سلب الله تعالى منهم ؟

ما يجب على المسلمين في امر الحجاز

أيها المسلمون ان الله تعالى قد جعل أمر مصالحكم العامة لكم فما يزعم أهل القوانين الوضعية من أن نظرية سلطة الامة هي من احداثهم زعم باطل ، إنها اصل من أصول الاصلاح الاسلامي التي أنزلها الله تعالى في كتابه ونفذها خاتم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وخلفاؤه الراشدون ومن اهتدى بهديهم ممن بعدهم وصرح بها العلماء المحققون كما بيناه في كتاب مباحث الخلافة ، ومن شواهد القرآن المجيد في ذلك مخاطبة جماعة المسلمين بالاحكام العامة كقوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) وقوله (وان طائفتان من المؤمنين اقاتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) فجاءة الامة هي التي تنصب الخلفاء وهي التي تعزلهم ، ودرء المفسد الامة والقيام بالمصالح العامة من فروض الكفاية على الامة

فيجب عليكم بما فرض الله عليكم من الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تقوموا بما يمكن من الوسائل لا نقاذ حرم ربكم وحرم رسولكم صلى الله عليه وسلم من الظلم والاستبداد والسيطرة الاجنبية - ولتقرير الامن فيهما لاهلهما ، ولكل مسلم يدخل في حماهما ، بحيث يكون حراً آمناً لا يخاف أحدا الا الله تعالى ، ولا يؤخذ بشيء الا بحكم شرعي من محكمة اسلامية مستقلة أتم الاستقلال في أحكامها ، لا سيطرة لملك ولا غيره عليهما ، تتألف من علماء جميع الشعوب الاسلامية - ولزم الفن والدسائس السياسية والنفوذ الاجنبي أن تسري اليهما - والى جعل الحجاز قطراً سلمياً على الحياء لا يحارب أحداً ولا يحارب به أحد بحيث تعترف بذلك جميع الحكومات الاسلامية وغيرها — والى كفاية أهله الحاجة واغناء أعرابه عن التعدي على الحجاج وغيرهم بتأمين معاشهم ونشر العلم والدين فيهم — ثم الى جعل الحرمين الشريفين مثابة للناس في تافى العلوم والمعارف ، كما أنهما مثابة لهم في العبادة واداء المناسك ...

فكر أخوكم كاتب هذا المقال في هذه المسألة منذ سنين واقترح هذا الاصلاح في المنار (ج ٣ م ٢٢ الذي صدر في ٣٠ جمادى الاولى سنة ١٣٣٩) وصرح برجائه في الملك حسين أن يقبله ويبادر الى تنفيذه برأي كبار الشرفاء والعلماء في مكة بأن يضعوا له نظاماً ينشر في جريدة القبلة وترسل نسخ منه مطبوعة الى المدن الاسلامية الكبرى في الشرق والغرب والجنوب والشمال لاخذ رأي أهل العلم والخبرة فيه ، ويضرب موسم الحج القابل من ذلك العام موعداً لتنفيذه ، بعد جمع الآراء وتمحيصها فيه بعرضها على لجنة تؤلف من خيار حجاج الاقطار علماء ورأياء فيكون هذا مؤتمراً اسلامياً يقرر ما يراه « من تعاون المسلمين على عمران الحجاز وتسهيل طرقه ، وتكثير موارده ، ونشر العلم فيه وغير ذلك من المصالح والمنافع »

إننا أعذرنا الى ملك الحجاز بتفويض أمر هذا الاقتراح اليه قبل كل أحد ، واثبتنا بهذا أننا نود لو يكون هذا الاصلاح على يديه على سوء ظننا فيه ، ونأسف الآن أن صدق ظننا فيه من كل وجه ، فهو لم يرفع لهذا الاقتراح

رأساً ، ولم يدرك أنه أضمن اعظمته وجاهه من الحماية البريطانية ، بتلك الاتفاقات السرية الشائنة ، والمعاهدات الجهرية الخادعة ، ولولا انه يفضل لذة الاستبداد الشخمي والاحاد في الحرم على كل اصلاح يشاركه فيه المسلمون لبادر الى تنفيذه على اننا في ذلك الوقت قد وضعنا نظاما لمشروع جمعية اسلامية تقوم بالسمي لهذا الاصلاح الاسلامي العام على ما وصل اليه علمنا ورأي من أطلعناه على هذا المشروع في مصر ، وأرسلنا نسخا من هذا النظام الى أنقرة فاستحسن فيها وظهر اثر استحسنانه في الجرائد بتصریح في معناه نطق به مصطفى كمال باشا ، وما منعنا من اظهار المشروع وتأليف الجمعية بالفعل الا العلم بان السلطة العرفية البريطانية تشدد في مقاومته . ثم اعدنا نشر الاقهراس بما أودعناه في (الكتاب المفتوح) الموجه من روح الاسلام والجامعة العربية الى الحكومة البريطانية والشعب الانكليزي ، انذارا لهما بان لا يعتمدا على الملك حسين فيما تطمع فيه تلك الحكومة من الحجاز وبلاد العرب وأن لا يصرا على ترجيح صداقته على صداقة العالم الاسلامي والامة العربية

اما وقد خابت جميع المساعي وفشلت جميع الوسائل لاقتناع هذا المتعاقب على الحجاز بحفظه وصيائه من نفوذ الاجانب وحفظ سياجه من جزيرة العرب وقد ظهر للشعوب الاسلامية كلها أمره وما فيه من الخطر على مشاعر دينهم ومأواه ومأرزه بجعله الحجاز تحت حمايتهم وتوطيده مع أولاده لنفوذهم وسلطانهم في قلب الجزيرة من حدود مصر الى خليج فارس — قالوا يجب عليهم شرعا ان يسعوا الى انقاذ من هذا الخطر وجعله قطرا حرا حيا ديا لا سلطان عليه لغير الشرع العادل الذي انزله الله تعالى فيه بضمان العالم الاسلامي كله

وقد بينا في هذا المقال ان هذا الانتقاذ اذا صمدت له احدى الامارات العربية المجاورة للحجاز يخشى ان يكون اثمه أكبر من نفعه ومفاسده أرجح من المصلحة المطلوبة ، وانه لا يرجي من دولة اخرى كالمصرية والتركية لان طريق البحر اليه تحت سلطان الانكليز حياة هذا المتعاقب وانصاره على المسلمين فلا يمكنون دولة أن تسوق اليه جندا

واذ كان الامر كذلك تعين لا نقاذ الحجاز سعي جميع الحكومات الاسلامية المستقلة واتفاقها على الوسيلة التي تبتغى له وتعاونها على تنفيذها، فان لم تتفق كلها فاقدروها وأقربها - والا فالواجب على شعوب المسلمين اتخاذ الوسيلة لذلك فان لم يفعلوا كانوا كلهم فسادا ضالين ولن تجتمع هذه الامة على ضلالة ، فانقاذ الحجاز فرض ولا بد من أدائه اما الدول الاسلامية التي تطالب بذلك اولا فهي اليمنية والنجدية والمصرية والتركية واليرانية والافغانية، فان لم تبدأ احداهن بالدعوة الى عقد مؤتمر من اعضاء مفوضين من كل منهن فليدعن الى ذلك بعض اصحاب المكانة المحترمة كشيخ الجامع الازهر او جمعية تؤلف لذلك. فاذا أجبين الدعوة فليس لاحد ان يفتات عليهن في تعيين الزمان والمكان الاجتماع ، وان كان كل أحد يعلم أن مصر أو وسط بلاد الاسلام وأليقها بذلك . ولكن لسكل مسلم ان يقترح على المؤتمر ما يرى فيه الصلاح والاصلاح . ومتي قرر مؤتمر من شيئا فلا يقل ان تتصدى الدولة البريطانية لمقاومة جميع دول الاسلام في مسألة اسلامية محضة اتصارا للشخص الذي نصبته ملكا على مهد دينهم وقبلة صلاتهم وشعائر حجهم بل يرجى أن تنضم هذه الدولة العاقلة فرصة اتحاد الحكومات الاسلامية المستقلة فتواتيهم، وتعتقد رابطة المودة معهن ، ولا يخفى ما في هذا من الخير لها ولهن . والانسانية كلها واما الشعوب الاسلامية فلا يمكنها ان تعمل شيئا الا بتأليف جمعية منظمة وانما ننشر بعض المواد التي كنا وضعناها مع بعض اهل الغيرة الدينية لمثل هذه الجمعية على سبيل التذكير والوسيلة لتبادل الآراء فيها وبناء الدعوة عليها

المواد الأساسية لجمعية سلامة الحجاز

(١) تألفت في العالم الاسلامي جمعية اصلاحية باسم (جمعية سعادة الدارين في تجديد الاسلام في الحرمين الشريفين) ذات شعب وفروع في جميع الاقطار الاسلامية

(٢) سيكون المركز العام الدائم لهذه الجمعية مكة المكرمة حيث الشعبة

الاولى لها في المرتبة وهو الآن حيث الشعبة الثالثة في المرتبة () وهي الاولى المؤسسة)

(٣) مقصد هذه الجمعية (١) إقامة الدين في الحجاز علما وعملا وارشادا وتعالما كما شرعه الله (٢) وتحقيق جعل الكعبة البيت الحرام قياما للناس (٣) ومثابة للناس وأمننا (٤) سواء العاكف فيه والبادي كما جعله الله (٥) ومنع الالحاد والظلم فيه كما منعه الله (٦) ليكون الحجاز مأزقا للاسلام كما انبأ رسول الله (ص) (٧) رتقام فيه وصيته الاخيرة عليه وعلى آله صلوات الله (٨) ويظل آية بينة على استجابة دعاء ابراهيم الخليل عليه وعلى آله صلوات الله (٩) فيكون قطر سلام وحياد لا ينال بحرب ولا عدوان يغضب الله (١٠) وتحترمه جميع الامم والدول كما يحب ويرضى الله ورسوله والمؤمنون

(٤) تتوسل الجمعية الى هذه المقام الشريفة بانواع الوسائل المشروعة الآتية (١) السعي لاحصاء أوقاف الحرمين الشريفين في جميع الاقطار وضبط مواردها وجلب ريعها الى خزينة الحرمين الشريفين وصرفها في مصارفها الشرعية التي وقفت عليها

(ب) جمع الاعانات والتبرعات الاختيارية بنظام لصرفها في احياء هذا القطر بالعلم والعمران

(ج) السعي لصيانة سكة الحديد الحجازية وتعميم نفعها فيما انشئت لاجله (د) السعي لاعتراف جميع الدول والحكومات بكون الحجاز قطر سلم وحياد واحترامها له وضمان أولي الامر لها فيه قيامه هو بهذا الحياد والسلم العام (هـ) السعي لجعل ما يقام فيه من الاصلاح الديني والمدني والعمراني في أيدي الاكفاء من أهل العلم والرأي والمكانة من جميع الشعوب الاسلامية (و) السعي الى كفاية البدو في أمر معاشهم مع حفظ كرامتهم وتعليمهم أمور دينهم وما تمس اليه الحاجة من أمر دنياهم والاجتهاد في تحضيرهم (ز) نشر العلوم والفنون فيه ولا سيما التفسير والحديث وفنون البلاغة

بأعلى الدرجات حتى تشد الرحال الى المسجدين لاجل النبوغ واتخرج في العلم كما تشد اليهما لاجل العبادة وحتى يكونا مصدرا للارشاد والاصلاح الاسلامي في العالم كله

(ح) السعي لتأليف محكمتين شرعيتين احدهما في مكة المكرمة والاخرى في المدينة المنورة يكون لكل قطر اسلامي وكل شعب اسلامي حق تمثيله فيها بعضو من علماء الشرع — المنتسبين الى المذاهب الاسلامية التي يحج المتبعون لها هذا البيت ويستقبلونه في صلاتهم — لاجل محاكمة من يرتكب هنالك ذنبا يتعلق بالحقوق الشخصية أو الحقوق والمصالح العامة، بحيث يكون كل من تبوأ هذه البلاد المقدسة من حاج ومقيم آمناً على نفسه وكرامته واثقا بانه في كنف الله تعالى وحماية شرعه الذي يقيمه ويحكم به طائفة من كبار علمائه من الاقطار المختلفة لاسيطرة عليهم في ذلك لاحد من الخلق وليسوا مظنة لاتباع الهوى في الحكم (ط) يوضع لهاتين المحكمتين نظام خاص يبين فيه وصف تأليفهما وأعضائهما وأنواع الذنوب العامة والخاصة التي يحاكم المذنبون فيها وأنواع العقوبات عليها — من حد أو تعزير — وينشر هذا النظام على الناس باللغات الشهيرة للشعوب الاسلامية ليكون جميع الحجاج كاهالي البلاد عالمين به اه المراد من هذا ائقانون هنا ويضاف الى هذه المواد ما اقترحناه في الخطاب المفتوح من السعي لاقامة حرس فيه من أهله ومن جنود الدول الاسلامية المستقلة العربية والعجمية فنحن نعرض هذه المواد على علماء المسلمين وعقلائهم ليسعوا لها سعيها ولا سيما اذا قصرت الحكومات الاسلامية عن القيام بما يجب عليها في هذا الامر

ملخص الفتوى

ان هذا الرجل قد جنى على الحرمين الشريفين وعلى الحرم الثالث وهو المسجد الأقصى (أولا) بموالاته لير المسلمين ومساعدتهم على فتح الارض المقدسة وغيرها من بلاد العرب (وثانيا) بجعل الحجاز تحت وصايتهم وحمايتهم

(وثالثاً) باقره هو وأولاده إياهم على مركزهم الممتاز في السيادة والسيطرة على فلسطين وشرق الأردن والعراق .

وهو باعتماده على حماية هؤلاء الأجانب له قد وضع المكوس والضرائب على حجاج بيت الله الحرام فلا يسمح لأحد بإداء هذه الفريضة إلا إذا دفع لحكومته المكوس التي قررها ، ولا يبعد أن يضرب اتاوات أخرى على كل ركن من أركان الحج كالتطواف والسعي والوقوف بعرفات وعلى الصلاة في الحرم أيضاً إذ لا فرق بين الاتارين — ثم أنه يمنع عمل البر من الحجاز كتطبيب المرضى كما منع البعثة الطبية الهندية ثم المصرية ، ويصادر أموال الحجاج ويمنعهم من التصرف بالفضة منها في الحجاز لاجل أن يأخذها بضمن بخس دون ثمنها الإضافي أي بالنسبة إلى ثمن الذهب ، فإذا كان يعذر بامته حلاله لبعض هذه المحرمات لتأوله فيه فلا وجه لاستغلاله لسايرها لأنها من المجمع على تحريمها المعلومة من الدين بالضرورة بحيث يعد مستحلاً مرتداً عن الإسلام إلا إذا كان حديث عهد به ونشأ في شامق جبل بحيث لم تبلغه الشريعة كما هو المنصوص في كتب العقائد والفقه

وقد كان فيما سألنا عنه عقيدته ... فنحن نبين أعماله وحكم الشرع فيها وندع تطبيقها للمسلمين ولا نفتي بأنفسنا بكفره وإن كفر هو في جريدته الترك والمصريين والنجديين ، وحرف آيات القرآن المبين لفظاً ومعنى كما فعل في منشور رسمي له يرد فيه على الترك الذين أزالوا حجاب النساء ويحتج عليهم بالقرآن الذي يدعي العمل به فأورد قوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) فحرف الجملة الأخيرة بقوله : ذلك أدنى أن لا يعرفن فيؤذين — فجعل النفي إثباتاً والاثبات نفياً ليثبت أن المرأة المسلمة لا يجوز أن يعرفها أحد . وقد كتبنا يومئذ إلى جريدة القبلة بأنه يجب أن تصحح الآية من قبل الديوان الهاشمي فلم تصحح لئلا يكون تخطئة « للمنشور الكريم » كان ذلك المنشور الجهلي السخيف أكرم في اعتبار ذلك الديوان من كتاب الله عز وجل ، ثم نشرنا المنشور في المنار وبيننا الخطأ الذي وقع

(المنار : ج ٨) (٢٨) (المجلد الرابع والعشرون)

في الآية مع بيان معناها وسبب نزولها وأرسلنا ذلك الى الملك نفسه والى جريدة القبلة فلم يفد ارساله شيئاً . وهو سيفك السماء فيقتل ويصلب مدعياً إقامة الحدود بما ليس منها باجماع المسلمين من غير حكم شرعي يصدر ممن هو أهل للحكم من علماء الشرع ، وكذلك يفعل ولده الامير عبد الله في شرق الاردن ، ويسميان تصرفهما باهوائهما عملاً بالكتاب والسنة وهما لا يعلمان منها ما يؤهلها لذلك . لانهما لم يتعلما « وانما العلم بالتعلم » كما ورد ، وهو ما لا يخفى على أحد

فاقل ما يقال في هذا الرجل انه ملحد في الحرم — والالحاد فيه ليس كالالحاد في غيره اذ الصغيرة في غيره كبيرة فيه — وانه مستحل لما حرمه الله بالفعل ، ولكننا نجهل كنه حاله فلا ندري أيستحل ذلك اعتقاداً ، ويفعله جهلاً أم عناداً ، وان في بقاءه ملكاً في مكة خطراً على الحرمين الشريفين وسائر جزيرة العرب أن يزول ملك الاسلام عنها كما زال عن غيرها بمساعدته ومساعدة أولاده ، فالواجب على المسلمين ملوكهم وأمرائهم ودهمائهم المبادرة الى انقاذ الحرمين وجزيرة العرب ، وأقرب الطرق الى ذلك وسيلة ومقصداً ما شرحنه آنفاً

هذا ما ظهر لنا من حكم الشرع فيه مبنياً على اعماله الرسمية التي لا يستطيع ان ينكرها . فان رأى علماء الاسلام خطأ فليبادروا الى بيانها والا فليبادروا الى السعي لازالة هذه المنكرات كما فرض الله عليهم ، والله أعلم

(تنبيه) يرى قراء المنار في هذه الفتوى مع ما سبق لنا نشره في المسألة الحجازية تكراراً وسببه أن هذا كتب لاجل نشره في صحف الاخبار اليومية التي نشرف فيها الاستفتاء فنشر في بعضها ولخص في بعض ، وقد نشرت جريدة الاخبار بعضه في أوائل ذي الحجة وبعضه في أواخره ونشرته جريدة الاهرام بعد ان اختصرت منه مشروع جمعية انقاذ الحجاز وقد كبر على المنافقين من أجراء الملك حسين وولده الامير عبد الله ان ينتقد عليهما وينكر من أعمالهما ما خالف الشرع لانهما مشهوران بشرف النسب كان الله أباح للأشرفاء ما حرمه على سائر عباد ، فان كان للأشرفاء حكم خاص في هذا المقام فهو مضاعفة العذاب على ما يوصون الله تعالى به ، وسنبين هذا في مقال آخر

جهاد مسلمي الهند

في سبيل الخلافة الاسلامية ، وتحرير الجزيرة العربية

نشرت جمعية الخلافة في الهند الرسالة الآتية التي أنشأها أحد أركانها
الكرام الاستاذ العالم العامل المصلح الشيخ سليمان الندوي أحد أعضاء وفدها
الاوربي وسماها « الدرر البهية » وهذا نصها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل كلمة الاسلام جامعة المسلمين ، أقوى من نسب الماء والطين ،
والصلاة والسلام على من أخرجنا من ظلمات العصبية ، وحوالك الجنسية والعنصرية ،
والتفاخر بالانساب وعُبيّة الجاهلية

وبعد . فاعل اخواننا المسلمين في البلاد الاخرى ليسوا على خبرة تامة بالحركة
التي قام بها اخوانهم المسلمون بالهند والمطالب التي نهضوا بها أمام حكومتهم
البريطانية ، والدعاوى التي نادوا بها على منابر جمعياتهم الدينية ومؤتمراتهم السياسية ،
والمواعيد التي وعدتهم بها حكومتهم اثناء الحرب الماضية ، ومسايعهم التي بذلوها
في سبيل الخلافة العثمانية ، والدفاع عن كرامة الجزيرة العربية ، والاخذ بما
أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم وهو بجود بنفسه الزكية ، والدراهم التي
جمعوها من تبرعاتهم لاعانة النكوبين الذين قتلوا وظلموا وسلبوا واخرجوا من
ديارهم بغير حق في بلاد تراقيا وأزمير وأناطوليا ، وما لقي المسلمون في الهند من
الجهد في سبيل تأدية واجباتهم من حكومتهم المستولية

من يجهل من اخواننا في الشرق ما تكن صدور الافرنجيين وما ترمي به
نواياهم (١) نحو الاسلام والشرقيين ، وما أحدثوا من الملاحم والقتن ، وما دبروا
من الدسائس والحيل ، لتوهين عرى الاسلام وتوقيض اركان الاخوة الاسلامية ،

(١) النية تجمع على نيات لا نوايا

وبث بذور العدواة بين أبناء الملة الطاهرة، والتظاهر بمودة أهل الشرق مضت القرون وهم على ذلك، والحوادث تترى، والمصيبات تتوالى والنواكب (١) تتواتر، ونحن عنها غافلون، وفيما بيننا متشاغلون، حتى دهمتنا هذه الحرب العسة النحسة فقام الاتحاديون في الشرق بالمناداة باستقلال الأمم الموعظة (?) بالخروج من ربقة الدين والانحياز الى الجنسية والعنصرية. لتضعف به كلمة الاسلام ولتنه جامعة المسلمين، ولتنحل رابطة الشرقيين، ويستولى عليهم الانقسام ويسودهم النفاق، فصار ما صار مما لا حاجة لنا الى اطالة بيانه، والكشف عن قنائه، وكان المتبصرون من المسلمين في الهند على علم بما وراء الاستار والحجب، فدعوا المسلمين الى التناصر والتآخي، والدفاع عن حوزة مركز الاسلام وهي الخلافة العثمانية، والذب عن دمار مركز الدين وهي الجزيرة العربية، وأسسوا جمعية سموها جمعية (خدام السكبة) وأخذوا في نشر اعلاناتهم، والمظاهرة (بنيانهم) والمجاهرة بمطالبهم، وتدوين اسماء المتطوعين، وجمع اكتتابات المتبرعين، واصلاح احوال الحجاج والزائرين، وانشاء مراكب لنقل القاصدين الى بيت الله الحرام

كانو على عدة من ذلك اذا الحرب استعرت نارها، وارتفعت أوزارها، واستحوذت أخطارها، وظهرت حكومة الهند بإبراق وارعاد، ووعدها واعداد، ووضعت قوانين جائرة، وأحكاما غير عادلة، ومنعت الجرائد، وأجرفت (٢) ألسنة الخطباء، وغلت أيدي العاميين، وأسرت رقاب المتبصرين، ثم أصدرت اعلانات ملوكة تسكن غيظ المسلمين، وتضلل آراءهم، وتعمو عليهم حقيقة أمرهم، وها هي (ذي) الاعلانات البريطانية الملوكية، والمواثيق التي اعطتها المسلمين

(١) المنار: النواكب جمع ناكبة وهي التي تتجول عن الطريق أو غيره وليس مراداً بل المراد النكبات وهي جمع نكبة «كسجدات جمع سجدة» والتعبير بالنكبات يناسب ذكر «المصيبات» قبله وكان المناسب من جهة المعنى ان يعبّر بالمصائب لانه جمع كثرة (٢) هذا تحريف من المطبعة والصواب: اجرت بتشديد الراء أى معنت الألسنة من الكلام

في الهند ونشرت في نواحي البلاد كلها .

(١)

« مسلمي الهند ان يـ تيقنوا ان لن تأني الحكومة البريطانية وحليفاتها في
في اثناء هذه الحرب بما يس بعواطفهم وحياتهم الدينية والبقاع المقدسة الاسلامية
تبقى محفوظة من حملات الحرب ويبدل كل اهتمام لحرمتها ، ولا تسرد حملة ضد
دار الخلافة الاسلامية المقدسة ، انما نحن محاربون لوزراء الاتراك الذين هم
منقادون لاهواء المانيا ولسنا بمحاربين خليفة الاسلام ، الحكومة البريطانية من
نفسها وحليفاتها (١) تعطي هذه الموائيق وهي مسئولة عن هذه الموائيق »

(٢)

الاعلان الملوكي في نوفمبر سنة ١٩١٤

قال اللورد (هاردنج) نائب الحكومة البريطانية في الهند في مجلس التشريع
الملوكي الهندي في يوم ١٢ يناير سنة ١٩١٥ (٢) قد أعلنت الحكومة (البريطانية
وفرنسا والروسيا) أن بقاع العرب والعراق المقدسة تبقى آمنة من الحملات ، وقد
أعلنت الحكومة البريطانية أيضا أنهم مستعدون اذا مست الحاجة للدفاع عن
البقاع المذكورة ضد الاجانب الداخلين فيها الهاجين عليها ، لتبقى غير مهجوم
عليها على كل حال ، حيثما تحولت أمواج الاحوال ، لا يرتاب في ان هذه البقاع
المقدسة تبقى غير مهجوم عليها ، ويظل الاسلام معدودا من القوات العظمى في العالم »

(٣)

قال (اللورد كرومر) في مجلس اللوردات البريطاني في يوم ٢٠ ابريل
سنة ١٩١٥ « أنا لا أحتاج الى أن أؤكد اني متفق غاية الاتفاق مع صاحب الـ هادة
(كريو) أن مسلمين لهم وحدهم أن يخوضوا في شأن الخلافة ، بل اني أرى أنه يمكن
لي أن أعطيهم نوعا من الميثاق بأننا نعترف بان الخليفة يكون مسلما بل لا بد له

(١) أي الاصلالة عن نفسها وبالنيابة عن أحلافها

(٢) « اختلف التاريخان والمراد ان حاكم الهند بلغ في ١٢ يناير سنة ١٩١٥

ماقررتة حكومته مع حليفاتها في نوفمبر سنة ١٩١٤

أن يكون مسلما حرا ومستقلا من كل سلطة أوروبية

(٤)

قال (لويد جورج) صدر الامبراطورية البريطانية في خامس يناير سنة ١٩١٨ « نحن لا نحارب تركيا لنحرّمها عاصمتها وبلاد تراقيا وآسيا الصغرى (الاناطوليا) لمخضرة الكثيرة الخيرات التي بأجمعها معمورة بالامة التركية »

هذه نصوص موثيق وعهود أعطتها الحكومة البريطانية المسلمين في العالم ائمة وفي الهند خاصة ، وهذه أساس ما نطالب به الحكومة البريطانية ، ولا يجوز لها الانحراف عنها ، وان ندعها أن تتركها سدى ، نقلنا هذه النصوص هنا ليكون اخواننا في البلاد الاخرى على خيرة مما جرى في الهند ، وما قامت عليه الحركة السياسية لهدنية الحاضرة ، وما تدور عليه رحى الحرب السلمية القائمة منذ سنتين بين المسلمين والبريطانيين في الهند - وهذا ما بعثنا ان نقوم قومة واحدة وتأخذ بالحكومة (؟) بانجاز ما وعدت ، وايتاء ما عاهدت

بعد ما وضعت الحرب أوزارها وحرر أسارى الاحرار من المسلمين ورفعت رقبة ، أخذوا فيما كانوا فيه ودعوا اخوانهم الى الانضمام معهم ، وتلوا عليهم ما كتب الله عليهم ، وذكرهم بما أوصاهم رسولهم الكريم بأن الامامة لا بد من قائمها ، والجزيرة العربية المحدودة بنهرى العراق ، وبحر الشام ، وترعة السويس ، والبحر الاحمر ، وبحر العرب وبحر الهند ، والخليج الفارسي لا تزال آمنة سالمة من كل نوع من أنواع السطة غير المسلمة ، وأسسوا جمعية جليلة لها فروع في كل أصقاع البلاد الهندية سموها « جمعية الخلافة »

وها هي (ذي) مطالبها ومقاصدها بحروفها :

١ — القيام ببقاء قوة الخلافة الاسلامية وسلطانها ، والسعي لاعادة مجدها واصلها أمرها

٢ — اتخاذ الوسائل اللازمة لتمكين تركيا من الصالح المحترم العادل ويصبح أمم الخلافة وجزيرة العرب والاماكن المقدسة الاسلامية كما تقتضيه

الشرعية الاسلامية الغراء (أي ان تكون مطابقة حرة مستقلة من كل نوع سلطة غير مسلمة عليها)

٣ — السعي تمام السعي لتضطر الحكومة الى ايفائها بما وعدت به في اعلانها المؤرخ في ثالث نوفمبر سنة ١٩١٤ وبما قل وزيرها الاعظم خامس يناير سنة ١٩١٨ في شأن البقاع المقدسة و بلاد الدولة العثمانية واتخذوا للفوز بهذه المطالب وسائل عديدة منها :

- ١ — بث هذه الافكار في البلاد الهندية والبلاد الاسلامية لاخرى
- ٢ — التآخي بين مسلمي الهند ومسلمي الممالك الاخرى واعانتهم ونهزمهم وقطع المنازعات الحادثة بينهم ، واصلاح ذات بينهم
- ٣ — ولان تضطر الحكومة للاذعان بالحق تقطع عنها العلائق كلها (١) ولا تنصرها ولا نخدمها ولا نواليها في أمر من الامور . وهذا هو المراد « بعدم الموالاة أو ترك التعاون » والوصول الى هذه الغاية يجب علينا أن نقوم بالتعليم المالي والتجارة والصناعة الوطنية ، ونقاطع البضائع غير الوطنية وننشئ دواوين القضاء بين أنفسنا
- ٤ — التوفيق والتوحيد بين المسلمين والعناصر الهندية الاخرى للحصول على الاستقلال (السوارج) بالهند

مضت سنتان وأكثر منها (٢) ان المسلمين والهنود الوثنيين اتفقوا فيما بينهم على استقلال البلاد الهندية والمطالب الاسلامية المصروفة وجعلوا طريقة (عدم الموالاة للحكومة البريطانية) وسيلة موصلة لهم الى المطلوب — مضت سنة كاملة وهم قد قطعوا على الحكومة كل علائق المناصرة والمودة والمعاونة والخدمة حتى تضعضمت أركان الحكومة وهي تخبط خبط عشواء في أمرها ، دوائرها كلها منجذب

(١) المناسب ان يؤخر التعليل ويقدم المقصود بالذات ويبر عنه بالمصدر كالذي قبله و بعده فيقال انما لث قطع جميع العلائق بيننا وبين الحكومة لتضطر الى الاذعان الخ (٢) كذا في الاصل ولعله تحريف من المطبعة أصله : حدث فيها أن المسلمين الخ

ودخل الخلال في أهم نظاماتها ، وهي لا تجد السبيل لرتق ما فتق ، ولجبر ما انكسر ،
الا ان تدعن للمطالب الاسلامية الهندية ، وهي الصلح مع الدولة العثمانية ، ورفع
كل رقابة ووصاية عن البلاد العربية من عراقها وشامها وفلسطينها وحجازها ونجدها
ويمنها ومنح الاستقلال للهند

هذه هي الاحوال الجارية في الهند وحكومتها في حيص بيص في أمرها ،
فالمستول من احراننا ولا سيما اخواننا العرب من الطوائف كلها أن يتفكروا
في الامر ويتدبروا العاقبة ، ويتلافوا ما صدر منهم ، ويتحدوا مع اخوانهم
الهنود في رفع منار الدين ، واعلاء كلمة الشرق ، واعادة مجد الاسلام ، والسلام
على من اتبع الهدى انتهى

(المنار) نشكر لاخواننا مسلمي الهند غيرتهم واثني ما زلت أشهد لهم بأنهم
أشد مسلمي الارض عناية بالجامعة الاسلامية ، وسوخاً في الفيرة الدينية وأن لا
يوجد شعب اسلامي يهتم بأمر سائر المسلمين مثلهم ، لان بعض هذه الشعوب
قد فصمت عصبية الجنس عروة اعتصامها بالوحدة الاسلامية ، وبعضها قد استحوذ
عليها الجهل بالسياسة العامة وأحوال المسلمين ، وسيكون اخواننا مسلمو الهند من
المنهين لهم بعنايتهم بهم ، لانهم سيزدادون علماً بان حفظ الاسلام كما انزله الله
تعالى لا يتم الا بهم ، ولا يكمل الا في بلادهم

وأما ما ظهر منهم بموالاة امير مكة وأولاده للانكليز ومن خدعهم من
السوريين والعراقيين فلا يرجي تلافيه من قبل هؤلاء الخادعين والخدوعين
لانهم أصروا على ما فعلوا بعد أن ظهر لهم سوء نية الانكليز باخلافهم لعودهم
لهم ونقضهم لعهودهم معهم — على انها مبنية على فساد — وسائر العرب في
الجزيرة ومنها الحجاز آسفون ناقمون ساخطون ، وانقادرون منهم يجاهدون في تلافيه
هذا الشر فاذا آزرهم اخوانهم مسلمو الهند بمثل ما آزروا به اخوانهم الترك فالرجاء
بالنجاح عظيم . فن امراء الحجاز لا حول لهم ولا قوة الا بالانكليز فاذا اعتصمنا مع
اخواننا الهنود بحول الله وقوته في مكافحتهم فتديكون من أوائل النجاح بهذا الانكليز
لهم وإيثار إرضاء العالم الاسلامي والعرب الصادقين عابهم ، والعاقبة للمتقين •

الخلاف بين مصر والحجاز

لما بلغنا أن ملك الحجاز أبي قبول البعثة الطبية المصرية التي أرسلتها الحكومة المصرية مع ركب المحمل المصري ظننا أنه يريد بهذا المنع أن يري المصريين وحكومتهم من أمر استقلاله ما يعرفون به خطأهم في قولهم: أنه وضع البلاد تحت حماية الانكليز، ولما بلغنا أن الحكومة المصرية تريد إرجاع ركب المحمل المصري من جدة مع ما يحمله من المال والغلال لأهل الحجاز إذا أصر الملك على منع البعثة الطبية المذكورة كتبنا مقالا وجيزاً نشرناه في جريدة الاهرام نصيحنا فيه للحكومة المصرية بأن لا تفعل ذلك وأنه لا يجوز لها شرعاً أن تمنع رجال ركب المحمل ولا غيرهم من الحج — وكانوا قد شرعوا فيه ووصلوا الى جدة محرمين به — وان ملك الحجاز إذا كان مستبداً غير مقيد في أحكامه بشرع ولا قانون يمنعه عن رد البعثة الطبية فهي ليست كذلك، وان عليها أن تستفي في مثل هذه المسألة الشرعية علماء الدين، وارتأينا أن تأمر بعثتها الطبية بأن لا تمثل أمر ملك الحجاز إذا أراد ردها، وعدم تمكينها من أداء المناسك أو معالجة من يحتاج الى معالجتها، من الحجاج لأنه يمنع من عمل شرعي لا يملكه ولا تباح طاعته فيه شرعاً، فان فرضنا أنه أمر رجال حكومته بمنع الاطباء أو غيرهم من ذلك بالقهر دافعوا عن أنفسهم — أي كما ورد في كتاب الصيال من الشرع الاسلامي — وبيننا أننا نعتقد أنه لا يفعل لأنه لا يجمل ما في ذلك من التبعة وسوء الاحدوث، وقد حمد رأينا هذا المعتدلون، ولم ينكره الغالون في الانكار على ملك الحجاز والمبايعون في الطعن فيه

وأما الحكومة المصرية فقد استفتت شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية في المسألة استفتاء مبهماً غير منطبق على النازلة فأنها بنت الاستفتاء على جواز منع الحج إذا لم يكن هناك أمن أو كان خطر على الصحة، وأين الخوف أو الخطر؟ أما حفظ الامن حيث تؤدي المناسك من الحجاز فلا تتصير فيه، وقد نوه المنار (المنار: ج ٨) (٧٩) (المجلد الرابع والعشرون)

به مراراً وصرح بأن أكبر حسنات الملك حسين شدة عنايته بالأمن وراحة الحجاج بقدر طاقته ، وهو قادر على ذلك فيما بين جدة وعرفات ولا يتجاوز المصريون ذلك ، وأما الوباء فالظاهر أن الحكومة المصرية كانت تتوقع حدوثه في الحجاز لوجوده في الهند ، وعلى هذا كان يتحتم عليها إبقاء البعثة الطبية وركب الحمل وإلقاء تبعه كل ما يعمل به الملك حسين عليه كما نصحناهما ، وليست هذه التبعة بالامر الهين . ولو وقع الوباء والعمى بالله تعالى لما أمكن لها أن تברי نفسها من التبعة ، وانفضحت حكومة الحجاز شرفضيعة بعجزها عن القيام بما يجب بالحجازيين ولا حجاج إذ ليس عندها أطباء ولا أدوات وعقاقير تكفي لذلك

وقد علمنا بعد ذلك أن مشار الخلاف أمر مادي محض ، ذلك بأن الساطة البريطانية كانت منذ انضم الملك حسين إلى دولتهم في الحرب ترسل إليه جميع ما هو مخصص للحجاز من الأوقاف ومن الحكومة المصرية وكان يتصرف فيه كما يشاء على أن بعضه لاهل المدينة المنورة التي كانت إلى ما بعد هدنة الحرب في يد الترك وللأعراب الذين على الطريق إليها . ثم إن حكومة مصر أرادت أن تتولى توزيع هذه التخصصات بأدائها إلى أهلها إذ بلغها كما بلغنا نحن — والله على ما نقول شهيد — أن الملك لا يعطي كل ذي حق حقه منها ، ومما نقله إلينا بعض الحجاج الذين بلغهم في الحجاز من يشق بأمانتهم أنه في بعض السنين لم يعط أحداً شيئاً وإن بعض المستحقين في المدينة المنورة ماتوا جوعاً وأنه في سنة أخرى ولعلها التي قبل هذه السنة أعطى النصف ، والحكومة المصرية أعلم منا بما هنالك لأن لها تسكية في مكة المكرمة وأخرى في المدينة المنورة والمستخدمون المصريون فيهما أجدر بمعرفة هذا الأمر من غيرهم

بل نقول إن الملك حسيناً كان يتوسل بالانكباب إلى الاستيلاء على جميع أوقاف الحرمين الشريفين في مصر ليتولى إدارتها برجال من قبله ، وبلغنا أنه كان موعوداً بذلك ولكن حال دون الوفاء به استقلال مصر فعظم عليه الأمر ورأى أن يتوسل إلى أخذ التخصصات المذكورة بمشاكسة الحكومة المصرية

ولم يجد شيئاً يشاكس به إلا مسألة البعثة الطبية ، فأهان رجالها في جدة بجمعهم كالجرمين المحجوز عليهم تحت خفارة رجال الشرطة في مقامهم وفي انتقالهم من مكان إلى آخر ، فكبرت هذه الإهانة على الحكومة المصرية ولكنها لم تحسن التصرف في تلافيتها بحسب ما وصل إليه علمنا إلى وقت كتابة هذه السطور إذ لم تطبقه على أحكام الشرع الإسلامي تطبيقاً صحيحاً ، ولو لا الحالة الشرعية وما لها من الأحكام ، لكان عملها من قبيل المعهود في مثل هذه الأحوال ، والناس ينتظرون بلاغاً رسمياً منها يوضح الخفايا ويعرف بمقابلته ببلاغ حكومة الحجاز ما يمكن كل مطلع من الحكم في المسألة من كل وجه

حدث هذا الخلاف في أثناء احتياج المسلمين من المعاهدة البريطانية الحجازية فكان ضغثاً على إبلالة ، كان للناس مطعن في ملك الحجاز فصار لهم مطعنان فكان الطعن فيه شغل جميع الجرائد ، وقد أسرف فيه بعض الكتاب بما خرجوا عن الأدب والذوق ، وصورته جريدة اللطائف المصورة بصورة حمار حوله الحشيش ... فكان عملها أقبح خزي أعماها الطمع عن سوء موقعه من المسلمين الذي يحترمون مكانته ومكانه ونسبه وشته ، وإن أنكروا سياسته وعمله ، وتجاوز بعضهم خطة الإنكار ، إلى الغمزة والازدراء ، والتهكم والاستهزاء ، ونيزه بعضهم بلقب البدوي وصفة البداوة ، وما هو إلا ربيب مكة والآسنانة ، ومكة أقدم مدن الأرض حضارة ، ووجهاء أهلها على أدب جم وإنما اشتهر سوقها بالشراسة ، وأمر الحق إن الملك حسينا لمن أرقى الناس آداباً ، وأنه لا يوجد في أرقى طبقات المصريين والترك من يفضل في ذلك ، لولا أنه على كبرائه بجاهل الجرائد ، ويطعن في الأفراد والجماعات. والشعوب في جريدته (القبلة) حتى في منشوراته الرسمية ، ولو تنزه عن هذا لكان خيراً له ، ولما وجد الناس مجالاً للكلام فيه إلا من ناحية سياسته ولقته وما يتماق بهما ، وكأن الله تعالى سلط عليه الناس جزاء له فإن كان بعضهم قد قدح فيه بالباطل ، فقد وجد من يدافع عنه وينصره بالباطل أيضاً ، وقد كان من طعن جريدة القبلة في المصريين أن شبهتهم بالبقر والغنم ، وجعلتهم

اخوة الثوم والبصل ، وكفرهم الملك في منشور رسمي بإنشائهم الدستور .. وهددهم
بجمله الأمير عبد الله بما ينبغي ، انه لولا الانكليز لقام بما هو مستعد له من غزدهم
وفتح بلادهم كما فتح الطائف ، وقد نسي انه عاجز عن فتح قرية الخرما ، وان والده
لم يخرج الترك من الممالك الهاشمية — الطائف ومكة وجدة — الا بجيشهم
وأموالهم ، واعله لا يجهل ان دخل رجل واحد من مزارعيهم أعظم من دخل
« حكومة الشرق العربية » ذات الوزراء واللقاب الضخمة

ونحن على علمنا بهذا كله نقول ان الجرائد المصرية أسرفت في الطعن
في الرجلين لان المنار لا يكتب الا ما يعتقد أنه الحق ، ويحاسب صاحبه في ذلك نفسه
على خطرات القلب ، والذي ظهر لنا من الحق في هذه المسألة أن الملك حسين أخطأ
شرعا ورأيا في منع البعثة الطبية المصرية أن تعمل بحريتها كل ما تراه من الاستعداد
للمعالجة الحجاج المصريين وغيرهم عند الحاجة اليها ، فانه ليس له حق أن يمنع أحدا
من المسلمين هنالك من شيء الا اذا كان مخالفا للشرع كما بينا ذلك بالتفصيل في مقالة
الاستفتاء في أمره وأعماله وسياسته

واذا كان يخاف ان يفضي ذلك الى تدخل النفوذ الاجنبي في الحجاز من
هذه الناحية فمأليه الا أن يسن للحجاز قانونا سياسيا يصرح فيه بأن جميع الحجاج
أحرار في كل ما لا يخالف الشرع ، وانه لا يجوز أن يكون لأي دولة من دول الارض
أدنى نفوذ ولا تدخل في شؤون الحجاز الداخلية بسبب وجود حجاج من رعاياها فيه .
ولكن مشروع الماهدة التي فرض على الامة العربية جعلها عيدا لها قد جعلت
للانكليز عدة امتيازات في الحجاز كما بيناه في تعليقنا عليها

وأما الحكومة المصرية فقد أخطأت في إرجاع ركب المحمل المصري ومنه
البعثة الطبية ، واما إرجاع النقود والاقوات المخصصة لاهل الحرمين في هذا العام
فان كان سببه ان الملك لا يمكنها من إعطائها لمستحقها بحجة مناقاته لاستقلاله
في ملكه فالذنب عليه لا عليها وان كان انتقاما منه لمغاضبته إياها وإهانته لبعثتها
فالذنب عليها ، فان ما يقع بين الحكومات من الامور المنافية للحقوق الودية يتلافى

بغير هضم حقوق الافراد كشرفاء الحرمين وفقرائهما الذين لا ذنب لهم
ويجب ان تعلم الحكومة المصرية والرأي العام المصري ان ما هو موقف
على الحجاز واهله من ارض مصر فصرفه اليهم واجب شرعي لا منة لاحد في
ادائه الى اهله ، وان ما يرسل من الصدقات غير المستحقة لهم — ونحن غير
واقفين على تفصيلها — فان لمصر به مكانة ومنزلة في المعاهد المقدسة وفي سائر العالم
الاسلامي ينبغي لها ان تحافظ عليها ، ولا تلتفت لكلام بعض الماديين المارقين
الذين لا يفقهون المكانة الروحية والمنزلة الادبية معنى ، وسنوضح هذا ان احتيج
اليه في فرصة أخرى

هذا وان كلا من حكومتي مصر والحجاز الحاضرتين مؤقت ، فاذا لم يفصلا
هذا الخلاف بالحق والعدل ، وبما يحفظ لمصر مكانها من الفضل ، فلا يكون ما
يقرانه مبرما دائما ، اما مصر فستخلف حكومتها الوزارية الحاضرة حكومة
الدستور المقيدة بمجلس النواب والاعيان ، وأما حكومة الحجاز فلا يمكن الجزم الآن
بما يكون من امرها ، وإنما المجزوم به انها ان تبقى حكومة شخصية مطلقة خلافا للشريعة
الاسلام وبالرغم من أنوف مئات الملايين من المسلمين لان الدولة البريطانية تريد
ذلك ، والمعقول الموافق للمصلحة الاسلامية العامة ما اقترحنه من قبل في امرها
وهو الذي سيكون ان شاء الله تعالى ، وحينئذ يتعاون العالم الاسلامي كله على رفع
شأن الحجاز من كل وجه ويكون لمصر القدر المعلى في ذلك

هذا وان كثيراً من المصريين كانوا يظنون أن الانكابر هم الذين أثاروا
هذا الخلاف بحمل الملك حسين على رد البعثة الطبية افرض لهم في ذلك كثر
البحث فيه والسؤال عنه وكنا نقول لمن يسألنا عن رأينا في هذا انها تصدق على
مثلهم : لا تخلق الفرص ولا نضيعها ...

وكان الكثيرون يظنون أن الملك المذكور يوشك أن يؤذي الحجج المصريين
انتقاماً من حكومتهم وكنا نجزم بأن الخلاف إنما يحمله على محري إرضائهم بأشد
مما يعنى بإرضاء غيرهم ، ايكونوا دعاة له ومدافعين عنه وكذلك كان

رجل مات والرجال قليل

الاستاذ محمد وهي

مات محمد وهي وسبحان الحي الذي لا يموت ، مات محمد وهي فكتب في الجرائد اليومية بضعة أسطر ما يخصها أنه قد توفي فلان ناظر مدرسة الفيوم ونسيب فلان ، وصهر علان ، وستشيع جنازته من داره في حي السكاكيني في الساعة العاشرة قبل الظهر . ذلك بأن أصحاب الجرائد لا يعرفون قيمة محمد وهي لأنه كان كنزا خفيا ، وهم قلما يعرفون إلا أصحاب الظهور ، وإن كان باباس الزور ، وقد شيعه العشرات من أولي القربى منه وأصدقائه وأصدقائهم وليس فيهم أمير ولا وزير ولا أحد من أصحاب الرتب العالية لأن هؤلاء قلما يعرفون مثل محمد وهي بل قلما يوجد فيهم من هو أهل لمعرفة مثل محمد وهي

كان محمد وهي في الذروة العليا في علومه وأخلاقه وآدابه، وقوة إيمانه وصلاح أعماله، والاخلاص في وطنيته، والجهاد في سبيل ملة، وامته — ولكنه كان لشدة إخلاصه يؤثر الكتمان ويكره الظهور ، ولو كان الناس يكتمون سيئاتهم كما كان محمد وهي يكتنم حسناته لما وجد في البلاد قدوة في الشر والفجور

صليت على محمد وهي صلاة الجنازة والنفت بعد السلام فلم أجد ورائي من المصلين إلا بضعة رجال ، وأذن بعد الصلاة عليه مؤذن : ماذا تشهدون فيه ؟ فقال الحاضرون كما يقولون في جواب كل سائل عن ميت : رجل طيب — أو من أهل الخير. وقلت : اللهم اني أشهد أنه خير من أعرف من الناس . ذلك بأنني كنت أفكر قبل هذا السؤال وبعده في أفضل الرجال الذين أعرفهم ، خضخضت دماغي لأحرك في زوايا تلافيفه كل رجل رقت ترجمته فيها فلم أذكر في أحيائهم أفضل من محمد وهي ولا مثله في مجموعة مزاياه

عرفت محمد وهي على تذكره وإخفاء فضائله لأنه أحسن الظن بي فحضر علي بعض دروس التفسير والبخاري وأصول الفقه وكان يسألني عن بعض أسرار

الدين ومزايا الاسلام، ويستشيرني في صالح الاعمال، ويواظب على قراءة المنار - عرفته معرفة خبير، عرفته راسخا في التوحيد، واسع الاطلاع في أصول الدين وفروعه، ذا بصيرة في حكمه وامراره، لم يسألني مشتبها أو شاكا كما وقع كثيرا للطيبين الفاضلين الصالحين المصالحين (محمد توفيق صدقي وعبدالله ابراهيم) في بدايتهم، وكذا غيرها بل كانت اسئلته تدل على علم بطلب صاحبه المزيد والكمال، كان يقتني أنفـس كتب الدين ريطالها للاهتمام والعمل بها، وكان شديد العناية بكتب شيخه الاسلام ابن تيمية وابن القيم ولعله لم يفته شيء مما طبع منها، بل كان يرغب في استنساخ ما وجد منها اذا يئس من طبعه

ومن مزاياه أنه كان جامعا بين هداية الدين اعتقادا وأخلاقا وعملا وبين أرقى النظام المدني في أهل بيته وتربية أولاده: كان يستيقظ من النوم فيوقظ زوجته وبناته فيتطهرون ويصلي بهم صلاة الفجر إماما، ثم يقرءون جزءا من القرآن العظيم، ثم يقومون للرياضة البدنية فيأخذون منها بنصيب، وبعد الاستراحة منها يصيدون من ذواق الصباح ما تيسر، ثم ينصرف كل إلى عمله، فلو ان أمة أو أهل مدينة كانت بيوتهم كبيت محمد وهي في الصلاح والنظام والادب والنظافة، والتميز من كل خرافة وسخافة، لكانوا حجة للاسلام والمسلمين، وسبب دخول أهل المدينة فيه أفواجا

كان محمد وهي عالما عاملا، صالحا مصلحا، يأمر بالمعروف مؤتمرا، وينهى عن المنكر متبعا، كان كلما تولى إدارة مدرسة حمل اساندها وتلاميذها على المحافظة على الصلوات، حتى لم يكن يدعهم يخرجون منها الا بعد ان يصلوا العصر، وكان يث في كل مدرسة روح الوطنية الصادقة مع روح الصلاح والتقوى، فكان المستر دنلوب الرقيب المتيد لا يفوته شيء من سيرته هذه، وقد حاول ان يفتنه مرارا فاستعصم، وقد قال له مرارا انك أقدر استاذ عندنا الا أن فيك عيبا واحدا لو تركته لارتقيت بسرعة إلى أعلى المراقي: ذلك العيب انك لا ترخي رؤساءك. فكان التقييد يتجاهل مراده ويقول اني أبذل كل ما في وسعي للقيام

بما يجب علي في عملي ، فاذا لم يرضهم هذا فما يرضيهم ؟ وهو يعلم أن الذي يرضي دنلوب عنه هو الذي يسخط آبيه الله عز وجل ، فكان يؤثر رضا الله تعالى على رضا دنلوب ومقتضيه وأعوانه ، وما وراء ذلك من تولي زيادة الراتب ، وارتقاء المناصب ، وقد جربوا أن يفتنوه بالترغيب أو التهيب ، فعصمه الله تعالى منهم حصروا عمله مرة في تعليم اللغة الانكليزية للطلبة والمعلمات لانكليزيات حتى لا يجد لخدمة الدين واللغة العربية سبيلا ، فأرأوه قد توسل لخدمة اللغة العربية وبث الآراء الصالحة في التلاميذ بتعليم الترجمة وما يختاره لها من الكلام ، ابعده عن مصر الى ادفو في أقصى الصعيد على ما يعلمون من نحافته وقلة الحماة - وذلك من العقوبات الخفية التي يعرفها أهلها - فأثر ذلك في جسمه ولم يؤثر في نفسه ، وكان اخوه كاتب هذا هو الذي عرض أمره وبين فضله لسعد باشا زغلول اذ صار وزيرا للمعارف فنقله الى القاهرة وجعله ناظرا للمدرسة الحسنية

وكان في خدمته الوطنية مصداقا لقول قاسم أمين : ان الوطنية الصادقة هي التي تعمل ولا تتكلم . فهو لم يكن متصلا بحزب من الاحزاب السياسية ، ولا من الذين يترددون على بيت الامة (دار سعد زغلول باشا) على اجلاله لسعد وشكره لجيله ، بل كان يضع لكل عمل نافع نظاما ويستعين على تنفيذه بخاص أصدقائه متحريرا أن يكونوا قليلي العدد وان لا يذكروا اسمه لاحد يعمل معهم ، كانه وهو يفعل المعروف الذي يستحق به الفخر ، يأتي منكرا فيتقي سوء الاحدوثة والذكر ، مثال ذلك ان العشرات من الالوف في ارجاء القطر قرأوا رسائل في الحث على اقامة اركان الدين مع بيان أهم أحكامها وحكمها وفي النهي عن المنكرات وبيان ما عمت البلوى بجهله من أحكام المعاملات كاحكام الرضاع — ولم يعلم الا القليل منهم ان هذا العمل من جماعة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، برأيه وارشاده ، وانه هو المقترح له ، ولا أن مكانه منها مكان القطب من الرحي ، ولذلك لم تعمل عملا يذكر منذ فارق القاهرة

وكان من تدينه وعقله أن لا يعمل عملا غير مشروع سواء في ذلك

الوسيلة والمقصد، فكان على مذهبي أن الباطل لا يكون موصلاً إلى الحق، والشر لا يكون طريقاً إلى الخير

وجملة القول أن محمد وهبي كان من شهداء الله وحبججه على خلقه، وكنت أرجو أن يكون خير عون وظهير لي على ما أرجو من تجديد دار الدعوة والارشاد ومن أحياء السنة بالعلم والعمل والتأليف وطبع الكتب المفيدة على الوجه الذي يعم به نفعها، فكان المصاب بوفاته أشد علي منه على أهله وولده وسائر أصدقائه، أسأله تعالى أن يتنعم به برحمته ورضوانه ويجمعنا به في مقعد صدق عند مايك مقتدره. وانا لله والى الله راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

﴿ ترجمة حياته ﴾

بقلم أعرف أصدقائه بسيرته

ولد رحمه الله بالقاهرة بجهة بيت القاضي التابعة لقسم الجمالية في أواخر ذي القعدة سنة ١٢٩٨ الموافق لأول شهر أكتوبر سنة ١٨٨١ من أبوين فقيرين فوالده هو المرحوم الشيخ إبراهيم محمد من قرية (آبا الوقف) في مركز مفاغة من مديرية المنيا وهو من بيت قديم مشهور في القرية ولد رحمه الله بصيراً وأصيب بالعمى بعد ستة أشهر من مولده ومكث في تلك القرية حتى أرسله أبوه إلى الجامع الأزهر وهو في الخامسة عشرة من عمره بعد أن حفظ القرآن الكريم فمكث على تلقي العلوم وانقطع لها طول عمره وتزوج من القاهرة بزوجة رزق منها صاحب الترجمة وأخاه

ولما بلغ صاحب الترجمة الرابعة من عمره دخل المكتب ليتعلم القراءة والكتابة والقرآن ومبادئ الأحكام الدينية فكان ممتازاً بين الأطفال بالادب والنجابة حتى صار فقيه المكتب يعتمد عليه في حفظ نظام المكتب على صغره ومكث في المكتب ثلاث سنين حفظ فيها القرآن وأجاد الخط وتعلم مبادئ الدين وبعد خروجه من المكتب كان ولده يعتمد عليه في حفظ الدروس إذ

كان يستصحبه معه مساء لمطالعة الدروس الازهرية فحفظ على حدائته بعض المتون ، فقوي رجاؤه فيه

ادخله والده مدرسة الجمالية الاميرية فظهر على أقرانه وكان يحفظ لنفسه المكان الاول في كل فرقة من فرق المدرسة . ولم تشغله دروسها الكثيرة عما جرى عليه قبلها من مطالعة الدروس لنفسه ولوالده فكان يواظب على ذلك في المساء بعد الخروج منها فرسخت ملكة الدرس وحب العلم في نفسه

وبعد نيل شهادة الدراسة الابتدائية أدخله والده المدرسة الخديوية الثانوية فمكث فيها أربع سنين كان في خلالها مطمح أنظار المعلمين والتلاميذ

وكان قد بلغ السن التي يستقل فيها بنفسه فكان يختلف وحده الى الازهر في أوقات الفراغ يحضر الدروس على مشاهير العلماء كالاستاذ الامام والشيخ حسين زائد والشيخ سليم البشري وغيرهم ، فأخذ عنهم من العلم شيئا كثيرا حتى أصبح يناقش والده مناقشة الند للند . وبعد حصوله على شهادة الدراسة الثانوية بعد ان قضى سنتين معلما بمدرسه محمد علي الاميرية مال الى صناعة التعليم فدخل مدرسة المعلمين العالية وما زال يحفظ لنفسه المكان الاول فيها حتى نال شهادتها سابقا جميع أقرانه ولا سيما في العلوم العربية والرياضية على الاخص

كان حينئذ قد بلغ الثامنة عشرة من عمره فعين مدرسا بمدرسة المنصورة الاميرية فأظهر من البراعة في العلم والتعليم ما لم يسبقه به أحد ، وتقل في العام الثاني الى مدرسة شبين الكوم الاميرية ولم يمض عليه العام المدرسي حتى عين ناظرا لمدرسة ادفو الاميرية سنة ١٩٠٥ . ومن ذلك الحين أخذت مواهبه العالية تظهر بين أفاضل الرجال فكان على حدائته وبحكم مركزه يخاطب أغابر القوم وخواصهم وكان يظهر عليهم جميعا ، وعشقوا فضله فكانوا يودون لو يلازمونه ليلا ونهارا . وكان رؤساء الوزارة يضربون به المثل في حسن الاخلاق وادارة المدارس . ومكث في ادفو ثلاث سنين تزوج في خلالها من ابنة خالته ثم نقل من ادفو الى المدرسة الحسينية بالقاهرة بالرغم من اعتراض المستر دنلوب

مستشار وزارة المعارف في ذلك الوقت لانه لم يجد منه ذلك التزلف والتلق
الذين كان يحب ان يتصف بهما جميع مرءوسيه وإثما نقله الى مصر سعد باشا زغلول
أيام كان وزيرا للمعارف سنة ١٩٠٨ ومكث بمدرسة الحسينية ثلاث سنين كان
خلالها موضع إعجاب المفتشين الاجانب منهم والوطنيين. حتى كان الشيخ حمزه فتح
الله رحمه الله يلقبه بسيد النظار. وكان إطرأ المدرسين له في تقاريرهم يزيد
المستشار غضبا على غضبه منه. وعرفه في ذلك الحين الاستاذ الشيخ عبد
العزیز شاویش واتخذ صديقا عزيزا وكان يباح عليه ان ينضم الى الحزب الوطني
الا انه رحمه الله كان لا يميل الى حزب سوى (حزب الله) فانه هو الغالب
ثم نقل سنة ١٩٠٩ الى مدرسة سوهاج الاميرية وكانت الفوضى ضاربة
اطناها في تلك المدرسة من قلة المدرسين بها فأخذ يشتغل رحمه الله في المدرسة
مدرسا. وكان ما عليه من الدروس يزيد على دروس سائر المعلمين حتى خرج
من الازمة مكلا بالفوز فأثنت عليه جريدة العلم المصرية حينئذ لحسن قيامه
بالواجب. فزاد ذلك المستشار كدا على كده، وسافر الى سوهاج وقامت بينهما
مجادلات كان رحمه الله عليه الفائز فيها بالحق الا ان الغطرسة الانجليزية قضت
بتعيينه بعد ذلك مدرسا لترجمة بالمدرسة التوفيقية جزاء لما قام به من الخدمات
الجليلة لوزارة المعارف (?) ومكث فيها تسع سنين كان فيها موضع إعجاب المفتشين
والناظر، ومهبط ظلم المستشار وأعوانه. حتى إنه لم يمنحه في خلال هذه المدة الطويلة
من زيادة المرتب سوى جنبيين مصريين، وما كان ذلك ليفت في عضده، او
يغير من يقينه، بل كان ثابتا على الحق

ولما كان مبدأ الحركة المصرية سنة ١٩١٩ أنهالت على وزارة المعارف
العرائض والتقارير انه كان من أشد أنصار الطلبة ومن اكبر المحرضين لهم على
الاضراب وغيره الا ان الله سبحانه وتعالى حماه من كيد الماكرين ولم يتمكن
الوشاة الظالمون من الاضرار به

وكم حاول ناظر المدرسة التوفيقية اغراءه بالمال والرتب ليحوله عن خطته،

وبجمله طوع ارادته / فلم ينل من نفسه العالية واخلاقه الثابتة منالا
ثم عين ناظرا لمدرسة الجمالية الاميرية فكان خير قدوة لساتذتها
وتلاميذها في حسن التربية ومكارم الاخلاق وصالح الاعمال
ولما وجد الرؤساء المسيطرون أن نفسه الابية ووطنيته الصادقة فوق تأثير
الوظيفة وانه ما زال مكبا على خدمة العلم والدين والوطن بجأش رابط ونفس
مطامئنة تقاوه الى مدرسة الفيوم الاميرية ليكون بعيدا عن العاصمة . . . وكان
وجوده في ذلك الوادى الرطب سببا في مرضه الطويل الذي أودى بحياته
كان رحمه الله شديداً في الحق ، عاملا على اتباعه لا يخشى فيه لومة لائم ،
وكم دافع عنه أمام كبار الموظفين في الادارة وكم طلب اليه أن يحبى اولاد كبار
الموظفين عند دخول المدارس فكان يأبى الا ان يعطي كل ذي حق حقه ،
فغضب عليه كثير من الرؤساء لذلك

وكان ورعا ثقيا عالما بالدين عاملا به يحث جميع الموظفين المروضين له
على الاعتصام بحبله ، والعمل به ، وينشره اينما كان وينتاقش مع كل من يتوسم فيه
العلم والميل اليه ، حتى كان يعمل في المدرسة التي يتولى ادارتها مسجداً تقام فيه شعائر
الدين في أوقاتها كما تدرس فيه الدروس بأنواعها بكل نشاط واخلاص
كان سباق غايات في العلوم الرياضية حتى إنه لشدة اشتغاله بها كان يظن
انه نال غاية الاختصاص في إحدى كليات أوروبا

وكان كاتباً قديراً وكم كتب لوزارة المعارف من تقارير كانت موضع اعجاب
المفتشين وموظفي الديوان . وكان يعرف اللغتين العربية والانجليزية معرفة أهله
لان يكون موضع ثقة الوزارة . ولا عجب الرؤساء الانكليز بعلمه وأدبه عهدوا
اليه بتعليم المعلمات الانجليزيات اللغة العربية على كراهيتهم له . واشتغل في أواخر ايامه
بعلم الفلك وكان على وشك ان يضع فيه كتابا الا ان المنية ادركته قبل الاوان
ولما كان ناظرا لمدرسة سوهاج عرض عليه المرحوم ابو الفتوح باشا في حفلة
شيئا من الخمر فانكر عليه ذلك علنا ثم ما زال يتعهد بالنصيحة والموعظة الحسنة

حتى ترك معاقررة الراح او المجاهرة بها

وربى اولاده تربية دينية مدنية فهم يحافظون على الصلاة في اوقاتها وكانت
زوجه تقرأ القرآن عليه وكان يعلم بناته وزوجه الاسعافات الاولى وطرق العلاج
وكان كلما مرض له ولد يكب على درس الكتب الطبية في الحالات المختلفة
حتى كان احيانا ينتقد المذكرات الطبية التي يكتبها الاطباء بحق يعترفون له به .
وتوفي رحمه الله عن ام ضرير وزوج وخمس بنات و غلام كان موضع رجائه
ومحط آماله ، احياء الله تعالى وجعله خير خلف له آمين

﴿ مصاب مصر بعالمها الاثري الاكبر ﴾

احمد كمال باشا

فجئت الامة المصرية بل فجئت باختطاف المنية اعلامها الاثري الاكبر احمد كمال
باشا الشهير ، كان مكباً على تنقيح معجمه للغة الهير و غليفيه بداره التي في (شبرا) الى اصيل
الهار ، ترك السكتب مفتحة وذهب الى داره التي في جوار الاهرام فتوضاً وصلى
المغرب وشرع يغير ثياب النهار بلبوس الليل والنوم فخر ميتاً ، ولم يكن يشكو شيئاً
يعرف قراء المنار في الاقطار البعيدة احمد كمال باشا رحمه الله تعالى بما نشر ناله فيه
من المقارنة بين اللغتين العربية والهير و غليفيه وهو الاكتشاف الذي امتاز به على جميع
علماء العاديات من الافرنج فاثبت به أو أكد ما اكتشفه غيره قبله من عراقه مصر في
العربية وكون قدماء المصريين والعرب من عرق واحد لا يعلم باليقين أيهما
الاصل ، أو من عرقين اشتبكت رشائجهما من ألوف السنين ثم افترقا ثم عادا
فاتصلا بعد الفتح الاسلامي واتحدا بفرع المضربة من لغتهما القديمة السامية أو
المصرية ، ذات الامشاج العديدة

برأ الخالق سبحانه احمد كمال من مدن من أشرف المعادن معدن العلم والصلاح ،
فكان منذ نشأته وطفولته الى وفاته في شيخوخته طاهراً تقياً ، تلقى العلم في
مدارس مصر درجة بعد درجة ، ورغب في الاختصاص بعلم العاديات المصرية واللغة
الهير و غليفيه فأتقنها ، وألف فيها معجمه الكبير ، الذي ليس له نظير ، وكان مكباً

على تحريره وتنقيحه الى أن توفاه الله تعالى
والذي يعني المنار من ترجمته أنه كان منقطعا للعلم، معرضا عن اللهو واللغو، تقيا
تقيا متنزها عن الفواحش والمنكرات، محتقرا للشهوات، محافظا على الصلوات، حتى
انه حضر في سن الشباب حفلة رسمية في حديقة الازبكية في عهد اسماعيل باشا
فقدم له احد الكبراء فيها كوبا من الماء الغازي (الغازوزة) ولم يكن يعرفها فظن
بها من المسكرات فأنكر على محاول اكرامه ونهره قائلا: أنا . أنا من هؤلاء.
وقد زني أولاده النجباء على الدين والنقوى والجد والاقبال على العلم، فكان
بيته كما قال الله تعالى (واجعلوا بيوتكم قبلة) كان كل من فيه يحافظون على
الصلوات الخمس حتى الخدم من رجال ونساء، وكان رحمه الله تعالى في درجة
عالية من مكارم الاخلاق، وأحسن الصفات والعادات، كعلماء السلف الاعلام
صدقا وأمانة وحلما وتواضعا . فهو من شهداء الله وحججه على خلقه، تغمده الله
برحمته، وجعل أنجاله النجباء خير خالف له

﴿ منشور الامام يحيى والانكيز ﴾

قال الامام يحيى في منشوره الذي نشرناه في الجزء السابع أن الدولة
البريطانية تقتخر بحب الخير للعرب فاستنبط بعض أصحاب الاهواء من هذه
الكلمة أنه قد ارتبط بحمايتهم كغيره من امراء العرب وطلق بعض الكتاب
في سورية ينوه بذلك وبعضهم ينصح للامام ويحذره من الانكيز وهو أحذر من
غراب وأعلم من هؤلاء الناصحين ومن هم أعلم منهم بكنه القوم، وآخر ما جاءنا
من أخبار الامام أنه لا زال ممتنعا عن عقد أي اتفاق معهم وان لم يكن ضارا به
فليوجه أولئك الناصحون نصيحهم الى من هم أحوج اليه من الخادعين لهم والمخدوعين
بهم. الى الملك حسين بن علي الذي اسس نهضته على الحماية الانكليزية في الداخل
والخارج وكتب في كتاب رسمي انه يكون خارجا من رحمة الله تعالى اذا قبل
من الدول كلها اضعاف ما يعطيه الانكيز لامته بدون وساطتهم !!

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ الجامع اللطيف ، في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ﴾
للشيخ محمد جاد الله بن ظهيرة القرشي المكي ، ألفه أو أتمه في سنة ٩٥٠ للهجرة الشريفة وهو - كما قال - مختصر من المطولات ، مع قليل من الزيادات ، تعتمد مؤلفه رحمه الله ذلك لقلة من يقرأ المطولات وكثرة من يرغب في معرفة تاريخ حرم الله من غير إضاعة زمن طويل في ذلك ، وقد طبع في العام الماضي (١٣٤٠) بمطبعة إحياء العلوم العربية الكبرى بمصر فبلغ مع فهرسه أربع مائة صفحة ونيف من القطع الصغير . فقد وضع له غير الفهرس المعناد فهرس طويل جمع أسماء الاعلام التي ذكرت فيه وأسماء الاماكن والمساجد والمعاهد والجيال والدور والقبور وغير ذلك كأبواب الحرم ومناوره ، فنحث القراء على مطالعته

﴿ كنز الرشاد ، وزاد المعاد ﴾ « تأليف أمير المؤمنين ، الهادي الى الحق المبين ، عز الدين بن الحسن عليه السلام » وهو الامام الهادي الذي ولي الامامة في اليمين سنة (٨٨٠) وتوفي سنة (٩٠٠) وكان عالماً متفناً عابداً ناسكاً ، وكتابه هذا مختصر من أجمع المختصرات في تصوف الاخلاق والآداب الدينية ، وهو يستمد من إحياء العلوم للانزالي وأمثاله من كتب التصوف والرقائق والمواعظ ، وقد علق عليه صديقنا الشيخ عبد الواسع الواسعي النجفي بعض الحواشي لاتمام الفائدة ، وطبع في هذا العام (بمطبعة أمين طبخش الكبرى) بمصر على ورق أصفر غير صقيل فبلغت صفحاته تسعين صفحة من حجم رسالة التوحيد

﴿ واجبات الطبيب ﴾ كتاب مشهور من مصنفات الدكتور عبد العزيز نظمي بك المفيدة - هو موضوع للطباء ولا يقتصر عن افادة غيرهم ، وقد طبع طبعة ثالثة في هذا العام بمطبعة المدرسة الصناعية الالهامية على ورق صقيل جيد ولكن جاء طبعه دون ما يليق باتقان مطبعة لمدرسة صناعية ، وإنما يميز هذا من له إلمام بصناعة الطبع ، فرادت صفحاته على مئة وسبعين من حجم رسالة التوحيد

أيضا وثمن النسخة منه ١٥ قرشا صحيحا

ولما كان الاطباء يطعمون على ما لا يجوز ولا يسمح لغيرهم بالاطلاع عليه من أسرار الناس وعوراتهم وعيوبهم أحببنا أن ننقل من هذا الكتاب قسم الطبيب أبقراط اليوناني الشهير على ضعف ترجمته بالعربية والعهد الذي يؤخذ على الاطباء في مدارس هذه البلاد الطبية عند إعطائهم الشهادة النهائية :

﴿ قسم أبقراط — الذي لا يزال يقسم به الاطباء ﴾

« أقسم بالشرف أن كل ما رأيته أو سمعته أو فهمته مدة قيامي بوظيفتي أو خارجا عنها يجب كتمانها لا أبوح بشيء منه ولا يجوز افشاؤه وأعتبر الكتمان في هذه الحالة واجبا مقدسا »

« تهدي الاطباء »

« أقسم بالله العظيم وبنبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أني أكون أمينا حريصا على شروط الشرف والسر والصلاح في تعاطي صناعة الطب وأن أسعف الفقراء مجانا ولا أطلب أجره تزيد على أجره عملي واني اذا دخلت بيتا فلا تنظر عيني ما اذا يحصل فيه ، ولا ينطق لساني بالأسرار التي يأتونني عليها ، ولا أستعمل صناعتي في إفساد الخصال الحياتية ، ولا أعاون بها على الذنوب ، ولا أعطي سما البتة ، ولا أدل عليه ولا أشير به ، ولا أعطي دواء فيه ضرر على الحوامل أو إسقاطهن ، وأكون موقرا حافضا للمعروف مع من علموني وكافئا لولادهم بتعليمي اياهم ما تعلمته من آباؤهم ، فما دمت حريصا على عهدي وأمينا على عيبي ، فجميع الناس يعتبروني ويوقرونني وان خالفت ذلك كنت المرذول المحتقر والله على ما أقول شهيد » اهـ

وانما ننكر على الاطباء القسم بالنبى فإنه محرم على لسانه صلى الله عليه وسلم فان لم يكنوا بالقسم بالله تعالى فلا بأس بتوكيده بالقسم بالقرآن العظيم فإنه كلامه . وفي عبارة الله بضعف ينبغي صراحة به هو أفصح منها وأبين للبراد كذا يقال : واذا دخلت بيتا فعلي أن أغض بصري ولا أتعمد رؤية ما لا محل لي رؤيته فيه ولا أنجوز الخلد الذي لا بد منه في الكشف الطبي .



قال عليه الصلاة والسلام ان الاسلام ضري « ومأرا » كمار الطري

٢٩ المحرم ١٣٤٢ — ١٨ السنبلة ١٣٠٣ هـ ش — ١١ سبتمبر ١٩٢٣

فتاوى المنار

هل كان النبي (ص) يعرف لغة غير العربية ﴿

(س ٢٥) من صاحب الامضاء الطالب في الازهر

مولانا الاستاذ الفاضل محمد رشيد رضا نفعنا الله بمواهبه . آمين .
لقد احتد الجدال بين عالمين مسلمين فلسطينيين في هل كان النبي عليه السلام
يعرف اللغات كلها أو اللغة العربية فقط ؟ ولقد قبل الطرفان فتواكم ، ورضيا بقولكم
لحل هذه المعضلة ، وكشف هذه المسئلة . نرجو من الله أن يهدي المسلمين الى
ما فيه الخير الجزيل . وأن يبعدهم من التعصب الذميم . وفي الختام تقبلوا شكراتنا
لقلبية سيدي محمد فريد الشطي

طالب علم برواق الشوام

(ج) قد كان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أميا لم يتعلم قراءة ولا كتابة ،
ومن المعلوم بالقطع الثابت بكتاب الله تعالى وبانتواثر أنه عربي أمي فالعلم بلغة
(المنار : ج ٩) (٨٤) (المجلد الرابع والعشرون)

غير لغة قومه لا يكون الا بالتعلم وهو لم يتعلم . أو بالوحي وقد كان الوحي اليه بلسانه قطعاً بنص القرآن ولم يثبت ما يخص هذا النص أو بقيد إطلاقه بل ثبت ما يؤيده وينفي مآداه كقوله تعالى في سورة النحل (واقعدنهم يقولون انما يعلمه بشر، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) نزلت في عبد النبي الحضرمي رومي كان يقرأ الكتب وقيل في قين (حداد) رومي كان يعمل السيوف بمكة مع أخ له وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب أن يرى هذه الصنعة فيختلف اليه . فقال بعض المشركين إنه يتعلم منه فحجهم الله تعالى بقوله (لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) ولو كان النبي (ص) يعلم شيئاً ما من اللغات الاعجمية لكانت الرومية لاختلاط بعض قريش بالروم عند اختلافهم الى بلاد الشام التي كانت تحت سلطان الروم ، ولو عرف الرومية لكان للشبهة المذكورة وجه ما من جهة اللغة ولكان ردها من طريق آخر أقوى من طريق اختلاف اللغة كأن يقال : إن الذين يلحدون اليه جاهل بكل علم من علوم القرآن — كمقائد التوحيد والتنزيه للخالق وأصول الشريعة وحقائق الآداب والفصل فيما حرفة وما نسيه أهل الكتاب من دينهم وأنى لعبد بني الحضرمي أو ذلك القين الرومي أن يعلم شيئاً من هذا ؟ ولكن اختلاف اللغة الذي لا مكابرة فيه أغنى عن هذا البرهان ، الذي لا يعتله الا من عرف القرآن ، وكان أكثر المشركين وقت نزول سورة النحل بمكة لا يعرفون من القرآن شيئاً لان رؤساء قريش كانوا يصدون الناس عن النبي (ص) كما يصدونه عن التبليغ بقراءه القرآن — فلماذا كان الرد عليهم باختلاف اللغة المانع من الاخذ والتلقي أقوى في الاقناع

هذا وان بعض العلماء قد ذكروا بحثاً نظرياً في احتمال تعليم الله خاتم رسوله لجميع خلقه جميع أسنتهم لقوله (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وأيدوه بنطقه (ص) بكلمات مفردة قيل إنها أعجمية وانما نورد اصح ما روي في ذلك ونبين غلط الاحتمال فيه وهو ما جاء في صحيح البخاري قال

(باب من تكلم بالفارسية والبطانية) (١) وقوله تعالى (واختلاف ألسنتكم وألوانكم) وقال (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) ثم ذكر بسنده عن جابر بن عبد الله قال : قلت يا رسول الله ذبحناه بيعة (٢) لنا وطعنت صاعا من شعير فتعال أنت ونفر فصاح النبي (ص) فقال « يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم سوراً فخبها بكم » الحديث — ثم ذكر بسنده من طريق عبد الله بن المبارك عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت : أتيت رسول الله (ص) مع أبي وعلي قميص أصفر . قال رسول الله (ص) « سنه سنه » قال عبد الله : وهي بالحبشية حسنة — الحديث .

قال الحافظ ابن حجر في كلامه على الآيتين من ترجمة الباب : كأنه اشار الى ان النبي (ص) كان يعرف الالسنه لانه أرسل الى الامم كلها على اختلاف السنتهم فجميع الامم قومه بالنسبة الى عموم رسالته فافتضى ان يعرف ألسنتهم ليفهم عنهم ويفهموا عنه . ويحتمل ان يقال لا يستلزم ذلك نطقه بجميع الالسنه لا مكان الترجمان الموثوق به عندهم . اهـ

أقول لو كان النبي (ص) أعطي العلم بجميع اللغات ليفهم عن جميع الامم التي أرسل اليها ويفهموا عنه لكان ذلك من أعظم المعجزات الحسية التي لا يمكن لاحد أن يكابر فيها ولتحققت العلة بخطابه للاعاجم الذين بدأ بدعوتهم الى الاسلام كهرقل قبصر الروم وكسرى الفرس والمقوقس عظيم القبط ، ولكن صرح أنه كتب اليهم بالعربية ولم ينقل قط أنه دعا أعجميا الى الاسلام بلغته ولا أنه سمع من أعجمي كلاما بلغته في شأن الاسلام ، ولا أمر أصحابه وأتباعه بأن يبلغوا الاسلام الاعاجم بلغاتهم بل الذي ثبت ثبوتاً قطعياً خلاف ذلك وهو أنه كان يدعو الى الاسلام هو وأصحابه باللسان العربي وبالقرآن العربي وكانوا يعلمون كل من أسلم من الاعاجم اللسان العربي ولذلك انتشر هذا اللسان بانتشار الاسلام منذ

(١) البطانة بكسر الراء ويجوز فتحها هو كلام غير العرب . يقال رطن له من باب نصر وتراطنوا بالفارسية مثلاً أو بالانكليزية (٢) بوزن جهينة مصغر

العصر الاول من غير مدارس انشئت لذلك ولا اجبار للامم التي فتح الصحابة والتابعون وتابعو التابعين بلادهم كما تفعل أم أوربة في البلاد التي يستعمرونها بل كان الذين يدخلون في الاسلام يتعلمون لغته لاجل القيام بما فرض الله عليهم من التعبد بكتابه المنزل ، والتفقه فيه وفي سنة رسوله (ص)

وقد ذكر الامام الشافعي (رح) هذا البحث في أول رسالته في أصول الشريعة فذكر الآيات التي تصف القرآن بأنه عربي مبين وآية (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وذكر الاحتمالين المشار اليهما هل النبي (ص) اوتي السنة جميع من أرسل اليهم أم كفواهم أن يعرفوا اسانه كما كفوا أن يعرفوا دينه ؟ وجزم بالثاني وأقام عليه البراهين وواقفه جميع علماء المسلمين فلم ينقل عن أحد من المجتهدين ولا المقلدين انه عارضه فيه أو انكره عليه ، وقد فصلنا ذلك في مقالتين تنشرهما في الجزء العاشر الآتي . فالمسألة اجماعية وقد عجبت لسهو الحافظ ابن حجر عنها في هذا المقام على سعة اطلاعه وذكره لخلاصة أقوال المحققين في شرح كل حديث في الباب اللائق به ، وقد ذكر أن الغرض من حديث جابر هنا أن كلمة « سور » بضم السين وسكون الواو غير مهموز فارسية وقيل حبشية وان معناها الطعام الذي يدعى اليه وقيل مطلقا — كما أن كلمة « سنه » حبشية وقال أنها في رواية الكشميهني « سناء » بزيادة الف وان الهاء فيهما للسكت (قال) قال ابن قرقول : بفتح النون الخفيفة عند أبي ذر وشدها الباكون وهي بفتح أوله للجميع الا القابسي فكسره اه

وروى البخاري في هذا الباب حديثا ثالثا عن أبي هريرة وهو أن الحسن ابن علي أخذ تمر من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي (ص) له « كخ كخ » أما تعرف أنا لانا كل الصدقة »

وقد قال الحافظ بعد ايراد الثلاثة : وقد نازع السكرماني في كون الالفاظ الثلاثة أعجمية لان الاول (وهو سور) يجوز أن يكون من توافق اللغتين . والثاني (وهو سنه) يجوز أن أصله حسنة فحذف أوله إيجازا ، والثالث من اسماء الاصوات . وقد

أجاب عن الأخير ابن المنير فقال وجه مناسبتة أنه (ص) خاطبه (أي الحسن) بما يفهم مما لا يتكلم به الرجل مع الرجل فهو كمخاطبة العجمي بما يفهم من لغته . قلت وبهذا يجاب عن الباقي ويزاد بأن تجويزه حذف أول حرف من الكلمة لا يعرف وتشبيهه بقوله « كفى بالسيف شا » لا يتجه لأن حذف الأخير معهود في الترقيم والله أعلم اه كلام الحافظ في كتاب الجهاد وقال في الكلام على حديث جابر في غزوة الخندق إن كلمة سور معناها الصنع بالخيشة وقيل العرس بالفارسية ويطلق أيضا على البناء الذي يحيط بالمدينة اه

ونقول: الصواب ان معنى الكلمة بالفارسية الوليمة أي طعام العرس ولا يطلق على طعام جابر إلا بتجوز فاذا لم يكن هذا اللفظ معربا من قبل فيكفي أن يكون (ص) هو الذي عربه وكذا لفظ سنه أو سنهه . وهل تعد معرفة الكلمة المفردة من اللغة معرفة باللغة ؟ قلما يوجد في عوام مصر من لا يعرف عدة كلمات تركية أو انكليزية فهل يقال إنهم علماء بهاتين اللغتين علما يفهمون به كلام أهلها ويفهمونهم مرادهم ؟ كلا إنما تساهل بعض العلماء في إطلاق احتمال أن يعرف النبي (ص) المئات من لغات الأمم لأنهم يرونه من باب التعظيم الذي يكاد بعضهم أن يقبل فيه كل شيء وإن كان مخالفا لبعض القطعيات أو مفضيا لبعض المطاعن من جهة أخرى لم يفتنوا لها فإن كون النبي (ص) أميار كن من أركان اثبات نبوته ومقدمة من مقدمات البرهان على أعجاز كتابه

﴿ حركة الأرض وجريان الشمس لمستقر لها ﴾

(ص ٢٦) من صاحب الامضاء المدرس في مدينة تطوان — في المغرب الأقصى

الحمد لله وحده — من تطوان في ٢٧ شوال سنة ١٣٤١

فضيلة أستاذي الوحيد، وملاذي الفريد، أستاذ العالم ومفتيه ومرشده السيد

محمد رشيد رضا .

سلام على تلك الذات وتلك الروح الطاهرة من قلب يتأجج بنار الاشواق

ويضطرم في سعي البعاد ، غير أن ثلج ماء عين (مناركم) قد يطفئ شيئا من ذلك اللهب ، ويخمد سعيها عنه ما يهيم الفكر في استحسان تلك الدرر اليتيمة ، والتمتع بتلك المعاني الوحيدة الفريدة .

سيدي وسندي ، أرجو من فضيلتكم الجواب على صفحات « المنار » الاغر عما يأتي :

من المقرر عند علماء الجغرافية أن الارض لها دورتان يومية وسنوية وأن الليل والنهار والفصول ينشآن عن هاتين الدورتين للارض ويقضي هذا أن الشمس ثابتة والله تعالى يقول (والشمس تجري لمستقر لها) . فأرجو من فضيلتكم جوابا كافيا شافيا كما هو شأن فضيلتكم بحيث لا يبقى في النفس ولو كانت جاحدة أدنى مخالفة . حفظكم الله وأطال حيائكم ، وبارك في عمركم وعمر أنجالكم الكرام ، مدى الليالي والايام ، من الداعي لفضيلتكم بذلك تلميذكم وصديقكم محمد العربي بن أحمد الخطيب

(ج) اذا كان ما ذكره السائل من المقرر عند علماء الجغرافية فإن من المقرر عندهم وعند علماء الفلك أن الشمس تدور على محورها كغيرها من الاجرام السماوية وأنها تدور هي والكواكب السيارة التي حولها حول نجم آخر مجهول يعدونه المركز لها . وبلغنا عن أحد المعاصرين من هؤلاء العلماء أنه حقق حديثا أن مجاميع الشمس كلها — أو العالم كله يجري في الفضاء لغاية مجهولة . ونجدون هذا البحث ماعدا القول الاخير في مقالة طويلة للدكتور محمد توفيق صدقي (رح) في المجلد الرابع عشر من المنار . ونجوز فيها رأيا عزاه اليها اذ تلقاه عنا وهو أن لجميع العالم المؤلف من هذه الشمس والكواكب مركزا واحدا هو مصدر التدوير والنظام لها وهو عرش الرحمن تبارك وتعالى (راجع ص ٥٩٠ و ٥٩١ ج ٨ منه) ونحن قد استنبطناه من عرض مذهب الفلكيين على قوله تعالى (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر) فجریان الشمس ثابت بالاتفاق فإن دوراتها على محورها يسمى جريانا ، ودورانها مع مجموعها المعلوم حول

نجم مجهول على قولهم — كدوران المجاميع الشمالية حول نجم القطب الشمالي —
يسمى جريانا أيضا . وأولى منه وأظهر سيرها مع بقية العالم الذي قال به بعض
المؤرخين كما ذكر في تقويم افلامريون المشهور . على أن الجريان يستعمل استعمالا
مجازيا في السير المعنوي كما يقال جرى القضاء بكذا ، ولك ان تقول الآن ان
أوربة تجري في تنازع دولها لحرب أخرى شر من الحرب الأخيرة

وأما المستقر الذي تجري الشمس إليه أوله ففيه وجهان (أحدهما) أنه ما
يتهيأ إليه أمرها بخراب عالمنا هذا التي هي ركن نظامه فيكون جريانها كجريان غيرها
بمعنى قوله تعالى في أول سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها
ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى . يدبر الأمر
يفصل الآيات لقوم يوقنون) وهو بمعنى ما روي عن قيادة قل تجري لمستقر لها :
لوقتها ولاجل لا تعدوه (ثانيهما) أنه مستقر نظامها لا أجلها وهو النجم المجهول
عند علماء الفلك والعرش على رأينا — . ويؤيده حديث أبي ذر في كون
مستقرها تحت العرش ، والحديث قد روي بالفاظ مختلفة أظهرها إخصرها وهو
مارواه الجماعة إلا ابن ماجه وغيرهم عنه قال سألت رسول الله (ص) عن قوله
(والشمس تجري لمستقر لها) قال « مستقرها تحت العرش » وبعض ألفاظه
مشكل في ظاهره جدا ورواته أقل وهو ما ذكر فيه سجودها لله تحت العرش
واستئذانها وان فسر بمعنى خضوعها لإرادته كقوله (والنجم والشجر يسجدان)
والراجح عندنا أنه روي بالمعنى فأخطأ بعض الرواة في فهمه فعبر عنه بما فهمه
والله أعلم . وسنعود الى هذا البحث في وقت أوسع ومجال أوسع ان شاء الله تعالى

﴿ حكم الصائم الذي يغتسل في الماء ﴾

(س ٢٧) من صاحب الامضاء في جزيرة البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاستاذ الفاضل مولانا السيد محمد رشيد رضا أدام الله وجوده

للمسلمين آمين

بعد تقبيل أناملكم الكريمة . نعرفكم أنه صرح لنا بعض الاستاذة هنا بأن الصائم اذا غطس في الماء صيامه صحيح ولا يفطر فكان عندنا شك من ذلك فنلتبس من فضيلتكم أن ترشدونا عن ذلك أدامكم الله ذخرًا لمحبيكم عبد الله المزروع ومحمد يوسف فخر

(ج) قال صاحب المغني من علماء الحنابلة مانصه :

(فصل) ولا بأس أن يغتسل الصائم لان عائشة وأم سلمة قالتا نشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان ليصبح جنباً من غير احتلام ثم يغتسل ثم يصوم متفق عليه . وروى أبو بكر باسناده أن ابن عباس دخل الحمام وهو صائم هو وأصحاب له في شهر رمضان . فأما الغوص في الماء فقال احمد في الصائم ينغمس في الماء اذا لم يخف أن يدخل في مسامعه فان دخل في مسامعه فوصل الى دماغه من الغسل الم شروع في المضضة والاستنشاق من غير اسراف ولا قصد فلا شيء عليه كما لو دخل الى حلقه من المضضة في الوضوء فان غاص في الماء أو اسرف أو كان عابثاً فحكه حكم الداخل الى الحلق من المبالغة في المضضة والاستنشاق . الزائدة على الثلاث والله أعلم

وقال الشمس الرائي من فقهاء الشافعية في نهاية المحتاج عند قول المنهاج « فلا يضر وصول الدهن بتشرب المسام ولا يضر الا كتحال وان وجد طعمه بحلقه » مانصه : كما لا يضر الانغماس في الماء وان وجد أثره بباطنه إله وناهيك بدثة الشافعية وتشديدهم في تعريف الصوم ، وعندنا ان أحسن تعريف شرعي للصوم قول صاحب الهداية من الحنفية . هو الامساك عن الاكل والشرب والجماع نهاراً مع النية . والانغماس في الماء ليس شرباً ولا نهي عنه بخصوصه ولا هو مظنة لدخول الماء الى الجوف أكثر من المضضة الم شروع في الصيام ودخول الماء الى الجوف من الاذن لا يسمى شرباً وهو لا من الافعال الاختيارية التي تفعل بقصد ولا فائدة منه في تقع الغلة أو ازالة الظمأ فهو ليس منافياً لحقيقة الصيام ولا لمقصده وانما البحث فيه من التنطع المذموم شرعاً والله أعلم

حقيقة الايمان والكفر وشعبهما

والظلم والفسق وما يعد من ذلك خروجاً من الملة

أسهب المحقق ابن القيم في كتابه (الصلاة) في الخلاف بين العلماء في كفر تارك الصلاة وعدمه وأدلة المثبت والنافي . ثم قفى على ذلك بفصول في الحكم بين الفريقين بدأها بالبحث في مسألة العنوان المهمة فأحببنا نشرها، لأنها من المسائل المهمة التي لم يوفها مثله حقها

فصل

(في الحكم بين الفريقين، وفصل الخطاب بين الطائفتين)
معرفة الصواب في هذه المسئلة مبني على معرفة حقيقة الايمان والكفر ثم يصح النفي والاثبات بعد ذلك فالكفر والايمان متقابلان اذا زال أحدهما خلفه الآخر. ولما كان الايمان أصلاً له شعب متعددة وكل شعبة منها تسمى إيماناً . فالصلاة من الايمان . وكذلك الزكاة والحج والصيام والاعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله، والانابة اليه حتى تنتهي هذه الشعب الى إمارة الاذى عن الطريق فانه شعبة من شعب الايمان. وهذه الشعب منها ما يزول الايمان بزوالها كشعبة الشهادة ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إمارة الاذى عن الطريق. وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون اليها أقرب ومنها ما يلحق بشعبة إمارة الاذى ويكون اليها أقرب

وكذلك الكفر ذواصل وشعب فكما أن شعب الايمان إيمان فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الايمان، وقلة الحياء شعبة من شعب (المنار: ج ٩) (٨٥) (المجلد الرابع والعشرون)

الكفر، والصدق شعبة من شعب الايمان والكذب شعبة من شعب الكفر . والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الايمان وتركها من شعب الكفر ، والحكم بما أنزل الله من شعب الايمان والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها من شعب الايمان

وشعب الايمان — قسمان قولية وفعلية . وكذلك شعب الكفر نوعان قولية وفعلية . ومن شعب الايمان القولية شعبة يوجب زوالها زوال الايمان فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الايمان . وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية فكما يكفر بالاتيان بكلمة الكفر اختيارا وهي شعبة من شعب الكفر فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستمانة بالمصحف فهذا أصل

وها هنا أصل آخر وهو ان حقيقة الايمان مركبة من قول وعمل . والقول قسمان قول القلب وهو الاعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الاسلام . والعمل قسمان عمل القلب وهو نيته واخلاصه . وعمل الجوارح ، فاذا زالت هذه الاربعة زال الايمان بكماله واذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الاجزاء فان تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة . واذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق ، فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة فأهل السنة مجمعون على زوال الايمان وانه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده كما لم ينفع ابليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ، ولا نؤمن به

واذا كان الايمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح ولا سيما اذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانهياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره فانه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح اذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانهياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الايمان . فان الايمان ليس مجرد التصديق كما تقدم بيانه. وانما هو التصديق المستلزم للطاعة والانتقياد وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبينه بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه، وان سمي الاول هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء كما ان اعتقاد التصديق وان سمي تصديقا فليس هو التصديق المستلزم للايمان فعليك بمراجعة هذا الاصل ومراعاته (١)

فصل

وها هنا أصل آخر وهو الكفر نوعان كفر عمل وكفر جحود وعناد . فكفر الجحود ان يكفر بما علم ان الرسول جاء به من عند الله جحودا وعنادا من اسماء الرب وصفاته وافعاله وأحكامه. وهذا الكفر يضاد الايمان من كل وجه . وأما كفر العمل فينقسم الى ما يضاد الايمان والى ما لا يضاده فالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه يضاد الايمان . واما الحسم بغير ما اتزل الله وترك الصلاة فهو من الكفر

(١) ملخص كلامه ما بيناه في الحاشية التي قبل هذه من ان الايمان هو التصديق الاذعاني لا كل تصديق جازم قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا) فالجحود الذي هو ضد الايمان قد اجتمع مع تصديق الاستيقان

العملي قطعا، ولا يمكن ان ينفي عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه، فالحاكم بغير ما انزل الله كافر وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن هو كافر عمل لا كفر اعتقاد، ومن الممتنع ان يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما انزل الله كافرا ويسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم تارك الصلاة كافرا ولا يطلق عليهما اسم الكفر، وقد نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر. وعن لا يأمن جازه بوائقه، واذا نفى عنه اسم الايمان فهو كافر من جهة العمل وانتهى عنه كفر الجحود والاعتقاد. وكذلك قوله « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » فهذا كفر عمل وكذلك قوله « من أتى كاهنا فصدقه أو امرأة في دبرها فقد كفر بما انزل على محمد » وقوله « اذا قال الرجل لاخيه يا كافر فقدباء بها أحدهما » وقد سمي الله سبحانه وتعالى من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه مؤمنا بما عمل به وكافرا بما ترك العمل به، فقال تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم اقررتم وأتمتم تشديدكم * ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) فاخبر سبحانه أنهم اقرروا بميثاقه الذي أمرهم به والتزموه وهذا يدل على تصديقهم به وانهم لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم. ثم أخبر أنهم عصوا أمره وقتل فريق منهم فريقا وأخرجوهم من

ديارهم . فهذا كفرهم بما أخذ عليهم في الكتاب ، ثم أخبر انهم يقدون من أسر من ذلك الفريق وهذا إيمان منهم بما أخذ عليهم في الكتاب ، فكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق كافرين بما تركوه منه ، فالإيمان العملي يضاده الكفر العملي ، والإيمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي ، وقد أعلن النبي صلى الله عليه وسلم بما قلناه في قوله في الحديث الصحيح «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ففرق بين قتاله وسبابه وجعل أحدهما فسوقا لا يكفر به والآخر كفرا ، ومعلوم انه إنما أراد الكفر العملي لا الاعتقادي وهذا الكفر لا يخرج من الدائرة الإسلامية والملة بالكلية ، كما لم يخرج الزاني والسارق والشارب من الملة وإن زال عنه اسم الإيمان

وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله وبالإسلام والكفر ولوازمهما . فلا تتلقى هذه المسائل إلا عنهم فإن المتأخرين لم يفهموا مرادهم فأنقسموا فريقين : فريقا أخرجا من الملة بالكبائر وقضوا على أصحابها بالخلود في النار ، وفريقا جعلوهم مؤمنين كاملي الإيمان . فهؤلاء غلوا ، وهؤلاء جفوا . وهدى الله أهل السنة للطريقة المثلى والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالأسلام في الملل ، فهنا كفر دون كفر وتفاق دون تفاق وشرك دون شرك وفسوق دون فسوق وظلم دون ظلم .

قال سفيان بن عيينة عن هشام بن جحير عن طاووس عن ابن عباس في قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ليس هو بالكفر الذي يذهبون إليه . وقال ابن عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال سئل ابن عباس عن قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) قال : هو بهم كفر وليس كمن كفر بالله وما لا شك فيه

وكتبه ورساله . وقال في رواية أخرى عنه : كفر لا ينقل عن الملة . وقال طاووس ليس بكفر ينقل عن الملة . وقال وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق ، وهذا الذي قاله عطاء بين في القرآن لمن فهمه فإن الله سبحانه سمي الحاكم بغير ما أنزله كافرا ويسمى جاحدا ما أنزله على رسوله كافرا . وليس الكافران على حد سواء ويسمى الكافر ظلما كما في قوله تعالى (والكافرون هم الظالمون) وسمى متمدي حدوده في النكاح والطلاق والرجعة والخلع ظلما فقال : (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وقال يونس نبيه (لا اله الا أنت سبحانه) اني كنت من الظالمين) وقال صفيه آدم (ربنا ظلمنا أنفسنا) وقال كليمه موسى (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي) وليس هذا الظلم مثل ذلك الظلم ويسمى الكافر فاسقا كما في قوله (وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) الآية وقوله (ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون) وهذا كثير في القرآن ويسمى المؤمن فاسقا كما في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيروا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) نزلت في الحكم بن أبي العاص وليس الفاسق كالفسق وقال تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وأولئك هم الفاسقون)

وقال عن ابليس (ففسق عن أمر ربه) وقال فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق) وایس الفسوق كالفسوق والكفر كفران ، والظلم ظلمان ، والفسق فسقان وكذا الجهل جهلان ، جهل كفر كما في قوله تعالى

(خذ العفو واءمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین) وجهل غیر کثر لقوله تعالى (انما التوبة على الله للذین يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب)

کذلك الشرك شرکان شرك ينقل عن الملة وهو الشرك الاکبر، وشرك لا ينقل عن الملة وهو الشرك الاصغر، وهو شرك العمل كالرياء . وقال تعالى في الشرك الاکبر (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) وقال (ومن يشرك بالله فکانما خر من السماء فتخطفه الطیر او تهوي به الريح في مكان سحيق) . وفي شرك الرياء (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ومن هذا الشرك الاصغر قوله صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد اشرك » رواه ابو داود وغيره : ومعلوم ان حلفه بغير الله لا يخرجہ عن الملة ولا يوجب له حکم الکفار . ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم « الشرك في هذه الامة اخفى من ديب النمل »

فانظر كيف انقسم الشرك والكفر والفسوق والظلم والجهل الى ما هو كفر ينقل عن الملة والى ما لا ينقل عنها،

وكذا النفاق نفاقان نفاق اعتقاد ونفاق عمل فنفاق الاعتقاد هو الذي انكره الله على المنافقين في القرآن وأوجب لهم الدرك الاسفل من النار ونفاق العمل كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « آية المنافق ثلاث اذا تحدث كذب، واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان » وفي الصحيح ايضا « اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث

كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر واذا اؤتمن خان « فهذا نفاق عمل وقد يجتمع مع أصل الايمان ولا يمكن اذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الاسلام بالكلية وان صلى وصام وزعم انه مسلم فان الايمان ينهى المؤمن عن هذه الخلال فاذا اكملت في العبد ولم يكن له ما ينهاء عن شيء منها فهذا لا يكون الا منافقا خالصا وكلام الامام احمد يدل على هذا فان اسماعيل بن سعيد الصالح قال: سألت احمد بن حنبل عن المصر على الكبائر يطلبها مجرده الا انه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم هل يكون مصرًا من كانت هذه حاله ؟ قال هو مصر مثل قوله « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » يخرج من الايمان ويقع في الاسلام ونحو قوله « لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن » ونحو قول ابن عباس في قوله تعالى (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) قال اسماعيل فقلت له ما هذا الكفر ؟ قال: كفر لا ينقل عن الملة مثل الايمان بعضه دون بعض فكذلك الكفر حتى يجيء من ذلك امر لا يختلف فيه

فصل

وههنا أصل آخر وهو أن الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان وشرك وتوحيد وتقوي وفجور ونفاق وإيمان، وهذا من أعظم أصول أهل السنة وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية، ومسئلة خروج أهل الكبائر من النار وتخليد هم فيها مبنية على هذا الأصل، وقد دل عليه القرآن والسنة والفطرة واجماع الصحابة

قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) فثبت لهم ايماناً به سبحانه مع الشرك وقال تعالى (قالت الاعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ، ولما يدخل الايمان في قلوبكم ، وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئاً ان الله غفور رحيم) فثبت لهم اسلاماً وطاعة لله ورسوله مع تبي الايمان عنهم وهو الايمان المطلق الذي يستحق اسمه بمطلقه (الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) وهؤلاء ليسوا منافقين في أصح القولين بل هم مسلمون بما معهم من طاعة الله ورسوله وليسوا مؤمنين وان كان معهم جزء من الايمان اخرجهم من الكفر

(قال) الامام احمد من أتى هذه الاربعة أو مثلهن أو فوقهن — يريد الزنا والسرقة وشرب الخمر والانتهاز — فهو مسلم ولا اسميه مؤمناً ومن أتى دون ذلك — يريد دون الكبائر — سميته مؤمناً ناقص الايمان ، فقد دل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم « فمن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق » فدل على انه يجتمع في الرجل نفاق واسلام . وكذلك الرياء شرك فاذا رأى الرجل في شيء من عمله اجتماع فيه الشرك والاسلام ، واذا حكم بغير ما أنزل الله ، أو فعل ما ساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كفرآ وهو ملتزم الاسلام وشرائعه ، فقد قام به كفر واسلام . وقد بينا أن المعاصي كلها شعب من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها شعب من شعب الايمان فالعبد تقوم به شعبة أو أكثر من شعب الايمان وقد يسمى بتلك الشعبة مؤمناً وقد لا يسمى كما أنه قد يسمى بشعب الكفر كفرآ وقد لا يطلق عليه هذا الاسم

فها هنا أمران أمر اسمي لنظري ، وأمر معنوي حكمي . فالمعنوي
 هل هذه الخصاصة كفر أم لا ؛ واللفظي هل يسمى من قامت به كافراً
 أم لا ؟ فالأمر الأول شرعي محض ، والثاني لغوي وشرعي

فصل

وها هنا أصل آخر وهو أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب
 الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمناً وإن كان ما قام به إيماناً ، ولا من قيام
 شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافراً وإن كان ما قام به كفرًا ، كما أنه
 لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أن يسمى عالماً ولا من معرفة
 بعض مسائل الفقه والطب أن يسمى فقيهاً ولا طبيباً ، ولا يمتنع ذلك أن
 تسمى شعبة الإيمان إيماناً ، وشعبة النفاق نفاقاً ، وشعبة الكفر كفرًا ، وقد
 يطلق عليه الفعل كقوله « فمن تركها فقد كفر » و « من حلف بغير الله فقد
 كفر » وقوله « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر » ومن حلف بغير الله
 فقد كفر » رواه الحاكم في صحيحه بهذا اللفظ

فمن صدر منه خلة من خلال الكفر فلا يستحق اسم كافر على الإطلاق
 وكذا يقال لمن ارتكب محرماً إنه فعل فسوقاً وإنه فسق بذلك المحرم ولا
 يلزمه اسم فاسق إلا بغلبة ذلك عليه . وهكذا الزاني والسارق والشارب
 والمنتهب لا يسمى مؤمناً وإن كان معه إيمان كما أنه لا يسمى كافراً وإن
 كان ما أتى به من خصال الكفر وشعبه . إذ المعاصي كلها من شعب الكفر
 كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان

والمقصود أن سلب الإيمان عن تارك الصلاة أولى من سلبه عن
 مرتكب الكبائر ، وسلب اسم الإسلام عنه أولى من سلبه عن من لم يسلم

المسلمون من لسانه ويده ، فلا يسمى تارك الصلاة مسلماً ولا مؤمناً وان كان معه شعبة من شعب الاسلام والايمان . نعم يبقى أن يقال فهل ينفعه مامعه من الايمان في عدم الخلود في النار؟ فيقال ينفعه ان لم يكن المتروك شرطاً في صحة الباقي واعتباره . وان كان المتروك شرطاً في اعتبار الباقي لم ينفعه . ولهذا لم ينفع الايمان بالله ووحدايته ، وانه لا إله إلا هو من أنكر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تنفع الصلاة من صلاحها عمداً بغير وضوء ، فشعب الايمان قد يتعلق بعضها ببعض تتعلق المشروط بشرطه ، وقد لا يكون كذلك فيبقى النظر في الصلاة هل هي شرط لصحة الايمان ؟ هذا سر المسئلة ، والادلة التي ذكرناها وغيرها تدل على أنه لا يقبل من العبد شيء من أعماله الا بفعل الصلاة فهي مفتاح ديوانه ، ورأس مال ربحه ، ومحال بقاء الربح بلا رأس مال . فاذا خسرها خسر أعماله كلها وان أتى بها صورة . وقد أشار الى هذا في قوله « فان ضيعها فهو لما سواها أضيع » وفي قوله « ان أول ما ينظر في أعماله الصلاة فان جازت له نظر في سائر أعماله وان لم تجز له لم ينظر في شيء من أعماله بعد »

ومن العجب أن يقع الشك في كفر من أصر على تركها ودعي الى فعلها على رءوس الملائكة ، وهو يرى بارقة السيف على رأسه ، وشدة القتل وعصبت عيناه ، وقيل له تصلي والا قتلناك ، فيقول اقتلوني ولا أصلي أبداً !! ومن لا يكفر تارك الصلاة يقول هذا مؤمن مسلم يغسل ويصلي عليه ويدفن في مقابر المسلمين . وبعضهم يقول إنه مؤمن كامل الايمان إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل ، فلا يستحي من هذا قوله من إنكاره تكفير من شهد بكفره الكتاب والسنة واتفاق الصحابة والله الموفق اهـ

بطل العرب والاسلام العظيم

القائد الكبير محمد عبد الكريم

اقتسمت فرنسا مع اسبانية مملكة المغرب الاقصى كما قسمت مع انكلترا سورية والعراق . وقد قبض الله تعالى لاهل الريف الذي جعل حصه لاسبانية زعيما عظيما نظم لهم جيشا من انفسهم يقاتل به الاسبانيين لخراجهم من بلادهم فاني في قتاله لهذه الدولة بما يكاد يكون من خوارق الامادات التي أيد الله بها سلف هذه الامة في صدر الاسلام ، وما زلنا نغني النفس بالانوية بجهاذه منذ بطش البطشة الكبرى قبل ثلاث سنين حتى رأينا في هذه الابام ما كفانا المؤنة من المقال الآتي « لسعادة الكاتب السياسي الكبير » الذي يغني وصفه عن تعيين شخصه ، وحرف الامضاء عن التصريح باسمه ، (المنار)

من عادة الجرائد ان تذكر من لفظة « البطولة » تعربها كلمة Heroisme التي تدور كثيرا في الكتابات الاوروبية والناس مضطرة اليوم الى تعريب كلماتهم وتقليد مناحيهم . أما أنا فكنت غير راغب في هذا الاستعمال لانني لا أكتفي من اللفظة بان تأتي في معاجم اللغة وان لا تمد غلطا بل أحب ان أجدها في كلام العرب الاولين أو المخضرمين أو المولدين على الاقل ، ولا أتذكر اني عثرت بالبطولة اي حالة من كان بطالا في غير متون اللغة . أما الآن فأريد أن أستعملها لهذا الاسد الزائر ، والفحل الصائل ، المسمى بمحمد بن عبد الكريم المتولي كبر تحرير قومه في شمالي مرا كش - فأقول بطل محمد بن عبد الكريم بطولة وبطالة فهو بطل ، لا بل هو بطل الابطال ، وهذا لا فناء ، وعلم الاعلام ، بل هو عندي أعظم مزية من مصطفى كمال ، ومن جميع أبطال العصر الحاضر ، البادي منهم والحاضر . وكل من ينظر في قضية الامير محمد بن عبد الكريم ويتأمل فيها ويرى موقعه المدهش المحير للعقول في وجه اسبانية مع الفرق الشاسع والشقة الهائلة بين درجتي كل من اسبانية والمنطقة التي تقاتلها من شمالي المغرب يحكم بانه لو كان في الدنيا

انصاف لما كان أحد اليوم أولى من محمد بن عبد الكريم بان يوضع في مقدمة أبطال العصر ، ويكتب تاريخه ، وتدون سيرته ، وتعرض صورته ، ويرجح على فوش وهندنبورغ ومصطفى كمال ودانونس-يولنين ومسوليبي وطبقتهم التي اختلط ذكرها بالتاريخ العام

ان فوش عند ما أحرز النصر كان رأسا على ١٥ مليون جندي من عساكر الحلفاء عدا جنود اميركا التي كان وصل منها الى فرنسا مليونان ونصف مليون وبقي منها مثل هذا العدد في اميركا ، وان هندنبورغ كان قائد ستة ملايين ألماني هم أحسن جنود العالم بدون نزاع ، وان مصطفى كمال وان صح ان يقال إنه بعث تركية من قبرها ، فإنه كان في تركية عساكر منظمة ، وجنود مدربة ، وضباط اركان حرب معدودين من الطبقة الاولى ، وبقايا أسلحة ، وآثار دولة مبنية من اصلها على الاسل ، وجاءها لويد جورج بمعاودة سيفر التي تجعل تركية أثرا بعد عين ، وزحف اليها اليونانيون يذبحون الرجال ، ويهتكون لأعراض ، فاتيحت لهمة مصطفى كمال أسباب عديدة تجمع حوله أمة بأسلة مستبسلة كالامة التركية . وان سائر من ذكرنا من الرجال المعدودين في هذا العصر كانوا في حركاتهم متوكئين على أمم عظام ، واعداد لا تحصى ، وتشكيلات ادارية تامة ، فاستوسق لهم من الامور ما استوسق ، وظهر من شأنهم ما ظهر

وأما محمد بن عبد الكريم فان جثنا الى عد انصاره فان الريف كله يباغ جزءا من سبعة من سلطنة المغرب فان كانت هذه السلطنة ثمانية ملايين فيكون الريف زائدا قليلا على المليون ، وان كانت هذه السلطنة لا تنوف على اربعة ملايين أو خمسة كما جاء في بعض مؤلفات الفرنسيين الاخيرة فيكون الريف نحو ثلثي المليون أي أكثر قليلا من جبل لبنان وأقل شيئا من فلسطين ، ومع هذا فان هذين الثلثين من المليون أو فلنقل هذا المليون واقف في وجه دولة اسبانية التي عدة أهلها عشرون مليونا . بخلاف تركية مع اليونان ، اذ تركية مع كل ما اقتطع منها بقيت ١٢ مليونا واليونان مع كل ما أضيف اليها لا تزيد على ٦ ملايين . فانت ترى ما هنالك من

الفرق ، وزد عليه انه لم يجتمع من جنود اليونان في وجه مصطفى كمال ما اجتمع من جنود الاسبانيول في وجه محمد بن عبد الكريم فقد كان جيش اليونان المحارب لجيش أنقرة من ١٥٠ الى ١٧٠ ألفا حال كون الجيش الاسبانيولي الذي غزا الريف سنة ١٩٢١ بلغ عدده ٢٠٠ ألف مقاتل وباء بالخذلان كما هو معروف . والجيش الاسبانيولي الزاحف اليوم الى الريف هو بحسب قول الجرائد الاوروبية مائة وستون ألف مقاتل . وانه في كلتا المراتين تطوع في الجيش الاسبانيولي الوف مؤلفة من اصناف الافرنجة لا سيما من الانكليز — الذين لا يتركون فرصة يظهر فيها فرط محبتهم للاسلام الا ولجوها — وهذه المرة يقال ان اكثر الالحاح على الدولة الاسبانية في استئصال شأفة المقاومة من الريف واقع من دولة بريطانيا العظمى

ثم لا يخفى ما يوجد من الفرق بين زحف اليونان من بلادهم راكبين اثباج البحر الواسع وايغالهم في بلاد الاناضول الطويلة العريضة التي تأكل الجيوش بمساوفهم وبين ركوب الاسبانيول بحرا اسمه بحر الزقاق او بوغاز جبل طارق عرضه ساعات قلائل وكون الريف كله لا يساوي في الرقعة ولاية من ولايات الاناضول

لا نريد في هذه المقابلات والمقارنات تصغير شيء من مجادة العمل الذي قام به اخواننا الترك وأدهش الربع العاشر بأسره ، وترنحت له أعطاف الشرقيين عند من يقول بجامعة شرقية ، وقرت به عيون المسلمين عند من يأخذ بجامعة اسلامية . ان الاتراك أشهر في الحروب من ان ينوه فيها الانسان بقدرهم ، وان انتصارهم الاخير بعد ان نهكت قواهم الحروب المتتابعة بدون انقطاع ولا فتور منذ بضع عشرة سنة أضاف صفحة جديدة على تاريخ مجدهم ، وخلد مصطفى كمال ذكرا لا تمجوه الا عصر بانه هو المؤسس الاخير للدولة التركية

ولكننا نريد ان نثبت بهذه المقارنات انه بالنسبة الى قلة الوسائل وضيق لرقعة وفقد التشكيلات ونزارة الاسلحة وندورة الضباط وانحصار الريف بين

البحر من جهة والمنطقة الفرنسية من أخرى وصنر الريف من أصله فان فضل محمد بن عبد الكريم هو أعظم من فضل مصطفى كمال ومن فضل أعظم قواد أوروبا لانه لو قام أي واحد من أولئك العظام مقام ابن عبد الكريم لعجز ان يأتي بشي مما أتاه

في تموز سنة ١٩٢١ استأصل الريفيون بقيادة هذا البطل الغشمشم ٢٥ ألف مقاتل اسبانيولي وأسروا ألوفاً وغنموا ١٧٠ مدفعاً وقيل ٣٠٠ مدفع و ٢٠ ألف بندقية واعنادا حربية لا تحصى وعدداً من الطائرات وسبق لهذا العاجز المعجب بمحمد بن عبد الكريم المتحسر على أن ليس في سورية مثله - مقالات متعددة عن تلك الطوائل التي طال بها والوقائع التي انتصر فيها منها ما نشرناه « بالبيان » ومنها في « الصباح » الذي كان يطالع بفلسطين. لان حرية المطبوعات ... في سورية لعهد محرري الامم ... لم تكن تسمح بنشر شي عن قوم يدافعون عن استقلالهم ولو كانوا من أقصى البلاد عن سورية

وبعد هاتيك الهزيمة عول الاسبانيول على سياسة التفريق والشقاق بين الريفيين ، تلك السياسة التي طالما نجحت بها الدول المستعمرة ونالت مآربها من الشرق من ثنايا منافسات الشرقيين بعضهم مع بعض ، فعقد الاسبانيول الصلح مع الرسولي ، وأعملوا الهمة في التضريب بين القبائل الريفية ، وخدروا أعصاب كثيرين منها ، وبذلوا المواعيد ومنوا الالاماني ، حتى خيل لهم ان الحركة قد همدت ، وان حزب بن عبد الكريم قد ضعف جداعن ذي قبل ، وانهم ان صمدوا اليه وجدوه هذه المرة في قلة من قومه وقضوا منه وطرحهم ، فكان الامر بعكس ما خالوا ، وهو انهم لما أنسوا منه رقة الجانب وطعموا في أخذه بالقوة عاد هذا الامير فاستفز قبائل الريف وأوضح لهم الخطر فارتفعت الواعية ، وامتدت الصارخة ، واعصو صبت القبائل حول قائدها ، وتأهبت للنضج عن ذمارها ، وعاد الامر كما بدا ، لا بل رأى محمد بن عبد الكريم ان يجعل الاسبانيول غداة قبل ان يجعلوه عشاءهم ، فجمر (١) للزحف على

(١) المنار : جمر بنو فلان اجتمعوا وجمرتهم حشدتهم وهو ماخوذ من جمرات =

مواقعهم الامامية بقرب مليلاء، وناوشهم القتال منذ أوائل هذا الصيف ، فدارت رحى الهيجاء وحى الوطيس وتباعث العرب والبربر على الموت في سبيل دينهم ووطنهم، فحفلوا الاسبانيول عن مراكزمهم، واخلشوا النكاية فيهم، ورأت اسبانية ان ابن عبدالكريم لا يزال ابن عبد الكريم من المنعة في قومه ، والحيلة من وراء أمره ، والحيلة على وطنه ، والحيلة لحقه ، وان الريفين لم يبرحوا على عهدهم بالشهامة وابعاء الضيم ، والبصائر بالحرب ، والغرام بالطعن والضرب ، فسقط في يدها ، وخابت آمالها ، وجردت الى الريف زحوفها ، حتى بلغ عدد النياق (١) الاسبانيولي المرباط الآن بالريف ١٦٠ الفا وهي لم تنل وطرا ، ولا قضت حاجة ، فثارت الخواطر في مادريد واضطربت الحكومة وادهم الخطب ، وأبى الحزب العسكري الا ان يتابع ارسال الامداد الى ان تستقيم عصاة الريف أو تنكسر ، وذهب آخرون الى انه لا فائدة من غزو الريف الا تراكم الخسائر في المال والرجال ، وقدم اثنان من النظار استعفاءهما احدهما ناظر المالية الذي شكوا من كون عجز الموازنة المالية هذه السنة بلغ ٩٠٠ مليون فماذا يكون ان اصررت الحكومة على متابعة حرب الريف؟ هذه حالة اسبانية اليوم ، وهذا هو الفري الذي فراه محمد بن عبد الكريم عودا على بدء ، فاثبت انه بطلها اليوم كما كان بطلها بالامس ، وسترى انه بطل السلم كما هو بطل الحرب ، وانه أصدر أوامر بالاتفاق مع اعضاء الحكومة الريفية أي هو رأسها بانزال أشد العقاب الى حد القتل بمن يعتدي على اسبانيولي او أي اوري او بخالف القوانين الحربية المرعية بين الدول المتمدينة

وقد نشر رجل سويسري من زوريخ منذ أيام رسالة تناقلتها كثير من جرائد سويسرة كنا نود تعريبها ونشرها كلها نقلا عن جريدة « فوي دافي »

العرب جمع جمرة وهي الطائفة التي تجتمع على حدة لقوتها وشدة بأسها . وقول المكاتب جمر للزحف معناه لاجل الزحف . وفي حقيقة الاساس : وجمر الامير الفزاة (بتشديد الميم) حبسهم في الثغرو في نحر العدو ولا يقفلهم اياه . أي لا ياذن لهم بالرجوع (١) الفياق بوزن زينب الكتيبة العظيمة مؤتة والمعنى وكتاب العصر يذكرونها بتذكير اللفظة أو بمعنى الجيش

الصادرة بلوزان لـكن طولها حال دون تعريبها برمتها . وما كـلها ان بعض الشبان من سويسرة قصدوا اسبانية للعمل و بينما هم يعملون ببرشلونة (١) إذ أخذتهم حكومة اسبانية الى الريف بحجة انها تريد ان تستخدمهم في النقلات . وان هنا عملا باجرة وهناك عملا باجرة فذهبوا مسيرين غير مخيرين . ولما صاروا الى مليلا نظموهم في التابور وارسلوهم الى ميدان الحرب خلأفا لما كانوا وعدوهم به . ولما كانوا من رعية سويسرة لا شان لهم في حرب واقية مع اسبانية فر منهم بضعة نفر قادرهم الاسبانيول وحاكموهم محاكمة « البلط » (الفاربن من العسكر) وحكموا عليهم بالقتل ونفذ فيهم الحكم رميا بالرصاص مع أنهم لم يكونوا متطوعين في جنده اسبانية وانما سيقوا الى الحرب جبرا وقهرأ بعد أن خدعوا بقول الحكومة الاسبانية لهم انهم يكونون في مليلا عملة كما كانوا في برشلونة . قال هذا الرجل السويسري الزورينجي — فالتزمنا أن نشهد وقائع من أشد واهول مايتصور العقل كانت غالبا خسائر الاسبانيول فيها افدح من خسائر المغاربة . وذكر واقعة قال ان الاسبانيول خسروا فيها وحدها اربعة آلاف مقاتل : وهو يحزر مجموع خسائر الاسبانيول بستين الف مقاتل

ثم قال — اننا مللنا ائتمال ونحن لا ناقة لنا في الامر ولا جمل ففررنا الى جهة العرب فأخذونا الى عبد الكريم فامر بانتظامنا في الجيش فبعد ان كنا نقاتل في صف الاسبانيول صرنا نقاتل الاسبانيول، وكنا في كلا الحالين مكرهين لا ابطالا . فبعد أن شهدنا عدة وقائع لاحت لنا فرصة للفرار ففررنا املا بالوصول الى ساحل البحر ومنه نجد فلـكا يأخذنا الى اوروبا فكانت وقعتنا بالقرب من قرية عربية فقبضوا علينا وساقونا الى الامير عبد الكريم فايقنا في أنفسنا بالهلكة وقلنا يصيدنا هنا ما أصاب رفاقنا عند الاسبانيول فلما وصلنا الى الامير كان منه ان قال لنا — نعم يحق لكم ان تفروا لانه طال عليكم الغياب عن اوطانكم ولكن اخطأتم

« ١ » قال في معجم البلدان : برشليانة يسكن اللام وياء والف ونون بلدة بالاندلس

من اقاليم كبله

بانكم لم تجربونا بهزيمتكم حتى نؤدي اليكم نفقة الطريق. ثم نقدانا (١) مبلغا يكفي نفقتنا وارسلنا الى جهة ركبتنا منها البحر الخ . ويدكر هذا السويسري بعد ذلك الفرق بين الاسبانيول والمغاربة مما هو ظاهر للعيان من سياق هذه القصة ان الذي يربطنا بعيد الكريم وقومه ليس انهم مسلمون فقط ولا انهم معدودون من الامم الشرقية ولو كانوا من الغرب - بل لكوننا مقيدين وايامهم بسلسلة طويلة فهي متصلة الحلقات لا خرم فيها من اولها الى آخرها . ومن المحال ان يفوز المغربي في الريف أو في أي مكان آخر بدون ان ينتشق اخوه المشرقي ارج الفرج ولو على بعد الوف من الفراسخ وهذا أمر يعرفه الاوريون جيدا لذلك تجدهم متضامنين متكافلين في وجهنا مهما اشتدت الشحنة بينهم في بلدانهم . وهاك مثالا وقع معنا نحن الوفد السوري -

انه لمعلوم كون فرنسا منافسة اسبانية في المغرب . واسبانية لاتود فرنسا، وأكثر الخلاف بينهما على مسألة طنجة ، فذهب مرة احد زملائنا اعضاء الوفد السوري لمقابلة المندوب الاسباني في جمعية الامم نظير غيره من مندوبي الدول الذين قابلناهم وشرحنا لهم قصة سورية . الا انني لم اكن والحمد لله حاضرا هذه المرة . مقابلة المندوب الاسباني ولي بل كان الرصيف وحده . فما كاد يفتح له حديث الاستقلال وحق سورية في الاستقلال الا وجد المندوب الاسباني نفر وانتثر وقال له - « نحن لانساعد ابدا امثالكم على الاستقلال ويكفيما ما عندنا من مسألة الريف » وصادف أن رصيفنا لم يكن يريد اغضابه ظنا بان مرضاته ربما تفيد شيئا وأنه هو أيضا ممن يعتقد المصانعة وكتمان الضمير في السياسة، فأخذ يبرهن له على اهلية سورية للاستقلال ويؤكد له وجود قسم كبير فيها من المسيحيين . وشرع الاسبانيولي يرد عليه بأن المسيحيين في سورية هم فئة قليلة فأجابه رقيقنا - لا بل عندنا مسيحيون نحو الثلث . وأخيرا فصل السياسي الاسباني الخطاب بأنهم هم اي الاورو بين لا يجدر بهم ان يساعدوا أمة شرقية

(١) يقال نقدته الدراهم وتقدها له على الزيادة بمعنى اعطيته إياها

على الاستقلال ولو كان فيها مسيحيون . واتى بهذا الجواب المقشر بدون ادنى محاباة ولا محاباة . فليُنظر اذا الشرقي وليتأمل .

هذه قضية لم نأخذ منها النتيجة عقلا بل اخذناها نقلا بل شفها من فم مندوب اسبانية في جمعية الامم . بكرة هؤلاء استقلالنا بالشام لئلا تشتد بقوتنا نحن عزائم اهل الريف ، ولو كان الاسبان اصدقاء الفرنسيين . أبعد هذا شك في وجود التضامن بينهم ووجوب . التضامن لا يديننا وبين كل امة اسلامية فقط بل كل امة شرقية بل كل امة مظلومة متهورة مسلمة او غير مسلمة ؟ اذا فليحي محمد بن عبد الكريم . لان قضيته هي قضيتنا . الايان — (ش)

(المنار) ان فيما ختم به مقاله امير الكتاب ، لموعظة وذكرى لاولي الاباب ، ومن العجب العجيب ، أن اهل الشرق كافة ، والمسلمين منهم خاصة والافريقيين منهم على الاخص . لم يحفلوا بأمر هؤلاء الريفين على اعجابهم بيسالهم ، وعلمهم بقلّة لوسائل التي بأيديهم ، ولو كنا أحياء كالافرنج الذين يتعاونون على استعبادنا ، ويتكافلون المتنازعون منهم فيما بينهم في كل ما يقضون به علينا ، — لكننا أجدر برسالة المتطوعين الى الريفين ، من الانكايذ بالتطوع مع الاسبانيين ، واننا نرى نهضة شعبنا المصري قد دخلت في كل طور من اطوار حياة الامم الا طور الجهاد بالنفس ، والتمرن على فنون الحرب ، أفلم يكن يجدر بهم أن يعتنموا مثل هذه الفرص — حرب طرابلس وحرب الريف — فيرسلوا حملات المتطوعين من شبانهم التي دلّتنا الثورة الاخيرة على شجاعتهم فيها وعدم مبالاتهم بالرمصاص في اثنائها ، وان يجدوا من ضباطهم الذين في « الاستيداع » من يقود حماهم ويدربها ؟ بلى والله ثم بلى .

فان كان هذا طور جديد لما يتح لهم فما بال أغنيائهم الذين حمد العالم لهم بذلم المساعدة للدولة العثمانية في حروبها ولا سيما حرب طرابلس الغرب وحرب الاناضول لا يمدون ايديهم السخية لمساعدة هؤلاء المنكوبين حتى ان جمعية الهلال الاحمر لم تبال بهم ، كلها لا تشعر بوجودهم ؟

الخلافة والسلطان القومي

— وجهة نظر الترك الى هذه المسألة الكبرى —

صدر من أنقرة كتاب بالتركية بعنوان « الخلافة والسلطان القومي » يقع في ٧٨ صفحة ، هو مجرد من اسم المؤلف واسم المطبعة واسم البلد الذي طبع فيه ، ولكن مهما اراد واضعوه أن ينكتموا فإن موضوعه ومادته وكل شيء فيه ينم على حقيقته . وهو مطبوع أجمل طبع على ورق جيد ، ومناسق تنسيقاً يشهد لوضعيه بأنهم بذلوا الجهد في التأنيق به وإفراغه في الثقال الذي أرادوه له ويرجح أن حكومة المجلس الوطني الكبير هي التي نشرت كتاب « الخلافة والسلطان القومي » تأييداً لخطتها في هذه المسألة الإسلامية الكبرى ، وقد تواتر أمر نشره في العالم كله مديرية الاستخبارات لأن ذلك داخل في دائرة اختصاصها أما أصحاب المعلومات التي تضمنها هذا الكتاب فهم أنفسهم الذين أعدوا للنغازي مصطفى كمال باشا المادة الدينية والعلمية من خطبته الشهيرة في الخلافة... يتألف كتاب « الخلافة والسلطان القومي » من مقدمة وفصلين وخاتمة . أما المقدمة ففي اختلاف وجهة نظر الفرق الإسلامية — كالخوارج والامامية والباطنية وغيرها — الى الخلافة وهل هي ضرورية أم لا ؟ . وأما الفصل الاول ففي تعريف الخلافة وتقسيمها الى حقيقية وصورية وفي شروطها وكونها في قریش ، وفي أنها من نوع عقود الوكالة ، وفي الغاية منها وما يترتب على ذلك من واجبات الخليفة ومسؤوليته ، وفي الولاية العامة والسلطان القومي . وأما الفصل الثاني ففي التفریق بين السلطة والخلافة وهو بيت القصيد في الكتاب ، والفصل كله يدور حول الاقتناع بجواز ما صنمته حكومة أنقرة في الخلافة الإسلامية . ولأن هذا الفصل هو المقصود من الكتاب فقد جعلت الخاتمة أيضاً في هذا الموضوع ولزيادة تأييده ومما أراد مؤلفو الكتاب اثباته أن الخلافة الإسلامية ليست من مسائل

الدين بل هي مسألة دنيوية وسياسية (ذكروا ذلك في المقدمة ثم في متن الكتاب) وبعد أن نقلوا عن (شرح المقاصد) تعريف الخلافة بأنها «رياسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم» ونقلوا عن (المسيرة) لابن الهمام أنها «استحقاق تصرف عام على المسلمين» قالوا إن المعنى الذي تدل عليه كلمة «الامامة» هو المعنى الذي يراد الآن من لفظ «الحكومة» والاسلام ليس فيه رياسة دينية لاحد، حتى أن (مشيخة الاسلام) لما ابتدعه العثمانيون ولم يكن هناك مقام رسمي ديني في الحكومات الاسلامية السابقة له هذه الصفة من الرياسة الدينية، وغاية ما في الباب أن شيخ الاسلام له صفة الفتوى لا يمتاز عن المفتين في شيء، والمفتي هو العالم وفتواه متى كانت صوابا صحيحة سواء كانت فتوى رسمية أو غير رسمية

ثم قسم واضعو الكتاب الخلافة الى حقيقية وصورية، فالخليفة الحقيقي هو الجامع لكل الصفات والشروط المطلوب وجودها في الخليفة، وأن تكون الامة قد اختارته وبايعته برضاها واراقتها، وأن يكون فضلا عن هذا وذلك مجردا من الاغراض الدنيوية والطامع الختامة وان تكون له على الامة شفقة الاب علي بنه وأن لا ينحرف عن الشرع قيد أنملة، والخلاصة أن الخليفة الحقيقي هو الذي يسلك سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أعماله، فان لم يكن الخليفة كذلك، أو اذا لم تكن متوفرة فيه شروط الخلافة، أو أن يكون قد نال هذا المقام بالعلبة والقهر، فهو سلطان وليس بخليفة، بل ان السلطة والمالك لا يكونان مشروعين اذا قاما على الظلم والاعتساف، فلا يعتبر قضاء القاضي ولا ولاية الوالي اذا كانا منصوبين من امام أو سلطان جائر

وذكر مؤلفو الكتاب شروط الخلافة ومنها «أن يكون الخليفة من قريش» أي من أركان القبيلة القرشية، قالوا: وقريش هم بنو النضر بن كنانة الذين منهم النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم بنو هاشم وبنو أمية وبنو العباس، فهؤلاء جميعا من قريش، وذلك مذهب أهل السنة من حنفية وشافعية ومالكية

وحنا بلة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال « الائمة من قريش » وقد قرر ذلك بلسان قطمي وباطلاق تام استاذ فقهاء الحنفية وكبير من كبراء فحول علماء تركستان وهو النجم النسفي المعروف بمقتي الثقلين المتوفى في سمرقند عام ٥٣٧ هـ فأثبتته في كتابه « العقائد النسفية » الذي يدرس في جميع المدارس الاسلامية منذ عصور، وهو من الكتب المقررة في المدارس الدينية في الآستانة الى يومنا هذا ، ولذلك قال العلامة التفتازاني في (شرح العقائد النسفية) ان الامر أصبح مشكلا بعد انقراض الخلافة العباسية لان الخلافة القرشية قد زالت بزوالها

واستنتج واضعوا كتاب « الخلافة والسلطان القومي » من ذلك أنه ما دام

واجبا على المسلمين اقامة الخليفة ، وما دام الخليفة لا بد أن يكون من قريش

فان من الواجب تحويل ذلك الى اقامة حكومة فقط لتعذر وجود خليفة جامع

للصفات والشروط اللازمة ، ولا يكون المسلمون آثمين اذا أقاموا حكومة تحمل محل الخلافة ولا حاجة حينئذ الى أن تكون هذه الحكومة حكومة الخلافة ولا الى أن يكون رئيسها خليفة (أنظر ص ٢٢ من هذا الكتاب) ولذلك لم يذكر العلماء المعاصرون للسلطان سليم الاول على هذا السلطان حملة الخليفة (المتوكل على الله العباسي) على أن يفرغ له الخلافة سنة ٩٢٣ هـ مع أنه فعل ذلك على مرأى منهم في جامع آيا عوفية ، ومع ذلك فإن خلافة السلطان سليم الاول خلافة صورية وليست خلافة حقيقية

ولذلك لم يعبا أحد في العالم الاسلامي بل ولا في جزيرة العرب لادعاء الشريف حسين الخلافة واعلانه ذلك مع أنه في مكة ومن قريش بل ومن بني هاشم ولم يكده المجلس الوطني الكبير يعان أنه أجاس في مقام الخلافة حضر عبد المجيد حتى ارتفع صوت الاجابة والبيعة من جميع أنحاء العالم الاسلامي ، ولو بالتقول على الأقل ، وعلى ذلك فان مما يوافق الحكمة حصر المجلس الوطني الكبير الخلافة في آل عثمان

ثم تسأل مؤلفو الكتاب عما إذا كان رجل جامع في نفسه شروط الخلافة أكثر من كل رجل آخر في العالم الاسلامي هل يكون خليفة بنفسه ؟ وأجابوا أنه لا يكون خليفة ما لم يخوله الامة حق التصرف العام عليها ، ونقلوا عن الماردي في (الاحكام السلطانية) أن الخلافة عبارة عن نوع من أنواع العقود فيما بين الامة الاسلامية والخليفة ، فهو من نوع عقود الوكالة ، ولذلك كانت العمدة في انعقاد الخلافة انما هي الشورى ، حتى إن البيعة بنفسها تفيد معنى العقد كالبيع والشراء

والموصول الى مقام الخلافة طريقان اما البيعة العامة ، أو استخلاف الخليفة ولي عهده ، فالاول هو الاصل والثاني متفرع عنه ، بشرط توفر شروط الخلافة فيمن يتولاها في كل من الحالتين ، وأما الارث فلا تجوز الخلافة به لان الوكالة لا تورث ، وذكرنا طريقا ثالثا لاحراز الخلافة وهو طريق القهر والغلبة ، وذلك لا يكون بطبيعة الحال الا في الخلافة الصورية دون الحقيقية ، فاذا ثار عليه متغلب آخر وغلبه ينزل الاول بثغاب انثاني

والخليفة لا يملك حق التصرف في أمور المسلمين بما فيه ضررهم أو ضرر أفراد منهم وان كان الضرر قليلا ، وتصرفه من هذا القبيل لا يعد معتبرا ولا نافذا لو تصرف بشبر من الارض العامة لغير مصلحة يكون تصرفه لاغيا والخلافة ليست معقودة لنفسها بل تكون وسيلة لشيء آخر وهو الحكومة فالغاية منها توزيع العدل وصيانة الملة ، بل تلك هي الغاية من الشرع نفسه ، وانما استفحل ملك الاسلام يوم كان ينظر الى الشرع والامامة بهذا النظر ثم اضمحل الاسلام وأمله لما انصرفت الامامة عن واجباتها هذه الى ما يخالفها ، ففرق العالم الاسلامي في جهل كثيف وتولاه تعصب منفعن وكانت نتيجة هذا وذاك سقوط الملة الاسلامية في حمأة الفقر والسفالة

ومسؤولية الخليفة عظيمة ، بل ليس في الاسلام فرد مجرد من المسؤولية وقد ورد في الحديث « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » فالامام راع

وهو مسئول عن رعيته »

اما ما ورد في قانون الدولة العثمانية الاساسي من أن « السلطان مقدس وغير مسئول » فانما اقتبس من قوانين اوربا الاساسية وهو يناقض الشرع الاسلامي كل المناقاة، لانه ليس أحد من الناس مقدساً في حكم الشريعة الاسلامية. فالقدس هو الله وحده، واذا كان في المخلوقات شيء مقدس فانما هي الحقوق لانها أمانة الله بين يدي من يتولاها. فالامام اذا عيث بهذه الحقوق وظلم الامة فهو واقع تحت حكم الحديث الشريف « أشد الناس عذاباً يوم القيامة امام جائر »

وأما الولاية العامة التي هي الامام (الخليفة) على المسلمين فانما هي ولاية تفويض ، فاذا خلع الخليفة أو تخلى عن منصبه سقط عنه حق الولاية العامة وعاد فرداً كأفراد الناس ، وهذا هو معنى السلطان الشعبي تماماً

وما جاء في الكتب الاسلامية من وجوب نصب الخليفة فانما نظروا فيه الى أن الامة لا يمكنها أن تتولى بمجدها القيام بمهامها العامة فقضوا بتفويض هذه المهام العامة الى الامام او الخليفة ، وهم انما يريدون أن من الواجب على الامة الاسلامية ألا تكون بلا حكومة ، وهم يقولون في كتبهم إن المقصد الاصيل من نصب الامام انما هو سد الثغور وتجهيز الجيوش وقامة الحدود وقطع النزاع وفعل الخصومات واقامة الشماثر الدينية ، وهذا الامر كما يقوم به الامام العادل المدير يمكن أن تقوم به (حكومة) مهما كان شكلاً اذا كانت ذات أنظمة صالحة فالقصد هو أن لا تضيع حقوق الناس وأن لا تختل مصالح الملة ، فالولاية العامة كما تكون للخليفة تكون للحكومة « المنتظمة العادلة »

وأخذ مؤلفو الكتاب يبرهنون على صحة غرضهم وهو أن الحكومة تقوم مقام الخلافة لان الخلافة انقطعت منذ أمد طويل والخلفاء الذين نعرفهم كلهم خلفاء صوريون غير حقيقيين بل ان الخلفاء العباسيين أيضاً كذلك ، وجعل مؤلفو الكتاب يردون على العلابة التفتازاني (انظر ص ٥١) اقول في شرح العقائد النسفية : إن أهل الحل والعقد من أئمة الدين التفتازاني على خلافة آل

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، واستدلوا من عدم رضا الامام أبي حنيفة بتولي وظيفة القضاء أنه كان خارجا على الخلافة العباسية وغير معترف بها ولما انتبهوا الى ما ثبت في التاريخ من ولاية الامامين أبي يوسف ومحمد القضاء للخلفاء المهدي والهادي والرشيد ، وهذان الامامان كانا صاحبي أبي حنيفة وعلى أقوالهما قام مذهبه ، رجعوا فقالوا ان ذلك لا يدل على اعترافهما بالخلافة الحقيقية لهؤلاء الخلفاء — ونقلوا عن ابن الهمام في (المسيرة) أن قبول منصب القضاء والولاية من السلطان الظالم الفاسق جائز وصحيح ؟ ، وقد شحنوا عدة صفحات من كتبهم بانتقاص خلفاء الملة الاسلامية من اقدم الازمان الى الآن ولم يستثنوا غير الخلفاء الراشدين الاربعة وواحدا أو اثنين آخرين وسلبوا سائر خلفاء الاسلام كل مزية ليبرهنوا على أن الخلافة يجب أن تهمل وأن الخليفة يجب أن يسلب كل سلاطة

ثم قالوا : بما أن الخلافة عقد وكالة فالامة لها عند البيعة أن تشرط على الخليفة ما تشاء فان قبل فذاك ولا بايعت من يقبل شروطها ، هذا طريق ، وطريق آخر وهو أن يجرد الخليفة من كل شيء ويهد بوظيفته الى أشخاص آخرين ، قالوا ولنا قدوة في التاريخ يوم تولى الملوك الادارة عن الخلفاء وجعلهم لا يتدخلون في أمر ، ولا يتولون للامة عملا

قالوا (ص ٥٩) . وان فريقتا من الناس في زماننا يترددون في تجويز تقييد الخليفة الى هذا الحد الذي تنفصل فيه السلطة عن الخلافة وهم مخطئون في ترددهم فان علماء مصر جوزوا ذلك ليس الآن بل قبل ستمائة سنة حيث بايعوا المستنصر بالله العباسي بيعة صورية وكان الحكم والعمل في يد الظاهر بيبرس . وقد أقر ذلك العز بن عبد السلام من كبار علماء الشافعية . قالوا (ص ٦٠) . ومعلوم أن علماء الشافعية لا يتساهلون في الامور الشرعية كما يتساهل الحنفية ومن الجواز أن نقول انهم وافقوا سلطان مصر على ذلك رياء فالعز بن عبد السلام من اشد العلماء صلابة في أخلاقه ودينه وتمسكا بعلمه اه

﴿ انتقاد المنار لكتاب خلافت وحاكيت مليه ﴾

هذا ما لخصه قلم الترجمة لجريدة الاهرام من كتاب (خلافت وحاكيت مليه) لم نحذف منه الا بعض الجمل الاستطراذية للمترجم الذي فاته بعض المسائل المهمة منه ، وما ارتآه في تعيين مؤلفيه بايعاز حكومة أنقرة التي نشرته أما كون الكتاب قد نشرته (ادارة الاستخبارات التركية الرسمية) فاننا نعلمه ولا نشك فيه وأما كون جامعه ومؤلفه فرداً أو جماعة فلا شأن له عندنا فاننا ننظر الى القول لا الى القائل ، واننا ننتقد أهم ما نراه في هذه الخلاصة منتقدا فنقول : —

(١) قولهم « ان الخلافة ليست من مسائل الدين بل هي مسألة دنيوية وسياسية » ان أرادوا به أنها ليست من المسائل الاعتقادية المحضة لأنها عملية وليست من العبادات — بل هي من الاحكام الشرعية العملية التي يعبر الفقهاء عنها بالمعاملات — فقولهم يكون صحيحا لكنه لا يفيد ما يظهر أنهم قصدوه به وان كان هو اللائق باطلاعهم وان أرادوا به أنها من الامور الدنيوية المباحة التي لم يوجبها الدين الاسلامي فقولهم باطل باجماع المسلمين كما بين ذلك المتكلمون والفقهاء ، ولو ترجم لنا الكتاب كله لامكثنا منه معرفة مرادهم ، قال صاحب جوهرة التوحيد :

وواجب نصب امام عدل بالشرع فاعلم لا يحكم العقل

(٢) تقسيمهم الخلافة الى حقيقية وصورية تهسيم مبتدع ، وانما قسمها علماء العقائد والفقهاء الى امامة حق وهي ما كانت على الوجه الشرعي من اختيار أهل الحل والعقد المستجمع للشروط — وامامة تغلب وهي ما يقابلها . وقد فصلنا ذلك في كتاب (الخلافة) والخلافة الحقيقية قد تكون كاملة كخلافة الراشدين ومن كان على هديهم كعمر بن عبد العزيز ، وقد تكون ناقصة على تفاوت في النقص اذ بعضه يقرب من الكمال وبعضه يبعد عنه وقد اشترطوا في الخليفة الحقيقي شروطاً لم يقل بها أحد من أهل السنة ككون

شفقته على جميع المسلمين كشفقته على بنه وعدم انحرافه عن الشرع قيد انملة ،
ويقرب هذا من اشتراط بعض الشيعة فيه العصمة

(٣) قدفات ملخص الكتاب بالعربية أن يذكر زعم مؤلفي الكتاب ان الخلافة
الحقيقية محصورة في الراشدين واستدلواهم على هذا بحديث « الخلافة بعد ثلاثون
سنة ثم تكون ملكا عوضا » وحكمهم بصحته كما في (ص ١٣)

ونقول قد اشتهر هذا الحديث على الالسنه على عدم صحته لسببين (احدهما) أنه
يذكر في دلائل النبوة وما كان كذلك لا يعنى العلماء عادة باءلاله اذ لا يخشى
منه اثبات شيء باطل (وثانيها) ان اعداء بني امية كانوا يقصدون به الطعن
في خلافتهم فيرجونه لذلك . وقد ذكر معناه العلامة النسفي في كتاب العقائد
واستدل له شارحها العلامة التفتازاني به باللفظ الذي جاء في كتاب (خلافت
وحا كيت مليه) ثم قال : هذا مشكل لان أهل الحل والعقد من قد كانوا
متمقين على خلافة الخلفاء العباسية وبعض المروانية كعمر بن عبد العزيز مثلا .
ولعل المراد ان الخلافة الكاملة التي لا يشوبها شيء من المخالفة وميل عن المتابعة
تكون ثلاثين سنة وبعدها قد تكون وقد لا تكون اه كلام السعد

وقال ملا احمد في حاشيته عليه ان الحديث اخرجه الترمذي في الفتن والنسائي
في المناقب وابن حبان من حديث سفينة بالفاظ متقاربة واخرجه ابو داود بلفظ
خلافة النبوة ثلاثون ثم يؤتي الله الملك من يشاء اه

اقول حديث سفينة رواه الامام احمد ايضا ولفظه عند غير أبي داود « ثم
ملك بعد ذلك » ولم أره في النسائي . وقد انفرد به سعيد بن جهمان عنه
عندهم كماهم وقال الترمذي حديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد بن
جهمان ولا نعرفه الا من حديثه اه والصواب انه ضعيف وان وثق احمد سعيدا
فقد ضعفه غيره والجرح مقدم على التعديل وقد بينوا سببه . قال يحيى بن معين : روي
عن سفينة احاديث لم يروها غيره وارجوا انه لا بأس به وقال ابو حاتم يكتب حديثه
ولا يحتج به . وقال البخاري في حديثه عجائب . وقال الساجي لا يتابع على حديثه .

وتصحیح ابن حبان وحده له لا يعتمد به لتساهله في التصحيح قال رواة الحديث قال سعيد : ثم قال سفينة أمسك خلافة أبي بكر - ثم قال وخلافة عمر وخلافة عثمان ، ثم قال أمسك خلافة علي - فوجدناها ثلاثين . قال سعيد نقلت له ان بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم - قال كذبوا بنو الزرقاء هم ملوك من شر الملوك . وايس في شيء من ألفاظ هذا الحديث « ثم تكون ملكا عضوضا » ولكن ورد هذا اللفظ في سياق حديث آخر غير حديث الخلافة ثلاثون سنة

ثم ان هذا الحديث على لفظه معارض بأحاديث صحيحة منها حديث « لا يزال هذا الدين عزيزاً الى اثني عشر خليفة كلهم من قريش » الخ رواه مسلم وأبو داود وغيرهما وهو في البخاري بلفظ « يكون اثنا عشر أميراً كلهم من قريش » وحديث مسلم « وستكون خلفاء فيكثرون » قالوا فما تأمرنا ؟ قال « فوا بيعة الاول فالاول » وحديثه « يكون في آخر أمتي خليفة يحكي المال حثيلاً لا يده عدا » فما فسر السعد به حديث أسامة لا مندوحة عنه ، وقال بعضهم ان المراد بالخلافة فيه خلافة النبوة وهو لفظ رواية أبي داود والمراد بها الكلمة بزهد الخلفاء واعراضهم عن زينة الدنيا وعظمة الرياسة وهذا الكمال ايس بشرط لصحة الخلافة بل هو مزيد كمال فيها ولكن لا يقتضي ذلك أن تكون الخلافة بدونه مورية . فان معنى الخلافة رئاسة الحكومة الاسلامية المستجبة للشروط التي ذكرنا المجمع عليه منها عند اهل السنة ومنها كونه من قريش ، وما زاده مؤلف أو مؤلفو كتاب (خلافت ...) باطل أريد به باطل

(٣) انهم أرادوا من ادعاء انتهاء أجل خلافة النبوة وصيرورة رئاسة الحكومة الاسلامية ملكاً ومن اشتراط كون الخليفة الحق كالنبي الذي يخلفه بغير فرق ومن اشتراط النسب القرشي فيه أن وجوده متعذر وان تعذره يجعل المسلمين في حل من نسخ امامة الاسلامية العظمى واستبدال حكومة أخرى بها لا يكون رئيسها اماماً للمسلمين ولا خليفة للرسول صلى الله عليه وسلم في سياسة الدنيا واقامة الدين ، وهو ما صرحوا به في الصفحة الثانية والعشرين

ونقول إن الخوف من مثل هذه الجرأة على العبث بالشرع والتلاعب بالدين هو الذي جعل بعض علماءنا العقلاء يشايعون أهل الجور التقليدي على القول بأقوال باب الاجتهاد فقد كنت أتكلم مع استاذنا الشيخ حسين الجسر في هذه المسألة فقال اننا نخاف من فتح هذا الباب أن يدعي أهل الجرأة والجهل الاجتهاد ويروج ذلك لهم الحكام الظالمون ليفتوا لهم بما يوافق أهواءهم، وذكري مثلاً على ذلك الشيوخ المقرين من السلطان عبد الحميد كاشيخ أبي الهدى الصيادي وقال ان السلطان كان يرغب في جعلهم وأن يظل لديه في (المابين) وانهم عرضوا عليه أن يفتي في بعض المسائل التي يعتد بطلانها فاعتذر وتنصل بلطف وألح في الاستئذان بالعودة الى بلده معتذراً بأن الإقامة في الآستانة تزيد في مرضه الصدري المزمن ، فلما صدرت الإرادة السنية له بالأذن ، كان كانه خرج من السجن وقد كانت شراً من السجن على محب الحق

ولكن أقوال باب الاجتهاد لم يحل دون المفسدة التي كان يخشاها شيخنا رحمه الله تعالى فقد كان مشايخ الاسلام في الآستانة كمشايخ مصر وغيرها يفتون الحكام بكل ما يطلبون منهم الفتوى فيه بإيراد نصوص مبهمه يتركون لهم الحرية في تطبيقها على النوازل بما يخالف الشريعة ، وأحدث هذه الفتاوى في عصرنا فتوى شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية لوزارة مصر بما جعلته حجة لارجاع ركب محمل الحج من جدة ومنعهم من أتمام النسك بعد الاحرام به ، والشيخان لا يبيحان هذا لو سئلوا عنه بخصوصه . وشر من هذه الفتوى وأضر فتوى شيخ الاسلام عبد الله دري افندي لحكومة السلطان محمد وحيد الدين بأن جيش الاناضول المدافع عن استقلال الدولة عاص على الخليفة خارج عليه فيجب قتالهم ومن قتل في ذلك فهو شهيد ، وهو لم يذكري جيش الاناضول وإنما ذكر عبارة مجملة عامة طبقها الحكومة عليهم ، والتقليد أعون على هذه المفسدة من الاجتهاد ، فان الاجتهاد يبيح لكل عالم أن يفند خطأ لمخطئين بالدليل كما نعمل بازرد على مؤلفي كتاب (خلافت وحاكيت مليه)

أما قولكم انه يجب على المسلمين اقامة خليفة فوصحيح وعليه أجمع اهل السنة ومن وافقهم من سائر الفرق المعتدلة كالزيدية — وقولكم ان الخليفة لا بد أن يكون من قریش صحيح أيضا وجمع عليه عند اهل السنة كما نقلناه عن كتب العقائد الشهيرة التي لا تزال تدرس في مدارس السلاطين في الآستانه وفي سائر بلاد الترك وغيرها

وأما قولكم ان وجود خليفة جامع للشروط والصفات متعذر — فهو باطل فان الشروط المذكورة في كتب العقائد والفقهاء كلها متوفرة في كثير من رجال قریش ولا سيما اذا جرينا على عدم اشتراط بعض الخنفية الذين يقلدهم الترك لم الاجتهادي فينبذ نقول لهؤلاء بم تطعنون في صدقكم السيد احمد شريف السنوسي ؟ أستم تشهدون بأنه قرشي حسني تقي صالح عادل ؟ على أنه يوجد في علوية قریش من هم أهل الاجتهاد سواء ادعوه كصديقكم امام اليمن ام لم يدعوه تواضعا كالسيد محمود شكري الآكوسي البغدادی

وقد بينا لكم في كتاب الخلافة الطريقة المثلى لاججاد كثير من المستجتمين لشروط الخلافة ، وهو تأسيس مدرسة لتخرج المجتهدين في الشرع الاسلامي يختار لها بعض الطائب من أذكاء العلويين لانه قلما توجد أنساب ثابتة لغيرهم من بطون قریش وهم أولى من غيرهم بهذا الامر إذا ساووا غيرهم في العلم والعدالة لان في المسلمين ملايين كثيرة تشترط النسب العلوي الفاطمي في الامامة العظمى فتجتمع بذلك كلمتهم مع اهل السنة الذين يكتفون بالنسب القرشي والاخص يستلزم الاعم ولا عكس . فان تعذر استجماع الشروط قبل تخرج من يتربون ويتعلمون في هذه المدرسة كما تقولون يكون نصب الخليفة الفاقد لشروط واحد أو شرطين للضرورة أولى من تعطيل هذا الفرض وازالة شكل الحكومة الاسلامية واستبدال شكل آخر به يتقيد فيه بشيء من الشروط ، بل هو الحتم اللازم

(٤) قولكم في هذا المقام : ولذلك لم ينكر العلماء المعاصرون لاس حذر

سليم عليه حمل الخليفة المتوكل على الله العباسي على التخلي له عن الخلافة —

لم نر له وجها شرعيا ولا عقليا — فعلماء الآستانة لم يكونوا أحرارا قادرين على معارضة السلطان سليم السفاك — وهم غير معصومين من الخطأ عمداً، وليسوا ممن يحتاج بقولهم فضلاً عن سكوتهم ولو بغير عذر . ومثل هذا التعليل استدلال مصطفى كمال باشا بسكوت علماء مصر لحكومتها على نصب النماثيل — على كون صنعها ونصبها غير مخالف للشرع — فهو استدلال باطل سواء كانوا معذورين في السكوت أو غير معذورين فإن منهم من يرى رجاء قبول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرطاً لوجوبه وهم متفقون على أن الخوف على النفس يسقط الوجوب عملاً بحديث «من رأي منكم منكراً فليغيره بيده» فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان» رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن من حديث أبي سعيد مرفوعاً على أنه يجوز أن يكون من هؤلاء . وأوائك من أنكر سرّاً أو جهراً ولم ينقل إنكاره (٥) قولكم : ولذلك لم يعبأ أحد في العالم الإسلامي ولا في جزيرة العرب لأدعاء الشريف حسين الخلافة وإعلانه ذلك الخ نقول عليه — أولاً — أننا لم نر الشريف حسين دعوى من بحجة الخلافة شيئاً وطالب المبايعة عليها ، وإنما قدم له بعض السوريين - سرزوين - شعوراً مصنوعاً بالمبايعة من بعض أهل الشام فسر به بل يده بعضهم فعلاً تقرباً ليحصل في عهده ثم آخرون تقرباً إلى عبد الله من خدم حكومته . . . — وثانياً — وخطبه بعضهم بلقب أمير المؤمنين فسر به ورغب في تعميمه بقدر طاقته ، ولو ادعى الخلافة جهراً وصراحة لكاف أهل الحجاز بمبايعة بها وأعلنها كما يعلنها ولده عبد الله في شرق الأردن — وثالثاً — أن العالم إذا لم يعبأ بدعوة الشريف الخلافة على فرض وقوعها فلا يعتل أن يكون لعدم اعتداده بإجماع أهل السنة باشتراط النسب القرشي لها ولا لعدم احترامه للحرمين الشريفين ومن يتولى خدمتهما ، كيف وأنتم تلقبون خليفتمكم الصوري أو الأسعي بخادم الحرمين الشريفين لأنكم ترون هذان لوازم الخلافة وإن كانت دعوى خدمتهما باطلة ؟ — ولكن العالم الإسلامي يعتقد في جملته أن هذا لرجل آلة في يد أعداء الإسلام وخطر عليه وعلى الحجاز وأنه غير مستجمع

لشروط الخلافة الكسبية التي يمتاز بها قرشي على قرشي — ورابعاً — ان ارتفاع أصوات الاجابة لبيعة عبد المجيد أفندي « ولو بالقول على الاقل » كما قلتم لا يدل على ما تريدون وهو أن يشايحكم العالم الاسلامي على اقامة خلافة صورية مبتدعة لا يكون ممثلها رئيساً لحكومة اسلامية تقيم الشرع ، وسنبين وجهة نظر العالم الاسلامي في هذه المسألة في مقال آخر اذ لا يحتمله هذا التعليق

(٦) قولكم ان الخلافة غير مقصودة لنفسها بل وسيلة لشيء آخر هو الحكومة التي تقيم العدل وتصون المصلحة — الصواب فيه أن يقال إنها رئاسة الحكومة الاسلامية التي تقيم العدل وتصون الدين وتحفظ استقلال الامة الاسلامية — لا أنها شيء آخر — فاذاً لا يجوز اسقاطها واستبدال شكل آخر من أشكال الحكومات بها — وبقول مثل هذا في قولكم ان الغاية التي ذكرتموها هي المرادة من الشرع نفسه أيضاً . أعني أنه لا يجوز للمسلمين اهمال الشرع الاسلامي والاستغناء عنه بشرع آخر بدعوى انه وسيلة للعدل وحفظ الامة مثله ، ولو جاز هذا للمسلمين لجاز أن يقولوا إن المقصد من الدين نفسه تزكية النفس بعبادة الله تعالى وفعل المعروف وترك المنكر فلا بأس بطلب هذا المقصد باتباع دين آخر يقصد به هذه الغاية ان اقيستكم التي اتخذتموها أدلة لاسقاط حكومة الخلافة ونسخها بحكومة ما تسمونه الحاكية القومية باطلة شيطانية تؤدي الى اباحة ترك الاسلام برمته وأنتم لا تشعرون بذلك

فان قلتم اننا نريد تقييد حاكميتنا المالية بالشرع الاسلامي — ولكن لما كان الخليفة مشروط فيه أن يكون قرشياً فنحن لا نرضى أن نجعل رئيساً لحكومتنا من ليس من نسبنا ، ولا ن نصحى رئيس حكومتنا التركي خليفة لان هذا تزوير على ديننا وقد قلنا ان كتب العقائد التي تقرأ في جميع مدارسنا الدينية مصرحة بالاجماع على اشتراط النسب القرشي في الخليفة (قلنا) اذا كان هذا رأي مجلس حكومتكم فليصرح به وليترك إقامة خليفة صوري ليس له في حكومته أمر ولا نهي فان هذا أبعد عن الشرع وأبعث على العبث به من جعله رئيساً لحكومة اذ رئيس

الحكومة إذا ادعى الخلافة مع فقد بعض شروطها تصبح تسميته خليفة متغابا وتجب طاعته على من يبايعونه الا في معصية الله تعالى بل على جميع من يتغلب عليهم وان لم يبايعوه. فلما الامام الحق المستجمع للشروط فيجب اتباعه على جميع المسلمين ويعد المتغلبون الذين يرفضون اتباعه بغاة يجب قتالهم عند الامكان وأما الخليفة الاسمي الصوري فان هذا اللقب لا يجعل له أدنى حق في طاعة أحد

(٧) ما ذكرنا في المسألة السادسة يغنينا عن اطالة القول في تنفيذ كلامكم الذي زعمتم فيه أن ما ذكره العلماء من الواجبات على الخليفة من اقامة الحدود وفصل الخصومات، واقامة الشعائر، وتجهيز الجيوش . وغير ذلك يمكن أن تقوم به حكومة مهما يكن شكلها اذا كانت ذات أنظمة صالحة فنكتفي بأن نقول فيه : إن هذه الأنظمة لا بد أن تكون موافقة للشرع وان تراعي أحكامه في رئيسها (٨) ان ما علاتم به عدم قبول الامام أبي حنيفة لتولي القضاء وهو الخروج على الخلافة العباسية باطل لا يمكن اثباته بل كان خاضعا لحكمهم وامامتهم في صلاة الجمعة وسائر أحكامهم ، وقد علمه غيركم بأنه كان مبايعا في السر لاستاذه الامام زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام ولم يثبت . وأما ما فرقتم به بينه وبين الامام أبي يوسف فهو من الترجيح بين المتساويين بغير مرجح

(٩) استدلالكم على جواز تجريد الخليفة من السلطة وجعل الخلافة صورية بما سبق له من المثل في التاريخ وسكت عنه العلماء من أظهر الباطل كما تقدم مثله في الكلام على سكوت علماء الأستانة للسلطان سليم ، ففي التاريخ ضلالات وظلم وكفر كثير . . .

فخلاصة القول في هذا الكتاب أنه يحرف أحكام الشرع في الحكومة الاسلامية ويزيد فيها وينقص . يثبت جواز جعل خليفة الرسول في أمته مرءوسا لحكومة لا أمر له فيها ولا نهى . وبشروط فيه أن يكون من بيت خاص من الشعب التركي بدلا مما أجمع عليه المسلمون من جعل الخليفة الحق من عشيرة

الرسول (ص) أوقيه ، ولا يشترط فيه العلم بالشرع لانه لا دخل له في التشريع ولا في تنفيذ الشرع . وجواز جعل الحكومة الاسلامية شعبية أوقومية يكون التشريع فيها في كل شعب لجماعة منتخبة منه لا يشترط فيهم العلم بالشرع الاسلامي اجتهاداً ولا تقليداً . والعجب لمن يريد هذا كيف يجراً على جعله إسلامياً ؟

بريطانية وبلاد العرب

معنى المعاهدة الجديدة في نظر الانكليز

عقدت جريدة « النيوسبيسان » الانجليزية المقال الآتي في مشرع المعاهدة العربية البريطانية فترجمته جريدة الاخبار ورأينا أن ننقله لاطلاع قرائنا على افكار الانكليز في قومنا وفي الملك حسين واولاده لعلمهم يعتبرون . وهذا نص الترجمة :

ظاهر من الحوادث التي جرت في الاسابيع الاخيرة القليلة أن العلاقات بين بريطانيا العظمى والعالم العربي قد شارفت نقطة التحول وماله دلالة خاصة على اتجاه التيار إتمام «الثالوث الشريف» بترقية الامير عبدالله الى ما هو على الاقل شبيه بالعرش . ذلك أن السر هربرت صمويل في آخر مايو زار الامير في عاصمة عمان وأعلن أن بريطانيا العظمى تعترف بوجود حكومة مستقلة شرقي الاردن . ولا بد من موافقة عصبة الامم قبل أن يصبح هذا الاعتراف تاماً ولكن هذا اجراء رسمي لن تقوم في سبيله صعوبة ما . على أن اعلان السر هربرت صمويل مفرغ في قالب الحيلة . فقد اقتصر على الاعتراف بعد الاردن كحكومة مستقلة واستخدم عبارة غامضة بعض الغموض لا تجعل التحليل الدقيق وأما استدعى هذا الاحتياط ضرورات الحالة من جهة والانداب لفلسطين من جهة أخرى . ذلك أن شرقي الاردن — الذي لا يتجاوز تعداد سكانه ٣٥٠.٠٠٠ ولا مساحته سبعة آلاف ميل مربع — لا يكاد يستطيع في الوقت الحاضر أن يقف على قدميه وحده وهو لم يبلغ درجة يستطيع معها أن يستغني

عن المستشارين البريطانيين أو المعونة البريطانية التي تبلغ في السنة المالية ١٥٠.٠٠٠ جنيه انجليزي

وأما الانتداب فيشمل فلسطين قاطبة وفي جملتها شرقي الاردن وغربه على السواء وقد أعلن أن بعض نصوص الانتداب وبخاصة ما يتعلق منها بالوطن القومي لليهود لا ينطبق على غير الاردن . والانتداب نافذ معمول به، وقد أعلنت بريطانيا العظمى عصبية الأمم في سبتمبر الماضي أن حكومة عبر الاردن ستظل سائرة تحت اشرافها العام (اشراف بريطانية) وعلى هذا فليس ثم استقلال تام في الوقت الحاضر على الأقل . ولكن هذا الاعلان الذي صدر (بالاعتراف بالاستقلال) له مغزاه على كل حال ، وهو يعني أن عبر الاردن مقدور له أن ينفصل عن فلسطين الغربية وأن يصبح دولة عربية تنظر جنوبا الى الحجاز وشرقا الى العراق (?)

ولكن هذه ليست الا مرحلة واحدة في عملية كبرى لقد لمح السر هربوت صمويل في خطابه تلميحاً جلياً الى أن المركز الجديد الممنوح للامير عبد الله يجب أن يفسر في ضوء المعاهدة التي توشك أن تعقد بين بريطانيا العظمى والملك حسين . وهذه المعاهدة هي آخر حلقة في سلسلة من المعاملات يرجع مبدؤها الى ١٩١٥ فقد كان دخول الشريف في الحرب مسبوقاً بمكاتبات طويلة غير حاسمة بين مكة والقاهرة وكانت آراء الشريف السياسية غامضة مضطربة ولكن الذي كان يتطلع اليه دون أن يستوضحه هو انشاء امبراطورية عربية بمساعدة بريطانية أو على الأقل اقامة اتحاد عربي يدور على محور شرقي ولم يدخل الميدان الا بعد أن ارتبطت بريطانيا العظمى بتعهدات مفرغة في لهجة بيانية أكثر منها سياسية ولكنها مشجعة كثيراً ولا ريب

أو هام الملك حسين

ولما أرادت بريطانيا العظمى أن تصفي هذه التعهدات سارت على خطين

متوازيين فأنشأت من جهة كتلة من لدول الشريفة فاعترفت في ١٩١٦ بالشريف حسين ملكاً للحجاز. ولما آن الاوان وجد فيصل عرشاً في العراق، وقد تمت الآن الدائرة العائلية باقامة عبدالله في شرق الاردن . ولكنه من جهة اخرى لا يزال على بريطانيا العظمى أن تحتم الحساب مع الملك حسين .

وقد هبطت بضاعة حسين هبوطاً شديداً في ختام الحرب ولكنه كان بطيئاً في احداث التلاؤم اللازم بين نفسه وبين مستوى السعر الجديد فظل عائشاً في عالم من الالهام، سابحاً في بحر من الخيالات، وكانت المعونة التي تبذل له تبلغ مائتي الف جنيه في الشهر في أثناء الحرب ولكنها في ١٩٢٠ أنقصت حتى وصلت الى درجة الزوال وظل رافضاً أن يتعاقد وذهبت بعثة الكولونل لورانس الى جدة ١٩٢١ ثم عادت تاركة كل شيء حيث كان . وفي أوائل هذا العام بدأت الحركة من جديد ووصل الى لندن عن طريق لوزان الدكتور ناجي الاصيل وهو آخر سلسلة طويلة من رسل الشريف ثم آب الى مكة بعد بضعة أسابيع يحمل في حقيقته مشروع معاهدة . ولم يرض المشروع الملك حسين تمام الرضى ومال بحكم عادته الى طالب المزيد . والملك حسين مشهور بأنه مساوم شديد، ولكنه قد يجد اذا تعنت أنه ضيع الفرصة، وأما اذا تغلبت المشورة التي يملها الحزم فايس ثم ما يمنع أن تكون المعاهدة مجهزة بعد قليل للتوقيع

وقد صارت نقط المعاهدة المهمة ملكاً شائعاً للجمهور . نعم إن لندن لم تصدر بها بياناً رسمياً ولكنه بسبب الضغط الذي أوجدته سلسلة من الحماقات في مكة والقاهرة (١) نشرت حكومة فلسطين خلاصة رسمية منذ بضعة أسابيع. وفي هذه المعاهدة تتعهد بريطانيا العظمى بأن تؤيد وتعترف باستقلال العرب في العراق وعبر الاردن وشبه جزيرة العرب. واذا أرادت لدول العربية أو واحدة

(١) يعني بهذا ما كتبه الملك حسين الى رئيس وفد فلسطين من ان بلادهم استقلت تحت سلطته وما قام به المصريون من الإنكار على هذه المعاهدة بتضمنها للحماية على الحجاز والاحزاب السورية من الإنكار على تضمنها للاحزاب

منها « أن تدخل في اتحاد جرمي أو غيره بقصد تكوين اتحاد علي مر الأيام »
فإن بريطانيا العظمى تضع خدماتها تحت تصرفها . والغرض من باقي المعاهدة
تنظيم العلاقات بين بريطانيا العظمى ومملكة الحجاز نفسها .

وهذا البرنامج المتواضع تواضعاً نسبياً دون المشروعات الضخمة التي غصت
بها الأحلام في أيام سنة ١٩١٥ الهادئة ! ولكن المعاهدة على هذا هي فائحة مرحلة
محدودة مهمة في تطورات السياسة البريطانية في الشرق الأوسط . ومعلوم أن
بلاد العرب الداخلية مرجل يغلي وليس لبريطانية العظمى رغبة ما في غمس
يديها أكثر مما لا بد منه . ولكن لها (لبريطانية) على الحافة الخارجية للعالم
العربي آمالاً في انشاء طائفة من الدول المتمدينة تمدناً نسبياً يمكن أن تتكون منها
على الزمن نواة صالحة لاتحاد عربي . والواقع أن المعاهدة دلائل : فمعناها من
جهة أن بريطانيا العظمى ستربط نفسها بعلاقات وثيقة دائمة مع الشعوب العربية
ومعناها من جهة أخرى أن بيت الشريف هو المحور الذي تدور حوله
هذه العلاقات .

ثلاثة عروش قلقة

وقد قالوا في بعض الأحيان : إن بريطانيا العظمى بمظاهرتها للشريف إنما
تراهن على غير الجواد الراجح . والجواب عن ذلك أنه قد يكون في الأسطبل أو
لا يكون خير من هذا الجواد ولكن الميدان كان يخلو من الجياد . ولعل أبعث
على الشك من ذلك أن يستطيع الشريفون الجري إلى آخر الشوط . وليس بين
هذه العروش الشريفية الثلاثة عرش واحد قوي الدعائم غير قلق . وأقل ما
يقال في مركز الأمير عبد الله إنه خطر . أما فيصل فمستورد كأخيه عبد الله
ويزيد في ضعف مركزه أن عليه أن يرد مقاومة الشيعة لملك سني . أما الحسين
فإن ضراوته على السلب ضراوة صارت مثلاً مضروباً في الشرق قاصيه ودانيه —
لم تجمع حوله قلوب شعبه . وليس من الأسرار أن الأمراء الشريفين أنفسهم

ليس بينهم حب مفقود - أي إنهم لا يحب بعضهم بعضا - وليست العواطف السامية التي يتبادلونها علنا لسوء الحظ الا حجابا رقيقا يشف عن التحاسد والاسترابة المتبادلة . وقد بقي أن نعلم الى أي حد يستطيع حسين وأولاده أن يواجهوا خصومهم متحدين . وليس هؤلاء الخصوم بالذين يستطيع اغفال أمرهم ولا ينقص الحسين أن يتعلم فن تغريم الاجنبي وقد بدأنا نسمع التذمر من الجهات التي يعنينا أمر الحج ولا سيما مصر.

هذا وليس في قيام اتحاد عربي تكون مكة مركزه والشريف رأسه الظاهر ما يرتاح اليه العرب المسيحيون الذين لا يكتفون مخاوفهم الصحيحة . ولكن لبيت الشريف أعداء أقوى وأشد . ولقد استهدف هذا البيت أكثر من مرة منذ قيام الحرب لخطر تيار الوهابية المتضخم ، فهناك في قلب بلاد العرب ابن السعود ذلك الرجل القوي البأس جار الحسين ومزاحمه الذي لا تلين قناته . نعم إنه الآن مقيد . ولكن من ذا الذي يسمعه أن يضمن أن لا يصدع القيد متى انفى نفسه محوطا بطائفة من الدول الشريفة ؟ وثم جهة أخرى لا ينتظر أحد أن تستقبل فيها المعاهدة بحماسة شديدة . وشرح ذلك أن "فرنسيين غير مطمئنين في سورية وليس من شأن المعاهدة أن تجعل مقامهم أسهل . ولا ينكر أحد أن لدمشق في الحركة القومية العربية دوراً لا يقل أهمية وخطراً عن دوري بغداد ومكة . ولا يكاد يميل أن لا يكون لمنظر انتصار القومية العربية في الظاهر في منطقة النفوذ البريطاني - رد فعل مقلق فيما وراء الحدود السورية . وسيحتاج الموقف الى الحذر في العلاج اذا أريد اجتناب التعارض مرة أخرى بين بريطانيا العظمى وفرنسا في الشرق الاوسط

مدى المهمة وغايتها

هذه بعض المصاعب التي لا مفر من مواجهتها . وليس في الكشف عنها زرارة على الغايات التي يراد من المعاهدة أن تؤدي اليها . ومن الخطأ أن تعد المعاهدة عبارة عن محاولة لتسكين هامة مكاتبات مكماهون فان لها سببا معقولا

بدعو الى عقدها . والحركة القوية العربية ليست في الوقت الحاضر الا زورقا ضعيفا تطوح به الامواج الى غاية غير محققة . ولكنها على ذلك حقيقة . ومن مصلحة التسوية الوطنية أن يهتدي هذا الزورق المتخبط الى الميناء . وواضح جداً أن لبريطانية العظمى وبها من وراء اقامة كتلة عربية يمكن اتخاذها في يوم من الايام لمواجهة قوات أخرى في العالم الاسلامي أقل ميلا اليها . بالود (ليتأمل القاري) ولعل هناك من يطوون جوانحهم على آمال أوسع . ومن لا يزالون منعلقين بخيال الخلافة العربية . ومهما يكن من الامر فما يسع أحداً الا العطف على مجهود حسن لاتاحة الفرصة للشعب العربي أن يجدد شبابه وأن يحيى التقاليد المجيدة التي هو وارثها ، ولكن المعاهدة ليست أكثر من صيغة من الالفاظ ولا يمكن أن تكون أكثر من ذلك ، وعلى العرب أن يخرجوا منها الى حيز الوجود ، وسنرى الى أي مدى يستطيعون ذلك ، ولكن الحقائق القاسية التي تحيط بالموقف لا تشجع على التفاؤل المبالغ فيه اه

﴿ تعليق المنار على المقالة ﴾

نذكر قراء هذه المقالة الحرة الصريحة بأن يرجعوا الى التأمل في فحوى المسائل الآتية منها قداما يجدون مقالة لبريطاني في مثل صراحتها :

(١) إتمام ما سماه الكاتب الثالث الشريف بترقية الامير عبد الله الذي هو الاقنوم الثالث منه الى عرش أو ما هو شبيه بالعرش على الاقل . وهذا ما سبقنا الى بيانه مراراً فقلنا : إن هؤلاء انما يعملون للدولة البريطانية ولا أنفسهم ويتجرون بالامة العربية فيديمون بلادها للاجانب الطامعة بعروش وتيجان ، ثم لا ينجل اجرؤهم في سورية من البهتان علينا بأننا نطعن فيهم لانهم لم يعطونا وظيفة قاضي القضاة بمكة !! وهم يعلمون أن طريق الوظائف عندهم التعلق لهم ومساعدتهم على أعمالهم التي نعد كل مساعد لهم عليها خائناً لامتة . وهم يعلمون أيضاً أن الامير عبد الله الذي استخدمهم قد صرح مراراً بأنه لا يتبع أهواء طلاب الاستقلال لسورية

ولاسيما حزب الاستقلال العربى الذي يبغضه أشد البغض لئلا يحرم من امارته التي يرجو توسيعها كما حرم أخوه فيصل من عرش سورية

(٢) ما قاله الكاتب الانجليزى في استقلال شرق الاردن الصوري أو اللغظي الذي أعلنه السر هربرت صمويل اليهودى الصهيونى الانكليزى تحت نير الانتداب ، الذي صرح بأنه ليس باستقلال تام — والذي جعل عبد الله الحجازى مستخدميه فيه وزراء ووكلاء وزينهم بالالقاب الفخمة التي كانت تستعملها الدولة العثمانية أيام كانت مالكة لقلب الارض من أوربة وآسية وأفريقية: صاحب الفخامة — صاحب السماحة — صاحب الدولة — صاحب السعادة — هذه الألقاب التي صارت تستحي منها الدولة التركية الجديدة التي أكرهت الدول العظمى على تقرير معاملتها معاملة الند للند . . . وناهيك بانعامه بلقب « باشا » التركي بغير حساب ، و بأراضي البلاد على من شاءت بما به المالك الكاذب في مملكة يقل عدد سكانها عن مدينة الاسكندرية ويقل دخل حكومتها عن دخل مزارع واحد في القطر المصرى — هذا وأهل مصر من زعيمهم الأكبر سعد باشا زغلول الى تلاميذ المدارس الابتدائية يقولون: إن استقلالنا زيف أو حماية مقنعة!!!

(٣) التصريح بأن آراء الشريف حسين المضطربة التي حملته على الارتباط بالدولة البريطانية بفهم منها على غموضها أنه يطلب أن تؤسس له بريطانيا امبراطورية عربية أو دول اتحاد عربى يدور على محور شريفى . ونقول إن هذا قول ، ي مقررات النهضة التي قدمها الشريف حسين للانكليز ونشرها الشريف فيصل في جريدة المفيد بدمشق ففيها التصريح بالحماية الانكليزية لهذه الامة العربية القاصرة في حجب لدولة البريطانية . ولا يزال نبين لقومنا أن أساس حركة هؤلاء الشرفاء بيع البلاد العربية للانكليز بعرش أو عروش ولا يزال مع هذا يرددون فيهم من فتن وأجرا وأغرا يقولون: أنهم زعماء وناء الذين يسمون لاستقلالنا!!!

والكاتب الانكليزى ان دواته وفك للملك حسين بتعهداتها بانشائها

في العراق وشرق الاردن لاجل الغرض الذي بينه في آخر مقاله

(٤) تصریح الكاتب بأن ما نشرته حكومة فلسطين من خلاصة المعاهدة رسمي — وهذا ما صرحت به جميع جرائد لندن ، ولكن جريدة الملك حسين (القبلة) كذبت الخلاصة الرسمية لأنها أظهرت كذب بلاغ الملك حسين لفلسطين ولا تزال تكذبها ولا يزال يوجد في سورية وفلسطين من يصدق وريقة القبلة الساقطة التي فضحت الحجاز والعرب بكذبها وجهها

(٥) تصریح بأن المعاهدة تشتمل على تعهد دولته بتأييد استقلال العرب في العراق وعبر الاردن وجزيرة العرب . أي دون فلسطين خلافا لاقوال الملك حسين الرسمية التي ظهر كذبها لكل أحد حتى اضطر هو الى الاذعان له بعد عناد طويل اذ أرسل مندوبا بلغ أهل فلسطين أنه يسلم الآن على اقناع الدولة البريطانية بانشاء حكومة وطنية لهم أي في ظل الانتداب الظليل ، وحسبهم ان يرأسهم عبد الله بعد صمويل ، الذي وعد الانكليز بأن يخدم لهم انفس العرب في فلسطين ، بما ينكل برؤسائهم المعروفين ا على انه لا يبعد ان يرجع عن وعد هذا المندوب ، كما رجع عن ذلك البلاغ المكذوب ا

وأما أهل جزيرة العرب فانهم لا يقبلون تعهد انكثرة بتأييدهم، فذلك نص في أن لها الحق في التدخل في شؤونهم وإدارة بلادهم ، فان قبله الملك حسين للحجاز فزوال ملكه من الحجاز أيسر من تنفيذه فيه وأقرب ، ولن يقبله سائر أمراء الجزيرة أصحاب القوة التي يتضائل دونها ما عدا الفرور والكبراء من حسين الذي سمى نفسه ملكا لهم ، وأباح لنفسه أن يعقد المحالفات على بلادهم بدون رأيهم، وان يرضاه العالم الاسلامي الذي لكل فرد من أفرادهم حق مساواة الملك حسين في حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن مأجوري الحجاز المنتصرين له في سورية يتملقون له ولولده عبد الله بزعمهم أن له الحق أن يتصرف في شعائر الله وشعار دينه بما يشاء وأن ينظر في حال الحجاج ومحاسنهم على ما في قلوبهم فيأذن بالحج لمن شاء منهم ويمنع من شاء كما (المنار: ج ٩) (٩٠) (المجلد الرابع والعشرون)

صرح به مستأجرهم الامير عبد الله وأجازوه على ذلك بالرغم من دينهم الذي يدعونه (٦) وصفه المعاهدة الجديدة بأنها مرحلة محدودة مهمة في تطورات السياسة البريطانية في الشرق الاوسط — فهو صريح في أنها تمهيد لمراحل أخرى في سياستهم ومطامعهم في بلادنا . ونحن قد فهمنا هذا فأنكرناه وبينا فسادَه وضرره لما يوجبُه علينا ديننا وحقوق أمتنا ، فدافع أمراء الحجاز عن أنفسهم بشت منا في وريقتهم البذيئة التي سموها (القبلة) وأغروا بمض السفهاء بشتنا أيضا ، ولكن لم نجد أحدا منهم رد علينا ولا على الجرائد المصرية وغيرها بكلمة واحدة في الدفاع عن المعاهدة ، ولا تزال الايام تصدقنا وتكذبهم ، وتؤيدنا وتغندهم

(٧) تفسيره لهذه السياسة البريطانية بأما لهم في انشاء طائفة من الدول العربية ذات حضارة نسبية أي للاحقية ، وبأن الرشوة التي يرضون بها الشريف وأولاده هي جعلهم ايام محور هذه الدول وقطب رحاها . فليتأمل القراء غحوى كيف الدولة البريطانية لهذه الدول وهل هو لحب العرب أم لحب نفسها وتمكينها من استثمارهم ؛ وغحوى جعل مدنياتهم نسبية للاحقية اليس معناه أن يكونوا عالة على الانكليز طول حياتهم ؛ اليس هذا عين ما حذرنا العرب منه وأقننا النكير على الملك حسين لقبوله مدنيا وجعل اعلانه عيداً لامة عربية ؛ اليس من مصائب أمتنا أن يوجد عربي أو مسلم ينصر هذا الرجل ويدافع عنه ؛ يلي ولولا أن ثلاثة من أفضل فضلاء سورية كتبوا الي يقترحون الكف عن الانكار عليه ، وصرح واحد منهم بتحسين الظن به ، والرجاء فيه في اولاده ، لما اعتقدنا أنه يوجد رجل ذو قيمة مغرور به ، فاننا لم نر في اسماء من ناضلوا دونه احدا من من أهل الفضل المعروفين ، بل كلهم من الجاهلين أو المجهولين ، والمنافقين المأجورين له أو للانكليز ولولا وريقة القبلة لما علمنا الا بأقل ما كتبوا فاننا نربأ بأنفسنا أن ننظر في شيء من تلك الصحف لما أمرنا الله تعالى به من الاعراض عن اللغو وعن الجاهلين

(٨) ليتأمل القراء جد التأمل كلامه في وصفه عروش الثالوث الشريف

بالقلقة لضعف أقاليمه الثلاثة والشك في قدرتهم على تبليغ الدولة البريطانية مرادها من استخدامهم — وتشبيهه اعتمادها على الملك حسين بالمقاومة على الجواد الخامس في السابق ، واعتذاره عنها بأنها لم تجد في الميدان غيره ، وإن كان يمكن أن يوجد في الاصطبل العربي جياد أخرى خير منه . فهو صريح في أنها لم تجد أحداً من زعماء العرب يرضى أن يكون مطية طامعها ما تطمع فيه من بلادها ؟ فطوبى لكم يا أنصار حسين بهذا الزعيم الذي تقولون إنكم لا تجدون غيره فقد تكلمتم بلسان بريطانيا العظمى

(٩) كلامه في تحاسد الأمراء الشرعيين وتباغضهم وكونه معروفاً لم يبق سرا فيكتمه كرامة لهم ، وإن ستره بتبادل الفاظ العواطف السامية بينهم ، وقول أن هذا هو الحق وإن جهله أرتجأه به بعض أصحاب الآمال فيهم ، ولكن لا يجوز له الانكيز المحيطون بجميع أسرارهم بما لهم من الجواسيس لديهم ، وجميع المنششرين لعيد الله يعرفون شدة مقتله لأخيه فيصل الذي انتزع منه عرش العراق بعد أن بايعه عليه المؤتمر العراقي بدمشق ، ويترصد به الدوائر لاسترجاع العرش منه ، وما رواه لنا بعض المقيمين في عمان أن « ذا الأقبال الشيخ فوز الخطيب وكيل خارجية دولة الحجاز » مدح الأمير عبد الله بقصيدة أنشدها ابن يديه في (المقر العالي) نسيب أفندي الخطيب مدير البريد في مملكته فلما بلغ قوله فيها

تنازل عن ملك العراق كرامة وأفضل من عرش العراق تنازله

قال له الأمير كذبت انني لم أتنازل ، ومنعه من اتمام إنشاد القصيدة بل لم يلبث أن عزله

وأما ماسماه الانكيزي المجاملات باظهار العواطف الكاذبة فمثالها ما رواه لنا هؤلاء عن زيارة الملك فيصل له من عهد قريب وهو أن كلا منهما كان يعير عن الآخر بجلالة أخي ، بل كان فيصل يزيد على ذلك قوله « سيدي » . . . (١٠) تأملوا أيها المسلمون حق التأمل وجد التأمل فيما يصرح به الانكيز من غرضهم من عقد المعاهدة مع الملك حسين ومما يسميه ويسمونه الوحدة

العربية وأعني به قول الكاتب السياسي الانكليزي :

«وواضح جدا أن لبريطانية العظمى رجحا من وراء إقامة كتلة عربية يمكن اتخاذها في يوم من الايام لمواجهة قوات أخرى في العالم الاسلامي أقل ميلا اليها بالود»

أليس هذا صريحا في أنهم يريدون جعل العرب جندا لهم يقاتلون به الترك والاييرانيين عند الحاجة ؟ بلى ، أأربء لمحة في قتال الترك والاييرانيين لتوطيد دعائم الاستعمار البريطاني ؟ انني لا أسأل هذا السؤال ذا الدين من الممرورين بالملك حسين وأولاده ، بل الملاحدة الذين لم تبق العصبية أدنى أثر للرابطة الدينية ولو سياسية في قلوبهم ، أن يأتوني بمصلحة بينة للعرب في تكوين الانكليز لوحدهم ، وبنائها على عداوة الترك وجعلهم جندا للدولة الانكليزية يحاربون به هذا الشعب الحربي الباسل الذي ظلت أوربة تكيد له بالحرب وغير الحرب عدة أجيال ولم تستطع انتزاع سيادته من يده ، فإن جئتوني أيها الملاحدة بهذه المصلحة وأثبتتموها بالحجة ، ولم يبق لي من أسباب مخالفتكم الا حرصي على المودة الاسلامية — فاني أعذرکم على اتباعكم لاغراء هؤلاء الحجازيين بذلك خدمة للانكليز الذين صرحوا انا بأنهم لم يجدوا في هذا الميدان من اصطبل العرب الا الملك حسينا مع الشك في أن يوجد في الاصطبل غيره

ومن الانصاف حينئذ أن تعذروني في اتباعي لديني الذي يرشدني الى التآليف بين المسلمين عربهم وتركهم وفرسهم ، كما أعذرکم فيء بيتكم الجاهلية : على أنني أعقد عجزكم عن اثبات المصلحة أونفي المفسدة في ذلك ، وعن اثبات زعمكم تفضيلي لمصلحة الترك على مصلحة العرب ، وهل تستطيعون أن تأتوني برجل من أمتنا ناضل الاتحاديين الذين هضموا حقوق العرب كما ناضلتهم ؟ أو برجل منكم أو من غيركم خطأ الغازي معطى كمال في خطبته التاريخية التي ألقاها في المجلس الوطني بانقرة كما خطأته فيما قاله عن العرب والخلافة وفي مسائل أخرى ؟ أو برجل منكم أو من غيركم خطأه وحكومته في مسألة الخلافة الحاضرة وأقام من الدلائل الشرعية

الحكم الاجتماعية على وجوب حصر الخلافة في قریش ما أقمته على ذلك؟ أو برجل منكم
و غيركم أقام ما أقمت من الأدلة على كون الأمة العربية هي لغة الاسلام ووجوب
نمائها على جميع المسلمين؟

نعم اني مع هذا لم أهضم الترك حقاً لهم ، ولم أنحلهم ما ليس لهم ، واني
اقتربت عليهم التعاون مع العرب على اقامة الخلافة الملقى لاجل اعادة مجد
الاسلام ، مع استقلال كل من الشعبين . . . واني أبذل جهدي في سبيل منم
النعادي والشقاق بيتنا وبينهم ، وأرى الخطر علينا من ذلك أشد من الخطر
عليهم ، (وإنا أو وإياكم لعلی هدي أو في ضلال مبين * وتعلن نبأه بعد حين)

العرب في ايطالية

في القرون الوسطى

حضرة الاستاذ العلامة حجة الاسلام مفتي الانام السيد محمد رشيد رضا
أيده الله ونفع به

جواباً على ملاحظتكم بشأن ما ذكرته في رسالة « العرب في سويسرة في
القرون الوسطى » من كون العرب اكتسحوا رومة ، وقولكم حقيقة أراد
الكاتب بهذا أو مجازاً لان العرب لم يفتحوا رومة ولا سابوها . أقول
ورد في التواريخ أن العرب صعدوا الى رومة من مصب نهر التير واجتاحوا
البلدة وأخذوا من كنيسة مار بطرس تابوتا من فضة ولكنهم لم يستقروا برومة
ثم ان العرب كانوا يختلفون الى ضواحي رومة ويشنون الغارات فيها وفي
احدى المرات اجتمع عليهم الاهالي فهزمهم فخاص منهم فئة الى البحر وفئة استوصلت
بالسيف وفئة من بقايا السيوف لاذت بمكان منيع هناك وتناصلت عن نفسها
وبقيت تحمي نفسها الى أن وقع الصلح بينها وبين أهل البلاد ولا سباب مجهولة

عندنا تفاصيلها تركوها توطن تلك الارض فالآن على مسافة ٤٠ كيلومتر من رومة قرية اسمها « سارازينسكو » Sarrasinesco من اسمها يعرف أن أهلها أصلاً مسلمون لأن سارازينو معناه مسلم كما لا يخفى وليس الدليل على كون أهل هذه القرية عرباً هو الاسم فقط بل حدثني الكونت كولاتو صاحب جريدة رومة الإيطالية التي تصدر بالقاهرة وهو من جلة أدباء الطليان وفحول الكتاب أن أهالي قرية سارازينسكو هم إلى يومنا هذا حافظون عاداتهم العربية وما كانهم العربية ولا يزالون يعزفون بالآلات الطرب العربية مما لا يوجد عند قوم سواهم في إيطاليا وإن سمعناهم إلى هذا اليوم سجنات العرب لا يتأري في ذلك من رآهم

ويوجد آثار للعرب فيما عدا رومة من بر العدو الإيطالية مثلاً بلدة لوشيرة بين نابلي وكالابرة كان فيها الملك فريدريك هوشتاغن الألماني في نحو السنة الألف والمائتين والخمسين للميلاد وكان عنده عسكر من العرب نحو ٢٠ ألفاً وآثار مساكنهم لا تزال إلى هذه الساعة

وغير خاف أنني أنا لم أقل أن العرب افتتحوا رومة ولا استولوا عليها بل أنهم اكتسحوها . وما يؤيد صحة هذه الروايات أنهم كانوا لرومة جيراناً مكاسرين بوجودهم بصقلية من جهة وبصردانية من أخرى ثم بنزولهم بجبهات جنوى على ما ذكرت في رسالة « العرب في سويسرة »

وانني أضيف إلى ما ذكرت في تلك الرسالة شيئاً اطلمت عليه في « صان ريمو » مؤخرًا وهو أنني قرأت في دليل تلك المدينة البديعة التي هي اليوم من أبهى مشاتي أوربا أن العرب استولوا عليها في القرن العاشر (للميلاد) ولا عجب فإن صان ريمو هي على مقربة من فراكيناتوم التي هي أول بلدة نزل العرب بها في أوائل القرن العاشر حسبما تقدم في رسالتنا

ومما علمته مؤخرًا من آثار العرب بإيطاليا أن في بلاد اسمها كالياري Cagliari في صردانية قرى كل من رأى أهلها وخالطهم علم أنهم عرب ونساؤهم لا يختلطن بالرجال في مجامعهم ولا يخرجن إلا متنقيات إلى هذا اليوم سمعته من ضابط

إيطالي من أركان الحرب الكبار كان أقام مدة بتلك الديار ومن بحث وجد للعرب في أوربا آثارا أكثر جدا مما روى المؤرخون

لوزان ١٢ مايو سنة ١٩٢٣
شكيب أرسلان
(المنار) قد أجاد أمير الكتاب وثبت التاريخ فيما أفاد، ولما يظهر لي منه وجه التعبير عن ذلك بالاكتساح

المطبوعات الحديثة

﴿ شرح الازهار ، المسمى بالمتزعة المختار ، من الغيث المدرار ﴾

كتاب الازهار في فقه الأئمة الاخير ، متن جامع في فقه الزيدية أو العنزة النبوية ، لعلامتهم المتفنين الامار المهدي . وهو احمد بن مرتضى الحسين الهدي الذي يبيع بالامة العظمى لما مات الامام صلاح الدين سنة ٧٩٣ وقد حدث عقب مبايعته احداث شجعن في اثباتها في قصر صنعاء ، وقيل في الدار العمراء ، وكانت مدة حبسه سبع سنين الف في اثباتها متن الازهار ، وشرحه الغيث المدرار ، ثم خرج وذهب الى الامام الهادي واتبقا وتوادا وتم له الامر بعده ، قال العلامة المقبل صاحب العلم الشامخ الامام المهدي هو الذي أخرج مذهب الزيدية الى حيز الوجود ، وقد شرح الازهار كثيرون من علماء اليمن المستقلين المجتهدين كالامام الشوكاني وسمي شرحه السبل الجرار ... والمقلدين كالعلامة أبي الحسن عبد الله بن مفتاح المتوفى سنة ٨٧٧ وسمي شرحه (المتزعة المختار من الغيث المدرار) فهو مختصر من شرح المصنف

فاما الامام الشوكاني فهو يذكرا الاحكام بأدلتها ، وقيم ميزان التعادل والترجيح بينها ، على طريقته في كتاب (نيل الاوطار) في فقه الحديث ، وأما ابن مفتاح فيعنى بتحقيق الزاجع في مذهبهم ، ويذكر خلاف كبار علماء الامصار كالائمة الاربعة — أبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد — وقلما يخرج مذهب الزيدية

عن هذه المذاهب، وإنما يتحقق بأربعة أصول العدل والتوحيد بالمعنى المشهور عن المعزلة فيها والقول بإمامة زيد بن علي (رضي) ووجوب الخروج على الظلمة. طبع هذا الشرح (المنزوع المختار) في العام الماضي مع حواشي عليه في أربعة مجلدات كبيرة، طبع بمصر في عدة مطابع على نفقة ملتزمه (الشيخ علي بحبي البهائي) ووقف على طبعه وعني بتصحيحه صديقنا الشيخ عبد الواسع الواسعي البهائي فيحسن بالمتوسعين في علم الفقه أن يقتنوا هذا الكتاب ويطلعوه أو يراجعوه عند الحاجة.

المناهج الطبية . لا لقاء الامراض الاقربجية

« كتاب ينطوي على أحدث الآراء والمباحث وفيه ما يهيم الأطباء والطلبة وما لا غنى عنه للعامة — تأليف الدكتور جورج صوايا المتخرج في الطب والجراحة في الجامعة الأميركية في بيروت وجامعة ماريلند في بلطيمور وجامعة هارفرد في بوسطن — والحاصل على شهادة الحكومة القانونية من جامعة بوانس ايرس »

كتاب ضخم فخم غزير العلم مؤلف من ثلاثة أجزاء صدر الجزء الأول منها في العام الماضي (١٩٢٢ م) مطبوعاً طبعاً حسناً على ورق جيد في إحدى المطابع العربية السورية في (بونس ايرس — الارجتين) وهو خاص ببدء السفس المرص الافونجي الحقيقي وقد بلغت صفحاته زهاء خمسمائة صفحة فصارت اللغة العربية غنية به في هذا الموضوع النافع فإن الداء الافونجي لا يزال يفسو وينتشر في البلاد العربية بانتشار التفريخ وكثرة تناقل الافرنج في البلاد وإباحة الفسق تسهيل سبله في كل مكان يكثرون فيه أو يكثرون مقلداتهم حتى أنه قد تضاعف في بلادنا السورية بعد الاحتلال الفرنسي فيها بكثرة الزنا والعهر والعياذ بالله من سوء العاقبة

قالهكتور صوايا قد خدم أمته العربية وبلاده بهذا الكتاب خدمة جليلة فاق بها جميع أطبائنا كما أنه يخدمها بصدق ووطنية واستقامة سياسته اذ هو رئيس الحزب العربي الوطني في الارجتين المعارض لكل احتلال واستعمار، فنشكره عليه الطبي والسياسي ونرجو أن يكثروا في أمتنا العربية وبلادنا السورية من أمثاله.

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ
وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ

الْمَلِكِ

١٣١٥

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
وَأُولَئِكَ هُمْ أُولَ الْأَلْبَابِ

قال عليه الصلاة والسلام ان لا سلام ضربي « ومنار » كنهه الطبري

٣٠ ربيع الاول ١٣٤٢ — ١٦ العقرب ١٣٠٣ هـ ش — ٩ نوفمبر ١٩٢٣

فتاوى المنار

﴿ أسئلة في حقيقة الخمر والسيرتو وما يدخل فيه من أدوية وغيرها ﴾

(س ٢٨—٢٣) من الاستاذ الفاضل مولوي محمد شفيق الرحمن في بمبي (الهند)
وهو صاحب الفتوى التي نشرناها ورددنا عليها في ج ٩ م ٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نستعينه وكفى . وسلام على عباده الذين اصطفى
أما بعد فنظراً الى أمره تعالى العلماء بالبيان ، ونهيه عن السكتان ، نرجو
من فضيلة العلامة الفهامة السيد رشيد رضا، وفقه الله لما يحبه ويرضى، سيد الاحرار،
المدير المسئول للمنار ، أن يفيدنا الجواب الصواب ، عن الاسئلة المفصلة في ذيل
هذا الكتاب ، فاننا قد عزمنا بعد المناظرات (لاحقاق الحق وابطال الباطل ،
واتفاق جمهور الفقهاء الافاضل) على أن ننشر الفتوى مع ما لها وما عليها بقدر
الضرورة وبحسب الامكان نشرها ، (لعل الله يمددنا بعد ذلك امرا)

(الاسئلة مع أجوبة المنار)

(س١) هل الملحقان الطبيان المذكوران في الجزء الاول للمجلد الرابع والعشرين من المنار يشهدان على دعواكم أن السيرتو ليس بخمر او على خلاف ذلك كما حققناه سابقاً ، وسنزيد التحقيق لاحقاً

ج ان الملحقين المذكورين صريحان على ايجازهما وقصورهما في أن السيرتو يستخرج بالتقطير من المائعات السكرية ومن المواد السكرية والنشوية ومن القصب والخشب ، وانه كان في الابتداء يستخرج من النبيذ ولا يستخرج الآن منه ولا من غيره من الخمر لغلظها ورخص المواد التي يستخرجونه منها ، فهو مادة سمية توجد في الخمر وغيرها حتى العجين المخمر ولم يعد احد من الاشربة الحرة ولا سواه خمرًا ولا هو بنفسه معد للشرب لانه محرق . نعم اذا مزج بغيره من الاشربة على نسبة مخصوصة يصير ذلك الشراب مسكرًا

فالخمر عند الحنفية ومن وافقهم من علماء اللغة هي عصير العنب اذا اشتد غلا وقذف بالزبد وما عدا هذا من المسكرات ليس بخمر عندهم ولا له كل احكام الخمر ومقلدة الحنفية هم اكثر مسلمي الهند والتورك والصين وما جاور هذه الشعوب . ونحن وان كنا نرجح ما عليه سائر علماء الشرع واللغة وهو أن كل شراب مسكر خمر لم يثبت عندنا أن السيرتو من الاشربة — ولو ثبت أنه من الاشربة لسيناه خمرًا ، على أننا نعتقد أن شربه محرم على كل حال ان امكن لانه ضار بل قاتل . ولكننا لا نعتقد أن الخمر نجسة ، ولا أن كل ما فيه عنصر من عناصر الخمر من طعام وشراب ودواء وصبغ ودهان وطلاء يكون محرم الاستعمال ، فصبغة اليهود من الادوية وطلاء الخشب المسمى «بالبوية» والعجين المخمر لا يسمى شيئا منه خمرًا لغة ولا عرفًا ولا شرعًا لا على مذهبنا الذي هو مذهب أهل الاثر وفقهاء الحديث ولا على مذهب أهل الرأي كالحنفية ولا في عرف أهل الطب والصيدلة . فالخلاف بيننا وبينكم في تسمية السيرتو خمرًا او عدم تسميته لفظي لا شأن له عندنا في المسألة المتنازع فيها وهي كون الطلاء المعروف في مصر والشام بالبوية الذي يدهن به الخشب نجس له احكام سائر النجاسات من تحريم دهن جدران

المساجد وخشيتها به وسائر الاحكام المتعلقة بشروط الصلاة وغيرها — ولا فيما يشبه هذه المسألة من المسائل التي يستعمل فيها السبير تو وقودا أو مطهرا في الجراحة والطب وغير ذلك مما ليس بشراب متخذ للنشوة والسكر ، فالانتفاع به ليس مخالفا لمنطوق النص في تحريم الخمر ولا انحدواه ، ولا منافيا لحكمة الشارع فيه ، اذ لا يوقع العداوة والبغضاء بين الناس ، ولا يصددهم عن ذكر الله وعن الصلاة . (ب ٢) هل قول امامكم الاستاذ العلامة المفني سابقا في الديار المصرية ، والمصلح الكبير للراعي والرعية ، الشيخ محمد عبده رح (في ج م ص ٣٤٠ التفسير) صحيح عندكم مثبت خيرية السبير تو واسكاره أم لا — نرجو مراجعة كتب الطب الجديد

(ج) ان ما أشار اليه السائل وهو ما نقلناه عن شيخنا المذكور رحمه الله تعالى نص صريح فيما قلناه من أن السبير تو ليس بخمر ولا بشراب من الاشربة التي تعد الخمر نوعا منها وإنما هو مادة سامة اذا ركبت مع غيرها من المائعات على نسبة مخصوصة يكون ذلك المركب مسكرا وهذا نص ما نقلناه عنه من الدرس في الكلام على انتشار السكر في الفلاحين والخمر التي تباع لهم وللفقراء قال « وما هي بخمر جعلت للشرب وإنما هي المادة المحرقة السامة التي تسمى السبير تو يضاف اليها شيء من الماء والسكر أو غير ذلك مما يمكن من تناولها » فان قوله « وما هي بخمر جعلت للشرب » عين ما نقوله ولكن السائل المركب منها ومن الماء والسكر وغيره الذي يصير شرابا مسكرا يسمى خمر حقيقة أو مجازاً على الخلاف المشهور في ذلك ، بخلاف المركب غير السائل أو مالا يكون شرابا كالأعطار والأدوية التي لا يمكن شربها وإنما تستعمل في الجراحة أو يؤخذ منها نقط معدودة في مائع آخر لا يصير بها مسكرا ولا ذريعة للسكر — والدهن والطلاء والعطر — فكل ذلك لا يسمى خمر لغة ولا شرعا ولا في العرف العام ولا الخاص بالصيادلة والأطباء وسائر الفنون والصناعات . وقد وصف بعض الأطباء الاستاذ الامام نفسه صبغة اليد علاجاً للرثية (الروماتزم) فكان يأخذ بضع نقط منها في نصف كوب من الماء قبل الطعام

١٧٣٦ الاضطراب الى السبيرة ومستحضراته وعموم البلوى به المنار: ج ١٠ م ٢٤

كما وقع لو الدتنامن به . ه . وكان يعلم أن صبغة تحلل بالسبيرة توفيدخلها قليل منه لا تكون به
شرا با مسكرا ولا ذرية للسكر وكان يطيب بالاعطار الحديثة ولا سيما (الكولونيا)
وأكثرها سبيرة ، بل أفى بجواز اتخاذ الدراء الذي يدخل فيه تقط قليلة من الخمر
نفسها اذا لم يصردربعة للسكر وقد نقلنا عنه في تفسير آية المائدة (ص ٨٩ ج ٧
تفسير — وص ١٠٢ م ١٨ منار) ما نصه : وقال شيخنا محمد عبده يشترط في
التداوي بالخمر أن لا يقصد المتداوي بها اللذة والنشوة ولا يتجاوز مقدار الطبيب اه
هذا وإني قد فهمت من تعبيركم بكلمة إمامكم انكم تظنون ان اطلاقنا هذا
اللقب على الشيخ رحمه الله تعالى نريد به اننا نقله فيما يستنبطه أو يرجعه كما
هو شأن سائر المقلدين مع شيوخهم وليس كذلك . وإنما نعني بامامته أنه من العلماء
المستقلين الذين يتحرون الحق ويأخذون بالدليل ، وإنه اذا ظهر له الحق اتبعه وعمل به ،
وهكذا كان أئمة الامصار ، ونحن نتبعه ونتبعهم في ذلك ولا نأخذ بشي من
آرائهم وترجيحاتهم الا اذا ظهر لنا أنها الصواب . وكنا نراجع في بعض المسائل
التي يقولها أو يكتبها إذا رأيناها خطأ فكان إما أن يقنعنا بأنه مصيب وإما أن يرجع
الى رأينا وهذه صفات الائمة المهديين . ولولا ما كان عليه من الاستقلال في الدلم
والدوران مع الحق كنهها دار ، لما وصل الى تلك الدرجة العالية في دقة الفهم ،
وصحة الحكم ، ولما اعترف له الجمهور الاعظم في بلاده وغيرها بهذه الامامة ،
ولما رأينا كثيرا من العلماء المتخرجين في الازهر وغيره من المدارس الدينية وغير
الدينية يتلقون عنه ويحضرون درسه مع الطلبة ، وقد نال هذا العاجز قبل اتصاله
به اجازة التدريس (أو العالمية) قولا وكتابة من شيوخه في طرابلس الشام كالشيخ
حسين الجسر الشهير وشيخ الشيوخ محمود نشابة ، ولكننا رأينا عنده ما لم نر عند
غيره رحمه الله أجمعين

(س ٣) هل ثبت عندكم ان المسلمين عموما والمصريين خصوصا مضطربون الى
الخريعات في الحاجيات والمعالجات — بينوا لنا حقيقة الاضطراب وعموم البلوى
والتعامل على ما في كتب الاصول مثل المواقفات وارشاد الفحول

(ج) قد ثبت عندنا ان المسلمين الذين يعيشون في البلاد التي نعرفها كمصر وسورية والاسنانة لا يستغنون عن الاطباء والجراحين الذين يداوون امراضهم ويؤاسون جروحهم ، وأن جميع الاطباء والجراحين يصفون الادوية المستحضرة بالسببرتو أو الداخل في تركيبها ويستعملونه في التطهير من السموم وما يسمره ميكروبات الامراض لانه قاتل لها . ويقولون إنه ضروري في بعض ماذكر وحاجي عمت به البلوى في بعض — فتطهير الايدي والآلات والاواني من بعض السموم والميكروبات الضررة قطعاً لا ظناً قد يكرن بالسببرتو وقد يكون بمحلول السليمانى مثلاً ولكن محلول السليمانى لا يصلح لشيء من المعدنيات وإنما يصلح للزجاج والفخار ، والصيدلة يؤيدون الاطباء بحزمهم بأن كثيراً من الادوية التي يصفونها لا يمكن تحضيرها إلا بالسببرتو — فهو اذا ضروري في بعض الاشياء وحاجي في بعض آخر ، وكذلك الصناعات فهو في بعضها ضروري وفي بعضها حاجي وفي بعضها كافي للزينة وان شئت قلت تحسني كما هو اصطلاح الشاطبي في الموافقات والشوكاني في ارشاد الفحول وغيرها . فان كنتم تعنون بالخرابات ما يدخله السببرتو الذي سميتوه خرافان من القطعي المعلوم عندنا بالضرورة أنه مما عمت به البلوى في الضروريات والحاجيات والتحسينات التي ترجع اليها اصول الاحكام الشرعية كلها على الوجه الذي شرحه الامام الشاطبي في الموافقات وأن في منع الناس منه وتحريره عابهم حرجاً عظيماً وقطعاً لمعيش من لا يحصى من الناس . ولكن هذه الاشياء التي نقول إنها قد عمت بها البلوى ليست من الاشرية المسكرة ولا من ذرائع السكر في شيء ، ولا وجه لتسميتها بالخرابات ، وسنبين معنى الضرورة والاضطرار وعموم البلوى ، في خاتمة هذه الفتوى

(س٤) هل يتعين شرب خمر عندكم في علاج الامراض كلها أو بعضها كما يتعين أكل المية في الحمصة (نرجوكم مراجعة فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (رح) في الخمر والعلاج)

(ج) لا يتعين عندنا ذلك ولا نحتاج فيه الى مراجعة فنحن جازمون بذلك في (المنازل : ج ١٠) (٩٣) (المجلد الرابع والعشرون)

الجملة في حالة السعة كالحال التي نحن عليها في مصر ولكن يحتمل أن توجد احوال قليلة يضطر فيها إلى شيء من الخمر لا يوجد ما يقوم مقامها كأن يصاب مسافراً أو رجل في قرية ليس فيها صيادلة بنوبة قلبية يخشى أن تفضي إلى هلاكه كما قال الفقهاء فيمن غص بلقمة خشبي هلاكه بها ولم يجد ماء ولا مائماً حلالاً آخر فهذه نواذر ، وقد فصلنا القول في ذلك من قبل فراجعوا ص ١٠١ — ١٠٣ من مجلد المنار الثامن عشر ولكم أن تضيفوه إلى هذا الموضوع فيما تريدون نشره على الناس ففيه بيان خلاف العلماء وما رجحناه فيه، وسبباني له تنمة في بحث الاضطرار (س) هل يجوز لمسلم الاستشفاء بخمر بعدما قال فيها ما قال الذي لا ينطق عن الهوى (ص) وبعد كون المسلم مجازاً شرعاً بين أن يترك العلاج ويتوكل على رب العالمين (الذي إذا مرضت فهو يشفين) (١) وبين أن يستشفى بالقرآن الذي هو شفاء ورحمة المؤمنين أو بما زمزم أو بالعسل أو بالادعية المناسبة الماثورة ، أو الادوية الطاهرة المشهورة

(ج) لا يجوز شرب الخمر لاجل التداوي بها من ضعف المعدة وما أشبهه في حال الاختيار كما بيناه في فتاوى سابقة وخاصة ما أشرنا إليه في جواب السؤال الذي قبل هذا . واننا نراكم مخطئين في قولكم إن المسلم مجاز (مطلقاً) بأن يترك التداوي توكلأ أو استغناء عنه بالاستشفاء بالدعاء أو القرآن أو العسل أو ماء زمزم ، ولا غرو فقد غلط بهذا قبلكم بعض الصوفية والفقهاء وسندين الحق في هذا بكتابة مقال خاص ننشره في المنار إن شاء الله تعالى

(س ٦) هل يجوز لعالم يقتدي به أهل الاسلام أن يعلن جهارا للخاص والعام بأن اعالج (لعاله عالج) امه السيدة المسكينة بالخمر الخبيثة اللعينة (الكنيك وهو البراندي)

ونسأله تعالى أن يديم لنا ولكم التوفيق والهداية، وفي هذا القدر كفاية، والسلام

(١) المنار: هكذا الاصل وكان ينبغي أن يكتب : الذي قال حكاية عن خليله ابراهيم (واذا مرضت فهو يشفين)

(ج) لا يجوز اطلاق القول بأنه عالج أمه ولا غيرها بشرب الخمر مطلقاً أو شرب نوع معين آخر منها كالكونياك لأنه يفضي إلى الاقتداء به . وأخشى أن يكون في سؤالكم تلبيس بأن تعدوا بعض الادوية التي يستعان على تحضيرها وتركيبها بالسبيرتو خمرًا ، وتجعلوا حكمها وحكم الشراب المسكر واحداً ، فأحييت التذكير بذلك

❦ خلاصة وجيزة في أصل موضوع هذه الفتوى ❦

إن أصل الخلاف بيننا وبين أخينا الشيخ محمد شفيق الرحمن كان في مسألة الطلاء المعروف الذي تطلّى به جدران البيوت وخشبها فتكون صقيلة جميلة لا تؤثر فيها الرطوبات والاقذار . كما تؤثر في الاجسام ذات المسام الواسعة فتطول مدتها نظيفة ويسهل تنظيف ما يصيبها من الوسخ . أفتى الاستاذ بنجاسة هذا الطلاء وبتحريم طلي جدران المساجد وخشبها به معللاً ذلك بأنه يعالج بالمادة المعروفة بالسبيرتو وبالكحول ، مدعيًا أنها خمر ، وإن كل خمر نجسة ، وكل ما يدخل فيه شيء من السبيرتو نجس وإن لم يكن شراباً البتة كطلاء البيوت ، وقد سألنا بعض اخواننا مسلمي الهند عن هذه الفتوى فأفتينا بأنها خطأ وأقمنا على ذلك من الدلائل ما رآه القراء في الجزء التاسع من المجلد الثالث والعشرين

وقد جاء بعد سنة أو أكثر يحاول إبطال بعض تلك الدلائل وإثبات فتواه من وراء البحث في تحريم شرب الخمر والتداوي بها فأرسل إلينا هذه المسائل فرأينا بعد أن أجبنّا عنها بالاجاز أن نوضح الموضوع بخلاصة مختصرة مفيدة لمن عقلها مفصلة فنقول وبالله التوفيق :

(١) إن الله تعالى قد حرم الخمر لأنها مسكرة ولأن للسكر مضار كثيرة بين الكتاب أهمها اجمالاً وتفصيلاً . وأما حرمة البتة في آخر مدة تبليغ الرسالة ومهد لذلك تمهيداً بعد تمهيد لما كان من اقتبان الناس بها ، واقتضاء الحكمة التدرّج في تحريمها . ومن المقرر عند الفقهاء أن علة تحريمها اسكارها وأن السكر هو المحرم لذاته — ولكن لما كان شرب القليل غير المسكر مبدعة لشرب الكثير وفريعة له

حرم القليل أيضا مطلقا على ما في هذا من الخلاف المعروف
(٢) لم يتم دليل صحيح على نجاسة الخمر ولا على كون نجاستها سببا لتحريمها
فانها ليست من النجاسات والاعتذار في عرف أهل لغة الشرع بل كان العرب
يعدونها من الطيبات وكانوا يسمونها الطيبة (بالتخفيف) ويقولون في أصنافها
« طيبة الخمر » ولو كانت من النجاسات في عرفهم أو في عرف الشارع لجعل
ذلك أول وسائل التدريج في تحريمها بأن يأمر النبي (ص) قبل تحريمها بأن
يفصل كل عضو أو إناء أو ثوب تصيده الخمر ولم يرد أنه أمر بذلك قبل
التحريم ولا بعده ، ولو أمر بذلك لتوفرت الدواعي على نقله بالتوآر والاستفاضة ،
وقد كانت الحاجة اليه شديدة عند نزول آية المائدة واهراق المسلمين لما كان
عندهم من الخمر حتى كانت تجري في شوارع المدينة كالسبل فكان الناس عرضة
لأصابة أبدانهم وثيابهم بشيء منها عند اهراقها وفي أثناء السير في الشوارع التي
كانت تجري فيها

(٣) من المعلوم بالاختبار والنصوص أن من الناس من يميل بطبعه الى
المبالغة والافراط في الدين وفي غيره ، ومنهم من يميل الى الانحاض والتفريط ،
ومنهم يميل الى الاعتدال . ولكل من هذه الحالات الثلاث درجات ، فالمبالغة في
اجتناب المحظورات تقتضي اجتناب المشتبهات تورعا واحتياطا وهذا محمود ومنذوب
شرعا ، وقد تفضي الى اجتناب المباحات تخرجاً وتأثماً فتكون غلوا مذموما ،
والانحاض فيها يدعو الى الخوض في الشبهات ، وقد ينتهي الى الاحتيال على
ارتكاب المحرمات ، أو تأويل النصوص الواضحات ، أو معارضتها بالاقيسة
والتعليلات الباطلات ، ويكثر هذا التفريط في حشوية المتفهمة الجامدين ، وذاك
الغلو في المتصوفة الجاهلين .

والتحقيق أن كل جملة تخالف نص كلام الله تعالى أو كلام رسوله (ص)
أو تفضي الى فوات ما شرع له الحكم من مصلحة أو دفع مفسدة — فهي باطلة
وكذا كل تأويل وقياس يخالف المتبادر من النصوص من غير حجة شرعية أو

ينافي غرض الشرع وحكمته . وان المذهب الوسط الحق هو المحافظة على النص وما علم من قصد الشرع وحكمته منه جميعا ، وهو في مسألة الخمر أن لا تشرب شرابا مسكرا وان لا تتوصل الى السكر بالنداي ولا بالاخذ بطواهر فلسفة الذين قالوا إن الخمر المنهي عنها لذاتها لا تكون الا من عصير العنب فهي التي تحرم منها النقطة الواحدة وما عداها من المسكرات لا يحرم منه الا القدر المسكر أو المسوة الاخيرة التي يحصل بها السكر — وان لا تغلو فنحرم استعمال الادوية والاعطار والادوية والادهان والاصبغة والاطلية التي يدخل في صنعها أو تحضيرها المادة التي علم من فن الكيمياء الحديث أنها توجد في تركيب الخمر وهي علة الاسكار فيها وان لم تكن هذه الاشياء اشربة تتخذ للسكر أو يتوصل بها اليه ، فان هذا علو لا يطالب دين الفطرة والحنيفية السمحة به احدا — فهذا دين عام للبدو والحضر وقد ظهر في أمة كانت أمية فهو سهل لا تعقيد فيه ولا عسر ولا حرج . أو ليس من الغلو والخرج والعسر وقلب الحقائق أن نحرم على أهل منافع كثيرة في طيبهم وطيبهم وجراحاتهم وصيدياتهم وصناعاتهم وعمرانهم بحشرها كلها في تحريم السكر وشرب الخمر وهي ليست منها مقصدا ولا وسيلة ؟؟

(٤) إن من استقرأ جميع ما في القرآن الحكيم من الآيات المنزلة في الطهارة وجميع ما في دواوين السنة النبوية من الاحاديث الواردة فيها يجد خلاصتها أن النظافة مشروعة في هذا الدين ، وأن الله تعالى يحب المتطهرين من الاقدار الحسية ، كما يحب التوابين عن المعاصي وهي الاقدار المعنوية ، وان الطهارة قسمان إيجابية كالوضوء والغسل . وسلبية وهي التزهد عن التضمخ بالاقذار ، وما يترتب عليه من إزالة ما يطرأ منها على البدن والثوب والمكان ، ويكره الغلو والنطع فيها كغيرها ، ولا يوجد في هذه النصوص دليل قطعي على كونها شرطا لاجبة الصلاة وفقا لمذهب الامام مالك وأطال الشوكاني في تحقيق ثبانه في نيل الاوطار . والنجس الحسي في اللغة وهو القدر الشديد القذارة بحيث الراحة وأشد غائط الانسان وبوله ولم يرد في الكتاب ولا في السنة بيان لانواع النجاسات والامر

بفساها بل تركها الشارع الى عرف اللغة . وقد صح مع ذلك أنه (ص)
 أمر بنضح بول الغلام بالماء . ولذلك قال بعضهم بعدم نجاسته شرعا مع العلم
 بأنه نجس لغة وغلط بعض الفقهاء في تعليل الامر بنضحه بأنه رقيق أي ضعيف
 القدرة وهذا مخالف للحس ولكن الحق أن الطهارة الشرعية لا يشترط فيها زوال
 العين والاثربته . وقد شدد بعض الفقهاء كالشافعية في تطهير النجاسات حتى
 جعلوها كتطهير الاطباء للمواد السامة وجراثيم الامراض والابوثة ، وتساهل
 بعضهم عملا بظواهر النصوص الواردة في نضح بول الغلام ودم الحيض والصلاة
 في النعال والاكتفاء بدائها بالارض اذا رؤي عليها عين النجاسة ، واقتفاء النبي
 (ص) بعض النساء بأن الارض الطاهرة تطهر الذيل الذي يجر على النجاسة كما
 شدد بعضهم في جعل التطهير محصوراً في الماء ، ويسر بعضهم فجعل مدار التطهير
 على ازالة القدرة ولو بالصقل أو انقلاب العين ، وهذا هو اللائق بدين الفطرة
 وبيره ، وليس في العمل به مخالفة لنص الشارع ولا للمراد من الطهارة وليس
 تطهير الابدان والاشياء من الاقدار أمراً تعبدياً ولذلك لم يشترط أحد في صحته
 واجزائه النية

وأما هذه الشدة والعسر والخرج الذي ذهب اليه بعض المعاصرين كالأستاذ
 شفيق الرحمن في مسألتنا فهو قلب للحقائق لانه يجعل الطيب قدراً ، وأشد
 المطهرات ازالة للنجاسة نجسا ، فان الاعطار الذكية الذي هي من مستحضرات
 السبيرة وقد عمت الامصار والاقطار ، ويستعملها اكثر المسلمين كغيرهم في
 هذه الديار ، لرخص ثمنها ، ولاتها تستعمل للتطيب وللتطهير الحسي كازالة الاقدار
 والتطهير الطبي من جراثيم الابوثة والامراض ، فبأي حجة تقبلون حقائق اللغة
 التي جاء بها الدين ، وتقابون مقاصد الشرع الذي يحب للمؤمنين الطهارة والطيب ،
 ويكره لهم النجاسة والخبث ، فتجعلون الاعطار الذكية المطهرة من النجاسات التي
 أوجب الله تطهيرها ؟ وهي ليست أشربة مسكرة ولا ذريعة للسكر ، ثم إنكم
 تقرؤن في كتب فقهاءكم مالا نجب اعادة ذكره من تعريف الخمر والفلسفة في

القدر المسكر مما ذكرناه في الفتوى الأولى ؟

(٥) إن هذا السبب هو ما عمت به البلوى في أكثر بلاد الحضارة لما تقدمت الإشارة إليه من أنواع استعماله في الوقود والتطهير والصيدلة والطب والصناعة ، حتى صار بعضه ضرورياً وبعضها حاجياً أو تحسينياً ، ولو حكم على الناس في مصر مثلاً بترك كل ما يدخل فيه السبب لتوقع الناس في حرج عظيم وتعطلت أعمال ذات منافع عظيمة ، وإتينا نين هنا حقيقة الضرورة والاضطرار وعموم البلوى بأقوال أشهر العلماء الاعلام من المذاهب المشهورة المتبعة

الاضطرار والضرورة المبيحة للمحظور

الاضطرار افعال من الضرر أو الضرورة فهو وقوع الضرورة أو تكلف ما يضر بملجيء يلجئ إليه وقد حققنا هذا وبيننا الضرورة الشرعية في تفسير (فن اضطر في غمرة) من أوائل سورة المائدة بالتفصيل (ص ١٦٧ و ١٦٨ ج ٦ تفسير) وقد اطلعنا أخيراً على كتاب أحكام القرآن للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي المشهور بالجصاص المتوفى سنة ٣٧٠ وهو من أئمة الحنفية فألفناه قد شرح مسألة الاضطرار شرحاً في تمام رأينا أن نتقل هنا ما يتعلق بموضوعنا منه وهو قوله (في ص ١٢٦ ج ١) المطبوع في الاستانة :

قول الامام الجصاص الحنفي

قال في باب ذكر الضرورة المبيحة لا كل الميتة من تفسير سورة البقرة ما نصه « قال تعالى (فن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه) وقال في آية أخرى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه) وقال (فن اضطر في غمرة غير متجانب لاثم فان الله غفور رحيم) فتد فذكر الله تعالى الضرورة في هذه الآيات واطلق الإباحة في بعضها بوجود الضرورة من غير شرط ولا صفة وهو قوله (وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه) فاقضى ذلك وجود الإباحة بوجود الضرورة في كل حال وجدت الضرورة فيها » اهـ

وبعد إن أطل في تفسير (غير باغ ولا عاد) واختلاف الشافعية مع الجمهور

فيه قال في أول ص ١٢٩ وما يليها مانصه :

« ومعنى الضرورة ههنا هو خوف الضرر على نفسه أو بعض أعضائه بتركه الاكل وقد انطوى تحته منيان (أحدهما) أن يحصل في موضع لا يجد غير الميتة (والثاني) أن يكون غيرها موجوداً ولكنه أكره على أكلها بوعيد يخاف منه تلف نفسه أو تلف بعض أعضائه وكلا المعنيين مراد بالآية عندنا لاحتماهما وقد روي عن مجاهد أنه تأولها على ضرورة الاكراه ولأنه إذا كان المعنى في ضرورة الميتة ما يخاف على نفسه من الضرر في ترك تناوله وذلك موجود في ضرورة الاكراه وجب أن يكون حكمه حكمه ولذلك قال أصحابنا فيمن أكره على أكل الميتة فلم يأكلها حتى قتل كان عاصياً لله كمن اضطر الى ميتة بأن عدم غيرها من المأكولات فلم يأكل حتى مات كان عاصياً كمن ترك الطعام والشراب وهو واجدها حتى مات فيموت عاصياً لله بتركه الاكل لان أكل الميتة مباح في حال الضرورة كسائر الاطعمة في غير حال الضرورة والله أعلم

❦ باب المضطر الى شرب الخمر ❦

« قال أبو بكر: وقد اختلف في المضطر الى شرب الخمر فقل سعيد بن جبيرة: المطيع المضطر الى شرب الخمر يشربها وهو قول أصحابنا جميعاً. وإنما يشرب منها مقدار ما يمسك به ريقه اذ كان يرد عطشه وقال الحارث العكلي ومكحول : لا يشرب لأنها لا تزيد الا عطشاً ، وقال مالك والشافعي : لا يشرب لأنها لا تزيد الا عطشاً وجوعاً ، وقال الشافعي : ولأنها تذهب بالعقل ، وقال مالك : إنما ذكرت الضرورة في الميتة ولم تذكر في الخمر . قل أبو بكر في قول من قال إنها لا تزيد ضرورة العطش والجوع لا معنى له من وجهين (أحدهما) أنه معلوم من حالها أنها تمسك الريق عند الضرورة وتزيل العطش ومن أهل الذمة فيما بلغنا من لا يشرب الماء دهرًا اكتفاءً بشرب الخمر عنه فقولهم في ذلك غير المعقول المعلوم من حال شاربها (والوجه الآخر) أنه ان كان كذلك كان الواجب أن

نحيل مسألة السائل عنها ونقول : إن الضرورة لا تقع إلى شرب الخمر . وأما قول الشافعي في ذهاب العقل فليس من مسئلتنا في شيء ، لأنه سئل عن القليل الذي لا يذهب العقل إذا اضطر إليه . وأما قول مالك إن الضرورة إنما ذكرت في الميتة ولم تذكر في الخمر فإنها في بعضها مذكورة في الميتة وما ذكر معها وفي بعضها مذكورة في سائر المحرمات وهو قوله تعالى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه) وقد فصل لنا تحريم الخمر في مواضع من كتاب الله في قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما أثم كبير) وقوله تعالى (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم) وقال (إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وذلك يقتضي التحريم والضرورة المذكورة في الآية منتظمة لسائر المحرمات وذكرها لها في الميتة وما عطف عليها غير مانع من اعتبار عموم الآية الأخرى في سائر المحرمات ومن جهة أخرى أنه إذا كان المعنى في إباحة الميتة أحياء نفسه بأكلها وخوف التلف في تركها وذلك موجود في سائر المحرمات وجب أن يكون حكمها حكمها لوجود الضرورة والله أعلم اهـ

قول الامام أبي بكر بن العربي المالكي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ

قال في أحكام آية البقرة من تفسيره (أحكام القرآن) بعد تحقيق معنى الاضطرار بنحو مما تقدم أو أوضح — ومداره على اتقاء الضرر — ما نصه : (المسألة التاسعة) هذا الضرر الذي يبيح ما يكره من ظالم أو بجوع في مخصصة أو بفقر لا يجد فيه غيره فإن التحريم يرتفع عن ذلك بحكم الاستثناء ويكون مباحا فاما الاكراه فيبيح ذلك كله إلى آخر الاكراه . وأما المخصصة فلا يخلو أن تكون دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها ، وإن كانت نادرة فاختلف الدلما في ذلك على قواين (أحدهما) يأكل حتى يشبع ويتضلع قاله مالك ، وقال غيره يأكل على قدر سد رمقه قال ابن حبيب وابن الماجشون لأن الإباحة ضرورة فتقدر بقدر الضرورة . وقد قال مالك في موطنه الذي ألفه بيده وأملأه على أصحابه وأقرأه وقرأه عمره كله : يأكل حتى يشبع . ودليله أن الضرورة ترفع التحريم فيعود مباحا ومقدار (المنار : ج ١٠) (٩٤) (المجلد الرابع والعشرون)

الضرورة إنما هو من حالة عدم القوت الى حالة وجوده حتى يجد وغير ذلك ضعيف
(المسألة العاشرة) من اضطر الى خمر فان كانت باكره شرب بلا خلاف
وان كان لجوع أو عطش فلا يشرب وبه قال مالك في المتيبة، قال ولا يزيده الخمر
الا عطشا. وحيثه ان الله تعالى حرم الخمر مطلقا وحرم الميتة بشرط عدم الضرورة،
ومنهم من حمله على الميتة، وقال أبو بكر الابهري ان ردت الخمر عنه جوعا أو
عطشا شربها وقد قال الله تعالى في الخنزير انه رجس ثم أباحه للضرورة وقال
تعالى أيضا في الخمر انه رجس فتدخل في إباحة ضرورة الخنزير بالمعنى الجلي
الذي هو أقوى من القياس ولا بد أن تروي ولو ساعة وترد الجوع ولو مدة

(المسألة الحادية عشر) اذا غص بلقمة فهل يجيزها بخمر أم لا ؟ قيل
لا يسيغها بالخمر مخافة أن يدعى ذلك ، وقال ابن حبيب يسيغها لانها حالة
ضرورة وقد قال العلماء من اضطر الى أكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل
دخل النار الا أن يعفو الله تعالى عنه، والصحيح أنه سبحانه حرم الميتة والدم
ولحم الخنزير أعيانا مخصوصة في أوقات مطلقة ثم دخل التخصيص بالدليل في
بعض الأعيان وتطرق التخصيص بالنص الى بعض الاوقات والاحوال فقال تعالى
(فمن اضطر غير باغ ولا عاد) فرفعت الضرورة التحريم ودخل التخصيص أيضا
بمحال الضرورة الى حال تحريم الخمر لوجهين (أحدهما) حملا على هذا الدليل كما
تقدم من انه محرم فأباحته الضرورة كالميتة (والثاني) ان من يقول إن تحريم الخمر
لا يحل بالضرورة ذكر أنها لا تزيده الا عطشا ولا تدفع عنه شبعاً فان صح ما ذكره
كانت حراما وان لم تصح وهو الظاهر أباحتها الضرورة كسائر المحرمات وأما
الخاص بلقمة فانه يجوز له فيما بينه وبين الله تعالى وأما فيما بيننا فان شهدناه فلا
يخفى بقرائن الحال صورة العصة من غيرها فيصدق اذا ظهر ذلك وان لم يظهر
حددناه ظاهرا وسلم من العقوبة عند الله تعالى باطنا اه

قول الامام الرازي الشافعي

عقد الفخر الرازي في أحكام آية البقرة من تفسيره الكبير المشهور فصولا بعد تفسير

الاضطرار بمثل ما تقدم قال في آخر الفصل منها ما نصه

(المسئلة الرابعة) اختلفوا في المضطر الى الشرب اذا وجد خمراً أو من غص بلقمة فلم يجد ماء يسيغه ووجد الخمر فمنهم من أباحه بالقياس على هذه الصورة فان الله تعالى إنما أباح هذه المحرمات ابقاءً للنفس ودفعاً للهلاك عنها فكذلك في هذه الصورة وهذا هو الاقرب الى الظاهر والقياس وهو قول سعيد بن جبير وأبي حنيفة وقال الشافعي رضي الله عنه : لا يشرب لانه يزيد عطشا وجوعا ويذهب عقله. وأجيب عنه بأن قوله لا يزيد العطشا وجوعا مكابرة وقوله : يزيل العقل فكلامنا في القليل الذي لا يكون كذلك

(المسئلة الخامسة) اختلفوا اذا كانت الميتة يحتاج الى تناولها للعلاج إما بانفرادها أو بوقوعها في بعض الادوية المركبة فأباحه بعضهم للنص والمعنى أما النص فهو أنه (ص) أباح للعربيين شرب أيوال الابل والابنبا للتداوي وأما المعنى فمن وجوه (الاول) ان الثرياق الذي جعل فيه لحوم الافاعي مستطاب فوجب أن يحمل لقوله تعالى (أحل لكم الطيبات) غاية ما في الباب أن هذا العموم مخصوص ولكن لا يقدح في كونه حجة (الثاني) أن أبا حنيفة لما عفا عن قدر الدرهم من النجاسة لاجل الحاجة والشافعي عفا عن دم البراغيث للحاجة فلم لا يحكم بالعمو في هذه الصورة. للحاجة (الثالث) أنه تعالى أباح أكل الميتة لمصلحة النفس فكذا ههنا. ومن الناس من حرمه واحتج بقوله عليه السلام « ان الله تعالى لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليهم » وأجاب الاولون بأن التمسك بهذا الخبر إنما يتم لو ثبت أنه يحرم عليه تناوله والنزاع ليس الا فيه

(المسئلة السادسة) اختلفوا في التداوي بالخمر واعلم أن الحاجة الى ذلك التداوي ان انتهت الى حد الضرورة فقد تقدم حكمه في المسئلة الرابعة فان لم تنته الى حد الضرورة فقد تقدم حكمه في المسئلة الخامسة اهـ

قول الامام الطوفي الحنبلي

قال الامام الشيخ سليمان بن عبد القوي الطوفي في تفسيره (الاشارات

الالهية . الى المباحث الاصولية) في تفسير آية البقرة مانصه :
 (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه) اي اذا اكل من هذه المحرمات مضطرا لا إثم عليه . والمضطر من خشي على نفسه الهلاك أو مرضا أو ضعفا قاحشا يخشى منه الهلاك أو الزمانة ونحو ذلك من الضرر الفظيع فله أن يأكل ما يسد رمقه وفي تمام الشيع قولان للعلماء الخ

(ماورد في السنة والآثر)

هذا ما قاله أشهر المفسرين المحققين المتمين الى المذاهب الاربعة في الضرورة والاضطرار الذي يبيح شرب الخمر التي لا خلاف في كونها خمرأ أو يوجبها وكونه في حال الاضطرار لا يعد من التداوي بالمحرم لانه صار واجبا ، وأحسنه كلام ابن العربي وان في الآثار عن بعض أئمة السلف ما يدل على الرخصة فيما درن ذلك كما يتبادر من الرواية الثانية الآتية عن سعيد بن جبير من أئمة التابعين فقد روى عنه ابن جرير في تفسير (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) أنه قال : اذا خرج في سبيل من سبيل الله فاضطر الى شرب الخمر شرب وان اضطر الى الميتة أكل . وفي رواية أخرى انه قال في تفسير الباغي والعادي : هو الذي يقطع الطريق فليس له رخصة اذا جاع أن يأكل الميتة واذا عطش أن يشرب الخمر اه فناطق أكل الميتة وشرب الخمر بمجرد الجوع والعطش أي مع عدم وجود غيرها ولم يشترط فيه الخوف على نفسه أن تهلك أو تمرض أو تضعف ضعفا شديدا فهو يعد من الضرورة فقد الطعام والشراب المباح مع الحاجة اليه ونظيره إباحة التيمم بقدر الماء . وهو موافق لما حققه ابن العربي في عدم الفقر من الضرورة المبيحة ويؤيده ما يأتي من السنة وأما السنة وقد أخرناها لانها القاضية على كل ما قيل في تفسير الآية فمنها حديث أبي واقد الليثي قال قلت يا رسول الله إنا بارض تصيدنا نخصة فما يحل لنا من الميتة فقال « اذا لم نصطبحوا ولم تغتبعوا ولم تحمقثوا بها بقلأ فشانكم بها » وقد رواه احمد والطبراني ورجاله ثقات كما قال في مجمع الزوائد (١)

(١) فسروا الصبوح والغبوق بما يتغذى به في الصباح وفي المساء طعاما

وفي معناه حديث جابر بن سمرة (رض) قال ان اهل بيت كانوا بالحرّة محتاجين قال فماتت عندهم ناقة لهم او لغيرهم فرخص لهم رسول الله (ص) في أكلها فعصمتهم بقية شتانهم او سنتهم . رواه احمد . وفي لفظ : ان رجلا نزل بالحرّة ومعه أهله وولده ، فقال رجل ان ناقة لي ضلت فان وجدتھا فأمسكھا ، فوجدھا فلم يجد صاحبھا فرضت فقالت له امرأته انحرھا فأبی فنزعت (ای ماتت) فقالت اسلخھا حتی تقدر (٢) (وفي رواية نقدد) شحمھا ولحمھا ونأكله ، فقال حتی أسأل رسول الله (ص) فأناھ فسأله فقال « هل عندك غنى يغنيك ؟ — قال لا قال — فكلوه » قال فجاء صاحبھا فأخبره الخبر فقال هلا كنت نحرتها ؟ قال استعيت منك . رواه ابو داود وسكت عنه هو والمنذري

وهذه الاحاديث تدل دلالة واضحة على ان المضطر الى أكل الميتة ونحوها هو من لا يجد قوتا يغنيه عنها ، وأنه يأكل ما يكتفيه عادة كما هو مذهب مالک فلا يكتفيه وهو يجد عنه غنى ولا يحدو حد الحاجة التي يقوى منها على السعي والعمل الى حد البطنة ، فان النبي (ص) لم ينطأ فتاءه بخوف الهلاك اذ الضرر الذي لا يحتمل ولم يأمر بالاعتصار في الاكل على ما يسد الرمق بل ناطها بالحاجة اليها ، وعدم ما يقوى عنها ولما نقل الحافظ ابن حجر قول من قال : انه يجوز أكل المعتاد المضطر في غير أيام الاضطرار قال : وهو الراجح لا طلاق الآية . ويؤخذ من هذا ان من كان مسافرا في أرض شديدة البرد والتأجج والجليد كالبلاد الشمالية ولم يجد ما يدفع عنه ضرر البرد ولا وقودا يذيب به الثلج ليشرب منه أن له ان يشرب من الخمر ما يدفع عنه البرد

كان او شرابا وهو في اصل اللغة الشرب فيهما فتفسيره بالاعم تفسير المراد . واصل الاحتفاء اقتلاع الحفاء وهو البردى « بضم الموحدة » نوع من جيد الثمر وقد استعير لاقتلاع البقل كما قال الزمخشري في الفائق . قال وروي تحتفوا من احتفى القوم المرعى اذا رعوه وقاموه . واورده الجصاص بلفظ « ولم يجدوا بها قلا » (٢) نقدر بالراء يقال قدر الطعام (من باب قتل) اذا طبخه بالقدر — وهي رواية احمد . ونقدد بالبدال من قدد اللحم انا جعله قديدا لاجل الاندثار

الضار والظماً مادام لا يجد ما يغني عنها غير متجانف لائم أي غير باغ النشوة والسكر ولا عاد حد ما يدفع الضرر.

هذا وان شرب الخمر ليس من موضوع مسألتنا وإنما موضوعه الاصلى الطلاء الذي تطلّى به الجدران وخشب البيوت والاثاث فيكون به نظيفاً جميلاً طويل العمر غير قابل لامتنعاص الاقدار النجسة الضارة وغيرها، فالسائل الفاضل يحرمه لانه يعالج بالسبىرتو وهو أي الطلاء ليس بشراب ولا قدر ولا يمكن أن يكون ذريعة للسكر— وبذلك أنجز الكلام الى البحث في السبىرتو وسائر ما يستحضر به من الادوية وغيرها واننا نرى الثقات من الاطباء والجراحين يجزمون بأن استعمال السبىرتو في التطهير والوقود المتعلق به واستعمال الادوية المستحضرة به يصل الى حد الضرورة في بعض الاحيان والاحوال ولا سيما حال الحرب بحيث اذا ترك يقع الضرر العظيم كتلف بعض الاعضاء المجرّحة وبقية المقطوعة. وانه في غير حال الضرورة من الحاجات التي عمت بها البلوى في طب الابدان والاسنان والجراحة بحيث يكون حظره والمنع منه حرجاً عظيماً

مسألة عموم البلوى ويسر الشريعة

واننا نوضح مسألة عموم البلوى ويسر الشريعة ورفع الحرج—الثابت بنصوصها القاطعية والاجماع—بكلام بعض المحققين الذين يدعون السائل الفاضل لتحقيقهم : قال الامام أبو اسحق ابراهيم الشاطبي الغرناطي في سياق المسألة الثانية عشرة من كتاب الاحكام من كتابه (الموافقات) مانصه:

« ان محال الاضطرار مغتفرة في الشرع — أعني أن اقامة الضرورة معتبر وما يطرأ عليه من معارضات المفاسد مغتفر في جنب المصلحة المجتلبة كما اغتفرت مفاسد أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وأشباه ذلك (أي كالخمر) في جنب الضرورة لاهياء النفس المضطربة اه (صفحة ١٠٣ ج ١)

ان أصول الشاطبي التي حققها في كتاب المقاصد تبني أحكام الشريعة كلها على أساسي مراعاة مصالح الخلق ودفع المفاسد عنهم في الامور الثلاث وهي

الضروريات والحاجيات والتحسينيات . والضروريات هي الكليات الخمس المشهورة : حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل (ص ٤ ج ٢)

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في شرح قاعدته الثانية في العقود حرامها وحلالها فصلاً فيما عمت به البلوى ومست اليه الحاجة في كثير من بلاد الاسلام من اجارة الارض المشتملة على الغراس والمباني التي اختلف الفقهاء في أحكام اجارتها فأطال الكلام فيها ، وذكر ما للناس من الحيل لاستباحة المحظور منها ، ثم أنى بقاعدة عامة في يسر الشريعة وهو ما نريده من كلامه فقال جزاه الله خيراً :

« فالمقصود المعقود عليه ظاهر ، والذين لا يحتلون أو يحتلون — وقد ظهر لهم فساد هذه الحيلة — هم بين أمرين : إما أن يفعلوا ذلك للحاجة ويعتقدون أنهم فاعلون للمحرم كما رأينا عليه أكثر الناس — وإما أن يتركوا ذلك ويتركوا تناول الثمار الداخلة في هذه المعاملة فيدخل عليهم من الضرر والاضطرار ما لا يعلمه إلا الله . وإن أمكن أن يلتزم ذلك واحد أو اثنان فما يمكن المسلمين التزام ذلك إلا بفساد الاموال التي لا تأتي بها شريعة قط فضلاً عن شريعة قال الله فيها (وما جعل عليكم في الدين من حرج) وقال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال تعالى (يريد الله أن يخفف عنكم) وفي الصحيحين « إنما بعثتم مبشرين * يسروا ولا تعسروا * لعل اليهود أن في ديننا سعة » فكل ما لا يتم المعاش إلا به فتحريمه حرج وهو منتف شرعاً . والغرض من هذا أن تحريم مثل هذا مما لا يمكن للأمة التزامه قط لما فيه من الفساد الذي لا يطاق فلو لم أنه ليس بمحرام ، بل هو أشد من الاغلال والآصار التي كانت على بني اسرائيل ووضعها الله عنا على لسان محمد (ص) ومن استقرأ الشريعة في مواردها ومصادرها وجدها مبنية على قوله (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » فمن اضطر في مخصة غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم) اهـ المراد منه فالقاعدة الشرعية المستندة الى نص هذه الايات العامة لجميع أحكام الشريعة هي أن المحرم لذاته وهو ما كان ضاراً بذاته يباح للضرورة — ويليه قاعدة أخرى متممة

لها وهي ان ما كان محرما لسد الذريعة يباح المصاححة الراجعة ولا يشترط فيه الضرورة — وقد شرح ذلك المحقق ابن القيم في بحث الربا من كتابه (اعلام الموقعين) فانه أثبت ان صنعة الحلية لها قيمة فليس من الربا أن تباع بأكثر من وزنها دراها ان كانت فضة او دنانير ان كانت ذهباً ومما وضعه به قوله :

« يوضحه ان تحريم ربا الفضل انما كان سدا للذريعة كما تقدم بيانه ، وما حرم سدا للذريعة ، أيبح للمصاححة الراجعة كما أبيحت العرايا من ربا الفضل ، وكما أبيحت ذوات الاسباب من الصلاة بعد الفجر والعصر ، وكما أيبح النظر للخاطب والشماع والطبيب والعامل من جملة النظر المحرم ، وكذلك تحريم الذهب والحرير علي الرجال حرم لسد ذريعة التشبيه بالنساء الملعون فاعله ، وأيبح منه ما تدعو اليه الحاجة . وكذلك ينبغي أن يباح بيع الحلية المصوغة صياغة مباحة بأكثر من وزنها لان الحاجة تدعو الى ذلك ، وتحريم النفاضل انما كان سدا للذريعة » اهـ

وملخص ما تقدم كله ان السبيرة لو ليس بخمر وان كان يوجد فيها وفي غيرها مما أجمع المسلمون على حله وطهارته كالعجين المخمر ، وهو الآن لا يستخرج من الخمر ارضه وغلائها . وان الخمر غير نجسة نجاسة حسية على التحقيق . وان الواجب في تطهير النجاسة ما يزول أو يضعف به وصف القذارة كما علم من احاديث دم الحيض والمني وبول الغلام والنعال وذبول النساء التي تجر على الارض النجسة — وان من المطهرات بهذا المعنى الشمس والنار وانقلاب العين والصقل ومنه أكل أبي الدرداء وغيره من الصحابة السمك المعالج بالخمر المسعى (المري) وتعليقه لذلك بقوله « ذبح الخمر النينان والشمس » كما نقلناه في الفتوى الاولى عن صحيح البخاري ونتيجة ذلك كله ان طلاء الخشب الذي هو واقعة الفتوى الهندية وسائر ما يدالج او يحضر بالسبيرة من الادوية والاعطار والادهان والاطاية طاهر ولو لم تعم به البلوى فكيف وقد ثبت عمومها في جميع بلاد الحضارة وسنكتب مقالا خاصا في التداعي ان شاء الله تعالى . والله اعلم

لغة الاسلام

واللغة الرسمية بين الممالك الاسلامية

— ١ —

قرأنا في برقيات الاهرام وغيرها نسياً غريباً: هو أن جريدة (طنين) التركية تابعت رسالة موقعا عليها من خمسة وعشرين مسلماً في طشقند وأفغانستان ومصر والجزائر وبمباي وبكين وبلاد أخرى بحثون فيها جميع المسلمين على استعمال لغة واحدة في العلاقات التي بينهم أسوة بالقاعدة المتبعة في استعمال اللغة الفرنسية في المسائل السياسية ، وإن الموقعين على هذه الدعوة صرحوا بأن اللغة التركية متوفرة فيها الصفات الضرورية لهذا الامر على كونها لغة أكبر دولة اسلامية ، واقترحوا عرضها على مؤتمر يعقد في مدينة أنقرة يكون مؤلفاً من أعضاء مندوبين من جميع الممالك الاسلامية لكل مملكة منها عضوان — هذا كل ما لخصته البرقيات من رسالة طنين فوجب أن نبحث في هذه المسألة بما يرشد اليه الاسلام ومصلحة المسلمين والبحث فيها ذو وجوه

(لاول): ان هذا الاقتراح مصنوع ، وصنعه غير متقن فيما يظهر ، فقد أراد الملقون له في الآستانة أن يوهوا من يطع عليه أن هذه الفكرة مما يشغل جميع الشعوب الاسلامية من أقصى المشرق الى أقصى المغرب ، وأنه يكاد يكون بادي ذي بدء رأياً اجماعياً لها لا يعوزه الا أن يقرر في مؤتمر رسمي ، وعندنا أن فكرة سخيفة غير ممكنة كهذه الفكرة لا يمكن أن توجد فجأة في شرق البلاد الاسلامية وغربها ، ولا يعقل أن تتمخض في جميع هذه الشعوب من غير أن يظهر لها أثر ولا ينقل عنها خبر في جرائد هذه الممالك ثم تولد في ادارة جريدة طنين في الآستانة. اذن هي مما يدرك كل ذي حجب أنه تدير ملفق. وأن هذا الجنين ليس من نسل العالم الاسلامي كله بل من نسل متعصي الطورانية الذين لا يزالون

يشتغلون بتطهير (١) اللغة العثمانية من لغة القرآن العربية ، ولا يسر على هؤلاء ان يجدوا في الآستانة خمسة وعشرين رجلا من أوشاب البلاد المختلفة يوقعون اقتراحا كهذا ، بل لو طلبوا بعده من يوقع لهم اقتراحا بأنه يجب على مسلمي الارض كلها أن يتلقوا أصول دينهم وفروعه بلغة واحدة يقرأ بها القرآن ويدرس بها السنة لانه أدعى الى وحدة التعليم وحدة تأثير الدين ، وان اللغة التركية هي الجديرة بالاختيار لذلك — لوجدوا من هؤلاء وأمثالهم من يوقع لهم هذا الاقتراح ، ولا يبعد أن يكون ممثل مصر فيهم عمر رضا افندي مراسل جريدة الاخبار الذي ينكر أن اللغة العربية هي لغة دين الاسلام ^(٢) وسيأتي بيان هذه المسألة بعد ، وان الاقتراح لا يمكن تنفيذه الا بها وانه حينئذ يكون من أعظم دعائم الإصلاح الاسلامي الديني والاجتماعي والسياسي

(الثاني) : ان كلمة اللغة التركية تطلق بحق على لغة أهل تركستان وهم عشرات الملايين ، وتطلق تجوزاً على اللغة العثمانية التي قال امام أدبائها (نامق كمال بك) الشهير إنها مؤلفة من أشهر لغات الشرق وهي العربية والفارسية والتركية، وهذه اللغة لا يتقنها الا المتعلمون في مكاتب الدولة العثمانية وهم يعدون بالآلاف لا بالملايين ، وأصحاب العصبية الطورانية منهم غير راضين عنها ، وجمعون على وحب ارجاعها الى اللغة التركية الاصلية ، ويقولون إن فلاحي الاناضول لا يفهمونها فضلا عن الترك الخالص في تركستان . وقد جاء صديقنا السائح الشهير الشيخ سعيد العسل الطرابلسي بكتاب تهنئة بالدستور للدولة العثمانية من كاشغر فلم يوجد

« ١ » انكر هذا في مقالة نشرها في مجلة الجامعة التي تصدر في الهند قل فيها عنا اتنا وصمنا الشريعة الاسلامية بوصفها بالعربية اي عبتاها وحقرناها « ١ » واسرف في انكار هذا وفي الطعن علينا والتهم علينا به بما يستلزم رمينا بالارتداد عن الاسلام ، على انه امر مجمع عليه بين المسلمين « ؟ » وقد علل هذا بالتعصب الجنسي العرب على الترك وهو تعليل للباطل بالباطل اذ نحن اعدى اعداء هذه العصبية . ولم نرد على هذه المقالة لاعتقادنا أن صاحبها عمار بما لا يعتدولأن بطلان قوله مما لا يحمله مسلم ، على اننا سنبين ادلتنا على كون لغة الدين الاسلامي هي العربية في هذا البحث

في الباب العالي ولا في غيره من رجال الآستانة من فهم لغته التركية المحضة بل احتاجوا الى ترجمته بمساعدة من جاء به ، ولا تزال جمعية (تورك أوجاني) تشتغل بتنقيح اللغة العثمانية — لغة الآستانة وأنقرة — لارجاعها الى التركية ، على ما يدخل فيها كل حين من الالفاظ الافرنجية ، التي ربما تزيد على ما يخرج منها من الالفاظ العربية ، فهل فكرت في هذا شعوب الشرق والغرب بل الخمسة والعشرون الذين ادعوا أو ادعي أنهم يتكلمون بلسانها ؟ فان كانوا فكروا فأبي اللغتين أتقنوا ورأوا الصفات الضرورية متوفرة فيها ؟ أتركية المستعملة في تركستان التي تجهلها « الدولة الاسلامية الكبرى » التي هي احدى علي الاختيار ، أم العثمانية التي هي عرضة للمحو والاثبات ؟

(الثالث) : ما ذا يريدون بالعلاقات التي بين جميع شعوب المسلمين من مرا كش الى بكين ؟ نحن لا نعرف أن بينهم علاقات مشتركة غير علاقة الدين ، والدين له لغة عامة مشتركة يعرفها علماءه وكثير من الطبقات الاخرى في كل شعب من شعوبهم وسيأتي الكلام فيها

أما العلاقة السياسية فانها تختص بالدول المستقلة منهم ، وليس لاحد من الخمسة والعشرين اصحاب الاقتراح دولة مستقلة الا الافغاني ، والمصري الذي لما يتم استقلال بلاده ، والاتفاق على اللغة السياسية المشتركة بين الدول الاسلامية انما يتقرر بالمفاوضة فيما بينها لا بمؤتمر يعقد في أنقرة — فالعلاقة السياسية غير مرادة للخمسة والعشرين

وأما العلاقات الاقتصادية من تجارية وغيرها فهي غير موجودة الا بين البلاد المتجاورة كالبلاد الافريقية بعضها مع بعض ومع سورية ، والبلاد العربية مع البلاد التركية والارانية ، والهند مع هذه البلاد كلها ، ومن البديهي أن استعمال اللغة التركية في علاقة مصر بطرابلس الغرب وتونس او بالحجاز وسورية أو علاقة الهند بايران وبلاد العرب — ضرب من الخيال ، لا يقترحه الا من أصيب بضرب من الخيال ، فانحصر الامر في العلاقة الدينية وسيأتي الكلام فيها

(الرابع) : هل بين لنا الخمسة والعشرون كيف يكون اختيار عضوين من كل مملكة اسلامية لحضور هذا المؤتمر ؟ هل يختار رئيس جمهورية الصين الوثني مندوبي الصين وحاكم الهند الانكليزي مندوبي الهند ووالي الجزائر الفرنسي مندوبي الجزائر وملك مصر مندوبي مصر وملك الحجاز مندوبي الحجاز ؟ الخ أم تختارهم الشعوب ؟ اذا كان الشق الاول غير مراد لتوقفه على رضا حكام الممالك غير الاسلامية والدول المستعمرة للبلاد غير المستقلة على ذلك وهو متعذر — فالشق الثاني أشد تعذراً إذ لا يعقل كيف ينتخب ستون مليوناً من مسلمي الصين وخمسون مليوناً من مسلمي الملاو من يمثلهم في مؤتمر كهذا فيكون قرار المؤتمر نافذاً فيهم لوجود اثنين من بلادهم فيه ، واتما يمكن مثل هذا الاختيار في بلادها جمعيات تمثل الجمهور الا كبر كالهند ومصر على ما بين جمعيتهما وأحزابهما من الخلاف وكون كبار علماء الدين بمصر لا ينتمون الى حزب من أحزابها

(الخامس) : اذا فرضنا امكان انتخاب هذه الشعوب الاسلامية كلها لاعضاء يمثلونها لتقرير لغة واحدة تتخاطب بها في العلاقة الدينية المشتركة بينهم فهل يقال هؤلاء المندوبين او لهذه الشعوب التي تختارها انه يجب ان يعضوا القرار الذي اقترحه الخمسة والعشرون في جريدة طين ؟ أم يدعون للتشاور واختيار اللغة المشتركة ؟ ان أريد الشق الاول فلا حاجة الى ارسال مندوبين ولا الى عقد مؤتمر ، بل يكفي تبليغ هذه الشعوب قرار الخمسة والعشرين وأنه ليس عليها الا الاذعان والخضوع : ا وان أريد الشق الثاني فما يدري هؤلاء الخمسة والعشرين ومن حملهم على هذا الاقتراح أن مندوبي مصر والحجاز ونجد واليمن وجاوه وفارس ومراكش وغيرها يتفقون على تفضيل اللغة التركستانية أو العثمانية على لغة القرآن وعلى لغاتهم الوطنية ؟ واذا لم يتفقوا فما فائدة هذا المؤتمر ؟ ثم اذا أجمعوا أو اتفق أكثرهم على اختيار اللغة العربية فهل يرضى الشعب التركي بذلك ؟

(السادس) اذا غرضنا البصر عن كل ما ذكر وفرضنا أن المؤتمر اجتمع بمثل السهولة التي اجتمع بها الخمسة والعشرون ووافقهم على اقتراحهم فكيف يكون

تنفيذ قراره ؟ أي فرض على البلاد العربية الممتدة من المحيط الاطلسي (الانلاتيك) الى خليج فارس والمحيط الهندي وعلى شعوب الملاو في الجنوب وشعوب الفرس والهند والافغان والصين في الشرق أن يتعلموا اللغة العثمانية الملققة القلقة لاجل أن يتلقوا بها تفسير القرآن وشروح الحديث وفقه المذاهب السنية والشيعة والاباضية من انقرة بلغة واحدة ؟ وان فرض عليهم هذا وقبلوه — بأن مسح الله عقولهم وقلوبهم فجعلهم بذلك كالخسة والعشر بن — فمن ذا الذي يعلمهم هذه اللغة ؟ أيوجد في الآستانه والاناصول معلمون يكفون لنشر هذه اللغة من أقصى المشرق الى أقصى المغرب مستمدين تنقيحها المتصل من جمعية (تورك أوجاغي) الطورانية ؟ اذا فرضنا امكان كل ما ذكر فلا نبحت في المال الذي ينفق في هذه السبيل فهو أيسر الامور بالنسبة الى تلك العقبات الكأداء التي فرضنا أن الاقتراح قد اقتحمها قبل ذلك

(السابع) : قلنا ان هذا الاقتراح لا تقبله الشعوب الاسلامية الا اذا مسخت عقولا وقلوبا فأمسست لا تميز بين المفاسد والمصالح ولا بين المعقول وغير المعقول في دنيا ولا دين ، واننا نبين ذلك ببرهاني العقل والدين فنقول
أما برهان العقل فلا نطرق فيه باب تفضيل اللغة العربية بنفسها على التركية أو العثمانية وهو ما لا يختلف فيه اثنان من العارفين — ولا باب تفضيلها بكونها لغة هذا الدين الذي نريد التخاطب في شأنه . بل نقول : ان لغة شطر القارة الافريقية الشمالي من الغرب الى الشرق وشطر آسية الشرق من البحر الاحمر الى خليج فارس هي اللغة العربية وفي هذه البلاد مهد الاسلام ، ومهيطة وحيه ، ومهوى افئدة أهله ، وقبله صلاتهم ومشاعر نسكهم ، ومثابتهم التي يؤمها مئات الالوف من جميع شعوبهم على اختلاف أقطارهم في كل عام . وهذه اللغة هي التي يتعبد بها جميع هؤلاء المسلمين ويتلقون دينهم منها في جميع الاقطار فلا يوجد بلد يقام فيه الدين الا ويوجد فيه بعض العلماء الذين يعرفون هذه اللغة . فعلماء الترك والفرس والافغان والهند والصين والملاو وغيرهم من الاعاجم يعرفون هذه اللغة ويتخاطبون

بها ولا يزالون كذلك ما دأوا مسلمين - فهل من المعقول والحالة هذه أن يترك جعلها اللغة العامة لآعارف المسلمين وتوثيق عرى الدين بينهم ويتكلف اقناعهم باختيار لغة أخرى عليها لا يرفعها إلا عدد قليل وهم المتعلمون من ترك الروالي ولا ناضول وبعض العرب الذين كانوا عثمانيين ؟

ان من القواعد المنطق عليها عند علماء المعقول المحدودة عند المتكلمين من مقدمات براهين التوحيد أن الترجيح غير مرجح محال وان ترجيح المرجوح محال بالاولى، وهذه المسألة من القسم الثاني بغير مراءء، وكون اللغة التركية لغة أكبر دولة اسلامية لا يصالح مرجحاً في هذا المقام . على أنه غير مسلم فان دولة مصر أكبر من دولة انقرة وأعلم بالدين واقدر على نشره

واما برهان الدين فقد علم بالاجمال مما قبله وهو أن العربية هي لغة الدين الاسلامي لا يمكن العلم الصحيح به ولا العمل الصحيح باقامة أعظم عباداته الا بها، فيتعين أن تكون هي اللغة الوحيدة للتعاون بين الشعوب الاسلامية على احياء هدايته ونشر تعاليمه وبث عقائده وأحكامه، واتنا نزيد على ذلك أن عملها فرض شرعي على جميع هذه الشعوب وان الاستغناء عنها بغيرها يفضي الى اضاءة الاسلام ، وهو ما نبينه في الفصل التالي

— ٢ —

العربية لغة الاسلام الواجبة على جميع المسلمين

للالسلام لغة ذكرها الله في كتابه المجيد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وأجمع عليها علماء المسلمين سلفاً وخلفاً ، علماً وعملاً ، ولم يفتح المسلمون العارفون حقيقة الاسلام بلدا الا ونشروها فيه كما نشروا الدين بل بنشر الدين ، بل ما نشروا الدين الا بها ، اذ لا مظهر له سواها ، ثم هضم الاعاجم حقها بالجهل ، ثم بالعصبية الجاهلية العمية ، فتعصر خلفهم عما اجتهد فيه سلف الامة الاسلامية الصالح منهم ومن غيرهم ، ولكن لم يبلغ الجهل ولا العصبية من أحد منهم أن يقول بمثل قول الخمسة والعشرين

الذين اقترحوا في هذه الايام أن يجعل للاسلام لغة سواها ، وأنما اقترحوا لغة مملوكة من عدة لغات لا توجد داعية دينية ولا دنيوية لشعب اسلامي الى تعلمها اذ ليست لغة دين ولا شرع ولا علم ولا تجارة ولا صناعة ولا سياسة مشتركة بين هذه الشعوب حتي إن أهلها يريدون تغييرها على ما لا ينكر من المحاسن فيها ولو أنهم اقترحوا تنظيم جعل لغة الاسلام التي نزل بها كتابه من عند الله تعالى لغة التعارف والتعلم الديني باقناع الشعوب الاسلامية الاعجمية باتقانها وتقرير الدروس الدينية للمبتدئين كالمبتدئين بها بدلا من الترجمة التي جروا عليها في القرون الاخيرة — الحمد لله اقترحهم ورسوله والمؤمنون. وعدوهم من دعاة الاصلاح المخلصين ، لان تعلم التفسير والحديث والعقائد والفقهاء بترجمة كتبها العربية باللغات المختلفة كما هو الشائع الآن في بلاد الاعاجم عائق عن التحصيل ، وشر منه قراءة السكتب المترجمة ، ولذلك قل العلماء المحصلون في بلاد الاعاجم بالنسبة الى أهل العصور الاولى الذين كانوا يتدارسون العربية ويتقنون متنها وفنونها ويدرسون علوم الدين بها ، وما وجد ولا يوجد عالم اعجمي يوثق بعلمه في الدين الا ممن حظوا هذه اللغة واتقنوها

ولو فهم خلف الشعوب الاعجمية الاسلام كما فهمه سلفهم الصالح لا كثروا لغته وفضلوها واقتصر واغلبوا ، ولم يبالوا بترك لغاتهم البتة لتحقيق الوحدة الاسلامية من جميع وجوهها ، واعني بسلفهم مثل البخاري من أهل الحديث وأبي حنيفة من الفقهاء وسيبويه والزمخشري من أهل اللغة وفنونها

ذلك بأن تعارف البشر وتآخيهم وتوادهم واتحادهم انما يكون بكثرة ما يشتركون فيه من المثلوات والمشخصات العامة ، وأهمها الدين وعقائده وعباداته وآدابه ، والشرع العادل الذي يساوي بينهم في السياسة والقضاء ويكونون به امة حاكمة واللغة التي يتخاطبون بها ويفهم كل منهم للآخر بما في نفسه ، وهي مظهر علومهم وآدابهم — ودون هذه الثلاثة عرق النسب ، وجوار الوطن

ولما كان الاسلام ديننا اصلاحيا عاما لجميع البشر كان من اصوله دعوة الامم

كلها الى التوحيد في الدين والشرع واللغة التي هي اعظم مقومات الامم النفسية والسياسية والاجتماعية ، لتكون الامة الاسلامية بهم متحدة لا يفصل بين اتحادها ولا جامعاتها هذه شيء من اختلاف الانساب والاطنان . ولذلك حرم عصبية النسب وغيرها تحريما غليظا حتى أخرج النبي (ص) اهله من جماعة الاسلام بمثل قوله « ليس منا من دعا الى عصبية . وليس منا من قاتل على عصبية » رواه أبو داود من حديث جبير ابن مطعم (رض) وثم أحاديث أخرى في الصحاح والسنن ذكرنا بعضها في كتاب (الخلافة — أو — الامامة العظمى)

ذلك بأن عصبية الجنسية امضى مدية تقطع رابطة الدين ، وتفسد اخوة الايمان بين المؤمنين . وقد كانت شرا على المسلمين من اختلاف المذاهب ، ولولاها لم الاسلام المشارق والمغرب ، هي التي افسدت بين العرب والفرس من قبل ، وهي التي افسدت بينهم وبين الترك من بعد ، وانما النجاة من هذه في تلافي شرها ، وهو جل غرضنا من كتابة مباحث الخلافة التي يتنافيها أن اللغة العربية قد جعلها الاسلام لغة جميع المسلمين لاقعة ابناء يعرب بن قحطان وخدمهم ، وان الامام الخليل بن احمد العربي الواضع لاول مجمع لها ، ليس أولى بها من تلميذه سيبويه الفارسي ، وان الامام البخاري الاعجمي النسب قد امتاز في خدمة السنة من بعض الوجوه على استاذيه الاماين احمد واسحق بن راهويه العربيين كما أن الامام النعمان قد قدم في فقه القياس على الائمة الاعلام من العرب وغيرهم ، وقد قلد الخلفاء العباسيون بعض تلاميذ أبي حنيفة رياسة القضاء في دار خلافتهم ، وما كان المسلمون يفرقون في عهد الدول العربية بين عربي وعجمي في امامة العلوم الشرعية ولا غيرها ، وكان مذهب الشافعي القرشي منتشرا في بلاد الفرس ، كما كان مذهب أبي حنيفة الفارسي منتشرا في العراق العربي ، ولا يزال العدد الكثير من اشرف العرب ودهائمهم على مذهب أبي حنيفة ولكن الشعوب الاعجمية الاسلامية المنسوبة الى السنة اقتصر على مذهب أبي حنيفة بعد ذلك الا أهل جاره وما جاورها (ورضي الله عن الجميع)

هذا وإن اللغة من أعظم أسباب الوحدة ، والاختلاف فيها من أعظم أسباب الشقاق والفرقة ، ولما كان الاسلام دين التوحيد ديناً عاماً لجميع البشر ، وكان من مقاصده أن يؤلف بينهم ويجعلهم بنعمة الله اخواناً ، فرض عليهم توحيد اللغة ، كما فرض عليهم توحيد الألوهية والربوبية ، وتوحيد الشريعة والآداب النفسية والاجتماعية ، فخرجت هذه اللغة بشرع الله تعالى عن أن تكون لغة شعب واحد منهم ، ولو لا ذلك لم تؤثرها جميع الشعوب الاسلامية على لغاتها حتى عم انتشارها المشرق والمغرب مع الاسلام ايام كان الاسلام اسلاماً ، ونحمد الله تعالى أن وجد في عدة شعوب اسلامية من يفكر اليوم في عظم شأن وحدة اللغة بين المسلمين ويسعى لها سعيها ، وإن اخطأ بعضهم في وضعها في غير موضعها ، فإذا انتشر الشعور بهذا النوع من الوحدة بين اهل التوحيد فانهم يرجعون فيها الى أصل دينهم وقاعدة شرعهم ، وقد نوهنا بهذه المسألة في كتاب (الخلافة) ولا يتهم من يدعو الى اللسان العربي بالتعصب للنسب العربي الا من يجهل هذه الحقيقة الواضحة ، كما فعل بعض من كتب في مجلة الجامعة الهندية

وقد مست الحاجة الآن الى بيان الأدلة الشرعية على كون اللغة العربية مفروضة على المسلمين فرضاً دينياً لانتنا على علمنا بجهل كثير من المسلمين أو غفلتهم عن هذه المسألة قد وجدنا فيهم من أنكرها انكاراً شديداً كمرضا افندي مراسل الاخبار في الآستانة

وهاؤم اقرؤا ما كتبه امام من اعظم أئمة المسلمين وهو الامام الشافعي (رض) فيها فقد صرح بهذا وأقام الأدلة عليه في رسالته التي هي أول كتاب وضع في أصول الفقه قال (١)

« فان قال قائل : فان الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يرسلون

« ١ » ذكر الشافعي هذا البحث عقب اثباته لكون القرآن عربياً محضاً
(المنار : ج ١٠) (٩٦) (المجلد الرابع والعشرون)

الى قومهم خاصة ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة ، (قيل) فقد يحتمل أن يكون بعث بلسان قومه خاصة ويكون على الناس كافة ان يتعلموا لسانه ، أو ما أطاقوه منه . ويحتمل أن يكون بعث بالسنتهم (١) ؟ فان قال قائل فهل من دليل على أنه بعث بلسان قومه خاصة دون السنة المعجم ؟

قال الشافعي رحمه الله تعالى : فالدلالة على ذلك بينة من كتاب الله عز وجل في غير موضع ، فاذا كانت الالسننة مختلفة بما لا يفهم بعضهم عن بعض فلا بد أن يكون بعضهم تبعا لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع ، وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز — والله تعالى أعلم — أن يكون اهل لسانه أتباعا لاهل لسان غير لسانه في حرف واحد ، بل كل لسان تبع للسانه وكل أهل دين قبله فمليهم اتباع دينه . وقد بين الله تعالى ذلك في غير آية من كتابه . قال الله عز ذكره (وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وقال (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) وقال (وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها) وقال تعالى (حم والكتاب المبين * انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)

قال الشافعي رحمه الله تعالى : فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها ، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه جمل وعز كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه فقال تبارك وتعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون : انما يعلمه بشر . — لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وقال (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لو لا فصلت آياته ؟ أعجمي وعربي ؟)

قال الشافعي رحمه الله تعالى : وعرفنا قدر نعمه . بما خصنا به من مكانه فقال تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه...) الآية ، وقال (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم) الآية . وكان مما عرف الله تعالى نبيه عليه السلام

(١) أراد الاجتهال النظري الفرضي ثم اثبت أحد الشقين

من انعامه عليه ان قال (وانه لذكر لك ولقومك) فخص قومه بالذكور معه بكتابه وقال (وانذر عشيرتكم الاقربين) وقال (لتندرام القرى ومن حولها) وام القرى مكة وهي بلده وبلد قومه، فجعلهم في كتابه خاصة، وأدخلهم مع المنذرين عامة، وقضى أن يندروا بلسانهم العربي لسان قومه منهم خاصة

فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله تعالى وينطق بالذكر فيما اقتضى عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك، وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته، وأنزل به آخر كتبه، كان خيرا له، كما عايناه أن يتعلم الصلاة والذكر فيها ويأتي البيت وما أمر باتياناه ويتوجه لما وجه له ويكون تبعا فيما اقتضى عليه وندب اليه لا متبوعا قال الشافعي رحمه الله : وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيرهم لانه لا يعلم من إيضاح جهل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب ، وكثرة وجوهه ، وجماع معانيه وتفرقها . ومن علمها انتفت عنه الشبهة التي دخلت على من جهل لسانها، فكان تنبيه العامة على أن القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين . والنصيحة لهم فرض لا ينبغي تركه ، أو ادراك نافلة خيرا لا يدعها الا من سفه نفسه، وترك موضع حظه . فكان يجمع مع النصيحة لهم قياما بإيضاح حق، وكان القيام بالحق ونصيحة المسلمين طاعة لله ، وطاعة الله جامعة للخير . انتهى

هذا ما قاله الامام الشافعي في رسالة الاصول الشهيرة المطبوعة بمصر بنصها، ولا تحسبن أن هذا مذهب له خالفه فيه غيره من أئمة المسلمين ، كلا انه اجماع لا اختلاف فيه ، وقد اشتهرت رسالته هذه في جميع أقطار الاسلام اذ كانت هي أول ما كتب في أصول الفقه ، وقد خالفه بعض المجتهدين في بعض مسائل الاصول دون هذه المسألة فلم يخالفه ولم يناقشه أحد فيها ، ولا فيما أورده من الأدلة عليها . وأوضح الأدلة على هذا اجماع المسلمين سلفا وخلفا على التعبد بتلاوة

القرآن العربي وأذكار الصلاة والحج وغيرها بالعربية ، لم يشذ عن هذا سني ولا شيعي ولا أباضي ولا معتزلي ... نعم ان الخلف قد قصرُوا في دراسة هذه اللغة فمطلوا بذلك بعض ما أمرهم الله تعالى به من تدبر القرآن والعبرة والاتعاظ بآياته وفهم عقائده وفقه احكامه ، ولكن روي قول شاذ عن الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى بجواز أداء بعض أذكار الصلاة بغير العربية لمن تعذر عليه تعلم ما يجب منها ، وقد نقل عنه أيضا أنه رجع عن هذا القول ، على أنه مقيد بالضرورة الشخصية ، ولم يقل هو ولا غيره باطلاق ذلك وانه يسع أي شعب أعجمي أن يستغني في دينه عن لغة كتابه وسنته ، والدليل على هذا أن جميع مقلديه من الاعاجم لا يزالون يقرؤون القرآن وأذكار الصلاة والحج وغيرها بالعربية وكذلك خطبة صلاة الجمعة والعيدين الا ما شذت به الحكومة السكالية التركية في العام الماضي فأمرت الخطباء بأن يخطبوا بالتركية

وليست عبادات الاسلام وحدها هي التي تتوقف على العربية بل أحكام المعاملات تتوقف عليها أيضا فان أحكام الشريعة بجميع أنواعها حتى المدنية والسياسية متوقفة على الاجتهاد المعبر عنه في عرف هذا العصر بالتشريع ، وقد أجمع علماء الاصول من جميع المذاهب الاسلامية على توقف الاجتهاد في الشرع واستنباط الاحكام على معرفة اللغة العربية معرفة تمكن صاحبها من فهم أحكام القرآن والسنة ، وقد وضعنا هذه المسألة وبيننا وجه الحاجة اليها في هذا العصري كتاب (الخلافة) فيراجع فيه

وجملة القول أن إقامة دين الاسلام متوقفة على لغة كتابه المنزل ، وسنة نبيه المرسل ، سواء في ذلك هدايته الروحية ، ورابطته الاجتماعية ، وحكومته المعادلة المدنية ، وان المسلمين لم يكونوا في عصر من العصور أحوج الى الوحدة المفروضة عليهم المتوقفة على هذه اللغة منهم في هذا العصر الذي تمزقوا فيه كل ممزق فأصبحوا أكلة لمنهومي الاستعمار ومستعبدى الامم والشعوب ، وصدق فيهم قول النبي (ص) « پوشاك آن تداعى عليكم الامم كما تداعى الاكلة الى قصعتها » الحديث

سيقول بعض الجاهلين لحقيقة الاسلام وكونه ديناً روحانياً مدنياً سياسياً، وبعض أولي العصبية الجنسية الجاهلية: ان مقتضى ما ذكرت أنه لا يمكن إقامة دين الاسلام كما يجب الا باللغة العربية فلماذا لا يجوز على شعوب المسلمين ما جاز على شعوب النصارى مثلاً من ترجمة كتبهم المقدسة بلغاتهم المختلفة مع بقائهم على دين النصرانية وملة المسيح عليه السلام؟

ونقول: أولاً. إن المسألة عندنا مسألة نقل واتباع لا مسألة رأي، وقد علمت أن أئمتنا مجمعون على ما ذكرنا (وثانياً) أننا نحن المسلمين لا نعتقد أن النصارى على ملة المسيح عليه السلام ولا يصح أن نزيد على ذكر اعتقادنا هذا في صحيفة عمومية (وثالثاً) إن ترجمة القرآن المعجز للبشر ترجمة تؤدي معانيه تادية تامة كما أنزلها الله تعالى ويبقى بها معجزاً وآية — متعذرة، وقد بينا هذا بالايضاح في مجلتنا (المنار) ولا محل له هنا، وسنبين نموذجاً من تخطيط الاعاجم في مسألة الخلافة في نقد الرسالة التركية التي ألفت فيها باسم (خلافت وحاكميت مليه) مع أن مؤلفيها يعرفون العربية معرفة ما لا يتخذ هذا نموذجاً لصفة اضاءة الدين بعدم استمداده من لغته (ورابعاً) اذا فرضنا أن ترجمة الكتاب والسنة لا تخل بفهم أصول الدين وفروعه وتشريعه أفلا تخل بما هو موضوع هذا المقال من وجوب وحدتهم وتعارفهم وتعاونهم، وتوقف ذلك على لغة واحدة اذا لم تكن لغة جميع أفراد شعوبهم فلتكن مما يتقنه طوائف رجال الدين ودعاة الوحدة والاتفاق منهم؟ بل بلى حسبنا هذا البيان الوجيز للمسألة ولا شك عندنا في أن كل من يؤمن بالله تعالى وبما جاء به ختم رسوله الى جميع خلقه محمد النبي العربي عليه أفضل الصلاة والسلام، يتقبله بالرضا والاذعان، وانه لا يماري فيه ويتبرم به الا المنافقون الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، فتتروح على الجرائد التركية والفارسية والافغانية ترجمته ونشره، والدعوة الى احياء اللغة العربية الدينية في شعوبهم، وحثهم على تعلمها بقدر الاستطاعة، وتنظيم التعارف بها، وكأني بالخمسة والعشرين وقد رجعوا عن اقتراحهم الاول الى ما هو الاحسن بل الممكن بل الواجب (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)

الخلافة الإسلامية

في مقال لجريدة الاهرام في المقالة بين كتاب الخلافة العربي الذي نشره صاحب المنار وكتاب الخلافة والحاكمة القومية التركي الذي صدر عن انقره - وما كان من عناية الاهرام - شيخه الجرائد العربية - بتلخيص الكتاب التركي وعناية (اقدم) شيخه الجرائد التركية بالكتاب العربي

إن التغيير الجوهرى الذي أحدثه الكماليون في أمر (الخلافة الإسلامية) قد اختاروا له طورا خطيرا من أطوار (المسألة الشرقية) ، لان ذلك وقع في الوقت الذي كان العالم الاسلامي يشعر فيه - بحكم سابقه الجماعات - بان حقا عليه تركيا أن يظهر بمظهر التأييد لها مادامت خائضة مع أو ربا في لوزان أعظم معركة سياسية تحوم حول تصفية كثير من حسابات الشرق والغرب . فهجت العامة ومن هم في حكم العامة من جماهير المصر بين والهنود وغيرهم المنهج الذي علمه الناس في أمر الخلافة . ولكن كما أن للعامة لغة تنطق بها على ما تقضي به الدواعي فان هنالك عهدا بين الله وبين الخاصة أن لا يكتموا العلم ولا يخذلوه

من أجل ذلك صدر - أثناء ضجيج العامة من الناطقين بالعربية في بلاد العرب وبالتركية في بلاد الترك - كتابان اثنان عن (الخلافة الإسلامية) احدهما بلغة العرب وهو كتاب (الخلافة) لحضرة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) ، وهو احفل كتاب الف من صدر الاسلام الى الآن في هذا الموضوع حيث تناوله من جميع اطرافه ووفاه حقه من التمهيد وارضى فيه الحق الذي يقره عليه فحول علماء العالم الاسلامي وفي مقدمتهم علماء مصر والهند القطرين الاسلاميين العظميين

وأما الكتاب الثاني فهو الكتاب الذي صدر من انقره باللغة التركية وقد ضمنه أصحابه أقصى ما يمكنهم من عبارات الاعتذار للكمالين عما فعلوه في أمر

الخلافة ، حتى اضطروا الى أن يطعنوا في جميع أمراء المؤمنين أيام عصور الاسلام الذهبية بعد الخلفاء الراشدين ، كل ذلك لاجل أن يقولوا إن امراء المؤمنين لا يصلحون لتولي امانة المؤمنين ، رغم قاعدة الشورى والقيود الشرعية التي من حق الامة ان تقيدم بها بحكم الشرع . ومع ذلك فاننا لا نبخس هذا الكتاب حقه فهو والحق يقال قد كتب بأجود أسلوب يمكنهم أن يكتبوه به ، وقد سبق للاهرام تلخيصه بكل أمانة

وكما عطينا نحن بكتاب (انقره) عن الخلافة ولخصناه لقراء (الاهرام) كذلك عنيت جريدة (اقدام) التركية التي تصدر في الاستانة بالكتاب العربي عن الخلافة ، فأنشأ شيخ الصحافة التركية احمد جودت بك صاحب جريدة اقدام مقالة عن هذا الكتاب أرسلها الى جريدته من (لوزان) متضمنة تقريره وانتقاده . وهذا تعريبها :

﴿ تقرير مدير جريدة اقدام التركية لكتاب الخلافة ﴾

لقد نشر السيد رشيد رضا محرر مجلة (المنار) الصادرة في مصر كتابا في المدة الاخيرة عنوانه ﴿ الخلافة — أو — الامامة العظمى ﴾ وذلك بمناسبة الحوادث والمسائل التي وقعت أخيرا بشأن الخلافة الاسلامية وقدم له مقدمة خاطب بها الترك والعرب والهنود وسائر الشعوب الاسلامية وقد قال في فقرة يخاطب بها الترك : « أيها الشعب التركي العاقل : إنني أهدي اليك هذه المباحث التي كتبتها في بيان حقيقة الخلافة واحكامها ، وشئ من تاريخها وعلو مكانتها ، وبيان حاجة جميع البشر اليها ، وجنبة المسلمين على أنفسهم بسوء التصرف فيها ، والخروج بها عن موضوعها » ثم أورد في اثنين وأربعين فصلا آراء ومباحث شرعية وسياسية واجتماعية عن الخلافة والامامة وما يتعلق بهما ، وما من مبحث من هذه المباحث الا وهو جدير بامعان الاخصائيين فيه على حدته .

والسيد رشيد عالم مشهور من علماء الاسلام في العصر الحاضر وهو تلميذ المرحوم (الشيخ محمد عبده) الذي كان علامة اسلاميا ، وكانت وفاته من عظيمة الخسائر على العالم الاسلامي ، لاجلته وتدقيقاته في قوانين أوروبا وشؤونها الاجتماعية واجلته العلمية ، وهو أعظم من أدخل النور على مصر وأوجد فيها العقلية العصرية أرهد أن أنكلم على بحث من اجاث السيد رشيد ، وهو البحث الذي عنوانه « الترك العثمانيون والخلافة والتفرنج » (ص ١٣٧) فان السطور الواردة تحت هذا العنوان افقت نظري اليها . فهو يقول :

« كان اجدر المسلمين بالسبق الى هذا — أي الى اصلاح نظام الخلافة رجال الدولة العثمانية ، ولا سيما الذين يقيمون في الاستانة والرملي من بلاد أوربة يشاهدون تطور شعوبها وترقيهم في العلوم والفنون والنظام . ولكن دولهم لم تكن دولة علوم وفنون . لانه لم يكن لهم لغة علمية مدونة قابلة لذلك الا في أثناء القرن الماضي (وقال المؤلف) في موضع آخر من كتابه : « إن العثمانيين لم يجتهدوا في تكوين اللغة التركية حتى تكون كذلك ولم يكن يتعلم علوم الاسلام منهم الا قليل من المقلدين ، ولهذا جعلوا سلطة سلاطينهم شخصية مطلقة ، حتى بعد تحايثهم بلقب الخلافة ، فلما صاروا يدرسون تاريخ أوروبا وقوانينها ، ورثوراتها على حكوماتها لازالة استبدادها ، ظنوا أن لا سبيل لتقييد استبدادهم ومنع ظلمهم الا بتقليد أوربة في شكل حكوماتها الملكية المقيدة ، ثم رجحوا في هذا الزمن الجمهورية ، لانهم رأوا ان جعل السلطان مقدسا غير مسئول كما قرروه في قانونهم الاساسي لم يف بالغرض . ولو درسوا الشريعة دراسة استقلالية كما يدرسون القوانين لوجدوا فيها مخرجا أوسع وأفضل من القانون الاساسي السابق ، ومن الخلافة الروحية وحكومة الجمعية الوطنية الحاضرة »

فالسيد رشيد يؤاخذنا لرجوعنا الى الطرق الارربية ، ولا نراه محقا في ذلك اذ هو أيضا يعلم حق العلم ان الخلافة لم تستقم في طريقها الا الى آخر مدة عمر ، وبدأت الفوضى زمن عثمان ، فلم يعد في الامكان ادراك مثل دوري أبي بكر وعمر

وإدراكه من الشيخين لم يظهر من يدانيهما في العدل غير رجل واحد هو عمر بن عبد العزيز وآخر من الترك هو نور الدين زنكي ويعتد رابعهم . ومعلوم كم ذا لقي المسلمون من مضار الاختلاف بين الأمويين والعباسيين . ينتقد السيد رشيد رضا جنود الترك لتغليبهم على الخلافة العباسية . نعم لقد صدر من هؤلاء بعض أمور غير مناسبة . ولكن من المعلوم جنوح الخلفاء العباسيين بعد ذلك إلى عدم الاعتقاد ، فإذا صار الخلفاء إلى ذلك ماذا يصنع الجاهلون من الجنود الذين في معيتهم .

والسيد رشيد يعزو كل هذه الأمور التي حلت بالاسلام إلى الفتن والمفاسد التي نصيها مجوس فارس لتقويض هذا الدين ودك معالمه ، ولكن هل مفاسد زماننا أقل من مفاسد ذلك العهد ؟ وإذا كانت أولئك يدسون دسائسهم من تحت ستار فان امثالها في هذا الزمان ترتكب علناً ، وهذا ما فعله الشريف حسين بتركيا ماثلاً أمامنا فهل في أحكام الشرع ما يجيز قيامه على تركيا ؟ إذن فهناك أمور تتبدل بحسب الزمان

ان الترك لم يكونوا البادئين بالانصراف إلى جامعيتهم القومية . فهم لما رأوا الحركات الموجهة اليهم قالوا : فلنفكر إذن في قوميتنا . وليس معنى ذلك أن الترك قطعوا علاقتهم بالمسلمين فالصلة المعنوية باقية كما كانت . ونحن سنؤسس علاقتنا الحسنة مع جاراتنا الحكومات العربية قائلين : مضى ماضى وسنتمسك بأواخي الود مع كل جيراننا من عرب وعجم ، دون أن نتدخل في الشؤون الداخلية والآمال القومية لاية أمة من تلك الأمم ، وسنتعاون معهم علمياً واقتصادياً إذا استطعنا ، ولا ننظر اليهم بعين العداء كما كنا نفعل وقتاً ما . فلتعمل كل أمة من هذه الأمم على حللتها ولتسرف في طريق الحضارة والارتقاء حتى تبلغ ساحل السلامة ، ان الحكمة ضالة المؤمن ونحن سننشد هذه الضالة ونأخذها حيث وجدناها في الشرق أو الغرب ومن الخطأ الفاحش التعامي عن المحاسن المؤدي إلى التأخر

نحن نظن أن في استطاعة المسلمين أن يستفيدوا من موقف الخلافة الحاضرة (المنار : ج ٩) (٩٧) (المجلد الرابع والعشرون)

علما وأدبا استفادة لم يسبق حصولها، لان السياسة كانت تعترض في سبيل ذلك فاذا كان علماء الاسلام وأهل الخير منهم يودون الاستفادة من الخلافة حقا فان هنالك وسائل لا تضر احدا . فالمسلمون في كل مكان يحتاجون الى مرشدين في العلم والتهذيب . اذ ان المسلمين في بعض الاماكن (ولا نريد أن نسمي) واقفون موقفا سيئا في جهة الاتصال بين دينهم وقوميتهم ، فاذا لم تبذل العناية في تهذيبهم وتعليمهم فان مستقبلهم مظلم ، وانشاء الاوضاع الدينية والتهذيبية لهؤلاء يحتاج الى مال ، فليقرر المسلمون أولا هذه الجهة كأن تؤسس مدرسة اسلامية عملية في مقر الخلافة لتدريس العلوم الدينية والعلوم العصرية معا . فاذا تحققت المعونة على ذلك من المسلمين يمكن الآن — اكثر مما كان ممكنا من قبل — قيام الخلافة بهذه المهمة التهذيبية

وكما أن السيد رشيد وجه اليها خطاب الود والصدقة في بعض فصول كتابه فان فيه أيضا فقرات ينتقدنا بها بشدة ، وهو ينصح لنا دائما أن نستمد من الشرع الاسلامي وأن نستنير بتاريخ الاسلام ، ويعني عناية زائدة بتوطيد اخي الاخاء بين المسلمين ، ويرى ان ضعف الحكومات الاسلامية ناشئ عن الوهن العارض من هذه الجهة . فهو ينتقد كون شخص السلطان (مقدسا وغير مسئول) مع أن المقصود من ذلك انه ليس للقانون سبيل اليه وان المسؤولية في المملكة منحصرة في رئيس الوزارة وزملائه . ولا يكون السلطان مسئولا الا اذا باشر العمل فلا يكون حينئذ دستوريا ، والسلطان الدستوري الحقيقي عندنا هو السلطان محمد الخامس ولكن الذين لم يرق لهم عمله من رجالنا كانوا يسمونه « الدرويش محمد » وينتقد السيد رشيد لغتنا بأنها ليست لغة علم ، وحقا إن تقصيرنا نحن معاصر الترك العثمانيين وغفلتنا في هذا الامر عظيمة . ففضلا عن اهمالنا جعل التركية لغة علم فاننا اهملناها بوجه عام . وكان شعراؤنا في مقدمة الذين اهملوا حتى جعلوها بشكل لا يفهمها جمهور الشعب ولم يبق فيها من التركية غير الروابط وسائرها من العربية والفارسية . مما يؤسف له اننا الى اليوم كلما أردنا أن نستخدم على اسم

نلجأ الى العربية حتى اذا وجدنا فيها لفظة غير علمية نصرنها عن معناها الى معنى آخر ونلوكم بالسنتنا ، كأن ذلك لا يكون الا باخذه من العربية ، ولا تزال اللجنة التي في وزارة المعارف سائرة على هذا المنهاج ولو امعنوا النظر لوجدوا في التركية ما يسد هذا المسد . ولكن ليس بيننا من يعرف التركية حقاً . ولا نعلم فروعها كما يعلمها الاستاذ فون لوكوك استاذ التركية في برلين وذلك لان رجالنا لم يتعودوا ازعاج أنفسهم بالرحلة في سبيل العلم ، بل كل منا يريد أن يتلى ، جيبه نقوداً وأن يبقى في بلده محتفظاً براحته فلا يذهب الى تركستان ولا الى الانضول للدرس اللهجات التركية . وان كتاب اللغة الذي هو مصدر للسان الترك انما جاءنا به من مدينة (كاشغر) رجل عربي من أهل طرابلس الشام (١) فاصبحنا وليس للغة التركية كتاب صرف ولا قاموس ، لانه ليس عندنا رجال يحملون أنفسهم عناء الدرس والتحقيق ، فمتى ياترى يكون عندنا هؤلاء الرجال ؟ الله أعلم .

﴿ تعليق المنار على مقالة جريدة إقدام في الخلافة ﴾

قد كتب رصيفنا جودت بك ما كتبه وهو لم يقرأ من كتاب الخلافة الا ما يتعلق بالترك كله أو بعضه كما يظهر لنا ، ولعله لو قرأه كله لكتب غير الذي كتبه في الخلافة والخلفاء ، والحكومة الاسلامية ، وما يقابلها من الحكومات الاوربية . ولما كان قد نقل مما قرأه منه تعليمنا تقليد الترك للافرنج بعدم دراستهم الشريعة دراسة استقلالية كما يدرسون القوانين كان ينبغي له أن يقرأ جميع مباحث هذا الكتاب الوجيز المبين لحقيقة الخلافة وتفضيل الحكومة الاسلامية على الحكومات الافرنجية قبل أن يبدي رأياً في المسألة فنحن ننتقد عليه هذا ونناقشه في بعض المسائل التي هي من اباب الموضوع فنقول

(١) إنه لا يرى لنا حقاً في مؤاخذه الترك في الرجوع الى الطرق الاوربية

(١) الاهرام — لم تذكر (اقدام) اسم هذا الرجل والذي نعلمه انه الشيخ سعيد العسل الرحالة العربي الى الصين وبلاد الترك الصينية ، وكان قد زار مصر منذ خمسة عشر عاماً ونشر فيها قانون الصين ومعلومات عن تلك الربوع

في حكومتهم ، واستدل على ذلك بأن الخلافة لم تستقم على طريقتهما الا الى آخر مدة عمر . (قال) وبدأت الفوضى في زمن عثمان . . . وافئات علينا بقوله اننا نعلم ما قاله حق العلم . ولو قرأ الكتاب لما قال هذا القول ، فان فيه ما يخالفه ، وقد أخطأ فيه خطأ آخر بطعنه في خلافتي عثمان وعلي من الراشدين المهديين (رض) فخالف بهذا إجماع أهل السنة وكذا الشيعة في الطعن في علي كرم الله وجهه ، ولا أقول إنه وافق الخوارج فان طعنه في خلافة الصهر بن غير ما ينقمونه منهما . وأخطأ أيضا في حكمه بأن الفوضى ظهرت من أول خلافة عثمان والصواب أن ما سماه الفوضى ليس الا ثورة من ثار عليه (رض) وهي لم تظهر الا في أواخر مدته وبدأت أسبابها في الشطر الثاني منها ، فقد أخرج ابن سعد عن الزهري إمام المحدثين أنه قال : ولي عثمان الخلافة اثني عشرة سنة فعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئا وأنه لا حب الى قريش من عمر بن الخطاب لان عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصاهم ، ثم توانى في أمرهم واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الاواخر . . . الخ ما قاله هنا مختصرا ورواه ابن عساكر عنه عن سعيد ابن المسيب مفصلا

والخطأ الاكبر جعله الثورة على عثمان مطعنا في شكل الحكومة الاسلامية المبر عنها بالخلافة — ومطعنا في كفايته وعدالته — أما الاول فباستدلاله بها على تخطئتنا للترك في تفضيل طريقة الافرنج في الحكومة الملكية المقيدة ثم الجمهورية على الطريقة الاسلامية — وأما الثاني فيقول إن الخلافة لم تستقم الا الى آخر مدة عمر ، وبعدم اعترافه بعدالة أحد بعد عمر بن الخطاب الا عمر بن عبد العزيز ونور الدين زنكي التركي الاصل . ذلك بأن الناس ما ثاروا على عثمان بظلم اقترفه ، وإنما ثاروا بظلم بعض عماله من مجرمي بني أمية ، وكما قتل الثوار في أوربة من ملك ورئيس جمهورية ولم يعد أحد قتلهم دليلا على فساد طريقة الحكم في بلادهم ، والثورة على عثمان لم تكن عن سخط على نظام الخلافة ولا أحكام الشريعة ولا بسبب اتهامه بمخالفتها والخروج عنها ، بل أثارها ظلم بعض عماله في الظاهر ، وجمعية

عند الله بن سبأ اليهودي في الباطن .

وأما الفتن التي حدثت في خلافة علي كرم الله وجهه فقد كانت ببغى معاوية وآله وبدسائس السبئيين أيضا ، وتلا ذلك تأيلات الخوارج الباطلة . وعمر بن عبد العزيز لم يكن على فضله بالعلم والعدل والزهد بالذي يلز بعلي في هذه الثلاث ، دع سائر مناقب علي وفضائله ، وأما نور الدين فلم يكن من فرسان ميدان هذا ولا ذاك ، على ما يعرفه له التاريخ من العدل والزهد والصلاح ، اذ كان عاميا مقلدا ، وأين العامي المقلد من كبار علماء مذهبه ؟ وأين هم من امام المذهب ؟ وأين هؤلاء الاثمة المعروفون بعلماء الامصار من عمر بن عبد العزيز ؟ وأين هو من امام الاثمة ، وأقضي قضية الامة ، ربيب الرسول وصنوه الذي جعل منه كهرون من موسى عليهم الصلاة والسلام ؟

يكثر غلاة التفرنج من ذكر الفتن التي وقعت في عصر الاسلام الاول بين الصعابة رضي الله عنهم ومن بعدهم ، يريدون بذلك الطعن في الحكومة الاسلامية وهم لا يعرفون من تلك الاحداث الا بعض قشور الاخبار التاريخية ، وقد خانتهم كلهم فلسفتهم الاجتماعية فيها ، ولولا ذلك لعلموا أنها احداث كانت تقتضيها سنن الاجتماع البشري في ملك جديد ، طويل عريض ، لم يعرف التاريخ له مثلا من طريف ولا تأيد ، فان جمع الاسلام لكلمة العرب المتفرقة منذ ألوف السنين في عشرين سنة كان من المجزات الاجتماعية التي أيد الله بها رسوله (ص) ثم إن استيلاءهم بهدائه على قيصريّة قيصريّة (امبراطورية الرومان) وكسروية كسرى وآسية الصغرى وشطر أفريقية الشمالي كله في جيل واحد كان من خوارق سنن التواريخ أيضا ، كما كانت قدرة هؤلاء الاميين الذين غلبت عليهم طبيعة البداوة على ادارة هذه الممالك المختلفة الاجناس واللغات والاديان والحضارات ، المترامية الارحاء من المحيط الاطلس الى حدود الهند ، وحفظ الامن وإقامة العدل فيها — يكاد يكون من آيات الاسلام أيضا . أفيعقل أن تجري أمور هذه الاقطار في حكومتها بتأثير الآيات وما يشبه الخوارق طول الحياة ؟ أليس مما تقتضيه طبيعة

البشر أن يوجد في العرب محبة من لارئاسة لمحض التمتع بعظمتها ولذاتها ؟ أليس من الطبيعي أن يقوم من اليهود مثل عبد الله بن سبأ يكيد لدين الاسلام وأهله؟ أليس من الطبيعي أن تؤانف تلك الجمعيات من مجوس الفرس الذين لبسوا لباس الاسلام يكيدون العرب ولما لك العرب ولدين العرب الذي جمع كلمتها وأعطاها من القوة ما تمكنت به من ازالة ملك الفرس العظيم القدر القديم العهد في سنوات معدودات ؟ كل هذا ما سبق لنا بيانه بالتفصيل وهو من سنن الاجتماع البشري — ولكن العبرة فيه ان يعتبر أنه لم يوجد في تلك المملكة الاسلامية الكبرى أحد شكك من الشريعة الاسلامية أو رماها بالظلم ، لا عربي ولا عجمي لا يهودي ولا نصراني ولا مجوسي ولا وثني — وإنما رمى بالظلم أفراد من عمال عثمان ثم من غيرهم ، وهذا مما لا تسلم منه حكومة ولا جماعة من البشر .

وقد بينا في كتاب الخلافة وغيره ان العدل العام كان هو الغالب في الدولة الاموية المطعون في خلافتها ، وإنما كان الظلم المبين فيها خاصا في الغالب بما يتعلق بحفظ سلطاتهم ومقاومة خصومهم وما يستلزمه من سوء التصرف في بيت المال ، وما عدا هذا مما يؤخذون به فذنوب شخصية لا يلقي لها اهل هذا العصر بالا . ومثل هذا يقال في الخلفاء العباسيين . فجميع مقاصد الخلافة كانت حاصلة في عهد الفريقيين ولكن مع عظمة الملك كما قال ابن خلدون .

وإنما كلامنا اليوم مع اخواننا الترك في تفضيل التشريع الاسلامي على التشريع الاوربي — ويقول شيخ الصحافة التركية إنه لا حق لنا فيه ويحتج بما حدث من الفتنة في زمنى عثمان وعلي (رض) وبتفضيل زمن الشيخين على زمن الصهرين ، وهو يعلم حق العلم أن الفتن التي سببها بالفوضى لم يكن سببها الشريعة ولا التشريع — كما أن التشريع الاوربي وشكل الحكومات فيه ليسا بعاصمين من الفتن ولا من الفوضى ، وما فيهما من نظام حسن كنظام الشرطة والشحنة (البوليس والضابطة) ليس مما يمنع الشرع الاسلامي بل قد يوجبه : إذا لم يوجد نظام أحفظ الامن منه ، وكذلك النظام العسكري ، ولكن التشريع

الاسلامي يمنع كل ما يهدد الحضارة الاوربية من تعاليم الباشقية والفوضوية والاشتراكية المسرفة كما بيناه في كتاب الخلافه ، وان صاحب جريدة أقدام لاعلم منا بالغتن التي تضطرم في ممالك أوربة وبالخطر الذي يهددها ، ولهذا دعونا الشعب التركي الباسل أن يجدد حكومة الخلافة الاسلامية لخدمة الانسانية — وأن يكون قدوة لأوربة لامقلدا لها في عهد اضطراب مدنيتهما المادية التي آن لميكروبات الفساد المتغائلة فيها أن تقضي عليها ، فما كان ينبغي للسياسي المحنك جودت بك أن يعجل بتخطئتنا في هذه الدعوة قبل أن يدرس ما كتبناه فيها

(٢) اعتذر جودت بك عن إفساد الجند التركي للخلافة العباسية وثله لعرشها بأنه « صدر من هؤلاء أمور غير مناسبة » قال وامكن من المعلوم جنوح الخلفاء العباسيين لعدم الاعتقاد فاذا صار الخلفاء الى ذلك فماذا يصنع الجند الجاهل الذي في خدمتهم ؟

مثل هذا التعليل والاعتذار يعهد في المجادلات السياسية ، دون ما نحن فيه من الحقائق التاريخية للحكومات الاسلامية ، فالذي صدر عن ذلك الجند ليس « أمورا غير مناسبة » بل أفظع الجنايات والخيانات للدين والدولة اذ كان الجندي يدمر على الخليفة أمام الامة ورئيس الدولة فيقتاله وهو جالس على عرشه ، وإنما وظيفته المحافظة عليه والطاعة له ولمن دونه من رؤساء حكومته ، ولا ندري من أين جاء الكاتب الكبير بقوله « انه من المعلوم جنوح الخلفاء العباسيين بعد ذلك لعدم الاعتقاد » ؟ أمر الاعتقاد من الامور الباطنة فمن أين صار معلوما للكاتب السياسي الكبير بعد الف سنة ؟ وهب أنه أمر كان معلوما عن بعضهم في عصرهم ، فهل يصح أن يكون لجنودهم عذراً في قتل من قتلوا من سلفهم أو منهم ؟ بل اذا فرضنا أنهم جنحوا الى ما يسميه عدم الاعتقاد قبل تصدي جنودهم لملك بهم لا بعده كما قال فهل يمكن أن يقال إن ذلك الجند الذي اعترف الكاتب الكبير بجهله قد اقترف جناياته تربية للخلفاء على ذلك الجنوح ؟ واذا فرض ذلك فهل يكون عذراً له مخففا لجرمه ؟ اذا كان الجندي الجاهل يقتل رئيس الامة في أمور دينها

ودنياها لا امر يتعلق باعتقاده فكيف يمكن أن يستقيم للحكومة أو للامة أمر وأي
تشرع في العالم يجيز هذه الهمجية ؟ أما الاسلام فانه لا يبيح للخليفة نفسه أن
يبحث عن عقائد الناس ويحاسنهم أو يعايبهم عليها ، بل صرح الرسول (ص)
بأنه لم يؤمر بالتنقيب عن القلوب

(٣) ذكر رصيفنا السياسي الكبير ما بيناه من تأثير دسائس مجوس الفرس
في الفتن التي دهمت الامة الاسلامية — وتعبه بادعاء أن مفسد هذا العصر أشد
لأنها تفعل جهرا وكانت تلك تدس من وراء حجاب واستشهد « بقيام الشريف
حسين على تركيا » وقال « اذن فهناك أمور تتبدل بتبدل الزمان »
ونحن نقول إن للعرب نظرا آخر في المسألة يقولون : هنالك جند جاهل متوحش بهدم
سلطة الدين والدولة الاسلامية تلذذا بما اعتاده وصار كالغريزة له من حب الفتك
والعدوان والفساد في الارض كما هو مدون في بطون التواريخ العامة — فلم يقل
أحد من المؤرخين ان الجند التركي الذي فعل ما فعل في الخلافة العباسية كان
له مقصد من المقاصد الدينية أو المدنية يسعى له سعيه ويتوسل اليه بقتل الخلفاء
وههنا شعبان كانا مرتبطين بحكومة انفرد أحدهما بالسيادة والسلطان الاعلى فيها
فاستعان بذلك على قهر الآخر واستدلاله وقهره على التحول عن جنسيته وترك
لغته المقدسة التي تعبد الله تعالى بها جميع أهل دينه الى لغة الغالب القاهر الملققة
التي لم يستقر بها على قرار — أكان من العجب أو من المنكر في عرف أحد من
الامم أن يغتتم زعيم من هذا الشعب المقهور فرصة اشتغال قاهره بحرب يرجح هو
انكساره فيها فيسمى لاستقلاله وحفظ حياته ان نزول بالثيم له ؟

هذا ما يراه العرب في التنازع بينهم وبين الترك الذي اثارته جمعية الاتحاد والترقي
في الدولة العثمانية التي كان العرب راضين بالارتباط بها مع دضم حقوقهم فيها قبل
قيام الطورانيين بالسعي لجعلها تركية محضة يجبر كل مرتبط بها على أن تكون
لغتها لغته دون سواها ، وان تكون احكامها تركية قومية ويذكر رصيفنا صاحب
السعادة جودت بك أننا كنا كلمناه كما كلمنا رؤساء الدولة في وجوب تلافي خطر هذا

التنازع بين الشعبين الأكبرين في هذه الدولة اللذين شبهناهما بالعنصرين المكونين لحقيقة الماء أو الهواء ، وانا عرضنا عليه ان نشرح للدولة وللرأي العام التركي في العاصمة أسباب التنازع والطريقة المثلى لتلافي ضرره واتقاء خطره بمقالات ننشرها في جريدته « إقدام » — ويتذكر ايضا انه رضي ان ينشرها بشرط ان يحفظ للجريدة حق النقد والمناقشة فيها — وانا رضينا بالشرط — وانه نشر لنا ثلاث مقالات لم يذكر منها شيئا وامتنع عن نشر الثالثة وما بعدها ، لما رأى في الثالثة ان ما يشكو منه العرب حق لا يمكن ان يناقش فيه — وانه قال لنا هذه شؤوننا المالية فليس لكم ان تعارضونا او تجادلونا فيها . ويتذكر أيضا ما كانت تنشره جريدته في ذلك الوقت من الطعن في العرب لبعض الكتاب حتى في عرضهم وشرفهم وما كان من سوء تأثير ذلك باعتداء بعض الشبان عليه في ادارة جريدته ... نعم انه يتذكر ذلك اذا ذكر به ، وقد صرح في مقالته التي نحن بصدد المناقشة فيها انهم كانوا يبغيضون العرب وان السبب قد زال الآن بانفصال كل منهما عن الآخر ، بل هو يعد خروج الشريف حسين على الدولة التركية من المقتضيات التي تتبدل بتبدل الزمان ، ولكنه لا يرى لها وجهها في الشرع فهو يستدل بها على تخطئتنا في مطالبة الدول التركية الجديدة بالانضمام للشرع الاسلامي دون التشريع الا فرنجي ونقول في جوابه اذا كان أمير مكة لم يلتزم في قيامه أحكام الشرع — وهو ينكر ذلك ويدعي ضده — فليس سبب ذلك ان الشرع لا يمكن التزامه في هذا الزمان ، وهذه شبهة المتفرنجين على الشريعة الاسلامية وقد بينا خطأهم فيها مراراً كثيرة في المنار ، واثبتنا أنها صالحة لكل زمان ومكان ، وذكرنا ذلك في كتاب الخلافة، والظاهر ان رصيفنا الاكبر احمد جودت بك لم يقرأ هذا البحث فيه . وقد كان من الممكن ان يلتزم أمير مكة أحكام الشرع في عمله كما نصحناله ، وكان ذلك خيرا له وأحسن عقبي . ولكن الدسائس والاخاديع البريطانية التي تؤيدها كياس الذئب هي التي أضلته عن الشرع وعن مصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة

واست أقول إنه كان يجب عليه شرعا أن يطيع سلطان الآستانة لانه خليفة

الرسول (ص) وقواده مثل جمال باشا — فان السلطان لم يكن هو الامام الحق الذي تجب طاعته على كل مسلم وان لم يكن متغلبا عليه — ولو فرضنا أنه كان كذلك فاننا نعلم كما يعلم جودت بك والامير حسين أنه كان مغلوبا على أمره فلا أمر له ولا نهى — وانما نقول انه كان يجب عليه شرعا أن يتقي تغلب الدول الاجنبية على الدول الاسلامية والبلاد الاسلامية — وبهذا نصبحنا له فصرح لنا هنالك في احتفال العيد بني أننا متفقون معه في الرأي — ولكنه كمن خادعا وظهر خداعه من بعد

(٤) قوله ان الترك لم يكونوا هم البادئين بالانصراف الى جامعتهم القومية التي لاتنافي الصلة المعنوية بين الترك وسائر المسلمين الخ ما في (ص ٧٦٩) فهو حسن وأقل ما يجب من تواد الشعوب الاسلامية وتعاونها ، ونحن قد دعونا الترك الى منزلة فوق هذه المنزلة

(٥) قوله إنه يظن أن المسلمين يستطيعون أن يستفيدوا من موقف الخلافة الحاضرة علما وأدبا الخ قول غريب في ظن غريب ، فهو قد جعل الخلافة الشرعية التي تتكلم فيها وهي رئاسة الحكومة الاسلامية في اقامة الدين وسياسة الدنيا بمعنى مشيخة الطريق التي ينحصر عملها في الارشاد والتهذيب . واذا كان هذا ما يريدونه من معنى الخلافة فلماذا يحرسون على هذا اللقب فيخرجونه عن مدلوله الشرعي ؟ ولماذا يحصرون هذه الوظيفة في أهل بيت تركي معين لا يوجد أحد من أفرادهم ممتاز بالعلوم التي يتوقف عليها الارشاد الاسلامي وهي علوم القرآن والسنة والعقائد والفقه والتصوف ؟ وكيف ساغ لشيوخ الصحافة التركية أن يقول اذا كان علماء الاسلام وأهل الخير منهم يودون الاستمادة من الخلافة . . . وهو يرى أن الخلافة التي يعرفها علماء الاسلام قد زالت بزوال الحاجة اليها — والخلافة الجديدة التي يتررونها ليست الخلافة التي يعرفونها ، على أنها لم توجد بعد؟؟

(٦) قوله إني انتقدتهم بشدة كارجعت اليهم خطاب الود والصدقة صحيح واتي صلت في هذا بالحكمة العربية التي سارت مثلا وهي « أخوك من صدقتك

لا من صدقت « على أتى لم أتجاوز في التقدير الضرورة التي لم أر منها بدا
للاقناع بما أريد من الخير لترك وسائر المسلمين الذي اعترف لي به الرصيف
الكريم لظهوره وظهور اخلاصه فيه والله الحمد

(٧) ما فسر به جعل السلطان مقدسا غير مسئول معروف عندنا وإنما
انتقدناه لأنه غير شرعي فهو يجب أن يكون عاملا وأن يكون مسئولا عن عمله ،
والنظرية الدستورية في هذا مبنية على ألا في شر ما جرى عليه الملوك من التعالي
وما جرت عليه الشعوب من تقديسهم فأبقوا لهم العلو والتقديس بسلب السطة
منهم لئلا يفسدوها باستبدادهم ، ولكن الاسلام أبطل تقديس البشر وأبطل
الاستبداد وقيد طاعة الرسول المعصوم بالمعروف حتى لا يطمع غيره بالطاعة
المطلقة كما بيناه في كتاب الخلافة . فرئيس الحكومة الاسلامية (الخليفة) يجب
أن يكون عاملا يحمل تبعه عمله و راعيا مسئولا عن رعيته ، وليس له امتياز في
الشرعية يرتفع به عن مساواة غيره ، أو يبيح طاعته فيم تحرمه الشرعية ، وإذا
كانت الحكومة لا بد لها من رئيس فرئيس الحكومة الاسلامية العليا هو خليفة
الرسول في المسلمين سواء سمي خليفة أم لا بشرط أن تراعي فيه الشروط الشرعية
المعروفة فان تعذر عليها استتباع الشروط وجب عليها وعلى الامة في جملة السعي
لاستتباعها ، وإذا وجدت عدة حكومات اسلامية كانت الحكومة الشرعية الحق
هي المستتبعة لها والقائمة بوظائفها ، ولا تجب الطاعة لغيرها شرعا في حال
الاختيار بل غيره متغلب تجب الهجرة من داره الى دار العدل التي يرأسها الامام
الحق (الخليفة) الاعذر ، وأما ابتداء رئاسة دينه محضة وتسميتها خلافة وتسمية
رئيسها (خليفة رسول الله) فهو مردود لانه عبث بهذا الدين

وإذا نصب المسلمون في أي مكان خليفة مستتبعها للشروط الشرعية فالواجب
على رئيس هذه الخلافة البدعية أن يطيعه في كل ما يأمر به ما لم يكن معصية لله
تعالى أو مما يعجز عنه

تاريخ الحرم الشريف

(نعمة ما نشر في ص ٤٤٨ ج ٦)

للمكان الذي شيد عليه المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة (تل موريا) منزلة دينية سامية من أقدم أزمنة التاريخ يقدسها المسلمون والمسيحيون واليهود حتى الوثنيون . و يظهر من شكل الساحة التي عليها قبة الصخرة أنها كانت في بداية الامر بيد الرأى احد اليبوسيين (سكان فلسطين الاقدمين) وقد بنى فوقها سيدنا داود عليه السلام بعد فتحه البلاد مذبحا تقدم فيه القرابين لله تعالى

هيكل سليمان

وفي سنة ١٠١٣ ق . م أمر سيدنا سليمان عليه السلام بانشاء قصر له حيث المسجد الأقصى وهيكل فخم حيث قبة الصخرة الشريفة ولم يكمل البناء الا بعد وفاته بمدة طويلة . وقد دمره الكلدانيون سنة ٥٨٨ ق . م . فحاول اليهود عقب عودتهم من الاسر تجديده سنة ٥١٦ ق . م . فلم يصنعوا شيئا مذكورا

﴿ هيكل هيرودس ﴾

وفي السنة العشرين قبل الميلاد شرع هيرودس الكبير بتشييد هيكل فخم وبرج عال (انطونية) في المكان نفسه فلم يوفق الى اتمامه وبقي الى سنة ٧٠ ميلادية إذ دمره جنود الرومانيين حرقا ابان محاصرة الامبراطور طيطوس بيت المقدس واستيلائه عليها

﴿ زون المشتري ﴾

وبنى الامبراطور ادریان سنة ١٣٠ م مدينة إيلياء وأمر بتشييد زون كبير للمشتري (اله الحرب) اثنا عشرى الشكل Dodecastile كالذي ترى على صورة بعض النقود القديمة فنصب فيه صنما للمشتري وآخر (لذيوسقورس) أو صنم بتوأمين (كاستور وبلوكس) واقام تمثالا لنفسه بالقرب من الصخرة المباركة

﴿ الحرم الشريف ﴾

وسنة ٦١٤ م اكتسح الفرس البلاد فخرّبوا بيت المقدس وقضوا على ما فيها من المعابد والكنائس لكن جيوش المسلمين لم تلبث أن فتحت بيت المقدس سالما سنة ١٥ هجرية و٦٣٧ م بحضور الخليفة الثاني سيدنا عمر رضي الله عنه . فلما دخلها ذهب توا الى مكان الحرم الشريف وأزال ما كان فيه من الاقدار ولما افضت الخلافة الى عبد الملك بن مروان وحيل بينه وبين الحرمين الشريفين لقيام خصمه عبد الله بن الزبير خليفة في الحجاز ولي وجهه شطر القبلة الاولى فأمر بإنشاء المسجد الاقصى وقبة الصخرة في بيت المقدس ورصد لذلك خراج مصر سبع سنين ووكّل على العمارة أبا المقدم رجاء بن حيوة بن جود الكندي وكان من العلماء الاعلام وبزید بن سلام مولى عبد الملك من أهل بيت المقدس ولديه . ويقال ان عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع فصنعوا له وهو بيت المقدس القبة الصغيرة التي هي شرقي قبة الصخرة (قبة السلسلة) فأعجبه تكوينها وأمر ببنائها كهيئتها

وبقيت بعد الفراغ من عمارة الحرم مئة الف دينار فأمر بها عبد الملك جائزة لرجاء وبزید فكتبوا اليه : « ونحن أولى أن نزيده من حلي نساءنا فضلا عن أموالنا فأصرفها في أحب الاشياء اليك » فكتب اليهما بان تسبك وتفرد على القبة فسبكت وأفرغت عليها فما كان أحد يقدر ان يتأملها مما عليها من الذهب وهيثا لها جلالا من لبود توضع من فوقها فاذا كان الشتاء ألبستها لتكتمها من الامطار والرياح والثلوج

وكان الفراغ من عمارة قبة الصخرة والمسجد الاقصى في سنة ٧٢ من الهجرة وقد قرن اسم عبد الملك بهذا الاثر الخالد منقوشا بالفسيقساء عند مدخل الصخرة من الباب الجنوبي بعبارة هذا نصها :

« بني هذه القبة عبد الملك (لله الامام المأمون) أمير المؤمنين في سنة اثنين وسبعين يقبل الله منه ورضي الله عنه آمين »

ويظهر من اختلاف الخط واللون فيما أشرفا اليه بين هلاين انه من
الاضافات التي حدثت بعد ذلك التاريخ

﴿ الحرم الشريف في زمن العباسيين ﴾

وفي سنة ١٣٠ هـ سقط شرقي المسجد المسجد الاقصى وغربيه في الرجفة التي
حصلت في خلافة أبي جعفر المنصور العباسي فخطوب بلزوم عمارته قام بقلم
صفائح الذهب والفضة التي كانت على الابواب فقامت وضربت دنانير ودرهم
وانفقت عليه حتي فرغ

ثم حصل زلزال سنة ١٥٨ هـ هجرية تهدم فيه البناء الذي كان امر به أبو جعفر
فلما كانت خلافة المهدي أمر ببنائه فانقص من طوله وزيد في عرضه . وذلك في
سنة ١٦٩ هـ وأخيراً جددت عمارة قبة الصخرة في أيام المأمون (٢١٦ هـ) كما جاء
في الكتابة المذهبة الواقعة على البابين الشرقي والشمالي من الداخل

﴿ الحرم الشريف في زمن الفاطميين ﴾

ثم جاءت زلزلة ثالثة سنة ٤٠٧ هـ . تهدمت من جرائها قبة الصخرة وبعض
الجدران الواقعة في الشمال الشرقي من الساحة المحيطة بها فقام الظاهر لا عزاز دين
الله بن الحاكم بأمر الله برفعها وتجديد عماراتها سنة ٤١٣ هـ على يد علي بن احمد
كما نقش على الاعمدة الواقعة داخل القبة . وما زيد فيها في زمن الفاطميين البناء
المسمى اليوم بجامع النساء

﴿ الحرم الشريف في دولة بني أيوب ﴾

ولما احتل الصليبيون بيت المقدس حولوا قبة الصخرة الى كنيسة والمسجد
الاقصى الى منزل لسكنى ملكهم وسموا ماتحت الاقصى من الابنية باصطبل
سليمان وربطوا فيه الخيل فجاء صلاح الدين الايوبي وهدم ما أحدثوا من الابنية
والسواري واعاد الحرم الشريف الى ما كان عليه وذلك سنة ٥٨٣ هـ . وكان
الملك العادل نور الدين الشهيد قد أعد منبرا عجيب الصنعة برسم القدس صنعته

حميد بن ظافر الجابي وسليمان بن معالي من خشب مرصع بالعاج والآبنوس وعليه تاريخ يرجع الى سنة ٥٦٤ هـ وقد أدركته المنية قبل الفتح فاحضره صلاح الدين من حلب وجعله في المسجد الاقصى وهو الموجود في عصرنا هذا وأمر بترميم محراب الاقصى وكتب عليه بالفصوص المذهبة مانصه « بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بتجديد هذا المحراب المقدس ، وعمارة المسجد الاقصى الذي هو علي التقوى مؤسس ، عبد الله ووايه يوسف بن ايوب ابو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وهو يسأل الله اذاعة شكر هذه النعمة ، وإجزال حظه من المغفرة والرحمة »

وفي سنة ٦٣٤ قام الملك المعظم عيسى بن أخي صلاح الدين بعمارة (واجهة) المسجد الاقصى الشمالية والرواق الموجود في مدخله من تلك الجهة

وفي سنة ٦٦٨ هـ اعتنى السلطان الملك الظاهر بيبرس بعمارة المسجد ورسم صدىع الصخرة الشريفة وجدد فصوصها التي على الرخام من الظاهر والتي على قبة السلسلة . وعمر السلطان الملك المنصور قلاون الصالحى سنة ٦٨٦ سقف المسجد الاقصى من جهة القبلة مما يلي الغرب . وفي أيام السلطان الملك العادل كتبنا في سنة ٦٦٥ جدد عمل فصوص الصخرة الشريفة وعمارة السور الشرقي المطل على مقبرة باب الرحمة . وفي أيام السلطان الملك المنصور لاجين جددت عمارة محراب داود الذي بالسور القبلي عند مهد عيسى عليه السلام بالمسجد الاقصى

وعنى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون إبان سلطنته الثالثة بعمارة السور القبلي الذي عند محراب داود عليه السلام ورخم صدر المسجد الاقصى وفتح به الشباكين اللذين عن يمين المحراب وشماله (٧٣١ هـ .) وجدد تذهيب القبتين قبة المسجد الاقصى وقبة الصخرة سنة ٧١٨ هـ . وعمر القناطر على الدرجتين الشماليتين بصحن الصخرة التي احدهما مقابل « باب حطة » والاخرى مقابل باب الدويدارية وعمر باب القطانين بالبناء المحكم . وفي أيامه أيضا عمر الأمير تنكيز الناصري

نائب الشام البركة الرخام بين الاقصى والصخرة والرخام الذي في قبلة المسجد
عند المحراب وكذا الجانب الغربي سنة ٧٢٨ هـ

وفي أيام الملك الاشرف شعبان بن الامير حسن بن الملك الناصر محمد بن
قلاون عمرت المنارة التي عند باب الاسباط بمباشرة السبقي قتلوا بغا ناظر الحرم بن
الشريفين في ٧٦٩ هـ. وكذلك تم تجديد الابواب الخشب لمركبة على الجامع الاقصى
وانقنطار التي على لدرجة الغربية صحن الصخرة المقابن لباب الناظر في (٧٧٨ هـ)
وفي سلطنة السلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق عمرت دكة المؤذنين التي
بالصخرة تجاه المحراب الى جانب المنارة بمباشرة ناظر مين ونائب القدس الشريف
الناصري محمد بن السبقي بهادر الظاهري في ٧٨٩ هـ

وفي أيام الملك الظاهر أبي سعيد جقمق العلاني الظاهري احترق سقف الصخرة
القبلي من جهة الغرب، من جانب القبة فاحدث النار وعمر السقف أحسن مما كان
وفي سنة ٨٨٧ هـ. أمر السلطان الملك الاشرف أبي النصر بعمارة الدرج
الموصل الى صحن الصخرة الشريفة تجاه باب السلسلة المجاور لقبة المدرسة النحوية
وفي سنة ٨٨٤ هـ جدد رصاص قبة الاقصى ولم يكن من حيث الجودة والاتقان
كالقديم . وفي سنة ٨٨٧ هـ. انشئ سبيل قايتباي المقابل لدرج الصخرة الغربي
على بئر هناك وكذلك الفسقيتان المجاورتان له

وقد تمت في الحرم الشريف عمارات متعددة في زمن سلاطين بني عثمان
كزجاج شبايك الصخرة العجيبة فانه من آثار السلطان سليمان القانوني ٩٤٥ هـ
كما تدل على ذلك الكتابات المرسومة على زجاج الطاقات . وكذلك القاشاني
البديع المحيط بقبة الصخرة من الخارج فانه صنع في زمنه سنة ٩٦٩ هـ وهذا التاريخ
مثبت في صدر محراب قبة السلسلة والنقوش والكتابات النفيسة فان قسماً كبيراً
منها جدد في أيام السلطان محمود سنة ١٢٣٣ وسنة ١٢٥٦ هـ. وفي أيام السلطان
عبد العزيز سنة ١٢٩١ هـ جدد رصاص الصخرة الخارجي وتذهيبها وحصلت
عمارات طليقة في زمن السلطان عبد الحميد كتجديد سبيل قايتباي وباب الصخرة
الغربي وغير ذلك

— « انتهى » —

بعثة تنصير المحمديين

وبرنامج كيدها للاسلام والمسلمين

لمحمد الرشيدى بك آل الحجازي ، من أركان الحرب سابقاً (في برلين)
 (تمهيد) ان الالمان من أكثر الامم تسامحا في الدين أو من أقلها تمصبا
 فيه على الأقل . ولكن تفريط المسلمين في تبليغ العالم الزرعي حقائق العقائد
 والمواطف التي أودعها الدين الحنيف في صدور أهله ، والآداب العالية والاحكام
 العادلة التي عامل البشر كافة ، وأهل الكتاب خاصة — وافراط حشرات
 الشرق المؤذية (والارمن اشدها عداوة وخبثا في الكيد لمواطنيهم من أهل
 الاسلام) — هذا الافراط وذلك التفريط قضيا بأن يقع كل أجنبي — ألمانيا
 كان أو غير ألماني — في شرك عناكب السوء هذه التي تملأ صدره حقداً
 واحتقاراً لامة محمد (ص) — مع سعيها طبعاً في ابتزاز مال ذلك الاجنبي
 كنا نعلم ما يلم كل شرقي عاشر الاوربيين والاميريكيين من انتشار
 المعتقدات الغربية والتهمة الباطلة بينهم في المسلمين وانهم لا يعرفون سوى
 أنهم قوم عائشون على الفطرة ولا يدرون من أمور الحياة سوى التغذي بطعام
 سيء يتناولونه بأصابعهم القذرة والارتواء بالماء والقهوة والتسلي بالتدخين والاستمتاع
 بالنساء بالنزج منهن بغير حساب لانهن لسن الامتاعا للشهوة البهيمية يشترين
 كما تشتري الانعام ويافظن كما تلفظ النواة بغير مراعاة لحالتهن ولا لحقوقهن ، وان
 أطيب الطيبات عندهم سفك دماء المسيحيين

وكنا نعمل على قدر الاستطاعة في تفهيم الامم التي نحتك بها أن الدين الاسلامي
 مثل سائر الاديان التي تأمر بالخير وتنهى عن الشر ، وأنه أوصى بصفة خاصة
 بمراعاة أهل الكتاب وبمعاملة المسيحيين الذين وصفهم بأنهم أقرب الناس مودة
 للذين آمنوا ، ولم يأمر بمعاداتهم وبقتالهم الا عند بغيهم وعدوانهم على
 (المنار : ج ١٠) (٩٩) (المجلد الرابع والعشرون)

المسلمين ، وان مركز المرأة في الاسلام أفضل وأكمل ضمانا لسماتها وسعادة عائلتها من مركزها في أي أمة متمدينة من أمم أوربة وأميريكة ، وان تأخرها عن المرأة الاوربية أو الاميريكية في الرقي العلمي والاجتماعي لم يكن الا نتيجة الاسباب التي ادت لتقهقر مدنية الرجال انفسهم في الشرق — تلك الاسباب التاريخية والسياسية القديمة والحديثة التي لسوء نيات الامم الاوربية فيها عمل كبير ، وان المسلمين ليسوا أقل نشاطا من غيرهم ، بل انهم من أكبر الامم استعدادا لعظائم الامور ، كما تدل عليه آثارهم في العلوم والفنون والصناعات التي تدين بها الامم الغربية لهم وأعمالهم في الظروف العصيبة الحاضرة

ولكن كانت دائرة عملنا — ولا تزال — ضيقة لقلة كفاءتنا العلمية الدينية في بسط شؤون الدين الخفيف بسطا وافيا شافيا ، وقلة كفاية وسائلنا المادية لتوسيع نطاق هذا العمل العظيم

واقصد كنا نفكر دائما في اقتراح القيام بهذه المهمة الدقيقة الجسيمة على الاختصاصيين بالشؤون الدينية ، وليكننا كنا من جهة أخرى نظن أن الدولة العثمانية التي كان ولا يزال لها من الاستقلال والوسائل المادية والادبية ما يمكنها من هذا العمل الضروري للعالم الاسلامي عموما ولها — هي نفسها — خصوصا قد فكرت في الامر وسعت في القيام به دفعا لنتاول الاعداء على الدين وعليها. إلا أن قضية مقتل طلعت باشا واسبابها ونتائجها وما رأيناها في أثنائها وبعدها ، دلتنا على أن هذه الدولة الاسلامية الكبيرة لم تفكر الى الآن في هذا الواجب

نعم بينت لنا هذه القضية الحالة النفسية لدى القضاة والمحامين وغيرهم من الموظفين ولدى الشعب الذي عد تبرئة ذلك المجرم الارمني عملا منطبقا على العدالة تمام الانطباق ... وإن لم يقوم القضاء بكل الواجبات التي توجبها النزاهة والعدالة ولم يستمع لآراء موظفي نظارة الخارجية ، وبينت لنا نتائج إهمال المسلمين وتفريطهم في الدفاع عن دينهم وأنفسهم إزاء المكاييد والمهاجمات التي تتوالى عليهم منذ زمن طويل

وانتم استدعى التفاتنا الخاص شهادة لزور التي اقترأها «القسيس» المدعو بالذكتور ليسيو من تلك الشهادة التي حوت من الاكاذيب والغل والضغينة ما يتنزه عنه القسيسون الحقيقيون الذين اخلصوا الحب والطاعة للمسيح الكريم ، بل ما ينفر منه أدنى صماليك الوثنيين — ان كان عنده ضمير

ولم يكن ليدبر هذا من أولئك الاشخاص الذين يوجدون ويا للأسف في كل طائفة دينية ، أي من المتعصبين تعصبا أعمى عن جهل وغباوة ، بل هو «مدير» البعثة الألمانية الدينية الشرقية التي يرأسها الجراف (الكونت) فون برنستورف مصدر المنشرة المدعوة بالشرق المسيحي ، هذه المنشرة المفتى بها أتم اعتناء ، فهو ذو مكانة عند طائفة من المسيحيين يظنون انه من أصدق خدام المسيح ان الكذب الصراح والاختلاق المحض اللذين ظهرا لنا في شهادة ذلك الشخص المنتحل الدين وجده وكده في السعي تبرئة ذلك المجرم امور جملتنا نعتقد اعتقاداً قويا أنه ممن اشترتهم انكلترة والجمعية الارمنية (١) وانه من أشد الاعداء للدين المسيحي نفسه — ومحال أن يستفيد دين بأمثال هؤلاء الناس الفاسدي الضمير ولقد بحثنا في الامر بعد أن ضاعت مساعينا لدى وزارة الخارجية — التي أخذت هي نفسها في الاعتراض على ذلك القضاء الخطيء — ولدى ادارة الامن العام — انحصل على أكثر ما يمكن من المعلومات التي يتقى بها ضرر هؤلاء

(١) المنار : اذا قد اشترك في تبرئة المسيحي القاتل للمسلم رجال الدين ورجال السياسة من الالمان والانكليز ولكن انفراد الانكليز بتبرئة المرأة الفرنسية التي قتلت زوجها المسلم المصري ، وقد كان العدل البريطاني في تبرئة هذه القاتلة المقررة بالقتل مبينا على ادعاء علو ادابها الاوروبية وانحطاط آداب زوجها الشرقية . . . فمن اصول التشريع البريطاني العادل انه يجوز لكل اوروبي ان يقتل كل شرقي ولا يكون بقتله مجرماً ولا مستحقاً لادني عقاب — وهم مع هذا كله يعللون الكون ادعاء بعدلهم وظلم الشرقيين عامة والمسلمين خاصة ! ! وهناك عدل اعلى من هذا عندهم وهو ان انهم شرقي بعضيان افرنجي معتد على بلاده يبيع قتله وقتل عدد لا يحصى من قومه كما وقع في البلاد العربية من مصر الى العراق . . .

المشركين بالله والمضربين بالناظر ، قرنتا الى الباربارا على اتياء منها مجموعة كاملة للسنة الاولى من « مجلة الشرق المسيحي » (من سنة ١٩٠٠) م - لم التي تصدرها تلك البعثة الدينية (١١١) التي تمل على انه كان هناك البعثة في سنة ١٩٠٠ - ستة مرا كز عمل في بلاد البوذية واثنان في بلاد فرس ، واثنان في بلغارية

وتدور أعمال هذه المرا كز على المحرقاتي تبينه جلافة الارمني « ابراهيم اميرشانيانس » في تلك المجموعة - تلك المقتاة المقتاة : « واجبات البعثة » المحمدية « ومهامها » كما أن المجموعة كلها تدل على مقدار ديانة الوسائل التي اتخذها البعثة الرئيسية التي يديرها ذلك « القسيس » السيوس

وانتقش لكم أجزاء من تلك المقتاة التي ملات أربع صفحات كبيرة من صحف تلك المجموعة لتروا صورة وصفهم الذين لاسلامي وعماهم لزالته من الوجود قال « ابراهيم اميرشانيانس » المذكور فيما سطره :

« ان الاسلام من أشأم ما ظهر في تاريخ الانسانية . وهو خليط من الصدق والكذب ، فهو لذلك أشد خطرا من الوثنية . وان الدين المسلط على مائتي مليون رأس ايس من السهل التغاب عليه . فيجب تحضير خطة دقيقة تكون كأحكام الخطط الحربية وضما لمهاجمته وانفاذ هذه المهاجمة بأنجع وسائل التعبئة » وبعد أن أوصى بضرورة مراعاة اختلاف أنواع المسلمين من أهل بلاد اسلامية مستقلة وأهل بلاد تابعة لدولة مسيحية في أوروبا أد في المستعمرات ، لاتخاذ أحسن الطرق في انفاذ تلك المهمات ، منع تعرض « المحمديين » الذين ينتحلون الدين المسيحي للاخطار الناشئة عن سياسة تلك الحكومات لاسلامية لهم ، وعن شدة تعصب أبناء بنسبهم لهم ، قل بأنه لا ينبغي ان يترك العمل لتصير المسلمين في البلاد لاسلامية مستقلة . بأن لا يترك العمل في تلك البلاد لاتخاذ من يؤمن بهم الى المسيحية

وقد وضع الشرق التي تستعمل في تلك البعثة في هذه المجلات

للموصول الى هذا العرض ، وهي :

تبشير مباشر في الكنائس وفي الدور وفي مدارس تربية البنين والبنات الابتدائية والعالية ، - وهذا أهم الوسائل عنده - واستخدام الجرائد والذشرات للحملة على الاسلام والترغيب في المسيحية ، والاستعانة بالمبشرين والمعلمين والمعلمات والمربين والمربيات - وكذا بالباعة المتجولين وبالعمال

وقد استنتج « ابراهام إيميرشانيانس » هذا من انتحال بعض مسلمي البلغار والصرب الدين المسيحي أن الدين الاسلامي لا ثبات له ، وان قلة ثباته هذه برهان على أنه ليس دين حق - أو كما يقول : « لا يمكن ان يكون دين حق » وبعد أن قال : ان الاسلام بدون سيف يؤيده شيء لا يعتد به (١) وصف المسلمين الذين انفصلوا عن لدولة العثمانية والذين في المستعمرات المغلوبة على أمرها فشبهم بسمك تركه الجزر على الارض اليابسة يفتح فاه ويطبقه لعدم إمكان بقائه حيا في غير العنصر الذي كان يعيش فيه (٢)

وصاح : « ما أترك الوقت وأسعد الفرصة السانحة لتلقين هؤلاء المسلمين حقائق يسوع المسيح ! »

ثم نصح لجميع البعثات المسيحية بتوحيد مساعيها في العمل لتكون كوحدات جيش واحد يهاجم الاسلام متبعا خطة واحدة

وبعد أن دل على مواضع ضعف الاسلام في جنوب آسية والمصين وغيرها من الاصقاع التي لم يرتق فيها العلم والفهم حض على العمل فيها ونشر مؤلفات « ايلمنسكي » و « مالوف » (أو مالو) و « سابلوف » (أو سابلوكو)

(١) المنار تلقفوا هذه الكلمة من قدماء أعداء الاسلام ولا يستحيون من تكرارها مع حصول ما كان يقصده أولئك الأعداء من وضع رقاب أكثر المسلمين تحت سيوف المسيحيين الذين يكرهون السيف ويعشقون السلام رحمة بالاس كما هو مشاهد في كل العالم !!! (٢) لو ألصف لقال : لعدم إمكان بقائه حرا عزيزا تحت نير الأوربيين المدعين للمسيحية

و « ماشانوف » (او ماشانوف) على مساهمي القوقاس وعرض برنامج الذي نختار منه هذه الفقرات :

١ — احتلال البعثات الدينية للديار الاسلامية المستقلة والمغلوبة احتلالا منظما وعملها منحة عملا منظما

٢ — تأسيس مدارس لاهالي مسيحيي الاهالي أو المسلمين الذين انتحلوا الدين المسيحي يتخرجون فيها لخدمة عمل هذه البعثات ، وذكر أن من هذه المدارس ما يوجد في الاسكندرية وفي قسطنطينة — في الجزائر — وفي قازان

٣ — إلقاء محاضرات في أما كن هذه البعثات أنا بعد آن

٤ — نشر الكتب المؤلفة لتتوير المسلمين الذين لا يعرفون عن الدين المسيحي الأمور « معكوسة » وكتباً للعائلات وجرائد وغير ذلك من وسائل نشر الدعوة . وكتب المجادلة كذلك الكتب « الجلية » التي ألفها المولوي عماد الدين في الهند

٥ — نشر مثل هذه الكتب على الاهالي المسيحيين ونشر انتقاد الحياة « محمد » وقد كان المؤلفون المسيحيون يستقون بعض أخبار هذه الحياة من الكتب الكاذبة التي يؤلفها المصنفون المسلمون عن حياة نبيهم ... كما أنه يجب ترجمة كتاب « ريجوزي » (أو « ريكوزي » — أو « رينوزي ») الى اللغات الأوروبية لظهور فساد معتقدات المسلمين في الله وفي الآخرة

٦ — إصدار نشرة دورية عامة للبعثات الدينية

ومن غرائب أفكاره في الموضوع قوله : « ان طريق بغداد الحديدية ستزعزع الاسلام من أساسه » (١١١)

و « اذا كان الروس يمدون خطا حديديا من باكو الى البوسفور فان ذلك يقضي على الاسلام قضاء مبرما (???)

و « ان الدين الاسلامي قائم على السيف فاذا أصابت هذا السيف فلول فلن يهود تركي ولا ايراني ولا تتري يؤمن بهذا الدين ا »

وقد ذكر بعد ذلك تأسيسهم لقاعدة عمل عظيمة الالهية في بلغارية (وهي القاعدة التي يسعى فيها لتنصير مسلمي بلغارية ووقية المسلمين الذين يعتقدون الدين المسيحي في تركيا او في بلاد ايران من قتل أبناء جنسهم بهم
وهالك نبأ من سيرة « ابراهام إيرشانيانس أو إيرشانيانز » فان في هذه القصة مواءم وعبراً

ابراهيم هذا هو ابن قروي أرمني من القوقاز يدعى « ميرزا فاروخ » (أو فروخ ؟) كان اختطفه بعض الفارسيين من اللصوص المتاجرين بالرقيق . فوصل الى سريّ ايراني يدعى أمير كان سردار فأوصى ابنته بتربية الطفل كما فعل فرعون مصر مع موسى - مع بعد الشبه بين الطفلين والتربيتين - فربي تربية اسلامية وعلم تعليماً اسلامياً الى ان صار ميرزا (فقيهاً ؟) وكاتب سر له يده الذي كان قائداً في جيش بلاده . واستصحب القائد كاتبه فروخ في محاربته للروس فقتل هذا القائد فيها ، وفي أثناء عودة فاروخ « أوفروخ » هذا التقى بأقارب له فارند الى دينهم وخرج هارباً من فارس الى شوشة قريته في القوقاس . وهناك تعرف الى الدكتور بفاندر السويسري المبشر وغيره وتقلد المذهب البروتستانتي واذا كان يعرف الفارسية والتركية والعربية وتعلم الارمنية والروسية ، استخدمته الحكومة الروسية معلماً وتمكن من ترجمة « العهد الجديد » الى تركية القوقاس وعلم ابنه ابراهيم هذا اللغتين الفارسية والتركية وأسلمه الى الدكتور نسا رمبرا فأسلمه أولاً الى ريفال ثم الى سويسرة ليقيم علومه في مدرسة « المبشرين » بياز (بال) ولما منعت الحكومة الروسية عودته الى وطنه ارسله المبشرون السويسريون الى القسطنطينية . وهناك بقي مدة عشر سنوات بوظيفة قسيس لطائفة الارمن مشغلاً مع المبشرين السويسريين ثم استخدمه « كاتولييكوس » الارمن لادارة المدرسة الدينية فبقى فيها ثلاث سنين . وبعد أن تجول في بلاد فارس سكن في تفليس وترجم كتباً دينية ينشرها هناك . ولما اشتغل بالوعظ غضب عليه رئيس المجلس وأقر نفيه فقبض عليه وسيق مع عائلته وأولاده السبع الى المنفى

وبعد أن فقد أبنيه توسط أحد الأمراء له في تخفيف العقاب وذهب الى هلسنجهفورس ومنها الى وارتنه في بلغارية - واتخذ بعد ذلك تنصير المسلمين حرفة له

ومن يستطيع ان يثبت لنا ان هرب ابيه من فارس بعد موت ذلك القائد الذي رباه ليس له علاقة بمقتل ذلك القائد ؟

اي من ذا الذي يمكنه ان يبرهن لنا على ان أباه لم يقتل مرييا غيلة وغدرا ليتمكن بما سلبه منه من العودة الى موطنه ؟ إن كان فروخ هذا نقي اليد مرتاح الضمير فلماذا هذا الهرب وهذا الفرار ؟ ومن اين اتته النقود التي مكنته من الوصول السريع الى بلاد التفقاس ؟

ان هناك مسائل يجب ان يفكر فيها اولئك الذين يظنون انهم يستطيعون ان يتبنوا ويربوا مثل هذه الاطفال المحتطفة والمسروقة التي ينمو معها الحقد والضعف كلما نمت قواها الفكرية والجسدية ولا تستخدم ما امدها به الاحسان الا في الاساءة ! لو كان ذلك القائد الفارسي فكر في هذا الامر لما فعل ذلك الخير الذي لم ينتج الا شرا وهل يحترم الذئب اذا كبر شاة غذي بدها ؟

ولو كان ذلك القائد الزم اولئك اللصوص بارجاع ذلك الطفل لاهله ليتربي فيهم ويأخذ لغتهم ودينهم ويعيش معهم ويموت فيهم لما مكن ذلك الثمان وابنه ابراهام من جمع كل هذا السهم الذي كان هو اول ضحاياه

ومن هذا القبيل شخص اسمه « يوهانس اويتارانيان » تصوره تلك المجلة بملايس شيخ كردي تارة وبملايس اوربية تارة اخرى - وهو يدعو المسيحيين للتعاون على تنصير المسلمين ويدعي انه من المسلمين الذين هداهم الله الى النصرانية ويقص في المجلة تاريخه وما جرى لغيره من المسلمين المتنصرين ...

ومن هؤلاء رجل اسمه ميرزا ابراهيم قبض الناس عليه في خيوى وسجنه، وقتلوه، لانه بعد أن تنصر أخذ يضايق الناس بسعيه في حملهم على ترك دينهم واسكن لترك ابراهام واباه ومن هم على شاكلته - وكثير ما هم - ولننظر

ما يصنعون وما يتبعون من الخطط

ليس من العجيب ان تكون تلك المجموعة السنوية مجموعة طعن في الدين الاسلامي وفي رسول الله (ص) ومن لم يقبلوا المسيحية طوعا او كرها، ولا فائدة من تحصيل الحاصل بترجمة تلك الصحائف الكثيرة المشتملة على شتائم يبرأ المسيح عليه السلام منها ومن قائلها - وكفى بما اتينا به برهانا على نياتهم وموضعا لخططهم وطرقهم

ولكن نلاحظ ان « القسيس » لبيسيوس عند كلامه عن حائط العبرات او الدموع في القدس - وهو الحائط الذي يبكي عنده اليهود منذ عشرين قرنا زوال ملكهم وتخريب هيكلهم - يستدرج نفسه وقارئه الى اعتقاد ان المسيحية اعطاها الشرق الى الغرب ، وسيعطيها الغرب للشرق « اي انه لم يفكر في الخطر الصهيوني بل حصر همه في العمل ضد الدين الاسلامي !

نحن لا نستنكر ان يحاول المسيحيون تنصير المسلمين ولا أن يروم المسلمون اسلام المسيحيين بالتي هي أحسن اذا استطاعوا او لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا ، لاننا نعتقد أن النفس البشرية تجد منها لها حائنا ودافعا الى افادة غيرها ما تعتقد صلاحه ونفعه ، ولذلك لا ننقم على مسيحي يريد ويسعى في أن يجعل المسلمين نصارى بالطرق التي تقبلها الحكمة والآداب ، ولكننا نعد اتخاذ المطاعن البذيئة وطرق الغش والكذب وسائل لهذه الغاية وجريمة لا يغفرها الله ولا يرضي عنها المسيح ولا يقبلها ذو نفس شريفة تذكره الكذب والتزوير في المعاملات العادية عموما ، والشؤون الدينية خصوصا

ولقد كان ترفع المسلمين عن النظر الى تلك الدنيا ، وعدم اهتمام الحكومات الاسلامية والعلماء والمفكرين من المسلمين بمراقبة ما تدبره هذه الجمعيات من المكاييد الخسيسة ، سيئين - لامر أعظم ضرراً من تنصير بعض المسلمين ممن لا يعرفون من أمور دينهم شيئا - فان النجاح الذي أدركه « المبشرون » في مشارق الارض ومغاربها منذ عشرات بل مئات من السنين في تنصير المسلمين أقل من أن يذكر - ذلك الامر العظيم الضرر هو إلقاء عداوة المسلمين واحتقارهم

(المنار : ج ١٠) (١٠٠) (المجلد الرابع والعشرون)

في نفوس الامم الاوربية والاميريكية .. وهو ما جعل تلك الامم ترتاح لوقوع لامم
الاسلامية في شرك الدول الاستعمارية ، وصيرها لاتتأثر اذا اقترب أمثال البلغار
والعرب واليونان والافرنسيين والانكليز في الديار الاسلامية فظانم كانت أوربا
واميريكة لاتعتفراهما لو اقترفاها هؤلاء في بلاد أمم مسيحية .

نعم إن الحق لا يعدم نصيرا . ولقد رأينا في السنين الاخيرة ما ثبت ذلك من
تغير الآراء في ألمانيا نحو المسلمين بتأثير الكتب والمقالات التي كتبها القواد
والضباط والجنود والموظفون والعلماء الالمان ذاكرين فيها ما لاحظوه وما شاهدوه
وما اختبروه من أحوال المسلمين في أثناء الحرب العالمية . ولكن ذلك لا يكفي
في ايضاح الحقائق عن الدين الاسلامي وأهله ، فان دعاة السوء لا يزالون مستخرين
في العالم كله على وصف هذا الدين وأهله بأشنع الاوصاف وحمل العالم المسيحي
والوثني على اعتقاد أن كل اعتداء على الشعوب الاسلامية عمل خيري وأن كل
نقمة تحمل بالمسلمين نعمة للمسيحيين وغيرهم .

ولذلك نرى أن من الواجب على الدول الاسلامية التي بقيت محافظة على
استقلالها أن تنظم وسائل الدفاع عن دينها وسمعة أممها في العالم . وعلى الكتاب المسلمين
أن يجودوا في إفهام العالم الحقائق التي يحاول أولئك المجرمون طمسها .
ويسمح لنا حضرات علماء الازهر والزيتونة والفانج وغيرهم أن يقول لهم إن
أولئك المعتدين على دينهم وكرامة أممتهم يتعلمون اللغات العربية والتركية والفارسية
والهندية تملأ جيداً ليتطاولوا على الاسلام والمسلمين ، فلماذا يمتنع علماءنا من
تعلم اللغات الانكليزية والافرنسية والالمانية وغيرها ليدفعوا تلك الازاجيف
والاكاذيب ويظهروا للامم فضائل هذا الدين التي تفوق جميع فضائل الاديان
الموجودة في العالم ؟ ان العلماء يتمكنهم من دقائق هذا الدين ومعرفة أموره
التي لاتصل اليها مدارك غيرهم هم أحق الناس بالقيام بهذا الواجب الذي نسعى
نحن الذين تنقصنا الوسائل الكثيرة الى تأديته .

وعسى أن يسمع صوتنا هذا ، فتري حضرات الكتاب والمفكرين عموما

والعلماء خصوصاً قد اهتموا بالامر واشتغلوا بانفاذه بكل ما أوتوا من نشاط وهمة وكفاءة ، ونجد وفود علماء الاسلام تتجول في أوربة وأميريكة ، لتنير للشعوب العربية تلك الظلمات وتهتك تلك الحجب التي نسج برودها أوائك الا فاكون المختلقون الذين نعتقد ان المسيح عليه السلام يبرأ مما صنعوا ويصنعون باسمه الكريم !

(المنار) سواء وصل صوتك أو لم يصل (انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) وقد ارتفع قبل صوتك الشريف أصوات أفراد آخرين رأوا شيئاً مما رأيت وشيئاً مما لم تره — ولكن الاسلام ليس له دولة تسمع وتبصر ، وتعمل وتشعر فتعمل ، وأكثر حملة العائم موتى القلوب كنه البصائر مظلمو العقول لا يهمهم من الحياة الا أمر معاشهم ولو بالذل والمسكنة ، وان ما فسد في بضع قرون لا يصلح في بضع سنين . وانا قضينا أكثر من ربع قرن ونحن ندافع عن الاسلام ونقند ما يقتره عليه دعاة النصرانية ودعاة الاتحاد ولم نجد انا وليا ولا نصيراً من أمراء المسلمين وملوكهم ، ولا من منتحلي الرياسة الدينية وعلماء الرسوم منهم ، بل وجدنا من ايناثهم وسعايتهم اضعاف ما وجدنا من ايناث المبشرين وحماتهم الذين منعوا المنار أن يدخل السودان المصري بسعاية هؤلاء المبشرين — ودعونا حكومة الخلافة العثمانية في الآستانة الى تأسيس جمعية للدعوة والارشاد ومدرسة لتخريج الدعاة والمرشدين فارتعدت فرائص رجال الحكومة الاتحادية من كلمة الدعوة ثم أبوا تنفيذ الاقتراح حتي بعد تغيير الاسم ، فأسسنا الجمعية وافتتحنا المدرسة في مصر ، ونالت من الاوقاف العامة والخاصة إعانة قبل الحرب ، برعاية عزيز البلاد في ذلك الوقت. ولم تلبث أن قطعت بعدها بايعاز بريطاني في أوائل عهدها ، ووعدنا السلطان حسين ورؤساء أكثر الوزراء باعادتها ، ولم ينجز لها أحد وعدها ، ولا رعى الاسلام عهدا. ومن ذلك أن رشدي باشا في عهد وزارته أخبرنا انه عرض أمرها علي الملك فؤاد فارتاح الى مساءلتها ، وانه مهد لنا السبيل لديه ، لعرض الامر عليه ... ولكن حال بعض رجال القصر دون ذلك ولكن نحمد الله تعالى ان دعوة الاصلاح تمتدولو يبطء فعسى أن تزول العنصة قبل فوات الفرصة

﴿ أحوال العالم الاسلامي ﴾

اليمن وتهامة . نجد والكويت والريحاني . الحجاز . الترك

لا تزال جزيرة العرب على ما يعلم الناس عنها من شقاق وتقاتل في اليمن وتهامة يغضب الله والمسلمين وجميع العرب الصادقين، ويرضى الاعداء الطامعين. ولو آثر الامام والسيد الادريسي حقن الدماء على سفكها وانصرف كل منهما الى الاخذ بوسائل العمران في بلاده لكان لكل منهما في منطقته اضعاف اضعاف ما يطمع به من توسيع حدوده بالبلاد المتنازع عليها، واهم ما يتنازعان عليه واعظمه شأنًا عندهما ثغر (الحديدية) ويمكن ان يتفقا على جعله ثغراً حراً لكل منهما حق مساو لحق الآخر في الانتفاع منه بالتجارة وردا وصدرًا على ان يحميه كل منهما بالتعاون مع الآخر ممن يعتدي عليه، وتسكون حكومته وطنية مستقلة ينفق عليها من رسوم المكوس فيها

وأما نجد فقد ذكرت الجرائد أن سلطانها منح بعض الشركات الانكليزية امتيازًا كبير الشأن في منطقة الاحساء بزيت البترول وغيره مما يوجد من المعادن وما يستلزم ذلك من مد الخطوط الحديدية... وأشارت الى ما في هذا الامتياز من الضرر على هذه البلاد والخطر على استقلالها. وقد بلغنا عن أمين أفندي الريحاني الاديب اللبناني المشهور أنه هو الذي اقنع السلطان عبدالعزیز بن سعود بمنح هذا الامتياز للانكليز واقنع شيخ الكويت بامتنياز مثله وانه لم يذهب الى جزيرة العرب الا بنفقة شركة انكليزية معروفة لاجل اقناع امرائها باعطائها امثال هذه الامتيازات فخاب سعيه الا في نجد والكويت، وكان يظن ان النجاح فيهما أبعد منه في غيرها، ولا مندوحة لحكوماتهما اذا لم يتفصيا من امضائه وانفاذه ان يعلما بعض نابتتهما لغة القوم وتاريخهم وقوانينهم والقانون الدولي العام والمعاهدات الدولية ليعرفوا كيف يعاملونهم ويتقنون بعض مفاسدهم وغوائلهم، فهم بعد تقييد أنفسهم بادخال الاجانب في بلادهم لا يستطيعون أن يبقوا بمعزل عن العالم المدني، والطريق وعرة، والمركب صعب، وكان الواجب أن تعد لها عدتها، قبل التقحم في مهامه مغازتها. وقد كنت نصحت المرحوم

الشيخ مبارك الصباح بان يعلم صغار أولاده واحفاده تعلما خاصا فأجابني بأنهم لا يحتاجون الى العلم !!! وانى لذي الجهل المركب المطلق أن يشعر بمنفعة العلم ؟

ساعد الريحاني على نجاح سياحته في جزيرة العرب ما كان له من حظ الخطوة بمصر ولا سيما احتفال احمد زكي باشا به في جوار الاهرام ذلك الاحتفال الغريب الذي حضره ألوف من الناس ، وشغل الصحف المصرية بالنقد والاستحسان .

ذهب بعده الريحاني الى الحجاز ويقال ان ملكه قد أوصي به ، وكان اطلع على ما كتب في الجرائد بشأنه . فعني به واكرم مثواه ، وعرض عليه ان يحليه بلقب أمير فاعتذر ، فأهداه هدايا منها خنجر ذهبي مما يتقلده شرفاء الحجاز على بطونهم ويسمى (الجنبية) وزوده بكتب توصية الى امام اليمن والسيد الادريسي وأرسل معه قسطنطين أفندي يني وهو سوري من موظفي حكومته بمجدة فجعلهما وفدا له ، باعنا أن الامام اكرمهما بضيافته ومجالسه ولكن جعل حديثه معهما في المسائل الادبية والشعر ولم ينال منه شيئا مما زاراه لاجله ، وكذلك السيد الادريسي رحمه الله تعالى . وقد كان الريحاني طلب مني توصية كتابية الى (الحجاز) أمراء الجزيرة فتصلت بلطف لاني كنت مرتابا في الحامل له على السفر ، ورأيت بعض اخواني جازما بأنه يقصد خدمة سياسية للانكليز

نحمد الله تعالى أن خابت « المعاهدة العربية البريطانية » التي أمر الملك حسين بعمل يوم إعلانها عيد للامة العربية التي يدعي افتياتا عليها أنه ملكها ، وأن جعلنا من المجاهدين في سبيل خيبتها ، ودفع ما فيها من الخزي والخطر على بلاد الحرمين الشريفين وعلى ثالثهما وهو المسجد الاقصى ، وقد ظهر للعالم كله بطلان دعوى الملك حسين أن المادة الثانية من المعاهدة نص صريح في استقلال فلسطين رسائر البلاد العربية ماعدا (عدنا) وحدها . . . وما كررته جريدته (القبلة) من الكذب والافك في ذلك ، ولا ندري ما يقول انصاره اليوم — فاذا كان قد تعمد خداع العرب عامة والفلسطينيين خاصة ليكفوا عن جهادهم ، ويفوضوا اليه والى حايثته انكثرة أمر بلادهم ، فكيف يدعون بعد هذا أنه يخدم العرب

ويسمى لاستقلالهم؟ (وان قالوا) انه هو قد خدع بهذه المعاهدة اذ لم يفهم موادها كما خدع قبلها بمقررات النهضة الناطقة بحماية الانكليز ابلاد العرب كلها وان كان هو الواضع لها (قلنا) — أولا — اذا كان يعقد معاهدات مع أدهى الدول المرة بعد المرة وهو لا يفهم معناها فكيف تتخذونه زعما لامتهم؟ — وثانيا — اذا كان لم يفهم ترجمة المعاهدة بالعربية فكيف لم يفسرها له بالعامية وكيل خارجيته (فؤاد افندي الخطيب) ومندوبه لدى الدولة البريطانية (الدكتور ناجي الاصيل) اللذين ترجماها له بل وافقاه على ما فهمه منها خطأ بزعمهم؟ — وثالثا — ان كانا هما اللذان خدعاه بالترجمة أو بموافقته على سوء فهمه فلماذا لم يعاقبهما على هذه الخيانة ولو بطردهما من خدمته؟ بل لماذا أعاد الدكتور الى لندن لاتمام المساومة في شأنها وهو لا يزال يرجو ابرامها؟

هذا وانه بعد هذا يريد عقد مؤتمر عربي في (معان) بدسيسة بريطانية قد بثت الدعاية لها في البلاد السورية كلها، وبذل من المال ما بذل في شبيلها، وسنشرح ذلك وما يجب من تلافي ضرره في مقال آخر.

وقد كان من سوء سياسة الرجل ومقت العالم الاسلامي له أن أباط مسلمو الهند فيما قرروه من مساعدة جزيرة العرب على الاستقلال فهو العقبة في طريقها، وأن بثت الدعوة في الهند وأفريقية الواقعة تحت السيطرة الفرنسية الى مقاطعة الحجاز بترك أداء فريضة الحج ما دام هذا الرجل مسيطرا عليه. ولا شك في أن هذا يسر حليفتيه البريطانية والفرنسية وان لم يشعر أولئك المسلمون في الشرق والغرب بذلك — فنحن ننكر عليهم ترك الحج الذي هو ركن الاسلام الاجتماعي العام ونحزم بأنه نكبة وجريمة دينية سياسية اجتماعية، وأن لديهم أسهل الطرق لا نقاذ الحجاز مما جناه عليه هذا الرجل وهو تعضيد الجمعية التي وضعت لحياذه واستقلاله وحفظه من كل نفوذ غير اسلامي، وسنعلن ذلك ان شاء الله تعالى في الشهر الآتي (الترك) ثم نحمد الله تعالى أن تم لترك الاستقلال المطلق بمعاهدة الصلح الاخيرة وقد جبرأهم ذلك على التصريح بما كانوا يكتُمونه من جعل حكومتهم جمهورية، وهو

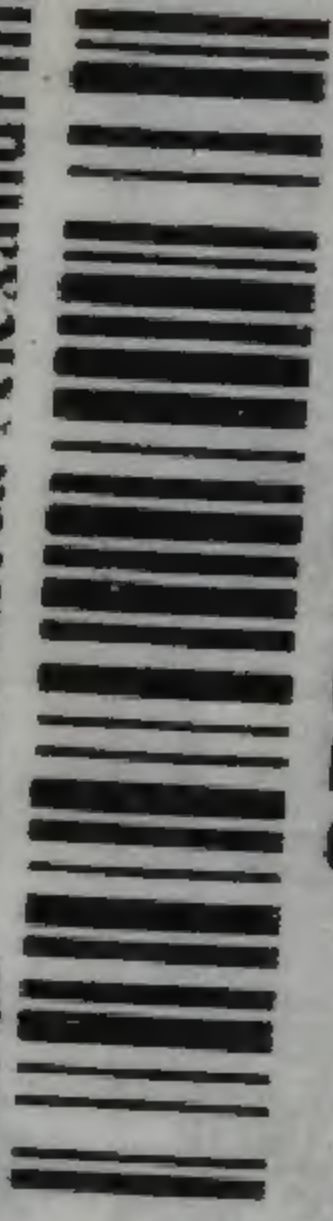
ماسبقنا الى التصريح به في العام الماضي عقب اطلاعا على التشكيلات الاساسية للجمعية الوثائية ، وقد ألغيت الاحكام العسكرية فظهرت المعارضة للحكومة السكالية في مسألة الخلافة الاسمية ، ومسألة اسرة السلاطين العثمانية ، التي هضمت حقوقها بحرماتها من مساواة الامة في المناصب والوظائف وفي النيابة عن الامة — ومسألة جعل الغازي مصطفى كمال باشارئيسا للجمهورية ورئيسا للجمعية الوطنية ورئيسا للحكومة التنفيذية ورئيسا لحزب الشعب الذي ألغى لاجل حصر السلطة كلها فيه ، فنزل عن بعض هذه الرياسات في الظاهر الرسمي وجعلها لا قرب أعضاء حزبه منه — ولو أنه أنجز ما كان وعنده به من اعتزال الحكومة بعد نيل الاستقلال كما فعل واشنطنون محرر مملكة الولايات المتحدة في أمريكا لاجمعت الامم على تمجيده مع الشعب التركي وكانت رياسته أتم ، ونفعه لقومه أعظم — ولكنه قد استهدف الآن لمقاومات كثيرة فانهم بأنه يسعى لجعل نفسه حاكما عسكريا مطلق التصرف من وراء ستار الجمهورية كما جرى في البلاد الاسبانية ، أو ما هو قريب منه كما جرى في الدولة الايطالية ، واكتشفت بكيدة لاغتياله ، وانطلقت الالسنه والاقلام بالخوض في شخصه وعمله وظهرت في البلاد التركية ولا سيما انقره دعوة الغلو في التفرنج بجعل الحكومة غير دينية كالجمهورية الفرنسية و باطلاقها للنساء والرجال حرية الاباحة كغشيان التركيات للمراقص ، ورقصهن متهتكات مع الاجانب والاقارب ، وتمثيلهن أنواع القصص في المسارح ، والدعوة الى تعديل قانون المسكرات وغير ذلك . وقد نشر في الجرائد أن الحكومة الجمهورية ألغت المحاكم الشرعية البتة ويقال إنها منعت تعليم الدين في مدارس الحكومة أيضا ، وعادت دعوة العصبيية الجنسية والغلو في التفرنج المناهض للاسلام الى ما كانت عليه بالصراحة التامة . وظهر أن الحكومة السكالية كالجمهورية الاتحادية التي كانت قبلها ، وانها لا تخالفها الا في شكلها ، على أن أكثر السكاليين من الاتحاديين ، وقد ظهر أن من لم ينتظم في السلك السكالي من بقايا رجالاتهم أحرص على المحافظة على منصب الخلافة فيهم . ونسأل الله تعالى أن يقي هذا الشعب الاسلامي شر الغرور بالمدينة المادية وشر الشقاق ، فالذي يهمنا أن يبقى حصنا من حصون الاسلام في الشرق ، وانما يكون ذلك بنجاح حزب الاصلاح الاسلامي

خاتمة المجلد الرابع والعشرين

باسم الله وبحمده نختتم هذا المجلد من المنار كما افتتحناه به ، ونحمده اننا لم ندخر وسعا في القيام بما قدرنا عليه من خدمة الملة والامة ، على قصر الساعد ، وقلة المساعد ، وليّ المشتركين ، وتجهّم السنين ، ومن العجيب أن يشكو الماطلون من تأخير بعض الاجزاء عن موعد صدورها من أول الشهر ، وينسون تأخيرهم لقيمة الاشتراك عن موعدها أول العام ، دع من يسوفون بها عاما بعد عام ، وهم يعلمون أن الاشتراك في الصحف المنتشرة عبارة عن التعاون بين من يتولى أمر تحريرها وطبعها ونشرها وبين قرائها على خدمة الامة بها ، وجعله الفقهاء من قبيل ما يسمونه الاستصناع وهو بذل قدر معين من النقد لمن يقوم بعمل شيء معين للباذل ، والمراد من هذا وذاك أن الجريدة أو المجلة ينفق على إيجادها من أموالهم فكيف يطلبون وجود المسبب قبل وجود السبب وهو في أيديهم إن تأخير بعض أجزاء المجلات لا يحول دون الاستفادة منها ولا ينقص منه إذ ليست كالجرائد التي يراد منها الاعلام بالجواب (الاخبار الطارئة) في إبان طروقتها ، فيفوت ذلك بتأخير صدورها ، أو يستغنى بالسابق على المسبوق منها ، على أن تأخيرنا إصدار بعض أجزاء هذا المجلد لم يمنع من صدور جميع أجزائها في عامها ، فقد صدر الجزء الاول من هذا المجلد في شهر جمادى الاولى من عام ١٣٤١ وتم الجزء العاشر الذي هو الخاتمة في ربيع الاول سنة ١٣٤٢ وأخرنا نشره الى ربيع الآخر الذي بعده ، وسيصدر الجزء الاول من المجلد الخامس والعشرين في مثل موعد الاول مما قبله فيكون الفرق بيننا وبين أشهر مجلاتنا العربية اننا جعلنا شهري الاستراحة مفرقا على أشهر السنة وهي نجعلها شهرين متتابعين وقد اضطرنا التوسع في مسائل الخلافة والحجاز والهند في هذا المجلد الى تأجيل بعض المباحث التي كنا نشرعنا فيها ومقالات أخرى لدينا ، وتأجيل انتقاد على المنار ، وحقوق أدبية عليه لمن أهدوا بعض مطبوعاتهم ، وسنعود الى ذلك كله في المجلد الآتي ان شاء الله تعالى ، وعسى أن يحاسب الهاضمون لحق المنار أنفسهم ، وينتصفوا منها لمن انقطع به الى خدمة ملتهم وأمتهم ، وكذا بالاشتراك في بضم جماعات دينية وعلمية ولغوية واجتماعية وسياسية ، لم تترك له ساعة من نهار للنظر في شيء من مصالحه الشخصية والمنزلية . ونسأله تعالى أن يوفق كلا منا لاتقان العمل الذي خلق له والحمد لله أولا وآخراً



Bibliotheca Alexandrina



0551747